الكِفايـة

في التَّفسيرِ بالمأْثورِ والدِّرايـة

تأليف الفقير إلى رحمة ربه
عبدالله خضر حمد
باحث عراقي
الجزء الواحد والثلاثون
[سورة غافر، الآية: ٧]- [سورة الزخرف، الآية:١٨]
منشور إلكترونياً
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

حقوق النسخ والطبع والنشر مسموح بها لكل مسلم

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع التفسير من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى مراسلة المؤلف -لطفا وتكرما- على البريد الالكتروني الآتي، وذلك لإرسال التفسير بأحدث نسخة إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإيَّاكم لما يرضيه برحمته، آمين.

abdulla.khdhir@gmail.com

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

القرآن

{الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧)} [غافر : ٧]

التفسير:

الذين يحملون عرش الرحمن من الملائكة ومَن حول العرش ممن يحف به منهم، ينزِّهون الله عن كل نقص، ويحمَدونه بما هو أهل له، ويؤمنون به حق الإيمان، ويطلبون منه أن يعفو عن المؤمنين، قائلين: ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلمًا، فاغفر للذين تابوا من الشرك والمعاصي، وسلكوا الطريق الذي أمرتهم أن يسلكوه وهو الإسلام، وجَنِّبْهم عذاب النار وأهوالها.

قوله تعالى:{الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} [غافر : ٧]، أي:" الذين يحملون عرش الرحمن من الملائكة ومَن حول العرش ممن يحف به منهم، ينزِّهون الله عن كل نقص، ويحمَدونه بما هو أهل له"[١].

قال الطبري:يقول: " الذين يحملون عرش الله من ملائكته، ومن حول عرشه، ممن يحفّ به من الملائكة، يصلون لربهم بحمده وشكره"[٢].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن الملائكة المقربين من حَمَلة العرش الأربعة ، ومن حوله من الكروبيين ، بأنهم يسبحون بحمد ربهم ، أي : يقرنون بين التسبيح الدال على نفي النقائص ، والتحميد المقتضي لإثبات صفات المدح"[٣].

قال الماتريدي:" التسبيح بحمد ربهم: هو الثناء عليه، والحمد له بالتبرئة والتنزيه عن جميع أوصاف الخلق ومعانيهم، وعن جميع ما قال الملاحدة فيه"[٤].

قال السمعاني:" ذكر النقاش: أن حملة العرش الكروبيون، وهم سادة الملائكة. وفي بعض التفاسير: أن أقدامهم في تخوم الأرضين، والأرضون والسموات إلى حجزهم، وهم يقولون: سبحان ذي العز والجبروت، سحان ذي الملك والملكوت، سبحان الحي الذي لا يموت، سبوح قدوس رب الملائكة والروح"[٥].

قال الثعلبي:" وفي الخبر: أن الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة عرشه، تفضيلا لهم على سائر الملائكة، فهذه صفة حملة العرش"[٦].

قال مجاهد: "بين الملائكة وبين العرش سبعون حجابا من نور"[٧].

عن ابن عباس: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَدّق أمية في شيء من شعره ، فقال[٨]:

رَجُلٌ[٩] وَثَور تَحْتَ رِجْل يَمِينه... وَالنَّسْرُ للأُخْرَى وَلَيْثٌ مُرْصَدُ
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "صدق". فقال :
وَالشمس تَطلعُ كل آخر لَيْلَةٍ... حَمْراءُ يُصْبحُ لَونُها يَتَوَرّدُ
تَأبَى فَما تَطلُع لَنَا في رِسْلها... إلا معَذّبَة وَإلا تُجْلَدُ

---

(١) التفسير الميسر: ٤٦٧.
(٢) تفسير الطبري: ٣٥٤/٢١.
(٣) تفسير ابن كثير: ١٣١/٧.
(٤) تأويلات أهل السنة: ٦/٩.
(٥) تفسير السمعاني: ٧/٥.
(٦) الكشف والبيان: ٢٦٧/٨.
(٧) حكاه الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٦٦/٨.
(٨) الأبيات في الإصابة ١/ ١٣٤، وخزانة الأدب ١/ ١٢١، والشعر والشعراء ١/ ٤٦٠، والأغاني: ١٣٠/٤.
(٩) وفي بعض الروايات:«رجل».

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «صدق»"[١٠].

قال ابن كثير:" وهذا إسناد جيد : وهو يقتضي أن حملة العرش اليوم أربعة ، فإذا كان يوم القيامة كانوا ثمانية كما قال تعالى : {وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ} [الحاقة : ١٧]"[١١].

وروي عن العباس بن عبد المطلب ، قال : "كنت بالبطحاء في عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت بهم سحابة ، فنظر إليها فقال : "ما تسمون هذه ؟" قالوا : السحاب. قال : "والمزن ؟" قالوا : والمزن. قال : "والعَنَان ؟" قالوا : والعنان - قال أبو داود : ولم أتقن العنان جيدًا - قال : "هل تدرون بُعْدَ ما بين السماء والأرض ؟" قالوا : لا ندري. قال : "بُعد ما بينهما إما واحدة ، أو اثنتان ، أو ثلاث وسبعون سنة ، ثم السماء فوقها كذلك" حتى عَدّ سبع سموات "ثم فوق السماء السابعة بحر ، بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ، ثم فوق ذلك ثمانية أوْعَال ، بين أظلافهن ورُكبهن مثل ما بين سماء إلى سماء ، ثم على ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ، ثم الله ، عز وجل ، فوق ذلك"[١٢].

قال ابن عباس: "حملة العرش ما بين كعب أحدهم إلى أسفل قدميه مسيرة خمس مائة عام، وقال: مسيرة أرجلهم في الأرض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش، وهم خشوع لا يرفعون طرفهم، وهم أشد خوفا من أهل السماء السابعة، وأهل السماء السابعة أشد خوفا من أهل السماء التي تليها، والتي تليها أشد خوفا من التي تليها"[١٣].

قال ابن كثير:" وهذا يقتضي أن حملة العرش ثمانية ، كما قال شَهْر بن حَوْشَب : حملة العرش ثمانية ، أربعة يقولون : "سبحانك اللهم وبحمدك ، لك الحمد على حلمك بعد علمك". وأربعة يقولون : "سبحانك اللهم وبحمدك ، لك الحمد على عفوك بعد قدرتك"[١٤].

قال ابن عباس:" لما خلق الله حملة العرش قال لهم: احملوا عرشي. فلم يطيقوا، فخلق مع كل ملك منهم من أعوانهم مثل جنود من في السماوات من الملائكة ومن في الأرض من الخلق، فقال: احملوا عرشي. فلم يطيقوا، فخلق مع كل واحد منهم جنود سبع سماوات وسبع أرضين وما في الأرض من عدد الحصى والثرى فقال: احملوا عرشي. فلم يطيقوا، فقال: قولوا لا حول ولا قوة إلا بالله. فقالوا: لا حول ولا قوة إلا بالله استقلينا عرش ربنا. قال: فنفذت أقدامهم في الأرض السابعة على متن الثرى فلم تستقر، فكتب على قدم كل ملك اسم من أسمائه تعالى، فاستقرت أقدامهم"[١٥].

وروى شهر بن حوشب عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تتفكروا في عظمته ولكن تفكروا فيما خلق الله تعالى من الملائكة، فإن خلقا من الملائكة يقال له:

---

(١٠)المسند(٢٣١٤)ص:١٥٨/٤-١٥٩، ومسند ابن أبي شيبة(٢٦٠١٣):ص٢٧٢/٥، وقال الهيثمي في المجمع (١٢٧/٨) : "رجاله ثقات إلا أن ابن إسحاق مدلس".

وأخرجه ابن أبي عاصم في "السنة" (٥٧٩) ، وعبد الله بن أحمد في "السنة" (١١٦٨) ، وأبو يعلى (٢٤٨٢) ، والطبراني (١١٥٩١)، والدارمي (٢٧٠٣) ، وأبو يعلى (٢٤٨٢) ، وابن خزيمة في "التوحيد" ٢٠٤/١، والطحاوي ٢٩٩/٤، والآجري في "الشريعة" ص ٤٩٥ و٤٩٥-٤٩٦، والبيهقي في "الأسماء والصفات" ص ٣٦٠.

وفي "صحيح مسلم" (٢٢٥) عن الشريد بن عمرو أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استنشده من شعره، فقال: «كاد يُسْلِمُ في شعره».

وفي البخاري (٣٣٤١) عن أبي هريرة مرفوعاً في حديثٍ: "وكاد أمية بن أبي الصلت أن يُسلم".

ولم يختلف أصحاب الأخبار أنه مات كافراً، وصح أنه عاش حتى رثى أهل بدر.

وقوله في البيت الثالث: "في رسلها" الرسل بكسر الراء وسكون السين: الرفق والتؤدة.

(١١) تفسير ابن كثير: ١٣٠/٧-١٣١.

(١٢)سنن أبي داود برقم (٤٧٢٣ - ٤٧٢٥) وسنن الترمذي برقم (٣٣٢٠) وسنن ابن ماجه برقم (١٩٣).

(١٣) حكاه الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٦٦/٨.

(١٤) .تفسير ابن كثير: ١٣١/٧

(١٥) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٦٦/٨.

إسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الأرض السفلى، وقد مرق رأسه من سبع سماوات وأنه ليتضاءل من عظمة الله تعالى حتى يصير كأنه الوضيع(١٦)»(١٧).

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «أُذِنَ لى أنْ أُحَدِّثَ عن مَلَكٍ من ملائكةِ اللهِ من حملةِ العرش ما بين شَحْمَةِ أُذُنِهِ إلى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سبعمِائةِ سنة»(١٨).

وفي رواية: « أُذِنَ لى أنْ أحدثَ عن مَلَكٍ من حملةِ العرش رجلاه فى الأرضِ السابعةِ السفلى على قرنِهِ العرشُ ومن شَحمة أُذُنه إلى عاتقِهِ خفقان الطيرِ مسيرة مائةِ عامٍ»(١٩).

قال عامر البكالي: «إن الله جزأ الملائكة والإنس , والجن عشرة أجزاء , فتسعة أجزاء منهم الكروبيون , وهم الملائكة الذين يحملون العرش , وهم أيضا الذين يسبحون الليل والنهار ولا يفترون» , قال: «ومن بقي من الملائكة لأمر الله ولوحي الله ولرسالات الله» , قال: «ثم جزأ الإنس والجن عشرة أجزاء فتسعة منهم الجن , ولا يولد من الإنس ولد إلا ولد من الجن تسعة , ثم جزأ الإنس عشرة أجزاء فتسعة منهم يأجوج , ومأجوج , وسائر الناس جزء واحد»(٢٠).

قوله تعالى:{وَيُؤْمِنُونَ بِهِ} [غافر : ٧]، أي:" ويؤمنون به حق الإيمان"(٢١).

قال مقاتل:" ويصدقون بالله- عز وجل- بأنه واحد لا شريك له"(٢٢).

قال الطبري:"يقول: ويقرّون بالله أنه لا إله لهم سواه، ويشهدون بذلك، لا يستكبرون عن عبادته"(٢٣).

قال ابن كثير:" أي : خاشعون له أذلاء بين يديه"(٢٤).

قال الزمخشري:" فإن قلت: ما فائدة قوله وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ولا يخفى على أحد أنّ حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمد ربهم مؤمنون؟

قلت: فائدته إظهار شرف الإيمان وفضله، والترغيب فيه كما وصف الأنبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك، وكما عقب أعمال الخير بقوله تعالى ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا فأبان بذلك فضل الإيمان"(٢٥).

قوله تعالى:{وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا} [غافر : ٧]، أي:" ويطلبون منه أن يعفو عن المؤمنين"(٢٦).

قال الطبري:" يقول: ويسألون ربهم أن يغفر للذين أقرّوا بمثل إقرارهم من توحيد الله، والبراءة من كلّ معبود سواه ذنوبهم، فيعفوها عنهم"(٢٧).

قال ابن كثير:" أي : من أهل الأرض ممن آمن بالغيب ، فقيض الله سبحانه ملائكته المقربين أن يَدْعُوا للمؤمنين بظهر الغيب ، ولما كان هذا من سجايا الملائكة عليهم الصلاة

---

(١٦) وفي رواية «كأنه الوصع»: طائر أصغر من العصفور.

(١٧) حكاه الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٦٦/٨، وانظر: كشف الخفاء للعجلوني: ١/ ٣١١، والدر المنثور: ٥/ ٣٤٧ بتفاوت يسير.

(١٨)أخرجه أبو داود (٢٣٢/٤، رقم ٤٧٢٧) ، وابن عساكر (٦٠/٤٣) . وأخرجه أيضًا: ابن أبى حاتم كما فى تفسير ابن كثير (٤١٥/٤) ، قال ابن كثير: هذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات. وأبو الشيخ (٩٤٨/٣، رقم ٤٧٦) . قال الحافظ فى الفتح (٦٦٥/٨) : إسناده على شرط الصحيح.

(١٩)أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١٥٨/٣)، من حديث جابر وابن عباس.

(٢٠) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(١٨٨٧):ص٣٩٢/٢.

(٢١) التفسير الميسر: ٤٦٧.

(٢٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٠٦/٣.

(٢٣) تفسير الطبري: ٣٥٤/٢١.

(٢٤) تفسير ابن كثير: ١٣١/٧.

(٢٥) الكشاف: ١٥٢/٤.

(٢٦) التفسير الميسر: ٤٦٧.

(٢٧) تفسير الطبري: ٣٥٤/٢١.

والسلام ، كانوا يُؤمِّنون على دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب ، كما ثبت في صحيح مسلم : «إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك : آمين ولك بمثله»(٢٨)"(٢٩).

عن قتادة، قوله: "{وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا}، لأهل لا اله إلا الله"(٣٠).

قال الزجاج:" فالمؤمن تستغفر له الملائكة المقربون"(٣١).

قال الماتريدي:" هذه أرجى آية للمؤمنين"(٣٢).

قال الزمخشري:" وقد روعي التناسب في قوله: {وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا}، كأنه قيل: ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم. وفيه تنبيه على أنّ الاشتراك في الإيمان يجب أن يكون أدعى شيء إلى النصيحة، وأبعثه على إمحاض الشفقة وإن تفاوتت الأجناس وتباعدت الأماكن، فإنه لا تجانس بين ملك وإنسان، ولا بين سماوي وأرضى قط، ثم لما جاء جامع الإيمان جاء معه التجانس الكلى والتناسب الحقيقي، حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الأرض"(٣٣).

قوله تعالى:{رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا} [غافر : ٧]، أي:" قائلين: ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلمًا"(٣٤).

قال الطبري:يعني:" وسعت رحمتك وعلمك كل شيء من خلقك، فعلمت كل شيء، فلم يخف عليك شيء، ورحمت خلقك، ووسعتهم برحمتك"(٣٥).

قال ابن كثير:" أي : إن رحمتك تَسَع ذنوبهم وخطاياهم ، وعلمك محيط بجميع أعمالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم"(٣٦).

وقال مقاتل:" يعنى: ملأت كل شيء من الحيوان في السموات والأرض {رحمة}، يعني: نعمة يتقلبون فيها، {وعلما}، يقول: علم من فيهما من الخلق"(٣٧).

قال الماتريدي:"{وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً}: هي رحمة الدنيا: المؤمن والكافر جميعا في تلك، فأما رحمة الآخرة ليست إلا للذين آمنوا، قوله: {وَعِلْمًا}، أي: علم ما فيها"(٣٨).

قوله تعالى:{فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ} [غافر : ٧]، أي:" فاغفر للذين تابوا من الشرك والمعاصي، وسلكوا الطريق الذي أمرتهم أن يسلكوه وهو الإسلام"(٣٩).

قال الطبري:" يقول: فاصفح عن جرم من تاب من الشرك بك من عبادك، فرجع إلى توحيدك، واتبع أمرك ونهيك، وسلكوا الطريق الذي أمرتهم أن يسلكوه، ولزموا المنهاج الذي أمرتهم بلزومه، وذلك الدخول في الإسلام"(٤٠).

قال ابن كثير:" أي : فاصفح عن المسيئين إذا تابوا وأنابوا وأقلعوا عما كانوا فيه ، واتبعوا ما أمرتهم به ، من فعل الخيرات وترك المنكرات"(٤١).

قال الزجاج:" أي: لزموا طريق الهدى التي دعوت إليها"(٤٢).

---

(٢٨)صحيح مسلم برقم (٢٧٣٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.
(٢٩) تفسير ابن كثير: ١٣١/٧.
(٣٠) أخرجه الطبري: ٣٥٥/٢١.
(٣١) معاني القرآن: ٣٦٧/٤.
(٣٢) تأويلات أهل السنة: ٦/٩.
(٣٣) الكشاف: ١٥٢/٤-١٥٣.
(٣٤) التفسير الميسر: ٤٦٧.
(٣٥) تفسير الطبري: ٣٥٥/٢١.
(٣٦) تفسير ابن كثير: ١٣١/٧.
(٣٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٠٦/٣-٧٠٧.
(٣٨) تأويلات أهل السنة: ٦/٩.
(٣٩) التفسير الميسر: ٤٦٧.
(٤٠) تفسير الطبري: ٣٥٦/٢١.
(٤١) تفسير ابن كثير: ١٣١/٧.
(٤٢) معاني القرآن: ٣٦٨/٤.

عن قتاده: "{فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا} من الشرك"، "{وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ}، أي: طاعتك"[٤٣].

قال التستري:" هم الذين تابوا من الغفلة، وأنسوا بالذكر، واتبعوا سنة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم"[٤٤].

قال الزمخشري:" فإن قلت: ما الفائدة في استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون موعودون المغفرة والله لا يخلف الميعاد؟

قلت: هذا بمنزلة الشفاعة، وفائدته زيادة الكرامة والثواب"[٤٥].

قوله تعالى:{وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ} [غافر : ٧]، أي:" وجَنِّبْهم عذاب النار وأهوالها"[٤٦].

قال الطبري:" يقول: واصرف عن الذين تابوا من الشرك، واتبعوا سبيلك عذاب النار يوم القيامة"[٤٧].

قال ابن كثير:" أي : وزحزحهم عن عذاب الجحيم ، وهو العذاب الموجع الأليم"[٤٨].

قال السمعاني:" معناه: وادفع عنهم عذاب الجحيم، والجحيم معظم النار"[٤٩].

قال **هبة الله بن سلامة**:" قوله تعالى: {وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ} [الشورى : ٥]، نسختها الآية التي في «المؤمن»، وهي: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا} [غافر : ٧]"[٥٠].

القرآن

{رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨)} [غافر : ٨]

التفسير:

ربنا وأدخل المؤمنين جنات عدن التي وعدتهم، ومَن صلح بالإيمان والعمل الصالح من آبائهم وأزواجهم وأولادهم. إنك أنت العزيز القاهر لكل شيء، الحكيم في تدبيره وصنعه.

قوله تعالى:{رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ} [غافر : ٨]، أي:" ربنا وأدخل المؤمنين جنات عدن التي وعدتهم"[٥١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبرا عن دعاء ملائكته لأهل الإيمان به من عباده، تقول: يا {رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ} بساتين إقامة التي وعدت أهل الإنابة إلى طاعتك أن تدخلهموها"[٥٢].

وفي "جَنَّاتِ عَدْنٍ"، ثلاثة أقوال:

أحدها : أن «عدن»: اسم قصر في الجنة ، قاله الحسن[٥٣].

وقد روي عن الحسن:" قصرٌ من ذهَب، لا يدخله إلا نبي، أو صدّيق، أو شهيد، أو حكم عدل"[٥٤].

الثاني :أنها مدينة الجنة، فيها الرُسُل والأنبياء والشهداء ، وأئمة الهدى ، والناس حولهم بعدُ ، والجنات حولها. قاله الضحاك[٥٥].

---

(٤٣) أخرجه الطبري: ٣٥٦/٢١.
(٤٤) تفسير التستري: ١٣٦.
(٤٥) الكشاف: ١٥٣/٤.
(٤٦) التفسير الميسر: ٤٦٧.
(٤٧) تفسير الطبري: ٣٥٦/٢١.
(٤٨) تفسير ابن كثير: ١٣١/٧.
(٤٩) تفسير السمعاني: ٧/٥.
(٥٠) الناسخ والمنسوخ: ١٥٤.
(٥١) التفسير الميسر: ٤٦٨.
(٥٢) تفسير الطبري: ٣٥٦/٢١.
(٥٣) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٥٣):ص٣٥٤/١٤.
(٥٤) أخرجه الطبري(١٦٩٥٣):ص٣٥٤/١٤.
(٥٥) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٥٧):ص٣٥٥/١٤.

الثالث: أنها اسم نهر في الجنة ، جنّاته على حافتيه. قاله عطاء[٥٦].

قوله تعالى:{وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ} [غافر : ٨]، أي:" وأدخل الصالحين من الآباء والأزواج والأولاد في جنات النعيم أيضاً ليتم سرورهم بهم"[٥٧].

قال الطبري:" يقول: وأدخل مع هؤلاء الذين تابوا {وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ} جنات عدن من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم، فعمل بما يرضيك عنه من الأعمال الصالحة في الدنيا"[٥٨].

قال ابن كثير:" أي : اجمع بينهم وبينهم ، لتقر بذلك أعينهم بالاجتماع في منازل متجاورة ، كما قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ} [الطور : ٢١]،أي : ساوينا بين الكل في المنزلة ، لتقر أعينهم ، وما نقصنا العالي حتى يساوي الداني ، بل رفعنا الناقص في العمل، فساويناه بكثير العمل ، تفضلا منا ومنة"[٥٩].

قال الشوكاني:" أي: وأدخل من صلح، والمراد بالصلاح هاهنا: الإيمان بالله والعمل بما شرعه الله، فمن فعل ذلك فقد صلح لدخول الجنة"[٦٠].

قال يحيى بن سلام:" «الصلاح» يعني: الإيمان، يعني: ومن آمن من آبائهم وأزواجهم، {وَذُرِّيَّاتِهِمْ}"[٦١].

قال سعيد: "يدخل الرجل الجنة، فيقول: أين أبي، أين أمي، أين ولدي، أين زوجتي، فيقال: لم يعملوا مثل عملك، فيقول: كنت أعمل لي ولهم، فيقال: أدخلوهم الجنة; ثم قرأ: {جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ}"[٦٢].

قوله تعالى:{إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [غافر : ٨]، أي:" إنك أنت العزيز القاهر لكل شيء، الحكيم في تدبيره وصنعه"[٦٣].

قال الطبري:" يقول: أنك أنت يا ربنا العزيز في انتقامه من أعدائه، الحكيم في تدبيره خلقه"[٦٤].

قال ابن كثير:" {الْعَزِيزُ}، أي : الذي لا يمانع ولا يغالب ، وما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، {الْحَكِيمُ} في أقوالك وأفعالك ، من شرعك وقدرك"[٦٥].

قال محمد بن إسحاق: " العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"[٦٦]، الحكيم: في عذره وحجته إلى عباده"[٦٧].

قال أبو العالية:" {عزيز} في نقمته إذا انتقم"[٦٨]. وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك[٦٩].

عن أبي العالية:" {حكيم}، قال: حكيم في أمره"[٧٠].

---

(٥٦) انظر: تفسير الطبري(١٦٩٥٨):ص٣٥٥/١٤.
(٥٧) صفوة التفاسير: ٨٧/٣.
(٥٨) تفسير الطبري: ٣٥٦/٢١.
(٥٩) تفسير ابن كثير: ١٣١/٧.
(٦٠) فتح القدير: ٥٥٣/٤.
(٦١)التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢٧٥.
(٦٢) أخرجه الطبري: ٣٥٧/٢١.
(٦٣) التفسير الميسر: ٤٦٨.
(٦٤) تفسير الطبري ٣٥٧/٢١.
(٦٥) تفسير ابن كثير: ١٣٢/٧.
(٦٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٤):ص١٦٦٤/٥.
(٦٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٦):ص١٦٦٤/٥.
(٦٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٣):ص١٦٦٤/٥.
(٦٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.
(٧٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٢):ص١٧٦٤/٦.

القرآن

{وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٩)} [غافر : ٩]

التفسير:

واصرف عنهم سوء عاقبة سيئاتهم، فلا تؤاخذهم بها، ومن تصْرِف عنه السيئات يوم الحساب فقد رحمته، وأنعمت عليه بالنجاة من عذابك، وذلك هو الظَّفَر العظيم الذي لا فوز مثله.

قوله تعالى:{وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ} [غافر : ٩]، أي:" واصرف عنهم سوء عاقبة سيئاتهم، فلا تؤاخذهم بها"(٧١).

قال ابن كثير:" أي : فعلها أو وَبالها ممن وقعت منه"(٧٢).

قال الطبري:أي" اصرف عنهم سوء عاقبة سيئاتهم التي كانوا أتوها قبل توبتهم وإنابتهم، يقولون: لا يؤاخذهم بذلك، فتعذبهم به"(٧٣).

قال الزمخشري:" أى: العقوبات. أو جزاء السيئات. فحذف المضاف على أن السيئات هي الصغائر أو الكبائر المتوب عنها. والوقاية منها: التكفير أو قبول التوبة"(٧٤).

عن قتادة: "{وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ}، أي: العذاب"(٧٥).

وقال مقاتل:" يعني: الشرك"(٧٦).

قوله تعالى:{وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ} [غافر : ٩]، أي:" ومن تصْرِف عنه السيئات يوم الحساب فقد رحمته، وأنعمت عليه بالنجاة من عذابك"(٧٧).

قال الطبري:" يقول: ومن تصرف عنه سوء عاقبة سيئاته بذلك يوم القيامة، فقد رحمته، فنجيته من عذابك"(٧٨).

قال ابن كثير:" {وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ}، أي : يوم القيامة ، {فَقَدْ} لطفت به ونجيته من العقوبة "(٧٩).

قوله تعالى:{وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [غافر : ٩]، أي:" وذلك هو الظَّفَر العظيم الذي لا فوز مثله"(٨٠).

قال الطبري:" لأنه من نجا من النار وأدخل الجنة فقد فاز، وذلك لا شك هو الفوز العظيم"(٨١).

قال سعيد بن جبير:" يعني: ذلك الثواب الفوز العظيم"(٨٢).

قال مطرف: "وجدنا أغشّ عباد الله لعباد الله الشياطين، ووجدنا أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة. وتلا :{الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} ... الآية"(٨٣).

روى الأعمش عن إبراهيم قال: "كان أصحاب عبد الله يقولون الملائكة خير من ابن الكواء، يستغفرون لمن في الأرض وابن الكواء يشهد عليهم بالكفر، وابن الكواء رجل من الخوارج قال: وكانوا لا يحبون الاستغفار على أحد من أهل هذه القبلة"(٨٤).

---

(٧١) التفسير الميسر: ٤٦٨.

(٧٢) تفسير ابن كثير: ١٣٢/٧.

(٧٣) تفسير الطبري ٣٥٧/٢١.

(٧٤) الكشاف: ١٥٣/٤.

(٧٥) أخرجه الطبري: ٣٥٧/٢١.

(٧٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٠٧/٣.

(٧٧) التفسير الميسر: ٤٦٨.

(٧٨) تفسير الطبري ٣٥٧/٢١.

(٧٩) تفسير ابن كثير: ١٣٢/٧.

(٨٠) التفسير الميسر: ٤٦٨.

(٨١) تفسير الطبري ٣٥٧/٢١.

(٨٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٦٠):ص٨٩١/٣.

(٨٣) أخرجه الطبري: ٣٥٧/٢١-٣٥٨.

فوائد الآيات:[٧-٩]:
١- بيان عظم الرب تعالى.
٢- بيان فضل الإيمان وأهله.
٣- فضل التسبيح بقول: سبحان الله وبحمده فقد صح :« من قال سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»[٨٥]، أي: في الكثرة.
٤- بشرى المؤمنين بأن الله تعالى يجمعهم بآبائهم وأزواجهم وذرياتهم في الجنة، وقد استجاب الله للملائكة وقد أخبر تعالى عن ذلك بقوله: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} [الطور : ٢١].

القرآن
{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ (١٠)} [غافر : ١٠]
التفسير:
إن الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وصرفوا العبادة لغيره عندما يعاينون أهوال النار بأنفسهم، يَمْقُتون أنفسهم أشد المقت، وعند ذلك يناديهم خزنة جهنم: لَمقت الله لكم في الدنيا -حين طلب منكم الإيمان به واتباع رسله، فأبيتم- أكبر من بغضكم لأنفسكم الآن، بعد أن أدركتم أنكم تستحقون سخط الله وعذابه.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ} [غافر : ١٠]، أي:" إن الذين جحدوا أن الله هو الإله الحق وصرفوا العبادة لغيره عندما يعاينون أهوال النار بأنفسهم، يَمْقُتون أنفسهم أشد المقت، وعند ذلك يناديهم خزنة جهنم -على جهة التوبيخ والتقريع-: لبغض الله الشديد لكم في الدنيا أعظم من بغضكم اليوم لأنفسكم"[٨٦].

قال الطبري: يقول:" إن الذين كفروا بالله ينادون في النار يوم القيامة إذا دخلوها، فمقتوا بدخولهموها أنفسهم حين عاينوا ما أعدّ الله لهم فيها من أنواع العذاب، فيقال لهم: لمقت الله إياكم أيها القوم في الدنيا، إذ تدعون فيها للإيمان بالله فتكفرون، أكبر من مقتكم اليوم أنفسكم لما حل بكم من سخط الله عليكم"[٨٧].

قال ابن كثير:" لمقتُ الله أهل الضلالة حين عُرض عليهم الإيمان في الدنيا ، فتركوه وأبوا أن يقبلوه ، أكبر مما مقتوا أنفسهم حين عاينوا عذاب الله يوم القيامة"[٨٨].

قال مقاتل:" وذلك أن الكفار إذا عاينوا النار في الآخرة ودخلوها مقتوا أنفسهم فقالت لهم الملائكة، وهم خزنة جهنم يومئذ: {لمقت الله} إياكم في الدنيا حين دعيتم إلى الإيمان، يعني: التوحيد فكفرتم، {أكبر من مقتكم أنفسكم}"[٨٩].

قال الزمخشري:" المعنى: أنه يقال لهم يوم القيامة: كان الله يمقت أنفسكم الأمارة بالسوء والكفر، حين كان الأنبياء يدعونكم إلى الإيمان، فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر أشدّ مما تمقتونهن اليوم وأنتم في النار إذا أوقعتكم فيها باتباعكم هواهنّ، والمقت: أشدّ البغض، فوضع في موضع أبلغ الإنكار وأشدّه "[٩٠].

---

(٨٤) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٦٧/٨-٢٦٨.
(٨٥)أخرجه ابن أبى شيبة (٥٤/٦، رقم ٢٩٤١٧) ، وأحمد (٣٠٢/٢، رقم ٧٩٩٦) ، والبخارى (٢٣٥٢/٥، رقم ٦٠٤٢) ومسلم (٢٠٧١/٤، رقم ٢٦٩١) ، والترمذى (٥١١/٥، رقم ٣٤٦٦) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (١٢٥٣/٢، رقم ٣٨١٢) ، وابن حبان (١١١/٣، رقم ٨٢٩).
(٨٦) انظر: التفسير الميسر: ٤٦٨، وصفوة التفاسير: ٨٧/٣.
(٨٧) تفسير الطبري: ٣٥٨/٢١.
(٨٨) تفسير ابن كثير: ١٣٢/٧.
(٨٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٠٧/٣.
(٩٠) الكشاف: ١٥٤/٤.

قال ابن زيد:" لما دخلوا النار مقتوا أنفسهم في معاصي الله التي ركبوها، فنودوا: إن مقت الله إياكم حين دعاكم إلى الإسلام أشد من مقتكم أنفسكم اليوم حين دخلتم النار"[٩١].

عن السديّ قوله: "{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ} في النار {إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ} في الدنيا، {فَتَكْفُرُونَ}"[٩٢].

قال قتادة:" يقول: لمقت الله أهل الضلالة حين عرض عليهم الإيمان في الدنيا، فتركوه، وأبوا أن يقبلوا، أكبر مما مقتوا أنفسهم، حين عاينوا عذاب الله يوم القيامة"[٩٣].

قال مجاهد:" مقتوا أنفسهم حين رأوا أعمالهم، ومقت الله إياهم في الدنيا، إذ يدعون إلى الإيمان، فيكفرون أكبر"[٩٤].

قال سهل:" المقت: غاية الإبعاد من الله عزَّ وجلَّ، والكفار إذا دخلوا النار مقتوا أنفسهم، ومقت الله عملهم أشد من دخول النار"[٩٥].

قوله تعالى:{إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ} [غافر : ١٠]، أي:" حين كنتم تُدعون إلى الإيمان فتكفرون كبراً وعتواً"[٩٦].

قال الطبري: يقول: " إذ تدعون فيها للإيمان بالله فتكفرون"[٩٧].

القرآن

{قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (١١)} [غافر : ١١]

التفسير:

قال الكافرون: ربنا أمتَّنا مرتين: حين كنا في بطون أمهاتنا نُطَفًا قبل نفخ الروح، وحين انقضى أجلُنا في الحياة الدنيا، وأحييتنا مرتين: في دار الدنيا، يوم وُلِدْنا، ويوم بُعِثْنا من قبورنا، فنحن الآن نُقِرُّ بأخطائنا السابقة، فهل لنا من طريق نخرج به من النار، وتعيدنا به إلى الدنيا؛ لنعمل بطاعتك؟ ولكن هيهات أن ينفعهم هذا الاعتراف.

قوله تعالى:{قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ} [غافر : ١١]، أي:" قال الكافرون: ربنا أمتَّنا مرتين: حين كنا في بطون أمهاتنا نُطَفًا قبل نفخ الروح، وحين انقضى أجلُنا في الحياة الدنيا، وأحييتنا مرتين: في دار الدنيا، يوم وُلِدْنا، ويوم بُعِثْنا من قبورنا"[٩٨].

وفي قوله تعالى:{قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ} [غافر : ١١]، وجوه:

أحدها : أنه خلقهم أمواتاً في أصلاب آبائهم، ثم أحياهم بإخراجهم ثم أماتهم عند انقضاء آجالهم ، ثم أحياهم للبعث ، فهما ميتتان إحداهما في أصلاب الرجال ، الثانية في الدنيا ، وحياتان : إحداهما في الدنيا والثانية في الآخرة ، قاله ابن مسعود[٩٩]، وابن عباس[١٠٠]، وقتادة[١٠١]، والضحاك[١٠٢]، وأبو مالك[١٠٣]. وبه قال ابن كثير[١٠٤].

---

(٩١) أخرجه الطبري: ٣٥٩/٢١.
(٩٢) أخرجه الطبري: ٣٥٩/٢١.
(٩٣) أخرجه الطبري: ٣٥٩/٢١.
(٩٤) أخرجه الطبري: ٣٥٨/٢١.
(٩٥) تفسير التستري: ١٣٦.
(٩٦) صفوة التفاسير: ٨٧/٣.
(٩٧) تفسير الطبري: ٣٥٨/٢١.
(٩٨) التفسير الميسر: ٤٦٨.
(٩٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٠/٢١.
(١٠٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٠/٢١.
(١٠١) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٠/٢١.
(١٠٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٠/٢١.
(١٠٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٦١/٢١.
(١٠٤) انظر: تفسير ابن كثير: ١٣٣/٧.

قال أبو مالك: "خلقتنا ولم نكن شيئا ثم أمتنا، ثم أحييتنا"(١٠٥).
وقال أبو مالك:" كانوا أمواتا فأحياهم الله، ثم أماتهم، ثم أحياهم"(١٠٦).
قال قتادة:" كانوا أمواتا في أصلاب آبائهم، فأحياهم الله في الدنيا، ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة، فهما حياتان وموتتان"(١٠٧).
عن عبد الله، في قوله: "{أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ}، قال: هي كالتي في البقرة: {وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ}"(١٠٨).
عن ابن عباس، قوله: "{رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ} قال: هو كقوله: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا} ... الآية"(١٠٩).
عن عبيد، قال: "سمعت الضحاك يقول فى قوله: {أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ} هو قول الله: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}"(١١٠).
الثاني : أن الله أحياهم حين أخذ عليهم الميثاق في ظهر آدم قوله:{وإذ أخذ رَبُّكَ مِن ابني آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذريتَهُمْ} [الأعراف : ١٧١] الآية . ثم إن اللّه أماتهم بعد أخذ الميثاق عليهم ، ثم أحياهم حين أخرجهم ، ثم أماتهم عند انقضاء آجالهم ، ثم أحياهم للبعث فتكون حياتان وموتتان في الدنيا وحياة في الآخرة ، قاله عبد الرحمن بن زيد بن أسلم(١١١).
الثالث : أن الله أحياهم حين خلقهم في الدنيا ، ثم أماتهم فيها عند انقضاء أجالهم ، ثم أحياهم في قبورهم للمساءلة ، ثم أماتهم إلى وقت البعث . ثم أحياهم للعبث ، قاله السدي(١١٢).
قال ابن كثير:" وهذان القولان - من السدي وابن زيد - ضعيفان ؛ لأنه يلزمهما على ما قالا ثلاث إحياءات وإماتات. والصحيح قول ابن مسعود وابن عباس ومن تابعهما. والمقصود من هذا كله : أن الكفار يسألون الرجعة وهم وقوف بين يدي الله ، عز وجل ، في عرصات القيامة ، كما قال : {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ} [السجدة : ١٢] ، فلا يجابون. ثم إذا رأوا النار وعاينوها ووقفوا عليها ، ونظروا إلى ما فيها من العذاب والنَّكال ، سألوا الرجعة أشد مما سألوا أول مرة ، فلا يجابون ، قال الله تعالى : {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [الأنعام : ٢٧ ، ٢٨] فإذا دخلوا النار وذاقوا مَسّها وحَسِيسها ومقامعها وأغلالها ، كان سؤالهم للرجعة أشد وأعظم ، {وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ} [فاطر : ٣٧] ، {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ. قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ} [المؤمنون : ١٠٧ ، ١٠٨] ، وفي هذه الآية الكريمة تلطفوا في السؤال ، وقدموا بين يدي كلامهم مُقدّمة ، وهي قولهم : {رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ} أي : قدرتك عظيمة ، فإنك أحييتنا بعد ما كنا أمواتا ، ثم أمتنا ثم أحييتنا ، فأنت قادر على ما تشاء ، وقد اعترفنا بذنوبنا ، وإننا كنا ظالمين لأنفسنا في الدار الدنيا"(١١٣).
قوله تعالى:{فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا} [غافر : ١١]، أي:" فنحن الآن نُقِرُّ بأخطائنا السابقة(١١٤).

---

(١٠٥) اخرجه الطبري: ٣٦٠/٢١.
(١٠٦) أخرجه الطبري: ٣٦١/٢١.
(١٠٧) اخرجه الطبري: ٣٦٠/٢١.
(١٠٨) اخرجه الطبري: ٣٦٠/٢١.
(١٠٩) اخرجه الطبري: ٣٦٠/٢١.
(١١٠) اخرجه الطبري: ٣٦٠/٢١.
(١١١) انظر: تفسير الطبري: ٣٦/٢١.
(١١٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٦١/٢١.
(١١٣) تفسير ابن كثير: ١٣٣/٧.
(١١٤) التفسير الميسر: ٤٦٨.

قال الطبري: "يقول: فأقررنا بما عملنا من الذنوب في الدنيا"(١١٥).
قال ابن كثير:" وقد اعترفنا بذنوبنا ، وإننا كنا ظالمين لأنفسنا في الدار الدنيا"(١١٦).
قوله تعالى:{فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ} [غافر : ١١]، أي:" فهل لنا من طريق نخرج به من النار، وتعيدنا به إلى الدنيا؛ لنعمل بطاعتك؟"(١١٧).
قال الطبري: " يقول: فهل إلى خروج من النار لنا سبيل، لنرجع إلى الدنيا، فنعمل غير الذي كنا نعمل فيها"(١١٨).
قال ابن كثير:" أي فهل أنت مجيبنا إلى أن تعيدنا إلى الدار الدنيا ؟ فإنك قادر على ذلك ؛ لنعمل غير الذي كنا نعمل ، فإن عدنا إلى ما كنا فيه فإنا ظالمون. فأُجِيبُوا ألا سبيل إلى عودكم ومرجعكم إلى الدار الدنيا"(١١٩).
قال قتادة:" فهل إلى كرّة إلى الدنيا"(١٢٠).

القرآن
{ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (١٢)} [غافر : ١٢]
التفسير:
ذلكم العذاب الذي لكم -أيها الكافرون- بسبب أنكم كنتم إذا دُعيتم لتوحيد الله وإخلاص العمل له كفرتم به، وإن يُجْعل لله شريك تُصَدِّقوا به وتتبعوه. فالله سبحانه وتعالى هو الحاكم في خلقه، العادل الذي لا يجور، يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ويرحم مَن يشاء ويعذب مَن يشاء، لا إله إلا هو الذي له علو الذات والقدْر والقهر، وله الكبرياء والعظمة.
قوله تعالى:{ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ} [غافر : ١٢]، أي:" ذلكم العذاب الذي لكم -أيها الكافرون- بسبب أنكم كنتم إذا دُعيتم لتوحيد الله وإخلاص العمل له كفرتم به"(١٢١).
قال ابن كثير:" أي : أنتم هكذا تكونون ، وإن رددتم إلى الدنيا ، كما قال تعالى : {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [الأنعام : ٢٨]"(١٢٢).
قال الشوكاني:" أي: ذلك الذي أنتم فيه من العذاب بسبب أنه إذا دعي الله في الدنيا وحده دون غيره كفرتم به، وتركتم توحيده"(١٢٣).
قال الطبري:" وفي هذا الكلام متروك استغني بدلالة الظاهر من ذكره عليه; وهو: فأجيبوا أن لا سبيل إلى ذلك هذا الذي لكم من العذاب أيها الكافرون {بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ} ، فأنكرتم أن تكون الألوهة له خالصة، وقلتم: {أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا}"(١٢٤).
قوله تعالى:{وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا} [غافر : ١٢]، أي:" وإن دعيتم إلى اللات والعزّى وأمثالهما من الأصنام، آمنت وصدَّقتم بألوهيتها"(١٢٥).
قال الطبري:" يقول: وإن يجعل لله شريك تصدّقوا من جعل ذلك له"(١٢٦).

---
(١١٥) تفسير الطبري: ٣٦١/٢١.
(١١٦) تفسير ابن كثير: ١٣٣/٧.
(١١٧) التفسير الميسر: ٤٦٨.
(١١٨) تفسير الطبري: ٣٦١/٢١.
(١١٩) تفسير ابن كثير: ١٣٣/٧.
(١٢٠) اخرجه الطبري: ٣٦١/٢١.
(١٢١) التفسير الميسر: ٤٦٨.
(١٢٢) تفسير ابن كثير: ١٣٣/٧.
(١٢٣) فتح القدير: ٥٥٥/٤.
(١٢٤) تفسير الطبري: ٣٦٢/٢١.
(١٢٥) صفوة التفاسير: ٨٨/٣.
(١٢٦) تفسير الطبري: ٣٦٢/٢١.

قال الشوكاني:أي: " وإن يشرك به غيره من الأصنام أو غيرها تؤمنوا بالإشراك وتجيبوا الداعي إليه، فبين سبحانه لهم السبب الباعث على عدم إجابتهم إلى الخروج من النار، وهو ما كانوا فيه من ترك توحيد الله، وإشراك غيره به في العبادة التي رأسها الدعاء"(١٢٧).

عن محمد ابن كعب القرظي، قال: " لأهل النار خمس دعوات يكلمهم [...]، فإذا كانت الخامسة سكتوا، قالوا: {رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ}. قال: فراجَعهم بهذه الآية: {ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ} إلى آخر الآية، ثم يقولون: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ} [السجدة: ١٢]. قال: فيردّ عليهم: {وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [السجدة: ١٣]، ثم يقول: {رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ} [إبراهيم: ٤٤]. قال: فراجَعهم بهذه الآية: {أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ} [إبراهيم: ٤٤]. ثم يقولون: {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ} [فاطر: ٣٧]. قال: فراجَعهم فيقول: {أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ} [فاطر: ٣٧]. قال: ثم يقولون: {رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا} [المؤمنون: ١٠٦]. قال: فراجَعهم: {اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ} [المؤمنون: ١٠٨]. قال: فكان آخر كلامهم ذلك"(١٢٨).

قوله تعالى:{فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ} [غافر : ١٢]، أي:" فالقضاء لله العلي على كل شيء، الكبير الذي كل شيء دونه متصاغرا له اليوم"(١٢٩).

قال ابن كثير:" أي : هو الحاكم في خلقه ، العادل الذي لا يجور ، فيهدي من يشاء ، ويضل من يشاء ، ويرحم من يشاء ، ويعذب من يشاء ، لا إله إلا هو"(١٣٠).

عن قتادة:" {فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ}، قال: قالت الحَرُورِيَّةُ: لا حكم إلا لله. فقال عليٌّ: كلمة حق غُذّي بها الباطل. قال معمر: قال قتادة: والله، لقد استُحلّ بها الفرج الحرام، والمال الحرام، والدم الحرام، وعُصي بها الرحمن"(١٣١).

القرآن

{هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ (١٣)} [غافر : ١٣]

التفسير:

هو الذي يُظْهِر لكم -أيها الناس- قدرته بما تشاهدونه من الآيات العظيمة الدالة على كمال خالقها ومبدعها، ويُنَزِّل لكم من السماء مطرًا تُرزَقون به، وما يتذكر بهذه الآيات إلا مَن يرجع إلى طاعة الله، ويخلص له العبادة.

قوله تعالى:{هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ} [غافر : ١٣]، أي:" هو الذي يُظْهِر لكم -أيها الناس- قدرته بما تشاهدونه من الآيات العظيمة الدالة على كمال خالقها ومبدعها"(١٣٢).

قال الطبري: يقول: " الذي يريكم أيها الناس حججه وأدلته على وحدانيته وربوبيته"(١٣٣).

قال ابن كثير:" أي : يظهر قدرته لخلقه بما يشاهدونه في خلقه العلوي والسفلي من الآيات العظيمة الدالة على كمال خالقها ومبدعها ومنشئها"(١٣٤).

---

(١٢٧) فتح القدير: ٥٥٥/٤.
(١٢٨) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٣٤):ص٢٢٨/٢.
(١٢٩) تفسير الطبري: ٣٦٢/٢١.
(١٣٠) تفسير ابن كثير: ١٣٣/٧-١٣٤.
(١٣١)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٧٩.
(١٣٢) التفسير الميسر: ٤٦٨.
(١٣٣) تفسير الطبري: ٣٦٢/٢١.
(١٣٤) تفسير ابن كثير: ١٣٤/٧.

قوله تعالى:{وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا} [غافر : ١٣]، أي:" ويُنَزِّل لكم من السماء مطرًا تُرزَقون به"(١٣٥).

قال الطبري: " يقول ينزل لكم من أرزاقكم من السماء بإدرار الغيث الذي يخرج به أقواتكم من الأرض، وغذاء أنعامكم عليكم"(١٣٦).

قال ابن كثير:" وهو المطر الذي يخرج به من الزروع والثمار ما هو مشاهد بالحس ، من اختلاف ألوانه وطعومه ، وروائحه وأشكاله وألوانه ، وهو ماء واحد ، فبالقدرة العظيمة فاوت بين هذه الأشياء"(١٣٧).

قوله تعالى:{وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ} [غافر : ١٣]، أي:" وما يتذكر بهذه الآيات إلا مَن يرجع إلى طاعة الله، ويخلص له العبادة"(١٣٨).

قال الطبري: " يقول: وما يتذكر حجج الله التي جعلها أدلة على وحدانيته، فيعتبر بها ويتعظ، ويعلم حقيقة ما تدل عليه، إلا من ينيب، يقول: إلا من يرجع إلى توحيده، ويقبل على طاعته"(١٣٩).

قال ابن كثير:" {وَمَا} يعتبر ويتفكر في هذه الأشياء ويستدل بها على عظمة خالقها {إلا} : من هو بصير منيب إلى الله عز وجل"(١٤٠).

عن السديّ: "{إلا مَنْ يُنِيبُ}، قال: من يقبل إلى طاعة الله"(١٤١).

القرآن

{فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (١٤)} [غافر : ١٤]

التفسير:

فأخلصوا -أيها المؤمنون- لله وحده العبادة والدعاء، وخالفوا المشركين في مسلكهم، ولو أغضبهم ذلك، فلا تبالوا بهم.

قوله تعالى:{فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [غافر : ١٤]، أي:" فاعبدوا الله أيها المؤمنون مخلصين له العبادة والطاعة ولا تعبدوا معه غيره"(١٤٢).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وللمؤمنين به، فاعبدوا الله أيها المؤمنون له، مخلصين له الطاعة غير مشركين به شيئا مما دونه"(١٤٣).

قال ابن كثير:" أي : فأخلصوا لله وحده العبادة والدعاء ، وخالفوا المشركين في مسلكهم ومذهبهم"(١٤٤).

قال الشوكاني:" لما ذكر سبحانه ما نصبه من الأدلة على التوحيد أمر عباده بدعائه، وإخلاص الدين له فقال: {فادعوا الله مخلصين له الدين}، أي: إذا كان الأمر كما ذكر من ذلك فادعوا الله وحده مخلصين له العبادة التي أمركم بها "(١٤٥).

قوله تعالى:{وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [غافر : ١٤]، أي:" اعبدوه وأخلصوا له قلوبكم، حتى ولو كره الكافرون وذلك، وغاظهم إخلاصكم وقاتلكم عليه"(١٤٦).

---

(١٣٥) التفسير الميسر: ٤٦٨.
(١٣٦) تفسير الطبري: ٣٦٢/٢١.
(١٣٧) تفسير ابن كثير: ١٣٤/٧.
(١٣٨) التفسير الميسر: ٤٦٨.
(١٣٩) تفسير الطبري: ٣٦٢/٢١.
(١٤٠) تفسير ابن كثير: ١٣٤/٧.
(١٤١) اخرجه الطبري: ٣٦٢/٢١.
(١٤٢) صفوة التفاسير: ٨٨/٣.
(١٤٣) تفسير الطبري: ٣٦٢/٢١-٣٦٣.
(١٤٤) تفسير ابن كثير: ١٣٤/٧.
(١٤٥) فتح القدير: ٥٥٥/٤-٥٥٦.
(١٤٦) صفوة التفاسير: ٨٨/٣.

قال الطبري:" يقول: ولو كره عبادتكم إياه مخلصين له الطاعة الكافرون المشركون في عبادتهم إياه الأوثان والأنداد"(١٤٧).

قال الشوكاني:أي:" فلا تلتفتوا إلى كراهتهم، ودعوهم يموتوا بغيظهم ويهلكوا بحسرتهم"(١٤٨).

عن هشام يعني ابن عروة بن الزبير، عن أبي الزبير، قال:" كان عبد الله بن الزبير يقول في دبر كل صلاة حين يسلم: " لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، وله النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين، ولو كره الكافرون " قال: " وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهلل بهن دبر كل صلاة "(١٤٩).

وقد ثبت في الصحيح عن ابن الزبير ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول عقب الصلوات المكتوبات : "لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير. لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة وله الفضل ، وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون"(١٥٠).

عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاءً من قلب غافل لاه"(١٥١).

القرآن

{رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (١٥)} [غافر : ١٥]

التفسير:

إن الله هو العليُّ الأعلى الذي درجاته ارتفاعًا باين به مخلوقاته، وارتفع به قَدْره، وهو صاحب العرش العظيم، ومن رحمته بعباده أن يرسل إليهم رسلا يلقي إليهم الوحي الذي يحيون به، فيكونون على بصيرة من أمرهم؛ لتخوِّف الرسل عباد الله، وتنذرهم يوم القيامة الذي يلتقي فيه الأولون والآخرون.

قوله تعالى:{رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ} [غافر : ١٥]، أي:" إن الله هو العليُّ الأعلى الذي درجاته ارتفاعًا باين به مخلوقاته، وارتفع به قَدْره"(١٥٢).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: هو رفيع الدرجات"(١٥٣).

قال ابن العربي:" رفيع الدرجات؛ لا يلحق مرتبته أحد بحال"(١٥٤).

وفي قوله تعالى:{رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ} [غافر : ١٥]، وجوه من التفسير:

أحدها : رفع السموات السبع، قاله ابن عباس(١٥٥)، وسعيد بن جبير(١٥٦)، والكلبي(١٥٧).

---

(١٤٧) تفسير الطبري: ٣٦٣/٢١.

(١٤٨) فتح القدير: ٥٥٦/٤.

(١٤٩) أخرجه احمد(١٦١٠٥):ص٣٠/٢٦-٣١.

(١٥٠)صحيح مسلم برقم (٥٩٤) وسنن أبي داود برقم (١٥٠٦) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١٢٦٢).

(١٥١) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٣٤/٧-١٣٥، ورواه الترمذي في السنن برقم (٣٤٧٩) عن معاوية بن صالح ورواه الحاكم في المستدرك (٤٩٣/١) عن عفان بن مسلم وموسى ابن إسماعيل ورواه الطبراني في كتاب الدعاء برقم (٦٢) عن مخلد بن خداش كلهم من طريق صالح المري به. قال اطبراني في المعجم الأوسط : "لم يرو هذا الحديث عن هشام بن حسان إلا صالح المري" ومداره على صالح المري وهو متروك.

(١٥٢) التفسير الميسر: ٤٦٨.

(١٥٣) تفسير الطبري: ٣٦٣/٢١.

(١٥٤) أحكام القرآن: ٢٣٤٤.

(١٥٥) انظر: زاد المسير: ٣٢/٤. حكاه بجون إسناد.

(١٥٦) انظر: النكت والعيون: ١٤٧/٥. حكاه بدون إسناد.

قال الشوكاني: "على هذا الوجه يكون رفيع بمعنى رافع"(١٥٨).
الثاني : عظيم الصفات، قاله ابن زياد(١٥٩).
الثالث : هو رفعه درجات أوليائه، قاله يحيى(١٦٠)، وسهل بن عبدالله(١٦١).
قال سهل:" أي: رافع الدرجات يرفع درجات من يشاء بالمعرفة به"(١٦٢).
قال القشيري:" رافع الدرجات للعصاة بالنجاة، وللمطيعين بالمثوبات، وللأصفياء والأولياء بالكرامات، ولذوى الحاجات بالكفايات"(١٦٣).
قوله تعالى:{ذُو الْعَرْشِ} [غافر : ١٥]، أي:" وهو صاحب العرش العظيم"(١٦٤).
قال الطبري:" يقول: ذو السرير المحيط بما دونه"(١٦٥).
قال الواحدي:أي:" خالقه ومالكه"(١٦٦).
قال النسفي:أي" مالك عرشه الذي فوق السموات، خلقه مطافا للملائكة اظهار لعظمته مع استغنائه في مملكته"(١٦٧).
قال الشوكاني: " معنى ذو العرش: مالكه وخالقه والمتصرف فيه، وذلك يقتضي علو شأنه وعظم سلطانه، ومن كان كذلك فهو الذي يحق له العبادة ويجب له الإخلاص"(١٦٨).
قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبراعن عظمته وكبريائه ، وارتفاع عرشه العظيم العالي على جميع مخلوقاته كالسقف لها ، كما قال تعالى:{مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فَاصْبِرْ} [المعارج : ٣ ، ٤]، وسيأتي بيان أن هذه مسافة ما بين العرش إلى الأرض السابعة، في قول جماعة من السلف والخلف ، وهو الأرجح إن شاء الله تعالى. وقد ذكر غير واحد أن العرش من ياقوتة حمراء ، اتساع ما بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة. وارتفاعه عن الأرض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة. وقد تقدم في حديث "الأوعال" ما يدل على ارتفاعه عن السموات السبع بشيء عظيم"(١٦٩).
قال البيضاوي:" {رفيع الدرجات ذو العرش}، خبران آخران للدلالة على علو صمديته من حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرده في الألوهية، فإن من ارتفعت درجات كماله بحيث لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذي هو أصل العالم الجسماني في قبضة قدرته لا يصح أن يشرك به"(١٧٠).
قوله تعالى:{يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} [غافر : ١٥]، أي:" ومن رحمته بعباده أن يرسل إليهم رسلا يلقي إليهم الوحي الذي يحيون به، فيكونون على بصيرة من أمرهم"(١٧١).
قال الشوكاني:" معنى ذلك: أنه سبحانه يلقي الوحي على من يشاء من عباده، وسمي الوحي روحا، لأن الناس يحيون به من موت الكفر. كما تحيا الأبدان بالأرواح"(١٧٢).

---

(١٥٧) انظر: النكت والعيون: ١٤٧/٥.
(١٥٨) فتح القدير: ٥٥٦/٤.
(١٥٩) انظر: النكت والعيون: ١٤٧/٥، وزاد المسير: ٣٢/٤.
(١٦٠) انظر: النكت والعيون: ١٤٧/٥.
(١٦١) تفسير التستري: ١٣٦.
(١٦٢) تفسير التستري: ١٣٦.
(١٦٣) لطائف الإشارات: ٣٠٠/٣.
(١٦٤) التفسير الميسر: ٤٦٨.
(١٦٥) تفسير الطبري: ٣٦٣/٢١.
(١٦٦) التفسير الوسيط: ٧/٤.
(١٦٧) تفسير النسفي: ٢٠٣/٣.
(١٦٨) فتح القدير: ٥٥٦/٤.
(١٦٩) تفسير ابن كثير: ١٣٥/٧.
(١٧٠) تفسير البيضاوي: ٥٣/٥.
(١٧١) التفسير الميسر: ٤٦٨.

قال ابن كثير:" قوله : {يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} كقوله تعالى : {يُنزلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاتَّقُونِ}(١٧٣) [النحل : ٢] ، وكقوله : {وَإِنَّهُ لَتَنزيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نزلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} [الشعراء : ١٩٢ - ١٩٤](١٧٤)"(١٧٥).

وفي قوله تعالى:{يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} [غافر : ١٥]، وجوه من التفسير:

أحدها : أن «الروح»: الوحي ، قاله مجاهد-في رواية ابن ابي نجيح-(١٧٦)، وقتادة(١٧٧)، ومقاتل(١٧٨).

قال سهل:" أي: ينزل الوحي من السماء إلى الأرض بأمره"(١٧٩).

قال الزجاج: وسمي «الوحي»: روحا: لانه " به حياة الناس، لأن كل مهتد حي، وكل ضال كالميت، قال الله عز وجل: {أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} [النحل : ٢١]، وقال: {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ} [الأنعام : ١٢٢].

وهذا جائز في خطاب الناس، يقول القائل لمن لا يفقه عنه ما فيه صلاحه: أنت ميت"(١٨٠).

قال النحاس:" وسمي «الوحي»: روحا، لأن الناس يحيون به، أي: يهتدون، والمهتدي حي والضال ميت على التمثيل، ومنه يقال لمن لم يفقه: إنما أنت ميت، وقال الله تعالى: {فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى} [الروم : ٥٢] "(١٨١).

الثاني:أنه النبوة ، رواه عكرمة عن ابن عباس(١٨٢)، وبه قال السدي(١٨٣).

قال الفراء:" الروح -في هذا الموضع-: النبوة لينذر من يلقى عليه الروح يوم التلاق"(١٨٤).

الثالث: أن «الروح»: الكتاب، ينزله على من يشاء. قاله الضحاك(١٨٥).

الرابع: أن «القرآن» هو الروح، أوحاه الله إلى جبريل، وجبريل روح نزل به على النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم. قاله ابن زيد(١٨٦).

قال ابن زيد:" هذا القرآن هو الروح، أوحاه الله إلى جبريل، وجبريل روح نزل به على النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، وقرأ: {نزلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ} قال. فالكتب التي أنزلها الله على أنبيائه هي الروح، لينذر بها ما قال الله يوم التلاق، {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا}، قال: الروح: القرآن، كان أبي يقوله، قال ابن زيد: يقومون له صفا بين السماء والأرض حين ينزل جل جلاله"(١٨٧).

---

(١٧٢) فتح القدير: ٥٥٦/٤.
(١٧٣) قال ابن كثير: في تفسيره:٥٥٦/٤:" أي: الوحي".
(١٧٤) قال ابن كثير في تفسيره١٦٢/٦:" وهو جبريل، عليه السلام".
(١٧٥) تفسير ابن كثير: ١٣٥/٧.
(١٧٦) انظر: معاني القرآن للنحاس: ٢٠٨/٦.
(١٧٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٣/٢١.
(١٧٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٠٨/٣.
(١٧٩) تفسير التستري: ١٣٦.
(١٨٠) معاني القرىن: ٣٦٩/٤.
(١٨١) معاني القرآن: ٢٠٩/٦.
(١٨٢) انظر: معاني القرآن للنحاس: ٢٠٨/٦.
(١٨٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٤/٢١.
(١٨٤) معاني القرآن: ٦/٣.
(١٨٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٣/٢١-٣٦٤.
(١٨٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٤/٢١.
(١٨٧) اخرجه الطبري: ٣٦٤/٢١.

قال الطبري:" وهذه الأقوال[أي: الأقوال الثلاثة السابقة] متقاربات المعاني، وإن اختلفت ألفاظ أصحابها بها"(١٨٨).

الرابع : انه الرحمة ، حكاه إبراهيم الجوني(١٨٩).

وحكي النحاس معمر عن قتادة:"{يلقي الروح}، قال: الوحي والرحمة"(١٩٠).

الخامس : أرواح عباده ، لا ينزل ملك إلا ومعه منها روح ، قاله مجاهد(١٩١).

قوله تعالى:{لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ} [غافر : ١٥]، أي:" لتخوِّف الرسل عباد الله، وتنذرهم يوم القيامة الذي يلتقي فيه الأولون والآخرون"(١٩٢).

قال السعدي:" أي: يخوف العباد بذلك، ويحثهم على الاستعداد له بالأسباب المنجية مما يكون فيه"(١٩٣).

عن ابن عباس، قوله: "{يَوْمَ التَّلاقِ}، من أسماء يوم القيامة، عظمه الله، وحذّره عباده"(١٩٤).

وفي تسمية القيامة بـ {يَوْمَ التَّلَاقِ} [غافر : ١٥]، وجوه، من التفسير:

أحدها : لأنه يلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض ، قاله ابن عباس(١٩٥)، السدي(١٩٦)، والفراء(١٩٧)، والزجاج(١٩٨).

قال الفراء:" وإنما قيل «التلاق» لأنه يلتقى فيه أهل السماء وأهل الأرض"(١٩٩).

الثاني : يلتقي فيه الخلق والخالق ، قاله مقاتل(٢٠٠).

الثالث: يوم تلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض، والخالق والخلق. قاله قتادة(٢٠١).

الرابع : لأنه يلتقي فيه الأولون والآخرون، وهو معنى قول ابن عباس(٢٠٢).

قال ابن عباس:" يلتقي فيه آدم وآخر ولد من أولاده"(٢٠٣).

الخامس : يوم تتلاقى العباد. قاله ابن زيد(٢٠٤).

السادس : يلتقي الظالم والمظلوم والخصوم. قاله يوسف بن مهران(٢٠٥).

السابع : يوم يلقى الإنسان عمله وأفعاله التي عملها. أفاده الماتريدي(٢٠٦).

الثامن : يلتقي العابدون والمعبودون. حكاه الثعلبي(٢٠٧).

---

(١٨٨) تفسير الطبري: ٣٦٤/٢١.

(١٨٩) انظر: النكت والعيون: ١٤٨/٥.

(١٩٠) معاني القرآن: ٢٠٨/٦-٢٠٩.

(١٩١) انظر: النكت والعيون: ١٤٨/٥.

(١٩٢) التفسير الميسر: ٤٦٨.

(١٩٣) تفسير السعدي: ٧٣٤.

(١٩٤) اخرجه الطبري: ٣٦٤/٢١.

(١٩٥) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٨/ ٢٧٠. من طريق يوسف بن مهران.

(١٩٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٥/٢١.

(١٩٧) انظر: معاني القرآن: ٦/٣.

(١٩٨) انظر: معاني القرآن: ٣٦٩/٤.

(١٩٩) معاني القرآن: ٦/٣.

(٢٠٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٠٨/٣.

(٢٠١) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٥/٢١، وتفسير عبدالرزاق(٢٦٦٥):ص١٤٢/٣.

(٢٠٢) انظر: تفسير السمعاني: ١١/٥، وتأويلات اهل السنة: ١٣/٩، النكت والعيون: ١٤٨/٥. وقال: "وهو معنى قول ابن عباس".

(٢٠٣) حكاه عنه السمعاني في التفسير: ١١/٥.

(٢٠٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٥/٢١.

(٢٠٥) انظر: الكشف والبيان: ٢٧٠/٨.

(٢٠٦) انظر: تأويلات اهل السنة: ١٣/٩.

(٢٠٧) انظر: الكشف والبيان: ٢٧٠/٨.

قال السعدي:" سماه {يوم التلاق}، لأنه يلتقي فيه الخالق والمخلوق والمخلوقون بعضهم مع بعض، والعاملون وأعمالهم وجزاؤهم"(٢٠٨).
قال النحاس:" قرأ الحسن: «لتنذر يوم التلاق»، وهي مخاطبة للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وتأوّل أبو عبيد قراءة من قرأ:«لينذر»، بالياء أنّ المعنى: لينذر الله"(٢٠٩).
قال الزجاج:" الأجود - والله أعلم - أن يكون لينذر النبي - صلى الله عليه وسلم -. والدليل على ذلك أنه قرئ:«لتنذر يوم التلاق» - بالتاء –"(٢١٠).

القرآن
{يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٦)} [غافر : ١٦]
التفسير:
يوم القيامة تظهر الخلائق أمام ربهم، لا يخفى على الله منهم ولا مِن أعمالهم التي عملوها في الدنيا شيء، يقول الله سبحانه: لمن الملك والتصرف في هذا اليوم؟ فيجيب نفسه: لله المتفرد بأسمائه وصفاته وأفعاله، القهَّار الذي قهر جميع الخلائق بقدرته وعزته.
قوله تعالى:{يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ} [غافر : ١٦]، أي:" يوم هم ظاهرون بادون للعيان، لا شيء يكنُّهم ولا يظلّهم ولا يسترهم من جبلٍ أو أكمةٍ أو بناء"(٢١١).
قال السعدي:" أي: ظاهرون على الأرض، قد اجتمعوا في صعيد واحد لا عوج ولا أمت فيه، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر"(٢١٢).
قال ابن كثير:" أي : ظاهرون بادون كلهم ، لا شيء يكنهم ولا يظلهم ولا يسترهم"(٢١٣).
قال الثعلبي:أي:" خارجون من قبورهم، ظاهرون لا يسترهم شيء"(٢١٤).
قال الطبري:" يعني: المنذرين الذين أرسل الله إليهم رسله لينذروهم وهم ظاهرون، يعني: للناظرين لا يحول بينهم وبينهم جبل ولا شجر، ولا يستر بعضهم عن بعض ساتر، ولكنهم بقاع صفصف لا أمت فيه ولا عوج"(٢١٥).
قال الزمخشري:" ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل أو أكمة أو بناء، لأنّ الأرض بارزة قاع صفصف، ولا عليهم ثياب، إنما هم عراة مكشوفون، كما جاء في الحديث «يحشرون عراة حفاة غرلا»(٢١٦)"(٢١٧).

---

(٢٠٨) تفسير السعدي: ٧٣٤.
(٢٠٩) إعراب القرآن: ٢١/٤.
(٢١٠) معاني القرآن: ٣٦٩/٤.
(٢١١) صفوة التفاسير: ٨٩/٣.
(٢١٢) تفسير السعدي: ٧٣٤.
(٢١٣) تفسير ابن كثير: ١٣٦/٧.
(٢١٤) الكشفو البيان: ٢٧٠/٨.
(٢١٥) تفسير الطبري: ٣٦٥/٢١.
(٢١٦) الحديث:« إذا جيءَ بكم عُرَاةً حُفاةً غُرْلا فيكون أولُ مَن يُكسى إبراهيمَ - صلى الله عليه وسلم - فيقولُ اكسوا خليلى فيؤتى بريطتين بيضاوين فيلبسهما ثم يقعد مستقبلَ العرش ثم أوتى بكسوتى فألبسُها فأقومُ مقاما لا يقومُه أحدٌ غيرى فيغبطنى به الأولون والآخرون ويفتح نهر من الكوثر إلى الحوض ... الحديث».
أخرجه أحمد (٣٩٨/١، رقم ٣٧٨٧) ، والبزار (٣٣٩/٤، رقم ١٥٣٤) ، والطبرانى (٨٠/١٠، رقم ١٠٠١٧) ، قال الهيثمى (٣٦٢/١٠) : فى أسانيدهم كلهم عثمان بن عمير، وهو ضعيف. وأخرجه أيضًا: الدارمى (٤١٩/٢، رقم ٢٨٠٠) ، والحاكم (٣٩٦/٢، رقم ٣٣٨٥) وقال: صحيح الإسناد وعثمان بن عمير هو ابن اليقظان. وقال الذهبى: لا والله فعثمان ضعفه الدارقطنى والباقون ثقات.
ومن غريب الحديث: "غُرْلا": مفردها أغرل، وهو الأقلف، وهو من بقيت الجلدة التى يقطعها الخاتن من الذكر.
(٢١٧) الكشاف: ١٥٦/٤.

قوله تعالى:{لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ} [غافر : ١٦]، أي:" لا يخفى على الله منهم ولا مِن أعمالهم التي عملوها في الدنيا شيء"[٢١٨].

قال الطبري:" أي: ولا من أعمالهم التي عملوها في الدنيا {شَيْءٌ}"[٢١٩].

قال السعدي:" لا من ذواتهم ولا من أعمالهم، ولا من جزاء تلك الأعمال"[٢٢٠].

قال قتادة:" ولكنهم برزوا له يوم القيامة، فلا يستترون بحبل ولا مدر"[٢٢١].

قال ابن كثير:" أي : الجميع في علمه على السواء"[٢٢٢].

قال الزمخشري:" معناه: أنهم كانوا يتوهمون في الدنيا إذا استتروا بالحيطان والحجب: أنّ الله لا يراهم ويخفى عليه أعمالهم، فهم اليوم صائرون من البروز والانكشاف إلى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه. قال الله تعالى: {وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ} [فصلت : ٢٢]، وقال تعالى: {يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّ} [النساء : ١٠٨]، وذلك لعلمهم أنّ الناس يبصرونهم، وظنهم أن الله لا يبصرهم"[٢٢٣].

قوله تعالى:{لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ} [غافر : ١٦]، أي:" يقول الله سبحانه: لمن الملك والتصرف في هذا اليوم؟"[٢٢٤].

قال الطبري:" يقول الربّ: لمن الملك اليوم، يعني: لمن السلطان اليوم؟ وذلك يوم القيامة"[٢٢٥].

قال السعدي:" أي: من هو المالك لذلك اليوم العظيم الجامع للأولين والآخرين، أهل السماوات وأهل الأرض، الذي انقطعت فيه الشركة في الملك، وتقطعت الأسباب، ولم يبق إلا الأعمال الصالحة أو السيئة؟"[٢٢٦].

قوله تعالى:{لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [غافر : ١٦]، أي:" فيجيب تعالى نفسه: لله المتفرد بأسمائه وصفاته وأفعاله، القهَّار الذي قهر جميع الخلائق بقدرته وعزته"[٢٢٧].

قال السعدي:" الملك {لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} أي: المنفرد في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فلا شريك له في شيء منها بوجه من الوجوه. {الْقَهَّارِ} لجميع المخلوقات، الذي دانت له المخلوقات وذلت وخضعت، خصوصًا في ذلك اليوم الذي عنت فيه الوجوه للحي القيوم، يومئذ لا تَكَلَّمُ نفس إلا بإذنه"[٢٢٨].

قال الطبري:" فيحيب نفسه فيقول: {لِلَّهِ الْوَاحِدِ} الذي لا مثل له ولا شبيه {الْقَهَّارِ} لكلّ شيء سواه بقدرته، الغالب بعزّته"[٢٢٩].

قال الحسن: "هو السائل وهو المجيب، لأنه يقول ذلك حين لا أحد يجيبه فيجيب نفسه فيقول: لله الواحد القهار الذي قهر الخلق بالموت"[٢٣٠].

عن ابن عباس، قال: "ينادي مناد بين يدي الساعة : يا أيها الناس ، أتتكم الساعة. فيسمعها الأحياء والأموات ، قال : وينزل الله -عز وجل- إلى سماء الدنيا ويقول : {لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}"[٢٣١].

---

(٢١٨) التفسير الميسر: ٤٦٨.
(٢١٩) تفسير الطبري: ٣٦٦/٢١.
(٢٢٠) تفسير السعدي: ٧٣٤.
(٢٢١) اخرجه الطبري: ٣٦٦/٢١.
(٢٢٢) تفسير ابن كثير: ١٣٦/٧.
(٢٢٣) الكشاف: ١٥٦/٤-١٥٧.
(٢٢٤) التفسير الميسر: ٤٦٨.
(٢٢٥) تفسير الطبري: ٣٦٦/٢١.
(٢٢٦) تفسير السعدي: ٧٣٤.
(٢٢٧) التفسير الميسر: ٤٦٨.
(٢٢٨) تفسير السعدي: ٧٣٤.
(٢٢٩) تفسير الطبري: ٣٦٦/٢١.
(٢٣٠) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٧٠/٨.

عن ابن مسعود قال: "يجمع الله الخلق يوم القيامة بصعيد واحد، بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله تعالى فيها قط، فأول ما تتكلم به أن ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار"[٢٣٢].

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"يقبض الله عز وجل الأرض يوم القيامة ويطوي السموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟"[٢٣٣].

عن عبد الله بن عمر، قال: سمعت رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول:"يَأْخُذُ الجَبَّارُ سَمَوَاتِهِ وَأَرْضَهُ بِيَدَيْهِ"، وقبض يده فجعل يقبضها ويبسطها، ثُمَّ يَقُولُ:"أنا + الجَبَّارُ، أنا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ، أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ؟ "قال: ويميل رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم عن يمينه وعن شماله، حتى نظرت إلى المنبر يتحرّك من أسفل شيء منه، حتى إني لأقول: أساقط هو برسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم؟"[٢٣٤].

القرآن

{الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٧)} [غافر : ١٧]

التفسير:

اليوم تثاب كل نفس بما كسبت في الدنيا من خير وشر، لا ظلم لأحد اليوم بزيادة في سيئاته أو نقص من حسناته. إن الله سبحانه وتعالى سريع الحساب، فلا تستبطئوا ذلك اليوم؛ فإنه قريب.

قوله تعالى:{الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ} [غافر : ١٧]، أي:" اليوم تثاب كل نفس بما كسبت في الدنيا من خير وشر"[٢٣٥].

قال الطبري:" يقول: اليوم يثاب كلّ عامل بعمله، فيوفى أجر عمله، فعامل الخير يجزى الخير، وعامل الشر يجزى جزاءه"[٢٣٦].

قال السعدي:أي: في الدنيا، من خير وشر، قليل وكثير"[٢٣٧].

قوله تعالى:{لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ} [غافر : ١٧]، أي:" لا ظلم لأحد اليوم بزيادة في سيئاته أو نقص من حسناته"[٢٣٨].

قال الطبري:" يقول: لا بخس على أحد فيما استوجبه من أجر عمله في الدنيا، فينقص منه إن كان محسنا، ولا حُمِل على مسيء إثم ذنب لم يعمله فيعاقب عليه"[٢٣٩].

قال السعدي:" أ بزيادة في سيئاته، أو نقص من حسناته"[٢٤٠].

عن أبي ذر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يحكي عن ربه عز وجل - أنه قال : "يا عبادي ، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا - إلى أن قال - : يا عبادي ، إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيرًا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه"[٢٤١].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [غافر : ١٧]، أي:" إن الله سبحانه وتعالى سريع الحساب، فلا تستبطئوا ذلك اليوم؛ فإنه قريب"[٢٤٢].

---

(٢٣١) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٣٦/٧.
(٢٣٢) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٧٠/٨.
(٢٣٣) أخرجه الطبري: ٣٢٧/٢١.
(٢٣٤) أخرجه الطبري: ٣٢٧/٢١.
(٢٣٥) التفسير الميسر: ٤٦٩.
(٢٣٦) تفسير الطبري: ٣٦٦/٢١.
(٢٣٧) تفسير السعدي: ٧٣٥.
(٢٣٨) التفسير الميسر: ٤٦٩.
(٢٣٩) تفسير الطبري: ٣٦٦/٢١.
(٢٤٠) تفسير السعدي: ٧٣٥.
(٢٤١)صحيح مسلم برقم (٢٥٧٧).
(٢٤٢) التفسير الميسر: ٤٦٩.

قال الطبري:" يقول: إن الله ذو سرعة في محاسبة عباده يومئذ على أعمالهم التي عملوها في الدنيا; ذُكر أن ذلك اليوم لا يَنْتَصِف حتى يقيل أهل الجنة في الحنة، وأهل النار في النار، وقد فرغ من حسابهم، والقضاء بينهم"(٢٤٣).

قال ابن كثير:" أي : يحاسب الخلائق كلهم ، كما يحاسب نفسًا واحدة ، كما قال : {مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [لقمان : ٢٨] ، وقال تعالى: {وَمَا أَمْرُنَا إِلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ} [القمر : ٥٠]"(٢٤٤).

قال السعدي:" أي: لا تستبطئوا ذلك اليوم فإنه آت، وكل آت قريب. وهو أيضا سريع المحاسبة لعباده يوم القيامة، لإحاطة علمه وكمال قدرته"(٢٤٥).

قال الزمخشري في الآية:" لما قرّر أن الملك لله وحده في ذلك اليوم عدّد نتائج ذلك، وهي أنّ كل نفس تجزى ما كسبت وأن الظلم مأمون، لأن الله ليس بظلام للعبيد، وأن الحساب لا يبطئ، لأن الله لا يشغله حساب عن حساب، فيحاسب الخلق كله في وقت واحد وهو أسرع الحاسبين"(٢٤٦).

قال ابن أبي زمنين:" قال يحيى: سمعت بعض الكوفيين يقول: يفرغ الله من القضاء بين الخلق إذا أخذ في حسابهم في قدر نصف يوم من أيام الدنيا"(٢٤٧).

عن مجاهد:" {سَرِيعُ الْحِسَابِ} ، قَالَ: أحصاه عليهم"(٢٤٨).

عن مجاهد:" {سَرِيعُ الْحِسَابِ} ، قال: سريع الإحصاء"(٢٤٩).

عن شَهْر بن حَوْشَب -من طريق ابن أبي حسين- أنه حدَّثه قال: "كان يُقال: إذا كان يوم القيامة مُدَّت الأرضُ مَدَّ الأديم، ثم حشر اللهُ مَن فيها مِن الجن والإنس، ثم أخذوا مصاقَّهم من الأرض، ثم نزل أهل السماء بمثل مَن في الأرض، ومثلهم معهم مِن الجن والإنس، ثم أخذوا مصاقَّهم من الأرض، حتى إذا كانوا على رؤوس الخلائق أضاءت الأرضُ لوجوههم، فيخرّ أهل الأرض ساجدين، ثم أخذوا مصاقهم، ثم ينزل أهل السموات السبع على قدر ذلك من التضعيف. قال: {ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية} [الحاقة: ١٧]، تحمله الملائكة على كواهلها بأيْدٍ وعزّة وحُسن وجمال، حتى إذا استوى على كرسيه نادى: {لمن الملك اليوم}؟! فلم يجبه أحد، فيعطفها على نفسه، فقال: {لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب}"(٢٥٠).

فوائد الآيات:[١٠-١٧]:

١- عدم جدوى الاعتذار يوم القيامة هذا فيما لو أذن للعبد أن يعتذر فلا ينفعه اعتذار.
٢- تقرير التوحيد وإبطال الشرك والتنديد.
٣- بيان إفضال الله على العباد إذ يريهم آياته لهدايتهم ويرزقهم وهم يكفرون به.
٤- وجوب إخلاص الدعاء وسائر العبادات لله وحد ولو كره ذلك المشركون.
٥- تقرير النبوة، وبيان الحكمة فيها وهي إنذار الناس من عذاب يوم القيامة حيث الناس بارزون لله لا يخفى على الله منهم شيء فيحاسبهم بعلمه وعدله فلا ينقضي نهار إلا وقد استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار اللهم أعذنا من نار جهنم.

---

(٢٤٣) تفسير الطبري: ٣٦٦/٢١.
(٢٤٤) تفسير ابن كثير: ١٣٦/٧.
(٢٤٥) تفسير السعدي: ٧٣٥.
(٢٤٦) الكشاف: ١٥٧/٤.
(٢٤٧) تفسير ابن ابي زمنين: ٧٤/٢-٧٥.
(٢٤٨) أخرجه ابن المنذر(١٢٩٠):ص٥٤٣/٢.
(٢٤٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٩٠):ص٣٦٠/٢.
(٢٥٠)أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٦١ - ٦٢، وأخرجه يحيى بن سلام ١/ ٢٣٦ مطولًا من طريق ليث.

القرآن

{وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨)} [غافر : ١٨]

التفسير:

وحذِّر -أيها الرسول- الناس من يوم القيامة القريب، وإن استبعدوه، إذ قلوب العباد مِن مخافة عقاب الله قد ارتفعت من صدورهم، فتعلقت بحلوقهم، وهم ممتلئون غمًّا وحزنًا. ما للظالمين من قريب ولا صاحب، ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم، فيستجاب له.

قوله تعالى:{وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ} [غافر : ١٨]، أي:" وحذِّر -أيها الرسول- الناس من يوم القيامة القريب، وإن استبعدوه"(٢٥١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه: وأنذر يا محمد مشركي قومك يوم الآزفة، يعنى يوم القيامة، أن يوافوا الله فيه بأعمالهم الخبيثة، فيستحقوا من الله عقابه الأليم"(٢٥٢).

عن مجاهد وقتادة، والسدي، وابن زيد، في قول الله: {يوم الآزفة}، قالوا: "يوم القيامة"(٢٥٣).

قال الكسائي: يقال: أزف الشئ يأزف، أي: دنا واقترب"(٢٥٤).

قال الزجاج:" وإنما قيل لها: آزفة، لأنها قريبة وإن استبعد الناس مداها. يقال: قد أزف الأمر، إذا قرب"(٢٥٥).

قال السمعاني:" وسميت آزفة لقربها، كأنها قريبة عند الله تعالى، وإن كان الناس يستبعدونها. وقيل: هي قريبة لأنها كائنة لا محالة، وكل كائن قريب"(٢٥٦).

قال ابن كثير:" يوم الآزفة هو : اسم من أسماء يوم القيامة ، سميت بذلك لاقترابها ، كما قال تعالى : {أَزِفَتِ الآزِفَةُ. لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ} [النجم : ٥٧ ، ٥٨] وقال {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [القمر : ١] ، وقال {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ} [الانبياء : ١] وقال {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ} [النحل : ١] وقال {فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ} [الملك : ٢٧]"(٢٥٧).

قوله تعالى:{إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ} [غافر : ١٨]، أي:" إذ قلوب العباد مِن مخافة عقاب الله قد ارتفعت من صدورهم، فتعلقت بحلوقهم"(٢٥٨).

قال الطبري:يقول:" إذ قلوب العباد من مخافة عقاب الله لدى حناجرهم قد شخصت من صدورهم، فتعلقت بحلوقهم كاظميها، يرومون ردها إلى مواضعها من صدورهم فلا ترجع، ولا هي تخرج من أبدانهم فيموتوا"(٢٥٩).

قال الزجاج:" جاء في التفسير: أن القلب من الفزع يرتفع فيلتصق بالحنجرة فلا يرجع إلى مكانه ولا يخرج فيستراح من كرب غمه"(٢٦٠).

قال قتادة:" قد وقعت القلوب في الحناجر من المخافة، فلا هي تخرج ولا تعود إلى أمكنتها"(٢٦١).

---

(٢٥١) التفسير الميسر: ٤٦٩.
(٢٥٢) تفسير الطبري: ٣٦٧/٢١.
(٢٥٣) أخرجه الطبري: ٣٦٧/٢١-٣٦٨.
(٢٥٤) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٢١١/٦.
(٢٥٥) معاني القرآن: ٣٦٩/٤.
(٢٥٦) تفسير السمعاني: ١٢/٥.
(٢٥٧) تفسير ابن كثير: ١٣٧/٧.
(٢٥٨) التفسير الميسر: ٤٦٩.
(٢٥٩) تفسير الطبري: ٣٦٨/٢١.
(٢٦٠) معاني القرآن: ٣٦٩/٤-٣٧٠.
(٢٦١) أخرجه الطبري: ٣٦٨/٢١.

قال السدي:" شخصت أفئدتهم عن أمكنتها، فنشبت في حلوقهم، فلم تخرج من أجوافهم فيموتوا، ولم ترجع إلى أمكنتها فتستقر"(٢٦٢).

أخرج ابن ابي حاتم من طريق علي بن حسين قال: أخبرني رجل من اهل العلم، إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «تمد الأرض يوم القيامة مد الأديم ولا يكون لبشر من بني آدم فيها إلا موضع قدمه..»"(٢٦٣).

عن عكرمة أنه قال: "تضيق للناس أرض القيامة، حتى لا يكون لأحد إلا موضع قدمه، ثم يضيق لهم أيضا حتى يوضع القدم على القدم، ثم يبكون حتى تنفد دموعهم، ثم يبكون الدم حتى ينفد، ثم تشخص قلوبهم إلى حناجرهم، ثم قرأ قوله تعالى: وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ} [غافر : ١٨]"(٢٦٤).

قوله تعالى:{كَاظِمِينَ} [غافر : ١٨]، أي:" وهم ممتلئون غمًّا وحزنًا"(٢٦٥).

قال ابن كثير:" أي : ساكتين ، لا يتكلم أحد إلا بإذنه، {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا} [النبأ : ٣٨] "(٢٦٦).

وقال ابن جُرَيْج: "{كَاظِمِينَ}، أي : باكين"(٢٦٧).

قال السمعاني:" الكاظم: هو الممسك على قلبه بما فيه. وقيل: مغمومين مكروبين. ويقال: باكين. ومن هذا كظم الغيظ إذا أمسكه وصبر عليه"(٢٦٨).

قال أبو عبيد:" حدثني قدامة أبو محمد، عن امرأة، من أهل بيت عامر بن عبد قيس أن عامرا، قرأ ليلة من سورة المؤمن فلما انتهى إلى قوله تعالى: {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ} [غافر: ١٨]، قالت: فكظم حتى أصبح، أو قالت: فلم يزل يرددها حتى أصبح"(٢٦٩).

قوله تعالى:{مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ} [غافر : ١٨]، أي:" ما للظالمين من قريب ولا صاحب"(٢٧٠).

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: ما للكافرين بالله يومئذ من حميم يحم لهم، فيدفع عنهم عظيم ما نزل بهم من عذاب الله، ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم فيطاع فيما شفع، ويجاب فيما سأل"(٢٧١).

قال ابن كثير:" أي : ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم"(٢٧٢).

عن السدي: "{مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ} قال: "من يعنيه أمرهم، ولا شفيع لهم "(٢٧٣).

قال السمعاني:" الحميم: القريب"(٢٧٤).

---

(٢٦٢) أخرجه الطبري: ٣٦٨/٢١.

(٢٦٣) تفسير ابنن أبي حاتم(١٣٣٧٠):ص٢٣٤٣/٧. والحديث تمامه:.. ثم أدعى أول الناس فأخر ساجدا ثم يؤذن لي فأقول: يا رب أخبرني هذا لجبريل وجبريل عن يمين الرحمن والله ما رآه جبريل قط قبلها إنك أرسلته إلي. وجبريل عليه السلام ساكت لا يتكلم حتى يقول الرب. صدقت..
ثم يؤذن لي في الشفاعة فأقول: أي رب عبادك عبدوك في أطراف الأرض فذلك المقام المحمود".

(٢٦٤) حكاه السمعاني في التفسير: ١٢/٥-١٣.

(٢٦٥) التفسير الميسر: ٤٦٩.

(٢٦٦) تفسير ابن كثير: ١٣٧/٧.

(٢٦٧) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٣٧/٧.

(٢٦٨) تفسير السمعاني: ١٣/٥.

(٢٦٩) فضائل القرآن للقاسم بن سلام: ١٤٧.

(٢٧٠) التفسير الميسر: ٤٦٩.

(٢٧١) تفسير الطبري: ٣٦٩/٢١.

(٢٧٢) تفسير ابن كثير: ١٣٧/٧.

(٢٧٣) أخرجه الطبري: ٣٦٩/٢١.

(٢٧٤) تفسير السمعاني: ١٣/٥.

قوله تعالى:{وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ} [غافر : ١٨]، أي:" ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم، فيستجاب له"[٢٧٥].

قال الطبري:" ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم فيطاع فيما شفع، ويجاب فيما سأل"[٢٧٦].

قال الزجاج:" أي: ولا من شفيع مطاع"[٢٧٧].

قال السدي: "ولا شفيع لهم "[٢٧٨].

قال ابن كثير:" ولا شفيع يشفع فيهم ، بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير"[٢٧٩].

قال مقاتل: "استكثروا من صداقة المؤمنين فإن المؤمنين يشفعون يوم القيامة"[٢٨٠].

قال الحسن: "استكثروا من الأصدقاء المؤمنين فإن لهم شفاعة يوم القيامة"[٢٨١].

قال السعدي:" وصفها بهذه الأوصاف المقتضية للاستعداد لذلك اليوم العظيم، لاشتمالها على الترغيب والترهيب"[٢٨٢].

القرآن

{يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩)} [غافر : ١٩]

التفسير:

يعلم الله سبحانه ما تختلسه العيون من نظرات، وما يضمره الإنسان في نفسه من خير أو شر.

قوله تعالى:{يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ} [غافر : ١٩]، أي:" يعلم الله سبحانه ما تختلسه العيون من نظرات"[٢٨٣].

قال الطبري:" يقول جل ذكره مخبرا عن صفة نفسه: يعلم ربكم ما خانت أعين عباده"[٢٨٤].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن علمه التام المحيط بجميع الأشياء ، جليلها وحقيرها ، صغيرها وكبيرها ، دقيقها ولطيفها ؛ ليحذر الناس علمه فيهم ، فيستحيوا من الله حَقّ الحياء ، ويَتَّقُوهُ حق تقواه ، ويراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه ، فإنه تعالى يعلم العين الخائنة وإن أبدت أمانة"[٢٨٥].

قال الزجاج:" إذا نظر الناظر نظرة خيانة علمها الله، فإذا نظر أول نظرة غير متعمد خيانة فذلك غير إثم، فإن عاد ونيته الخيانة في النظر علم الله ذلك، والله - عز وجل - عالم الغيب والشهادة، ولكنه ذكر العلم ههنا ليعلم أن المجازاة لا محالة واقعة"[٢٨٦].

عن مجاهد: "{يعلم خائنة الأعين}، قال: نظر الأعين إلى ما نهى الله عنه"[٢٨٧].

عن ابن عباس، :"{يعلم خائنة الأعين}، إذا نظرت إليها تريد الخيانة أم لا"[٢٨٨].

قال قتادة:" أي: يعلم همزه بعينه، وإغماضه فيما لا يحب الله ولا يرضاه"[٢٨٩].

---

(٢٧٥) التفسير الميسر: ٤٦٩.
(٢٧٦) تفسير الطبري: ٣٦٩/٢١.
(٢٧٧) معاني القرآن: ٣٧٠/٤.
(٢٧٨) أخرجه الطبري: ٣٦٩/٢١.
(٢٧٩) تفسير السمعاني: ١٣/٥.
(٢٨٠) رواه مقاتل بن سليمان في التفسير: ٢٧١/٣.
(٢٨١) نقلا عن تفسير السمعاني: ٥٦/٤، وتفسير البغوي: ١٢٠/٦، وتفسير الخازن: ٣٢٨/٣.
(٢٨٢) تفسير السعدي: ٧٣٥.
(٢٨٣) التفسير الميسر: ٤٦٩.
(٢٨٤) تفسير الطبري: ٣٦٩/٢١.
(٢٨٥) تفسير ابن كثير: ١٣٧/٧.
(٢٨٦) معاني القرآن: ٣٧٠/٤.
(٢٨٧) أخرجه الطبري: ٣٧٠/٢١.
(٢٨٨) أخرجه الطبري: ٣٦٩/٢١-٣٧٠.
(٢٨٩) أخرجه الطبري: ٣٧٠/٢١.

وقال سفيان: "هي النظرة بعد النظرة"[(٢٩٠)].

وقال الضحاك : "{خَائِنَةَ الأَعْيُنِ} هو الغمز ، وقول الرجل: رأيت ، ولم ير ؛ أو : لم أر ، وقد رأى"[(٢٩١)].

وقال الزمخشري:" الخائنة: صفة للنظرة. أو مصدر بمعنى: الخيانة، كالعافية بمعنى المعافاة، والمراد: استراق النظر إلى ما لا يحل، كما يفعل أهل الريب، ولا يحسن أن يراد الخائنة من الأعين، لأن قوله: {وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} لا يساعد عليه"[(٢٩٢)].

قوله تعالى:{وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} [غافر : ١٩]، أي:" ويعلم ما يضمره الإنسان في نفسه من خير أو شر"[(٢٩٣)].

قال الطبري: يقول: ويعلم ربكم "ما أخفته صدورهم، يعني: وما أضمرته قلوبهم; يقول: لا يخفى عليه شيء من أمورهم حتى ما يحدث به نفسه، ويضمره قلبه إذا نظر ماذا يريد بنظره، وما ينوي ذلك بقلبه"[(٢٩٤)].

قال ابن كثير:أي:" ويعلم ما تنطوي عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر"[(٢٩٥)].

عن ابن عباس:"{وما تخفي الصدور}، إذا قدرت عليها أتزني بها أم لا؟"[(٢٩٦)].

وعن السدى قال: "هو وسوسة القلب"[(٢٩٧)].

قال السمعاني: "{وما تخفي الصدور}، هو شهوة القلب"[(٢٩٨)].

وحكي السمعاني عن بعضهم، قال: "{خيانة العين}، أن يقول: رأيت ولم ير، وخيانة القلب هو أن يقول: علمت ولم يعلم"[(٢٩٩)].

القرآن

{وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٢٠)} [غافر : ٢٠]

التفسير:

والله سبحانه يقضي بين الناس بالعدل فيما يستحقونه، والذين يُعبدون من دون الله من الآلهة لا يقضون بشيء؛ لعجزهم عن ذلك. إن الله هو السميع لأقوال خلقه، البصير بأفعالهم وأعمالهم، وسيجازيهم عليها.

قوله تعالى:{وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ} [غافر : ٢٠]، أي:" والله سبحانه يقضي بين الناس بالعدل فيما يستحقونه"[(٣٠٠)].

قال ابن كثير:" أي : يحكم بالعدل"[(٣٠١)].

قال الزمخشري:" يعنى: والذي هذه صفاته وأحواله لا يقضى إلا بالحق والعدل، لاستغنائه عن الظلم"[(٣٠٢)].

---

(٢٩٠) حكاه القرطبي في التفسير: ٣٠٣/١٥.

(٢٩١) نقلا عن تفسير ابن كثير: ١٣٧/٧.

(٢٩٢) الكشاف: ١٥٩/٤. قال المحقق:" إنما لم يساعد عليه لأن خائنة الأعين على هذا التقدير معناه الأعين الخائنة، وإنما يقابل الأعين الصدور، لا ما تخفيه الصدور، بخلاف التأويل الأول، فان المراد به نظرات الأعين فيطابق خفيات الصدور".

(٢٩٣) التفسير الميسر: ٤٦٩.[بتصرف]

(٢٩٤) تفسير الطبري: ٣٦٩/٢١.

(٢٩٥) تفسير ابن كثير: ١٣٧/٧.

(٢٩٦) أخرجه الطبري: ٣٦٩/٢١-٣٧٠.

(٢٩٧) نقلا عن: تفسير السمعاني: ١٣/٥، وانظر: تفسير ابن كثير: ١٣٧/٧.

(٢٩٨) تفسير السمعاني: ١٣/٥.

(٢٩٩) تفسير السمعاني: ١٣/٥.

(٣٠٠) التفسير الميسر: ٤٦٩.

(٣٠١) تفسير ابن كثير: ١٣٨/٧.

قال الطبري: " يقول: والله تعالى ذكره يقضي في الذي خانته الأعين بنظرها، وأخفته الصدور عند نظر العيون بالحق، فيجزي الذين أغمضوا أبصارهم، وصرفوها عن محارمه حذار الموقف بين يديه، ومسألته عنه بالحسنى، والذين رددوا النظر، وعزمت قلوبهم على مواقعة الفواحش إذا قدرت، جزاءها"(٣٠٣).

عن ابن عباس، :"{والله يقضي بالحق}، قادر على أن يجزي بالحسنة الحسنة، وبالسيئة السيئة، {إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}"(٣٠٤).

عن ابن جُرَيْج، في قوله: "{واللَّهُ يَقْضِي بِالحَقِّ} قال: يقدر على أن يقضي بالحق"(٣٠٥).

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ} [غافر : ٢٠]، أي:" والذين يُعبدون من دون الله من الآلهة لا يقضون بشيء؛ لعجزهم عن ذلك"(٣٠٦).

قال الطبري:" يقول: والأوثان والآلهة التي يعبدها هؤلاء المشركون بالله من قومك من دونه لا يقضون بشيء، لأنها لا تعلم شيئا، ولا تقدر على شيء، يقول جل ثناؤه لهم: فاعبدوا الذي يقدر على كل شيء، ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم، فيجزي محسنكم بالإحسان، والمسيء بالإساءة، لا ما لا يقدر على شيء ولا يعلم شيئا، فيعرف المحسن من المسيء، فيثيب المحسن، ويعاقب المسيء"(٣٠٧).

قال السمعاني:" أي: الأصنام وما أشبهها، لا يحكمون بشيء؛ لأنه ليس بأيديهم شيء"(٣٠٨).

قال ابن كثير:" أي : من الأصنام والأوثان والأنداد، لا يملكون شيئا ولا يحكمون بشيء"(٣٠٩).

قال الشوكاني:" أي: تعبدونهم من دون الله لا يقضون بشيء، لأنهم لا يعلمون شيئا، ولا يقدرون على شيء"(٣١٠).

قال الزمخشري: يعنى: "وآلهتكم لا يقضون بشيء، وهذا تهكم بهم، لأن ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه: يقضى، أو لا يقضى"(٣١١).

قال السعدي:" {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ} وهذا شامل لكل ما عبد من دون الله {لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ} لعجزهم وعدم إرادتهم للخير واستطاعتهم لفعله"(٣١٢).

عن ابن جُرَيْج، في قوله: " {والذين يدعون من دونه} لا يقدرون على أن يقضوا بالحق"(٣١٣).

وقرئ:«يدعون»، بالتاء والياء(٣١٤).

---

(٣٠٢) الكشاف: ١٥٩/٤. قال المحقق:" إنما لم يساعد عليه لأن خائنة الأعين على هذا التقدير معناه الأعين الخائنة، وإنما يقابل الأعين الصدور، لا ما تخفيه الصدور، بخلاف التأويل الأول، فان المراد به نظرات الأعين فيطابق خفيات الصدور".

(٣٠٣) تفسير الطبري: ٣٦٩/٢١.

(٣٠٤) أخرجه الطبري: ٣٦٩/٢١-٣٧٠.

(٣٠٥)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٣٠٦) التفسير الميسر: ٤٦٩.

(٣٠٧) تفسير الطبري: ٣٧٠/٢١.

(٣٠٨) تفسير السمعاني: ١٣/٥-١٤.

(٣٠٩) تفسير ابن كثير: ١٣٨/٧.

(٣١٠) فتح القدير: ٥٥٨/٤.

(٣١١) الكشاف: ١٥٩/٤. قال المحقق:" إنما لم يساعد عليه لأن خائنة الأعين على هذا التقدير معناه الأعين الخائنة، وإنما يقابل الأعين الصدور، لا ما تخفيه الصدور، بخلاف التأويل الأول، فان المراد به نظرات الأعين فيطابق خفيات الصدور".

(٣١٢) تفسير السعدي: ٧٣٥.

(٣١٣)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٣١٤) انظر: الكشاف: ١٥٩/٤.

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [غافر : ٢٠]، أي:" إن الله هو السميع لأقوال خلقه، البصير بأفعالهم وأعمالهم، وسيجازيهم عليها"(٣١٥).
قال الطبري:" يقول: إن الله هو السميع لما تنطق به ألسنتكم أيها الناس، البصير بما تفعلون من الأفعال، محيط بكل ذلك محصيه عليكم، ليجازي جميعكم جزاءه يوم الجزاء"(٣١٦).
قال ابن كثير:" أي : سميع لأقوال خلقه ، بصير بهم ، فيهدي من يشاء ، ويضل من يشاء ، وهو الحاكم العادل في جميع ذلك"(٣١٧).
قال السعدي:" {إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ} لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات. {الْبَصِيرُ} بما كان وما يكون، وما نبصر وما لا نبصر، وما يعلم العباد وما لا يعلمون"(٣١٨).
قال الزمخشري: " تقرير لقوله: {يَعْلَمُ خائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَما تُخْفِي الصُّدُورُ}، ووعيد لهم بأنه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون، وأنه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دون الله، وأنها لا تسمع ولا تبصر"(٣١٩).
فوائد الآيات:[١٧-٢٠]:
١- بيان هول يوم القيامة وصعوبة الموقف فيه.
٢- انعدام الحميم والشفيع للظالمين يوم القيامة.
٣- بيان سعة علم الله تعالى حتى إنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.
٤- قضاء الله عدل وحكمه نافذ وذلك لكمال علمه وقدرته.

القرآن
{أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (٢١)} [غافر : ٢١]
التفسير:
أو لم يَسِرْ هؤلاء المكذبون برسالتك -أيها الرسول- في الأرض، فينظروا كيف كان خاتمة الأمم السابقة قبلهم؟ كانوا أشد منهم بطشًا، وأبقى في الأرض آثارًا، فلم تنفعهم شدة قواهم وعِظَم أجسامهم، فأخذهم الله بعقوبته؛ بسبب كفرهم واكتسابهم الآثام، وما كان لهم من عذاب الله من واق يقيهم منه، فيدفعه عنهم.
قوله تعالى:{أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ} [غافر : ٢١]، أي:" أو لم يَسِرْ هؤلاء المكذبون برسالتك -أيها الرسول- في الأرض، فينظروا كيف كان خاتمة الأمم السابقة قبلهم؟"(٣٢٠).
قال الطبري: يقول:" أو لم يسر هؤلاء المقيمون على شركهم بالله، المكذبون رسوله من قريش، في البلاد، فيروا ما الذي كان خاتمة أمم الذين كانوا من قبلهم من الأمم الذين سلكوا سبيلهم، في الكفر بالله، وتكذيب رسله"(٣٢١).

---

(٣١٥) التفسير الميسر: ٤٦٩.
(٣١٦) تفسير الطبري: ٣٧٠/٢١.
(٣١٧) تفسير ابن كثير: ١٣٨/٧.
(٣١٨) تفسير السعدي: ٧٣٥.
(٣١٩) الكشاف: ١٥٩/٤. قال المحقق:" إنما لم يساعد عليه لأن خائنة الأعين على هذا التقدير معناه الأعين الخائنة، وإنما يقابل الأعين الصدور، لا ما تخفيه الصدور، بخلاف التأويل الأول، فان المراد به نظرات الأعين فيطابق خفيات الصدور".
(٣٢٠) التفسير الميسر: ٤٦٩.
(٣٢١) تفسير الطبري: ٣٧١/٢١.

قال ابن كثير:" يقول تعالى : أو لم يسر هؤلاء المكذبون برسالتك يا محمد {فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ} أي : من الأمم المكذبة بالأنبياء ، ما حل بهم من العذاب والنكال"(٣٢٢).

قال السعدي:" {أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ} أي: بقلوبهم وأبدانهم سير نظر واعتبار، وتفكر في الآثار، {فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ} من المكذبين، فسيجدونها شر العواقب، عاقبة الهلاك والدمار والخزي والفضيحة"(٣٢٣).

قال الشوكاني:" لما خوفهم سبحانه بأحوال الآخرة أردفه ببيان تخويفهم بأحوال الدنيا فقال: {أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم}، أرشدهم سبحانه إلى الاعتبار بغيرهم"(٣٢٤).

عن عباد بن منصور، قال: "سألت الحسن، عن قوله: {قل سيروا في الأرض}، قال: لم يسيروا في الأرض"(٣٢٥).

قال الحسن:" فينظروا كيف عذب الله قوم نوح وقوم لوط، وقوم صالح، والأمم التي عذب الله"(٣٢٦).

قال قتادة:" عاقبة الأولين والأمم قبلكم. قال: كان سوء عاقبة متعهم الله قليلا ثم صاروا إلى النار"(٣٢٧).

قال قتادة:" بئس والله، كان عاقبة المجرمين، دمر الله عليهم، وأهلكهم، ثم صيرهم إلى النار"(٣٢٨).

قوله تعالى:{كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ} [غافر : ٢١]، أي:" كانوا أشد منهم بطشًا، وأبقى في الأرض آثارًا، فلم تنفعهم شدة قواهم وعِظَم أجسامهم"(٣٢٩).

قال الطبري:" يقول: كانت تلك الأمم الذين كانوا من قبلهم أشد منهم بطشا، وأبقى في الأرض آثارا، فلم تنفعهم شدة قواهم، وعظم أجسامهم، إذ جاءهم أمر الله"(٣٣٠).

قال ابن كثير:" مع أنهم كانوا أشد من هؤلاء قوة [و] أثروا في الأرض من البنايات والمعالم والديارات ، ما لا يقدر عليه هؤلاء ، كما قال : {وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ} [الاحقاف : ٢٦] ، وقال {وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا} [الروم : ٩]"(٣٣١).

قال السعدي:" وقد كانوا أشد قوة من هؤلاء في العَدَد والعُدَد وكبر الأجسام. {و} أشد {آثارا في الأرض} من البناء والغرس، وقوة الآثار تدل على قوة المؤثر فيها وعلى تمنعه بها"(٣٣٢).

قال الشوكاني:" فإن الذين مضوا من الكفار كانوا هم أشد منهم قوة من هؤلاء الحاضرين من الكفار وأقوى وآثارا في الأرض بما عمروا فيها من الحصون والقصور وبما لهم من العدد والعدة، فلما كذبوا رسلهم أهلكهم الله"(٣٣٣).

عن مجاهد: {كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض} [غافر: ٨٢] ، يعني: «المشي في الأرض بأرجلهم»(٣٣٤).

---

(٣٢٢) تفسير ابن كثير: ١٣٨/٧.
(٣٢٣) تفسير السعدي: ٧٣٥.
(٣٢٤) فتح القدير: ٥٥٩/٤.
(٣٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٥٢):ص٢٩١٦/٩.
(٣٢٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٥٤):ص٢٩١٦/٩.
(٣٢٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٥٥):ص٢٩١٦/٩.
(٣٢٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٥٥٣):ص٢١٦/٩، والطبري(١٣٠٩٥):ص٢٧٣/١١ [باختصار].
(٣٢٩) التفسير الميسر: ٤٦٩.
(٣٣٠) تفسير الطبري: ٣٧١/٢١.
(٣٣١) تفسير ابن كثير: ١٣٨/٧.
(٣٣٢) تفسير السعدي: ٧٣٥.
(٣٣٣) فتح القدير: ٥٥٩/٤.

عن مجاهد ، في قوله تعالى: {وآثارا في الأرض} [غافر: ٢١] قال: «المشي فيها بأرجلهم»(٣٣٥).

عن مجاهد :"{وَأَثَارُوا الأَرْضَ}، قال: حرثوا الأرض "(٣٣٦).

عن الضحاك:" {وأثاروا الأرض}، يقول: جنانها، وأنهارها وزروعها، {وعمروها أكثر مما عمروها}، يقول: عاشوا فيها أكثر من عيشكم فيها"(٣٣٧).

وقرأ ابن عامر: «أشد منكم» على الالتفات(٣٣٨).

قوله تعالى:{فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ} [غافر : ٢١]، أي:" فأخذهم الله بعقوبته؛ بسبب كفرهم واكتسابهم الآثام"(٣٣٩).

قال الشوكاني:" أي: بسبب ذنوبهم"(٣٤٠).

قال السعدي:أي:" بعقوبته بذنوبهم حين أصروا واستمروا عليها"(٣٤١).

قال ابن كثير:" ومع هذه القوة العظيمة والبأس الشديد ، أخذهم الله بذنوبهم ، وهي كفرهم برسلهم"(٣٤٢).

قال الطبري:" أباد جمعهم، وصارت مساكنهم خاوية منهم بما ظلموا"(٣٤٣).

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ} [غافر : ٢١]، أي:" وما كان لهم من عذاب الله من واق يقيهم منه، فيدفعه عنهم"(٣٤٤).

قال الطبري:" يقول: وما كان لهم من عذاب الله إذ جاءهم، من واق يقيهم، فيدفعه عنهم"(٣٤٥).

قال ابن كثير:" أي : وما دفع عنهم عذاب الله أحد ، ولا رده عنهم راد ، ولا وقاهم واق"(٣٤٦).

قال الشوكاني:" أي: من دافع يدفع عنهم العذاب"(٣٤٧).

عن قتادة: "{وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ}: يقيهم، ولا ينفعهم"(٣٤٨).

روي ابن حسنون المقرىء بإسناده إلى ابن عباس:"{وَما كانَ لَهُم مِنَ اللَهِ مِن واقٍ}، يعني:"مانع بلغة خثعم"(٣٤٩).

القرآن

{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٢)} [غافر : ٢٢]

التفسير:

---

(٣٣٤) تفسير مجاهد: ٥٨٤.
(٣٣٥) تفسير عبدالرزاق(٢٦٨٧):ص١٤٧/٣.
(٣٣٦) تفسير مجاهد: ٥٣٨، وتفسير الطبري:٧٨/٢٠.
(٣٣٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٤٦٩):ص٣٠٨٨/٩.
(٣٣٨) انظر: فتح القدير للشوكاني: ٥٥٩/٤.
(٣٣٩) التفسير الميسر: ٤٦٩.
(٣٤٠) فتح القدير: ٥٥٩/٤.
(٣٤١) تفسير السعدي: ٧٣٥.
(٣٤٢) تفسير ابن كثير: ١٣٨/٧.
(٣٤٣) تفسير الطبري: ٣٧١/٢١.
(٣٤٤) التفسير الميسر: ٤٦٩.
(٣٤٥) تفسير الطبري: ٣٧١/٢١.
(٣٤٦) تفسير ابن كثير: ١٣٨/٧.
(٣٤٧) فتح القدير: ٥٥٩/٤.
(٣٤٨) أخرجه الطبري: ٣٧١/٢١.
(٣٤٩) اللغات في القرآن:٤٣.

ذلك العذاب الذي حلَّ بالمكذبين السابقين، كان بسبب موقفهم من رسل الله الذين جاؤوا بالدلائل القاطعة على صدق دعواهم، فكفروا بهم، وكذَّبوهم، فأخذهم الله بعقابه، إنه سبحانه قوي لا يغلبه أحد، شديد العقاب لمن كفر به وعصاه.

قوله تعالى:{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا} [غافر : ٢٢]، أي:" ذلك العذاب الذي حلَّ بالمكذبين السابقين، كان بسبب موقفهم من رسل الله الذين جاؤوا بالدلائل القاطعة على صدق دعواهم، فكفروا بهم، وكذَّبوهم"(٣٥٠).

قال الطبري: يقول:" هذا الذي فعلت بهؤلاء الأمم الذين من قبل مشركي قريش من إهلاكناهم بذنوبهم فعلنا بهم بأنهم كانت تأتيهم رسل الله إليهم بالبينات، يعني بالآيات الدالات على حقيقة ما تدعوهم إليه من توحيد الله، والانتهاء إلى طاعته، فانكروا رسالتها، وجحدوا توحيد الله، وأبوا أن يطيعوا الله"(٣٥١).

قال ابن كثير:" ثم ذكر علة أخذه إياهم وذنوبهم التي ارتكبوها واجترموها ، فقال : {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} أي : بالدلائل الواضحات والبراهين القاطعات ، {فَكَفَرُوا} أي : مع هذا البيان والبرهان كفروا وجحدوا"(٣٥٢).

قوله تعالى:{فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ} [غافر : ٢٢]، أي:" فأخذهم الله بعقابه"(٣٥٣).

قال الطبري:" يقول: فأخذهم الله بعذابه فأهلكهم"(٣٥٤).

قال ابن كثير:" أي : أهلكهم ودمَّر عليهم وللكافرين أمثالها"(٣٥٥).

قوله تعالى:{إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [غافر : ٢٢]، أي:" إنه سبحانه قوي لا يغلبه أحد، شديد العقاب لمن كفر به وعصاه"(٣٥٦).

قال الطبري:" يقول: إن الله ذو قوة لا يقهره شيء، ولا يغلبه، ولا يعجزه شيء أراده، شديد عقابه من عاقب من خلقه، وهذا وعيد من الله مشركي قريش، المكذبين رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم يقول لهم جل ثناؤه: فاحذروا أيها القوم أن تسلكوا سبيلهم في تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وجحود توحيد الله، ومخالفة أمره ونهيه فيسلك بكم في تعجيل الهلاك لكم مسلكهم"(٣٥٧).

قال ابن كثير:" {إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ} أي : ذو قوة عظيمة وبطش شديد ، وهو {شَدِيدُ الْعِقَابِ} أي : عقابه أليم شديد وجيع. أعاذنا الله منه"(٣٥٨).

قال الشوكاني:" {إِنَّهُ قَوِيٌّ} يفعل كل ما يريده لا يعجزه شيء، {شَدِيدُ الْعِقَابِ} لمن عصاه ولم يرجع إليه"(٣٥٩).

قال السعدي:" فلم تغن قوتهم عند قوة الله شيئًا، بل من أعظم الأمم قوة، قوم عاد الذين قالوا: {مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً} أرسل الله إليهم ريحا أضعفت قواهم، ودمرتهم كل تدمير"(٣٦٠).

عن علي بن زيد، قال: "تلا مطرف هذه الآية: {شديد العقاب}، قال: لو يعلم الناس قدر عقوبة الله، ونقمة الله، وبأس الله، ونكال الله، لما رقأ لهم دمع، وما قرت أعينهم بشيء"(٣٦١).

فوائد الآيتين:[٢١-٢٢]:

---

(٣٥٠) التفسير الميسر: ٤٦٩.
(٣٥١) تفسير الطبري: ٣٧١/٢١-٣٧٢.
(٣٥٢) تفسير ابن كثير: ١٣٨/٧.
(٣٥٣) التفسير الميسر: ٤٦٩.
(٣٥٤) تفسير الطبري: ٣٧٢/٢١.
(٣٥٥) تفسير ابن كثير: ١٣٨/٧.
(٣٥٦) التفسير الميسر: ٤٦٩.
(٣٥٧) تفسير الطبري: ٣٧٢/٢١.
(٣٥٨) تفسير ابن كثير: ١٣٨/٧.
(٣٥٩) فتح القدير: ٥٥٩/٤.
(٣٦٠) تفسير السعدي: ٧٣٥.
(٣٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨١٥):ص٣٤٥/١.

١- تقرير الحكمة القائلة: العاقل من اعتبر بغيره.
٢- الأخذ بالذنوب سنة من سنن الله في الأرض لا تتبدل ولا تتحول، إلا أن يشاء الله إيقافها أو تبديلها فهو على ما يشاء قدير.
٣- من أراد الله عقاب لا يوجد له واق يقيه، ولا حامٍ يحميه، ومن تاب تاب الله عليه.

القرآن

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢٣)} [غافر : ٢٣]

التفسير:

ولقد أرسلنا موسى بآياتنا العظيمة الدالة على حقيقة ما أُرسل به، وحجة واضحة بيِّنة على صدقه في دعوته، وبطلان ما كان عليه مَن أُرسل إليهم.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مسليا نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، عما كان يلقى من مشركي قومه من قريش، بإعلامه ما لقي موسى ممن أرسل إليه من التكذيب، ومخيره أنه معليه عليهم، وجاعل دائرة السوء على من حاده وشاقه، كسنته في موسى صلوات الله عليه، إذ أعلاه، وأهلك عدوه فرعون {ولقد أرسلنا موسى بآياتنا}: يعني بأدلته. {وسلطان مبين}، يقول: وحججه المبينة لمن يراها أنها حجة محققة ما يدعو إليه موسى"(٣٦٢).

قال الزجاج:" {بِآيَاتِنَا}، أي: بعلاماتنا التي تدل على صحة نبوته، من العصا وإخراج يده بيضاء من غير سوء وأشباه ذلك، {وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ}، أي: حجة ظاهرة"(٣٦٣).

قال مقاتل:" {بِآيَاتِنَا}، يعني: اليد والعصا، {وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ}، يعني: وحجة بينة"(٣٦٤).

قال ابن كثير:" أرسله بالآيات البينات، والدلائل الواضحات، والسلطان هو : الحُجة والبرهان"(٣٦٥).

عن قتادة:"{وسلطان مبين}: أي عذر مبين"(٣٦٦).

قال ابن جريج: "كل شيء في القرآن آيات، بذلك تعرفون الله إنكم لن تروه فتعرفونه على رؤية ولكن تعرفون بآياته وخلقه"(٣٦٧).

القرآن

{إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٤)} [غافر : ٢٤]

التفسير:

إلى فرعون ملك «مصر»، وهامان وزيره، وقارون صاحب الأموال والكنوز، فأنكروا رسالته واستكبروا، وقالوا عنه: إنه ساحر كذاب، فكيف يزعم أنه أُرسِل للناس رسولا؟

قوله تعالى:{إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ} [غافر : ٢٤]، أي:" إلى فرعون ملك «مصر» ، وهامان وزيره، وقارون صاحب الأموال والكنوز"(٣٦٨).

قال ابن كثير:" {إِلَى فِرْعَوْنَ} هو : ملك القبط بالديار المصرية ، {وَهَامَانَ} وهو : وزيره في مملكته {وَقَارُونَ} وكان أكثر الناس في زمانه مالا وتجارة"(٣٦٩).

قال الزجاج:" هذه الأسماء. في موضع خفض إلا أنها فتحت لأنها لا تنصرف لأنها معرفة وهي أعجمية"(٣٧٠).

---

(٣٦٢) تفسير الطبري: ٣٧٢/٢١.
(٣٦٣) معاني القرآن: ٣٧٠/٤.
(٣٦٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١٠/٣.
(٣٦٥) تفسير ابن كثير: ١٣٩/٧.
(٣٦٦) اخرجه الطبري: ٣٧٢/٢١.
(٣٦٧) الدر المنثور: ٤٩٠/٦، وعزاه إلى ابن المنذر.
(٣٦٨) صفوة التفاسير: ٩٢/٣.
(٣٦٩) تفسير ابن كثير: ١٣٩/٧.

عن محمد بن إسحاق -من طريق سلمة- قال: "لم يكن منهم فرعونٌ أعتى على الله، ولا أعظم قولًا، ولا أطول عمرًا في ملكه منه، وكان اسمه فيما ذُكر لي: الوليد بن مصعب"(٣٧١).

عن الحسن، قال: "كان فرعون علجا من همذان"(٣٧٢).

قال قتادة:" وكان قارون ابن عم موسى أخي أبيه وكان قطع البحر مع بني إسرائيل وكان يسمى المنور من حسن صوته بالتوراة، ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري فأهلكه الله لبغيه، وإنما بغى عليهم لكثرة ماله وولده، قال الله: أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون"(٣٧٣).

قوله تعالى:{فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ} [غافر : ٢٤]، أي:" فقالوا عن موسى إنه ساحر فيما أظهر من المعجزات، كذَّاب فيما ادعاه أنه من عند الله"(٣٧٤).

قال الطبري:" يقول: فقال هؤلاء الذين أرسل إليهم موسى لموسى: هو ساحر يسحر العصا، فيرى الناظر إليها أنها حية تسعى. {كذاب} يقول: يكذب على الله، ويزعم أنه أرسله إلى الناس رسولا"(٣٧٥).

قال الزجاج:" المعنى: فقالوا هو ساحر كذاب، جعلوا أمر الآيات التي يعجز عنها المخلوقون سحرا"(٣٧٦).

قال ابن كثير:" أي : كذبوه وجعلوه ساحرًا مُمَخْرِقًا مموهًا كذابًا في أن الله أرسله. وهذه كقوله تعالى: {كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ} [الذاريات ٥٢ ، ٥٣]"(٣٧٧).

قال مقاتل:" فلما رأوا اليد والعصا، قالوا: ليستا من الله بل موسى ساحر، في اليد حين أخرجها بيضاء، والعصا حين صارت حية {فقالوا ساحر كذاب}، حين زعم أنه رسول رب العالمين"(٣٧٨).

القرآن

{فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٢٥)} [غافر : ٢٥]

التفسير:

فلما جاء موسى فرعون وهامان وقارون بالمعجزات الظاهرة مِن عندنا، لم يكتفوا بمعارضتها وإنكارها، بل قالوا: اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه، واستبقوا نساءهم للخدمة والاسترقاق. وما تدبير أهل الكفر إلا في ذهاب وهلاك.

قوله تعالى:{فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا} [غافر : ٢٥]، أي:" فلما جاء موسى فرعون وهامان وقارون بالمعجزات الظاهرة مِن عندنا"(٣٧٩).

قال مقاتل:" يعني: اليد والعصا"(٣٨٠).

---

(٣٧٠) معاني القرآن: ٣٧٠/٤.
(٣٧١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٩٥):ص٢٩٤٤/٩.
(٣٧٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٩٦):ص٢٩٤٤/٩.
(٣٧٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٧٥):ص٣٠٠٥/٩.
(٣٧٤) صفوة التفاسير: ٩٢/٣.
(٣٧٥) تفسير الطبري: ٣٧٢/٢١.
(٣٧٦) معاني القرآن: ٣٧٠/٤.
(٣٧٧) تفسير ابن كثير: ١٣٩/٧.
(٣٧٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١٠/٣.
(٣٧٩) التفسير الميسر: ٤٦٩.
(٣٨٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١٠/٣.

قال الطبري:يقول:" فلما جاء موسى هؤلاء الذين أرسله الله إليهم بالحق من عندنا، وذلك مجيئه إياهم بتوحيد الله، والعمل بطاعته، مع إقامة الحجة عليهم، بأن الله ابتعثه إليهم بالدعاء إلى ذلك"(٣٨١).

قال ابن كثير:" أي : بالبرهان القاطع الدال على أن الله تعالى أرسله إليهم"(٣٨٢).

قوله تعالى:{قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ} [غافر : ٢٥]، أي:" قالوا: اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه، واستبقوا نساءهم للخدمة والاسترقاق"(٣٨٣).

قال مقاتل:" أي: قال فرعون وحده، للملأ، يعني: الأشراف: اقتلوا أبناءهم ودعوا البنات، فلما هموا بذلك حبسهم الله عنهم حين أقطعهم البحر"(٣٨٤).

قال الطبري:أي:" {قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا} بالله {معه} من بني إسرائيل، واستبقوا نساءهم للخدمة"(٣٨٥).

عن قتاده: {فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) قال: هذا قتل غير القتل الأول الذي كان"(٣٨٦).

قال الطبري:" وإنما كان قتل فرعون الولدان من بني إسرائيل حذار المولود الذي كان أخبر أنه على رأسه ذهاب ملكه، وهلاك قومه، وذلك كان فيما يقال قبل أن يبعث الله موسى نبيا؟ قيل: إن هذا الأمر بقتل أبناء الذين آمنوا مع موسى، واستحياء نسائهم، كان أمرا من فرعون وملئه من بعد الأمر الأول الذي كان من فرعون قبل مولد موسى"(٣٨٧).

قال ابن كثير:" وهذا أمر ثان من فرعون بقتل ذكور بني إسرائيل. أما الأول : فكان لأجل الاحتراز من وجود موسى ، أو لإذلال هذا الشعب وتقليل عددهم ، أو لمجموع الأمرين. وأما الأمر الثاني : فللعلة الثانية ، لإهانة هذا الشعب ، ولكي يتشاءموا بموسى ، عليه السلام ؛ ولهذا قالوا : {أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ} [الأعراف : ١٢٩]"(٣٨٨).

وقال الزجاج:" كان قيل لفرعون: إن ملكه يزول بسبب غلام يولد، فقيل: افعلوا هذا حتى لا ينجو المولود"(٣٨٩).

قوله تعالى:{وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ} [غافر : ٢٥]، أي:" وما تدبير أهل الكفر إلا في ذهاب وهلاك"(٣٩٠).

قال الطبري:" يقول: وما احتيال أهل الكفر لأهل الإيمان بالله إلا في جوز عن سبيل الحق، وصد عن قصد المحجة، وأخذ على غير هدى"(٣٩١).

قال ابن كثير:" أي : وما مكرهم وقصدهم الذي هو تقليل عدد بني إسرائيل لئلا يُنصروا عليهم ، إلا ذاهب وهالك في ضلال"(٣٩٢).

قال مقاتل:" يقول: {وما كيد} فرعون الذي أراد ببني إسرائيل من قتل الأبناء واستحياء النساء {إلا في ضلال}، يعني: خسار"(٣٩٣).

---

(٣٨١) تفسير الطبري: ٣٧٣/٢١.
(٣٨٢) تفسير ابن كثير: ١٣٩/٧.
(٣٨٣) التفسير الميسر: ٤٦٩.
(٣٨٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١٠/٣-٧١١.
(٣٨٥) تفسير الطبري: ٣٧٣/٢١.
(٣٨٦) أخرجه الطبري: ٣٧٣/٢١.
(٣٨٧) تفسير الطبري: ٣٧٣/٢١.
(٣٨٨) تفسير ابن كثير: ١٣٩/٧.
(٣٨٩) معاني القرآن: ٣٧١/٤.
(٣٩٠) التفسير الميسر: ٤٦٩.
(٣٩١) تفسير الطبري: ٣٧٣/٢١.
(٣٩٢) تفسير ابن كثير: ١٣٩/٧.
(٣٩٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١١/٣.

وقال الزجاج:" أي: يذهب باطلا، ويحيق الله به ما يريد"(٣٩٤).
قال القشيري:" لأنه إذا حفر أحد لوليّ من أولياء الله تعالى حفرة ما وقع فيها غير حافرها ... بذلك أجرى الحقّ سنّته"(٣٩٥).

القرآن
{وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦)} [غافر : ٢٦]
التفسير:
وقال فرعون لأشراف قومه: اتركوني أقتل موسى، وليدع ربه الذي يزعم أنه أرسله إلينا، فيمنعه منا، إني أخاف أن يُبَدِّل دينكم الذي أنتم عليه، أو أن يُظْهِر في أرض «مصر» الفساد.
قوله تعالى:{وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى} [غافر : ٢٦]، أي:" وقال فرعون لأشراف قومه: اتركوني أقتل موسى"(٣٩٦).
قال الطبري:" {وقال فرعون} لملئه: {ذروني أقتل موسى..}"(٣٩٧).
قال ابن كثير:" وهذا عَزْمٌ من فرعون - لعنه الله - على قتل موسى ، عليه السلام ، أي : قال لقومه : دعوني حتى أقتل لكم هذا"(٣٩٨).
قال الزمخشري:" كانوا إذا همّ بقتله كفوه بقولهم: ليس بالذي تخافه، وهو أقل من ذلك وأضعف، وما هو إلا بعض السحرة، ومثله لا يقاوم إلا ساحرا مثله، ويقولون: إذا قتلته أدخلت الشبهة على الناس، واعتقدوا أنك قد عجزت عن معارضته بالحجة، والظاهر أنّ فرعون لعنه الله كان قد استيقن أنه نبيّ، وأنّ ما جاء به آيات وما هو بسحر، ولكن الرجل كان فيه خب وجربزة، وكان قتالا سفاكا الدماء في أهون شيء، فكيف لا يقتل من أحس منه بأنه هو الذي يثل عرشه ويهدم ملكه، ولكنه كان يخاف إن همّ بقتله أن يعاجل بالهلاك"(٣٩٩).
قوله تعالى:{وَلْيَدْعُ رَبَّهُ} [غافر : ٢٦]، أي:" وليدع ربه الذي يزعم أنه أرسله إلينا، فيمنعه منا"(٤٠٠).
قال الطبري:" {وليدع ربه} الذي يزعم أنه أرسله إلينا فيمنعه منا"(٤٠١).
قال القشيري:" أي: ليستعن بربه"(٤٠٢).
قال ابن كثير:" أي : لا أبالي منه. وهذا في غاية الجحد والتجهرم والعناد"(٤٠٣).
قال السعدي:" زعم -قبحه الله- أنه لولا مراعاة خواطر قومه لقتله، وأنه لا يمنعه من دعاء ربه"(٤٠٤).
وقوله تعالى: {وَلْيَدْعُ رَبَّهُ} [غافر : ٢٦]، يحتمل وجهين(٤٠٥):
أحدهما: أنه كان ذلك من فرعون يقول: {ذروني أقتل موسى وليدع ربه} يمنعني عن قتله إن كان صادقا فيما يدعي من الرسالة؛ لأن من أرسل رسولا، فهم أحد قتله أو الضرر به، منعه المرسل عن ذلك، فعلى ذلك يقول، والله أعلم.

---
(٣٩٤) معاني القرآن: ٣٧١/٤.
(٣٩٥) لطائف الإشارات: ٣٠٥/٣.
(٣٩٦) التفسير الميسر: ٤٦٩.
(٣٩٧) تفسير الطبري: ٣٧٤/٢١.
(٣٩٨) تفسير ابن كثير: ١٣٩/٧.
(٣٩٩) الكشاف: ١٦٠/٤.
(٤٠٠) التفسير الميسر: ٤٦٩.
(٤٠١) تفسير الطبري: ٣٧٤/٢١.
(٤٠٢) لطائف الإشارات: ٣٠٥/٣.
(٤٠٣) تفسير ابن كثير: ١٣٩/٧.
(٤٠٤) تفسير السعدي: ٧٣٦.
(٤٠٥) انظر: تأويلات أهل السنة: ٢١/٩.

الثاني: يكون ذلك أمرا من الله - عز وجل - موسى بالدعاء على فرعون بالهلاك؛ لما هم قتله، وعلى ذلك الرسل - عليهم السلام - قد أذن لهم بالدعاء على فراعنتهم ومعانديهم ومكابريهم إذا بلغوا في العناد غايتهم والتمرد نهايتهم، والله أعلم.

قال الزمخشري:"قوله :{وَلْيَدْعُ رَبَّهُ}، شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه"(٤٠٦).

قوله تعالى:{إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ} [غافر : ٢٦]، أي:" إني أخاف أن يُبَدِّل دينكم الذي أنتم عليه"(٤٠٧).

قال الطبري:" يقول: إني أخاف أن يغير دينكم الذي أنتم عليه بسحره"(٤٠٨).

قال مقاتل:" يعني: عبادتكم إياي"(٤٠٩).

عن قتادة:"{إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ}، أي: أمركم الذي أنتم عليه"(٤١٠).

قال الزمخشري:أي:" أن يغير ما أنتم عليه، وكانوا يعبدونه ويعبدون الأصنام، بدليل قوله: {وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ} [الأعراف : ١٢٧]"(٤١١).

قال الماتريدي:" قد كان هناك تبديل الدين فإنه قد أظهر موسى - عليه السلام - دين الحق وآمن أتباعه، لكن كأنه أراد - والله أعلم - بقوله: {أن يبدل دينكم}، أي: يذهب بدينكم من الأصل"(٤١٢).

قوله تعالى:{أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ} [غافر : ٢٦]، أي:" أو أن يُظْهر في أرض «مصر» الفساد"(٤١٣).

قال الطبري: يقول:" أو أن يظهر في أرضكم أرض مصر، عبادة ربه الذي يدعوكم إلى عبادته، وذلك كان عنده هو الفساد"(٤١٤).

قال ابن كثير:" يعني : موسى ، يخشى فرعون أن يُضِلَّ موسى الناس ويغير رسومهم وعاداتهم. وهذا كما يقال في المثل : «صار فرعون مُذَكِّرًا»، يعني : واعظا ، يشفق على الناس من موسى ، عليه السلام "(٤١٥).

قال قتادة:" والفساد عنده أن يعمل بطاعة الله"(٤١٦).

عن ابن جريج :" {إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد} قال: أن يقتلوا أبناءكم ويستحيوا نساءكم إذا ظهروا عليكم كما كنتم تفعلون بهم"(٤١٧).

قال القشيري:" وكان المفسد هو فرعون، وهو كما قيل في المثل: «رمتنى بدائها وانسلّت»"(٤١٨).

قال السعدي:" وهذا من أعجب ما يكون، أن يكون شر الخلق ينصح الناس عن اتباع خير الخلق هذا من التمويه والترويج الذي لا يدخل إلا عقل من قال الله فيهم: {فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ}"(٤١٩).

---

(٤٠٦) الكشاف: ٤/١٦٠-١٦١.
(٤٠٧) التفسير الميسر: ٤٦٩.
(٤٠٨) تفسير الطبري: ٢١/٣٧٤.
(٤٠٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٧١١.
(٤١٠) أخرجه الطبري: ٢١/٣٧٤-٣٧٥.
(٤١١) الكشاف: ٤/١٦١.
(٤١٢) تأويلات أهل السنة: ٩/٢١.
(٤١٣) التفسير الميسر: ٤٦٩.
(٤١٤) تفسير الطبري: ٢١/٣٧٤.
(٤١٥) تفسير ابن كثير: ٧/١٣٩.
(٤١٦) أخرجه الطبري: ٢١/٣٧٤-٣٧٥.
(٤١٧) الدر المنثور: ٧/٢٨٤، وعزاه إلى ابن المنذر.
(٤١٨) لطائف الإشارات: ٣/٣٠٥.
(٤١٩) تفسير السعدي: ٧٣٦.

قال الماتريدي:" ذكر اللعين، وسمى إظهار التوحيد في الأرض ودين الإسلام: فسادا ليعلم أن كل مدع شيئا وإن كان مبطلا في دعواه فعنده أنه على حق وأن خصمه على باطل؛ فلا يقبل قول أحد إلا ببرهان، ويحتمل أن فرعون اللعين أراد بقوله: {أو أن يظهر في الأرض الفساد}: قتل أبنائهم أي: يقتل موسى أبناءكم مجازاة لما قتلتم أنتم أبناءهم"(٤٢٠).

قال مقاتل:" يعني بالفساد: أن يقتل أبناءكم ويستحيى نساءكم كما فعلتم بقومه يفعله بكم"(٤٢١).

قال الصابوني:" أي: أو أن يثير الفتن والقلاقل في بلدكم، ويكون بسببه الهرجُ، وهذا كما قال المثل: «صار فرعون واعظاً»"(٤٢٢).

قال الزمخشري: " الفساد في الأرض: التفاتن والتهارج الذي يذهب معه الأمن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش، ويهلك الناس قتلا وضياعا، كأنه قال: إني أخاف أن يفسد عليكم دينكم بدعوتكم إلى دينه. أو يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه"(٤٢٣).

وقرئ: «وأن يظهر في الأرض الفساد»، بغير ألف(٤٢٤).

قال الزجاج:" معنى «أو»: وقوع أحد الشيئين، فالمعنى على «أو»: أن فرعون قال: إني أخاف أن يبدل دينكم أو يفسد، فجعل طاعة الله تعالى هي الفساد، فيكون المعنى: إني أخاف أن يبطل دينكم ألبتة، فإن لم يبطله أوقع فيه الفساد. ومن قرأ: «وأن»، فيكون المعنى: أخاف إبطال دينكم والفساد معه"(٤٢٥).

القرآن

{وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٧)} [غافر : ٢٧]

التفسير:

وقال موسى لفرعون وملئه: إني استجرت بربي وربكم -أيها القوم- من كل مستكبر عن توحيد الله وطاعته، لا يؤمن بيوم يحاسب الله فيه خلقه.

قوله تعالى:{وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ} [غافر : ٢٧]، أي:" وقال موسى لفرعون وملئه: إني استجرت بربي وربكم -أيها القوم-"(٤٢٦).

قال الطبري: يقول:" وقال موسى لفرعون وملئه: إني استجرت أيها القوم بربي وربكم"(٤٢٧).

قال السمعاني:" قال أهل التفسير: لما سمع موسى كلام فرعون استعاذ بالله والتجأ إليه، وقال: {إني عذت بربي وربكم}"(٤٢٨).

قال ابن كثير:" لما بلغه قول فرعون:{ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى}، قال موسى :استجرتُ بالله وعُذْتُ به، ولهذا جاء في الحديث عن أبي موسى ، رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خاف قوما قال : «اللهم ، إنا نعوذ بك من شرورهم ، وندرأ بك في نحورهم»(٤٢٩)"(٤٣٠).

---

(٤٢٠) تأويلات أهل السنة: ٢١/٩.
(٤٢١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١١/٣.
(٤٢٢) صفوة التفاسير:٩٢/٣.
(٤٢٣) الكشاف: ١٦١/٤.
(٤٢٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٤/٢١.
(٤٢٥) معاني القرآن: ٣٧١/٤.
(٤٢٦) التفسير الميسر: ٤٦٩.
(٤٢٧) تفسير الطبري: ٣٧٥/٢١.
(٤٢٨) تفسير السمعاني: ١٦/٥.
(٤٢٩)رواه أحمد في مسنده (٤١٤/٤).
(٤٣٠) تفسير ابن كثير: ١٣٩/٧-١٤٠.

قال الزمخشري: " لما سمع موسى عليه السلام بما أجراه فرعون من حديث قتله: قال لقومه: {إِنِّي عُذْتُ} بالله الذي هو ربى وربكم، وقوله: {وَرَبِّكُمْ} فيه بعث لهم على أن يقتدوا به، فيعوذوا بالله عياذه، ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه"(٤٣١).

قال البيضاوي:" صدر الكلام بأن تأكيدا وإشعارا على أن السبب المؤكد في دفع الشر هو العياذ بالله، وخص اسم الرب لأن المطلوب هو الحفظ والتربية، وإضافته إليه وإليهم حثا لهم على موافقته لما في تظاهر الأرواح من استجلاب الإجابة"(٤٣٢).

قوله تعالى:{مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ} [غافر : ٢٧]، أي:" من كل مستكبر عن توحيد الله وطاعته، لا يؤمن بيوم يحاسب الله فيه خلقه"(٤٣٣).

قال الطبري: يقول:" من كل متكبر عليه، تكبر عن توحيده، والإقرار بألوهيته وطاعته، لا يؤمن بيوم يحاسب الله فيه خلقه، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بما أساء; وإنما خص موسى صلوات الله وسلامه عليه، الاستعاذة بالله ممن لا يؤمن بيوم الحساب، لأن من لم يؤمن بيوم الحساب مصدقا، لم يكن للثواب على الإحسان راجيا، ولا للعقاب على الإساءة، وقبيح ما يأتي من الأفعال خائفا، ولذلك كان استجارته من هذا الصنف من الناس خاصة"(٤٣٤).

قال مقاتل:" {من كل متكبر}، يعني: متعظم عن الإيمان، يعني: التوحيد، {لا يؤمن بيوم الحساب}، يعني: فرعون لا يصدق بيوم يدان بين العباد"(٤٣٥).

قال ابن كثير:" {مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ} أي : عن الحق ، مجرم ، {لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ}"(٤٣٦).

قال السمعاني:" ويوم الحساب: يوم القيامة"(٤٣٧).

قال الماتريدي:" يحتمل قوله: {من كل متكبر}، أي: متكبر على التوحيد، ويحتمل متكبر على الرسل لا يؤمن بما يدعوه الرسول إلى الإيمان بيوم الحساب"(٤٣٨).

قال الزمخشري: " قال: {مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ}، لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة، وليكون على طريقة التعريض، فيكون أبلغ، وأراد بالتكبر: الاستكبار عن الإذعان للحق، وهو أقبح استكبار وأدله على دناءة صاحبه ومهانة نفسه، وعلى فرط ظلمه وعسفه، وقال لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسابِ لأنه إذا اجتمع في الرجل التجبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة، فقد استكمل أسباب القسوة والجرأة على الله وعباده، ولم يترك عظيمة إلا ارتكبها"(٤٣٩).

قال السعدي:" فمنعه الله تعالى بلطفه من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب، وقيض له من الأسباب ما اندفع به عنه شر فرعون وملئه"(٤٤٠).

وقرئ: «عت»، بالإدغام(٤٤١).

فوائد الآيات:[٢٣-٢٧]:

١- تسلية الرسول وحمله على الصبر والتحمل وهو في أشد الظروف صعوبة.

٢- عدم تورع الظلمة في كل زمان عن الكذب وتلفيق التهم للأبرياء.

٣- التهديد بالقتل شنشنة الجبارين والطغاة في العالم.

٤- أحسن ملاذ للمؤمن من كل خوف هو الله تعالى رب المستضعفين.

---

(٤٣١) الكشاف: ١٦١/٤.
(٤٣٢) تفسير البيضاوي: ٥٥/٥-٥٦.
(٤٣٣) التفسير الميسر: ٤٦٩.
(٤٣٤) تفسير الطبري: ٣٧٥/٢١.
(٤٣٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١١/٣.
(٤٣٦) تفسير ابن كثير: ١٣٩/٧.
(٤٣٧) تفسير السمعاني: ١٦/٥.
(٤٣٨) تأويلات أهل السنة: ٢١/٩.
(٤٣٩) الكشاف: ١٦١/٤.
(٤٤٠) تفسير السعدي: ٧٣٦.
(٤٤١) انظر: الكشاف: ١٦١/٤.

القرآن

{وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨)} [غافر : ٢٨]

التفسير:

وقال رجل مؤمن بالله من آل فرعون، يكتم إيمانه منكرًا على قومه: كيف تستحلون قَتْلَ رجل لا جرم له عندكم إلا أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبراهين القاطعة مِن ربكم على صِدْق ما يقول؟ وإن يك موسى كاذبًا فإنَّ وبالَ كذبه عائد عليه وحده، وإن يك صادقًا لحقكم بعض الذي يتوعَّدكم به، إن الله لا يوفق للحق مَن هو متجاوز للحد، بترك الحق والإقبال على الباطل، كذَّاب بنسبته ما أسرف فيه إلى الله.

قوله تعالى:{وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ} [غافر : ٢٨]، أي:" وقال رجل مؤمن بالله من آل فرعون، يكتم إيمانه منكرًا على قومه: كيف تستحلون قَتْلَ رجل لا جرم له عندكم إلا أن يقول ربي الله"(٤٤٢).

قال النحاس:" يجوز أن يكون المعنى: وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون. على التقديم والتأخير، ويجوز أن يكون المعنى: وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه"(٤٤٣).

قال ابن كثير:" كان هذا الرجلُ يكتم إيمانه عن قومه القبط ، فلم يظهر إلا هذا اليوم حين قال فرعون : {ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى} ، فأخذت الرجل غضبة لله عز وجل ، و"أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر" ، كما ثبت بذلك الحديث ، ولا أعظم من هذه الكلمة عند فرعون وهي قوله : {أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ} أي : لأجل أن يقول ربي الله، اللهم إلا ما رواه البخاري في صحيحه .... عن عروة بن الزبير قال : «قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص : أخبرني بأشد شيء مما صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عُقْبة بن أبي مُعَيط ، فأخذ بمَنْكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولَوَى ثوبه في عنقه ، فخنقه خنقًا شديدا ، فأقبل أبو بكر ، رضي الله عنه ، فأخذ بمنكبة ودَفَع عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: {أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ}»(٤٤٤)"(٤٤٥).

واختلف أهل العلم في هذا الرجل المؤمن، على أقوال:

أحدها : أنه كان ابن عم فرعون، قال وهو الذي نجا مع موسى. قاله السدي(٤٤٦).

قال الطبري: كان" الرجل المؤمن من آل فرعون، قد أصغى لكلامه، واستمع منه ما قاله، وتوقف عن قتل موسى عند نهيه عن قتله"(٤٤٧).

قال الحسن:" قد كان مؤمنًا قبل أن يأتيهم موسى"(٤٤٨).

قال وهْب بن مُنَبِّه: "{وقالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِن آلِ فِرْعَوْنَ}، اسمه: حزيقال"(٤٤٩).

عن أبي إسحاق السبيعي، قال: "كان اسم الرجل الذي آمن مِن آل فرعون: حبيب"(٤٥٠).

---

(٤٤٢) التفسير الميسر: ٤٧٠.

(٤٤٣) معاني القرآن: ٣١٥/٦.

(٤٤٤)صحيح البخاري برقم (٤٨١٥).

(٤٤٥) تفسير ابن كثير: ١٤٠/٧.

(٤٤٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٥/٢١.

(٤٤٧) تفسير الطبري: ٣٧٦/٢١.

(٤٤٨)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ١٣١ -.

(٤٤٩)تفسير الثعلبي ٨/ ٢٧٣. وفي طبعة دار التفسير ٢٣/ ١٩٩: خربيال.

(٤٥٠) أخرجه الثعلبي: ١٩٩/٢٣، وسنده حسن، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حُمَيد.

عن محمد بن إسحاق:" أن اسم هذا الرجل المؤمن من آل فرعون: خبرك"[٤٥١]. وفي رواية:" كان اسمه: جبران"[٤٥٢]. وفي رواية:" جبريل"[٤٥٣].

الثاني : أنه كان من ولي العهد لفرعون، وكان يكون له من بعده. قاله الكلبي[٤٥٤].

الثالث: أنه كان من بني إسرائيل، ولكنه كان يكتم إيمانه من آل فرعون. حكاه الطبري[٤٥٥].

وعلى هذا القول في الآية تقديم وتأخير، فمعناه: وقال رجل يكتم إيمانه من آل فرعون.

الرابع: أنه كان قبطياً من جنسه ولم يكن من أهله ، قاله مقاتل[٤٥٦].

قال مقاتل:" يعني: قبطي مثل فرعون، يكتم إيمانه مائة سنة حتى سمع قول فرعون في قتل موسى- عليه السلام- فقال المؤمن: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله"[٤٥٧].

قال ابن كثير:" المشهور أن هذا الرجل المؤمن كان قِبْطيًا من آل فرعون"[٤٥٨].

قال الزجاج:" كان أن يسمى سمعان، وقيل: كان اسمه حبيبا"[٤٥٩].

وقال ابن جُرَيج عن ابن عباس : "لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل وامرأة فرعون ، والذي قال : {يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ} [القصص : ٢٠]"[٤٦٠].

قوله تعالى:{وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ} [غافر : ٢٨]، أي:" وقد جاءكم بالبراهين القاطعة مِن ربكم على صِدْق ما يقول"[٤٦١].

قال الزجاج:" أي: بما يدل على صدقه من آيات النبوة"[٤٦٢].

قال ابن كثير:" أي : كيف تقتلون رجلا لكونه يقول : «ربي الله»، وقد أقام لكم البرهان على صدق ما جاءكم به من الحق؟"[٤٦٣].

قال الطبري:" تلك البينات من الآيات يده وعصاه"[٤٦٤].

عن ابن إسحاق: "{وقد جاءكم بالبينات من ربكم}، بعصاه وبيده"[٤٦٥].

قوله تعالى:{وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ} [غافر : ٢٨]، أي:" وإن يك موسى كاذبًا فإنَّ وبالَ كذبه عائد عليه وحده"[٤٦٦].

قال الطبري:" يقول: وإن يك موسى كاذبا في قيله: إن الله أرسله إليك يأمركم بعبادته، وترك دينكم الذي أنتم عليه، فإنما إثم كذبه عليه دونكم"[٤٦٧].

قال الزجاج:" أي: فلا يضركم"[٤٦٨].

---

(٤٥١)ذكر محققوه أن في بعض النسخ: جبريل، وفي البعض الآخر: حمويل. وفي تاريخ ابن جرير: حبرك.

(٤٥٢)تفسير البغوي ٧/ ١٤٦. وفي تفسير الثعلبي ٨/ ٢٧٣: خبرل، وفي طبعة دار التفسير ٢٣/ ١٩٩: جبريل.

(٤٥٣) أخرجه الطبري: ٣٧٦/٢١.

(٤٥٤) نقلا عن تفسير السمعاني: ١٦/٥.

(٤٥٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٦/٢١.

(٤٥٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٧١١/٣.

(٤٥٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٧١١/٣.

(٤٥٨) تفسير ابن كثير: ١٤٠/٧.

(٤٥٩) معاني القرآن: ٣٧١/٤.

(٤٦٠) رواه ابن ابي حاتم كما في في تفسير ابن كثير: ١٤٠/٧.

(٤٦١) التفسير الميسر: ٤٧٠.

(٤٦٢) معاني القرآن: ٣٧١/٤.

(٤٦٣) تفسير ابن كثير: ١٤١/٧.

(٤٦٤) تفسير الطبري: ٣٧٦/٢١.

(٤٦٥) أخرجه الطبري: ٣٧٦/٢١.

(٤٦٦) التفسير الميسر: ٤٧٠.

(٤٦٧) تفسير الطبري: ٣٧٦/٢١-٣٧٧.

(٤٦٨) معاني القرآن: ٣٧١/٤.

قال ابن كثير:" يعني : إذا لم يظهر لكم صحة ما جاءكم به ، فمن العقل والرأي التام والحزم أن تتركوه ونفسه ، فلا تؤذوه ، فإن يك كاذبا فإن الله سيجازيه على كذبه بالعقوبة في الدنيا والآخرة"(٤٦٩).

قوله تعالى:{وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ} [غافر : ٢٨]، أي:" وإن يك صادقًا لحقكم بعض الذي يتوعَّدكم به"(٤٧٠).

قال الطبري:" يقول: وإن يك صادقا في قيله ذلك، أصابكم الذي وعدكم من العقوبة على مقامكم على الدين الذي أنتم عليه مقيمون، فلا حاجة بكم إلى قتله، فتزيدوا ربكم بذلك إلى سخطه عليكم بكفركم سخطا"(٤٧١).

قال ابن كثير: يعني: " وإن يك صادقا وقد آذيتموه يصبكم بعض الذي يعدكم ، فإنه يتوعدكم إن خالفتموه بعذاب في الدنيا والآخرة ، فمن الجائز عندكم أن يكون صادقا ، فينبغي على هذا ألا تتعرضوا له ، بل اتركوه وقومه يدعوهم ويتبعونه. وهكذا أخبر الله تعالى عن موسى ، عليه السلام ، أنه طلب من فرعون وقومه الموادعة في قوله : {وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ. أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ. وَأَنْ لا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ. وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ. وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ} [الدخان : ١٧ - ٢١] وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش أن يتركوه يدعو إلى الله تعالى عباد الله ، ولا يمسوه بسوء ، وأن يصلوا ما بينه وبينهم من القرابة في ترك أذيته ، قال الله تعالى : {قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} [الشورى : ٢٣] أي : إلا ألا تؤذوني فيما بيني وبينكم من القرابة ، فلا تؤذوني وتتركوا بيني وبين الناس. وعلى هذا وقعت الهدنة يوم الحديبية ، وكان فتحًا مبينًا"(٤٧٢).

قال الزجاج:" وهذا من لطيف المسائل، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا وعد وعدا وقع الوعد بأسره، لم يقع بعضه، فالسؤال في هذا من أين جاز أن يقول بعض الذي يعدكم، وحق اللفظ كل الذي يعدكم فهذا باب من النظر يذهب فيه المناظر إلى الزام الحجة بأيسر ما في الأمر، وليس في هذا نفي إصابة الكل، ومثل هذا قول الشاعر(٤٧٣):

قَدْ يُدْرِكُ الْمَتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ ... وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

إنما ذكر البعض ليوجب له الكل، لا أن البعض هو الكل ولكن للقائل إذا قال أقل ما يكون للمتأني إدراك بعض الحاجة، وأقل ما يكون للمستعجل الزلل، فقد أبان فضل المتأني على المستعجل بما لا يقدر الخصم أن يدفعه. وكان مؤمن آل فرعون قال لهم: أقل ما يكون في صدقه أن يصيبكم بعض الذي يعدكم، وفي بعض ذلك هلاككم، فهذا تأويله والله أعلم"(٤٧٤).

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ} [غافر : ٢٨]، أي:" إن الله لا يوفق للحق مَن هو متجاوز للحد، بترك الحق والإقبال على الباطل، كذَّاب بنسبته ما أسرف فيه إلى الله"(٤٧٥).

قال الطبري:" يقول: إن الله لا يوفق للحق من هو متعد إلى فعل ما ليس له فعله، كذاب عليه يكذب، ويقول عليه الباطل وغير الحق"(٤٧٦).

---

(٤٦٩) تفسير ابن كثير: ١٤١/٧.
(٤٧٠) التفسير الميسر: ٤٧٠.
(٤٧١) تفسير الطبري: ٣٧٧/٢١.
(٤٧٢) تفسير ابن كثير: ١٤١/٧.
(٤٧٣) البيت للقطامي في ديوانه: ٢ من قصيدة طويلة، وبعده:
والناس من يلق خيرا قائلون له ... ما يشتهي ولأم المخطئ الهبل.
(٤٧٤) معاني القرآن: ٣٧٢/٤.
(٤٧٥) التفسير الميسر: ٤٧٠.
(٤٧٦) تفسير الطبري: ٣٧٧/٢١.

قال ابن كثير: أي : لو كان هذا الذي يزعم أن الله أرسله إليكم كاذبا كما تزعمون ، لكان أمره بينا ، يظهر لكل أحد في أقواله وأفعاله ، كانت تكون في غاية الاختلاف والاضطراب ، وهذا نرى أمره سديدا ومنهجه مستقيما ، ولو كان من المسرفين الكذابين لما هداه الله ، وأرشده إلى ما ترون من انتظام أمره وفعله"(٤٧٧).

عن قتادة: "{إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب}: مشرك أسرف على نفسه بالشرك"(٤٧٨).

وقال السدي:" المسرف: هو صاحب الدم، ويقال: هم المشركون"(٤٧٩).

القرآن

{يَاقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩)} [غافر : ٢٩]

التفسير:

يا قوم لكم السلطان اليوم ظاهرين في أرض «مصر» على رعيتكم من بني إسرائيل وغيرهم، فمَن يدفع عنا عذاب الله إن حلَّ بنا؟ قال فرعون لقومه مجيبًا: ما أريكم -أيها الناس- من الرأي والنصيحة إلا ما أرى لنفسي ولكم صلاحًا وصوابًا، وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصواب.

قوله تعالى:{يَاقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ} [غافر : ٢٩]، أي:" يا قوم لكم السلطان اليوم ظاهرين في أرض «مصر» على رعيتكم من بني إسرائيل وغيرهم"(٤٨٠).

قال يحيى:" يعني غالبين على أهل مصر في القهر لهم"(٤٨١).

قال الطبري:" يقول: لكم السلطان اليوم والملك ظاهرين أنتم على بنى إسرائيل في أرض مصر"(٤٨٢).

قال ابن كثير:" أي : قد أنعم الله عليكم بهذا الملك والظهور في الأرض بالكلمة النافذة والجاه العريض ، فراعوا هذه النعمة بشكر الله ، وتصديق رسوله صلى الله عليه وسلم ، واحذروا نقمة الله إن كذبتم رسوله"(٤٨٣).

قال الزجاج:" أعلمهم الله أن لهم الملك في حال ظهورهم على جميع الناس"(٤٨٤).

عن السدي: {يَاقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ}،قال: "غالبين على أرض مصر قاهرين لأهلها"(٤٨٥).

قوله تعالى:{فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا} [غافر : ٢٩]، أي:" فمَن يدفع عنا عذاب الله إن حلَّ بنا"(٤٨٦).

قال الطبري:" يقول: فمن يدفع عنا بأس الله وسطوته إن حل بنا، وعقوبته أن جاءتنا"(٤٨٧).

قال ابن كثير:" أي : لا تغني عنكم هذه الجنود وهذه العساكر ، ولا ترد عنا شيئا من بأس الله إن أرادنا بسوء"(٤٨٨).

---

(٤٧٧) تفسير ابن كثير: ١٤١/٧.
(٤٧٨) أخرجه الطبري: ٣٧٧/٢١.
(٤٧٩) أخرجه الطبري: ٣٧٧/٢١.
(٤٨٠) التفسير الميسر: ٤٧٠.
(٤٨١)التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه:٢٨٣.
(٤٨٢) تفسير الطبري: ٣٧٨/٢١.
(٤٨٣) تفسير ابن كثير: ١٤٢/٧.
(٤٨٤) معاني القرآن: ٣٧٢/٤.
(٤٨٥) النكت والعيون: ١٥٤/٥.
(٤٨٦) التفسير الميسر: ٤٧٠.
(٤٨٧) تفسير الطبري: ٣٧٨/٢١.
(٤٨٨) تفسير ابن كثير: ١٤٢/٧.

قال الزجاج:" أعلمهم أن بأس الله لا يدفعه دافع ولا ينصر منه ناصر"(٤٨٩).

وقوله تعالى:{يَاقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا} [غافر : ٢٩]، يحتمل وجهين(٤٩٠):

أحدهما: يحتمل أن يقول ذلك بعد ما سألوه أن يتبع دينهم وما هم فيه: إني لو اتبعتكم وأجبتكم ومعكم الملك والحشم والغلبة وليس معي ذلك، فإذا جاء بأس الله وعذابه فصرتم أنتم ممتنعين عنه بما معكم، فمن ينصرنا من عذاب الله وليس معنا ذلك؟! وإن كان يعلم حقيقة أن ما معهم من الغلبة لا يمنع من عذاب الله، لكن قال ذلك بناء على اعتقادهم؛ إظهارا للعذر عندهم؛ كي لا يقدموا على قتله لصيانة حياته، ومثل هذا لا بأس به، والله أعلم.

والثاني: يقول على الرفق بهم وإظهار الموافقة لهم في الظاهر؛ يقول: إنه قد جاءنا من الله البينات ما أوضح الحق وبين السبيل، فإذا رددنا ذلك وكذبناهم جاءنا بأس الله جملة وعذابه، فمن يمنعنا عنه وينصرنا من عذابه إذا خالفنا أمره وتركنا اتباع دينه؟! على هذين القولين يخرج القول منه، والله أعلم.

قوله تعالى:{قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى} [غافر : ٢٩]، أي:" قال فرعون لقومه مجيبًا: ما أريكم -أيها الناس- من الرأي والنصيحة إلا ما أرى لنفسي ولكم صلاحًا وصوابًا"(٤٩١).

قال الضحاك:" ما أُعْلِمُكم إلا ما أعلم"(٤٩٢).

قال الطبري:" يقول: قال فرعون مجيبا لهذا المؤمن الناهي عن قتل موسى: ما رأيكم أيها الناس من الرأي والنصيحة إلا ما أرى لنفسي ولكم صلاحا وصوابا"(٤٩٣).

قال السمعاني:" يعني: ما أرشدكم إلا إلى ما أنا عليه، وما رأيت لكم من الحق"(٤٩٤).

قال ابن كثير:" {قَالَ فِرْعَوْنُ} لقومه ، رادًّا على ما أشار به هذا الرجل الصالح البار الراشد الذي كان أحق بالملك من فرعون : {مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى} أي : ما أقول لكم وأشير عليكم إلا ما أراه لنفسي وقد كذب فرعون ، فإنه كان يتحقق صدق موسى فيما جاء به من الرسالة {قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزلَ هَؤُلاءِ إِلا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ بَصَائِرَ} [الإسراء : ١٠٢] ، وقال الله تعالى : {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} [النمل : ١٤]، فقوله : {مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى} كذب فيه وافترى ، وخان الله ورسوله ورعيته ، فغشهم وما نصحهم وكذا قوله : {وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلا سَبِيلَ الرَّشَادِ}"(٤٩٥).

قوله تعالى:{وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ} [غافر : ٢٩]، أي:" وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصواب"(٤٩٦).

قال الطبري: يقول:" وما أهديكم إلا سبيل الرشاد. يقول: وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصواب في أمر موسى وقتله، فإنكم إن لم تقتلوه بدل دينكم، وأظهر في أرضكم الفساد"(٤٩٧).

قال ابن كثير:" أي : وما أدعوكم إلا إلى طريق الحق والصدق والرشد وقد كذب أيضا في ذلك ، وإن كان قومه قد أطاعوه واتبعوه ، قال الله تعالى : {فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ} [هود : ٩٧] ، وقال تعالى : {وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى} [طه : ٧٩] ، وفي

---

(٤٨٩) معاني القرآن: ٣٧٢/٤.
(٤٩٠) انظر: تأويلات أهل السنة: ٢٤/٩.
(٤٩١) التفسير الميسر: ٤٧٠.
(٤٩٢)تفسير الثعلبي ٨/ ٢٧٤.
(٤٩٣) تفسير الطبري: ٣٧٨/٢١.
(٤٩٤) تفسير السمعاني: ١٧/٥-١٨.
(٤٩٥) تفسير ابن كثير: ١٤٢/٧.
(٤٩٦) التفسير الميسر: ٤٧٠.
(٤٩٧) تفسير الطبري: ٣٧٨/٢١.

الحديث : «ما من إمام يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته ، إلا لم يَرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام»[٤٩٨]"[٤٩٩].
وعن معاذ بن جبل أنه قرأ:«إلا سبيل الرشاد»، بتشديد الشين[٥٠٠].
قال السمعاني: أي: سبيل الله، والرشاد: هو الله تعالى"[٥٠١].
فوائد الآيتين:[٢٨-٢٩]:
١- فضل الإيمان وفضل صاحبه فقد ورد الثناء على هذا الرجل في ثلاثة رجال هم مؤمن آل فرعون هذا، وحبيب النجار مؤمن آل ياسين وأبو بكر الصديق رضي الله عنه.
٢- فصاحة مؤمن آل فرعون هي ثمرة إيمانه وبركته العاجلة فإن لكلماته وقع كبير في النفوس.
٣- التنديد بالإسراف في كل شيء والكذب والافتراء في كل شيء وعلى أي شيء.
٤- من عجيب أمر فرعون ادعاؤه أنه يهدي إلى الرشد والسداد والصواب في القول والعمل، حتى ضرب به المثل فقيل: فرعون يهدي إلى الرشد.

القرآن

{وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (٣٠)} [غافر : ٣٠]

التفسير:
وقال الرجل المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه واعظًا ومحذرًا: إني أخاف عليكم إن قتلتم موسى، مثل يوم الأحزاب الذين تحزَّبوا على أنبيائهم.
قال الطبري: " وقال المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه: يا قوم إني أخاف عليكم بقتلكم موسى إن قتلتموه مثل يوم الأحزاب الذين تحزبوا على رسل الله نوح وهود وصالح، فأهلكهم الله بتجرئهم عليه، فيهلككم كما أهلكهم"[٥٠٢].
قال السعدي:" {وَقَالَ الَّذِي آمَنَ} مكررًا دعوة قومه غير آيس من هدايتهم، كما هي حالة الدعاة إلى الله تعالى، لا يزالون يدعون إلى ربهم، ولا يردهم عن ذلك راد، ولا يثنيهم عتو من دعوه عن تكرار الدعوة فقال لهم: {يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأحْزَابِ} يعني الأمم المكذبين، الذين تحزبوا على أنبيائهم، واجتمعوا على معارضتهم"[٥٠٣].
قال ابن كثير:" هذا إخبار من الله ، عز وجل ، عن هذا الرجل الصالح ، مؤمن آل فرعون : أنه حذر قومه بأس الله في الدنيا والآخرة فقال : {يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأحْزَابِ} أي : الذين كذبوا رسل الله في قديم الدهر ، كقوم نوح وعاد وثمود ، والذين من بعدهم من الأمم المكذبة ، كيف حل بهم بأس الله ، وما رده عنهم راد ، ولا صده عنهم صاد"[٥٠٤].

القرآن

{مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (٣١)} [غافر : ٣١]

التفسير:
مثلَ عادة قوم نوح وعاد وثمود ومَن جاء بعدهم في الكفر والتكذيب، أهلكهم الله بسبب ذلك. وما الله سبحانه يريد ظلمًا للعباد، فيعذبهم بغير ذنب أذنبوه. تعالى الله عن الظلم والنقص علوًا كبيرًا.

---

(٤٩٨)رواه البخاري في صحيحه برقم (٧١٥٠ ، ٧١٥١) ومسلم في صحيحه برقم (١٤٢) بنحوه من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه.
(٤٩٩) تفسير ابن كثير: ١٤٢/٧.
(٥٠٠) نقلا عن: تفسير السمعاني: ١٨/٥.
(٥٠١) انظر: تفسير السمعاني: ١٨/٥.
(٥٠٢) تفسير الطبري: ٣٧٨/٢١.
(٥٠٣) تفسير السعدي: ٧٣٦.
(٥٠٤) تفسير ابن كثير: ١٤٢/٧.

قوله تعالى:{مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ} [غافر : ٣١]، أي:" مثلَ عادة قوم نوح وعاد وثمود ومَن جاء بعدهم في الكفر والتكذيب، أهلكهم الله بسبب ذلك"[٥٠٥].

قال الطبري: " يقول: يفعل ذلك بكم فيهلككم مثل سنته في قوم نوح وعاد وثمود وفعله بهم، {والذين من بعدهم}، يعني: قوم إبراهيم، وقوم لوط، وهم أيضا من الأحزاب"[٥٠٦].

قال السعدي:" أي: مثل عادتهم في الكفر والتكذيب وعادة الله فيهم بالعقوبة العاجلة في الدنيا قبل الآخرة"[٥٠٧].

عن ابن عباس: "{مثل دأب قوم نوح}، يقول: مثل حال"[٥٠٨].

قال ابن زيد:" مثل ما أصابهم"[٥٠٩].

عن قتادة: "{والذين من بعدهم}، قال: هم الأحزاب"[٥١٠].

قوله تعالى:{وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ} [غافر : ٣١]، أي:" وما الله سبحانه يريد ظلمًا للعباد، فيعذبهم بغير ذنب أذنبوه"[٥١١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه: وما أهلك الله هذه الأحزاب من هذه الأمم ظلما منه لهم بغير جرم اجترموه بينهم وبينه، لأنه لا يريد ظلم عباده، ولا يشاؤه، ولكنه أهلكهم بإجرامهم وكفرهم به، وخلافهم أمره"[٥١٢].

قال ابن كثير:" أي : إنما أهلكهم الله بذنوبهم ، وتكذيبهم رسله ، ومخالفتهم أمره. فأنفذ فيهم قدره"[٥١٣].

قال الزمخشري:" يعنى: أن تدميرهم كان عدلا وقسطا، لأنهم استوجبوه بأعمالهم، وهو أبلغ من قوله تعالى: {وَما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ}، حيث جعل المنفي إرادة الظلم، لأنّ من كان عن إرادة الظلم بعيدا، كان عن الظلم أبعد"[٥١٤].

القرآن

{وَيَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢)} [غافر : ٣٢]

التفسير:

ويا قوم إني أخاف عليكم عقاب يوم القيامة، يوم ينادي فيه بعض الناس بعضًا; من هول الموقف في ذلك اليوم.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذا المؤمن لفرعون وقومه: {ويا قوم إني أخاف عليكم} بقتلكم موسى إن قتلتموه عقاب الله يوم ينادي الناس بعضهم بعضا، إما من هول ما قد عاينوا من عظيم سلطان الله، وفظاعة ما غشيهم من كرب ذلك اليوم، وإما لتذكير بعضُهم بعضا إنجاز الله إياهم الوعد الذي وعدهم في الدنيا، واستغاثة من بعضهم ببعض، مما لقي من عظيم البلاء فيه"[٥١٥].

وفي قوله تعالى:{يَوْمَ التَّنَادِ}[غافر : ٣٢]، وجهان من القراءة:

---

(٥٠٥) التفسير الميسر: ٤٧٠.
(٥٠٦) تفسير الطبري: ٣٧٨/٢١، ٣٧٩.
(٥٠٧) تفسير السعدي: ٧٣٦.
(٥٠٨) أخرجه الطبري: ٣٧٨/٢١.
(٥٠٩) اخرجه الطبري: ٣٧٨/٢١-٣٧٩.
(٥١٠) أخرجه الطبري: ٣٧٩/٢١.
(٥١١) التفسير الميسر: ٤٧٠.
(٥١٢) تفسير الطبري: ٣٧٩/٢١.
(٥١٣) تفسير ابن كثير: ١٤٣/٧.
(٥١٤) الكشاف: ١٦٥/٤.
(٥١٥) تفسير الطبري: ٣٧٩/٢١، ٣٨٢.

أحدهما: «التَّنادِّ»، بتشديد الدال. قرأ بها أبو بكر الصِّدِّيق، وابن عباس، وسعيد بن المسيب، وابن جبير، وأبو العالية، والضحاك[٥١٦]، والكلبي[٥١٧].

قال الزجاج:" من قرأ:«يوم التَنادِّ» بتشديد الدال، فهو من قولهم: نَدَّ فلان، ونَدَّ البعير: إذا هرب على وجهه، ومما يدل على هذا قوله: {يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ} [غافر : ٣٣]، وقوله: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥)} [عبس : ٣٤ - ٣٥]"[٥١٨].

قال ابن قتيبة: يقال: ندَّت الإبل؛ إذا شردتْ وذهبتْ"[٥١٩].

وكان الكلبي: "ينِدّون كما ينِدّ البعير"[٥٢٠].

الثاني: «التَّنادِ» بغير ياء، قرأ بها عاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي. وأثبت الياء في الوصل والوقف ابن كثير، ويعقوب، وافقهم أبو جعفر في الوصل[٥٢١].

ورُوِي عن الحسن البصري أنه قرأ:«يَوْمَ التَّنَادِي»، بإثبات الياء وتخفيف الدال"[٥٢٢].

قال الزجاج:" الأصل: «التنادي»، وإثبات الياء الوجه، وحذفها حسن جميل، لأن الكسرة تدل عليها الياء وهو رأس آية، وأواخر هذه الآيات على الدال"[٥٢٣].

وأما قراءة التخفيف، فهي من:«النداء»، وفيها للمفسرين أقوال:

أحدها: أنه عند نفخة الفزع ينادي الناس بعضهم بعضا. رواه ابو هريرة عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-.[٥٢٤] وبه قال ابن قتيبة[٥٢٥].

روي عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى، فيقول: انفخ نفخة الفزع، ففزع أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله، ويأمره الله أن يديمها ويطولها فلا يفتر، وهي التي يقول الله: {وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلاءِ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ} فيسير الله الجبال فتكون سرابا، فترج الأرض بأهلها رجا، وهي التي يقول الله: {يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ} فتكون كالسفينة المرتعة في البحر تضربها الأمواج تكفأ بأهلها، أو كالقنديل المعلق بالعرش ترجه الأرواح، فتميد الناس على ظهرها، فتذهل المراضع، وتضع الحوامل، وتشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة حتى تأتي الأقطار، فتلقاها الملائكة، فتضرب وجوهها، فترجع ويولي الناس مدبرين، ينادي بعضهم بعضا، وهو الذي يقول الله: {يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ}"[٥٢٦].

---

(٥١٦) انظر: زاد المسير: ٣٦/٤.
(٥١٧) نقلا عن: النكت والعيون: ١٥٥/٥.
(٥١٨) معاني القرآن: ٣٧٣/٤.
(٥١٩) غريب القرآن: ٣٨٦.
(٥٢٠) نقلا عن: النكت والعيون: ١٥٥/٥.
(٥٢١) انظر: زاد المسير: ٣٦/٤.
(٥٢٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٨١/٢١.
(٥٢٣) معاني القرآن: ٣٧٣/٤.
(٥٢٤) سوف ياتي الحديث وتخريجه.
(٥٢٥) انظر: غريب القرآن: ٣٨٦.
(٥٢٦) أخرجه الطبري: ٣٨٠/٢١-٣٨١. والحديث أخرجه الطبراني في «الطوال» ٣٦، وأبو الشيخ في «العظمة ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٣٩٠ والبيهقي في «البعث» ٦٦٨ و ٦٦٩ والطبري ٢/ ٣٣٠ و ٣٣١ و ١٧/ ١٠ و ٢٤/ ٣٠ و ٦١ و ٣٠/ ٢٦ ٣١- ٣٢. وإسحاق بن راهوية كما في «المطالب العالية» ٢٩٩١ من طرق عن إسماعيل بن رافع، وهو واه، فرواه تارة عن يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة. وتارة عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب عن أبي هريرة، وتارة عن محمد بن يزيد بن أبي زياد عن رجل من الأنصار عن محمد بن كعب عن أبي هريرة، وتارة عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة. وأيا كان فمداره على إسماعيل بن رافع ولم يتابعه على هذا الحديث بطوله أحد، وهو واه. جاء في «الميزان» ٨٧٢: ضعفه أحمد ويحيى وجماعة، وقال الدارقطني وغيره: متروك وقال ابن عدي: أحاديثه كلها مما فيه نظر اه باختصار وقد اضطرب فيه فرواه عن مجهول عن محمد بن كعب عن أبي هريرة، ومرة عن محمد بن كعب عن مجهول عن أبي هريرة، وتارة بدون واسطة وقد نص الحفاظ على وهن هذا الحديث بطوله. فقال الحافظ في «المطالب العالية» ٢٩٩١: فيه ضعف اه وقال البوصيري في ١/ ٢١: تابعيه مجهول، وجاء

وقال الضحاك: "إذا كان يوم القيامة، أمر الله السماء الدنيا فتشقَّقت بأهلها، ونزل من فيها من الملائكة، فأحاطوا بالأرض ومن عليها، ثم الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة، فصفوا صفا دون صف، ثم ينزل الملك الأعلى على مجنبته اليسرى جهنم، فإذا رآها أهل الأرض نَدُّوا فلا يأتون قطرا من أقطار الأرض إلا وجدوا السبعة صفوف من الملائكة، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه، فذلك قول الله: {إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ} وذلك قوله: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ} وقوله: {يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ}، وذلك قوله: {وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا}"[٥٢٧].

الثاني: أنه نداء أهل الجنة والنار بعضهم بعضاً كما ذكر في الأعراف[٥٢٨]. وهذا قول قتادة[٥٢٩]، ومقاتل[٥٣٠].

قال قتادة:" يوم يتنادى كل قوم بأعمالهم , فينادي أهل النار أهل الجنة, وأهل الجنة أهل النار"[٥٣١].

قال الفراء:" ومن قرأها: «التناد» -خفيفة-، أراد يوم يدعو أهل الجنة أهل النار، وأهل النار أهل الجنة، وأصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم"[٥٣٢].

الثالث: أنه ينادى فيه كلُّ أناس بإمامهم بسعادة السعداء وشقاوة الأشقياء. ذكره الزجاج[٥٣٣].

قال ابن كثير:" لأن الميزان عنده ملك، وإذا وزن عمل العبد فرجح نادى بأعلى صوته : ألا قد سعد فلان بن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا. وإن خف عمله نادى : ألا قد شقي فلان بن فلان"[٥٣٤].

الرابع: أنه قولهم: يا حسرتنا، يا ويلتنا، قاله ابن جريج[٥٣٥].

في «الفتح» ١١/ ٣٦٨- ٣٦٩ عقب حديث ٦٥١٨ ما ملخصه: وأخرجه عبد بن حميد وأبو يعلى في «الكبير» وعلي بن معبد في «الطاعة والمعصية» ومداره على إسماعيل بن رافع، واضطرب في سنده مع ضعفه، فرواه تارة عن القرظي بلا واسطة، وتارة بذكر رجل مبهم بينهما، وتارة عن القرظي عن أبي هريرة، وأخرجه إسماعيل بن أبي زياد الشامي أحد الضعفاء في «تفسيره» عن محمد بن عجلان عن محمد القرظي واعترض مغلطاي على عبد الحق في تضعيفه الحديث بإسماعيل بن رافع، وخفي عليه أن الشامي أضعف منه، ولعله سرقه من إسماعيل، فلزقه بابن عجلان وقد قال الدارقطني: يضع الحديث. وقال الحافظ ابن كثير: جمعه إسماعيل بن رافع من عدة آثار فساقه كله مساقا واحدا. وقد صحح الحديث من طريق إسماعيل بن رافع: القاضي: أبو بكر العربي في «سراجه» وتبعه القرطبي في «التذكرة» وقول عبد الحقّ في تضعيفه أولى، وضعفه قبله البيهقي اه كلام الحافظ.

وتكلم عليه أيضا ابن كثير رحمه الله في «نهاية البداية» ٢/ ٢٢٣- ٢٢٤ وخلاصة القول أنه حديث ضعيف بتمامه، وبعض ألفاظه في الصحيحين، وغيرهما، وبعضه في الكتب المعتبرة. وبعضه الآخر منكر لا يتابع عليه.

(٥٢٧) أخرجه الطبري: ٣٨١/٢١.

(٥٢٨) وهو قوله: {وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ (٤٥) وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٧) وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨) أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٤٩) وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠)} [الأعراف : ٤٤ - ٥٠].

(٥٢٩) انظر: تفسير عبدالرزاق(٢٦٧٤):ص١٤٤/٣.

(٥٣٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١٢/٣.

(٥٣١) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٦٧٤):ص١٤٤/٣.

(٥٣٢) معاني القرآن: ٨/٣.

(٥٣٣) انظر: معاني القرآن: ٣٧٣/٤، وانظر: زاد المسير: ٣٧/٤. حكاه دون نسبة.

(٥٣٤) تفسير ابن كثير: ١٤٣/٧.

الخامس: أنه سمي بذلك لمجموع ذلك.
قال البغوي:" يوم القيامة يدعى كل أناس بإمامهم وينادي بعضهم بعضا، فينادي أصحاب الجنة أصحاب النار، وأصحاب النار أصحاب الجنة، وينادى أصحاب الأعراف، وينادى بالسعادة والشقاوة، ألا إن فلان بن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا، وفلان ابن فلان قد شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدا، وينادى حين يذبح الموت: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت"(٥٣٦).
قال ابن كثير:" واختار البغوي وغيره : أنه سمي بذلك لمجموع ذلك. وهو قول حسن جيد ، والله أعلم "(٥٣٧).

القرآن
{يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣)} [غافر : ٣٣]
التفسير:
يوم تولون ذاهبين هاربين، ما لكم من الله من مانع يمنعكم وناصر ينصركم. ومَن يخذله الله ولم يوفقه إلى رشده، فما له من هاد يهديه إلى الحق والصواب.
قوله تعالى:{يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ} [غافر : ٣٣]، أي:" يوم تولون ذاهبين هاربين"(٥٣٨).
قال ابن كثير:" أي : ذاهبين هاربين، {كَلا لا وَزَرَ. إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ} [القيامة : ١١ ، ١٢]"(٥٣٩).
وفي قوله تعالى:{يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ} [غافر : ٣٣]، وجهان من التفسير:
أحدهما : مدبرين في انطلاقهم إلى النار، قاله قتادة(٥٤٠).
قال مقاتل:" يعني: بعد الحساب إلى النار ذاهبين"(٥٤١).
الثاني : مدبرين في فِرارهم من النار حتى يقذفوا فيها، قاله الضحاك(٥٤٢).
وروي عن مجاهد، قوله: "{يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ}، قال: فارّين غير معجزين"(٥٤٣).
قوله تعالى:{مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ} [غافر : ٣٣]، أي:" ما لكم من الله من مانع يمنعكم وناصر ينصركم"(٥٤٤).
قال الطبري:" يقول: ما لكم من الله مانع يمنعكم، وناصر ينصركم"(٥٤٥).
قال ابن كثير:" أي : ما لكم مانع يمنعكم من بأس الله وعذابه"(٥٤٦).
قال السعدي:" لا من أنفسكم قوة تدفعون بها عذاب الله، ولا ينصركم من دونه من أحد {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ}[الطارق: ٩-١٠]"(٥٤٧).
عن قتادة: "{مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ}، أي: من ناصر"(٥٤٨).

---

(٥٣٥) انظر: زاد المسير: ٣٧/٤.
(٥٣٦) تفسير البغوي: ١٤٧/٧.
(٥٣٧) تفسير ابن كثير: ١٤٣/٧.
(٥٣٨) التفسير الميسر: ٤٧١.
(٥٣٩) تفسير ابن كثير: ١٤٣/٧.
(٥٤٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٢/٢١.
(٥٤١) تفسير مقاتل نب سليمان: ٧١٢/٣.
(٥٤٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٨١/٢١.
(٥٤٣) أخرجه الطبري: ٣٨٢/٢١.
(٥٤٤) التفسير الميسر: ٤٧١.
(٥٤٥) تفسير الطبري: ٣٨٢/٢١.
(٥٤٦) تفسير ابن كثير: ١٤٣/٧.
(٥٤٧) تفسير السعدي: ٧٣٦.
(٥٤٨) أخرجه الطبري: ٣٨٣/٢١.

قوله تعالى:{وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [غافر : ٣٣]، أي:" ومَن يخذله الله ولم يوفقه إلى رشده، فما له من هاد يهديه إلى الحق والصواب"(٥٤٩).

قال الطبري:" يقول: ومن يخذله الله فلم يوفّقه لرشده، فما له من موفّق يوفّقه له"(٥٥٠).

قال ابن كثير:" أي : من أضله الله فلا هادي له غيره "(٥٥١).

قال السعدي:" لأن الهدى بيد الله تعالى، فإذا منع عبده الهدى لعلمه أنه غير لائق به، لخبثه، فلا سبيل إلى هدايته"(٥٥٢).

القرآن

{وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ (٣٤)} [غافر : ٣٤]

التفسير:

ولقد أرسل الله إليكم النبيَّ الكريم يوسف بن يعقوب عليهما السلام من قبل موسى، بالدلائل الواضحة على صدقه، وأمركم بعبادة الله وحده لا شريك له، فما زلتم مرتابين مما جاءكم به في حياته، حتى إذا مات ازداد شككم وشرككم، وقلتم: إن الله لن يرسل من بعده رسولا، مثل ذلك الضلال يُضِلُّ الله كل متجاوز للحق، شاكٍّ في وحدانية الله تعالى، فلا يوفقه إلى الهدى والرشاد.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ} [غافر : ٣٤]، أي:" ولقد أرسل الله إليكم النبيَّ الكريم يوسف بن يعقوب عليهما السلام من قبل موسى، بالدلائل الواضحة على صدقه، وأمركم بعبادة الله وحده لا شريك له"(٥٥٣).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ولقد جاءكم يوسف بن يعقوب يا قوم من قبل موسى بالواضحات من حجج الله"(٥٥٤).

قال ابن كثير:" يعني : أهل مصر ، قد بعث الله فيهم رسولا من قبل موسى، وهو يوسف- عليه السلام- كان عزيز أهل مصر، وكان رسولا يدعو إلى الله أمته القبط، فما أطاعوه تلك الساعة إلا لمجرد الوزارة والجاه الدنيوي "(٥٥٥).

عن السديّ: "{وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ}، قال: قبل موسى"(٥٥٦).

قال السمعاني:" هو يوسف بن يعقوب نبي الله. وعن بعضهم: أن الله تعالى أرسل إليهم يعني: إلى القبط نبيا من الجن يسمى يوسف، وهذا قول ضعيف، والصحيح هو الأول؛ لأنه أطلق ذكر يوسف، فينصرف إلى يوسف المعروف مثل إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم. وفي القصة: أن الله تعالى بعث يوسف بن يعقوب إليهم رسولا فدعاهم إلى الله تعالى، ومكث فيهم عشرين سنة بعد وفاة يعقوب عليه السلام"(٥٥٧).

قوله تعالى:{فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ} [غافر : ٣٤]، أي:" فما زلتم مرتابين مما جاءكم به في حياته"(٥٥٨).

قال الطبري:" يقول: فلم تزالوا مرتابين فيما أتاكم به يوسف من عند ربكم غير موقني القلوب بحقيقته"(٥٥٩).

---

(٥٤٩) التفسير الميسر: ٤٧١.
(٥٥٠) تفسير الطبري: ٢١/٣٨٣.
(٥٥١) تفسير ابن كثير: ٧/١٤٣.
(٥٥٢) تفسير السعدي: ٧٣٦.
(٥٥٣) التفسير الميسر: ٤٧١.
(٥٥٤) تفسير الطبري: ٢١/٣٨٣.
(٥٥٥) تفسير ابن كثير: ٧/١٤٣.
(٥٥٦) أخرجه الطبري: ٢١/٣٨٣.
(٥٥٧) تفسير السمعاني: ٥/٢٠.
(٥٥٨) التفسير الميسر: ٤٧١.
(٥٥٩) تفسير الطبري: ٢١/٣٨٣.

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا} [غافر : ٣٤]، أي:" حتى إذا مات ازداد شككم وشرككم، وقلتم: إن الله لن يرسل من بعده رسولا"[٥٦٠].

قال الطبري:" يقول: حتى إذا مات يوسف قلتم أيها القوم: لن يبعث الله من بعد يوسف إليكم رسولا بالدعاء إلى الحقّ"[٥٦١].

قال ابن كثير:" أي : يئستم فقلتم طامعين : {لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولا} وذلك لكفرهم وتكذيبهم "[٥٦٢].

قال الزجاج:" أي: أقمتم على كفركم وظننتم أنه لا يجدد عليكم إيجاب الحجة"[٥٦٣].

قال الزمخشري:" وبخهم بأن يوسف أتاكم بالمعجزات فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين كافرين {حَتَّى} إذا قبض {قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا}، حكما من عند أنفسكم من غير برهان وتقدمة عزم منكم على تكذيب الرسل، فإذا جاءكم رسول جحدتم وكذبتم بناء على حكمكم الباطل الذي أسستموه، وليس قولهم: {لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا}، بتصديق لرسالة يوسف، وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها، وإنما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم إلى تكذيب رسالته"[٥٦٤].

قال أبو حيان:" وليس هذا تصديقا لرسالته، وكيف وما زالوا في شك منه، وإنما المعنى: لا رسول من عند الله فيبعثه إلى الخلق، ففيه نفي الرسول، ونفي بعثته"[٥٦٥].

وقرئ: «ألن يبعث الله»، على إدخال همزة الاستفهام على حرف النفي، كأن بعضهم يقرّر بعضا بنفي البعث[٥٦٦].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ} [غافر : ٣٤]، أي:" مثل ذلك الضلال يُضِلُّ الله كل متجاوز للحق، شاكٍّ في وحدانية الله تعالى، فلا يوفقه إلى الهدى والرشاد"[٥٦٧].

قال الطبري:" يقول: هكذا يصد الله عن إصابة الحقّ وقصد السبيل من هو كافر به مرتاب، شاكّ فى حقيقة أخبار رسله"[٥٦٨].

قال الزجاج:" أي: مثل ذلك الضلال يضل اللّه من هو مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ: {مُسْرِفٌ}-ههنا-: كافر، و{مُرتابٌ}: شاكٌّ في أمر اللّه وأنبيائه"[٥٦٩].

قال السمعاني:" أي: مسرف على نفسه بالكفر والظلم، والمرتاب هو الشاك"[٥٧٠].

القرآن

{الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣٥)} [غافر : ٣٥]

التفسير:

الذين يخاصمون في آيات الله وحججه لدفعها من غير أن يكون لديهم حجة مقبولة، كَبُر ذلك الجدال مقتًا عند الله وعند الذين آمنوا، كما خَتَم بالضلال وحَجَبَ عن الهدى قلوب هؤلاء المخاصمين، يختم الله على قلب كل مستكبر عن توحيد الله وطاعته، جبار بكثرة ظلمه وعدوانه.

---

(٥٦٠) التفسير الميسر: ٤٧١.
(٥٦١) تفسير الطبري: ٣٨٣/٢١.
(٥٦٢) تفسير ابن كثير: ١٤٣/٧.
(٥٦٣) معاني القرىن: ٣٧٤/٤.
(٥٦٤) الكشاف: ١٦٦/٤.
(٥٦٥) البحر المحيط: ٢٥٧/٩-٢٥٨.[بتصرف]
(٥٦٦) انظر: الكشاف: ١٦٦/٤.
(٥٦٧) التفسير الميسر: ٤٧١.
(٥٦٨) تفسير الطبري: ٣٨٣/٢١.
(٥٦٩) معاني القرىن: ٣٧٤/٤.
(٥٧٠) تفسير السمعاني: ٢٠/٥.

قوله تعالى:{الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ} [غافر : ٣٥]، أي:" الذين يخاصمون في آيات الله وحججه لدفعها من غير أن يكون لديهم حجة مقبولة"(٥٧١).

قال الطبري:أي:" الذين يخاصمون في حججه التي أتتهم بها رسله ليدحضوها بالباطل من الحُجَج، بغير حجة أتتهم من عند ربهم يدفعون بها حقيقة الحُجَج التي أتتهم بها الرسل"(٥٧٢).

قال ابن كثير:" أي : الذين يدفعون الحق بالباطل ، ويجادلون الحجج بغير دليل وحجة معهم من الله"(٥٧٣).

قال السعدي:" ذكر وصف المسرف الكذاب فقال: {الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ} التي بينت الحق من الباطل، وصارت -من ظهورها- بمنزلة الشمس للبصر، فهم يجادلون فيها على وضوحها، ليدفعوها ويبطلوها {بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ} أي: بغير حجة وبرهان، وهذا وصف لازم لكل من جادل في آيات الله، فإنه من المحال أن يجادل بسلطان، لأن الحق لا يعارضه معارض، فلا يمكن أن يعارض بدليل شرعي أو عقلي أصل"(٥٧٤).

عن أبي مالك، ومحمد بن كعب، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والضحاك، والنضر بن عربي:" كل سلطان في القرآن حجة"(٥٧٥).

قوله تعالى:{كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا} [غافر : ٣٥]، أي:" كَبُر ذلك الجدال مقتًا عند الله وعند الذين آمنوا"(٥٧٦).

قال الطبري:" يقول: كبر ذلك الجدال الذي يجادلونه في آيات الله مقتا عند الله، {وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا} بالله"(٥٧٧).

قال ابن كثير:" فإن الله يمقت على ذلك أشد المقت، والمؤمنون أيضا يُبغضُون من تكون هذه صفته"(٥٧٨).

قال السعدي:" {كَبُرَ} ذلك القول المتضمن لرد الحق بالباطل {مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا} فالله أشد بغضًا لصاحبه، لأنه تضمن التكذيب بالحق والتصديق بالباطل ونسبته إليه، وهذه أمور يشتد بغض الله لها ولمن اتصف بها، وكذلك عباده المؤمنون يمقتون على ذلك أشد المقت موافقة لربهم، وهؤلاء خواص خلق الله تعالى، فمقتهم دليل على شناعة من مقتوه"(٥٧٩).

قوله تعالى:{كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ} [غافر : ٣٥]، أي:" كما خَتَم بالضلال وحَجَبَ عن الهدى قلوب هؤلاء المخاصمين، يختم الله على قلب كل مستكبر عن توحيد الله وطاعته، جبار بكثرة ظلمه وعدوانه"(٥٨٠).

قال الطبري:" يقول: كما طبع الله على قلوب المسرفين الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم، كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر على الله أن يوحده، ويصدّق رسله. جبار: يعني متعظم عن اتباع الحق"(٥٨١).

قال ابن كثير:" فإن من كانت هذه صفته ، يطبع الله على قلبه ، فلا يعرف بعد ذلك معروفًا، ولا ينكر منكرًا؛ ولهذا قال : {كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ} أي : على اتباع الحق {جَبَّارٍ}"(٥٨٢).

---

(٥٧١) التفسير الميسر: ٤٧١.
(٥٧٢) تفسير الطبري: ٣٨٤/٢١.
(٥٧٣) تفسير ابن كثير: ١٤٤/٧.
(٥٧٤) تفسير السعدي: ٧٣٧.
(٥٧٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٧٧٨):ص١٠٣٠/٣.
(٥٧٦) التفسير الميسر: ٤٧١.
(٥٧٧) تفسير الطبري: ٣٨٤/٢١.
(٥٧٨) تفسير ابن كثير: ١٤٤/٧.
(٥٧٩) تفسير السعدي: ٧٣٧.
(٥٨٠) التفسير الميسر: ٤٧١.
(٥٨١) تفسير الطبري: ٣٨٤/٢١.
(٥٨٢) تفسير ابن كثير: ١٤٤/٧.

قال السمعاني:" الطبع على القلب، هو: الختم عليه حتى لا يدخله الحق"(٥٨٣).
قال عكرمة: "لا يكون الرجل جبارا حتى يقتل نفسين"(٥٨٤).
قال أبو عمران الجوني وقتادة:" وآية الجبابرة القتل بغير الحق"(٥٨٥).
قال أبو حيان:" قد عدل الواعظ لهم عن مخاطبتهم إلى الاسم الغائب، لحسن محاورته لهم واستجلاب قلوبهم، وإبراز ذلك في صورة تذكيرهم، ولا يفجأهم بالخطاب، وفي قوله: {كبر مقتا}، ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه عن حد إشكاله من الكبائر "(٥٨٦).
وفي قراءة ابن مسعود:« كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ على قلبِ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ جَبَّار»(٥٨٧).
قال النحاس:" ومعنى هذه القراءة كمعنى الأولى، كما يقال: أنا أكلم فلانا يوم كل جمعة وكل يوم جمعة"(٥٨٨).
قال السمعاني:" وأما القراءة الثانية فهي على وصف القلب بالتكبر، يقال: قلب متكبر أي: صاحبه متكبر"(٥٨٩).
قال الراغب:{مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ}، " أي: متعال عن قبول الحق والإيمان له. يقال للقاهر غيره: جَبَّار، نحو: {وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ} [ق: ٤٥] ، ولتصور القهر بالعلو على الأقران قيل: نخلة جبّارة وناقة جبّار"(٥٩٠).
قال أبو هلال العسكري:" الجبار هاهنا والمتكبر سواء، وإنما كرر للتوكيد، ولا يجوز أن يقال أنه يعني: بـ «الجبار» هاهنا: القتال والغلاب؛ لأن القتل والغلبة لا يضافان إلى القلب ويضاف إليه الكبر، ويجوز أن تكون هذه الوجوه كلها بمعنى واحد وهو التكبر، وإنَّمَا أوردتها على ما جاء في التفسير"(٥٩١).
فوائد الآيات:[٣٠-٣٥]:
١- قوة الإيمان تفجر قلب المؤمن بأنواع من المعرفة والحكمة في قوله إذا قال.
٢- التذكير بالأمم الهالكة إذ العاقل من اعتبر بغيره.
٣- التخويف من عذاب الآخرة وأهوال القيامة.
٤- التنديد بالإسراف والارتياب وعدم اليقين.
٥- حرمة الجدال بغير علم، وأن صاحبه عرضة لمقت المؤمنين بعد مقت الله تعالى.
٦- عرضة المتكبر الجبار للطبع على قلبه ويومها يحرم الهداية فلا يُهدى أبداً.
القرآن
{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (٣٧)} [غافر : ٣٦-٣٧]
التفسير:
وقال فرعون مكذِّبًا لموسى في دعوته إلى الإقرار برب العالمين والتسليم له: يا هامان ابْنِ لي بنَاء عظيمًا; لعلي أبلغ أبواب السموات وما يوصلني إليها، فأنظر إلى إله موسى بنفسي، وإني لأظن موسى كاذبًا في دعواه أن لنا ربًا، وأنه فوق السماوات، وهكذا زُيِّن لفرعون عمله السيِّئ

(٥٨٣) تفسير السمعاني: ٢٠/٥.
(٥٨٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٧٩٠):ص٢٩٥٨/٩.
(٥٨٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٦٧٩١):ص٢٩٥٩/٩.
(٥٨٦) البحر المحيط: ٢٥٧/٩-٢٥٨.[بتصرف]
(٥٨٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٥/٢١.
(٥٨٨) معاني القرآن: ٢٢٣/٦.
(٥٨٩) تفسير السمعاني: ٢٠/٥.
(٥٩٠) المفردات: ١٨٤.
(٥٩١) الوجوه والنظائر: ١٥٨.

فرآه حسنًا، وصُدَّ عن سبيل الحق؛ بسبب الباطل الذي زُيِّن له، وما احتيال فرعون وتدبيره لإيهام الناس أنه محق، وموسى مبطل إلا في خسار وبوار، لا يفيده إلا الشقاء في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى:{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا} [غافر : ٣٦]، أي:" وقال فرعون مكذِّبًا لموسى في دعوته إلى الإقرار برب العالمين والتسليم له: يا هامان ابْنِ لي بنَّاء عظيمًا"(٥٩٢).

قال الطبري: يقول:" وقال فرعون لما وعظه المؤمن من آله بما وعظه به وزجره عن قتل موسى نبيّ الله وحذره من بأس الله على قيله أقتله ما حذره لوزيره وزير السوء هامان: {يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا..}، يعني: بناء"(٥٩٣).

قال قتادة:" وكان أول من بنى بهذا الآجر وطبخه"(٥٩٤).

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرا عن فرعون ، وعتوه ، وتمرده ، وافترائه في تكذيبه موسى ، عليه السلام ، أنه أمر وزيره هامان أن يبني له صرحا ، وهو : القصر العالي المنيف الشاهق. وكان اتخاذه من الآجرّ المضروب من الطين المشوي ، كما قال : {فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا} [القصص : ٣٨]" (٥٩٥).

ولهذا قال إبراهيم النخعي : "كانوا يكرهون البناء بالآجر ، وأن يجعلوه في قبورهم"(٥٩٦).

قال الزمخشري:" الصرح: البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن بعد، اشتقوه من صرح الشيء إذا ظهر"(٥٩٧).

قوله تعالى:{لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ} [غافر : ٣٦-٣٧]، أي:" لعلي أبلغ أبواب السموات وما يوصلني إليها"(٥٩٨).

قال ابن كثير:" وهذا من كفره وتمرده ، أنه كذب موسى في أن الله ، عز وجل ، أرسله إليه" (٥٩٩).

اختلف أهل التأويل في معنى "الأسباب" في هذا الموضع، على أقوال:

أحدها: أن أسباب السموات: طرقها. قاله أبو صالح(٦٠٠)، والسدي(٦٠١).

الثاني: أبواب السموات. قاله قتادة(٦٠٢).

قال ابن قتيبة:" «أسباب السماء»: أبوابها، لأن الوصول إلى السماء يكون بدخولها.. قال زهير (٦٠٣):

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ... ولو نال أسباب السّماء بسلّم"(٦٠٤).

الثالث: مَنزل السماء. قاله ابن عباس(٦٠٥).

---

(٥٩٢) التفسير الميسر: ٤٧١.

(٥٩٣) تفسير الطبري: ٣٨٥/٢١.

(٥٩٤) أخرجه الطبري: ٣٨٦/٢١.

(٥٩٥)تفسير ابن كثير: ١٤٤/٧.

(٥٩٦) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٤٤/٧.

(٥٩٧) الكشاف: ١٦٧/٤.

(٥٩٨) التفسير الميسر: ٤٧١.

(٥٩٩)تفسير ابن كثير: ١٤٤/٧.

(٦٠٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٦/٢١.

(٦٠١) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٦/٢١.

(٦٠٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٦/٢١.

(٦٠٣)في ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٣٠، والخصائص ٣/ ٣٢٤، ٣٢٥، وسر صناعة الإعراب ١/ ٢٦٧، وشرح شواهد المغني ١/ ٣٨٦، ولسان العرب (سبب).

(٦٠٤) تأويل مشكل القرآن: ٢٥٧.

(٦٠٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٦/٢١.

قال الطبري:" السبب: هو كل ما تسبب به إلى الوصول إلى ما يطلب من حبل وسلم وطريق وغير ذلك، فأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال: معناه لعلي أبلغ من أسباب السموات أسبابا أتسبب بها إلى رؤية إله موسى، طرقا كانت تلك الأسباب منها، أو أبوابا، أو منازل، أو غير ذلك"(٦٠٦).

قال الزمخشري:" أَسْبابَ السَّماواتِ طرقها وأبوابها وما يؤدى إليها، وكل ما أداك إلى شيء فهو سبب إليه، كالرشاء ونحوه، فإن قلت: ما فائدة هذا التكرير؟ ولو قيل: لعلى أبلغ أسباب السماوات لأجزأ؟ قلت: إذا أبهم الشيء ثم أوضح كان تفخيما لشأنه، فلما أراد تفخيم ما أمل بلوغه من أسباب السماوات أبهمها ثم أوضحها، ولأنه لما كان بلوغها أمرا عجيبا أراد أن يورده على نفس متشوفة إليه، ليعطيه السامع حقه من التعجب، فأبهمه ليشوف إليه نفس هامان، ثم أوضحه"(٦٠٧).

قوله تعالى:{فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى} [غافر : ٣٧]، أي:" فأنظر إلى إله موسى بنفسي"(٦٠٨).

قال الشوكاني:" وفي هذا دليل على أن فرعون كان بمكان من الجهل عظيم، وبمنزلة من فهم حقائق الأشياء سافلة جدا"(٦٠٩).

وقرئ: «فَأَطَّلِعُ» بضم العين: ردًا على قوله: {أَبْلُغُ الأسْبَابَ} وعطفا به عليه(٦١٠).

قوله تعالى:{وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا} [غافر : ٣٧]، أي:" وإني لأظن موسى كاذبًا في دعواه أن لنا ربًا، وأنه فوق السماوات"(٦١١).

قال الطبري:" يقول: وإني لأظنّ موسى كاذبا فيما يقول ويدّعي من أن له في السماء ربا أرسله إلينا"(٦١٢).

قال الشوكاني:" أي: وإني لأظن موسى كاذبا في ادعائه بأن له إلها، أو فيما يدعيه من الرسالة"(٦١٣).

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ} [غافر : ٣٧]، أي:" وهكذا زُيِّن لفرعون عمله السيِّئ فرآه حسنًا"(٦١٤).

قال الشوكاني:" أي: ومثل ذلك التزيين زين الشيطان لفرعون سوء عمله من الشرك والتكذيب، فتمادى في الغي واستمر على الطغيان"(٦١٥).

قال الطبري: يقول: "وهكذا زين الله لفرعون حين عتا عليه وتمرّد، قبيحَ عمله، حتى سوّلت له نفسه بلوغ أسباب السموات، ليطلع إلى إله موسى"(٦١٦).

قال ابن كثير:" أي : بصنيعه هذا الذي أراد أن يوهم به الرعية أنه يعمل شيئا يتوصل به إلى تكذيب موسى ، عليه السلام " (٦١٧).

قال الزمخشري:" المزين: إما الشيطان بوسوسته، كقوله تعالى وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ أو الله تعالى على وجه التسبيب، لأنه مكن الشيطان وأمهله. ومثله {زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ}[النمل: ٤]"(٦١٨).

---

(٦٠٦) تفسير الطبري: ٣٨٧/٢١.
(٦٠٧) الكشاف: ١٦٧/٤.
(٦٠٨) التفسير الميسر: ٤٧١.
(٦٠٩) فتح القدير: ٥٦٤/٤.
(٦١٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٧/٢١.
(٦١١) التفسير الميسر: ٤٧١.
(٦١٢) تفسير الطبري: ٣٨٧/٢١.
(٦١٣) فتح القدير: ٥٦٤/٤.
(٦١٤) التفسير الميسر: ٤٧١.
(٦١٥) فتح القدير: ٥٦٤/٤.
(٦١٦) تفسير الطبري: ٣٨٧/٢١-٣٨٨.
(٦١٧)تفسير ابن كثير: ١٤٤/٧.

قوله تعالى:{وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ} [غافر : ٣٧]، أي:" ومُنع بضلاله عن طريق الهدى"[٦١٩].

قال الشوكاني:" أي: سبيل الرشاد"[٦٢٠].

قال قتادة:" فُعِل ذلك به، زين له سوء عمله، وصُدَّ عن السبيل"[٦٢١].

وقرئ:«وَصَدَّ» بفتح الصاد[٦٢٢]. قال الطبري: "بمعنى: وأعرض فرعون عن سبيل الله التي ابتُعث بها موسى استكبارا"[٦٢٣].

قوله تعالى:{وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ} [غافر : ٣٧]، أي:" وما احتيال فرعون وتدبيره لإيهام الناس أنه محق، وموسى مبطل إلا في خسار وبوار، لا يفيده إلا الشقاء في الدنيا والآخرة"[٦٢٤].

قال الطبري:" وما احتيال فرعون الذي يحتال للاطلاع إلى إله موسى، إلا في خسار وذهاب مال وغبن، لأنه ذهبت نفقته التي أنفقها على الصرح باطلا ولم ينل بما أنفق شيئا مما أراده، فذلك هو الخسار والتباب"[٦٢٥].

قال الزمخشري:" التباب: الخسران والهلاك"[٦٢٦].

قال الزجاج:" إلا في خسران، يقال: تبَّتْ يداه أي خسِرتا"[٦٢٧].

عن ابن عباس، قوله: "{وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلا فِي تَبَابٍ}، يقول: في خُسران"[٦٢٨].

عن مجاهد، قوله: "{فِي تَبَابٍ}، قال: خسار"[٦٢٩].

قال قتادة:" أي: في ضلال وخسار"[٦٣٠].

قال ابن زيد:" التَّباب والضَّلال واحد"[٦٣١].

القرآن

{وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨)} [غافر : ٣٨]

التفسير:

وقال الذي آمن معيدًا نصيحته لقومه: يا قوم اتبعون أهدكم طريق الرشد والصواب.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبرا عن المؤمن بالله من آل فرعون {وَقَالَ الَّذِي آمَنَ} من قوم فرعون لقومه: {يَا قَوْمِ} إن اتبعتموني فقبلتم مني ما أقول لكم، بينت لكم طريق الصواب الذي ترشدون إذا أخذتم فيه وسلكتموه وذلك هو دين الله الذي ابتعث به موسى"[٦٣٢].

قال ابن كثير:" يقول المؤمن لقومه ممن تمرد وطغى وآثر الحياة الدنيا ، ونسي الجبار الأعلى ، فقال لهم : {يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ} لا كما كذب فرعون في قوله : {وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلا سَبِيلَ الرَّشَادِ}" [٦٣٣].

---

(٦١٨) الكشاف: ١٦٧/٤.
(٦١٩) صفوة التفاسير: ٩٥/٣.
(٦٢٠) فتح القدير: ٥٦٤/٤.
(٦٢١) اخرجه الطبري: ٣٨٨/٢١.
(٦٢٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٨/٢١.
(٦٢٣)تفسير الطبري: ٣٨٨/٢١.
(٦٢٤) التفسير الميسر: ٤٧١.
(٦٢٥) تفسير الطبري: ٣٨٧/٢١-٣٨٨.
(٦٢٦) الكشاف: ١٦٨/٤.
(٦٢٧) معاني القرآن: ٣٧٥/٤.
(٦٢٨) أخرجه الطبري: ٣٨٨/٢١.
(٦٢٩) أخرجه الطبري: ٣٨٨/٢١.
(٦٣٠) أخرجه الطبري: ٣٨٩/٢١.
(٦٣١) أخرجه الطبري: ٣٨٩/٢١.
(٦٣٢) تفسير الطبري: ٣٨٩/٢١.

قال السمعاني:"{أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ}، أي: سبيل الرشد"[٦٣٤].
قال مقاتل:" يعني: طريق الهدى"[٦٣٥].
قال الزجاج:" يعني: سبيل القصد إلى اللَّه عزَّ وجلَّ، وأخرجكم عَنْ سَبيل فرعونَ. فـ{أهدكم} جزم جواب للأمر، المعنى: إن تتبعوني أهدِكُمْ"[٦٣٦].

القرآن
{يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩)} [غافر : ٣٩]
التفسير:
يا قوم إن هذه الحياة الدنيا حياة يتنعَّم الناس فيها قليلا ثم تنقطع وتزول، فينبغي ألا تَرْكَنوا إليها، وإن الدار الآخرة بما فيها من النعيم المقيم هي محل الإقامة التي تستقرون فيها، فينبغي لكم أن تؤثروها، وتعملوا لها العمل الصالح الذي يُسعِدكم فيها.
قوله تعالى:{يَاقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ} [غافر : ٣٩]، أي:" يا قوم إن هذه الحياة الدنيا حياة يتنعَّم الناس فيها قليلا ثم تنقطع وتزول، فينبغي ألا تَرْكَنوا إليها"[٦٣٧].
قال الطبري:" يقول لقومه: ما هذه الحياة الدنيا العاجلة التي عجلت لكم في هذه الدار إلا متاع تستمتعون بها إلى أجل أنتم بالغوه، ثم تموتون وتزول عنكم"[٦٣٨].
قال ابن كثير:" ثم زهدهم في الدنيا التي قد آثروها على الأخرى ، وصدتهم عن التصديق برسول الله موسى -صلى الله عليه وسلم- ، فقال : {يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ} أي : قليلة زائلة فانية عن قريب تذهب وتزول وتضمحل"[٦٣٩].
قال السمعاني:" أي: سريع فناؤه، والتمتع به قليل"[٦٤٠].
قال الشوكاني:" يتمتع بها أياما، ثم تنقطع وتزول"[٦٤١].
عن الأعمش:" {فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل}، قال: كزاد الراعي"[٦٤٢].
قوله تعالى:{وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ} [غافر : ٣٩]، أي:" وإن الدار الآخرة بما فيها من النعيم المقيم هي محل الإقامة التي تستقرون فيها، فينبغي لكم أن تؤثروها، وتعملوا لها العمل الصالح الذي يُسعِدكم فيها"[٦٤٣].
قال الطبري:" يقول: وإن الدار الآخرة، وهي دار القرار التي تستقرّون فيها فلا تموتون ولا تزول عنكم، يقول: فلها فاعملوا، وإياها فاطلبوا"[٦٤٤].
قال ابن كثير:" أي : الدار التي لا زوال لها ، ولا انتقال منها ولا ظعن عنها إلى غيرها ، بل إما نعيم وإما جحيم"[٦٤٥].
قال الشوكاني:{دَارُ الْقَرَارِ}" أي: الاستقرار لكونها دائمة لا تنقطع ومستمرة لا تزول"[٦٤٦].

---
(٦٣٣)تفسير ابن كثير: ٧/١٤٤-١٤٥.
(٦٣٤) تفسير السمعاني: ٥/٢١.
(٦٣٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٧١٤.
(٦٣٦) معاني القرآن: ٤/٣٧٥.
(٦٣٧) التفسير الميسر: ٤٧١.
(٦٣٨) تفسير الطبري: ٢١/٣٨٩.
(٦٣٩)تفسير ابن كثير: ٧/١٤٥.
(٦٤٠) تفسير السمعاني: ٥/٢١.
(٦٤١) فتح القدير: ٤/٥٦٥.
(٦٤٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٣١):ص٦/١٧٩٨.
(٦٤٣) التفسير الميسر: ٤٧١.
(٦٤٤) تفسير الطبري: ٢١/٣٨٩.
(٦٤٥)تفسير ابن كثير: ٧/١٤٥.
(٦٤٦) فتح القدير: ٤/٥٦٥.

عن قتادة :"{وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ}، استقرت الجنة بأهلها، واستقرّت النار بأهلها"[٦٤٧].

قال ابن عباس:" الدنيا جمعة من جمع الآخرة. سبعة آلاف سنة"[٦٤٨].

قال الزمخشري:" قال :{أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ}، فأجمل لهم، ثم فسر فافتتح بذم لدنيا وتصغير شأنها، لأنّ الإخلاد إليها هو أصل الشر كله، ومنه يتشعب جميع ما يؤدى إلى سخط الله ويجلب الشقاوة في العاقبة. وثنى بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها، وأنها هي الوطن والمستقر، وذكر الأعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما، ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف، ثم وازن بين الدعوتين: دعوة إلى دين الله الذي ثمرته النجاة، ودعوتهم إلى اتخاذ الأنداد الذي عاقبته النار، وحذر، وأنذر، واجتهد في ذلك واحتشد، لا جرم أن الله استثناه من آل فرعون، وجعله حجة عليهم وعبرة للمعتبرين، وهو قوله تعالى: {فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ} [غافر : ٤٥]، وفي هذا أيضا دليل بين على أنّ الرجل كان من آل فرعون. والرشاد نقيض الغى. وفيه تعريض شبيه بالتصريح أنّ ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغى"[٦٤٩].

القرآن

{مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠)} [غافر : ٤٠]

التفسير:

من عصى الله في حياته وانحرف عن طريق الهدى، فلا يُجْزى في الآخرة إلا عقابًا يساوي معصيته، ومَن أطاع الله وعمل صالحًا بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ذكرًا كان أو أنثى، وهو مؤمن بالله موحد له، فأولئك يدخلون الجنة، يرزقهم الله فيها من ثمارها ونعيمها ولذاتها بغير حساب.

قوله تعالى:{مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا} [غافر : ٤٠]، أي:" من عصى الله في حياته وانحرف عن طريق الهدى، فلا يُجْزى في الآخرة إلا عقابًا يساوي معصيته"[٦٥٠].

قال الطبري:" يقول: من عمل بمعصية الله في هذه الحياة الدنيا، فلا يجزيه الله في الآخرة إلا سيئة مثلها، وذلك أن يعاقبه بها"[٦٥١].

قال ابن كثير:{فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا}" أي : واحدة مثلها" [٦٥٢].

عن قتادة: "{مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فلا يُجْزَى إلا مِثْلَهَا}، أي: شركا"[٦٥٣].

قال مقاتل:" {منْ عَمِلَ سَيِّئَةً}، يعنى: الشرك، {فَلَا يُجْزى إِلَّا مِثْلَها} فجزاء الشرك النار"[٦٥٤].

قال الشوكاني: أي: من عمل في دار الدنيا معصية من المعاصي كائنة ما كانت فلا يجزى إلا مثلها ولا يعذب إلا بقدرها، والظاهر شمول الآية لكل ما يطلق عليه اسم السيئة، وقيل: هي خاصة بالشرك، ولا وجه لذلك"[٦٥٥].

---

(٦٤٧) أخرجه الطبري: ٣٨٩/٢١.
(٦٤٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٤٣٤):ص٣٢٦٦/١٠.
(٦٤٩) الكشاف: ١٦٨/٤.
(٦٥٠) التفسير الميسر: ٤٧١.
(٦٥١) تفسير الطبري: ٣٩٠/٢١.
(٦٥٢)تفسير ابن كثير: ١٤٥/٧.
(٦٥٣) أخرجه الطبري: ٣٩٠/٢١.
(٦٥٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١٤/٣.
(٦٥٥) فتح القدير: ٥٦٥/٤.

قوله تعالى:{وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ} [غافر : ٤٠]، أي:" ومَن أطاع الله وعمل صالحًا بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ذكرًا كان أو أنثى، وهو مؤمن بالله موحد له"(٦٥٦).

قال الطبري:" يقول: ومن عمل بطاعة الله في الدنيا، وائتمر لأمره، وانتهى فيها عما نهاه عنه من رجل أو امرأة، وهو مؤمن بالله"(٦٥٧).

قال الشوكاني: أي: من عمل صالحا مع كونه مؤمنا بالله، وبما جاءت به رسله"(٦٥٨).

عن قتادة: "{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا}، أي: خيرا "(٦٥٩).

قوله تعالى:{فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ} [غافر : ٤٠]، أي:" فأولئك يدخلون الجنة، يرزقهم الله فيها من ثمارها ونعيمها ولذاتها بغير حساب"(٦٦٠).

قال الطبري:" يقول: فالذين يعملون ذلك من عباد الله يدخلون في الآخرة الجنة، يرزقهم الله في الجنة من ثمارها، وما فيها من نعيمها ولذاتها بغير حساب"(٦٦١).

قال قتادة:" لا والله ما هناكم مكيال ولا ميزان"(٦٦٢).

قال ابن كثير:" أي : لا يتقدر بجزاء بل يثيبه الله ، ثوابا كثيرا لا انقضاء له ولا نفاد"(٦٦٣).

وقال مقاتل:" يقول: بلا تبعة في الجنة فيما يعطون فيها من الخير"(٦٦٤).

قال الزمخشري في الآية:" لأنّ الزيادة على مقدار جزاء السيئة قبيحة، لأنها ظلم. وأما الزيادة على مقدار جزاء الحسنة فحسنة، لأنها فضل"(٦٦٥).

فوائد الآيات:[٣٦-٤٠]:

١- التحذير من تزيين الأعمال القبيحة نتيجة الإدمان عليها والاستمرار على فعلها فإن من زُينت له أعماله السيئة فأصبح يراها حسنة هلك والعياذ بالله.

٢- التحذير من الاغترار بالدنيا والغفلة من الآخرة إذ الأولى زائلة والآخرة باقية واختيار الباقي على الفاني من شأن العقلاء.

٣- مشروعية التذكير بالحساب والجزاء وما يتم في دار الآخرة من سعادة وشقاء.

القرآن

{وَيَاقَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١)} [غافر : ٤١]

التفسير:

ويا قوم كيف أدعوكم إلى الإيمان بالله واتباع رسوله موسى، وهي دعوة تنتهي بكم إلى الجنة والبعد عن أهوال النار، وأنتم تدعونني إلى عمل يؤدي إلى عذاب الله وعقوبته في النار؟

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذا المؤمن لقومه من الكفرة: {مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ} من عذاب الله وعقوبته بالإيمان به، واتباع رسوله موسى، وتصديقه فيما جاءكم به من عند ربه، وتدعونني إلى عمل أهل النار"(٦٦٦).

---

(٦٥٦) التفسير الميسر: ٤٧١.
(٦٥٧) تفسير الطبري: ٣٩٠/٢١.
(٦٥٨) فتح القدير: ٥٦٥/٤.
(٦٥٩) أخرجه الطبري: ٣٩٠/٢١.
(٦٦٠) التفسير الميسر: ٤٧١.
(٦٦١) تفسير الطبري: ٣٩٠/٢١.
(٦٦٢) اخرجه الطبري: ٣٩٠/٢١.
(٦٦٣)تفسير ابن كثير: ١٤٥/٧.
(٦٦٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١٤/٣.
(٦٦٥) الكشاف: ١٦٨/٤.
(٦٦٦) تفسير الطبري: ٣٩١/٢١.

قال ابن كثير:" يقول لهم المؤمن : ما بالي أدعوكم إلى النجاة ، وهي عبادة الله وحده لا شريك له وتصديق رسوله الذي بعثه {وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ..} [٦٦٧].

قال ابن عطية:" الدعاء إلى طاعة الله وعبادته وتوحيده هو الدعاء إلى سبب النجاة فجعله دعاء إلى النجاة اختصارا واقتضابا، وكذلك دعاؤهم إياه إلى الكفر واتباع دينهم: هو دعاء إلى سبب دخول النار، فجعله دعاء إلى النار اختصارا"[٦٦٨].

عن مجاهد، قوله: "{مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ}، قال: الإيمان بالله"[٦٦٩].

قال ابن زيد:" هذا مومن آل فرعون، قال: يدعونه إلى دينهم والإقامة معهم"[٦٧٠].

قال الزمخشري:" فإن قلت: لم كرر نداء قومه؟ ولم جاء بالواو في النداء الثالث دون الثاني؟

قلت: أما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ عن سنة الغفلة. وفيه: أنهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم، وهو يعلم وجه خلاصهم، ونصيحتهم عليه واجبة، فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم، ويستدعى بذلك أن لا يتهموه، فإنّ سرورهم سروره، وغمهم غمه، وينزلوا على تنصيحه لهم، كما كرر إبراهيم عليه السلام في نصيحة أبيه: {يَا أَبَتِ}"[٦٧١].

القرآن

{تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢)} [غافر : ٤٢]

التفسير:

تدعونني لأكفر بالله، وأشرك به ما ليس لي به علم أنه يستحق العبادة من دونه -وهذا من أكبر الذنوب وأقبحها- وأنا أدعوكم إلى الطريق الموصل إلى الله العزيز في انتقامه، الغفار لمن تاب إليه بعد معصيته.

قوله تعالى:{تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ} [غافر : ٤٢]، أي:" تدعونني لأكفر بالله، وأشرك به ما ليس لي به علم أنه يستحق العبادة من دونه"[٦٧٢].

قال الطبري:" يقول: وأشرك بالله في عبادته أوثانا، لست أعلم أنه يصلح لي عبادتها وإشراكها فى عبادة الله، لأن الله لم يأذن لي في ذلك بخبر ولا عقل"[٦٧٣].

قال ابن كثير:" {تَدْعُونَنِي لأكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ} أي : جهل بلا دليل"[٦٧٤].

قال ابن عطية:" قوله: {ما لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ}، ليس معناه أني جاهل به، بل معناه: العلم بأن الأوثان وفرعون وغيره ليس لهم مدخل في الألوهية، وليس لأحد من البشر علم بوجه من وجوه النظر بأن لهم في الألوهية مدخلا، بل العلم اليقين بغير ذلك من حدوثهم متحصل"[٦٧٥].

قوله تعالى:{وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ} [غافر : ٤٢]، أي:" وأنا أدعوكم إلى الطريق الموصل إلى الله العزيز في انتقامه، الغفار لمن تاب إليه بعد معصيته"[٦٧٦].

---

(٦٦٧) تفسير ابن كثير: ١٤٦/٧.
(٦٦٨) المحرر الوجيز: ٥٦١/٤.
(٦٦٩) أخرجه الطبري: ٣٩١/٢١.
(٦٧٠) أخرجه الطبري: ٣٩١/٢١.
(٦٧١) الكشاف: ١٦٨/٤-١٦٩.
(٦٧٢) التفسير الميسر: ٤٧٢.
(٦٧٣) تفسير الطبري: ٣٩١/٢١.
(٦٧٤) تفسير ابن كثير: ١٤٦/٧.
(٦٧٥) المحرر الوجيز: ٥٦١/٤.
(٦٧٦) التفسير الميسر: ٤٧٢.

قال الطبري:" يقول: وأنا أدعوكم إلى عبادة العزيز في انتقامه ممن كفر به، الذي لا يمنعه إذا انتقم من عدوّ له شيء، الغفار لمن تاب إليه بعد معصيته إياه، لعفوه عنه، فلا يضرّه شيء مع عفوه عنه، يقول: فهذا الذي هذه الصفة صفته فاعبدوا، لا ما لا ضرّ عنده ولا نفع"(٦٧٧).

قال ابن كثير:" أي : هو في عزته وكبريائه يغفر ذنب من تاب إليه"(٦٧٨).

القرآن

{لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٤٣)} [غافر : ٤٣]

التفسير:

حقًا أن ما تدعونني إلى الاعتقاد به لا يستحق الدعوة إليه، ولا يُلجأ إليه في الدنيا ولا في الآخرة لعجزه ونقصه، واعلموا أن مصير الخلائق كلها إلى الله سبحانه، وهو يجازي كل عامل بعمله، وأن الذين تعدَّوا حدوده بالمعاصي وسفك الدماء والكفر هم أهل النار.

قوله تعالى:{لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ} [غافر : ٤٣]، أي:" حقًا أن ما تدعونني إلى الاعتقاد به لا يستحق الدعوة إليه، ولا يُلجأ إليه في الدنيا ولا في الآخرة لعجزه ونقصه"(٦٧٩).

قال الطبري:" يقول: حقا أن الذي تدعونني إليه من الأوثان، ليس له دعاء في الدنيا ولا في الآخرة، لأنه جماد لا ينطق، ولا يفهم شيئا"(٦٨٠).

قال الزجاج:" يعني: أنه ليس له استجابة دعوة في الدنيا ولا في الآخرة"(٦٨١).

عن قتادة، قوله: "{لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ}، أي: لا ينفع ولا يضرّ"(٦٨٢).

عن مجاهد، قوله: "{لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا}، قال: الوثن ليس بشيء"(٦٨٣).

عن ابن عباس، قوله: "{لَا جَرَمَ}، يقول: بلى"(٦٨٤).

عن أبي مالك، قوله: "{لَا جَرَمَ}، يعني: بالحق"(٦٨٥).

عن الضحاك، قوله: "{لَا جَرَمَ}، قال: لا كذب"(٦٨٦).

قال الزمخشري:" يجوز أن يقال: أن «لا جرم»، نظير: لا بدّ، فعل من الجرم، وهو القطع، كما أن بدّا فعل من التبديد وهو التفريق، فكما أن معنى: لا بد أنك تفعل كذا، بمعنى: لا بعد لك من فعله، فكذلك لا جرم أن لهم النار، أى: لا قطع لذلك، بمعنى أنهم أبدا يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع، لبطلان دعوة الأصنام، أى لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقا"(٦٨٧).

قوله تعالى:{وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ} [غافر : ٤٣]، أي:" واعلموا أن مصير الخلائق كلها إلى الله سبحانه، وهو يجازي كل عامل بعمله"(٦٨٨).

قال الطبري:" يقول: وأن مرجعنا ومنقلبنا بعد مماتنا إلى الله"(٦٨٩).

---

(٦٧٧) تفسير الطبري: ٣٩١/٢١.
(٦٧٨) تفسير ابن كثير: ١٤٦/٧.
(٦٧٩) التفسير الميسر: ٤٧٢.
(٦٨٠) تفسير الطبري: ٣٩١/٢١.
(٦٨١) معاني القرآن: ٣٧٦/٤.
(٦٨٢) أخرجه الطبري: ٣٩٢/٢١.
(٦٨٣) أخرجه الطبري: ٣٩٢/٢١.
(٦٨٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٤٩٨):ص٢٢٨٠/٧.
(٦٨٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٤٩٩):ص٢٢٨٠/٧.
(٦٨٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٥٠٠):ص٢٢٨٠/٧.
(٦٨٧) الكشاف: ١٦٩/٤.
(٦٨٨) التفسير الميسر: ٤٧٢.

قال ابن كثير:" أي : في الدار الآخرة ، فيجازي كلا بعمله"[690].

قوله تعالى:{وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ} [غافر : ٤٣]، أي:" وأن الذين تعدَّوا حدوده بالمعاصي وسفك الدماء والكفر هم أهل النار"[691].

قال الطبري:" يقول: وإن المشركين بالله المتعدّين حدوده، القتلة النفوس التي حرم الله قتلها، هم أصحاب نار جهنم عند مرجعنا إلى الله"[692].

قال ابن كثير:" أي : خالدين فيها بإسرافهم ، وهو شركهم بالله "[693].

عن مجاهد، قوله: "{وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ}، قال: هم السفَّاكون الدماء بغير حقها"[694].

قال ابن زيد:" سماهم الله مسرفين، فرعون ومن معه"[695].

وعن قتادة:"{وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ}، أي: المشركون"[696].

قال ابن عطية:" أهل الإسراف والشرك: هم أصحاب النار بالخلود فيها والملازمة، أي: فكيف أطيعكم مع هذه الأمور الحقائق، في طاعتكم رفض العمل بحسبها والخوف"[697].

القرآن

{فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤)} [غافر : ٤٤]

التفسير:

فلما نصحهم ولم يطيعوه قال لهم: فستذكرون أني نصحت لكم وذكَّرتكم، وسوف تندمون حيث لا ينفع الندم، وألجأ إلى الله، وأعتصم به، وأتوكل عليه. إن الله سبحانه وتعالى بصير بأحوال العباد، وما يستحقونه من جزاء، لا يخفى عليه شيء منها.

قوله تعالى:{فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ} [غافر : ٤٤]، أي:" فستذكرون أني نصحت لكم وذكَّرتكم"[698].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وقومه: فستذكرون أيها القوم إذا عاينتم عقاب الله قد حل بكم، ولقيتم ما لقيتموه صدق ما أقول، وحقيقة ما أخبركم به من أن المسرفين هم أصحاب النار"[699].

قال ابن كثير:" أي : سوف تعلمون صدق ما أمرتكم به ونهيتكم عنه ، ونصحتكم ووضحت لكم ، وتتذكرونه ، وتندمون حيث لا ينفعكم الندم"[700].

قال البغوي:" إذا عاينتم العذاب حين لا ينفعكم الذكر"[701].

عن ابن وهب، قال: "قال ابن زيد، في قوله: {فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ}، فقلت له: أو ذلك في الأخرة؟ قال: نعم"[702].

---

(٦٨٩) تفسير الطبري: ٣٩٢/٢١.
(٦٩٠) تفسير ابن كثير: ١٤٦/٧.
(٦٩١) التفسير الميسر: ٤٧٢.
(٦٩٢) تفسير الطبري: ٣٩٢/٢١.
(٦٩٣) تفسير ابن كثير: ١٤٦/٧.
(٦٩٤) أخرجه الطبري: ٣٩٢/٢١.
(٦٩٥) أخرجه الطبري: ٣٩٣/٢١.
(٦٩٦) أخرجه الطبري: ٣٩٣/٢١.
(٦٩٧) المحرر الوجيز: ٥٦١/٤.
(٦٩٨) التفسير الميسر: ٤٧٢.
(٦٩٩) تفسير الطبري: ٣٩٣/٢١-٣٩٤.
(٧٠٠) تفسير ابن كثير: ١٤٦/٧.
(٧٠١) تفسير البغوي: ١٥٠/٧.
(٧٠٢) أخرجه الطبري: ٣٩٤/٢١.

قوله تعالى:{وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ} [غافر : ٤٤]، أي:" وألجأ إلى الله، وأعتصم به، وأتوكل عليه"(٧٠٣).
قال الطبري:" يقول: وأسلم أمري إلى الله، وأجعله إليه وأتوكل عليه، فإنه الكافي من توكل عليه"(٧٠٤).
قال ابن كثير:" أي : وأتوكل على الله وأستعينه ، وأقاطعكم وأباعدكم"(٧٠٥).
عن السديّ: "{وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ}، قال: أجعل أمري إلى الله"(٧٠٦).
قال الزمخشري:قال:" {وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ}، لأنهم توعدوه"(٧٠٧).
قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} [غافر : ٤٤]، أي:" إن الله سبحانه وتعالى بصير بأحوال العباد، وما يستحقونه من جزاء، لا يخفى عليه شيء منها"(٧٠٨).
قال الطبري:" يقول: إن الله عالم بأمور عباده، ومن المطيع منهم، والعاصي له، والمستحق جميل الثواب، والمستوجب سيئ العقاب"(٧٠٩).
قال ابن كثير:" أي : هو بصير بهم، فيهدي من يستحق الهداية ، ويضل من يستحق الإضلال ، وله الحجة البالغة ، والحكمة التامة ، والقدر النافذ"(٧١٠).
قال البغوي:أي:" يعلم المحق من المبطل، ثم خرج المؤمن من بينهم، فطلبوه فلم يقدروا عليه"(٧١١).
قال ابن عباس:" لم يكن في آل فرعون مؤمن غيره، وغير امرأة فرعون وغير المؤمن الذي أنذر موسى عليه السلام الذي قال: {إِنَّ المَلا يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوك}(٧١٢).

القرآن

{فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥)} [غافر : ٤٥]

التفسير:
فوقى الله سبحانه ذلك الرجل المؤمن الموفَّق عقوبات مكر فرعون وآله، وحلَّ بهم سوء العذاب حيث أغرقهم الله عن آخرهم.
قوله تعالى:{فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا} [غافر : ٤٥]، أي:" فوقى الله سبحانه ذلك الرجل المؤمن الموفَّق عقوبات مكر فرعون وآله"(٧١٣).
قال الطبري: يقول:" فدفع الله عن هذا المؤمن من آل فرعون بإيمانه وتصديق رسوله موسى، مكروه ما كان فرعون ينال به أهل الخلاف عليه من العذاب والبلاء، فنجاه منه"(٧١٤).
قال الزمخشري:أي:" شدائد مكرهم وما هموا به من إلحاق أنواع العذاب بمن خالفهم. وقيل: نجا مع موسى"(٧١٥).
قال ابن كثير:" أي : في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فنجاه الله مع موسى ، عليه السلام ، وأما في الآخرة فبالجنة"(٧١٦).

---

(٧٠٣) التفسير الميسر: ٤٧٢.
(٧٠٤) تفسير الطبري: ٣٩٤/٢١.
(٧٠٥) تفسير ابن كثير: ١٤٦/٧.
(٧٠٦) أخرجه الطبري: ٣٩٤/٢١.
(٧٠٧) الكشاف: ١٧٠/٤.
(٧٠٨) التفسير الميسر: ٤٧٢.
(٧٠٩) تفسير الطبري: ٣٩٤/٢١.
(٧١٠) تفسير ابن كثير: ١٤٦/٧.
(٧١١) تفسير البغوي: ١٥٠/٧.
(٧١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٤٣١):ص٣٢٦٦/١٠.
(٧١٣) التفسير الميسر: ٤٧٢.
(٧١٤) تفسير الطبري: ٣٩٤/٢١.
(٧١٥) الكشاف: ١٧٠/٤.

قال ابن عطية:" {فَوَقَاهُ}، يحتمل أن يعود على موسى، ويحتمل أن يعود على مؤمن آل فرعون، وقال قائلو ذلك: إن ذلك المؤمن نجا مع موسى عليه السلام في البحر، وفر في جملة من فر معه من المتبعين"(٧١٧).

عن قتادة، قوله: "{سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا}، قال: وكان قبطيا من قوم فرعون، فنجا مع موسى، قال: وذكر لنا أنه بين يدي موسى يومئذ يسير ويقول: أين أمرت يا نبيّ الله؟ فيقول: أمامك، فيقول له المؤمن: وهل أمامي إلا البحر؟ فيقول موسى: لا والله ما كَذبتُ ولا كُذبتُ، ثم يسير ساعة ويقول: أين أمرت يا نبيّ الله؟ فيقول: أمامك، فيقول: وهل أمامي إلا البحر، فيقول: لا والله ما كذبت، ولا كذبت، حتى أتى على البحر فضربه بعصاه، فانفلق اثني عشر طريقا، لكل سبط طريق"(٧١٨).

قوله تعالى:{وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ} [غافر : ٤٥]، أي:" وحلَّ بفرعن وجماعته سوء العذاب حيث أغرقهم الله عن آخرهم"(٧١٩).

قال الطبري:" يقول: وحل باتباع فرعون وأهل طاعته من قومه ووجب عليهم ما ساءهم من عذاب الله، وذلك نار جهنم"(٧٢٠).

قال البغوي:أي:" الغرق في الدنيا، والنار في الآخرة"(٧٢١).

قال ابن كثير:" {وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ} وهو : الغرق في اليم ، ثم النقلة منه إلى الجحيم. فإن أرواحهم تعرض على النار صباحا ومساءً إلى قيام الساعة ، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار"(٧٢٢).

قال ابن عطية:" {وَحاقَ}، معناه: نزل، وهي مستعملة في المكروه. و: {سُوءُ الْعَذابِ}: الغرق وما بعده من النار وعذابها"(٧٢٣).

عن السديّ في قول الله: "{وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ}، قال: قوم فرعون"(٧٢٤).

قال الزمخشري: " معناه: أنه رجع عليهم ما هموا به من المكر بالمسلمين، كقول العرب: من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا، فإذا فسر سوء العذاب بنار جهنم: لم يكن مكرهم راجعا عليهم، لأنهم لا يعذبون بجهنم. قلت: يجوز أن بهم الإنسان بأن يغرق قوما فيحرق بالنار، ويسمى ذلك حيقا لأنه همّ بسوء فأصابه ما يقع عليه اسم السوء. ولا يشترط في الحيق أن يكون الحائق ذلك السوء بعينه، ويجوز أن بهمّ فرعون- لما سمع إنذار المسلمين بالنار، وقول المؤمن: {وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحابُ النَّارِ}- فيفعل نحو ما فعل نمروذ ويعذبهم بالنار، فحاق به مثل ما أضمره وهمّ بفعله"(٧٢٥).

القرآن

{النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)} [غافر : ٤٦]

التفسير:

---

(٧١٦) تفسير ابن كثير: ١٤٦/٧.
(٧١٧) المحرر الوجيز: ٥٦٢/٤.
(٧١٨) اخرجه الطبري: ٣٩٥/٢١.
(٧١٩) التفسير الميسر: ٤٧٢.[بتصرف]
(٧٢٠) تفسير الطبري: ٣٩٥/٢١.
(٧٢١) تفسير البغوي: ١٥٠/٧.
(٧٢٢) أخرجه الطبري: ٣٩٥/٢١.
(٧٢٣) المحرر الوجيز: ٥٦٢/٤.
(٧٢٤) أخرجه الطبري: ٣٩٥/٢١.
(٧٢٥) الكشاف: ١٧٠/٤.

لقد أصابهم الغرق أولا وهلكوا، ثم يُعذَّبون في قبورهم حيث النار، يُعرضون عليها صباحًا ومساء إلى وقت الحساب، ويوم تقوم الساعة يقال: أدخلوا آل فرعون النار؛ جزاء ما اقترفوه من أعمال السوء.

قوله تعالى:{النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا} [غافر : ٤٦]، أي:" النار يحرقون بها صباحاً ومساء"(٧٢٦).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مبيِّنا عن سوء العذاب الذي حلّ بهؤلاء الأشقياء من قوم فرعون ذلك الذي حاق بهم من سوء عذاب الله {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا} إنهم لما هلكوا وغرقهم الله، جعلت أرواحهم في أجواف طير سود، فهي تعرض على النار كلّ يوم مرتين {غُدُوًّا وَعَشِيًّا} إلى أن تقوم الساعة"(٧٢٧).

قال الزمخشري: " «النَّارُ» بدل من «سوء العذاب». أو خبر مبتدإ محذوف، كأن قائلا قال: ما سوء العذاب؟ فقيل: هو النار. أو مبتدأ خبره: «يُعْرَضُونَ عَلَيْها»، وفي هذا الوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها، وعرضهم عليها: إحراقهم بها. يقال: عرض الإمام الأسارى على السيف إذا قتلهم به، «غُدُوًّا وَعَشِيًّا»، أي: في هذين الوقتين يعذبون بالنار، وفيما بين ذلك الله أعلم بحالهم، فإمّا أن يعذبوا بجنس آخر من العذاب، أو ينفس عنهم، ويجوز أن يكون «غُدُوًّا وَعَشِيًّا»: عبارة عن الدوام. هذا ما دامت الدنيا"(٧٢٨).

وفي قوله تعالى:{النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا} [غافر : ٤٦]، ثلاثة وجوه من التفسير:

أحدها: أن أرواحهم في أجواف طير سود تغدو على جهنم وتروح فذلك عرضها. قاله ابن مسعود(٧٢٩)، والهذيل بن شرحبيل(٧٣٠)، والسدي(٧٣١)، والاوزاعي(٧٣٢).

قال ابن مسعود:" إن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر تسرح بهم في الجنة حيث شاءوا. وإن أرواح ولدان المؤمنين في أجواف عصافير تسرح في الجنة حيث شاءت، فتأوي إلى قناديل معلقة في العرش، وإن أرواح آل فرعون في أجواف طير سود تغدوا على جهنم وتروح عليها فذلك عرضها"(٧٣٣).

قال الهذيل بن شرحبيل: "أرواح آل فرعون في أجواف طير سود تغدو وتروح على النار، وذلك عرضها"(٧٣٤).

قال السدي:" بلغني أن أرواح قوم فرعون في أجواف طير سود تعرض على النار غدوّا وعشيًّا، حتى تقوم الساعة"(٧٣٥).

قال حماد بن محمد الفزاري البلخي: "سمعت الأوزاعيّ وسأله رجل فقال: رحمك الله، رأينا طيورا تخرج من البحر تأخذ ناحية الغرب بيضا، فوجا فوجا، لا يعلم عددها إلا الله، فإذا كان العشيّ رجع مثلُها سُودا، قال: وفطنتم إلى ذلك؟ قالوا: نعم، قال: إن تلك الطيور في حواصلها أرواح آل فرعون يُعرضون على النار غدوّا وعشيًّا، فترجع إلى وكورها وقد احترقت رياشها، وصارت سوداء، فتنبت عليها من الليل رياض بيض، وتتناثر السود، ثم تغدو، ويُعرضون على النار غدوّا وعشيا، ثم ترجع إلى وكورها، فذلك دَأبُها في الدنيا; فإذا كان يوم

---

(٧٢٦) صفوة التفاسير: ٩٦/٣.

(٧٢٧) تفسير الطبري: ٣٩٥/٢١.

(٧٢٨) الكشاف: ١٧٠/٤.

(٧٢٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٤٣٥):ص٣٢٦٧/١٠ .

(٧٣٠)انظر: تفسير الطبري: ٣٩٥/٢١.

(٧٣١)انظر: تفسير الطبري: ٣٩٥/٢١-٣٩٦.

(٧٣٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٦/٢١.

(٧٣٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٨٤٣٥):ص٣٢٦٧/١٠ .

(٧٣٤) أخرجه الطبري: ٣٩٥/٢١.

(٧٣٥) أخرجه الطبري: ٣٩٥/٢١-٣٩٦.

القيامة، قال الله: {أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}، قالوا: وكانوا يقولون: إنهم ستّ مئة ألف مقاتل"(٧٣٦).

قال محمد بن كعب القرظي: "ليس في الآخرة ليل ولا نصف نهار، وإنما هو بُكرة وعشيّ، وذلك في القرآن في آل فرعون :{يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا}، وكذلك قال لأهل الجنة :{وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا}"(٧٣٧).

الثاني: أنه يعرض عليهم مقاعدهم من النار غدوة وعشية، فيقال : لآلِ فرعون هذه منازلكم ، توبيخاً ونقمة وصغارا لهم. وهذا قول قتادة(٧٣٨).

الثالث: أنهم يعذبون بالنار في قبرهم غدواً وعشياً، وهذا لآل فرعون خصوصاً.

عن مجاهد، قوله: "{غُدُوًّا وَعَشِيًّا}، قال: ما كانت الدنيا"(٧٣٩).

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أن آل فرعون يعرضون على النار غدوّا وعشيّا. وجائز أن يكون ذلك العرض على النار على نحو ما ذكرناه عن الهذيل ومن قال مثل قوله، وأن يكون كما قال قتادة، ولا خبر يوجب الحجة بأن ذلك المعني به، فلا في ذلك إلا ما دل عليه ظاهر القرآن، وهم أنهم يعرضون على النار غدوا وعشيا، وأصل الغدو والعشي مصادر جعلت أوقاتا"(٧٤٠).

روي عن أبي سعيد الخدري :"أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر في حديث الإسراء أنه أتى على سابلة آل فرعون حيث ينطلق بهم إلى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا، فنادوا، وكان مما قالوا: ربنا لا تقم الساعة؛ لما يرون من عذاب الله"(٧٤١).

قوله تعالى:{وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر : ٤٦]، أي:" ويوم تقوم الساعة يقال: أدخلوا آل فرعون النار؛ جزاء ما اقترفوه من أعمال السوء"(٧٤٢).

قال ابن كثير:" أي : أشده ألما وأعظمه نكالا"(٧٤٣).

قال الأوزاعي:" فإذا كان يوم القيامة، قال الله: {أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}، قالوا: وكانوا يقولون: إنهم ستّ مئة ألف مقاتل"(٧٤٤).

عن ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما أحسن محسن من مسلم أو كافر إلا أثابه الله» قال: قلنا: يا رسول الله ما إثابة الكافر؟ فقال: «إن كان قد وصل رحما أو تصدق بصدقة، أو عمل حسنة، أثابه الله المال والولد والصحة وأشباه ذلك» قلنا فما إثابته في الآخرة؟ قال: «عذابا دون العذاب» وقرأ: {أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}"(٧٤٥).

قال ابن كثير:"وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور ، وهي قوله : {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا}..ولكن هاهنا سؤال ، وهو أنه لا شك أن هذه الآية مكية، وقد استدلوا بها على عذاب القبر في البرزخ ، وقد روي الإمام أحمد... عن عائشة: «أن يهودية كانت تخدمها فلا تصنع عائشة إليها شيئا من المعروف إلا قالت لها اليهودية : وقاك الله عذاب القبر. قالت : فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ فقلت : يا رسول الله ، هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة ؟ قال : "لا وعم ذلك ؟" قالت : هذه اليهودية ، لا نصنع إليها شيئا من المعروف إلا قالت : وقاك الله عذاب القبر. قال : "كذبت يهود. وهم على

---

(٧٣٦) أخرجه الطبري: ٣٩٦/٢١.
(٧٣٧) أخرجه الطبري: ٣٩٦/٢١.
(٧٣٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٩٦/٢١.
(٧٣٩) أخرجه الطبري: ٣٩٦/٢١.
(٧٤٠) تفسير الطبري: ٣٩٧/٢١.
(٧٤١) أصول السنة لابن ابي زمنين(٦٧):ص١٣٨.
(٧٤٢) التفسير الميسر: ٤٧٢.
(٧٤٣) تفسير ابن كثير: ١٤٦/٧.
(٧٤٤) أخرجه الطبري: ٣٩٦/٢١.
(٧٤٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٤٣٦):ص٣٢٦٧/١٠.

الله أكذب ، لا عذاب دون يوم القيامة". ثم مكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث ، فخرج ذات يوم نصف النهار مشتملا بثوبه ، محمرة عيناه ، وهو ينادي بأعلى صوته : "القبر كقطع الليل المظلم أيها الناس ، لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا وضحكتم قليلا. أيها الناس ، استعيذوا بالله من عذاب القبر ، فإن عذاب القبر حق»[٧٤٦].

وروى أحمد ...عن عائشة - قال : «سألتها امرأة يهودية فأعطتها ، فقالت لها : أعاذك الله من عذاب القبر. فأنكرت عائشة ذلك ، فلما رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له ، فقال : "لا". قالت عائشة : ثم قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك : "وإنه أوحي إلي أنكم تفتنون في قبوركم»[٧٤٧].

فيقال : فما الجمع بين هذا وبين كون الآية مكية ، وفيها الدليل على عذاب البرزخ ؟

والجواب : أن الآية دلت على عرض الأرواح إلى النار غدوا وعشيا في البرزخ ، وليس فيها دلالة على اتصال تألمها بأجسادها في القبور ، إذ قد يكون ذلك مختصا بالروح ، فأما حصول ذلك للجسد وتألمه بسببه ، فلم يدل عليه إلا السنة في الأحاديث المرضية الآتي ذكرها.

وقد يقال: إن هذه الآية إنما دلت على عذاب الكفار في البرزخ ، ولا يلزم من ذلك أن يعذب المؤمن في قبره بذنب.

ومما يدل على هذا ما رواه الإمام أحمد.. عن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها امرأة من اليهود ، وهي تقول : أشعرت أنكم تفتنون في قبوركم ؟ فارتاع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : "إنما يفتن يهود" قالت عائشة : فلبثنا ليالي ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أشعرت أنه أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور ؟" وقالت عائشة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد يستعيذ من عذاب القبر»[٧٤٨].

وقد يقال : إن هذه الآية دلت على عذاب الأرواح في البرزخ ، ولا يلزم من ذلك أن يتصل بالأجساد في قبورها ، فلما أوحي إليه في ذلك بخصوصيّته استعاذ منه ، والله ، سبحانه وتعالى ، أعلم.

وقد روى البخاري من حديث شعبة .. عن عائشة ، رضي الله عنها ، أن يهودية دخلت عليها فقالت : أعاذك الله من عذاب القبر. فسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر ؟ فقال : "نعم عذاب القبر حق". قالت عائشة : فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدُ صلى صلاة إلا تعوّذ من عذاب القبر»[٧٤٩].

فهذا يدل على أنه بادر إلى تصديق اليهودية في هذا الخبر ، وقرر عليه. وفي الأخبار المتقدمة : أنه أنكر ذلك حتى جاءه الوحي ، فلعلهما قضيتان ، والله أعلم ، وأحاديث عذاب القبر كثيرة جدا"[٧٥٠].

فوائد الآيات:[٤١-٤٦]:

١- بيان الفرق الكبير بين من يدعو إلى النجاة وبين من يدعو إلى النار، بين من يدعو إلى العزيز الغفار ليؤمن به ويُعبد وبين من يدعو إلى أوثان لا تسمع ولا تبصر وهي أحقر شيء وأذله في الحياة، وبين من يدعو من لا يستجيب له في الدنيا والآخرة وبين من يدعو من يستجيب له في الدنيا والآخرة.

٢- التنديد بالإسراف وفي كل شيء.

٣- نعم ما ختم به مؤمن آل فرعون وعظه ونصحه لقومه وهي فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد.

٤- إثبات عذاب القبر ونعيمه إذ آل فرعون تعرض أرواحهم على النار صباح ومساء.

---

(٧٤٦)المسند (٨١/٦).
(٧٤٧)المسند (٢٣٨/٦).
(٧٤٨)المسند (٢٤٨/٦) وصحيح مسلم برقم (٥٨٤).
(٧٤٩)صحيح البخاري برقم (١٣٧٢).
(٧٥٠) تفسير ابن كثير: ١٤٦/٧-١٤٧.

قال الغزنوي:" ثبت عرض آل فرعون على النار قبل يوم القيامة غدوا وعشيا وليس ذلك إلا عذاب القبر"(٧٥١).

القرآن

{وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ (٤٧)} [غافر : ٤٧]

التفسير:

وإذ يتخاصم أهل النار، ويعاتب بعضهم بعضًا، فيحتجُّ الأتباع المقلدون على رؤسائهم المستكبرين الذين أضلُّوهم، وزيَّنوا لهم طريق الشقاء، قائلين لهم: هل أنتم مغنون عنا نصيبًا من النار بتحملكم قسطًا من عذابنا؟

قوله تعالى:{وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ} [غافر : ٤٧]، أي:" واذكر حين يختصم الرؤساء والأتباع في نار جهنم"(٧٥٢).

قال مقاتل:" يعني: يتخاصمون"(٧٥٣).

قال الطبري:" يقول: وإذ يتخاصمون في النار. وعنى بذلك: إذ يتخاصم الذين أمر رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم بإنذارهم من مشركي قومه في النار"(٧٥٤).

قوله تعالى:{فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا} [غافر : ٤٧]، أي:" فيقول الأتباع الضعفاء للرؤساء المستكبرين عن الإِيمان واتباع الرسل، إنا كنا لكم في الدنيا أتباعاً كالخدم ننقاد لأوامركم، ونطيعكم فيما تدعوننا إليه من الكفر والضلال"(٧٥٥).

قال الطبري:" فيقول الضعفاء منهم وهم المتبعون على الشرك بالله لرؤسائهم الذين اتبعوهم على الضلالة: إنا كنا لكم في الدنيا تبعا على الكفر بالله"(٧٥٦).

قال مقاتل:" {فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ}، وهم الأتباع {لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا} عن الإيمان، وهم القادة، {إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً}، في دينكم"(٧٥٧).

قال ابن أبي زمنين:" {الضعفاء} يعني: السفلة، {للذين استكبروا} يعني: الرؤساء في الضلالة، {إنا كنا لكم تبعا} أي: دعوتمونا إلى الضلالة فأطعناكم"(٧٥٨).

قال ابن كثير:"أي : أطعناكم فيما دعوتمونا إليه في الدنيا من الكفر والضلال"(٧٥٩).

قوله تعالى:{فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ} [غافر : ٤٧]، أي:" هل أنتم مغنون عنا نصيبًا من النار بتحملكم قسطًا من عذابنا؟"(٧٦٠).

قال ابن كثير:" أي : قسطا تتحملونه عنا"(٧٦١).

قال مقاتل:" {فَهَلْ أَنْتُمْ} يا معشر القادة، {مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيباً مِنَ النَّارِ} باتباعنا إياكم"(٧٦٢).

قال الطبري:" يعنون: حظا فتخففوه عنا، فقد كنا نسارع في محبتكم في الدنيا، ومن قبلكم أتينا، لولا أنتم لكنا في الدنيا مؤمنين، فلم يصبنا اليوم هذا البلاء"(٧٦٣).

---

(٧٥١) أصول الدين(١٢٤):ص٢١٥.
(٧٥٢) صفوة التفاسير: ٩٧/٣.
(٧٥٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١٦/٣.
(٧٥٤) تفسير الطبري: ٣٩٨/٢١.
(٧٥٥) صفوة التفاسير: ٩٧/٣.
(٧٥٦) تفسير الطبري: ٣٩٨/٢١.
(٧٥٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١٦/٣.
(٧٥٨) تفسير ابن أبي زمنين: ١٣٦/٤.
(٧٥٩) تفسير ابن كثير: ١٤٩/٧.
(٧٦٠) التفسير الميسر: ٤٧٢.
(٧٦١) تفسير ابن كثير: ١٤٩/٧.
(٧٦٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١٦/٣.

عن ابن وهب، قال: "بلغني: أنّ أبا هُريرة قال: إذا أذِن اللهُ -تبارك وتعالى- نادى منادٍ في أصل الجحيم سمع صوتَه أعلاهم وأسفلُهم وأقصاهم بصوتٍ له جهير، فيقول: يا أهل النار، اجتمعوا. قال: فيجتمعون أجمعين في أصل الجحيم، معهم الزبانية، فيتنادون بينهم {فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا} في الدنيا؛ {فهل أنتم مغنون عنا}؟ قال: {فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين} [الأعراف: ٤٤]. قال: فلعن عند ذلك الضعفاء للذين استكبرو، ولعن الذين استكبرو للذين اسُتضعفوا، ولعنوا قرناءَهم من الشياطين"[٧٦٤].

القرآن

{قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٨)} [غافر : ٤٨]

التفسير:

قال الرؤساء المستكبرون مبيِّنين عجزهم: لا نتحمل عنكم شيئًا من عذاب النار، وكلُّنا فيها، لا خلاصَ لنا منها، إن الله قد قسم بيننا العذاب بقَدْر ما يستحق كلٌّ منا بقضائه العادل.

قوله تعالى:{قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا} [غافر : ٤٨]، أي:" قال الرؤساء المستكبرون مبيِّنين عجزهم: إنَّا جميعاً في نار جهنم، لا خلاصَ لنا منها"[٧٦٥].

قال الطبري:" فأجابهم المتبوعون بما أخبر الله عنهم; قال الذين استكبروا، وهم الرؤساء المتبوعون على الضلالة في الدنيا: إنا أيها القوم وأنتم كلنا في هذه النار مخلدون، لا خلاص لنا منها"[٧٦٦].

قال مقاتل:" {قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا} وهم القادة للضعفاء: {إِنَّا كُلٌّ فِيها}، نحن وأنتم "[٧٦٧].

قال ابن كثير:" أي : لا نتحمل عنكم شيئا ، كفى بنا ما عندنا ، وما حملنا من العذاب والنكال"[٧٦٨].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ} [غافر : ٤٨]، أي:" إن الله قد قسم بيننا العذاب بقَدْر ما يستحق كلٌّ منا بقضائه العادل"[٧٦٩].

قال مقاتل:" قد أنزلنا منازلنا في النار وأنزلكم منازلكم فيها"[٧٧٠].

قال الطبري:" بفصل قضائه، فأسكن أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فلا نحن مما نحن فيه من البلاء خارجون، ولا هم مما فيه من النعيم منتقلون"[٧٧١].

قال ابن كثير:" أي : يقسم بيننا العذاب بقدر ما يستحقه كل منا ، كما قال تعالى : {قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ} [الاعراف : ٣٨]"[٧٧٢].

قال السعدي:أي:" جعل لكل قسطه من العذاب، فلا يزاد في ذلك ولا ينقص منه، ولا يغير ما حكم به الحكيم"[٧٧٣].

القرآن

{وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (٤٩)} [غافر : ٤٩]

---

(٧٦٣) تفسير الطبري: ٣٩٨/٢١.
(٧٦٤)أخرجه إسحاق البستي ص ٢٨٣.
(٧٦٥) انظر: التفسير الميسر: ٤٧٢، وصفوة التفاسير: ٩٧/٣.
(٧٦٦) تفسير الطبري: ٣٩٩/٢١.
(٧٦٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١٦/٣.
(٧٦٨) تفسير ابن كثير: ١٤٩/٧.
(٧٦٩) التفسير الميسر: ٤٧٢.
(٧٧٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١٦/٣.
(٧٧١) تفسير الطبري: ٣٩٩/٢١.
(٧٧٢) تفسير ابن كثير: ١٤٩/٧.
(٧٧٣) تفسير السعدي: ٧٣٩.

التفسير:
وقال الذين في النار من المستكبرين والضعفاء لخزنة جهنم: ادعوا ربكم يُخَفِّفْ عنا يومًا واحدًا من العذاب؛ كي تحصل لنا بعض الراحة.

قوله تعالى:{وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ} [غافر : ٤٩]، أي:" وقال الذين في النار من المستكبرين والضعفاء لخزنة جهنم"(٧٧٤).

قال الطبري:يقول:" وقال أهل جهنم لخزنتها وقوّامها، استغاثة بهم من عظيم ما هم فيه من البلاء، ورجاء أن يجدوا من عندهم فرجا"(٧٧٥).

قال ابن كثير:" لما علموا أن الله ، سبحانه ، لا يستجيب منهم ولا يستمع لدعائهم ، بل قد قال : {اخْسَؤُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ} [المؤمنون : ١٠٨] سألوا الخزنة - وهم كالبوابين لأهل النار -"(٧٧٦).

قال الصابوني:" لما ئيس أهل النار بعضهم من بعض التجأوا إلى حراس جنهم يطلبون منهم التخفيف"(٧٧٧).

قال الزمخشري:" {لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ}: للقوّام بتعذيب أهلها، فإن قلت: هلا قيل: الذين في النار لخزنتها؟ قلت: لأن في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا"(٧٧٨).

قال إبراهيم التيمي:" إن أهل النار يدْعون خَزنة النار، فلا يجيبونهم مقدار أربعين سنة"(٧٧٩).

قوله تعالى:{ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ} [غافر : ٤٩]، أي:" أدعوا لنا الله أن يخفف عنا ولو مقدار يوم واحد من هذا العذاب"(٧٨٠).

قال الطبري: أي:"{ادْعُوا رَبَّكُمْ} لنا {يُخَفِّفْ عَنَّا} قدر يوم واحد من أيام الدنيا {مِنَ الْعَذَابِ} الذي نحن فيه، وإنما قلنا: معنى ذلك: قدر يوم من أيام الدنيا، لأن الآخرة يوم لا ليل فيه، فيقال: خفف عنهم يوما واحدا"(٧٨١).

قال مقاتل:" يعني: سلوا لنا ربكم، {يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً} من أيام الدنيا"(٧٨٢).

قال ابن كثير:أي:" أن يدعوا لهم الله أن يخفف عن الكافرين ولو يوما واحدا من العذاب"(٧٨٣).

قال الزمخشري:" لعل الملائكة الموكلين بعذاب أولئك أجوب دعوة، لزيادة قربهم من الله تعالى، فلهذا تعمدهم أهل النار بطلب الدعوة منهم"(٧٨٤).

قال إبراهيم التيمي:" إن أهل النار يدْعون خَزنة النار، فلا يجيبونهم مقدار أربعين سنة"(٧٨٥).

قال ابن جريج: "بلغنا أن أهل النار نادوا خَزَنة جهنم: أنْ {ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ}، فلم يجيبوهم ما شاء الله فلما أجابوهم بعد حين قالوا: {فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ}"(٧٨٦).

---

(٧٧٤) التفسير الميسر: ٤٧٢.
(٧٧٥) تفسير الطبري: ٣٩٩/٢١.
(٧٧٦) تفسير ابن كثير: ١٤٩/٧.
(٧٧٧) صفوة التفاسير: ٩٧/٣.
(٧٧٨) الكشاف: ١٧١/٤.
(٧٧٩)أخرجه يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ١٣٧ -.
(٧٨٠) صفوة التفاسير: ٩٧/٣.
(٧٨١) تفسير الطبري: ٣٩٩/٢١.
(٧٨٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١٦/٣.
(٧٨٣) تفسير ابن كثير: ١٤٩/٧.
(٧٨٤) الكشاف: ١٧٢/٤.
(٧٨٥)أخرجه يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ١٣٧ -.
(٧٨٦) أخرجه الطبري: ٧٥/١٩.

عن عمرو بن مرة -من طريق هارون بن عنترة- قال: "يرى أهلُ النار في كل سبعين عامًا ساقَ مالك خازن النار، فيقولون: {يا مالك ليقض علينا ربك} [الزخرف: ٧٧]. فيجيبهم بكلمة، ثم لا يرونه سبعين عامًا، فيستغيثون بالخزنة، فيقولون لهم {ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب} [غافر: ٤٩]. فيجيبونهم: {أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات} [غافر: ٥٠]. فيقولون: ادعوا ربَّكم، فليس أحدٌ أرحمَ مِن ربكم. فيقولون: {ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون}. قال: فيجيبهم: {اخسئوا فيها ولا تكلمون}. فعند ذلك ييأسون مِن كل خير، ويأخذون في الشهيق والويل والثبور"(٧٨٧).

القرآن

{قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (٥٠)} [غافر : ٥٠]

التفسير:

قال خزنة جهنم لهم توبيخًا: هذا الدعاء لا ينفعكم في شيء، أو لم تأتكم رسلكم بالحجج الواضحة من الله فكذبتموهم؟ فاعترف الجاحدون بذلك وقالوا: بلى. فتبرأ خزنة جهنم منهم وقالوا: نحن لا ندعو لكم، ولا نشفع فيكم، فادعوا أنتم، ولكن هذا الدعاء لا يغني شيئًا؛ لأنكم كافرون. وما دعاء الكافرين إلا في ضياع لا يُقبل، ولا يُستجاب.

قوله تعالى:{قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} [غافر : ٥٠]، أي:" قال خزنة جهنم لهم توبيخًا: ألم تأتكم الرسل بالمعجزات الظاهرات فكفرتم بهم وكذبتموهم؟"(٧٨٨).

قال الطبري:" قالت خزنة جهنم لهم: أو لم تك تأتيكم في الدنيا رسلكم بالبيّنات من الحجج على توحيد الله، فتوحدوه وتؤمنوا به، وتتبرّءوا مما دونه من الآلهة؟"(٧٨٩).

قال ابن كثير:" أي : أوما قامت عليكم الحجج في الدنيا على ألسنة الرسل؟"(٧٩٠).

قال السعدي: " {قَالُوا} لهم موبخين ومبينين أن شفاعتهم لا تنفعهم، ودعاءهم لا يفيدهم شيئًا: {أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} التي تبينتم بها الحق والصراط المستقيم، وما يقرب من الله وما يبعد منه؟"(٧٩١).

قال الزمخشري:" {أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ}: إلزام للحجة وتوبيخ، وأنهم خلفوا وراءهم أوقات الدعاء والتضرع، وعطلوا الأسباب التي يستجيب الله لها الدعوات"(٧٩٢).

قوله تعالى:{قَالُوا بَلَى} [غافر : ٥٠]، أي:" قال الكفار: بلى جاءونا"(٧٩٣).

قال مقاتل:" قد جاءتنا الرسل"(٧٩٤).

قال الطبري:" قالوا: بلى، قد أتتنا رسلنا بذلك"(٧٩٥).

قال السعدي:أي:" قد جاءونا بالبينات، وقامت علينا حجة الله البالغة فظلمنا وعاندنا الحق بعد ما تبين"(٧٩٦).

قوله تعالى:{قَالُوا فَادْعُوا} [غافر : ٥٠]، أي:" قالت لهم الملائكة: فادعوا اللهَ أنتم فإنا لا نجترىء على ذلك(٧٩٧).

---

(٧٨٧) أخرجه الطبري: ٧٩/١٩.
(٧٨٨) صفوة التفاسير: ٩٧/٣.[بتصرف]
(٧٨٩) تفسير الطبري: ٣٩٩/٢١-٤٠٠.
(٧٩٠) تفسير ابن كثير: ١٤٩/٧.
(٧٩١) تفسير السعدي: ٧٣٩.
(٧٩٢) الكشاف: ١٧٢/٤.
(٧٩٣) صفوة التفاسير: ٩٧/٣.
(٧٩٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١٦/٣.
(٧٩٥) تفسير الطبري: ٤٠٠/٢١.
(٧٩٦) تفسير السعدي: ٧٣٩.
(٧٩٧) صفوة التفاسير: ٩٧/٣.

قال الطبري:" قالت الخزنة لهم: فادعوا إذن ربكم الذي أتتكم الرسل بالدعاء إلى الإيمان به"(٧٩٨).

قال ابن كثير:" أي : أنتم لأنفسكم ، فنحن لا ندعو لكم ولا نسمع منكم ولا نود خلاصكم ، ونحن منكم برآء"(٧٩٩).

قال الزمخشري:" {قالُوا فَادْعُوا} أنتم، فإنا لا نجترئ على ذلك ولا نشفع إلا بشرطين: كون المشفوع له غير ظالم، والإذن في الشفاعة مع مراعاة وقتها، وذلك قبل الحكم الفاصل بين الفريقين، وليس قولهم فَادْعُوا لرجاء المنفعة، ولكن للدلالة على الخيبة، فإنّ الملك المقرّب إذا لم يسمع دعاؤه، فكيف يسمع دعاء الكافر"(٨٠٠).

قوله تعالى:{وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ} [غافر : ٥٠]، أي:" ولكن هذا الدعاء لا يغني شيئًا؛ لأنكم كافرون، وما دعاء الكافرين إلا في ضياع لا يُقبل، ولا يُستجاب"(٨٠١).

قال الطبري:" يقول: قد دعوا وما دعاؤهم إلا في ضلال، لأنه دعاء لا ينفعهم، ولا يستجاب لهم، بل يقال لهم: {اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ} [المؤمنون : ١٠٨]"(٨٠٢).

قال السعدي:" أي: باطل لاغ، لأن الكفر محبط لجميع الأعمال صادّ لإجابة الدعاء"(٨٠٣).

قال ابن كثير:" أي : سواء دعوتم أو لم تدعوا لا يستجاب لكم ولا يخفف عنكم ؛ ولهذا قالوا: {وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ} أي : إلا من ذهاب ، لا يتقبل ولا يستجاب "(٨٠٤).

قال سلميان التيمي: " إن أهل النار يدعون خزنة النار , فلا يجيبونهم مقدار أربعين سنة , ثم يكون جوابهم إياهم: {أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} [غافر : ٥٠] الآية , ثم ينادون مالكا فلا يجيبهم مقدار ثمانين سنة , ثم يكون جواب مالك إياهم: {إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ} [الزخرف : ٧٧]، ثم يدعون ربهم فلا يجيبهم مقدار الدنيا مرتين ثم يكون جوابه إياهم: {اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ} [المؤمنون : ١٠٨]"(٨٠٥).

قال ابن ابي زمنين:" كل كلام ذكر في القرآن من كلامهم كله فهو قبل أن يقول: {اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ} [المؤمنون : ١٠٨]"(٨٠٦).

القرآن

{إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥١)} [غافر : ٥١]

التفسير:

إنَّا لننصر رسلنا ومَن تبعهم من المؤمنين، ونؤيدهم على مَن آذاهم في حياتهم الدنيا، ويوم القيامة، يوم تشهد فيه الملائكة والأنبياء والمؤمنون على الأمم التي كذَّبت رسلها، فتشهد بأن الرسل قد بلَّغوا رسالات ربهم، وأن الأمم كذَّبتهم.

قوله تعالى:{إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [غافر : ٥١]، أي:" ننصر الرسل والمؤمنين بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة المجرمين في هذه الحياة الدنيا"(٨٠٧).

قال مقاتل:" يعني: بالنصر في الدنيا الحجة التي معهم إلى العباد"(٨٠٨).

---

(٧٩٨) تفسير الطبري: ٤٠٠/٢١.
(٧٩٩) تفسير ابن كثير: ١٤٩/٧.
(٨٠٠) الكشاف: ١٧٢/٤.
(٨٠١) التفسير الميسر: ٤٧٢.
(٨٠٢) تفسير الطبري: ٤٠٠/٢١.
(٨٠٣) تفسير السعدي: ٧٣٩.
(٨٠٤) تفسير ابن كثير: ١٥٠/٧.
(٨٠٥) رواه ابن أبي زمنين في تفسيره: ١٣٧/٤.
(٨٠٦) تفسير ابن ابي زمنين: ١٣٧/٤.
(٨٠٧) صفوة التفاسير: ٩٨/٣.
(٨٠٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١٦/٣.

وفي قوله تعالى:{إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [غافر : ٥١]، وجهان من التفسير:
أحدهما : أن ذلك في الحجة، يفتح الله حجتهم في الدنيا. قاله أبو العالية(٨٠٩).
الثاني : بالانتقام من أعدائهم. قاله السدي(٨١٠).

قال السدي : "قد كانت الأنبياء والمؤمنون يقتلون في الدنيا وهم منصورون، وذلك أن تلك الأمة التي تفعل ذلك بالأنبياء والمؤمنين لا تذهب حتى يبعث الله قوما فينتصر بهم لأولئك الذين قتلوا منهم"(٨١١).

وقال السدي:" لم يبعث الله إليهم من ينصرهم، فيطلب بدمائهم ممن فعل ذلك بهم في الدنيا وهم منصورون فيها"(٨١٢).

قال ابن كثير:" كما فُعِلَ بقتلة يحيى وزكريا وشعياء ، سلط عليهم من أعدائهم من أهانهم وسفك دماءهم ، وقد ذكر أن النمروذ أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، وأما الذين راموا صلب المسيح ، عليه السلام ، من اليهود ، فسلط الله عليهم الروم فأهانوهم وأذلوهم ، وأظهرهم الله عليهم. ثم قبل يوم القيامة سينزل عيسى ابن مريم إماما عادلا وحكما مقسطا ، فيقتل المسيح الدجال وجنوده من اليهود ، ويقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ويضع الجزية فلا يقبل إلا الإسلام. وهذه نصرة عظيمة ، وهذه سنة الله في خلقه في قديم الدهر وحديثه : أنه ينصر عباده المؤمنين في الدنيا ، ويقر أعينهم ممن آذاهم، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "يقول الله تعالى :«من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب»(٨١٣)، وفي الحديث الآخر : «إني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحرب»(٨١٤)؛ ولهذا أهلك تعالى قوم نوح وعاد وثمود ، وأصحاب الرس ، وقوم لوط ، وأهل مدين ، وأشباههم وأضرابهم ممن كذب الرسل وخالف الحق. وأنجى الله من بينهم المؤمنين ، فلم يهلك منهم أحدًا وعذب الكافرين ، فلم يفلت منهم أحدا.

وهكذا نصر الله سبحانه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه على من خالفه وناوأه ، وكذبه وعاداه ، فجعل كلمته هي العليا ، ودينه هو الظاهر على سائر الأديان. وأمره بالهجرة من بين ظهراني قومه إلى المدينة النبوية ، وجعل له فيها أنصارا وأعوانا ، ثم منحه أكتاف المشركين يوم بدر ، فنصره عليهم وخذلهم له ، وقتل صناديدهم ، وأسر سراتهم ، فاستاقهم مقرنين في الأصفاد ، ثم من عليهم بأخذه الفداء منهم ، ثم بعد مدة قريبة فتح عليه مكة ، فقرت عينه ببلده ، وهو البلد المحرم الحرام المشرف المعظم ، فأنقذه الله به مما كان فيه من الشرك والكفر ، وفتح له اليمن ، ودانت له جزيرة العرب بكمالها ، ودخل الناس في دين الله أفواجا. ثم قبضه الله ، تعالى ، إليه لما له عنده من الكرامة العظيمة ، فأقام الله أصحابه خلفاء بعده ، فبلغوا عنه دين الله ، ودعوا عباد الله إلى الله. وفتحوا البلاد والرّساتيق والأقاليم والمدائن والقرى والقلوب ، حتى انتشرت الدعوة المحمدية في مشارق الأرض ومغاربها. ثم لا يزال هذا الدين قائما منصورا ظاهرا إلى قيام الساعة"(٨١٥).

قوله تعالى:{وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} [غافر : ٥١]، أي:" وفي الآخرة يوم يحضر الأشهاد الذين يشهدون بأعمال العباد، من مَلَك ونبي ومؤمن"(٨١٦).

---

(٨٠٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٤٣٧):ص١٠/٣٢٦٧.
(٨١٠) انظر: تتفسير الطبري: ٤٠١/٢١، وتفسير ابن ابي حاتم(١٨٤٣٨):ص١٠/٣٢٦٧.
(٨١١) أخرجه الطبري: ٤٠١/٢١.
(٨١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٤٣٨):ص١٠/٣٢٦٧.
(٨١٣)) صحيح البخاري برقم (٦٥٠٢).
(٨١٤)لم أجده بهذا اللفظ وقد رواه أبو نعيم في الحلية (١١/١) موقوفا على ابن عباس : "وأنا الثائر لأوليائي يوم القيامة".
(٨١٥) تفسير ابن كثير: ١٥٠/٧-١٥١.
(٨١٦) صفوة التفاسير: ٩٨/٣.

قال ابن كثير:" أي: يوم القيامة تكون النصرة أعظم وأكبر وأجل"[٨١٧].

وفي «الْأَشْهَادُ»، ثلاثة أقوال:

أحدها : أنهم الملائكة شهدوا للأنبياء بالإبلاغ ، وعلى الأمم بالتكذيب ، قاله مجاهد[٨١٨]، وقتادة-في رواية-[٨١٩]، والأعمش[٨٢٠].

الثاني : أنهم الملائكة والأنبياء، والمؤمنون. قاله قتادة[٨٢١].

الثالث : أنهم أربعة : الملائكة والنبيون والمؤمنون والأجساد ، قاله زيد بن أسلم[٨٢٢].

قال الزمخشري في الآية:" يعنى: أنه يغلبهم في الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم، وإن غلبوا في الدنيا في بعض الأحايين امتحانا من الله، فالعاقبة لهم، ويتيح الله من يقتص من أعدائهم ولو بعد حين: والأشهاد. جمع شاهد، كصاحب وأصحاب، يريد: الحفظة من الملائكة والأنبياء والمؤمنين من أمّة محمد صلى الله عليه وسلم: {لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاس}"[٨٢٣].

القرآن

{يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٥٢)} [غافر : ٥٢]

التفسير:

يوم الحساب لا ينتفع الكافرون الذين تعدَّوا حدود الله بما يقدِّمونه من عذر لتكذيبهم رسل الله، ولهم الطرد من رحمة الله، ولهم الدار السيئة في الآخرة، وهي النار.

قوله تعالى:{يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ} [غافر : ٥٢]، أي:" يوم الحساب لا ينتفع الكافرون الذين تعدَّوا حدود الله بما يقدِّمونه من عذر لتكذيبهم رسل الله"[٨٢٤].

قال الطبري: يقول:" ذلك يوم لا ينفع أهل الشرك اعتذارهم لأنهم لا يعتذرون إن اعتذروا إلا بباطل، وذلك أن الله قد أعذر إليهم في الدنيا، وتابع عليهم الحجج فيها فلا حجة لهم في الآخرة إلا الاعتصام بالكذب بأن يقولوا: {وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ}"[٨٢٥].

قال ابن كثير:" أي : لا يقبل منهم عذر ولا فدية"[٨٢٦].

قال الزمخشري:" يحتمل أنهم يعتذرون بمعذرة ولكنها لا تنفع لأنها باطلة، وأنهم لو جاءوا بمعذرة لم تكن مقبولة لقوله تعالى: {وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُون}"[٨٢٧].

قال الشوكاني:" وإنما لم تنفعهم المعذرة لأنها معذرة باطلة، وتعلة داحضة وشبهة زائغة"[٨٢٨].

قوله تعالى:{وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ} [غافر : ٥٢]، أي:" ولهم الطرد من رحمة الله"[٨٢٩].

قال الطبري: " يقول: وللظالمين اللعنة، وهي البعد من رحمة الله"[٨٣٠].

قال الزمخشري:" البعد من رحمة الله"[٨٣١].

---

(٨١٧) تفسير ابن كثير: ١٥١/٧.

(٨١٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٢/٢١.

(٨١٩) انظر: الدر المنثور: ٢٩٣/٧، وعزاه إلى عبد الرزاق.

(٨٢٠) انظر: الدر المنثور: ٢٩٣/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٨٢١) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٢/٢١.

(٨٢٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٤٣٩):ص٣٢٦٧/١٠-٣٢٦٨.

(٨٢٣) الكشاف: ١٧٢/٤.

(٨٢٤) التفسير الميسر: ٤٧٣.

(٨٢٥) تفسير الطبري: ٤٠٢/٢١.

(٨٢٦) تفسير ابن كثير: ١٥١/٧.

(٨٢٧) الكشاف: ١٧٢/٤.

(٨٢٨) فتح القدير: ٥٦٨/٤.

(٨٢٩) التفسير الميسر: ٤٧٣.

(٨٣٠) تفسير الطبري: ٤٠٢/٢١.

قال ابن كثير:" أي : الإبعاد والطرد من الرحمة"(٨٣٢).
عن حرملة، قال: "سمعت الشافعي يقول في حديث عائشة: «واشترطي لهم الولاء»: معناه: اشترطي عليهم الولاء، قال الله تعالى: {أولئك لهم اللعنة} بمعنى: عليهم"(٨٣٣).
قوله تعالى:{وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ} [غافر : ٥٢]، أي:" ولهم الدار السيئة في الآخرة، وهي النار"(٨٣٤).
قال الطبري: " يقول: ولهم مع اللعنة من الله شرّ ما في الدار الآخرة، وهو العذاب الأليم"(٨٣٥).
قال الزمخشري:" أى: سوء دار الآخرة، وهو عذابها"(٨٣٦).
قال السعدي:" أي: الدار السيئة التي تسوء نازليها"(٨٣٧).
قال ابن كثير:" وهي النار"(٨٣٨).
عن ابن عباس:" {ولهُم سوءُ الدّار}، قال: سُوءُ العاقبة"(٨٣٩).
عن ابن عباس:" أكبرُ الكبائر الإشراك بالله؛ لأنّ الله يقول: {ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير} [الحج: ٣١]، ونقض العهد، وقطيعة الرحم؛ لأن الله تعالى يقول: {أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار}. يعني: سوء العاقبة"(٨٤٠).
فوائد الآيات:[٤٧-٥٢]:
١- بيان تخاصم أهل النار وهو ما يتم من خصومة بين الأتباع والمتبوعين.
٢- التنديد بالكبر والاستكبار إذ الكبر عائق عن الطاعة والاستقامة.
٣- عدم استجابة دعاء الكافر في الدنيا والآخرة إلا ما شاء الله.
٤- عدم قبول المعذرة يوم القيامة.
٥- عدم استجابة الدعاء في النار.
٦- بيان وعد الله لرسله والمؤمنين وهو أنه ينصرهم بأحد أمرين الأول أن ينصر دينهم ويظهره ويقرره وإن طال الزمن، والثاني أن يهلك عدوهم وينجيهم.

القرآن

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (٥٣) هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٥٤)} [غافر : ٥٣-٥٤]

التفسير:
ولقد آتينا موسى ما يهدي إلى الحق من التوراة والمعجزات، وجعلنا بني إسرائيل يتوارثون التوراة خلفًا عن سلف، هادية إلى سبيل الرشاد، وموعظة لأصحاب العقول السليمة.
قوله تعالى:{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى} [غافر : ٥٤]، أي:" ولقد آتينا موسى ما يهدي إلى الحق من التوراة والمعجزات"(٨٤١).
قال السمعاني:" أي: النبوة"(٨٤٢).

---

(٨٣١) الكشاف: ١٧٢/٤.
(٨٣٢) تفسير ابن كثير: ١٥١/٧.
(٨٣٣)أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ١٢٥.
(٨٣٤) التفسير الميسر: ٤٧٣.
(٨٣٥) تفسير الطبري: ٤٠٢/٢١.
(٨٣٦) الكشاف: ١٧٢/٤.
(٨٣٧) تفسير السعدي: ٧٣٩.
(٨٣٨) تفسير ابن كثير: ١٥١/٧.
(٨٣٩)الدر المنثور: ٦٤١/٤، وعزاه الى ابن أبي حاتم.
(٨٤٠) أخرجه الطبري: (٢٠٣٤٩):ص٤٢٨/١٦.
(٨٤١) التفسير الميسر: ٤٧٣.
(٨٤٢) تفسير السمعاني: ٢٦/٥.

قال ابن كثير:" وهو ما بعثه الله به من الهدى والنور"[٨٤٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى} البيان للحقّ الذي بعثناه به كما آتينا ذلك محمدا فكذّب به فرعون وقومه، كما كذّبت قريش محمدا"[٨٤٤].

قوله تعالى:{وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ} [غافر : ٥٤]، أي:" وجعلنا بني إسرائيل يتوارثون التوراة خلفًا عن سلف"[٨٤٥].

قال السمعاني:" أي: التوراة"[٨٤٦].

قال ابن كثير:" أي : جعلنا لهم العاقبة، وأورثناهم بلاد فرعون وأمواله وحواصله وأرضه ، بما صبروا على طاعة الله واتباع رسوله موسى ، عليه السلام ، وفي الكتاب الذي أورثوه - وهو التوراة"[٨٤٧].

قال الطبري:" يقول: وأورثنا بني إسرائيل التوراة، فعلَّمناهموها"[٨٤٨].

قوله تعالى:{هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ} [غافر : ٥٤]، أي:" ، هادية إلى سبيل الرشاد، وموعظة لأصحاب العقول السليمة"[٨٤٩].

قال الطبري:يقول: " وأنزلنا اليهم بيانا لأمر دينهم، وما ألزمناهم من فرائضها، وتذكيرا منا لأهل الحجا والعقول منهم بها"[٨٥٠].

قال ابن كثير:" {لأولِي الألبَابِ} وهي : العقول الصحيحة السليمة"[٨٥١].

القرآن

{فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (٥٥)} [غافر : ٥٥]

التفسير:

فاصبر -أيها الرسول- على أذى المشركين، فقد وعدناك بإعلاء كلمتك، ووعْدُنا حق لا يتخلف، واستغفر لذنبك، ودُمْ على تنزيه ربك عمَّا لا يليق به، في آخر النهار وأوله.

سبب النزول:

قال مقاتل: "قوله: {فاصْبِرْ إنَّ وعْدَ اللَّهِ حَقٌّ}، وذلك أنّ الله -تبارك وتعالى- وعَدَ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم - في آيتين مِن القرآن أن يُعَذِّب كفارَ مكة في الدنيا، فقالوا للنبي - صلى الله عليه وسلم -: متى يكون هذا الذي تعِدنا؟ يقولون ذلك استهزاء وتكذيبًا بأنه غير كائن؛ فأنزل الله يُعَزِّي نبيَّه - صلى الله عليه وسلم - ليصبر على تكذيبهم إياه بالعذاب، فقال: {فاصْبِرْ إنَّ وعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} في العذاب أنه نازل بهم القتل ببدر، وضرْب الملائكة الوجوه والأدبار، وتعجيل أرواحهم إلى النار، فهذا العذاب"[٨٥٢]

قوله تعالى:{فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} [غافر : ٥٥]، أي:" فاصبر -أيها الرسول- على أذى المشركين، فقد وعدناك بإعلاء كلمتك، ووعْدُنا حق لا يتخلف"[٨٥٣].

---

(٨٤٣) تفسير ابن كثير: ١٥١/٧.
(٨٤٤) تفسير الطبري: ٤٠٣/٢١.
(٨٤٥) التفسير الميسر: ٤٧٣.
(٨٤٦) تفسير السمعاني: ٢٦/٥.
(٨٤٧) تفسير ابن كثير: ١٥١/٧.
(٨٤٨) تفسير الطبري: ٤٠٣/٢١.
(٨٤٩) التفسير الميسر: ٤٧٣.
(٨٥٠) تفسير الطبري: ٤٠٣/٢١.
(٨٥١) تفسير ابن كثير: ١٥١/٧.
(٨٥٢)تفسير مقاتل بن سليمان ٣/ ٧١٨.
(٨٥٣) التفسير الميسر: ٤٧٣.

قال ابن كثير:" {فَاصْبِرْ} أي : يا محمد ، {إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ} أي : وعدناك أنا سنعلي كلمتك ، ونجعل العاقبة لك ولمن اتبعك ، والله لا يخلف الميعاد. وهذا الذي أخبرناك به حق لا مرية فيه ولا شك"(٨٥٤).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: فاصبر يا محمد لأمر ربك، وانفذ لما أرسلك به من الرسالة، وبلّغ قومك ومن أمرت بإبلاغه ما أنزل إليك، وأيقن بحقيقة وعد الله الذي وعدك من نصرتك، ونصرة من صدّقك وآمن بك، على من كذّبك، وأنكر ما جئته به من عند ربك، وإن وعد الله حقّ لا خلف له وهو منجز له"(٨٥٥).

قال مقاتل:"{اصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} في العذاب أنه نازل بهم القتل ببدر، وضرب الملائكة الوجوه والأدبار، وتعجيل أرواحهم إلى النار، فهذا العذاب"(٨٥٦).

قوله تعالى:{وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ} [غافر : ٥٥]، أي:" واطلب المغفرة من ربك"(٨٥٧).

قال الطبري: " يقول: وسله غفران ذنوبك وعفوه لك عنه"(٨٥٨).

قال ابن كثير:" قوله : {وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ} هذا تهييج للأمة على الاستغفار"(٨٥٩).

قال السمعاني:" تمسّك من جوّز الصغائر على الأنبياء بهذه الآية، فأمرهم بالاستغفار عن الصغائر. ومن لم يجوز الصغائر على الأنبياء قال : إنه أمر بالاستغفار تعبدا؛ لينال بذلك رضا الله تعالى، ويقتدي به من يأتي بعده"(٨٦٠).

قوله تعالى:{وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ} [غافر : ٥٥]، أي:" ودُمْ على تنزيه ربك عمَّا لا يليق به، في آخر النهار وأوله"(٨٦١).

قال الطبري: "يقول: وصلّ بالشكر منك لربك {بِالْعَشِيِّ} وذلك من زوال الشمس إلى الليل، {وَالإبْكَارِ} وذلك من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس. وقد وجه قوم الإبكار إلى أنه من طلوع الشمس إلى ارتفاع الضحى، وخروج وقت الضحى، والمعروف عند العرب القول الأوّل"(٨٦٢).

قال السمعاني:" أي: صل شاكرا لربك بالعشي والإبكار، والعشي من وقت زوال الشمس إلى الغروب، والإبكار ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس"(٨٦٣).

قال ابن كثير:" {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ}، أي : في أواخر النهار وأوائل الليل، {وَالإبْكَارِ} وهي أوائل النهار وأواخر الليل"(٨٦٤).

عن قتادة ، في قوله تعالى: "{بالعشي والإبكار} [آل عمران: ٤١] قال: «صلاة الفجر وصلاة العصر، وكل شيء في القرآن من ذكر التسبيح فهي الصلاة»"(٨٦٥).

عن مجاهد:"{سبح بالعشي والإبكار} الإبكار أوّل الفجر، والعشيّ مَيْل الشمس حتى تغيب"(٨٦٦).

عن الضحاك:" {بالعَشِيِّ والإبْكارِ}، قال: الصلوات المكتوبات"(٨٦٧).

---

(٨٥٤) تفسير ابن كثير: ١٥١/٧.
(٨٥٥) تفسير الطبري: ٤٠٣/٢١.
(٨٥٦) تفسير مقاتل نب سليمان: ٧١٧/٣.
(٨٥٧) صفوة التفاسير: ٩٨/٣.
(٨٥٨) تفسير الطبري: ٤٠٣/٢١.
(٨٥٩) تفسير ابن كثير: ١٥١/٧.
(٨٦٠) تفسير السمعاني: ٢٦/٥.
(٨٦١) التفسير الميسر: ٤٧٣.
(٨٦٢) تفسير الطبري: ٤٠٣/٢١.
(٨٦٣) تفسير السمعاني: ٢٦/٥.
(٨٦٤) تفسير ابن كثير: ١٥١/٧.
(٨٦٥) تفسير عبدالرزاق(٢٦٨٣):ص١٤٧/٣.
(٨٦٦) أخرجه الطبري(٧٠٢٤):ص٣٩٢/٦-٣٩٣، وانظر: جزء فيه تفسير القرآن برواية ابي جعفر الترمذي(١٥٦):ص٧٤.

قال الحسن: "{بالعَشِيِّ والإبْكار}، يعني: صلاة العصر، وصلاة الفجر"[868].

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (٥٦)} [غافر : ٥٦]

التفسير:

إن الذين يدفعون الحق بالباطل، ويردُّون الحجج الصحيحة بالشُّبَه الفاسدة بلا برهان ولا حجة من الله، ليس في صدور هؤلاء إلا تكبر عن الحق؛ حسدًا منهم على الفضل الذي آتاه الله نبيه، وكرامة النبوة التي أكرمه بها، وهو أمر ليسوا بمدركيه ولا نائليه، فاعتصم بالله من شرهم؛ إنه هو السميع لأقوالهم، البصير بأفعالهم، وسيجازيهم عليها.

سبب نزول الآيتين:[٥٦-٥٧]:

عن أبي العالية، قال:" إن اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن الدجال يكون منا في آخر الزمان، ويكون من أمره فعظموا امره، وقالوا: يصنع كذا ... فأنزل الله: {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيه} [غافر : ٥٦، قال: لا يبلغ الذي يقول، {فَاسْتَعِذْ بِاللَّه} [غافر : ٥٦]، فأمر نبيه- صلى الله عليه وسلم- أن يتعوذ من فتنة الدجال، {لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ}، الدجال"[869].

قال ابن جريج:" زعموا أن اليهود قالوا: يكون منا ملك في آخر الزمان البحر إلى ركبتيه والسحاب دون رأسه يأخذ الطير بين السماء والأرض معه جبل خبز ونهر، فنزلت {لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس}"[870].

عن كعب، في قوله: "{إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ}، قال: هم اليهود نزلت فيهم فيما ينتظرونه من أمر الدجال"[871].

قال مقاتل:" وذلك أن اليهود قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم- إن صاحبنا يبعث في آخر الزمان وله سلطان يعنون الدجال ماء البحر إلى ركبته والسحاب فوق رأسه فقال: {إِنَّ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ}، يعني: يمارون في آيات الله، لأن الدجال آية من آيات الله- عز وجل"[872].

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ} [غافر : ٥٦]، أي:" الذين يدفعون الحق بالباطل، ويردُّون الحجج الصحيحة بالشُّبَه الفاسدة بلا برهان ولا حجة من الله"[873].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن الذين يخاصمونك يا محمد فيما أتيتهم به من عند ربك من الآيات بغير حجة جاءتهم من عند الله بمخاصمتك فيها"[874].

عن قتاد، قوله:"{إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ}، لم يأتهم بذاك سلطان"[875].

---

(٨٦٧) الدر المنثور: ٢٩٣/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٨٦٨)تفسير البغوي ٧/ ١٥٢.

(٨٦٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٤٤٠):ص٣٢٦٨/١٠.

(٨٧٠) الدر المنثور: ٢٩٤/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٨٧١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٤٤١):ص٣٢٦٨/١٠.

(٨٧٢) تفسير مقاتل نب سليمان: ٧١٧/٣.

(٨٧٣) التفسير الميسر: ٤٧٣.

(٨٧٤) تفسير الطبري: ٤٠٤/٢١.

(٨٧٥) أخرجه الطبري: ٤٠٤/٢١.

قوله تعالى:{إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ} [غافر : ٥٦]، أي:" ليس في صدور هؤلاء إلا تكبر عن الحق؛ حسدًا منهم على الفضل الذي آتاه الله نبيه، وكرامة النبوة التي أكرمه بها، وهو أمر ليسوا بمدركيه ولا نائليه"[٨٧٦].

قال الطبري:" يقول: ما في صدورهم إلا كبر يتكبرون من أجله عن اتباعك، وقبول الحق الذي أتيتهم به حسدا منهم على الفضل الذي آتاك الله، والكرامة التي أكرمك بها من النبوّة {مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ} يقول: الذي حسدوك عليه أمر ليسوا بُمدركيه ولا نائليه، لأن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وليس بالأمر الذي يدرك بالأمانيّ"[٨٧٧].

قال ابن كثير:" أي : ما في صدورهم إلا كبر على اتباع الحق ، واحتقار لمن جاءهم به ، وليس ما يرومونه من إخمال الحق وإعلاء الباطل بحاصل لهم ، بل الحق هو المرفوع ، وقولهم وقصدهم هو الموضوع"[٨٧٨].

وفي قوله تعالى:{إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ} [غافر : ٥٦]، قولان:

أحدهما : أن الكبر: العظمة التي في كفار قريش ، ما هم ببالغيها، لأن الله مذلُّهم. قاله مجاهد[٨٧٩].

الثاني : ما يستكبر من الإعتقاد، وفيه قولان :

أحدهما : هو ما أمله كفار قريش في النبي -صلى الله عليه وسلم-وفي أصحابه أن يهلك ويهلكوا ، قاله الحسن[٨٨٠].

الثاني : هو أن اليهود قالوا إن الدجال منا وعظموا أمره ، واعتقدوا أنهم يملكون ، وينتقمون ، قاله أبو العالية[٨٨١]، وكعب الاحبار[٨٨٢].

قال ابن كثير:" وهذا قول غريب ، وفيه تعسف بعيد"[٨٨٣].

قال السمعاني:" ومعنى قوله: {ما هم ببالغيه} على هذا القول[٨٨٤] أن الغلبة لا تكون للدجال على المسلمين، بل تكون للمسلمين على الدجال، فإن عيسى عليه السلام ينزل ويقتل الدجال نصرة للمسلمين، وقوله: {فاستعذ بالله} أي: من شرك الدجال على هذا القول"[٨٨٥].

قوله تعالى:{فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [غافر : ٥٦]، أي:" فاعتصم بالله من شرهم إنه هو السميع لأقوالهم، البصير بأفعالهم، وسيجازيهم عليها"[٨٨٦].

قال الطبري: يقول: " فاستجر بالله يا محمد من شرّ هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان، ومن الكبر أن يعرض فى قلبك منه شيء، إن الله هو السميع لما يقول هؤلاء المجادلون في آيات الله وغيرهم من قول البصير بما تمله جوارحهم، لا يخفى عليه شيء من ذلك"[٨٨٧].

قال ابن كثير:" {فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ}، أي : من حال مثل هؤلاء، {إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} أو من شر مثل هؤلاء المجادلين في آيات الله بغير سلطان"[٨٨٨].

---

(٨٧٦) التفسير الميسر: ٤٧٣.
(٨٧٧) تفسير الطبري: ٤٠٤/٢١.
(٨٧٨) تفسير ابن كثير: ١٥٢/٧.
(٨٧٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٤/٢١.
(٨٨٠) انظر: النكت والعيون: ١٦١/٥.
(٨٨١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٤٤٠):ص٣٢٦٨/١٠.
(٨٨٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٤٤١):ص٣٢٦٨/١٠.
(٨٨٣) تفسير ابن كثير: ١٥٢/٧.
(٨٨٤) أي القول الثاني.
(٨٨٥) تفسير السمعاني: ٢٧/٥.
(٨٨٦) التفسير الميسر: ٤٧٣.
(٨٨٧) تفسير الطبري: ٤٠٤/٢١-٤٠٥.
(٨٨٨) تفسير ابن كثير: ١٥٢/٧.

القرآن

{لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٥٧)} [غافر : ٥٧]

التفسير:

لَخَلْق الله السموات والأرض أكبر من خَلْق الناس وإعادتهم بعد موتهم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن خلق جميع ذلك هيِّن على الله.

قوله تعالى:{لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ} [غافر : ٥٧]، أي:" لَخَلْق الله السموات والأرض أكبر من خَلْق الناس وإعادتهم بعد موتهم"(٨٨٩).

عن ابي العالية:" {لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس} الدجال"(٨٩٠).

قال الطبري: يقول:" لابتداع السموات والأرض وإنشاؤها من غير شيء أعظم أيها الناس عندكم إن كنتم مستعظمي خلق الناس، وإنشائهم من غير شيء من خلق الناس"(٨٩١).

قال السمعاني:" أي: رفع السموات بغير عمد، وإجراء الكواكب والشمس والقمر في مجاريها، وبسط الأرض، ونصب الجبال أهول في قلوب الناس من خلق الآدميين"(٨٩٢).

قال ابن كثير:" يقول تعالى منبها على أنه يعيد الخلائق يوم القيامة ، وأن ذلك سهل عليه ، يسير لديه - بأنه خلق السموات والأرض ، وخلقهما أكبر من خلق الناس بدأة وإعادة ، فمن قدر على ذلك فهو قادر على ما دونه بطريق الأولى والأحرى ، كما قال تعالى : {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الاحقاف : ٣٣]"(٨٩٣).

قال ابن أبي زمنين: {أكبر}، "أي: أشد , يعني: شدة خلقها وكثافتها وعرضها وطولها؛ أي: فأنتم أيها المشركون تقرون بأن الله هو الذي خلقها , وتجحدون بالبعث"(٨٩٤).

وقال مقاتل ويحيى بن سلام:" بالناس في هذا الموضع :"الدَّجَّال وحده"(٨٩٥).

قوله تعالى:{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [غافر : ٥٧]، أي:" ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن خلق جميع ذلك هيِّن على الله"(٨٩٦).

قال الطبري: يقول:" ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن خلق جميع ذلك هين على الله"(٨٩٧).

قال ابن أبي زمنين: "{ولكن أكثر الناس لا يعلمون} أنهم مبعوثون"(٨٩٨).

قال السمعاني:" أي: لا يعلمون حقيقة الأمور"(٨٩٩).

قال ابن كثير:" فلهذا لا يتدبرون هذه الحجة ولا يتأملونها ، كما كان كثير من العرب يعترفون بأن الله خلق السموات والأرض، وينكرون المعاد ، استبعادا وكفرا وعنادا ، وقد اعترفوا بما هو أولى مما أنكروا"(٩٠٠).

وقال مقاتل:" يعنى: اليهود"(٩٠١).

---

(٨٨٩) التفسير الميسر: ٤٧٣.

(٨٩٠) الدر المنثور: ٢٩٤/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم.

(٨٩١) تفسير الطبري: ٤٠٥/٢١.

(٨٩٢) تفسير السمعاني: ٢٧/٥.

(٨٩٣) تفسير ابن كثير: ١٥٣/٧.

(٨٩٤) تفسير ابن أبي زمنين: ١٣٨/٤.

(٨٩٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١٨/٣. والتصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ١٦٨، وهذا التفسير على أن الآية نزلت في اليهود، كما في قول ابي العالية وكعب الأحبار. وضعّفه ابن كثير.

(٨٩٦) التفسير الميسر: ٤٧٣.

(٨٩٧) تفسير الطبري: ٤٠٥/٢١.

(٨٩٨) تفسير ابن أبي زمنين: ١٣٨/٤.

(٨٩٩) تفسير السمعاني: ٢٧/٥.

(٩٠٠) تفسير ابن كثير: ١٥٣/٧.

قال البغوي:" {ولكن أكثر الناس} يعني الكفار، {لا يعلمون} حيث لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها، وقال قوم: {أكبر} أي: أعظم من خلق الدجال، {ولكن أكثر الناس لا يعلمون} يعني اليهود الذين يخاصمون في أمر الدجال"[٩٠٢].

فوائد الآيات:[٥٣-٥٧]:

١- بيان منة الله تعالى على موسى وبني إسرائيل تتكرر لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمته بإنزال الكتاب وتوريثه فيهم هدى وذكرى لأولي الألباب.

٢- وجوب الصبر والتحمل في ذات الله، والاستعانة على ذلك بالاستغفار والذكر والصلاة.

٣- أكثر من يجادل بالباطل ليزيل به الحق إنما يجادل من كبر يريد الوصول إليه وهو التعالي والغلبة والقهر للآخرين.

٤- تقرير عقيدة البعث بالبرهان العقلي، وهو أن البدء أصعب من الإعادة ومن أبدأ أعاد، ولا نصب ولا تعب!!

القرآن

{وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ (٥٨)} [غافر : ٥٨]

التفسير:

وما يستوي الأعمى والبصير، وكذلك لا يستوي المؤمنون الذين يُقِرُّون بأن الله هو الإله الحق لا شريك له، ويستجيبون لرسله ويعملون بشرعه، والجاحدون الذين ينكرون أن الله هو الإله الحق، ويكذبون رسله ولا يعملون بشرعه. قليلا ما تتذكرون -أيها الناس- حجج الله، فتعتبرون، وتتعظون بها.

قوله تعالى:{وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ} [غافر : ٥٨]، أي:" وما يستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئا-وهو مثل الكافر الذي لا يتأمل حجج الله بعينيه-، مع البصير الذي يرى بعينيه ما شخص لهما ويبصره-وذلك مثل للمؤمن الذي يرى بعينيه حجج الله، فيتفكَّر فيها ويتعظ-"[٩٠٣].

عن قتادة:" {وما يَسْتَوِي الأعْمى والبَصِيرُ} قال: {الأعْمى} الكافر، {والبَصِيرُ} المؤمن"[٩٠٤].

قال السدي: "يعني: بصر القلب بالإيمان وهو المؤمن"[٩٠٥].

قال الفراء:" فالأعمى –هاهنا-: الكافر، والبصير: المؤمن"[٩٠٦].

قال الطبري: يقول:" وما يستوي الأعمى الذي لا يبصر شيئا، وهو مثل الكافر الذي لا يتأمل حجج الله بعينيه، فيتدبرها ويعتبر بها، فيعلم وحدانيته وقُدرته على خلق ما شاء من شيء، ويؤمن به ويصدّق. والبصير الذي يرى بعينيه ما شخص لهما ويبصره، وذلك مثل للمؤمن الذي يرى بعينيه حجج الله، فيتفكَّر فيها ويتعظ، ويعلم ما دلت عليه من توحيد صانعه، وعظيم سلطانه وقُدرته على خلق ما يشاء; يقول جلّ ثناؤه: كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن"[٩٠٧].

---

(٩٠١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١٨/٣. وهذا التفسير على أن الآية نزلت في اليهود، كما في قول ابي العالية وكعب الأحبار.

(٩٠٢) تفسير البغوي: ١٥٣/٧.

(٩٠٣) انظر: تفسير الطبري: ٢١//٤٠٥.[بتصرف]

(٩٠٤) الدر المنثور: ٢٩٤/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٩٠٥) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٨٤/٢.

(٩٠٦) معاني القرآن: ٣٦٩/٢.

(٩٠٧) تفسير الطبري: ٤٠٥/٢١.

قال الفخر الرازي:" يعني: وما يستوي المستدل والجاهل المقلد، والمراد: التفاوت بين العالم والجاهل "(٩٠٨).

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ} [غافر : ٥٨]، أي:" وكذلك لا يستوي المؤمنون الذين يُقِرُّون بأن الله هو الإله الحق لا شريك له، ويستجيبون لرسله ويعملون بشرعه، والجاحدون الذين ينكرون أن الله هو الإله الحق، ويكذبون رسله ولا يعملون بشرعه"(٩٠٩).

قال الطبري: يقول:" ولا يستوي أيضا كذلك المؤمنون بالله ورسوله، المطيعون لربهم، ولا المسيء، وهو الكافر بربه، العاصي له، المخالف أمره"(٩١٠).

قال مقاتل:" يعني: وما يستوي في الفضل المؤمن المحسن ولا الكافر المسيء"(٩١١).

قال الطنطاوي:أي:" لا تصح المساواة بين المؤمنين الذين قدموا في دنياهم العمل الصالح، وبين الكافرين والفاسقين الذين لطخوا حياتهم بالعمل السيئ، والفعل القبيح"(٩١٢).

قال الفخر الرازي:" المراد التفاوت بين الآتي بالأعمال الصالحة وبين الآتي بالأعمال الفاسدة الباطلة"(٩١٣).

عن قتادة:" {وَالَّذين آمنُوا وَعمِلُوا الصَّالِحَات وَلَا الْمُسِيء قَلِيلا مَا تتذكرون} قَالَ: هو في نعْتهم بعدُ"(٩١٤).

قوله تعالى:{قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ} [غافر : ٥٨]، أي:" قليلا ما تتذكرون -أيها الناس- حجج الله، فتعتبرون، وتتعظون بها"(٩١٥).

قال ابن كثير:" أي : ما أقل ما يتذكر كثير من الناس"(٩١٦).

قال ابن ابي زمنين:" أي: أقلهم المتذكر؛ يعني: من يؤمن"(٩١٧).

قال الطبري: يقول:" قليلا ما تتذكرون أيها الناس حجج الله، فتعتبرون وتتعظون; يقول: لو تذكرتم آياته واعتبرتم، لعرفتم خطأ ما أنتم عليه مقيمون من إنكاركم قدرة الله على إحيائه من فني من خلقه من بعد الفناء، وإعادتهم لحياتهم من بعد وفاتهم، وعلمتم قبح شرككم من تشركون في عبادة ربكم"(٩١٨).

قال السعدي:" أي: تذكركم قليل وإلا فلو تذكرتم مراتب الأمور، ومنازل الخير والشر، والفرق بين الأبرار والفجار، وكانت لكم همة عليه، لآثرتم النافع على الضار، والهدى على الضلال، والسعادة الدائمة، على الدنيا الفانية"(٩١٩).

وقرئ:« يَتَذَكَّرُونَ»(٩٢٠).

القرآن

{إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٩)} [غافر : ٥٩]

التفسير:

---

(٩٠٨) مفاتيح الغيب: ٥٢٦/٢٧.
(٩٠٩) التفسير الميسر: ٤٧٤.
(٩١٠) تفسير الطبري: ٤٠٥/٢١.
(٩١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١٨/٣.
(٩١٢) التفسير الوسيط: ٣٠٣/١٢.
(٩١٣) مفاتيح الغيب: ٥٢٦/٢٧.
(٩١٤) الدر المنثور: ٢٩٤/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد. وفي بعض النسخ:" هم فِي بغيهم بعد".
(٩١٥) التفسير الميسر: ٤٧٤.
(٩١٦) تفسير ابن كثير: ١٥٢/٧.
(٩١٧) تفسير ابن ابي زمنين: ١٣٩/٤.
(٩١٨) تفسير الطبري: ٤٠٥/٢١.
(٩١٩) تفسير السعدي: ٧٤٠.
(٩٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٦/٢١.

إن الساعة لآتية لا شك فيها، فأيقنوا بمجيئها، كما أخبرتْ بذلك الرسل، ولكن أكثر الناس لا يُصَدِّقون بمجيئها، ولا يعملون لها.

قوله تعالى:{إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا} [غافر : ٥٩]، أي:" إن القيامة آتية لا محالة، لا شك في ذلك ولا مرية"(٩٢١).

قال مقاتل:" يعني: كائنة لا شك فيها"(٩٢٢).

قال ابن كثير:" أي : لكائنة وواقعة "(٩٢٣).

قال الطبري: يقول:" إن الساعة التي يحيي الله فيها الموتى للثواب والعقاب لجائية أيها الناس لا شكّ في مجيئها; فأيقنوا بمجيئها، وأنكم مبعوثون من بعد مماتكم، ومجازون بأعمالكم، فتوبوا إلى ربكم"(٩٢٤).

قال ابن عطية:" المعنى: قل لهم يا محمد. ثم جزم الإخبار بأن الساعة آتية، وهي القيامة المتضمنة للبعث من القبور والحساب بين يدي الله تعالى، واقتران الجمع إلى الجنة وإلى النار، وقوله تعالى: {لا رَيْبَ فِيها}، أي: في نفسها وذاتها، وإن وجد من العالم من يرتاب فيها فليست فيها في نفسها ريبة"(٩٢٥).

قال الزمخشري:" {لا رَيْبَ فِيها}: لا بد من مجيئها ولا محالة، وليس بمرتاب فيها، لأنه لا بد من جزاء"(٩٢٦).

قال القشيري:" إنّ ميقات الحساب لكائن وإن وقعت المدة في أوانه"(٩٢٧).

قوله تعالى:{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ} [غافر : ٥٩]، أي:" ولكن أكثر الناس لا يُصَدِّقون بمجيئها، ولا يعملون لها"(٩٢٨).

قال الطبري: " يقول: ولكن أكثر قريش لا يصدّقون بمجيئها"(٩٢٩).

قال ابن كثير:" أي : لا يصدقون بها ، بل يكذبون بوجودها"(٩٣٠).

قال القرطبي:" أي: لا يصدقون بها، وعندها يبين فرق ما بين الطائع والعاصي"(٩٣١).

قال مقاتل:" يعني: كفار مكة أكثرهم لا يصدقون بالبعث"(٩٣٢).

قال الفخر الرازي:" المراد بـ«أكثر الناس»: الكفار الذين ينكرون البعث والقيامة"(٩٣٣).

أخرج ابن ابي حاتم بسنده عن مالك، عن شيخ قديم من أهل اليمن -قدم من- ثم قال: سمعت أن الساعة إذا دنت اشتد البلاء على الناس، واشتد حر الشمس"(٩٣٤).

القرآن

{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (٦٠)} [غافر : ٦٠]

التفسير:

---

(٩٢١) صفوة التفاسير: ٩٩/٣.
(٩٢٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١٨/٣.
(٩٢٣) تفسير ابن كثير: ١٥٢/٧.
(٩٢٤) تفسير الطبري: ٤٠٦/٢١.
(٩٢٥) المحرر الوجيز: ٥٦٦/٤.
(٩٢٦) الكشاف: ١٧٤/٤.
(٩٢٧) لطائف الإشارات: ٣١٢/٣.
(٩٢٨) التفسير الميسر: ٤٧٤.
(٩٢٩) تفسير الطبري: ٤٠٦/٢١.
(٩٣٠) تفسير ابن كثير: ١٥٢/٧.
(٩٣١) تفسير القطرطبي: ٣٢٦/١٥.
(٩٣٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١٨/٣.
(٩٣٣) مفاتبح الغيب: ٥٢٧/٢٧.
(٩٣٤) تفسير ابن ابي حاتم(١٨٤٤٢):ص٣٢٦٨/١٠.

وقال ربكم -أيها العباد-: ادعوني وحدي وخصُّوني بالعبادة أستجب لكم، إن الذين يتكبرون عن إفرادي بالعبودية والألوهية، سيدخلون جهنم صاغرين حقيرين.

قوله تعالى:{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر : ٦٠]، أي:" وقال ربكم -أيها العباد-: ادعوني وحدي وخصُّوني بالعبادة أستجب لكم"(٩٣٥).

قال ابن عباس:"يقول: وحِّدوني أغفر لكم"(٩٣٦).

عن جرير بن عبد الله البجلي -من طريق عمرو- في قوله: "{ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}: اعبدوني"(٩٣٧).

قال ابن عباس:"أفضل العبادة الدعاء. وقرأ: {وقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}"(٩٣٨).

قال البغوي:" أي: اعبدوني دون غيري أجبكم وأثبكم وأغفر لكم، فلما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الإنابة استجابة"(٩٣٩).

قال الطبري: " ويقول ربكم أيها الناس لكم ادعوني: يقول: اعبدوني وأخلصوا لي العبادة دون من تعبدون من دوني من الأوثان والأصنام وغير ذلك، أُجِبْ دعاءكم فأعفو عنكم وأرحمكم"(٩٤٠).

قال ابن عطية:" آية تفضل ونعمة ووعد لأمة محمد صلى الله عليه وسلم بالإجابة عند الدعاء، وهذا الوعد مقيد بشرط المشيئة لمن شاء تعالى، لا أن الاستجابة عليه حتم لكل داع، لا سيما لمن تعدى في دعائه"(٩٤١).

قال ابن كثير:" هذا من فضله ، تبارك وتعالى ، وكرمه أنه ندب عباده إلى دعائه ، وتكفل لهم بالإجابة ، كما كان سفيان الثوري يقول : «يا مَنْ أحبُّ عباده إليه مَنْ سأله فأكثر سؤاله ، ويا من أبغض عباده إليه من لم يسأله ، وليس كذلك غيرك يا رب»(٩٤٢)

وفي هذا المعنى يقول الشاعر(٩٤٣):

اللهُ يَغْضبُ إن تركْتَ سُؤَالهُ... وبُنيُّ آدمَ حين يُسألُ يَغْضَبُ"(٩٤٤).

قال القشيري:" يقال: كلّ من دعاه استجاب له إمّا بما يشاء له، أو بشىء آخر هو خير له منه"(٩٤٥).

عن الحسن البصري -من طريق الربيع بن أنس- في قوله: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}، قال: "اعملوا وأبشِروا؛ فإنّه حقٌّ على الله أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات، ويزيدهم من فضله"(٩٤٦).

عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من لم يدع الله ، عز وجل ، غضب عليه"(٩٤٧).

---

(٩٣٥) التفسير الميسر: ٤٧٤.

(٩٣٦) أخرجه الطبري: ٤٠٦/٢١.

(٩٣٧)أخرجه الحاكم ٢/ ١٧٤ - ٢٧٥.

(٩٣٨)أخرجه الحاكم ١/ ٤٩١. وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٩٣٩) تفسير البغوي: ١٥٦/٧.

(٩٤٠) تفسير الطبري: ٤٠٦/٢١.

(٩٤١) المحرر الوجيز: ٥٦٦/٤.

(٩٤٢) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٥٣/٧.

(٩٤٣)البيت بلا نسبة في تفسير القرطبي: ٥/ ١٦٤، وتفسير ابن كثير: ١/ ٣٩، و ٧/ ١٣٩، ولأبي العتاهية في مجموع رسائل ابن رجب: ٣/ ١٢٦.

وانظر البيت في: "شعب الإيمان" للبيهقي (٢/ ٣٦١ رقم ١٠٦٥) وهو في شروح "الأربعين".

وقبله:

لا تسألنَّ بُني آدم حاجةً ... وسلِ الذي أبوابُهُ لا تُحجب.

(٩٤٤) تفسير ابن كثير: ١٥٣/٧.

(٩٤٥) لطائف الإشارات: ٣١٣/٣.

(٩٤٦)أخرجه سعيد بن منصور في سننه -التفسير ٧/ ٢٢٧ (١٨٨٣). وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

عن النعمان بن بشير، قال: قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم:«الدّعاء هو العبادة»، وقرأ رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي}"(٩٤٨).

عن محمد بن سعيد قال : لما مات محمد بن مسلمة الأنصاري ، وجدنا في ذؤابة سيفه كتابا : "بسم الله الرحمن الرحيم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إن لربكم في بقية دهركم نفحات، فتعرضوا له ، لعل دعوة أن توافق رحمة فيسعد بها صاحبها سعادة لا يخسر بعدها أبدا"(٩٤٩).

قال ثابت:" قالت لأنس: يا أبا حمزة أبلغك أن الدعاء نصف العبادة؟ قال: لا بل هو العبادة كلها"(٩٥٠).

قال الأشجعي:" قيل لسفيان: ادع الله، قال: إن ترك الذنوب هو الدعاء"(٩٥١).

قال كعب الأحبار: "أعطيت هذه الأمة ثلاثا لم تعطهن أمة قبلهم إلا نبي: كان إذا أرسل الله نبيا قيل له: «أنت شاهد على أمتك» وجعلكم شهداء على الناس(٩٥٢). وكان يقال له: «ليس عليك في الدين من حرج» وقال لهذه الأمة: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [الحج : ٧٨]، وكان يقال له: «ادعوني أستجب لك»، وقال لهذه الأمة: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر : ٦٠]"(٩٥٣).

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر : ٦٠]، أي:" إن الذين يتكبرون عن إفرادي بالعبودية والألوهية، سيدخلون جهنم صاغرين حقيرين"(٩٥٤).

قال الطبري:" يقول: إن الذين يتعظمون عن إفرادي بالعبادة، وإفراد الألوهة لي {سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ} صاغرين"(٩٥٥).

قال ابن كثير: {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي}، " أي : عن دعائي وتوحيدي، {سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}، أي : صاغرين حقيرين"(٩٥٦).

عن السديّ: "{إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي}، قال: عن دعائي"(٩٥٧).

عن السديّ: "{دَاخِرِينَ}، قال: صاغرين"(٩٥٨).

قال الشوكاني:" أي: ذليلين صاغرين وهذا وعيد شديد لمن استكبر عن دعاء الله، وفيه لطف بعباده عظيم وإحسان إليهم جليل حيث توعد من ترك طلب الخير منه، واستدفاع الشر به بهذا الوعيد البالغ، وعاقبه بهذه العقوبة العظيمة. فيا عباد الله وجهوا رغباتكم وعولوا في كل طلباتكم على من أمركم بتوجيهها إليه، وأرشدكم إلى التعويل عليه، وكفل لكم الإجابة به بإعطاء

---

(٩٤٧)المسند (٤٧٧/٢) وتفرد به أحمد بهذا اللفظ ورواه ابن ماجه في السنن برقم (٣٨٢٧) من طريق وكيع بهذا الإسناد بلفظ : "من لم يسأل الله يغضب عليه".

(٩٤٨) أخرجه الطبري: ٤٠٦/٢١-٤٠٧، وانظر: المسند (٢٧١/٤) وسنن الترمذي برقم (٣٣٧٢) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٤٦٤) وسنن ابن ماجه برقم (٣٨٢٨)

(٩٤٩) رواه الحافظ أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن الرامهُرْمزي، كما في تفسير ابن كثير: ١٥٤/٧، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٣٣/١٩) من وجه آخر.

(٩٥٠) أخرجه الطبري: ٤٠٨/٢١.

(٩٥١) أخرجه الطبري: ٤٠٨/٢١.

(٩٥٢) قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} [البقرة : ١٤٣].

(٩٥٣) تفسير ابن ابي حاتم(١٨٤٤٣):ص١٠/٣٢٦٨-٣٢٦٩.

(٩٥٤) التفسير الميسر: ٤٧٤.

(٩٥٥) تفسير الطبري: ٤٠٨/٢١.

(٩٥٦) تفسير ابن كثير: ١٥٥/٧.

(٩٥٧) أخرجه الطبري: ٤٠٨/٢١.

(٩٥٨) أخرجه الطبري: ٤٠٨/٢١.

الطلبة، فهو الكريم المطلق الذي يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، ويغضب على من لم يطلب من فضله العظيم، وملكه الواسع ما يحتاجه من أمور الدنيا والدين، قيل: وهذا الوعد بالإجابة مقيد بالمشيئة أي: أستجب لكم إن شئت كقوله سبحانه: {فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ} [الأنعام : ٤١]"(٩٥٩).

وفي الحديث:«يُحْشَرَ المتكبرون يوم القيامة أمثال الذّرّ ، في صور الناس ، يعلوهم كل شيء من الصغار حتى يدخلوا سجنا في جهنم - يقال له : بولس - تعلوهم نار الأنيار ، يسقون من طينة الخبال : عصارة أهل النار»(٩٦٠).

عن أبي بكر بن محمد بن يزيد بن خُنَيْس، قال: "سمعت أبي يحدث عن وُهَيب بن الورد : حدثني رجل، قال : "كنت أسير ذات يوم في أرض الروم ، فسمعت هاتفا من فوق رأس جبل وهو يقول : يا رب ، عجبت لمن عرفك كيف يرجو أحدا غيرك! يا رب ، عجبت لمن عرفك كيف يطلب حوائجه إلى أحد غيرك - قال : ثم ذهبت ، ثم جاءت الطامة الكبرى - قال : ثم عاد الثانية فقال : يا رب ، عجبت لمن عرفك كيف يتعرض لشيء من سخطك يُرضي غيرك. قال وهيب : وهذه الطامة الكبرى. قال : فناديته : أجني أنت أم إنسي ؟ قال : بل إنسي، أشغل نفسك بما يَعْنيك عما لا يعنيك"(٩٦١).

عن عطاء -من طريق ابن جُريج- قال: "لمّا نزلت: {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِينَ} فقالوا: لو علمنا أيَّ ساعة هي؟ فنزلت: {وإذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدّاعِ إذا دَعانِ} [البقرة: ١٨٦]"(٩٦٢).

القرآن

{اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٦١)} [غافر : ٦١]

التفسير:

الله وحده هو الذي جعل لكم الليل؛ لتسكنوا فيه، وتحققوا راحتكم، والنهار مضيئًا؛ لتُصَرِّفوا فيه أمور معاشكم. إن الله لذو فضل عظيم على الناس، ولكن أكثرهم لا يشكرون له بالطاعة وإخلاص العبادة.

قوله تعالى:{اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا} [غافر : ٦١]، أي:" الله وحده هو الذي جعل لكم الليل؛ لتسكنوا فيه، وتحققوا راحتكم، والنهار مضيئًا؛ لتُصَرِّفوا فيه أمور معاشكم"(٩٦٣).

قال الطبري: يقول: " الله الذي لا تصلح الألوهة إلا له، ولا تنبغي العبادة لغيره، الذي صفته أنه جعل لكم أيها الناس الليل سكنا لتسكنوا فيه، فتهدءوا من التصرّف والاضطراب للمعاش، والأسباب التي كنتم تتصرفون فيها في نهاركم، وجعل النهار مبصرا من اضطرب فيه لمعاشه، وطلب حاجاته، نعمة منه بذلك عليكم"(٩٦٤).

قال ابن كثير:" يقول تعالى ممتنا على خلقه ، بما جعل لهم من الليل الذي يسكنون فيه ويستريحون من حركات ترددهم في المعايش بالنهار ، وجعل النهار مبصرا ، أي : مضيئا ، ليتصرفوا فيه بالأسفار ، وقطع الأقطار ، والتمكن من الصناعات"(٩٦٥).

---

(٩٥٩) فتح القدير: ٥٧١/٤.
(٩٦٠)المسند (١٧٩/٢).
(٩٦١) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٥٥/٧.
(٩٦٢)أخرجه سفيان الثوري ص ٢٦٤.
(٩٦٣) التفسير الميسر: ٤٧٤.
(٩٦٤) تفسير الطبري: ٤٠٨/٢١.
(٩٦٥) تفسير ابن كثير: ١٥٥/٧.

قال السمعاني:" أي: لتسترخوا فيه من الأعمال، وقيل: لتناموا، وقوله: {والنهار مبصرا} أي: مبصرا فيه، ومعناه: أن الناس يبصرون فيه الأشياء"[٩٦٦].

قال الشوكاني:" {جعل لكم الليل لتسكنوا فيه} من الحركات في طلب الكسب لكونه جعله مظلما باردا تناسبه الراحة بالسكون والنوم. {والنهار مبصرا}، أي: مضيئا لتبصروا في حوائجكم وتتصرفوا في طلب معايشكم"[٩٦٧].

عن قتادة:" الليل سكنا: يسكن فيه كل طائر ودابة، {النهار مبصرا}، أي: منيرا"[٩٦٨].

قال مجاهد:" الشمس آية النهار"[٩٦٩].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ} [غافر : ٦١]، أي:" إن الله لذو فضل عظيم على الناس"[٩٧٠].

قال الطبري: " يقول: إن الله لمتفضل عليكم أيها الناس بما لا كفء له من الفضل"[٩٧١].

قوله تعالى:{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ} [غافر : ٦١]، أي:" ولكن أكثرهم لا يشكرون له بالطاعة وإخلاص العبادة"[٩٧٢].

قال الطبري:" يقول: ولكن أكثرهم لا يشكرونه بالطاعة له، وإخلاص الألوهة والعبادة له، ولا يد تقدمت له عنده استوجب بها منه الشكر عليها"[٩٧٣].

قال ابن كثير:" أي : لا يقومون بشكر نعم الله عليهم"[٩٧٤].

قال الشوكاني:" {ولكن أكثر الناس لا يشكرون} النعم، ولا يعترفون بها، إما لجحودهم لها، وكفرهم بها كما هو شأن الكفار، أو لإغفالهم للنظر، وإهمالهم لما يجب من شكر المنعم، وهم الجاهلون"[٩٧٥].

القرآن

{ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٦٢)} [غافر : ٦٢]

التفسير:

الذي أنعم عليكم بهذه النعم إنما هو ربكم خالق الأشياء كلها، لا إله يستحق العبادة غيره، فكيف تعدلون عن الإيمان به، وتعبدون غيره من الأوثان، بعد أن تبينت لكم دلائله؟

قوله تعالى:{ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [غافر : ٦٢]، أي:" الذي أنعم عليكم بهذه النعم إنما هو ربكم خالق الأشياء كلها"[٩٧٦].

قال الطبري: يقول:" الذي فعل هذه الأفعال، وأنعم عليكم هذه النعم أيها الناس، الله مالككم ومصلح أموركم، وهو خالقكم وخالق كلّ شيء"[٩٧٧].

قال ابن كثير:" أي : الذي فعل هذه الأشياء هو الله الواحد الأحد ، خالق الأشياء"[٩٧٨].

قال الزمخشري:" {ذَلِكُمُ} المعلوم المتميز بالأفعال الخاصة التي لا يشاركه فيها أحد هو {اللَّهُ رَبُّكُمْ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}"[٩٧٩].

---

(٩٦٦) تفسير السمعاني: ٢٩/٥.
(٩٦٧) فتح القدير: ٥٧١/٤.
(٩٦٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٤٦٩)، و(١٠٤٧٠):ص١٩٦٧/٦.
(٩٦٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٤٧٠):ص١٩٦٧/٦.
(٩٧٠) التفسير الميسر: ٤٧٤.
(٩٧١) تفسير الطبري: ٤٠٨/٢١-٤٠٩.
(٩٧٢) التفسير الميسر: ٤٧٤.
(٩٧٣) تفسير الطبري: ٤٠٩/٢١.
(٩٧٤) تفسير ابن كثير: ١٥٥/٧.
(٩٧٥) فتح القدير: ٥٧١/٤.
(٩٧٦) التفسير الميسر: ٤٧٤.
(٩٧٧) تفسير الطبري: ٤٠٩/٢١.
(٩٧٨) تفسير ابن كثير: ١٥٥/٧.

قوله تعالى:{لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [غافر : ٦٢]، أي:" لا إله يستحق العبادة غيره"(٩٨٠).
قال الطبري: " يقول: لا معبود تصلح له العبادة غيره"(٩٨١).
قال ابن كثير:" أي : " الذي لا إله غيره ، ولا رب سواه"(٩٨٢).
قال الشوكاني:" بيّن سبحانه في هذا كمال قدرته المقتضية لوجوب توحيده"(٩٨٣).
عن محمد بن إسحاق :"{لا إله إلا هو}، قال: ليس معه غيره شريكا في أمره"(٩٨٤).
عن كعب، قال: "{لا إله إلا الله}: كلمة الإخلاص"(٩٨٥).
قوله تعالى:{فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} [غافر : ٦٢]، أي:" فكيف تعدلون عن الإيمان به، وتعبدون غيره من الأوثان، بعد أن تبينت لكم دلائله؟"(٩٨٦).
قال الطبري: " يقول: فأي وجه تأخذون، وإلى أين تذهبون عنه، فتعبدون سواه؟"(٩٨٧).
قال ابن كثير:" أي : فكيف تعبدون غيره من الأصنام ، التي لا تخلق شيئا ، بل هي مخلوقة منحوتة"(٩٨٨).
قال الزمخشري:" فكيف ومن أي وجه تصرفون عن عبادته إلى عبادة الأوثان"(٩٨٩).
قال القرطبي:" أي: كيف تنقلبون وتنصرفون عن الإيمان بعد أن تبينت لكم دلائله"(٩٩٠).
قال ابن عطية:" {تُؤْفَكُونَ}، معناه: تصرفون على طريق النظر والهدى، وهذا تقرير بمعنى التوبيخ والتقريع"(٩٩١).
عن ابن عباس: "{فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ}، «أنى»، قال: كيف"(٩٩٢).
عن الحسن: "{فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ}، قال: أنى تصرفون"(٩٩٣).

القرآن

{كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٦٣)} [غافر : ٦٣]

التفسير:

كما كذَّبتم بالحق -يا كفار قريش- وأعرضتم عنه إلى الباطل، يُصرف عن الحق والإيمان به الذين كانوا بحجج الله وأدلته يجحدون.

قال الطبري: " يقول: كذهابكم عنه أيها القوم، وانصرافكم عن الحقّ إلى الباطل، والرشد إلى الضلال، ذهب عنه الذين كانوا من قبلكم من الأمم بحجج الله وأدلته يكذّبون فلا يؤمنون; يقول: فسلكتم أنتم معشر قريش مسلكهم، وركبتم محجتهم في الضلال"(٩٩٤).

قال ابن كثير:" أي : كما ضل هؤلاء بعبادة غير الله ، كذلك أفك الذين من قبلهم ، فعبدوا غيره بلا دليل ولا برهان بل بمجرد الجهل والهوى ، وجحدوا حجج الله وآياته "(٩٩٥).

---

(٩٧٩) الكشاف: ١٧٦/٤.
(٩٨٠) التفسير الميسر: ٤٧٤.
(٩٨١) تفسير الطبري: ٤٠٩/٢١.
(٩٨٢) تفسير ابن كثير: ١٥٥/٧.
(٩٨٣) فتح القدير: ٥٧١/٤.
(٩٨٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧٣٤):ص٢٠١٠/٦.
(٩٨٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٦٤):ص١٥٨٦/٥.
(٩٨٦) التفسير الميسر: ٤٧٤.
(٩٨٧) تفسير الطبري: ٤٠٩/٢١.
(٩٨٨) تفسير ابن كثير: ١٥٥/٧.
(٩٨٩) الكشاف: ١٧٦/٤.
(٩٩٠) تفسير القطربي: ٣٢٨/١٥.
(٩٩١) المحرر الوجيز: ٥٦٧/٤.
(٩٩٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٦٦٦):ص١٣٥٣/٤.
(٩٩٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٦٦٧):ص١٣٥٣/٤.
(٩٩٤) تفسير الطبري: ٤٠٩/٢١.

قال القرطبي:" أي: كما صرفتم عن الحق مع قيام الدليل عليه فـ {كذلك} يصرف عن الحق{الذين كانوا بآيات الله يجحدون}"(٩٩٦).

قال الشوكاني:" أي: مثل الإفك يؤفك الجاحدون لآيات الله المنكرون لتوحيده"(٩٩٧).

قال السمعاني:" أي: يصرف عن الحق من كان مشركا بالله جاحدا لآياته"(٩٩٨).

قال ابن عطية:" قال لنبيه: {كَذَلِكَ يُؤْفَكُ}، أي: على هذه الهيئة وبهذه الصفة صرف الله تعالى الكفار الجاحدين بآيات الله من الأمم المتقدمة على طريق الهدى"(٩٩٩).

فوائد الآيات:[٥٨-٦٣]:

١- بيان حقيقة هي أن الضدين لا يجتمعان فالكفر والإيمان، والإحسان والإساءة والعمى والبصر والصمم والسمع هذه كلها لا تستوي بعضها ببعض فمحاولة الجمع بينها محاولة باطلة ولا تنبغي.

٢- قرب الساعة مع تحتم مجيئها والأدلة على ذلك العقلية والنقلية كثيرة جداً.

٣- فضل الدعاء وقد ورد أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:« ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع»(١٠٠٠).

وللدعاء المستجاب شروط منها: أن يكون القلب متعلقا بالله معرضاً عما سواه وأن لا يسأل ما فيه إثم، ولا يتعدى في الدعاء فيسأل ما لم تجر سنة الله به كأن يسأل أن يرى الجنة يقظة أو أن يعود شاباً وهو شيخ كبير أو أن يرزق الولد وهو لا يتزوج.

٤- الدعاء هو العبادة ولذا من دعا غير الله فقد أشرك بالله.

٥- بيان إنعام الله وإفضاله والمطالبة بشكر الله تعالى بحمده والثناء عليه وبطاعته بفعل محابه وترك مكارهه.

القرآن

{اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٦٤)} [غافر : ٦٤]

التفسير:

الله الذي جعل لكم الأرض؛ لتستقروا فيها، ويسَّر لكم الإقامة عليها، وجعل السماء سقفًا للأرض، وبثَّ فيها من العلامات الهادية، وخلقكم في أكمل هيئة وأحسن تقويم، وأنعم عليكم بحلال الرزق ولذيذ المطاعم والمشارب، ذلكم الذي أنعم عليكم بهذه النعم هو ربكم، فتكاثر خيره وفضله وبركته، وتنزَّه عمَّا لا يليق به، وهو ربُّ الخلائق أجمعين.

قوله تعالى:{اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا} [غافر : ٦٤]، أي:" الله الذي جعل لكم الأرض؛ لتستقروا فيها، ويسَّر لكم الإقامة عليها"(١٠٠١).

قال الطبري:يقول:" {اللهُ} الذي له الألوهة خالصة أيها الناس {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ} التي أنتم على ظهرها سكان {قَرَارًا} تستقرون عليها، وتسكنون فوقها"(١٠٠٢).

---

(٩٩٥) تفسير ابن كثير: ١٥٥/٧.

(٩٩٦) تفسير القطرطبي: ٣٢٨/١٥.

(٩٩٧) فتح القدير: ٥٧١/٤.

(٩٩٨) تفسير السمعاني: ٢٩/٥.

(٩٩٩) المحرر الوجيز: ٥٦٧/٤.

(١٠٠٠)أخرجه أبو يعلى (١٣٠/٦، رقم ٣٤٠٣) ، وابن حبان (١٧٦/٣، ترجمة ٨٩٤) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٤٠/٢، رقم ١١١٦) ، والضياء (٩/٥، رقم ١٦١٠) وقال: رجال موثقون والصواب أنه مرسل.

ومن غريب الحديث: "شسع": هو أحد سيور النعل الذى يدخل بين الإصبعين.

(١٠٠١) التفسير الميسر: ٤٧٤.

(١٠٠٢) تفسير الطبري: ٢١/ ٤٠٩-٤١٠.

قال ابن كثير:" أي : جعلها مستقرا لكم ، بساطا مهادا تعيشون عليها ، وتتصرفون فيها ، وتمشون في مناكبها ، وأرساها بالجبال لئلا تميد بكم"(١٠٠٣).
عن الربيع في قوله:"{ولكم في الأرض مستقرٌ}، قال: هو قوله: {جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا}"(١٠٠٤).
قوله تعالى:{وَالسَّمَاءَ بِنَاءً} [غافر : ٦٤]، أي:" وجعل السماء سقفًا للأرض، وبثَّ فيها من العلامات الهادية"(١٠٠٥).
قال ابن كثير:" أي : سقفا للعالم محفوظا"(١٠٠٦).
قال الطبري:" بناها فرفعها فوقكم بغير عمد ترونها لمصالحكم، وقوام دنياكم إلى بلوغ آجالكم"(١٠٠٧).
عن قتادة في قول الله:"{والسماءَ بناءً}، قال: جعل السماء سَقفًا لكَ"(١٠٠٨).
قوله تعالى:{وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ} [غافر : ٦٤]، أي:" وخلقكم في أكمل هيئة وأحسن تقويم"(١٠٠٩).
قال ابن عباس:" يعني: آدم خلقه بيده"(١٠١٠).
وقال ابن عباس:" خُلِق ابن آدم قائمًا معتدلًا، يأكل ويتناول بيده، وغير ابن آدم يتناول بِفِيه"(١٠١١).
قال الطبري:" يقول: وخلقكم فأحسن خلقكم"(١٠١٢).
قال ابن كثير:" أي:فخلقكم في أحسن الأشكال، ومنحكم أكمل الصور في أحسن تقويم"(١٠١٣).
قال ابن ابي زمنين:" أي: جعل صوركم أحسن من صور البهائم والطير"(١٠١٤).
قال الزجاج:" خلقكم أحسن الحَيَوَان كلّه، والدليل على ذلك أن الإنسان لا يُسَرُّ بأن يكون صورته على غير صورة الآدميين، فالإنسان أحسن الحيوان.
وقيل أيضاً فأحسن صوركم من أرَادَ اللَّه أن يكون أبيض كان أبيض، ومن أراد أنْ يكون أسودَ كان أسْوَدَ ومن أراد أن يكون دَمِيماً كان دَمِيماً أو تاماً كان تامًّا، فأحسن ذلك - عزَّ وجلَّ - وأتى من كل صورةِ بكل صنف على إرادته"(١٠١٥).
قال القشيري:" خلق العرش والكرسيّ والسماوات والأرضين وجميع المخلوقات ولم يقل هذا الخطاب، وإنما قال لنا: {وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ}، وليس الحسن ما يستحسنه الناس بل الحسن ما يستحسنه الحبيب"(١٠١٦).
عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مكث المني في الرحم أربعين ليلة أتاه ملك النفوس فعرج به إلى الرب فيقول: يا رب أذكر أم أنثى؟ فيقضي الله ما هو

(١٠٠٣) تفسير ابن كثير: ١٥٦/٧.
(١٠٠٤) أخرجه الطبري(٧٦٦):ص٥٣٨/١.
(١٠٠٥) التفسير الميسر: ٤٧٤.
(١٠٠٦) تفسير ابن كثير: ١٥٦/٧.
(١٠٠٧) تفسير الطبري: ٤١٠/٢١.
(١٠٠٨) أخرجه الطبري(٤٧٩):ص٣٦٧/١.
(١٠٠٩) التفسير الميسر: ٤٧٤.
(١٠١٠) أخرجه الطبري :٤١٦/٢٣.
(١٠١١)تفسير البغوي ٧/ ١٥٦.
(١٠١٢) تفسير الطبري: ٤١٠/٢١.
(١٠١٣) تفسير ابن كثير: ١٥٦/٧.
(١٠١٤) تفسير ابن ابي زمنين: ١٤١/٤.
(١٠١٥) معاني القرآن: ١٨٠/٥.
(١٠١٦) لطائف الإشارات: ٣١٤/٣.

قاض فيقول أشقي أم سعيد؟ فيكتب ما هو لاق»، وقرأ أبو ذر من فاتحة التغابن خمس آيات إلى قوله: {وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ}[(١٠١٧)]"[(١٠١٨)].

وتروى عن ابن رزين :«فأحسن صوركم»، بكسر الصاد، وهي لغة[(١٠١٩)].

قوله تعالى:{وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ} [غافر : ٦٤]، أي:" وأنعم عليكم بحلال الرزق ولذيذ المطاعم والمشارب"[(١٠٢٠)].

قال الطبري:" يقول: ورزقكم من حلال الرزق، ولذيذات المطاعم والمشارب"[(١٠٢١)].

قال ابن كثير:" أي : من المآكل والمشارب في الدنيا. فذكر أنه خلق الدار ، والسكان ، والأرزاق - فهو الخالق الرازق ، كما قال في سورة البقرة : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة : ٢١ ، ٢٠]"[(١٠٢٢)].

قال مقاتل بن حيان:"{مِنَ الطَّيِّبَاتِ}، يعني: الحلال من الرزق"[(١٠٢٣)].

قال السدي: "يقول جعل رزقكم أطيب من رزق الدواب والطير والجن"[(١٠٢٤)].

قال الواحدي:" يعني: من غير رزق الدواب"[(١٠٢٥)].

قوله تعالى:{ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ} [غافر : ٦٤]، أي:" ذلكم الذي أنعم عليكم بهذه النعم هو ربكم"[(١٠٢٦)].

قال الطبري: يقول: " فالذي فعل هذه الأفعال، وأنعم عليكم أيها الناس هذه النعم، هو الله الذي لا تنبغي الألوهة إلا له، وربكم الذي لا تصلح الربوبية لغيره، لا الذي لا ينفع ولا يضر، ولا يخلق ولا يرزق"[(١٠٢٧)].

قوله تعالى:{فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [غافر : ٦٤]، أي:" فتكاثر خيره وفضله وبركته، وتنزَّه عمَّا لا يليق به، وهو ربُّ الخلائق أجمعين"[(١٠٢٨)].

قال الطبري: " يقول: فتبارك الله مالك جميع الخلق جنهم وإنسهم، وسائر أجناس الخلق غيرهم"[(١٠٢٩)].

قال ابن كثير:" أي : فتعالى وتقدس وتنزه رب العالمين كلهم"[(١٠٣٠)].

قال ابن ابي زمنين:" تبارك: من البركة"[(١٠٣١)].

وفي قوله تعالى:{ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، وجوه:

أحدها: أن «العالمين»: ألف أمة، فستمائة في البحر وأربعمائة في البر. رواه مغيث بن شمس عن تبيع[(١٠٣٢)].

(١٠١٧)[التغابن : ٣].

(١٠١٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٩٠٢):ص١٠/٣٣٥٨.

(١٠١٩) انظر: إعراب القرآن للنحاس: ٣٠/٤، والكشف والبيان: ٢٨٠/٨.

(١٠٢٠) التفسير الميسر: ٤٧٤.

(١٠٢١) تفسير الطبري: ٤١٠/٢١.

(١٠٢٢) تفسير ابن كثير: ١٥٦/٧.

(١٠٢٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٩٧١):ص٥/١٦٨٣.

(١٠٢٤) نقلا عن تفسير ابن أبي زمنين: ١٤١/٤.

(١٠٢٥) التفسير الوسيط: ٢٠/٤.

(١٠٢٦) التفسير الميسر: ٤٧٤.

(١٠٢٧) تفسير الطبري: ٤١٠/٢١.

(١٠٢٨) التفسير الميسر: ٤٧٤.

(١٠٢٩) تفسير الطبري: ٤١٠/٢١.

(١٠٣٠) تفسير ابن كثير: ١٥٦/٧.

(١٠٣١) تفسير ابن ابي زمنين: ١٤١/٤.

(١٠٣٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٢٥٢):ص٦/١٩٣١.

الثاني: أن «رب العالمين»: ما وصف من خلقه. قاله قتادة[١٠٣٣].
الثالث: أن «رب العالمين»: الجن والإنس، وهذا قول مجاهد[١٠٣٤].

القرآن
{هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٥)} [غافر : ٦٥]

التفسير:
هو الله سبحانه الحي الذي له الحياة الكاملة التامة لا إله غيره، فاسألوه واصرفوا عبادتكم له وحده، مخلصين له دينكم وطاعتكم. فالحمد لله والثناء الكامل له رب الخلائق أجمعين.

قوله تعالى:{هُوَ الْحَيُّ} [غافر : ٦٥]، أي:" هو الله سبحانه الحي الذي له الحياة الكاملة التامة"[١٠٣٥].

قال الطبري: "يقول: هو الحي الذي لا يموت، الدائم الحياة، وكل شيء سواه فمنقطع الحياة غير دائمها"[١٠٣٦].

قال ابن كثير:" أي : هو الحي أزلا وأبدًا ، لم يزل ولا يزال ، وهو الأول والآخر ، والظاهر والباطن"[١٠٣٧].

قوله تعالى:{لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [غافر : ٦٥]، أي:" لا إله غيره"[١٠٣٨].

قال الطبري: " يقول: لا معبود بحق تجوز عبادته، وتصلح الألوهة له إلا الله الذي هذه الصفات صفاته"[١٠٣٩].

قال ابن كثير:" أي : لا نظير له ولا عديل له"[١٠٤٠].

عن ابن عباس قوله: {لا إله إلا هو}، قال: توحيد"[١٠٤١].

قوله تعالى:{فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [غافر : ٦٥]، أي:" فاسألوه واصرفوا عبادتكم له وحده، مخلصين له دينكم وطاعتكم"[١٠٤٢].

قال الطبري: يقول:" فادعوه أيها الناس مخلصين له الدين، مخلصين له الطاعة، مفردين له الألوهة، لا تشركوا في عبادته شيئا سواه، من وثن وصنم، ولا تجعلوا له ندا ولا عدلا"[١٠٤٣].

قال ابن كثير:" أي : موحدين له مقرين بأنه لا إله إلا هو"[١٠٤٤].

قال أبو العالية:" أسس الدين على الإخلاص لله وحده لا شريك له"[١٠٤٥].

قوله تعالى:{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [غافر : ٦٥]، أي:" فالحمد لله والثناء الكامل له رب الخلائق أجمعين"[١٠٤٦].

(١٠٣٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٢٥٣):ص١٩٣١/٦.
(١٠٣٤) تفسير ابن ابي حاتم:١٩٣٢/٦.
(١٠٣٥) التفسير الميسر: ٤٧٤.
(١٠٣٦) تفسير الطبري: ٤١٠/٢١.
(١٠٣٧) تفسير ابن كثير: ١٥٦/٧.
(١٠٣٨) التفسير الميسر: ٤٧٤.
(١٠٣٩) تفسير الطبري: ٤١٠/٢١.
(١٠٤٠) تفسير ابن كثير: ١٥٦/٧.
(١٠٤١)أخرجه ابن أبي حاتم (٣١٦٠): ص ٢/ ٥٩١.
(١٠٤٢) التفسير الميسر: ٤٧٤.
(١٠٤٣) تفسير الطبري: ٤١٠/٢١.
(١٠٤٤) تفسير ابن كثير: ١٥٦/٧.
(١٠٤٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٢١):ص٢١٤٦/٧.
(١٠٤٦) التفسير الميسر: ٤٧٤.

قال الطبري:" يقول: الشعر لله الذي هو مالك جميع أجناس الخلق، من ملك وجن وإنس وغيرهم، لا للآلهة والأوثان التي لا تملك شيئا، ولا تقدر على ضرّ ولا نفع، بل هو مملوك، إن ناله نائل بسوء لم يقدر له عن نفسه دفعًا"[١٠٤٧].

قال كعب:" «الحمد لله»: ثناء على الله"[١٠٤٨].

قال الضحاك:" «الحمد لله»: رداء الرحمن"[١٠٤٩].

قال ابن عباس:" من قال لا إله إلا الله، فليقل على إثرها: الحمد لله ربّ العالمين، فذلك قوله: {فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}"[١٠٥٠].

قال سعيد بن جبير:"إذا قال أحدكم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فليقل: الحمد لله ربّ العالمين، ثم قال: {فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}"[١٠٥١].

القرآن

{قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٦)} [غافر : ٦٦]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لمشركي قومك: إني نُهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله، لمَّا جاءني الآيات الواضحات من عند ربي، وأمرني أن أخضع وأنقاد بالطاعة التامة له، سبحانه رب العالمين.

سبب النزول:

عن ابن عباس: "أنّ الوليد بن المُغيرة وشيبة بن ربيعة قالا: يا محمد، ارجع عمّا تقول، وعليك بدين آبائك وأجدادك. فأنزل الله تعالى: {قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ}"[١٠٥٢].

قال مقاتل:" وذلك أن كفار مكة من قريش قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم-: ما يحملك على هذا الذي أتيتنا به ألا تنظر إلى مِلَّة أبيك عبد الله، وجدك عبد المطلب، وإلى سادة قومك يعبدون اللات والعزى ومناة فتأخذ به فما يحملك عَلَى ذَلِكَ إلا الحاجة فنحن نجمع لك من أموالنا، فأمروه بترك عبادة الله- تعالى- فأنزل الله {قل} يا محمد لكفار مكة :{إنى نهيت أن أعبد الَّذِينَ تَدْعُون}"[١٠٥٣].

قوله تعالى:{قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي} [غافر : ٦٦]، أي:" قل -أيها الرسول- لمشركي قومك: إني نُهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله، لمَّا جاءني الآيات الواضحات من عند ربي"[١٠٥٤].

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: قل يا محمد لمشركي قومك من قريش {إِنِّي نُهِيتُ} أيها القوم {أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} من الآلهة والأوثان لما جاءني الآيات الواضحات من عند ربي، وذلك آيات كتاب الله الذي أنزله"[١٠٥٥].

قال أبو الليث السمرقندي:" يعني: نهاني ربي أن أعبد الذين تعبدون من دون الله من الأصنام، حين جاءني الواضحات، وهو القرآن"[١٠٥٦].

(١٠٤٧) تفسير الطبري: ٤١٠/٢١.
(١٠٤٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٧٤):ص١٤٧٩/٥.
(١٠٤٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٧٥):ص١٤٧٩/٥.
(١٠٥٠) اخرجه الطبري: ٤١٠/٢١.
(١٠٥١) اخرجه الطبري: ٤١١/٢١.
(١٠٥٢) الدر المنثور: ٣٠٤/٧، وعزاه السيوطي إلى ابن جرير.
(١٠٥٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١٩/٣.
(١٠٥٤) التفسير الميسر: ٤٧٤.
(١٠٥٥) تفسير الطبري: ٤١١/٢١.

قال ابن كثير:" يقول تعالى : قل يا محمد لهؤلاء المشركين : إن الله ينهى أن يُعْبَد أحد سواه من الأصنام والأنداد والأوثان"(١٠٥٧).

قال البغوي:" وذلك حين دعي إلى الكفر"(١٠٥٨).

قال الزجاج:" كانوا يعبدون الأصنام، وقالوا: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}، فأعلم اللَّه عزْ وجل أنه لا يُعبَدُ غيرُه"(١٠٥٩).

قال الماتريدي:" كان الكفرة دعوا رسول اللَّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ - إلى عبادة ما عبدوا هم من الأصنام، فقال: إني نهيت عن ذلك"(١٠٦٠).

قوله تعالى:{وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [غافر : ٦٦]، أي:" وأمرني أن أخضع وأنقاد بالطاعة التامة له، سبحانه رب العالمين"(١٠٦١).

قال الطبري: " يقول: وأمرني ربي أن أذلّ لربّ كلّ شيء، ومالك كلّ خلق بالخضوع، وأخضع له بالطاعة دون غيره من الأشياء"(١٠٦٢).

قال الماتريدي:" أي: أمرت أن أجعل الخلق وكل شيء لله سالمًا خالصًا لا أشرك فيه غيره"(١٠٦٣).

قال أبو الليث السمرقندي:" يعني: أستقيم على التوحيد"(١٠٦٤).

قال السمعاني:" أي: أستسلم وأنقاد لحكمه"(١٠٦٥).

القرآن

{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦٧)} [غافر : ٦٧]

التفسير:

هو الله الذي خلق أباكم آدم من تراب، ثم أوجدكم من المنيِّ بقدرته، وبعد ذلك تنتقلون إلى طور الدم الغليظ الأحمر، ثم تجري عليكم أطوار متعددة في الأرحام، إلى أن تولدوا أطفالا صغارًا، ثم تقوى بِنْيَتُكم إلى أن تصيروا شيوخًا، ومنكم من يموت قبل ذلك، ولتبلغوا بهذه الأطوار المقدَّرة أجلا مسمى تنتهي عنده أعماركم، ولعلكم تعقلون حجج الله عليكم بذلك، وتتدبرون آياته، فتعرفون أنه لا إله غيره يفعل ذلك، وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له.

قوله تعالى:{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ} [غافر : ٦٧]، أي:" الله وحده الذي خلقكم من تراب، ثم من مَنِيٍّ، ثم من قطعة عالقة بجدار الرحم فيها الخطوط الأولى للتخليق"(١٠٦٦).

قال قتادة:" {وَالله خَلَقكُم من تُرَاب} يَعْنِي خلق آدم من تُرَاب، {ثمَّ من نُطْفَة} يَعْنِي: ذُريَّته"(١٠٦٧).

(١٠٥٦) بحر العلوم: ٢١٢/٣-٢١٣.
(١٠٥٧) تفسير ابن كثير: ١٥٦/٧-١٥٧.
(١٠٥٨) تفسير البغوي: ١٥٨/٧.
(١٠٥٩) معاني القرآن: ٢٥٥/٢.
(١٠٦٠) تأويلات أهل السنة: ٤٨/٩.
(١٠٦١) التفسير الميسر: ٤٧٤.
(١٠٦٢) تفسير الطبري: ٤١٢/٢١.
(١٠٦٣) تأويلات أهل السنة: ٤٩/٩.
(١٠٦٤) بحر العلوم: ٢١٢/٣-٢١٣.
(١٠٦٥) تفسير السمعاني: ٣٠/٥.
(١٠٦٦) التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ٦٦١/٨.
(١٠٦٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٩٤٥):ص٣١٧٤/١٠.

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره آمرًا نبيه محمدا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم بتنبيه مشركي قومه على حججه عليهم في وحدانيته: قل يا محمد لقومك: أمرت أن أسلم لرب العالمين الذي صفته هذه الصفات. وهي أنه خلق أباكم آدم {مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ} خلقكم {مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ} بعد أن كنتم نطفا"(١٠٦٨).

قال السعدي:" قرر هذا التوحيد، بأنه الخالق لكم والمطور لخلقتكم، فكما خلقكم وحده، فاعبدوه وحده فقال: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ} وذلك بخلقه لأصلكم وأبيكم آدم عليه السلام. {ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ} وهذا ابتداء خلق سائر النوع الإنساني، ما دام في بطن أمه، فنبه بالابتداء، على بقية الأطوار، من العلقة، فالمضغة، فالعظام، فنفخ الروح"(١٠٦٩).

قوله تعالى:{ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا} [غافر : ٦٧]، أي:" ثم يخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالا"(١٠٧٠).

قال الطبري: " من بطون أمهاتكم صغارا"(١٠٧١).

قوله تعالى:{ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ} [غافر : ٦٧]، أي:" ثم ينشأ أعماركم ويؤخرها لتبلغوا أشدكم من الكمال والقوة"(١٠٧٢).

قال الطبري: " فتتكامل قواكم"(١٠٧٣).

قال السعدي:" ثم هكذا تنتقلون في الخلقة الإلهية حتى تبلغوا أشدكم من قوة العقل والبدن، وجميع قواه الظاهرة والباطنة"(١٠٧٤).

قال ابن أبي زمنين:" {ثم لتبلغوا أشدكم}: الاحتلام"(١٠٧٥).

قوله تعالى:{ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا} [غافر : ٦٧]، أي:" ثم يمد في آجالكم لتكونوا شيوخا"(١٠٧٦).

قال ابن كثير:" أي : هو الذي يقلبكم في هذه الأطوار كلها ، وحده لا شريك له ، وعن أمره وتدبيره وتقديره يكون ذلك كله"(١٠٧٧).

قال ابن أبي زمنين:" يعني: من يبلغ حتى يكون شيخا"(١٠٧٨).

قال قتادة:" يثغر الغُلَام لسبع ويحتلم لأربعة عشر وَيَنْتَهي طوله لإحدى وَعشْرين وَيَنْتَهي عقله لثمان وَعشْرين ويبلغ أشده لثلاث وَثَلَاثِينَ"(١٠٧٩).

قوله تعالى:{وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ} [غافر : ٦٧]، أي:" ومنكم من يموت قبل ذلك"(١٠٨٠).

قال الطبري: "{مِنْ قَبْلُ} أن يبلغ الشيخوخة"(١٠٨١).

قال مقاتل:" {مِنْ قَبْلُ} أن يكون شيخا"(١٠٨٢).

قال يحيى:" {مِنْ قَبْلُ} أن يبلغ أرذل العمر"(١٠٨٣).

(١٠٦٨) تفسير الطبري: ٤١٢/٢١.
(١٠٦٩) تفسير السعدي: ٧٤٢.
(١٠٧٠) التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ٦٦١/٨.
(١٠٧١) تفسير الطبري: ٤١٢/٢١.
(١٠٧٢) التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ٦٦١/٨.
(١٠٧٣) تفسير الطبري: ٤١٢/٢١.
(١٠٧٤) تفسير السعدي: ٧٤٢.
(١٠٧٥) تفسير ابن ابي زمنين: ١٤١/٤.
(١٠٧٦) التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ٦٦١/٨.
(١٠٧٧) تفسير ابن كثير: ١٥٧/٧.
(١٠٧٨) تفسير ابن ابي زمنين:١٤١/٤.
(١٠٧٩) الدر المنثور: ٣٠٥/٧، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(١٠٨٠) التفسير الميسر: ٤٧٥.
(١٠٨١) تفسير الطبري: ٤١٢/٢١.
(١٠٨٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٢٠/٣.

قال السعدي:" {مِنْ قَبْلُ} بلوغ الأشد"[1084].

قال ابن كثير:" أي : من قبل أن يوجد ويخرج إلى هذا العالم ، بل تسقطه أمه سقطا ، ومنهم من يتوفى صغيرا، وشابا ، وكهلا قبل الشيخوخة ، كقوله : {لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} [الحج : ٥]"[1085].

قوله تعالى:{وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى} [غافر : ٦٧]، أي:" ولتصلوا إلى الزمان الذي حُدِّد لكل شخصٍ وهو الموتَ"[1086].

قال مقاتل:" يعني: الشيخ والشاب جميعا"[1087].

قال الطبري: "يقول: ولتبلغوا ميقاتا مؤقتا لحياتكم، وأجلا محدودا لا تجاوزونه، ولا تتقدمون قبله"[1088].

قال السعدي:" {وَلِتَبْلُغُوا} بهذه الأطوار المقدرة {أَجَلا مُسَمًّى} تنتهي عنده أعماركم"[1089].

قوله تعالى:{وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [غافر : ٦٧]، أي:" ولعلكم تعقلون حجج الله عليكم بذلك، وتتدبرون آياته، فتعرفون أنه لا إله غيره يفعل ذلك، وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له"[1090].

قال الطبري: " يقول: وكي تعقلوا حجج الله عليكما بذلك، وتتدبروا آياته فتعرفوا بها أنه لا إله غيره فعل ذلك"[1091].

قال مقاتل:" يقول: لكي تعقلوا آثار ربكم في خلقكم بأنه قادر على أن يبعثكم كما خلقكم"[1092].

قال السعدي:" {وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} أحوالكم، فتعلمون أن المطور لكم في هذه الأطوار كامل الاقتدار، وأنه الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وأنكم ناقصون من كل وجه"[1093].

قال البغوي:" أي: لكي تعقلوا توحيد ربكم وقدرته"[1094].

عن ابن جريج: {وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}، قال: " تتذكرون البعث"[1095].

قال مقاتل في الآية:" وذلك أن كفار مكة كذبوا بالبعث فأخبرهم الله عن بدء خلقهم ليعتبروا في البعث"[1096].

القرآن

{هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٦٨)} [غافر : ٦٨]

التفسير:

هو سبحانه المتفرد بالإحياء والإماتة، فإذا قضى أمرًا فإنما يقول له: «كن» ، فيكون، لا رادَّ لقضائه.

(١٠٨٣) تفسير يحيى بن سلام: ٣٥٥/١.
(١٠٨٤) تفسير السعدي: ٧٤٢.
(١٠٨٥) تفسير ابن كثير: ١٥٧/٧.
(١٠٨٦) صفوة التفاسير: ١٠١/٣.
(١٠٨٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٢٠/٣.
(١٠٨٨) تفسير الطبري: ٤١٢/٢١.
(١٠٨٩) تفسير السعدي: ٧٤٢.
(١٠٩٠) التفسير الميسر: ٤٧٤.
(١٠٩١) تفسير الطبري: ٤١٢/٢١.
(١٠٩٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٢٠/٣.
(١٠٩٣) تفسير السعدي: ٧٤٢.
(١٠٩٤) تفسير البغوي: ١٥٨/٧.
(١٠٩٥) تفسير ابن كثير: ١٤٢/٧.
(١٠٩٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧١٩/٣-٧٢٠.

قوله تعالى:{هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ} [غافر : ٦٨]، أي:" هو سبحانه المتفرد بالإحياء والإماتة"[١٠٩٧].

قال الطبري: " يقول قل لهم: ومن صفته جلّ ثناؤه أنه هو الذي يحيي من يشاء بعد مماته، ويميت من يشاء من الأحياء بعد حياته"[١٠٩٨].

قال ابن كثير:" أي : هو المتفرد بذلك ، لا يقدر على ذلك أحد سواه"[١٠٩٩].

قوله تعالى:{فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [غافر : ٦٨]، أي:" فإذا قضى أمرًا فإنما يقول له: «كن» ، فيكون، لا رادَّ لقضائه"[١١٠٠].

قال الطبري: " يقول: وإذا قضى كون أمر من الأمور التي يريد تكوينها {فَإِنَّمَا يَقُولُ} للذي يريد تكوينه كن، فيكون ما أراد تكوينه موجودا بغير معاناة، ولا كلفة مؤنة"[١١٠١].

قال ابن كثير:" أي : لا يخالف ولا يمانع ، بل ما شاء كان لا محالة"[١١٠٢].

قال أبو عبيدة:{وَإِذا قَضى أَمْراً}، "أي: أحكم أمرا، قال أبو ذؤيب[١١٠٣]:

وعليهما مسرودتان قضاهما ... داود أو صنع السّوابغ تبّع

أي: أحكم عملهما"[١١٠٤].

قال محمد بن إسحاق: "{إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون}، مما يشاء وكيف يشاء فيكون كما أراد"[١١٠٥].

عن الضحاك، قال: "{فإنما يقول له كن فيكون}، وهذا من لغة الأعاجم. وهي بالعبرية: أصنع"[١١٠٦].

عن ابن عباس: "{يقول له كن فيكون}، قال: فهو خلق الإنسان"[١١٠٧].

فوائد الآيات:[٦٤-٦٨]:

١- بيان مظاهر قدرة الله تعالى في الخلق والإيجاد والإرزاق والإحياء والإماتة وكلها معرفة به تعالى موجبة له العبادة والمحبة والإنابة والرغبة والرهبة ونافية لها عما سواه من سائر خلقه.

٢- تقرير التوحيد ووجوب عبادة الله تعالى وحده لا شريك له.

٣- بيان خلق الإنسان وأطوار حياته وهي من الآيات الكونية الموجبة للإيمان بالله وتوحيده في عبادته إذ هو الخالق الرازق المحيي المميت لا إله غيره ولا رب سواه.

القرآن

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ (٦٩)} [غافر : ٦٩]

التفسير:

ألا تعجب -أيها الرسول- من هؤلاء المكذِّبين بآيات الله يخاصمون فيها، وهي واضحة الدلالة على توحيد الله وقدرته، كيف يعدلون عنها مع صحتها؟ وإلى أيِّ شيء يذهبون بعد البيان التام؟

(١٠٩٧) التفسير الميسر: ٤٧٥.

(١٠٩٨) تفسير الطبري: ٤١٢/٢١.

(١٠٩٩) تفسير ابن كثير: ١٥٧/٧.

(١١٠٠) التفسير الميسر: ٤٧٥.

(١١٠١) تفسير الطبري: ٤١٢/٢١.

(١١٠٢) تفسير ابن كثير: ١٥٧/٧.

(١١٠٣)ديوان الهذليين ١٩- من قصيدة مفضلية (٨٧٨) وهو عند الطبري ١/ ٣٨٣، ١١/ ٥٨، والقرطبي ٢/ ٨٧، ١٤/ ٢٨٩، واللسان والتاج (تبع، قضى).

(١١٠٤) مجاز القرآن: ٥٢/١.

(١١٠٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٥٣٠):ص٦٥٣/٢.

(١١٠٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٣٨):ص٢١٥/١.

(١١٠٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١١٣٩):ص٢١٥/١.

قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ} [غافر : ٦٩]، أي:" ألا تعجب -أيها الرسول- من هؤلاء المكذِّبين بآيات الله يخاصمون فيها، وهي واضحة الدلالة على توحيد الله وقدرته"(١١٠٨).

قال الطبري:" يقول لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ألم تر يا محمد هؤلاء المشركين من قومك، الذين يخاصمونك في حجج الله وآياته"(١١٠٩).

قال ابن كثير:" يقول تعالى : ألا تعجب يا محمد من هؤلاء المكذبين بآيات الله، ويجادلون في الحق والباطل"(١١١٠).

قال الواحدي:" يعني: القرآن أنه ليس من عند الله، وهم المشركون"(١١١١).

قال مقاتل:" يعنى: آيات القرآن أنه ليس من الله- عز وجل-"(١١١٢).

قوله تعالى:{أَنَّى يُصْرَفُونَ} [غافر : ٦٩]، أي:" كيف يعدلون عنها مع صحتها؟ وإلى أيِّ شيء يذهبون بعد البيان التام؟"(١١١٣).

قال الطبري:" يقول: أيّ وجه يصرفون عن الحق، ويعدلون عن الرشد"(١١١٤).

قال ابن كثير:" كيف تُصرّف عقولهم عن الهدى إلى الضلال"(١١١٥).

قال مقاتل:" يقول: من أين يعدلون عنه إلى غيره، يعنى: كفار مكة"(١١١٦).

قال الواحدي:" كيف صرفوا عن دين الله، الذي هو الحق إلى الباطل؟"(١١١٧).

قال السعدي:" أي: كيف ينعدلون عنها؟ وإلى أي شيء يذهبون بعد البيان التام؟ هل يجدون آيات بينات تعارض آيات الله؟ لا والله. أم يجدون شبهًا توافق أهواءهم، ويصولون بها لأجل باطلهم؟ فبئس ما استبدلوا واختاروا لأنفسهم، بتكذيبهم بالكتاب، الذي جاءهم من الله، وبما أرسل الله به رسله، الذين هم خير الخلق وأصدقهم، وأعظمهم عقولا"(١١١٨).

عن قتادة :"{أَنَّى يُصْرَفُونَ}: أنى يكذبون ويعدلون"(١١١٩).

قال ابن زيد:" يُصْرَفون عن الحقّ"(١١٢٠).

واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بهذه الآية، على قولين:

أحدهما: عنى بها أهل القدر. قاله محمد بن سيرين(١١٢١).

قال محمد بن سيرين:" إن لم يكن أهل القدر الذين يخوضون في آيات الله فلا علم لنا به"(١١٢٢).

عن عقبة بن عامر الجهني، أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قال:"سَيَهْلِكُ مِنْ أُمَّتِي أَهْلُ الكِتَابِ، وأَهْلُ اللَّين" فقال عقبة: يا رسول الله، وما أهل الكتاب؟ قال:"قَوْمٌ يَتَعَلَّمُونَ كِتابَ الله يُجادِلُونَ الَّذِينَ آمَنُوا"، فقال عقبة: يا رسول الله، وما أهل اللين؟ قال:"قَوْمٌ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ، ويُضَيِّعُونَ الصَّلَوَاتِ". قال أبو قبيل: لا أحسب المكذّبين بالقدر إلا الذين يجادلون الذين آمنوا،

(١١٠٨) التفسير الميسر: ٤٧٥.
(١١٠٩) تفسير الطبري: ٤١٣/٢١.
(١١١٠) تفسير ابن كثير: ١٥٧/٧.
(١١١١) التفسير الوسيط: ٢١/٤.
(١١١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٢٠/٣.
(١١١٣) التفسير الميسر: ٤٧٥.
(١١١٤) تفسير الطبري: ٤١٣/٢١.
(١١١٥) تفسير ابن كثير: ١٥٧/٧.
(١١١٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٢٠/٣.
(١١١٧) التفسير الوسيط: ٢١/٤.
(١١١٨) تفسير السعدي: ٧٤٢.
(١١١٩) أخرجه الطبري: ٤١٣/٢١.
(١١٢٠) أخرجه الطبري: ٤١٣/٢١.
(١١٢١) انظر: تفسير الطبري: ٤١٣/٢١.
(١١٢٢) أخرجه الطبري: ٤١٣/٢١.

وأما أهل اللين، فلا أحسبهم إلا أهل العمود[١١٢٣] ليس عليهم إمام جماعة، ولا يعرفون شهر رمضان"[١١٢٤].
الثاني: عنى به أهل الشرك. قاله ابن زيد[١١٢٥].
قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك ما قاله ابن زيد; وقد بين الله حقيقة ذلك بقوله: {الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا}"[١١٢٦].

القرآن
{الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٧٠) إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢)} [غافر : ٧٠-٧٢]
التفسير:
هؤلاء المشركون الذين كذَّبوا بالقرآن والكتب السماوية التي أنزلها الله على رسله لهداية الناس، فسوف يعلم هؤلاء المكذبون عاقبة تكذيبهم حين تُجعل الأغلال في أعناقهم، والسلاسل في أرجلهم، وتسحبهم زبانية العذاب في الماء الحار الذي اشتدَّ غليانه وحرُّه، ثم في نار جهنم يوقد بهم.
قوله تعالى:{الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا} [غافر : ٧٠]، أي:" هؤلاء المشركون الذين كذَّبوا بالقرآن والكتب السماوية التي أنزلها الله على رسله لهداية الناس"[١١٢٧].
قال الطبري:" ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أنى يصرفون الذين كذّبوا بكتاب الله، وهو هذا القرآن، وكذّبوا أيضا مع تكذيبهم بكتاب الله بما أرسلنا به رسلنا من إخلاص العبادة لله، والبراءة مما يعبد دونه من الآلهة والأنداد، والإقرار بالبعث بعد الممات للثواب والعقاب"[١١٢٨].
قال الواحدي:" ثم وصفهم، فقال: {الذين كذبوا بالكتاب} بالقرآن، {وبما أرسلنا به رسلنا} من التوحيد"[١١٢٩].
قال ابن كثير:" أي : من الهدى والبيان"[١١٣٠].
قوله تعالى:{فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} [غافر : ٧٠]، أي:" فسوف يعلم هؤلاء المكذبون عاقبة تكذيبهم"[١١٣١].
قال الواحدي:أي:" فسوف يعلمون عاقبة أمرهم"[١١٣٢].
قال الطبري:" وهذا تهديد من الله المشركين به; يقول جلّ ثناؤه: فسوف يعلم هؤلاء الذين يجادلون في آيات الله، المكذبون بالكتاب حقيقة ما تخبرهم به يا محمد، وصحة ما هم به اليوم مكذّبون من هذا الكتاب"[١١٣٣].
قال ابن كثير:" هذا تهديد شديد ، ووعيد أكيد ، من الرب ، جل جلاله ، لهؤلاء ، كما قال تعالى : {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ} [المرسلات : ١٥]"[١١٣٤].

(١١٢٣) قال المحقق:" كذا في الأصل، ولم أجد معنى للعمود في النهاية لابن الأثير، ولعله محرف عن (العمور) بضم العين، جمع عمر، بفتح فسكون وبضمتين، وهو من النخيل، وهو الحسوق الطويل. يريد أصحاب هذه النخل الملازمين لها، يجادلون في الدين، بلا علم ولا فقه".
(١١٢٤) اخرجه الطبري: ٢١/٤١٣-٤١٤.
(١١٢٥) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٤١٤.
(١١٢٦) تفسير الطبري: ٢١/٤١٤.
(١١٢٧) التفسير الميسر: ٤٧٥.
(١١٢٨) تفسير الطبري: ٢١/٤١٥.
(١١٢٩) التفسير الوسيط: ٤/٢١.
(١١٣٠) تفسير ابن كثير: ٧/١٥٧.
(١١٣١) التفسير الميسر: ٤٧٥.
(١١٣٢) التفسير الوسيط: ٤/٢١.
(١١٣٣) تفسير الطبري: ٢١/٤١٥.

عن الحسن: "{فسوف يعلمون}، قال: وعيد"(١١٣٥).

قوله تعالى:{إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ} [غافر : ٧١]، أي:" حين تُجعل الأغلال في أعناقهم، والسلاسل في أرجلهم"(١١٣٦).

قال الطبري:أي:" حين تجعل الأغلال والسلاسل في أعناقهم في جهنم"(١١٣٧).

قال ابن كثير:" أي : متصلة بالأغلال، بأيدي الزبانية"(١١٣٨).

عن التيمي -من طريق ابنه- قال: "لو أنّ غُلًّا مِن أغلال جهنم وُضِع على جبلٍ لَوَهَصَهُ(١١٣٩) حتى يبلغ الماء الأسود"(١١٤٠).

قوله تعالى:{يُسْحَبُونَ (٧١) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٢)} [غافر : ٧٠-٧٢]، أي:" وتسحبهم زبانية العذاب في الماء الحار الذي اشتدَّ غليانه وحرُّه، ثم في نار جهنم يوقد بهم"(١١٤١).

قال الطبري:" يقول: يسحب هؤلاء الذين كذّبوا في الدنيا بالكتاب زبانية العذاب يوم القيامة في الحميم، وهو ما قد انتهى حَرُّه، وبلغ غايته، ثم في نار جهنم يحرقون، يقول: تسجر بها جهنم: أي: توقد بهم"(١١٤٢).

قال القشيري:" يسحبون في النار والأغلال في أعناقهم، ثم يذاقون ألوان العذاب"(١١٤٣).

قال ابن كثير:" يسحبونهم على وجوههم ، تارة إلى الحميم وتارة إلى الجحيم ؛ ولهذا قال : {يُسْحَبُونَ. فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ} ، كما قال : {هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ} [الرحمن : ٤٣ ، ٤٤]. وقال بعد ذكره أكلهم الزقوم وشربهم الحميم : {ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإلَى الْجَحِيمِ} [الصافات : ٦٨] وقال {وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ. فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ. وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ. لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ} إلى أن قال : {ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ. لآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ. فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ. فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ. فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ. هَذَا نزلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ} [الواقعة : ٤١ - ٥٦]. وقال {إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ. طَعَامُ الأثِيمِ. كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ. كَغَلْيِ الْحَمِيمِ. خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ. ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ. ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ. إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ} [الدخان : ٤٣ - ٥٠]، أي : يقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ ، والتحقير والتصغير ، والتهكم والاستهزاء بهم"(١١٤٤).

عن مجاهد، قوله: "{يُسْجَرُونَ}، قال: يوقد بهم النار"(١١٤٥). "{تمرحون} قَالَ: تبطرون وتاشرون"(١١٤٦).

وعن السدي:"{ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ}، قال: يحرقون في النار"(١١٤٧).

قال ابن زيد:" يسجرون في النار: يوقد عليهم فيها"(١١٤٨).

(١١٣٤) تفسير ابن كثير: ١٥٧/٧.

(١١٣٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٤٣٧):ص٣٠٨٢/٩.

(١١٣٦) التفسير الميسر: ٤٧٥.

(١١٣٧) تفسير الطبري: ٤١٥/٢١.

(١١٣٨) تفسير ابن كثير: ١٥٧/٧.

(١١٣٩)وهصه: كسره ودقه. لسان العرب (وهص).

(١١٤٠)أخرجه إسحاق البستي ص ٢٨٦.

(١١٤١) التفسير الميسر: ٤٧٥.

(١١٤٢) .

(١١٤٣) لطائف الإشارات: ٣١٦/٣.

(١١٤٤) تفسير ابن كثير: ١٥٧/٧-١٥٨.

(١١٤٥) أخرجه الطبري: ٤١٦/٢١.

(١١٤٦) الدر المنثور: ٣٠٦/٧، وعزاه إلى الفرْيَابيّ وَعبد بن حميد وَابْن جرير وَابْن الْمُنْذر وَابْن أبي حَاتِم.

(١١٤٧) أخرجه الطبري: ٤١٦/٢١.

(١١٤٨) أخرجه الطبري: ٤١٦/٢١.

عن ابن عباس:" {يسْحَبُونَ فِي الْحَمِيم} فيسلخ كل شَيْء عَلَيْهِم من جلد وَلحم وعرق حَتَّى يصير فِي عقبه حَتَّى ان لَحْمه قدر طوله سِتُّونَ ذِرَاعا، ثمَّ يكسى جلدا آخر ثمَّ يسجر فِي الْحَمِيم فيسلخ كل شَيْء عَلَيْهِم من جلد وَلحم وعرق"(١١٤٩).

قال الزمخشري:" يُسْجَرُونَ من سجر التنور إذا ملأه بالوقود. ومنه: السجير، كأنه سجر بالحب، أى: مليء. ومعناه: أنهم في النار فهي محيطة بهم، وهم مسجورون بالنار مملوءة بها أجوافهم. ومنه قوله تعالى: {نارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ}، اللهم أجرنا من نارك فإنا عائذون بجوارك"(١١٥٠).

عن سعيد بن عبيد، قال: "كان سعيد بن جُبير إذا أتى على هذه الآية: {فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون} رجّع فيها، وردّدها مرتين أو ثلاثًا"(١١٥١).

عن يعلى بن منية رفع الحديث إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: «ينشئ الله سحابة لأهل النار سوداء مظلمة ويقال: يا أهل النار، أي: شيء تطلبون؟ فيذكرون بها سحاب الدنيا فيقولون: نسأل برد الشراب فتمطرهم أغلالا تزيد في أغلالهم، وسلاسل تزيد في سلاسلهم، وجمرا يلهب النار عليهم"(١١٥٢).

القرآن

{ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ (٧٤)} [غافر : ٧٣-٧٤]

التفسير:

ثم قيل لهم توبيخًا، وهم في هذه الحال التعيسة: أين الآلهة التي كنتم تعبدونها من دون الله؟ هل ينصرونكم اليوم؟ فادعوهم؛ لينقذوكم من هذا البلاء الذي حلَّ بكم إن استطاعوا، قال المكذبون: غابوا عن عيوننا، فلم ينفعونا بشيء، ويعترفون بأنهم كانوا في جهالة من أمرهم، وأن عبادتهم لهم كانت باطلة لا تساوي شيئًا، كما أضل الله هؤلاء الذين ضلَّ عنهم في جهنم ما كانوا يعبدون في الدنيا من دون الله، يضل الله الكافرين به.

قوله تعالى:{ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مِنْ دُونِ اللَّهِ} [غافر : ٧٣-٧٤]، أي:" أي ثم قيل لهم تبكيتاً: أين هم الأوثان والأصنام التي كنتم تعبدونها وتجعلونها شركاء لله؟"(١١٥٣).

قال الطبري:" يقول: ثم قيل: أين الذين كنتم تشركون بعبادتكم إياها من دون الله من آلهتكم وأوثانكم حتى يغيثوكم فينقذوكم مما أنتم فيه من البلاء والعذاب، فإن المعبود يغيث من عبد وخدمه; وإنما يقال هذا لهم توبيخا وتقريعا على ما كان منهم في الدنيا من الكفر بالله وطاعة الشيطان"(١١٥٤).

قال ابن كثير:" أي : قيل لهم : أين الأصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله ؟ هل ينصرونكم اليوم؟"(١١٥٥).

(١١٤٩) الدر المنثور: ٣٠٦/٧، وعزاه إلى ابْن أبي الدُّنْيَا فِي "صفة النَّار".

(١١٥٠) الكشاف: ١٧٨/٤-١٧٩.

(١١٥١)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٨٣.

(١١٥٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٤٤٥):ص٣٢٦٩/١٠، ورواه الطبراني في الأوسط برقم (٤٨٤٦) وابن عدي في الكامل (٣٩٤/٦) من طريق أحمد بن منيع عن منصور به ، وقال الطبراني : "لا يروى إلا بهذا الإسناد تفرد به منصور". وقال الهيثمي في المجمع (٣٩٠/١٠) : "فيه من فيه ضعف قليل ، وفيه من لم أعرفه".

(١١٥٣) صفوة التفاسير: ١٠٢/٣.

(١١٥٤) تفسير الطبري: ٤١٦/٢١.

(١١٥٥) تفسير ابن كثير: ١٥٨/٥.

قوله تعالى:{قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا} [غافر : ٧٤]، أي:" قال المكذبون: غابوا عن عيوننا، فلم ينفعونا بشيء"(١١٥٦).

قال الطبري:" فأجاب المساكين عند ذلك فقالوا: عدلوا عنا، فأخذوا غير طريقنا، وتركونا في هذا البلاء"(١١٥٧).

قال الواحدي:أي:" فقدناهم فلا نراهم"(١١٥٨).

قال ابن كثير:" أي : ذهبوا فلم ينفعونا"(١١٥٩).

قال الزمخشري:" غابوا عن عيوننا، فلا نراهم ولا ننتفع بهم. فإن قلت: أما ذكرت في تفسير قوله تعالى: {إِنَّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ}، أنهم مقرونون بآلهتهم، فكيف يكونون معهم وقد ضلوا عنهم؟

قلت: يجوز أن يضلوا عنهم إذا وبخوا وقيل لهم: أينما كنتم تشركون من دون الله فيغيثوكم ويشفعوا لكم، وأن يكونوا معهم في سائر الأوقات، وأن يكونوا معهم في جميع أوقاتهم، إلا أنهم لما لم ينفعوهم فكأنهم ضالون عنهم"(١١٦٠).

قال السعدي:" يحتمل أن مرادهم بذلك، الإنكار، وظنوا أنه ينفعهم ويفيدهم، ويحتمل -وهو الأظهر- أن مرادهم بذلك، الإقرار على بطلان إلهية ما كانوا يعبدون، وأنه ليس لله شريك في الحقيقة، وإنما هم ضالون مخطئون، بعبادة معدوم الإلهية، ويدل على هذا قوله تعالى: {كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ}"(١١٦١).

قوله تعالى:{بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا} [غافر : ٧٤]، أي:" قال الكافرون: بل تبين لنا اليوم أنا لم نكن نعبد في الدنيا شيئًا يعتد به"(١١٦٢).

قال الطبري:أي: " بل ما ضلوا عنا، ولكنا لم نكن ندعو من قبل في الدنيا شيئا، أي: لم نكن نعبد شيئا"(١١٦٣).

قال السمعاني:" أي: لم نكن ندعو من قبل شيئا يدفع عنا ضرا، أو يجلب إلينا نفعا"(١١٦٤).

قال الواحدي:" أي: شيئا ينفع ويضر، كما يقول من ضاع عمله: ما كنت أعمل شيئا"(١١٦٥).

قال الزمخشري:" أي: تبين لنا أنهم لم يكونوا شيئا، وما كنا نعبد بعبادتهم شيئا كما تقول: حسبت أنّ فلانا شيء فإذا هو ليس بشيء إذا خبرته فلم تر عنده خيرا"(١١٦٦).

قال ابن كثير:" أي : جحدوا عبادتهم ، كقوله تعالى : {ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [الانعام : ٢٣]؛ ولهذا قال : {كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ}"(١١٦٧).

قال أهل العلم:" وهو إضراب منهم عن كون الآلهة الباطلة ليست بموجودة عندهم، أو ليست بنافعة، إلى أنها ليست شيئًا يعتد به، وفي ذلك اعتراف بخطئهم وندم على قبح فعلهم حيث لا ينفع ذلك"(١١٦٨).

(١١٥٦) التفسير الميسر: ٤٧٥.
(١١٥٧) تفسير الطبري: ٤١٧/٢١.
(١١٥٨) التفسير الوسيط: ٢١/٤.
(١١٥٩) تفسير ابن كثير: ١٥٨/٥.
(١١٦٠) الكشاف: ١٧٩/٤.
(١١٦١) تفسير السعدي: ٧٤٢.
(١١٦٢) التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ٦٦٤/٨.
(١١٦٣) تفسير الطبري: ٤١٦/٢١-٤١٧.
(١١٦٤) تفسير السمعاني: ٣١/٥.
(١١٦٥) التفسير الوسيط: ٢١/٤.
(١١٦٦) الكشاف: ١٧٩/٤.
(١١٦٧) تفسير ابن كثير: ١٥٨/٥.
(١١٦٨) التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ٦٦٤/٨.

قوله تعالى:{كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الكَافِرِينَ} [غافر : ٧٤]، أي:" كما أضل الله هؤلاء الذين ضلَّ عنهم في جهنم ما كانوا يعبدون في الدنيا من دون الله، يضل الله الكافرين به"(١١٦٩).

قال الطبري:" يقول: كما أضل هؤلاء الذين ضل عنهم في جهنم ما كانوا يعبدون في الدنيا من دون الله من الآلهة والأوثان آلهتهم وأوثانهم، كذلك يضل الله أهل الكفر به عنه، وعن رحمته وعبادته، فلا يرحمهم فينجيهم من النار، ولا يغيثهم فيخفف عنهم ما هم فيه من البلاء"(١١٧٠).

قال الزمخشري:أي:" مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم، حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا"(١١٧١).

قال الحسن: "كذلك يضل الله أعمالهم بإبطالها"(١١٧٢).

القرآن

{ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ (٧٥)} [غافر : ٧٥]

التفسير:

ذلكم العذاب الذي أصابكم إنما هو بسبب ما كنتم عليه في حياتكم الدنيا من غفلة، حيث كنتم تفرحون بما تقترفونه من المعاصي والآثام، وبما أنتم عليه من الأشَر والبَطَر والبغي على عباد الله.

قوله تعالى:{ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [غافر : ٧٥]، أي:" ذلكم العذاب الذي أصابكم إنما هو بسبب ما كنتم عليه في حياتكم الدنيا من غفلة، حيث كنتم تفرحون بما تقترفونه من المعاصي والآثام"(١١٧٣).

قال الطبري: يقول:" هذا الذي فعلنا اليوم بكم أيها القوم من تعذيبنا كم العذاب الذي أنتم فيه، بفرحكم الذي كنتم تفرحونه في الدنيا، بغير ما أذن لكم به من الباطل والمعاصي"(١١٧٤).

قال ابن كثير:" أي : تقول لهم الملائكة : هذا الذي أنتم فيه جزاء على فرحكم في الدنيا بغير الحق"(١١٧٥).

قال الواحدي:" أي: الباطل الذي كنتم تشتغلون به"(١١٧٦).

قال الزمخشري:" وهو الشرك وعبادة الأوثان"(١١٧٧).

قال السعدي:" أي: تفرحون بالباطل الذي أنتم عليه، وبالعلوم التي خالفتم بها علوم الرسل ...كما قال تعالى في آخر هذه السورة: {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ}، وكما قال قوم قارون له: {لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ}، وهذا هو الفرح المذموم الموجب للعقاب، بخلاف الفرح الممدوح الذي قال الله فيه: {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا} وهو الفرح بالعلم النافع، والعمل الصالح"(١١٧٨).

قال ابن فورك:" الفرح، والمرح، والبطر، والأشر: نظائر في اللغة"(١١٧٩).

قال السمعاني:" الفرح: السرور، وقوله تعالى: {ذَلِكُم بِمَا كُنْتُم تفرحون فِي الأَرْض بِغَيْر الحق} هذا دليل على أنه قد يكون فرح بحق"(١١٨٠).

(١١٦٩) التفسير الميسر: ٤٧٥.
(١١٧٠) تفسير الطبري: ٤١٨/٢١.
(١١٧١) الكشاف: ١٧٩/٤.
(١١٧٢) حكاه عنه ابن فورك في التفسير: ٣٧٢/٢.
(١١٧٣) التفسير الميسر: ٤٧٥.
(١١٧٤) تفسير الطبري: ٤١٧/٢١.
(١١٧٥) تفسير ابن كثير: ١٥٨/٥.
(١١٧٦) التفسير الوسيط: ٢١/٤.
(١١٧٧) الكشاف: ١٧٩/٤.
(١١٧٨) تفسير السعدي: ٧٤٢.
(١١٧٩) تفسير ابن فورك: ٣٧٢/٢.

عن مجاهد:"{بِما كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وبِما كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ}، قال: تبْطَرُون، وتأْشَرون"[1181].

قوله تعالى:{وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ} [غافر : ٧٥]، أي:" وبما أنتم عليه من الأشَر والبَطَر والبغي على عباد الله"[1182].

قال الطبري: يقول:" وبمرحكم فيها، والمرح: هو الأشر والبطر"[1183].

قال ابن كثير: أي :" ومرحكم وأشركم وبطرك "[1184].

قال السعدي:" وتمرحون على عباد الله، بغيًا وعدوانًا، وظلمًا، وعصيانًا"[1185].

قال يحيى:" يعني: بما كنتم مرحين، بطرين بالخيلاء والكِبْر"[1186].

قال السمعاني:" المرح: البطر والأشر"[1187].

عن مجاهد،قوله:" {وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ}، يقول: تبطرون وتأشرون"[1188].

وقال السدي:" تبطرون"[1189].

قال ابن عباس:" الفرح والمرح: الفخر والخُيَلاء، والعمل في الأرض بالخطيئة، وكان ذلك في الشرك، وهو مثل قوله لقارون: {إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ} وذلك في الشرك"[1190].

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا} [القصص : ٥٨] قال:" البطر: الأشر، عصوا وخالفوا أمر الله وبطروا، وقرأ قول الله: {ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ (٧٥) ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ} [غافر : ٧٥-٧٦] ، وقال: هذا البطر"[1191].

روى خالد عن ثور عن معاذ قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى يبغض البذخين الفرحين المرحين , ويحب كل قلب حزين ويبغض أهل بيت لحمين , ويبغض كل حبر سمين»[1192]، فأما أهل بيت لحمين فهم الذين يأكلون لحوم الناس بالغيبة , وأما الحبر السمين فالمتحبر بعلمه ولا يخبر به الناس , يعني المستكثر من علمه ولا ينفع به الناس"[1193].

قال المناوي:" علاج من استخفه الفرح إكثار ذكر الموت واستحضار قبح الدنيا وسرعة زوالها وكدحها"[1194].

(١١٨٠) تفسير السمعاني: ٥/٣١-٣٢.

(١١٨١)تفسير مجاهد ص ٥٨٤، وأخرجه الفريابي -كما في تغليق التعليق ٤/ ٣٠٠ -.

(١١٨٢) التفسير الميسر: ٤٧٥.

(١١٨٣) تفسير الطبري: ٢١/٤١٧.

(١١٨٤) تفسير ابن كثير: ٥/١٥٨.

(١١٨٥) تفسير السعدي: ٧٤٢.

(١١٨٦)التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢٤٣.

(١١٨٧) تفسير السمعاني: ٥/٣٢.

(١١٨٨) تفسير مجاهد: ٥٨٤، وتفسير الطبري: ٢١/٤١٨.

(١١٨٩) أخرجه الطبري: ٢١/٤١٨.

(١١٩٠) أخرجه الطبري: ٢١/٤١٧.

(١١٩١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٠١٦):ص٩/٢٩٩٦.

(١١٩٢)أخرجه الديلمي في الفردوس (٥٥٩) وفي إسناده إسماعيل بن زياد ويقال ابن أبي زياد الكوفي قال الحافظ ابن حجر: متروك كذَّبوه (تقريب ٤٤٦). وقال الألباني في ضعيف الجامع (١٦٨٧) والسلسلة الضعيفة (٣١١٧): موضوع.

قال المناوي : وفيه إسماعيل بن أبي زياد الشامي قال في الميزان قال الدارقطني متروك يضع الحديث. انظر: فتح القدير: ٢/٢٨٤، والتيسير بشرح الجامع الصغير: ١/٢٦٨.

والخبر تناقله المفسرون، انظر: النكت والعيون: ٥/١٦٥، وتفسير السمعاني: ٥/٣٢، وتفسير القرطبي: ١٥/٣٣٣، والبحر المحيط: ٩/٢٧٣.

(١١٩٣) نقلا عن: النكت والعيون: ٥/١٦٥.

(١١٩٤) فتح القدير: ٢/٢٨٤.

القرآن

{ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٦)} [غافر : ٧٦]

التفسير:

ادخلوا أبواب جهنم عقوبة لكم على كفركم بالله ومعصيتكم له خالدين فيها، فبئست جهنم نزلا للمتكبرين في الدنيا على الله.

قوله تعالى:{ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا} [غافر : ٧٦]، أي:" ادخلوا أبواب جهنم عقوبة لكم على كفركم بالله ومعصيتكم له خالدين فيها"(١١٩٥).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لهم: ادخلوا أبواب جهنم السبعة من كل باب منها جزء مقسوم منكم"(١١٩٦).

قال الزمخشري:أي:" {أَبْوابَ جَهَنَّمَ} السبعة المقسومة لكم، قال الله تعالى: {لَها سَبْعَةُ أَبْوابٍ لِكُلِّ بابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ}، مقدّرين الخلود"(١١٩٧).

قال السعدي:" كل بطبقة من طبقاتها، على قدر عمله. {خَالِدِينَ فِيهَا} لا يخرجون منها أبدًا"(١١٩٨).

قال القشيري:" فإذا أقرّوا بكفرهم وذنوبهم يقال لهم: {أدخلوا أبواب جهم خالدين فيها}"(١١٩٩).

قال ابن فورك:" وجه جعل الأبواب لجهنم الرد إلى ما يتصور من حال الدار العظيمة مع الإسراع بدخولهم إليها"(١٢٠٠).

عن سعيد بن جبير، قوله:"{خالدين فيها}، يعني: لا يموتون"(١٢٠١).

قوله تعالى:{فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ} [غافر : ٧٦]، أي:" فبئست جهنم نزلا للمتكبرين في الدنيا على الله"(١٢٠٢).

قال الطبري:" يقول: فبئس منزل المتكبرين في الدنيا على الله أن يوحدوه، ويؤمنوا برسله اليوم جهنم"(١٢٠٣).

قال ابن كثير: " أي : فبئس المَنْزلُ والمَقِيلُ الذي فيه الهوان والعذاب الشديد، لمن استكبر عن آيات الله ، واتباع دلائله وحُججه "(١٢٠٤).

قال القشيري:" فبئس مثواهم ومصيرهم، وساء ذهابهم ومسيرهم"(١٢٠٥).

قال ابن فورك:" قيل في صفة العقاب «بئس» ليعلم أن الذم قد يكون على فعل المذموم، ويكون على غير فعل إذا أريد به نقصه"(١٢٠٦).

قال السعدي:" مثوى يخزون فيه، ويهانون، ويحبسون، ويعذبون، ويترددون بين حرها وزمهريرها"(١٢٠٧).

(١١٩٥) التفسير الميسر: ٤٧٥.
(١١٩٦) تفسير الطبري: ٤١٨/٢١.
(١١٩٧) الكشاف: ١٧٩/٤.
(١١٩٨) تفسير السعدي: ٧٤٢.
(١١٩٩) لطائف الإشارات: ٣١٦/٣.
(١٢٠٠) تفسير ابن فورك: ٣٧٢/٢.
(١٢٠١) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٣٠٠):ص١١٢١/٤.
(١٢٠٢) التفسير الميسر: ٤٧٥.
(١٢٠٣) تفسير الطبري: ٤١٨/٢١.
(١٢٠٤) تفسير ابن كثير: ١٥٨/٥.
(١٢٠٥) لطائف الإشارات: ٣١٦/٣.
(١٢٠٦) تفسير ابن فورك: ٣٧٢/٢.
(١٢٠٧) تفسير السعدي: ٧٤٢.

قال الراغب:" الثواء: الإقامة مع الاستقرار، وقيل: من أم مثواك؟ كناية عمن نزل به ضيف، والثوية: مأوى الغنم"(1208).

فوائد الآيات:[69-76]:

1- التعجيب من حال المكذبين بآيات الله المجادلين فيها كيف يصرفون عن الحق بعد وضوح أدلته وقوة براهينه.

2- إبراز صورة واضحة للمكذبين بالآيات المجادلين لإبطال الحق وهم في جهنم يقاسون العذاب بعد أن وضعت الأغلال في أعناقهم والسلاسل في أرجلهم يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون.

3- ذم الفرح بغير فضل الله ورحمته، وذم المرح وهو أشد الفرح.

4- ذم التكبر وسوء عاقبة المتكبرين الذين يمنعهم الكبر من الاعتراف بالحق ويحملهم على احتقار الناس وازدراء الضعفاء منهم.

القرآن

{فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (77)} [غافر : 77]

التفسير:

فاصبر -أيها الرسول- وامض في طريق الدعوة، إن وعد الله حق، وسيُنْجِز لك ما وعدك، فإما نرينَّك في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من العذاب، أو نتوفينَّك قبل أن يحلَّ ذلك بهم، فإلينا مصيرهم يوم القيامة، وسنذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون.

قوله تعالى:{فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} [غافر : 77]، أي:" فاصبر -أيها الرسول- على تكذيب قومك لك، فإن وعد الله بتعذيبهم كائنٌ لا محالة"(1209).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: فاصبر يا محمد على ما يجادلك به هؤلاء المشركون في آيات الله التي أنزلناها عليك، وعلى تكذيبهم إياك، فإن الله منجز لك فيهم ما وعدك من الظفر عليهم، والعلو عليهم، وإحلال العقاب بهم، كسنتنا في موسى بن عمران ومن كذّبه"(1210).

قال ابن كثير:" يقول تعالى آمرا رسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ، بالصبر على تكذيب من كذبه من قومه ؛ فإن الله سينجز لك ما وعدك من النصر والظفر على قومك ، وجعل العاقبة لك ولمن اتبعك في الدنيا والآخرة"(1211).

قال القشيري:أي:" كن بقلبك فارغا عنهم، وانظر من بعد إلى ما يفعل بهم، واستيقن بأنه لا بقاء لجولة باطلهم"(1212).

قوله تعالى:{فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ} [غافر : 77]، أي:" فإما نرينَّك في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من العذاب، أو نتوفينَّك قبل أن يحلَّ ذلك بهم"(1213).

قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه: فإما نرينك يا محمد في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين من العذاب والنقمة أن يحل بهم {أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ} قبل أن يَحِلَّ ذلك بهم"(1214).

(1208) المفردات: 181.
(1209) صفوة التفاسير: 3/102.
(1210) تفسير الطبري: 21/418.
(1211) تفسير ابن كثير: 7/158.
(1212) لطائف الإشارات: 3/316.
(1213) التفسير الميسر: 476.
(1214) تفسير الطبري: 21/418.

قال ابن كثير:" {فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ} أي : في الدنيا. وكذلك وقع ، فإن الله أقر أعينهم من كبرائهم وعظمائهم ، أبيدوا في يوم بدر. ثم فتح الله عليه مكة وسائر جزيرة العرب في أيام حياته صلى الله عليه وسلم"(١٢١٥).

قال يحيى:" {أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ}، يعني: نميتك"(١٢١٦).

قال الزمخشري:" جزاء {نُرِيَنَّكَ}، محذوف، تقديره: فإما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل والأسر يوم بدر فذاك، أو إن نتوفينك قبل يوم بدر"(١٢١٧).

قوله تعالى:{فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ} [غافر : ٧٧]، أي:" فإلينا مصيرهم يوم القيامة، وسنذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون"(١٢١٨).

قال الطبري:" يقول: فإلينا مصيرك ومصيرهم، فنحكم عند ذلك بينك وبينهم بالحقّ بتخليدناهم في النار، وإكرامناك بجوارنا في جنات النعيم"(١٢١٩).

قال ابن كثير:" أي : فنذيقهم العذاب الشديد في الآخرة"(١٢٢٠).

قال هبة الله بن سلامة:" قوله تعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ} [غافر : ٧٧]، نسخ اولها وآخرها بأية السيف"(١٢٢١).

القرآن

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (٧٨)} [غافر : ٧٨]

التفسير:

ولقد أرسلنا مِن قبلك -أيها الرسول- رسلا كثيرين إلى قومهم يدعونهم، ويصبرون على أذاهم: منهم مَن قصصنا عليك خبرهم، ومنهم مَن لم نقصص عليك، وكلهم مأمورون بتبليغ وحي الله إليهم. وما كان لأحد منهم أن يأتي بآية من الآيات الحسية أو العقلية إلا بإذن الله ومشيئته، فإذا جاء أمر الله بعذاب المكذبين قُضِي بالعدل بين الرسل ومكذبيهم، وخسر هنالك المبطلون؛ لافترائهم على الله الكذب، وعبادتهم غيره.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ} [غافر : ٧٨]، أي:" ولقد أرسلنا مِن قبلك -أيها الرسول- رسلا كثيرين إلى قومهم يدعونهم، ويصبرون على أذاهم"(١٢٢٢).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا} يا محمد {رُسُلا مِنْ قَبْلِكَ} إلى أممها"(١٢٢٣).

قوله تعالى:{مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ} [غافر : ٧٨]، أي:" من هؤلاء الرسل من أخبرناك عن قصصهم مع قومهم، ومنهم من لم نخبرك عن قصصهم وأخبارهم"(١٢٢٤).

قال الطبري:" يقول: من أولئك الذين أرسلنا إلى أممهم من قصصنا عليك نبأهم {وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ} نبأهم"(١٢٢٥).

(١٢١٥) تفسير ابن كثير: ١٥٨/٧.
(١٢١٦)التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢٩٨.
(١٢١٧) الكشاف: ١٨٠/٤.
(١٢١٨) التفسير الميسر: ٤٧٦.
(١٢١٩) تفسير الطبري: ٤١٨/٢١.
(١٢٢٠) تفسير ابن كثير: ١٥٨/٧.
(١٢٢١) الناسخ والمنسوخ: ١٥٢.
(١٢٢٢) التفسير الميسر: ٤٧٦.
(١٢٢٣) تفسير الطبري: ٤١٩/٢١.
(١٢٢٤) صفوة التفاسير: ١٠٣/٣.
(١٢٢٥) تفسير الطبري: ٤١٩/٢١.

قال ابن كثير:" أي : منهم من أوحينا إليك خبرهم وقصصهم مع قومهم كيف كذبوهم ثم كانت للرسل العاقبة والنصرة، {وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ} وهم أكثر ممن ذكر بأضعاف أضعاف"(١٢٢٦).

قال أنس بن مالك: "بعث النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم بعد ثمانية آلاف من الأنبياء، منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل"(١٢٢٧).

عن سلمان، عن النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قال:"بعث الله أربعة آلاف نبيّ"(١٢٢٨).

عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، في قوله: "{مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ}، قال: بعث الله عبدا حبشيا نبيا، فهو الذي لم نقصص عليك"(١٢٢٩).

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} [غافر : ٧٨]، أي:" وما صحَّ ولا استقام لرسولٍ من الرسل أن يأتي قومه بشيءٍ من المعجزات إلا بأمر الله"(١٢٣٠).

عن عطاء: "{إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} بمشيئة الله"(١٢٣١).

قال الطبري: يقول:" وما جعلنا لرسول ممن أرسلناه من قبلك الذين قصصناهم عليك، والذين لم نقصصهم عليك إلى أممها أن يأتي قومه بآية فاصلة بينه وبينهم، إلا بإذن الله له بذلك، فيأتيهم بها; يقول جلّ ثناؤه لنبيه: فلذلك لم يجعل لك أن تأتي قومك بما يسألونك من الآيات دون إذننا لك بذلك، كما لم نجعل لمن قبلك من رسلنا إلا أن نأذن له به"(١٢٣٢).

قال ابن كثير:" أي : ولم يكن لواحد من الرسل أن يأتي قومه بخارق للعادات ، إلا أن يأذن الله له في ذلك ، فيدل ذلك على صدقه فيما جاءهم به"(١٢٣٣).

قال الزمخشري:" وهذا في اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنادا، يعنى: إنا قد أرسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم{أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ}، فمن لي بأن آتى بآية مما تقترحونه إلا أن يشاء الله ويأذن في الإتيان بها"(١٢٣٤).

قال القشيري:" ولم يكن في وسع أحد الإتيان بمعجزة إلا إذا أظهرنا نحن عليه ما أردنا إذا ما أردنا. فكذلك إن طالبوك بآية فقد أظهرنا عليك من الآيات ما أزحنا به العذر، وأوضحنا صحّة الأمر، وما اقترحوه ... فإن شئنا أظهرنا، وإن شئنا تركنا"(١٢٣٥).

قوله تعالى:{فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ} [غافر : ٧٨]، أي:" فإذا جاء أمر الله بعذاب المكذبين قُضِي بالعدل بين الرسل ومكذبيهم"(١٢٣٦).

قال الطبري: " {فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ} يعني: بالعدل، وهو أن ينجي رسله والذين آمنوا معهم"(١٢٣٧).

قال ابن كثير:" {فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ} وهو عذابه ونكاله المحيط بالمكذبين {قُضِيَ بِالْحَقِّ} فينجو المؤمنون ، ويهلك الكافرون"(١٢٣٨).

قال الزمخشري:" {فَإِذا جاءَ أَمْرُ اللَّهِ}: وعيد وردّ عقيب اقتراح الآيات. و{أمر الله}: القيامة"(١٢٣٩).

(١٢٢٦) تفسير ابن كثير: ٧/١٥٨-١٥٩.
(١٢٢٧) اخرجه الطبري: ٢١/٤١٩.
(١٢٢٨) اخرجه الطبري: ٢١/٤١٩.
(١٢٢٩) اخرجه الطبري: ٢١/٤١٩.
(١٢٣٠) صفوة التفاسير: ٣/١٠٣.
(١٢٣١)تفسير الثعلبي ٥/ ١٥٣، وتفسير البغوي ٤/ ١٥٣.
(١٢٣٢) تفسير الطبري: ٢١/٤١٩.
(١٢٣٣) تفسير ابن كثير: ٧/١٥٩.
(١٢٣٤) الكشاف: ٤/١٨٠.
(١٢٣٥) لطائف الإشارات: ٣/٣١٧.
(١٢٣٦) التفسير الميسر: ٤٧٦.
(١٢٣٧) تفسير الطبري: ٢١/٤١٩.
(١٢٣٨) تفسير ابن كثير: ٧/١٥٩.

قوله تعالى:{وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ} [غافر : ٧٨]، أي:" وخسر هنالك المبطلون؛ لافترائهم على الله الكذب، وعبادتهم غيره"(١٢٤٠).

قال الطبري: " يقول: وهلك هنالك الذين أبطلوا في قيلهم الكذب، وافترائهم على الله وادعائهم له شريكا"(١٢٤١).

قال الصابوني:" خسر في ذلك الحين المعاندون الذين يجادلون في آيات الله، ويقترحون المعجزات على سبيل التعنت"(١٢٤٢).

قال الزمخشري:" {الْمُبْطِلُونَ}: هم المعاندون الذين اقترحوا الآيات وقد أتتهم الآيات فأنكروها وسموها سحرا"(١٢٤٣).

قال الفخر الرازي:" {المبطلون}: هم المعاندون الذين يجادلون في آيات الله، ويقترحون المعجزات الزائدة على قدر الحاجة على سبيل التعنت"(١٢٤٤).

قال يحيى:" الباطل، يعني: الكذب، والعني: خسر المكذّبون بالعذاب "(١٢٤٥).

قال الراغب:" {المبطلون}، أي: الذين يبطلون الحق"(١٢٤٦).

عن السُّدِّيّ: "{المبطلون} يقول: المكذبون"(١٢٤٧).

القرآن

{اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٩) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٨٠)} [غافر : ٧٩-٨٠]

التفسير:

الله سبحانه هو الذي جعل لكم الأنعام؛ لتنتفعوا بها: من منافع الركوب والأكل وغيرها من أنواع المنافع، ولتبلغوا بالحمولة على بعضها حاجةً في صدوركم من الوصول إلى الأقطار البعيدة، وعلى هذه الأنعام تُحْمَلون في البرية، وعلى السفن في البحر تُحْمَلون كذلك.

قوله تعالى:{اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} [غافر : ٨٠]، أي:" الله سبحانه هو الذي جعل لكم الأنعام؛ لتنتفعوا بها: من منافع الركوب والأكل"(١٢٤٨).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {اللهُ} الذي لا تصلح الألوهة إلا له أيها المشركون به من قريش {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأنْعَامَ} من الإبل والبقر والغنم والخيل، وغير ذلك من البهائم التي يقتنيها أهل الإسلام لمركب أو لمطعم، {لِتَرْكَبُوا مِنْهَا}، يعني: الخيل والحمير، {وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ}، يعني: الإبل والبقر والغنم"(١٢٤٩).

قال ابن كثير:"يقول تعالى ممتنا على عباده ، بما خلق لهم من الأنعام ، وهي الإبل والبقر والغنم {فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ} [يس : ٧٢] ، فالإبل تركب وتؤكل وتحلب ، ويحمل عليها الأثقال في الأسفار والرحال إلى البلاد النائية ، والأقطار الشاسعة. والبقر تؤكل ، ويشرب لبنها ، وتحرث عليها الأرض. والغنم تؤكل ، ويشرب لبنها ، والجميع تجز أصوافها وأشعارها وأوبارها ، فيتخذ منها الأثاث والثياب والأمتعة كما فَصَّل وبَيَّنَ في أماكن تقدم ذكرها في "سورة

(١٢٣٩) الكشاف: ١٨٠/٤.

(١٢٤٠) التفسير الميسر: ٤٧٦.

(١٢٤١) تفسير الطبري: ٤١٩/٢١-٤٢٠.

(١٢٤٢) صفوة التفاسير: ١٠٣/٣.

(١٢٤٣) الكشاف: ١٨٠/٤.

(١٢٤٤) مفاتيح الغيب: ٥٣٣/٢٧.

(١٢٤٥)التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه:٢٩٥.

(١٢٤٦) المفردات: ١٣٠.

(١٢٤٧)علقه يحيى بن سلّام ٢/ ٦٣٥.

(١٢٤٨) التفسير الميسر: ٤٧٦.

(١٢٤٩) تفسير الطبري: ٤٢٠/٢١.

الأنعام»[١٢٥٠]، و "سورة النحل»[١٢٥١]، وغير ذلك ؛ ولهذا قال هاهنا : {لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ}"[١٢٥٢].

قوله تعالى:{وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ} [غافر : ٨٠]، أي:" ولكم في هذه الأنعام منافع عديدة"[١٢٥٣].

قال الطبري:" وذلك أن جعل لكم من جلودها بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم، ويوم إقامتكم، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين"[١٢٥٤].

قوله تعالى:{وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ} [غافر : ٨٠]، أي:" ولتبلغوا بالحمولة على بعضها حاجةً في صدوركم من الوصول إلى الأقطار البعيدة"[١٢٥٥].

قال الطبري:" يقول: ولتبلغوا بالحمولة على بعضها، وذلك الإبل حاجة في صدروكم لم تكونوا بالغيها لولا هي، إلا بشق أنفسكم، كما قال جلّ ثناؤه: {وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلا بِشِقِّ الأنْفُسِ}"[١٢٥٦].

عن قتادة، قوله: {وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ}، يعني: الإبل تحمل أثقالكم إلى بلد"[١٢٥٧].

عن قتادة، قوله: {وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ}، يعني: الإبل تحمل أثقالكم إلى بلد"[١٢٥٨]. وفي رواية:" مِن بلد إلى بلد"[١٢٥٩].

عن مجاهد: "{وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ}، يعني: «حاجاتكم في الأسفار ما كانت»[١٢٦٠]، وفي رواية: "لحاجتكم ما كانت"[١٢٦١].

قال الزمخشري:"{منها تركبون}: الركوب في الحج والغزو، وفي بلوغ الحاجة: الهجرة من بلد إلى بلد لإقامة دين أو طلب علم، وهذه أغراض دينية إمّا واجبة أو مندوب إليها"[١٢٦٢].

قوله تعالى:{وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ} [غافر : ٨٠]، أي:" وعلى هذه الأنعام تُحْمَلون في البرية، وعلى السفن في البحر تُحْمَلون كذلك"[١٢٦٣].

قال الطبري:" يعني: وعلى هذه الإبل، وما جانسها من الأنعام المركوبة، وعلى السفن نحملكم على هذه في البر، وعلى هذه في البحر"[١٢٦٤].

عن مجاهد: "{الفلك}: السفينة"[١٢٦٥].

القرآن

{وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ (٨١)} [غافر : ٨١]

التفسير:

(١٢٥٠) انظر: تفسير الآيات : ١٤١ - ١٤٤ من سورة الأنعام.
(١٢٥١) انظر: تفسير الآيات : ٥ - ٨ من سورة النحل.
(١٢٥٢) تفسير ابن كثير: ١٥٩/٧.
(١٢٥٣) صفوة التفاسير: ١٠٣/٣.
(١٢٥٤) تفسير الطبري: ٤٢٠/٢١.
(١٢٥٥) التفسير الميسر: ٤٧٦.
(١٢٥٦) تفسير الطبري: ٤٢٠/٢١.
(١٢٥٧) أخرجه الطبري: ٤٢٠/٢١-٤٢١.
(١٢٥٨) أخرجه الطبري: ٤٢٠/٢١-٤٢١.
(١٢٥٩)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٨٣.
(١٢٦٠) تفسير مجاهد: ٥٨٤.
(١٢٦١) أخرجه الطبري: ٤٢١/٢١.
(١٢٦٢) الكشاف: ١٨١/٤.
(١٢٦٣) التفسير الميسر: ٤٧٦.
(١٢٦٤) تفسير الطبري: ٤٢١/٢١.
(١٢٦٥) أخرجه الطبري(١٨١٢٧):ص٣٠٨/١٥.

ويريكم الله تعالى دلائله الكثيرة الواضحة الدالة على قدرته وتدبيره في خلقه، فأي آية من آياته تنكرونها، ولا تعترفون بها؟

قوله تعالى:{وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ} [غافر : ٨١]، أي:" ويريكم الله تعالى دلائله الكثيرة الواضحة الدالة على قدرته وتدبيره في خلقه"[(١٢٦٦)].

قال الطبري:" يقول: ويريكم حججه"[(١٢٦٧)].

قال ابن كثير:" أي : حججه وبراهينه في الآفاق وفي أنفسكم"[(١٢٦٨)].

عن سعيد بن جبير، قوله: "{إن في ذلك لآيات}، قال: هو الرجل يبعث بخاتمه إلى أهله"[(١٢٦٩)].

عن سعيد بن جبير، في قوله: "{إن في ذلك لآية}، قال:" هو كالرجل يقول لأهله: علامة ما بيني وبينكم أن أرسل إليكم خاتمي، أو آية كذا وكذا"[(١٢٧٠)].

قوله تعالى:{فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ} [غافر : ٨١]، أي:" فأي آية من آياته تنكرونها، ولا تعترفون بها؟"[(١٢٧١)].

قال الطبري:" يقول: فأي حجج الله التي يريكم أيها الناس في السماء والأرض تنكرون صحتها، فتكذبون من أجل فسادها بتوحيد الله، وتدعون من دونه إلها"[(١٢٧٢)].

قال ابن كثير:" أي : لا تقدرون على إنكار شيء من آياته، إلا أن تعاندوا وتكابروا"[(١٢٧٣)].

قال ابن جريج: "كل شيء في القرآن آيات، بذلك تعرفون الله إنكم لن تروه فتعرفونه على رؤية ولكن تعرفون بآياته وخلقه"[(١٢٧٤)].

فوائد الآيات:[٧٧-٨١]:

١- وجوب الصبر على دعوة الحق والعمل في ذلك إلى أن يحكم الله تعالى.

٢- الآيات لا تعطى لأحد إلا بإذن الله تعالى إذ هو المعطي لها فهي تابعة لمشيئته.

٣- من الرسل من لم يقصص الله تعالى أخبارهم، ومنهم من قص وهم خمسة وعشرون نبياً ورسولاً. وعدم القص لأخبارهم لا ينافي بيان عددهم إجمالاً لحديث أبي ذر في مسند أحمد أن أبا ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله كم عدّة الأنبياء؟ قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، الرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشرة جما غفيراً.

٤- ذكر منّة الله على الناس في جعل الأنعام صالحة للانتفاع بها أكلاً وركوباً لبعضها لعلهم يشكرون بالإيمان والطاعة والتوحيد.

القرآن

{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢)} [غافر : ٨٢]

التفسير:

(١٢٦٦) التفسير الميسر: ٤٧٦.

(١٢٦٧) تفسير الطبري: ٤٢١/٢١.

(١٢٦٨) تفسير ابن كثير: ١٥٩/٧.

(١٢٦٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٧١):ص١٩٦٧/٦.

(١٢٧٠) أخرجه الطبري:١٢٣/١٧.

(١٢٧١) التفسير الميسر: ٤٧٦.

(١٢٧٢) تفسير الطبري: ٤٢١/٢١.

(١٢٧٣) تفسير ابن كثير: ١٥٩/٧.

(١٢٧٤) الدر المنثور: ٤٩٠/٦، وعزاه إلى ابن المنذر.

أفلم يَسِرْ هؤلاء المكذبون في الأرض ويتفكروا في مصارع الأمم المكذبة من قبلهم، كيف كانت عاقبتهم؟ وكانت هذه الأمم السابقة أكثر منهم عددًا وعدة وآثارًا في الأرض من الأبنية والمصانع والغراس وغير ذلك، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبونه حين حلَّ بهم بأس الله.

قوله تعالى:{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [غافر : ٨٢]، أي:" أفلم يَسِرْ هؤلاء المكذبون في الأرض ويتفكروا في مصارع الأمم المكذبة من قبلهم، كيف كانت عاقبتهم؟"(١٢٧٥).

قال الطبري: يقول: " أفلم يسر يا محمد هؤلاء المجادلون في آيات الله من مشركي قومك في البلاد، فإنهم أهل سفر إلى الشأم واليمن، رحلتهم في الشتاء والصيف، فينظروا فيما وطئوا من البلاد إلى وقائعنا بمن أوقعنا به من الأمم قبلهم، ويروا ما أحللنا بهم من بأسنا بتكذيبهم رسلنا، وجحودهم آياتنا، كيف كان عقبى تكذيبهم"(١٢٧٦).

قوله تعالى:{كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ} [غافر : ٨٢]، أي:" وكانت هذه الأمم السابقة أكثر منهم عددًا وعدة وآثارًا في الأرض من الأبنية والمصانع والغراس وغير ذلك"(١٢٧٧).

قال الطبري:" يقول: كان أولئك الذين من قبل هؤلاء المكذبيك من قريش أكثر عددا من هؤلاء وأشد بطشا، وأقوى قوة، وأبقى في الأرض آثارا، لأنهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتا ويتخذون مصانع"(١٢٧٨).

عن مجاهد: "{وَآثَارًا فِي الأرْضِ}، المشي بأرجلهم"(١٢٧٩).

قال مقاتل:" يعني: أعمالا وملكا في الأرض، فكان عاقبتهم العذاب"(١٢٨٠).

قال الزمخشري:"{وَآثاراً}: قصورهم ومصانعهم. وقيل: مشيهم بأرجلهم لعظم أجرامهم"(١٢٨١).

قال الراغب:" أثر الشيء: حصول ما يدل على وجوده، يقال: أثر وأثر، والجمع: الآثار.. ومن هذا يقال للطريق المستدل به على من تقدم: آثار"(١٢٨٢).

قوله تعالى:{فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [غافر : ٨٢]، أي:" فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبونه حين حلَّ بهم بأس الله"(١٢٨٣).

قال مقاتل:" يقول: ما دفع عنهم العذاب أعمالهم الخبيثة "(١٢٨٤).

قال الطبري:" يقول: فلما جاءهم بأسنا وسطوتنا. لم يغن عنهم ما كانوا يعملون من البيوت في الجبال، ولم يدفع عنهم ذلك شيئا. ولكنهم بادوا جميعا فهلكوا. وقد قيل: إن معنى قوله: {فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ}، فأيّ شيء أغني عنهم; وعلى هذا التأويل يجب أن يكون«ما» الأولى في موضع نصب، والثانية في موضع رفع. يقول: فلهؤلاء المجادليك من قومك يا محمد في أولئك معتبر إن اعتبروا، ومتعظ إن اتعظوا، وإن بأسنا إذا حلّ بالقوم المجرمين لم يدفعه دافع، ولم يمنعه مانع، وهو بهم إن لم ينيبوا إلى تصديقك واقع"(١٢٨٥).

(١٢٧٥) التفسير الميسر: ٤٧٦.
(١٢٧٦) تفسير الطبري: ٤٢١/٢١.
(١٢٧٧) التفسير الميسر: ٤٧٦.
(١٢٧٨) تفسير الطبري: ٤٢١/٢١.
(١٢٧٩) أخرجه الطبري: ٤٢١/٢١.
(١٢٨٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٢٢/٣.
(١٢٨١) الكشاف: ١٨٢/٤.
(١٢٨٢) المفردات: ٦٢.
(١٢٨٣) التفسير الميسر: ٤٧٦.
(١٢٨٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٢٢/٣.
(١٢٨٥) تفسير الطبري: ٤٢٢/٢١.

قال ابن كثير في الآية:" يخبر تعالى عن الأمم المكذبة بالرسل في قديم الدهر ، وماذا حل بهم من العذاب الشديد ، مع شدة قواهم ، وما أثروه في الأرض ، وجمعوه من الأموال ، فما أغنى عنهم ذلك شيئا ، ولا رد عنهم ذرة من بأس الله"(١٢٨٦).

قال الفخر الراوي في الآية:" اعلم أنه تعالى راعى ترتيبا لطيفا في آخر هذه السورة، وذلك أنه ذكر فصلا في دلائل الإلهية وكمال القدرة والرحمة والحكمة، ثم أردفه بفصل في التهديد والوعيد وهذا الفصل الذي وقع عليه ختم هذه السورة هو الفصل المشتمل على الوعيد، والمقصود أن هؤلاء الكفار الذين يجادلون في آيات الله وحصل الكبر العظيم في صدورهم بهذا، والسبب في ذلك كله طلب الرياسة والتقدم على الغير في المال والجاه، فمن ترك الانقياد للحق لأجل طلب هذه الأشياء فقد باع الآخرة بالدنيا، فبين تعالى أن هذه الطريقة فاسدة، لأن الدنيا فانية ذاهبة، واحتج عليه بقوله تعالى: {أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم}، يعني: لو ساروا في أطراف الأرض لعرفوا أن عاقبة المتكبرين المتمردين، ليست إلا الهلاك والبوار، مع أنهم كانوا أكثر عددا ومالا وجاها من هؤلاء المتأخرين، فلما لم يستفيدوا من تلك المكنة العظيمة والدولة القاهرة إلا الخيبة والخسار، والحسرة والبوار، فكيف يكون حال هؤلاء الفقراء المساكين"(١٢٨٧).

القرآن

{فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨٣)} [غافر : ٨٣]

التفسير:

فلما جاءت هؤلاء الأمم المكذبة رسلُها بالدلائل الواضحات، فرحوا جهلا منهم بما عندهم من العلم المناقض لما جاءت به الرسل، وحلَّ بهم من العذاب ما كانوا يستعجلون به رسلَهم على سبيل السخرية والاستهزاء.

قوله تعالى:{فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ} [غافر : ٨٣]، أي:" فلما جاءت هؤلاء الأمم المكذبة رسلُها بالدلائل الواضحات، فرحوا جهلا منهم بما عندهم من العلم المناقض لما جاءت به الرسل"(١٢٨٨).

وفي قوله تعالى:{فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ} [غافر : ٨٣]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنهم قالوا: نحن أعلم منهم، لن نُعَذَّبَ، ولن نُبْعَثَ، قاله مجاهد(١٢٨٩).

قال الطبري: يقول: " فلما جاءت هؤلاء الأمم الذين من قبل قريش المكذّبة رسلها {رُسُلُهُمْ} الذين أرسلهم الله إليهم بالواضحات من حجج عزّ وجلّ، فرحوا جهلا منهم بما عندهم من العلم وقالوا: لن نُبْعَثَ، ولن يُعذّبنا الله"(١٢٩٠).

قال ابن كثير:" لما جاءتهم الرسل بالبينات ، والحجج القاطعات ، والبراهين الدامغات ، لم يلتفتوا إليهم ، ولا أقبلوا عليهم ، واستغنوا بما عندهم من العلم في زعمهم عما جاءتهم به الرسل"(١٢٩١).

قال الزمخشري:" أراد العلم الوارد على طريق التهكم في قوله تعالى: {بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ} [النمل : ٦٦]، وعلمهم في الآخرة أنهم كانوا يقولون: لا نبعث ولا نعذب، {وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى} [فصلت : ٥٠]، {وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ

(١٢٨٦) تفسير ابن كثير: ١٥٩/٧-١٦٠.
(١٢٨٧) مفاتيح الغيب: ٥٣٤/٢٧-٥٣٥.
(١٢٨٨) التفسير الميسر: ٤٧٦.
(١٢٨٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٢/٢١.
(١٢٩٠) تفسير الطبري: ٤٢٢/٢١.
(١٢٩١) تفسير ابن كثير: ١٦٠/٧.

قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا} [الكهف : ٣٦]، وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به البينات وعلم الأنبياء، كما قال عز وجل كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ"(١٢٩٢).
الثاني : فرحوا بما كان عندهم أنه عِلم، وهو جهل ، قاله السدي(١٢٩٣).
قال السدي:" بجهالتهم"(١٢٩٤).
الثالث : فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به، كأنه قال: استهزؤا بالبينات وبما جاءوا به من علم الوحى فرحين مرحين. ويدل عليه قوله تعالى وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ}. ذكره الزمخشري(١٢٩٥).
وحكي الماوردي عن ابن زيد، قال: "رضوا بعلمهم واستهزأوا برسلهم"(١٢٩٦).
الرابع: يريد علم الفلاسفة والدهريين من بنى يونان، وكانوا إذا سمعوا بوحي الله: دفعوه وصغروا علم الأنبياء إلى علمهم. ذكره الزمخشري(١٢٩٧).
وعن سقراط: "أنه سمع بموسى صلوات الله عليه وسلامه، وقيل له: لو هاجرت إليه فقال: نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا إلى من يهذبنا"(١٢٩٨).
الخامس: يريد علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها، كما قال تعالى: {يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} [الروم : ٧] ، {ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ} [النجم : ٣٠، فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات- وهي أبعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف(١٢٩٩) عن الملاذ والشهوات- لم يلتفتوا إليها وصغروها واستهزؤا بها، واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم، ففرحوا به. ذكره الزمخشري(١٣٠٠).
قال الصابوني: فلما جاءتهم الرسل بالمعجزات الظاهرات، والآيات الواضحات، فرح الكفار بما هم عليه من العلم الدنيوي، الخالي عن نور الهداية والوحي، فرح بطرٍ وأشر، وأغتروا بذلك العلم"(١٣٠١).
السادس : أن المشار إليهم هم الرسل، والمعنى: فرح الرُّسل لمّا هلك المكذّبون ونَجَوْا بما عندهم من العِلم بالله إذ جاء تصديقُه، حكاه ابن عيسى(١٣٠٢)، وأبو سليمان(١٣٠٣).
قال الزمخشري:" معناه: أن الرسل لما رأوا جهلهم المتمادى واستهزائهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم: فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه، وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم"(١٣٠٤).
قوله تعالى:{وَحَاقَ بهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [غافر : ٨٣]، أي:" وحلَّ بهم من العذاب ما كانوا يستعجلون به رسلهم على سبيل السخرية والاستهزاء"(١٣٠٥).
قال الطبري:" يقول: وحاق بهم من عذاب الله ما كانوا يستعجلون رسلهم به استهزاء وسخرية"(١٣٠٦).

(١٢٩٢) الكشاف: ١٨٢/٤.
(١٢٩٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٢/٢١.
(١٢٩٤) أخرجه الطبري: ٤٢٢/٢١.
(١٢٩٥) انظر: الكشاف: ١٨٢/٤.
(١٢٩٦) انظر: النكت والعيون: ١٦٥/٥.
(١٢٩٧) انظر: الكشاف: ١٨٢/٤.
(١٢٩٨) نقلا عن : الكشاف: ١٨٢/٤.
(١٢٩٩)في الصحاح: ظلفت نفسي عن كذا- بالكسر- تظلف ظلفا، أى: كفت.
(١٣٠٠) انظر: الكشاف: ١٨٢/٤.
(١٣٠١) صفوة التفاسير: ١٠٣/٣.
(١٣٠٢) انظر: النكت والعيون: ١٦٥/٥.
(١٣٠٣) انظر: زاد المسير: ٤٤/٤.
(١٣٠٤) الكشاف: ١٨٢/٤.
(١٣٠٥) التفسير الميسر: ٤٧٦.
(١٣٠٦) تفسير الطبري: ٤٢٣/٢١.

قال ابن كثير:" أي : أحاط بهم {مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}، أي : يكذبون ويستبعدون وقوعه"(١٣٠٧).

عن مجاهد، قوله: "{وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}، ما جاءتهم به رسلهم من الحقّ"(١٣٠٨).

عن مجاهد: "{وحاق بهم}، أي: حل بهم، {ما كانوا به يستهزئون}، يعني: " بما جاءتهم به رسلهم من الحق، يقول: استهزءوا به"(١٣٠٩).

قال السدي:" وقع بهم العذاب الذي استهزءوا به"(١٣١٠).

القرآن

{فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤)} [غافر : ٨٤]

التفسير:

فلما رأوا عذابنا أقرُّوا حين لا ينفع الإقرار، وقالوا: آمنا بالله وحده، وكفرنا بما كنا به مشركين في عبادة الله.

قوله تعالى:{فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} [غافر : ٨٤]، أي:" فلما رأوا عذابنا أقرُّوا حين لا ينفع الإقرار، وقالوا: آمنا بالله وحده"(١٣١١).

قال الطبري: يقول: " فلما رأت هذه الأمم المكذّبة رسلها عقاب الله الذي وعدتهم به رسلُهم قد حلّ بهم، قالوا: أقررنا بتوحيد الله، وصدقنا أنه لا آله غيره"(١٣١٢).

عن السديّ: "{فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا}، قال: النقمات التي نزلت بهم"(١٣١٣).

قوله تعالى:{وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ} [غافر : ٨٤]، أي:" وكفرنا بما كنا به مشركين في عبادة الله"(١٣١٤).

قال ابن أبي زمنين:" أي: بما كنا به مصدقين من الشرك"(١٣١٥).

قال الثعلبي:" أي: تبرأنا مما كنا نعدل بالله"(١٣١٦).

قال الطبري:" يقول: وجحدنا الآلهة التي كنا قبل وقتنا هذا نشركها في عبادتنا الله ونعبدها معه، ونتخذها آلهة، فبرئنا منها"(١٣١٧).

قال ابن كثير:" {فَلَمَّا} عاينوا وقوع العذاب بهم، وحدوا الله وكفروا بالطاغوت ، ولكن حيث لا تُقَال العثرات ، ولا تنفع المعذرة. وهذا كما قال فرعون حين أدركه الغرق : {آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [يونس : ٩٠] ، قال الله تبارك وتعالى : {آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ} [يونس : ٩١] أي : فلم يقبل الله منه ؛ لأنه قد استجاب لنبيه موسى دعاءه عليه حين قال:{وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ} [يونس : ٨٨]"(١٣١٨).

القرآن

(١٣٠٧) تفسير ابن كثير: ١٦٠/٧.
(١٣٠٨) اخرجه الطبري: ٤٢٣/٢١.
(١٣٠٩) تفسير مجاهد: ٥٨٤.
(١٣١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧١٥):ص٢٠٠٧/٦.
(١٣١١) التفسير الميسر: ٤٧٦.
(١٣١٢) تفسير الطبري: ٤٢٣/٢١.
(١٣١٣) أخرجه الطبري: ٤٢٣/٢١.
(١٣١٤) التفسير الميسر: ٤٧٦.
(١٣١٥) تفسير ابن ابي زمنين: ١٤٤/٤.
(١٣١٦) الكشف والبيان: ٢٨٤/٨.
(١٣١٧) تفسير الطبري: ٤٢٣/٢١.
(١٣١٨) تفسير ابن كثير: ١٦٠/٧.

{فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥)} [غافر : ٨٥]

التفسير:

فلم يك ينفعهم إيمانهم هذا حين رأوا عذابنا; وذلك لأنه إيمان قد اضطروا إليه، لا إيمان اختيار ورغبة، سنة الله وطريقته التي سنَّها في الأمم كلها أن لا ينفعها الإيمان إذا رأوا العذاب، وهلك عند مجيء بأس الله الكافرون بربهم، الجاحدون توحيده وطاعته.

قوله تعالى:{فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا} [غافر : ٨٥]، أي:" فلم يك ينفعهم إيمانهم هذا حين رأوا عذابنا; وذلك لأنه إيمان قد اضطروا إليه، لا إيمان اختيار ورغبة"(١٣١٩).

قال الطبري: يقول:" فلم يك ينفعهم تصديقهم في الدنيا بتوحيد الله عند معاينة عقابه قد نزل، وعذابه قد حل، لأنهم صدقوا حين لا ينفع التصديق مصدقا، إذ كان قد مضى حكم الله في السابق من علمه، أن من تاب بعد نزول العذاب من الله على تكذيبه لم تنفعه توبته"(١٣٢٠).

قال قتادة:" لما رأوا عذاب الله في الدنيا لم ينفعهم الإيمان عند ذلك"(١٣٢١).

قوله تعالى:{سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ} [غافر : ٨٥]، أي:" سنة الله وطريقته التي سنَّها في الأمم كلها أن لا ينفعها الإيمان إذا رأوا العذاب"(١٣٢٢).

قال قتادة:" يقول: كذلك كانت سنة الله في الذين خلوا من قبل إذا عاينوا عذاب الله لم ينفعهم إيمانهم عند ذلك"(١٣٢٣).

قال ابن أبي زمنين:"المشركين أنهم إذا كذبوا رسلهم أهلكهم بالعذاب , ولا يقبل إيمانهم عند نزول العذاب، [و]{سنة الله} منصوب على معنى: سن الله هذه السنة في الأمم كلها؛ ألا ينفعهم الإيمان إذا رأوا العذاب"(١٣٢٤).

قال الطبري: " يقول: ترك الله تبارك وتعالى إقالتهم، وقبول التوبة منهم، ومراجعتهم الإيمان بالله، وتصديق رسلهم بعد معاينتهم بأسه، قد نزل بهم سنته التي قد مضت في خلقه، فلذلك لم يقلهم ولم يقبل توبتهم في تلك الحال"(١٣٢٥).

قال ابن كثير:" أي : هذا حكم الله في جميع مَنْ تاب عند معاينة العذاب : أنه لا يقبل ؛ ولهذا جاء في الحديث : «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»(١٣٢٦)، أي : فإذا غرغر وبلغت الروح الحنجرة ، وعاين الملك ، فلا توبة حينئذ"(١٣٢٧).

قوله تعالى:{وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ} [غافر : ٨٥]، أي:" وهلك عند مجيء بأس الله الكافرون بربهم، الجاحدون توحيده وطاعته"(١٣٢٨).

قال الطبري: " يقول: وهلك عند مجيء بأس الله، فغبنت صفقته ووضُع في بيعه الآخرة بالدنيا، والمغفرة بالعذاب، والإيمان بالكفر، الكافرون بربهم الجاحدون توحيد خالقهم، المتخذون من دونه آلهة يعبدونهم من دون بارئهم"(١٣٢٩).

قال مقاتل:" يقول: غبن عند ذلك {الْكَافِرُونَ} بتوحيد الله- عز وجل-، فاحذروا يا أهل مكة سنة الأمم الخالية فلا تكذبوا محمدا- صلى الله عليه وسلم-"(١٣٣٠).

(١٣١٩) التفسير الميسر: ٤٧٦.

(١٣٢٠) تفسير الطبري: ٤٢٤/٢١.

(١٣٢١) أخرجه الطبري: ٤٢٤/٢١.

(١٣٢٢) التفسير الميسر: ٤٧٦.

(١٣٢٣) أخرجه الطبري: ٤٢٤/٢١.

(١٣٢٤) تفسير ابن ابي زمنين: ١٤٤/٤.

(١٣٢٥) تفسير الطبري: ٤٢٤/٢١.

(١٣٢٦)رواه الترمذي في السنن برقم (٣٥٣٧) وابن ماجه في السنن برقم (٤٢٥٣) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(١٣٢٧) تفسير ابن كثير: ١٦٠/٧.

(١٣٢٨) التفسير الميسر: ٤٧٦.

(١٣٢٩) تفسير الطبري: ٤٢٤/٢١.

قال الزجاج:" المبطلون والكافرون خاسرون في ذلك الوقت وفي كل وقتٍ خاسرون، ولكنه تعالى بيَّن لهم خُسْرانَهُمْ إذا رأوا العذاب"[١٣٣١].

قال الثعلبي :" {وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ}، بذهاب الدارين"[١٣٣٢].

قال تاج القراء:" قوله {وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ} [غافر : ٧٨]، وختم السورة بقوله : {وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ} [غافر : ٨٥]، لأن الأول متصل بقوله {قضي بالحق} ونقيض الحق الباطل والثاني متصل بإيمان غير مجد ونقيض الإيمان الكفر"[١٣٣٣].

فوائد الآيات:[٨٢-٨٥]:

١- مشروعية السير في البلاد للعظة والاعتبار تقوية للإيمان.

٢- القوى المادية لا تغني عن أصحابها شيئا إذا أرادهم الله بسوء.

٣- بيان سنة بشرية وهي أن الماديين يغترون بمعارفهم المادية ليستغنوا بها عن العلوم الروحية في نظرهم إلا أنها لا تغني عنهم شيئاً عند حلول العذاب بهم في الدنيا وفي الآخرة.

٤- أن كل علم يناقض الإسلام، أو يقدح فيه، أو يشكك في صحته، فإنه مذموم ممقوت.

«آخر تفسير سورة (غافر)، والحمد لله وحده»

(١٣٣٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٢٣/٣.

(١٣٣١) معاني القرآن: ٣٧٨/٤.

(١٣٣٢) الكشف والبيان: ٢٨٤/٨.

(١٣٣٣): أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان: ٢٢١.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «فصّلت»

سورة «فصّلت»: هي السورة «الواحد والأربعون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الحادية والستون» بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد «سورة غافر»، وقبل «سورة الزخرف»، وهي السورة الثانية من الحواميم السبع بعد «سورة غافر»[١٣٣٤].

عدد آياتها أربع وخمسون فى عد الكوفة، وثلاث فى عد الحجاز، واثنتان فى عد البصرة، والشام. وكلماتها سبعمائة وست وتسعون. وحروفها ثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسون، والمختلف فيها آيتان: {حم (١)} [فصلت : ١]، {عَادٍ وَثَمُودَ} [فصلت : ١٣]، مجموع فواصل آياتها «ظن طب حرم صد»[١٣٣٥].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- أسمها التوقيفي: «سورة فصلت»:**

لاسم المشهور لها هو «سورة فصلت»؛ لوقوع كلمة: {كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ} [فصلت : ٣] في أولها، فعُرفت بها .

ثانيا:- اسماؤها الإجتهادية:

- **الإسم الأول:« حم السجدة»:**

تسمى «حم السجدة» بإضافة «حم» إلى «السجدة»، وبذلك ترجمت في «صحيح البخاري»[١٣٣٦]، لأنها تميزت عن السور المفتتحة بحروف «حم» بأن فيها سجدة من سجود القرآن[١٣٣٧].

قال المهايمي:" سميت بها لاشتمالها على آية سجدة. تدل على بطلان عبادة المظاهر بالكلية. وأن الله يستحق بذاته أجل العبادات، وهذا من أعظم مقاصد القرآن"[١٣٣٨].

- **الإسم الثاني: «سورة السجدة»:**

وسميت في معظم مصاحف المشرق والتفاسير:«سورة السجدة»، وهو اختصار قولهم: «حم السجدة»، وليس تمييزا لها بذات السجدة[١٣٣٩].

- **الإسم الثالث: «سورة المصابيح»:**

وتسمى :«سورة المصابيح»، لقوله تعالى فيها: {وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ} [فصلت : ١٢]. ذكره الكواشي[١٣٤٠].

- **الإسم الرابع: «سورة الأقوات»:**

سميت بذلك لقوله تعالى: {وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا} [فصلت : ١٠]. ذكره الكواشي [١٣٤١].

- **الإسم الخامس: «سجدة المؤمن»:**

(١٣٣٤) انظر: تفسير المراغي: ١٠٢/٢٤، والتحرير والتنوير: ٢٢٨/٢٤.

(١٣٣٥) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤١٣.

(١٣٣٦) انظر: صحيح البخاري:١٢٧/٦.

(١٣٣٧) انظر: التحرير والتنوير: ٢٢٧/٢٣.

(١٣٣٨) نقلا عن محاسن التأويل: ٣٢٣/٨.

(١٣٣٩) نقلا عن: التحرير والتنوير: ٢٢٧/٢٤.

(١٣٤٠)نقلا عن: التحرير والتنوير: ٢٢٧/٢٤.

والكواشي: هو أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع، موفق الدين أبو العباس الكواشي- قلعة من بلاد الموصل- المولود سنة ٥٩٠ هـ، الشافعي المقرئ المفسر الزاهد، بقية الأعلام، قرأ على والده، وقدم دمشق، وأخذ عن السخاوي وغيره، وتقدم في معرفة التفسير والقراءات والعربية، توفي سنة (٦٨٠ هـ).

انظر ترجمته في : معرفة القراء (٢/ ٦٨٥) وانظر غاية النهاية (١/ ١٥١) وشذرات الذهب (٥/ ٣٦٥) وطبقات المفسرين للداودي (١/ ١٠٠)، والعبر في خبر من غبر (٥/ ٣٢٧).

(١٣٤١)نقلا عن: التحرير والتنوير: ٢٢٧/٢٤.

تسمى :«سجدة المؤمن»، ووجه هذه التسمية قصد تمييزها عن سورة :«الم السجدة»، المسماة: «سورة المضاجع»، فأضافوا هذه إلى السورة التي قبلها وهي «سورة المؤمن»، كما ميزوا :«سورة المضاجع» باسم: «سجدة لقمان»، لأنها واقعة بعد سورة لقمان. ذكره الكواشي في «التبصرة»(١٣٤٢).

- **مكية السورة ومدنيتها:**

أخرج ابن مردويه عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، قال: "نزلت «حم» السجدة بمكة"(١٣٤٣). وروي عن ابن الزبير مثله(١٣٤٤).

قال ابن الجوزي:" مكية كلها بإجماعهم"(١٣٤٥).

قال أبو حيان: " هذه السورة مكية بلا خلاف"(١٣٤٦).

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

من وجه اتصال «سورة فصلت» لما قبلها:

١- إنهما اشتركتا في تهديد قريش وتقريعهم، فقد توعدهم في السورة السابقة بقوله: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [غافر : ٨٢]، وهددهم هنا بقوله: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ} [فصلت : ١٣].

٢- إن كلتيهما بدئت بوصف الكتاب الكريم(١٣٤٧).

وقال أبو حيان: " مناسبتها لما قبلها، أنه قال في آخر ما قبلها: {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ} [غافر : ٨٢]، إلى آخرها، فضمن وعيدا وتهديدا وتقريعا لقريش، فأتبع ذلك التقريع والتوبيخ والتهديد بتوبيخ آخر، فذكر أنه نزل كتابا مفصلا آياته، بشيرا لمن اتبعه، ونذيرا لمن أعرض عنه، وأن أكثر قريش أعرضوا عنه. ثم ذكر قدرة الإله على إيجاد العالم العلوي والسفلي. ثم قال{فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً} [فصلت : ١٣]، فكان هذا كله مناسبا لآخر سورة المؤمن من عدم انتفاع مكذبي الرسل حين التبس بهم العذاب، وكذلك قريش حل بصناديدها من القتل والأسر والنهب والسبي، واستئصال أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل بعاد وثمود من استئصالهم"(١٣٤٨).

- **أغراض السورة ومقاصدها**

يجري سياق السورة بموضوعاتها ومؤثراتها في شوطين اثنين:

الشوط الأول: يبدأ بالآيات التي تتحدث عن تنزيل الكتاب وطبيعته وموقف المشركين منه. وتليها قصة خلق السماء والأرض. فقصة عاد وثمود .فمشهدهم في الآخرة، تشهد عليهم الأسماع والأبصار والجلود. ومن هنا يرتد إلى الحديث عنهم في الدنيا، وكيف ضلوا هذا الضلال، فيذكر أن الله قيض لهم قرناء سوء من الجن والإنس، يزينون لهم ما بين أيديهم وما خلفهم. ومن آثار هذا قولهم: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ} [فصلت : ٢٦]، ثم موقفهم يوم القيامة حانقين على هؤلاء الذين خدعوهم من قرناء الجن والإنس!

(١٣٤٢)نقلا عن: التحرير والتنوير: ٢٢٧/٢٤.

(١٣٤٣)الدر المنثور: ٣٠٨/٧..

(١٣٤٤) انظر: الدر المنثور: ٣٠٨/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١٣٤٥) زاد المسير: ٤٥/٤.

(١٣٤٦) البحر المحيط: ٢٨٣/٩.

(١٣٤٧) انظر: تفسير المراغي:٤١/٢٤.

(١٣٤٨) البحر المحيط: ٢٨٣/٩.

وعلى الصفة الأخرى: {الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا} [فصلت : ٣٠]، وهؤلاء تتنزل عليهم الملائكة -لا قرناء السوء- يطمئنونهم، ويبشرونهم ويعلنون ولايتهم لهم في الدنيا والآخرة. ويلي هذا ما جاء عن الدعوة والداعية.

الشوط الثاني: يتحدث عن آيات الله من الليل والنهار والشمس والقمر والملائكة العابدة، والأرض الخاشعة، والحياة التي تهتز فيها وتربو بعد الموات. ويلي هذا الحديث عن الذين يلحدون في آيات الله وفي كتابه، وهنا يجيء ذلك الحديث عن هذا الكتاب. ويشار إلى كتاب موسى عليه السلام، واختلاف قومه فيه. ويوكل أمرهم إلى الله بعد الأجل المضروب. وحديث عن الساعة واختصاص علم الله بها، وعلمه بما تكنه الأكمام من ثمرات، وما تكنه الأرحام من أنسال. ويعرض مشهد الكافرين وهم يسألون عن الشركاء. يلي هذا الحديث عن النفس البشرية عارية من أستارها. ومع حرص الإنسان على نفسه هكذا، فإنه لا يحتاط لها فيكذب ويكفر، غير محتاط لما يعقب هذا التكذيب من دمار وعذاب.

وتختم السورة بوعد من الله أن يكشف للناس عن آياته في الأنفس والآفاق حتى يتبينوا، ويثقوا: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [فصلت : ٥٣] [١٣٤٩].

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: بيان شرف القرآن، وإعراض الكفار من قبوله، وكيفية تخليق الأرض والسماء، والإشارة إلى إهلاك عاد وثمود، وشهادة الجوارح على العاصين فى القيامة، وعجز الكفار فى سجن جهنم، وبشارة المؤمنين بالخلود فى الجنان، وشرف المؤذنين بالأذان، والاحتراز من نزغات الشيطان، والحجة والبرهان على وحدانية الرحمن، وبيان شرف القرآن، والنفع والضر، والإساءة، والإحسان، وجزع الكفار عند الابتلاء والامتحان، وإظهار الآيات الدالة على الذات والصفات الحسان، وإحاطة علم الله بكل شىء من الإسرار والإعلان، بقوله: {ألا إنه بكل شيء محيط}"[١٣٥٠].

وقال ابن عاشور :" أغراض السورة: التنويه بالقرآن، والإشارة إلى عجزهم عن معارضته، وذكر هديه، وأنه معصوم من أن يتطرقه الباطل، وتأييده بما أنزل إلى الرسل من قبل الإسلام، وتلقي المشركين له بالإعراض وصم الآذان، وإبطال مطاعن المشركين فيه، وتذكيرهم بأن القرآن نزل بلغتهم، فلا عذر لهم أصلاً في عدم انتفاعهم بهديه. وزجر المشركين وتوبيخهم على كفرهم بخالق السماوات والأرض مع بيان ما في خلقها من الدلائل على تفرده بالإلهية. وإنذارهم بما حل بالأمم المكذبة من عذاب الدنيا، ووعيدهم بعذاب الآخرة وشهادة سمعهم وأبصارهم وأجسادهم عليهم، وتحذيرهم من القرناء المزينين لهم الكفر من الشياطين والناس، وأنهم سيندمون يوم القيامة على اتباعهم في الدنيا، وقوبل ذلك بما للموحدين من الكرامة عند الله. وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بدفعهم بالتي هي أحسن، وبالصبر على جفوتهم، وأن يستعيذ بالله من الشيطان. وذكرت دلائل تفرد الله بخلق المخلوقات العظيمة كالشمس والقمر. ودلائل إمكان البعث، وأنه واقع لا محالة، ولا يعلم وقته إلا الله تعالى. وتثبيت النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بتأييد الله إياهم بتنزل الملائكة بالوحي، وبالبشارة للمؤمنين. وتخلل ذلك أمثال مختلفة في ابتداء خلق العوالم، وعِبَرٌ في تقلبات أهل الشرك، والتنويه بإيتاء الزكاة"[١٣٥١].

وقال سيد قطب :"قضية العقيدة بحقائقها الأساسية هي التي تعالجها هذه السورة...الألوهية الواحدة. والحياة الآخرة. والوحي بالرسالة. يضاف إليها طريقة الدعوة إلى الله وخلق الداعية. وكل ما في السورة هو شرح لهذه الحقائق، واستدلال عليها. وعرض لآيات الله في الأنفس والآفاق، وتحذير من التكذيب بها، وتذكير بمصارع المكذبين في الأجيال السابقة،

(١٣٤٩) انظر: إسلام ويب.[موقع إلكتروني].
(١٣٥٠)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤١٣/١-٤١٤.
(١٣٥١) التحرير والتنوير: ٢٢٨/٢٤-٢٢٩.

وعرض لمشاهد المكذبين يوم القيامة. وبيان أن المكذبين من الجن والإنس هم وحدهم الذين لا يُسلّمون بهذه الحقائق، ولا يستسلمون لله وحده، بينما السماء والأرض والشمس والقمر والملائكة...كلهم يسجدون لله، ويخشعون، ويُسَلّمون، ويستسلمون"(١٣٥٢).

الناسخ والمنسوخ:

قيل: فيها من المنسوخ آية واحدة وهو قوله تعالى: {وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ} [فصلت : ٣٤]: هذا محكم، والمنسوخ قوله تعالى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [فصلت : ٣٤]، نسختها آية السيف(١٣٥٣).

عن السدي: "{ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}، قال: هذا قبل القتال"(١٣٥٤).

قال ابن الجوزي:" وقال أكثر المفسرين: هو كدفع الغضب بالصبر، والإساءة بالعفو، وهذا يدل على أنه ليس المراد بذلك معاملة الكفار فلا يتوجه النسخ"(١٣٥٥).

فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثا من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثا من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثا من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت الأرض حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبدا، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح الرويجل» مرتين"(١٣٥٦).
- عن سعد بن إبراهيم، قال: «كل الحواميم يسمين العرائس»(١٣٥٧).

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

(١٣٥٢) في ظلال القرآن: ٣١٠٥/٥.

(١٣٥٣) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٥٣.

(١٣٥٤) أخرجه ابن الجوزي في "نواسخ القرآن": ١٨٨.

(١٣٥٥) نواسخ القرآن: ١٨٨.

(١٣٥٦)"مسند أحمد" (٦٥٧٥) ، وسنن أبي داود(١٣٩٩):ص٥٧/٢، والسنن الكبرى للنسائي (٧٩٧٣) و (١٠٤٨٤) ، وصحيح ابن حبان (٧٧٣):٥٠/٣.

إسناده حسن، من أجل عيسى بن هلال الصدفي، وصححه الحاكم والذهبي.

وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، را، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّح ويُسَبحُ وسَبح، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

(١٣٥٧) مسند ابن ابي شيبة(٣٠٢٨٤):ص١٥٣/٦، وسنن الدارمي(٣٤٦٥):ص٢١٥٢/٤، وشعب الإيمان(٢٢٥٣):ص١٠٦/٤. وللاستزادة في فضائل «الحواميم» راجع فضائل السورة «غافر».

إسناده صحيح إلى سعد بن إبراهيم وهو موقوف عليه.

القرآن

{حم (١)} [فصلت : ١]

التفسير:

{حم} سبق الكلام على الحروف المقطَّعة في أول سورة البقرة.

القرآن

{تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢)} [فصلت : ٢]

التفسير:

هذا القرآن الكريم تنزيل من الرحمن الرحيم، نزَّله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

قال الطبري:يقول:" هذا القرآن تنزيل من عند الرحمن الرحيم نزله على نبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"[١٣٥٨].

قال ابن كثير: " يعني : القرآن منزل من الرحمن الرحيم ، كقوله تعالى : {قُلْ نزلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ} [النحل : ١٠٢] ، وقوله : {وَإِنَّهُ لَتَنزيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نزلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ} [الشعراء : ١٩٢ - ١٩٤]"[١٣٥٩].

قال السعدي:" يخبر تعالى عباده أن هذا الكتاب الجليل والقرآن الجميل {تَنزيلٌ} صادر {مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} الذي وسعت رحمته كل شيء، الذي من أعظم رحمته وأجلها، إنزال هذا الكتاب، الذي حصل به، من العلم والهدى، والنور، والشفاء، والرحمة، والخير الكثير، ما هو من أجل نعمه على العباد، وهو الطريق للسعادة في الدارين"[١٣٦٠].

قال الشنقيطي[١٣٦١]: "هما وصفان لله - تعالى - واسمان من أسمائه الحسنى، مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، والرحمن أشدُّ مبالغة من الرحيم، لأن الرحمن هو ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلائق في الدنيا، وللمؤمنين في الآخرة، والرحيم ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة، وعلى هذا أكثر العلماء"[١٣٦٢].

قال الليث: "{الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} اسمان، اشتقاقهما من (الرحمة)"[١٣٦٣].

وقال أبو عبيدة: "هما صفتان لله تعالى، معناهما ذو الرحمة"[١٣٦٤].

قال ابن عباس:" «الرحمن»: الفعلان، من :الرحمة، وهو من كلام العرب الرحمن"[١٣٦٥].

واختلفوا في اشتقاق «الرحمن والرحيم»، على قولين [١٣٦٦]:

(١٣٥٨) تفسير الطبري: ٤٢٥/٢١.

(١٣٥٩) معاني القرآن: ٣٧٩/٤.

(١٣٦٠) تفسير السعدي: ٧٤٤.

(١٣٦١)هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي المدني، ولد بموريتانيا عام ١٣٢٥ هـ، حوالي١٧ فبراير١٩٠٥ ، بمدينة تنبه في موريتانيا، اجتهد في طلب العلم فأصبح من علماء موريتانيا، وتولى القضاء في بلده، فكان موضع ثقة حكّامها ومحكوميها، وكان من أوائل المدرِّسين في الجامعة الإسلامية سنة ١٣٨١هـ، ثم عيِّن عضوًا في مجلس الجامعة، كما عيِّن عضوًا في مجلس التأسيس لرابطة العالم الإسلامي، وعضوًا في هيئة كبار العلماء ٨ /٧ /١٣٩١ هـ، توفي بمكة بعد أدائه لفريضة الحج في السابع عشر من ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة، وصُلِّي عليه بالمسجد الحرام، ودفن بمقبرة المعلاة بمكة.

(١٣٦٢)انظر "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" لعبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله نشر مؤسسة الرسالة (ص/٣٩).

(١٣٦٣)تهذيب اللغة" (رحم) ٢/ ١٣٨٣.

(١٣٦٤)"مجاز القرآن" ١/ ٢١، "تهذيب اللغة" (رحم) ٢/ ١٣٨٣، والنص من "التهذيب"، وقد رد الطبري على أبي عبيدة قوله وأغلظ له حيث قال: (وقد زعم بعض من ضعفت معرفته بتأويل أهل التأويل، وقلت روايته لأقوال السلف من أهل التفسير أن (الرحمن) مجازه: ذو الرحمة ..) الطبري في "تفسيره" ١/ ١٣٠-١٣١.

(١٣٦٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٥٠٩١).:ص٢٦٨٣/٨

(١٣٦٦) انظر: النكت والعيون: ٥٣/١.

أحدهما : أنهما مشتقان من رحمة واحدةٍ ، جُعِل لفظ الرحمن أشدَّ مبالغة من الرحيم .
قال وكيع: "«الرحيم» أشد مبالغة؛ لأنه ينبئ عن رحمته في الدنيا والآخرة ورحمة الرحمانية في الدنيا دون الآخرة"(١٣٦٧).
وقالوا: إنهما بمعنى واحد كندمان ونديم، ولهفان ولهيف، وجيء بهما للتأكيد والإشباع، كقولهم: جادٌّ ومُجِدٌّ، وقول طرَفه(١٣٦٨):

مَالِي أَرَانِي وابْنَ عَمِّي مَالِكًا مَتَى أَدْنُ مِنْه يَنْأَ مِنِّي وَيَبْعُدِ

وقول عدي(١٣٦٩):

وَقَدَّدَت الأَدِيَم لِرَاهِشِيْه وألفى قَولَهَا كَذِبًا وَمَيْنَا

في أمثال لهذا.
وروي عن ابن عباس أنه قال:" الرحمن الرحيم، اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر"(١٣٧٠).
قال الحسين بن الفضل: "غلط الراوي؛ لأن الرقة في صفة الباري لا تصح. وإنما هما أسمان رفيقان أحدهما أرفق من الآخر"(١٣٧١).
قال الواحدي: "يدل على هذا ما روي في الخبر: "إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق مالا يعطي على العنف"(١٣٧٢)، وسمعت من يقول: معنى قول ابن عباس «اسمان رقيقان»، أي: يدلان فينا على الرقة"(١٣٧٣).
وقد أخرج ابن أبي حاتم عن خالد بن صفوان التميمي في قوله: "{الرحمن الرحيم}، قال: هما رقيقان أحدهما أرق من الآخر"(١٣٧٤).

(١٣٦٧) حكاه عنه الواحدي في التفسير البسيط: ٤٦٠/١، ولم أجده عن وكيع فيما اطلعت عليه. والله أعلم.
(١٣٦٨)البيت من معلقة طرفة المشهورة، يتحدث عما كان بينه وبين ابن عمه (مالك) من جفوة وخصام، (ينأ عني) و (يبعد) معناهما واحد، وإنما جاء بهما لأن اللفظين مختلفان، والمعنى يبعد ثم يبعد بعد ذلك، وقيل: ينأ: بالفعل، ويبعد: بالنفس لشدة بغضه لي. أورد البيت الثعلبي في "تفسيره" ١/ ١٩ أ، وانظر: "ديوان طرفة" ص ٣٤ تحقيق وتحليل د. علي الجندي.
(١٣٦٩)من قصيدة قالها عدي بن زيد، في قصة طويلة مشهورة بين الزَّبَّاء وجذيمة وردت في كتب التاريخ والأدب. ويروي (قدمت) و (الراهش) عرق في باطن الذراع و (المين) بمعنى: الكذب، ورد البيت في "معاني القرآن" للفراء ١/ ٣٧، "الشعر والشعراء" ص ١٣٢، "إعراب القرآن" للنحاس ١/ ١٧٥، "تفسير الثعلبي" ١/ ١٩ أ، ٧٣ أ، "أمالي المرتضى" ٢/ ٢٥٨، "المستقصى" ١/ ٢٤٣، "مغني اللبيب" ٢/ ٣٥٧، "الهمع" ٥/ ٢٢٦، "معاهد التنصيص" ١/ ٣١٠، "اللسان" (مين) ٧/ ٤٣١١، والقرطبي في "تفسيره" ١/ ٣٩٩، "الدر المصون" ١/ ٣٥٨.
والشاهد (كذبا ومَيْنا) فأكد الكذب بالمين وهو بمعناه.
(١٣٧٠)ذكره الثعلبي في "تفسيره" ١/ ٩٩، وابن الأنباري في "الزاهر" ١/ ١٥٢، والأزهري في "تهذيب اللغة" (رحم) ٢/ ١٣٨٣، والواحدي في التفسير البسيط: ٤٦١/١، والقرطبي في "تفسيره" ١/ ٩٢، وابن كثير عن القرطبي في "تفسيره" ١/ ٢٢، وقد أخرج الطبري وابن أبي حاتم بسنديهما عن ابن عباس، قال: (الرحمن الفعلان من الرحمة، وهو من كلام العرب قال: الرحمن الرحيم: الرقيق الرفيق بمن أحب أن يرحمه، والبعيد الشديد على من أحب أن يعنف عليه) في سنده ضعف. انظر الطبري ١/ ٥٧، "تفسير ابن أبي حاتم" (رسالة دكتوراه) ١/ ١٤٨، وابن كثير في "تفسيره" ١/ ٢٣، "المفسر عبد الله بن عباس والمروي عنه" (رسالة ماجستير) ١/ ١٣٠.
(١٣٧١) ذكره الواحدي في التفسير البسيط: ٤٦٢/١،
(١٣٧٢)أخرجه مسلم (٢٥٩٣) كتاب البر، باب: فضل الرفق، وأبو داود (٤٨٠٧) كتاب الأدب، باب: في الرفق، وأحمد في "مسنده" عن علي ١/ ١١٢، وعن عبد الله بن مغفل ٤/ ٨٧، وأخرج البخاري عن عائشة وفيه: (إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله (٦٩٢٧) كتاب استتابة المرتدين، باب: إذا عرض الذمي وغيره بسب النبي - صلى الله عليه وسلم -.
(١٣٧٣) التفسير البسيط: ٤٦٢/١، و القرطبي، وذكر نحوه عن الخطابي ١/ ٩٢، وذكره ابن كثير في "تفسيره" في القرطبي ١/ ٢٢.
(١٣٧٤) تفسير ابن أبي حاتم(٢١):ص٢٨/١.

وقال مقاتل:"« الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ»: اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر، «الرَّحْمَنِ»، يعني: المسترحم على خلقه، و«الرَّحِيمِ»: أرق من الرحمن، «الرَّحِيمِ» اللطيف بهم"[١٣٧٥].

القول الثاني : أنهما مشتقان من رحمتين ، والرحمة التي اشتق منها الرحمن ، غير الرحمة التي اشتق منها الرحيم ، ليصح امتياز الاسمين ، وتغاير الصفتين ، ومن قال بهذا القول اختلفوا في الرحمتين على ثلاثة أقوال :

أحدها : أن الرحمن مشتق من رحمة الله لجميع خلقه ، والرحيم مشتق من رحمة الله لأهل طاعته.

قال الضحاك:" «الرحمن»: بجميع خلقه، و«الرحيم»: بالمؤمنين خاصة"[١٣٧٦].

الثاني : أن «الرحمن»: مشتق من رحمة الله تعالى لأهل الدنيا والآخرة ، و«الرحيم»: مشتق من رحمتِهِ لأهل الدنيا دُون الآخرة .

الثالث : أن «الرحمن»: مشتق من الرحمة التي يختص الله تعالى بها دون عباده ، و«الرحيم»: مشتق من الرحمة التي يوجد في العباد مثلُها .

وقد اخرج ابن أبي حاتم عن الحسن:" الرحمن: اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه"[١٣٧٧].

قال الشيخ ابن عثيمين : وذكر هذين الاسمين الكريمين في البسملة التي تتقدم فعل العبد وقوله ، إشارة إلى أن الله إذا لم يرحمك فلن تستفيد لا من هذا الفعل ولا من هذا القول ، ولهذا قال النبي ﷺ : " لن يدخل أحد الجنة بعمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله برحمته"[١٣٧٨].

القرآن

{كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣)} [فصلت : ٣]

التفسير:

كتاب بُيِّنت آياته تمام البيان، وَوُضِّحت معانيه وأحكامه، قرآنًا عربيًا ميسَّرًا فهمه لقوم يعلمون اللسان العربي.

قوله تعالى:{كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ} [فصلت : ٣]، أي:" كتاب بُيِّنت آياته تمام البيان، وَوُضِّحت معانيه وأحكامه"[١٣٧٩].

قال الطبري: يقول: كتاب بينت آياته"[١٣٨٠].

قال ابن كثير: " أي : بُينت معانيه وأحكمت أحكامه[١٣٨١].

قال الشوكاني:أي:" بينت أو جعلت أساليب مختلفة"[١٣٨٢].

قال السعدي:" أي: فصل كل شيء من أنواعه على حدته، وهذا يستلزم البيان التام، والتفريق بين كل شيء، وتمييز الحقائق"[١٣٨٣].

وفي تفصيل آياته وجوه من التفسير:

أحدها : فسّرت، قاله مجاهد[١٣٨٤].

الثاني : بينت آياته. قاله السدي[١٣٨٥].

(١٣٧٥) تفسير مقاتل نب سليمان: ٧٣٥/٣.

(١٣٧٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٠):ص٢٨/١.

(١٣٧٧) تفسير ابن أبي حاتم(٢٢):ص٢٨/١.

(١٣٧٨)رواه البخاري في صحيحه ٩٨/٨، حديث رقم ٦٤٦٧، باب القصد والمداومة على العمل.

(١٣٧٩) التفسير الميسر: ٤٧٧.

(١٣٨٠) تفسير الطبري: ٤٢٥/٢١.

(١٣٨١) تفسير ابن كثير: ١٦١/٧.

(١٣٨٢) فتح القدير: ٥٧٩/٤.

(١٣٨٣) تفسير السعدي: ٧٤٤.

(١٣٨٤) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٢٤١/٦، والماوردي في النكت والعيون: ١٦٧/٥.

(١٣٨٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٥/٢١.

وقال القشيري:" بيّنت آياته ودلالاته"(١٣٨٦).
الثالث : فصلت بالوعد والوعيد ، قاله الحسن(١٣٨٧).
الرابع : فصلت بالثواب والعقاب ، قاله سفيان(١٣٨٨) .
الخامس : فصلت ببيان حلاله من حرامه وطاعته من معصيته، قاله قتادة(١٣٨٩).
السادس : فصلت من ذكر محمد -صلى الله عليه وسلم-، فحكم فيما بينه وبين من خالفه ، قال عبد الرحمن بن زيد(١٣٩٠).

قال الزمخشري:أي:" ميزت [آياته] وجعلت تفاصيل في معان مختلفة: من أحكام وأمثال ومواعظ، ووعد ووعيد، وغير ذلك"(١٣٩١).

وقرئ: «فصلت»، أى: فرقت بين الحق والباطل. أو فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها، من قولك: فصل من البلد(١٣٩٢).

قوله تعالى:{قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [فصلت : ٣]، أي:" قرآنًا عربيًا ميسَّرًا فهمه لقوم يعلمون اللسان العربي"(١٣٩٣).

قال الطبري:"يقول:فصلت آيات هذا الكتاب قرآنا عربيا لقوم يعلمون اللسان العربي"(١٣٩٤).

قال الماتريدي:" أي: أنزله بلسان يعلمونه ويفهمونه لا بلسان لا يعلمونه ولا يفهمونه، أي: أنزله بلسانهم"(١٣٩٥).

قال ابن كثير: " أي:في حال كونه لفظا عربيا ، بينا واضحا ، فمعانيه مفصلة ، وألفاظه واضحة غير مشكلة، كقوله:{كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هود : ١] أي : هو معجز من حيث لفظه ومعناه ، {لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت : ٤٢]"(١٣٩٦).

قال السعدي:" أي: باللغة الفصحى أكمل اللغات، فصلت آياته وجعل عربيًا، لأجل أن يتبين لهم معناه، كما تبين لفظه، ويتضح لهم الهدى من الضلال، والغَيِّ من الرشاد، وأما الجاهلون، الذين لا يزيدهم الهدى إلا ضلالا ولا البيان إلا عَمًى فهؤلاء لم يُسَق الكلام لأجلهم، {سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ}"(١٣٩٧).

قال الزجاج:" نصب {قُرْآنًا} على الحال، المعنى: بينت آياته قرآناً، أي: بينت آياته في حال جمعه عربياً، {لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}، أي: بيَّنا لمن يعلم"(١٣٩٨).

قال الفراء: " تنصب {قرآنا} على الفعل، أي: فصلت آياته كذلك، ويكون نصبا على القطع، لأن الكلام تام عند قوله: {آياته} "(١٣٩٩).

وفي قوله تعالى:{قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [فصلت : ٣]، وجوه من التفسير:
أحدها : يعلمون انه إله واحد في التوراة والإنجيل ، قاله مجاهد(١٤٠٠).

(١٣٨٦) لطائف الإشارات: ٣١٩/٣.
(١٣٨٧) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٢٤١/٦، والماوردي في النكت والعيون: ١٦٧/٥.
(١٣٨٨) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ١٦٧/٥.
(١٣٨٩) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٢٤١/٦، والماوردي في النكت والعيون: ١٦٧/٥.
(١٣٩٠) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ١٦٧/٥.
(١٣٩١) الكشاف: ١٨٤/٤.
(١٣٩٢) انظر: الكشاف: ١٨٤/٤.
(١٣٩٣) التفسير الميسر: ٤٧٧.
(١٣٩٤) تفسير الطبري: ٤٢٨/٢١.
(١٣٩٥) تأويلات أهل السنة: ٥٩/٩.
(١٣٩٦) تفسير ابن كثير: ١٦١/٧.
(١٣٩٧) تفسير السعدي: ٧٤٤.
(١٣٩٨) معاني القرآن: ٣٧٩/٤.
(١٣٩٩) معاني القرآن: ١٢/٣.

الثاني : أن القرآن من عند الله نزل ، قاله الضحاك[١٤٠١].
الثالث : يعلمون العربية فيعجزون عن مثله. حكاه الماوردي[١٤٠٢].
الرابع: أي: حصل إنزاله لقوم ينتفعون بعلمهم. أفاده الماتريدي[١٤٠٣].
قال ابن كثير:" أي : إنما يعرف هذا البيان والوضوح العلماءُ الراسخون"[١٤٠٤].
وفي حرف ابن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: «قرآنا عربيا لقوم يعقلون»[١٤٠٥].

القرآن

{بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٤)} [فصلت : ٤]

التفسير:

بشيرًا بالثواب العاجل والآجل لمن آمن به وعمل بمقتضاه، ونذيرًا بالعقاب العاجل والآجل لمن كفر به، فأعرض عنه أكثر الناس، فهم لا يسمعون له سماع قبول وإجابة.

قوله تعالى:{بَشِيرًا وَنَذِيرًا} [فصلت : ٤]، أي:" بشيرًا بالثواب العاجل والآجل لمن آمن به وعمل بمقتضاه، ونذيرًا بالعقاب العاجل والآجل لمن كفر به"[١٤٠٦].

قال الطبري:يقول:" بشيرا لهم يبشرهم إن هم آمنوا به، وعملوا بما أنزل فيه من حدود الله وفرائضه بالجنة، ومنذرا من كذب به ولم يعمل بما فيه بأمر الله في عاجل الدنيا، وخلود الأبد في نار جهنم في آجل الآخرة"[١٤٠٧].

قال ابن كثير:" أي : تارة يبشر المؤمنين ، وتارة ينذر الكافرين"[١٤٠٨].

قال السعدي:" أي: بشيرًا بالثواب العاجل والآجل، ونذيرًا بالعقاب العاجل والآجل"[١٤٠٩].

قوله تعالى:{فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ} [فصلت : ٤]، أي:" فأعرض عنه أكثر الناس"[١٤١٠].

قال الطبري:يقول:" فاستكبر عن الإصغاء له وتدبر ما فيه من حجج الله، وأعرض عنه أكثر هؤلاء القوم الذين أنزل هذا القرآن بشيرا لهم ونذيرا، وهم قوم رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"[١٤١١].

قال ابن كثير:"أي : أكثر قريش"[١٤١٢].

قال الشوكاني:" المراد بأكثر هنا: الكفار، أي: فأعرض الكفار عما اشتمل عليه من النذارة"[١٤١٣].

قوله تعالى:{فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ} [فصلت : ٤]، أي:" فهم لا يسمعون له سماع قبول وإجابة"[١٤١٤].

قال الطبري:" يقول: فهم لا يصغون له فيسمعوه إعراضا عنه واستكبارا"[١٤١٥].

(١٤٠٠) انظر: النكت والعيون: ١٦٨/٥.
(١٤٠١) انظر: النكت والعيون: ١٦٨/٥.
(١٤٠٢) انظر: النكت والعيون: ١٦٨/٥.
(١٤٠٣) تأويلات أهل السنة: ٥٩/٩.
(١٤٠٤) تفسير ابن كثير: ١٦١/٧.
(١٤٠٥) انظر: تأويلات أهل السنة: ٥٩/٩.
(١٤٠٦) التفسير الميسر: ٤٧٧.
(١٤٠٧) تفسير الطبري: ٤٢٨/٢١.
(١٤٠٨) تفسير ابن كثير: ١٦١/٧.
(١٤٠٩) تفسير السعدي: ٧٤٤.
(١٤١٠) التفسير الميسر: ٤٧٧.
(١٤١١) تفسير الطبري: ٤٢٨/٢١.
(١٤١٢) تفسير ابن كثير: ١٦١/٧.
(١٤١٣) فتح القدير: ٥٧٩/٤.
(١٤١٤) التفسير الميسر: ٤٧٧.

قال ابن كثير: أي :"فهم لا يفهمون منه شيئا مع بيانه ووضوحه"(١٤١٦).
قال الشوكاني:أي:" فهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به لإعراضهم عنه"(١٤١٧).
قال السعدي:" {فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ} له سماع قبول وإجابة، وإن كانوا قد سمعوه سماعًا، تقوم عليهم به الحجة الشرعية"(١٤١٨).

القرآن

{وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (٥)} [فصلت : ٥]

التفسير:

وقال هؤلاء المعرضون الكافرون للنبي محمد صلى الله عليه وسلم: قلوبنا في أغطية مانعة لنا من فهم ما تدعونا إليه، وفي آذاننا صمم فلا نسمع، ومن بيننا وبينك -يا محمد- ساتر يحجبنا عن إجابة دعوتك، فاعمل على وَفْق دينك، كما أننا عاملون على وَفْق ديننا.

قوله تعالى:{وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ} [فصلت : ٥]، أي:" وقال هؤلاء المعرضون الكافرون للنبي محمد صلى الله عليه وسلم: قلوبنا في أغطية مانعة لنا من فهم ما تدعونا إليه"(١٤١٩).

قال ابن كثير: "أي : في غلف مغطاة {مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ}"(١٤٢٠).

قال الشوكاني:" أي: في أغطية مثل الكنانة التي فيها السهام، فهي لا تفقه ما تقول، ولا يصل إليها قولك"(١٤٢١).

قال الطبري:" وقال هؤلاء المشركون المعرضون عن آيات الله من مشركي قريش إذ دعاهم محمد نبيّ الله إلى الإقرار بتوحيد الله وتصديق ما في هذا القرآن من أمر الله ونهيه، وسائر ما أنزل فيه {قُلُوبُنَا فِي} في أغطية {مِمَّا تَدْعُونَا} يا محمد {إِلَيْهِ} من توحيد الله، وتصديقك فيما جئتنا به، لا نفقه ما تقول"(١٤٢٢).

عن مجاهد، قوله: "{قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ}، قال: عليها أغطية كالجَعْبة للنَّبْل"(١٤٢٣).
عن السديّ، قوله: "{وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ}، قال: عليها أغطية"(١٤٢٤).
قوله تعالى:{وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ} [فصلت : ٥]، أي:" وفي آذاننا صمم فلا نسمع"(١٤٢٥).
قال ابن كثير: " أي : صمم عما جئتنا به"(١٤٢٦).
قال الطبري: أي: "{وَفِي آذَانِنَا} الثقل، لا نسمع ما تدعونا إليه استثقالا لما يدعو إليه وكراهة له"(١٤٢٧).
عن السديّ، قوله:"{وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ}، قال: صمم"(١٤٢٨).

(١٤١٥) تفسير الطبري: ٤٢٨/٢١.
(١٤١٦) تفسير ابن كثير: ١٦١/٧.
(١٤١٧) فتح القدير: ٥٧٩/٤.
(١٤١٨) تفسير السعدي: ٧٤٤.
(١٤١٩) التفسير الميسر: ٤٧٧.
(١٤٢٠) تفسير ابن كثير: ١٦١/٧.
(١٤٢١) فتح القدير: ٥٧٩/٤.
(١٤٢٢) تفسير الطبري: ٤٢٨/٢١.
(١٤٢٣) أخرجه الطبري: ٤٢٩/٢١.
(١٤٢٤) أخرجه الطبري: ٤٢٩/٢١.
(١٤٢٥) التفسير الميسر: ٤٧٧.
(١٤٢٦) تفسير ابن كثير: ١٦١/٧.
(١٤٢٧) تفسير الطبري: ٤٢٨/٢١.
(١٤٢٨) أخرجه الطبري: ٤٢٩/٢١.

قوله تعالى:{وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ} [فصلت : ٥]، أي:" ومن بيننا وبينك -يا محمد- ساتر يحجبنا عن إجابة دعوتك"(١٤٢٩).

قال الفراء:" يقول: بيننا وبينك فرقة في ديننا"(١٤٣٠).

قال ابن كثير: " أي : اعمل أنت على طريقتك ، ونحن على طريقتنا لا نتابعك"(١٤٣١).

قال الطبري:" يقولون: ومن بيننا وبينك يا محمد ساتر لا نجتمع من أجله نحن وأنت، فيرى بعضنا بعضا، وذلك الحجاب هو اختلافهم في الدين، لأن دينهم كان عبادة الأوثان، ودين محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم عبادة الله وحده لا شريك له، فذلك هو الحجاب الذي زعموا أنه بينهم وبين نبيّ الله، وذلك هو خلاف بعضهم بعضا في الدين"(١٤٣٢).

قوله تعالى:{فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ} [فصلت : ٥]، أي:" فاعمل على وَفْق دينك، كما أننا عاملون على وَفْق ديننا"(١٤٣٣).

قال الفراء: يقول: "فاعمل في هلاكنا إننا عاملون في ذلك منك، ويقال: فاعمل بما تعلم من دينك فإننا عاملون بديننا"(١٤٣٤).

قال السعدي:" القصد من ذلك، أنهم أظهروا الإعراض عنه، من كل وجه، وأظهروا بغضه، والرضا بما هم عليه، ولهذا قالوا: {فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ} أي: كما رضيت بالعمل بدينك، فإننا راضون كل الرضا، بالعمل في ديننا، وهذا من أعظم الخذلان، حيث رضوا بالضلال عن الهدى، واستبدلوا الكفر بالإيمان، وباعوا الآخرة بالدنيا(١٤٣٥).

عن محمد ابن شهاب الزهري، قال:" كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا تلا القرآن على مُشركي قريش، ودعاهم إلى الله؛ قالوا يهزءون به: {قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه، وفي آذانِنا وقر، ومن بيننا وبينك حجاب}. فأنزل الله في ذلك من قولهم: {وإذا قرأت القرآن} الآيات"(١٤٣٦).

عن جابر بن عبد الله ، رضي الله عنه ، قال : «اجتمعت قريش يوما فقالوا : انظروا أعْلَمكم بالسحر والكهانة والشعر ، فليأت هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وعاب ديننا ، فليكلمه ولننظر ماذا يرد عليه ؟ فقالوا : ما نعلم أحدا غير عتبة ابن ربيعة. فقالوا : أنت يا أبا الوليد. فأتاه عتبة فقال : يا محمد ، أنت خير أم عبد الله ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أنت خير أم عبد المطلب ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك ، فقد عبدوا الآلهة التي عِبْتَ ، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك ، إنا والله ما رأينا سَخْلَةً قط أشأم على قومك منك ؛ فرقت جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وعبت ديننا ، وفضحتنا في العرب ، حتى لقد طار فيهم أن في قريش ساحرا ، وأن في قريش كاهنا! والله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحُبْلَى أن يقوم بعضنا إلى بعض بالسيوف ، حتى نتفانى! أيها الرجل ، إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك حتى تكون أغنى قريش رجلا وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش شئت فلنزوجك عشرا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فَرَغْتَ ؟" قال : نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : {بسم الله الرحمن الرحيم. حم. تَنزيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} حتى بلغ : {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ} فقال عتبة : حسبك! حسبك! ما عندك غير هذا ؟ قال : "لا" فرجع إلى قريش فقالوا : ما وراءك ؟ قال : ما تركت شيئا أرى أنكم تكلمونه به إلا كلمته. قالوا : فهل أجابك ؟ [قال : نعم ،

(١٤٢٩) التفسير الميسر: ٤٧٧.
(١٤٣٠) معاني القرآن: ١٢/٣.
(١٤٣١) تفسير ابن كثير: ١٦١/٧.
(١٤٣٢) تفسير الطبري: ٤٢٩/٢١.
(١٤٣٣) التفسير الميسر: ٤٧٧.
(١٤٣٤) معاني القرآن: ١٢/٣.
(١٤٣٥) تفسير السعدي: ٧٤٤.
(١٤٣٦)أخرجه ابن إسحاق -كما في سيرة ابن هشام ١/ ٣١٦ - . وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

قالوا : فما قال ؟ قال : لا والذي نصبها بَنِيَّةً ما فَهِمْتُ شيئا مما قال ، غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود. قالوا : ويلك! يكلمك الرجل بالعربية ما تدري ما قال ؟! قال : لا والله ما فهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة"»(١٤٣٧).

وروي عن محمد بن كعب القُرَظي قال : "حُدِّثْتُ أن عتبة بن ربيعة - وكان سيدا - قال يوما وهو جالس في نادي قريش ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده : يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها ، فنعطيه أيَّها شاء ويكف عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون ، فقالوا : بلى يا أبا الوليد ، فقم إليه فكلمه، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن أخي ، إنك منا حيث قد علمت من السِّطَة في العشيرة ، والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها. قال : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "قل يا أبا الوليد ، أسمع". قال : يا ابن أخي ، إن كنت إنما تريدُ بما جئتَ به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون من أكثرنا أموالا، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا ، حتى لا نقطع أمرًا دونك. وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا. وإن كان هذا الذي يأتيك رَئِيًا تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يُدَاوَى منه - أو كما قال له - حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال : "أفرغت يا أبا الوليد ؟" قال : نعم. قال : "فاستمع مني" قال : أفعل. قال : {بسم الله الرحمن الرحيم. حم. تَنزيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ} ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه. فلما سمع عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه ، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها ، فسجد ثم قال : "قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : أقسم - يحلف بالله - لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أني قد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة. يا معشر قريش ، أطيعوني واجعلوها لي ، خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونَنَّ لقوله الذي سمعت نبأ ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فمُلْكُهُ ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به. قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه! قال : هذا رأيي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم"(١٤٣٨).

فوائد الآيات:[١-٥]:

١- تعيّن تعلم اللغة العربية على كل مسلم يريد أن يفهم كلام الله القرآن العظيم، شاهده قول الأصوليين ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب وما دام لا يفهم الشرع إلا بلغة القرآن وجب تعلم هذه اللغة.

٢- اشتمال القرآن على أسلوب الترغيب والترهيب وهي البشارة والنذارة.

٣- بيان شدة عداوة المشركين للتوحيد والداعين إليه في كل زمان ومكان.

القرآن

{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٧)} [فصلت : ٦-٧]

التفسير:

(١٤٣٧)المنتخب لعبد بن حميد برقم (١١٢١) ومسند أبي يعلى (٣٤٩/٣) وفي إسناده الأجلح الكندي ضعفه النسائي وغيره.

(١٤٣٨)السيرة النبوية لابن هشام :٢٩٣/١، وتفسير ابن كثير: ١٦٣/٧.

قل لهم -أيها الرسول-: إنما أنا بشر مثلكم يوحي الله إليَّ أنما إلهكم الذي يستحق العبادة، إله واحد لا شريك له، فاسلكوا الطريق الموصل إليه، واطلبوا مغفرته. وعذاب للمشركين الذين عبدوا من دون الله أوثانًا لا تنفع ولا تضر، والذين لم يطهروا أنفسهم بتوحيد ربهم، والإخلاص له، ولا يؤدون الصدقة إلى مستحقيها، فلا إخلاص منهم للخالق ولا نفع فيهم للخلق، وهم لا يؤمنون بالبعث، ولا بالجنة والنار.

قوله تعالى:{قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} [فصلت : ٦]، أي:" قل لهم -أيها الرسول-: إنما أنا بشر مثلكم يوحي الله إليَّ أنما إلهكم الذي يستحق العبادة، إله واحد لا شريك له"(١٤٣٩).

قال الطبري:" قل يا محمد لهؤلاء المعرضين عن آيات الله من قومك: أيها القوم، ما أنا إلا بشر من بني آدم مثلكم في الجنس والصورة والهيئة لست بمَلَك، يوحي الله إلى أن لا معبود لكم تصلح عبادته إلا معبود واحد"(١٤٤٠).

قال ابن كثير:" يقول تعالى : {قُلْ} يا محمد لهؤلاء المكذبين المشركين : {إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} لا كما تعبدونه من الأصنام والأنداد والأرباب المتفرقين ، إنما الله إله واحد"(١٤٤١).

قوله تعالى:{فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ} [فصلت : ٦]، أي:" فاسلكوا الطريق الموصل إليه، واطلبوا مغفرته"(١٤٤٢).

قال الطبري:" يقول: فاستقيموا إليه بالطاعة، ووجهوا إليه وجوهكم بالرغبة والعبادة دون الآلهة والأوثان، وسلوه العفو لكم عن ذنوبكم التي سلفت منكم بالتوبة من شرككم، يتب عليكم ويغفر لكم"(١٤٤٣).

قال ابن كثير:" أي : أخلصوا له العبادة على منوال ما أمركم به على ألسنة الرسل، {وَاسْتَغْفِرُوهُ}، أي : لسالف الذنوب"(١٤٤٤).

قوله تعالى:{وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} [فصلت : ٦-٧]، أي:" وعذاب للمشركين الذين لا يفعلون الخير، ولا يتصدقون ولا ينفقون في طاعة الله"(١٤٤٥).

قال الطبري: يقول: " وصديد أهل النار، وما يسيل منهم للمدعين لله شريكا العابدين الأوثان دونه الذين لا يؤتون الزكاة"(١٤٤٦).

قال ابن كثير:" أي : دمار لهم وهلاك عليهم ، {الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} ..وهذا كقوله تعالى : {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس : ٩ ، ١٠] ، وكقوله : {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى} [الأعلى : ١٤ ، ١٥] ، وقوله {فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى} [النازعات : ١٨]، والمراد بالزكاة هاهنا : طهارة النفس من الأخلاق الرذيلة ، ومن أهم ذلك طهارة النفس من الشرك. وزكاة المال إنما سميت زكاة لأنها تطهره من الحرام ، وتكون سببا لزيادته وبركته وكثرة نفعه ، وتوفيقا إلى استعماله في الطاعات"(١٤٤٧).

قال قتادة:" «الزكاة قنطرة الإسلام فمن قطعها برئ ، ونجا ، ومن لم يقطعها هلك»(١٤٤٨).

(١٤٣٩) التفسير الميسر: ٤٧٧.
(١٤٤٠) تفسير الطبري: ٤٢٩/٢١-٤٣٠.
(١٤٤١) تفسير ابن كثير: ١٦٤/٥.
(١٤٤٢) التفسير الميسر: ٤٧٧.
(١٤٤٣) تفسير الطبري: ٤٣٠/٢١.
(١٤٤٤) تفسير ابن كثير: ١٦٤/٥.
(١٤٤٥) صفوة التفاسير: ١٠٨/٣.[بتصرف]
(١٤٤٦) تفسير الطبري: ٤٣٠/٢١.
(١٤٤٧) تفسير ابن كثير: ١٦٤/٥.
(١٤٤٨) تفسير عبدالرزاق(٢٦٩١):١٤٩/٣.

وفي قوله تعالى:{وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} [فصلت : ٦-٧]، وجوه من التفسير:

أحدها : أحدها: لا يشهدون أن «لا إله إلّا الله» ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس(١٤٤٩)، وبه قال عكرمة(١٤٥٠).

قال ابن الجوزي:"والمعنى-على هذا القول-: لا يطهِّرون أنفُسَهم من الشرك بالتوحيد"(١٤٥١).

الثاني: لا يؤمِنون بالزكاة ولا يُقِرُّون بها، قاله الحسن(١٤٥٢)، وقتادة(١٤٥٣).

قال الطبري:" وكان يقال: إن الزكاة قنطرة الإسلام، فمن قطعها نجا، ومن تخلف عنها هلك; وقد كان أهل الردّة بعد نبيّ الله قالوا: أما الصلاة فنصلّي، وأما الزكاة فوالله لا تغصب أموالنا; قال: فقال أبو بكر: والله لا أفرق بين شيء جمع الله بينه; والله لو منعوني عقالا مما فرض الله ورسوله لقاتلناهم عليه"(١٤٥٤).

قال ابن كثير:"وقال قتادة : «يمنعون زكاة أموالهم». وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين ، واختاره ابن جرير. وفيه نظر ؛ لأن إيجاب الزكاة إنما كان في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة ، على ما ذكره غير واحد وهذه الآية مكية ، اللهم إلا أن يقال : لا يبعد أن يكون أصل الزكاة الصدقة كان مأمورا به في ابتداء البعثة ، كقوله تعالى : {وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ} [الأنعام : ١٤١] ، فأما الزكاة ذات النصب والمقادير فإنما بَيَّن أمرها بالمدينة ، ويكون هذا جمعا بين القولين ، كما أن أصل الصلاة كان واجبا قبل طلوع الشمس وقبل غروبها في ابتداء البعثة ، فلما كان ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة ونصف ، فرض الله على رسوله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس ، وفصل شروطها وأركانها وما يتعلق بها بعد ذلك ، شيئا فشيئا ، والله أعلم"(١٤٥٥).

قال السدي:" لو زَكَّوا وهم مشركون لم ينفعهم"(١٤٥٦).

الثالث: لا يزكُّون أعمالهم، قاله مجاهد(١٤٥٧)، والربيع(١٤٥٨).

الرابع: لا يتصدَّقون، ولا يُنفِقون في الطاعات، قاله الضحاك(١٤٥٩)، ومقاتل(١٤٦٠).

السادس: معناه: انهم لا يزكون أعمالهم ، قاله ابن عمر(١٤٦١).

السابع: أنه قرعهم بالشح الذي يأنف منه الفضلاء، وفيه دلالة على أن الكافر يعذب بكفره، مع وجوب الزكاة عليه، أكثر مما يعذب من لم تكن الزكاة واجبة عليه، قاله ابن عيسى(١٤٦٢).

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين قالوا: معناه: لا يؤدّون زكاة أموالهم; وذلك أن ذلك هو الأشهر من معنى الزكاة، وأن في قوله: {وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} دليلا على أن ذلك كذلك، لأن الكفار الذين عنوا بهذه الآية كانوا لا يشهدون أن لا إله إلا الله، فلو كان قوله: {الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} مرادا به الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله لم يكن لقوله:

(١٤٤٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٠/٢١.
(١٤٥٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٠/٢١.
(١٤٥١) زاد المسير: ٤٦/٤.
(١٤٥٢) انظر: زاد المسير: ٤٦/٤.
(١٤٥٣) انظر: النكت والعيون: ١٦٠/٥، وزاد المسير: ٤٦/٤.
(١٤٥٤) تفسير الطبري: ٤٣٠/٢١-٤٣١.
(١٤٥٥) تفسير ابن كثير: ١٦٤/٥.
(١٤٥٦) أخرجه الطبري: ٤٣١/٢١.
(١٤٥٧) انظر: زاد المسير: ٤٦/٤.
(١٤٥٨) انظر: زاد المسير: ٤٦/٤.
(١٤٥٩) انظر: زاد المسير: ٤٦/٤.
(١٤٦٠) انظر: تفسير مقالت بن سليمان: ٧٣٦/٣، وقال:" يعني لا يعطون الصدقة ولا يطعمون الطعام".
(١٤٦١) انظر: النكت والعيون: ١٦٠/٥.
(١٤٦٢) انظر: النكت والعيون: ١٦٠/٥.

{وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} معنى، لأنه معلوم أن من لا يشهد أن لا إله إلا الله لا يؤمن بالآخرة، وفي إتباع الله قوله: {وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} قوله: {الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} ما ينبئ عن أن الزكاة في هذا الموضع معنيّ بها زكاة الأموال"(١٤٦٣).

قال الزمخشري:" فإن قلت: لم خص من بين أوصاف المشركين منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة؟

قلت:لأن أحب شيء إلى الإنسان ما له وهو شقيق روحه، فإذا بذله في سبيل الله فذلك أقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طويته. ألا ترى إلى قوله عز وجل: {وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ}، أى: يثبتون أنفسهم ويدلون على ثباتها بإنفاق الأموال، و بلمظة من الدنيا قرّت عصبية المؤلفة قلوبهم ولانت شكيمتهم، وأهل الردّة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تظاهروا إلا بمنع الزكاة، فنصبت لهم الحرب وجوهدوا، فيه بعث للمؤمنين على أداء الزكاة، وتخويف شديد من منعها، حيث جعل المنع من أوصاف المشركين، وقرن بالكفر بالآخرة"(١٤٦٤).

قوله تعالى:{وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} [فصلت : ٧]، أي:" وهم لا يؤمنون بالبعث، ولا بالجنة والنار"(١٤٦٥).

قال الطبري:" يقول: وهم بقيام الساعة، وبعث الله خلقه أحياء من قبورهم، من بعد بلائهم وفنائهم منكرون"(١٤٦٦).

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٨)} [فصلت : ٨]

التفسير:

إن الذين آمنوا بالله ورسوله وكتابه وعملوا الأعمال الصالحة مخلصين لله فيها، لهم ثواب عظيم غير مقطوع ولا ممنوع.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [فصلت : ٨]، أي:" إن الذين آمنوا بالله ورسوله وكتابه وعملوا الأعمال الصالحة مخلصين لله فيها"(١٤٦٧).

قال الطبري: يقول:" إن الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله به ورسوله، وانتهوا عما نهاهم عنه، وذلك هو الصالحات من الأعمال"(١٤٦٨).

عن سعيد بن جبير:"قوله: {آمنوا بالله}، يعني: بتوحيد الله"(١٤٦٩).

عن السُدِّيّ، في قوله: {والذين آمنوا وعملوا الصالحات}، يعني: أطاعوا الله فيما أمرهم به، وفرض عليهم"(١٤٧٠).

قوله تعالى:{لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [فصلت : ٨]، أي:" لهم ثواب عظيم غير مقطوع ولا ممنوع"(١٤٧١).

قال الطبري:"يقول: لمن فعل ذلك أجر غير منقوص عما وعدهم أن يأجرهم عليه"(١٤٧٢).

(١٤٦٣) تفسير الطبري: ٤٣١/٢١.
(١٤٦٤) الكشاف: ١٨٦/٤-١٨٧.[بتصرف]
(١٤٦٥) التفسير الميسر: ٤٧٧.
(١٤٦٦) تفسير الطبري: ٤٣١/٢١.
(١٤٦٧) التفسير الميسر: ٤٧٧.
(١٤٦٨) تفسير الطبري: ٤٣١/٢١.
(١٤٦٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٦١٠٤):ص١٠٩٠/٤.
(١٤٧٠)علّقه يحيى بن سلّام ٢/ ٦١٨.
(١٤٧١) التفسير الميسر: ٤٧٧.
(١٤٧٢) تفسير الطبري: ٤٣١/٢١-٤٣٢.

وفي تفسير قوله تعالى:{لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [فصلت : ٨]، وجوه:
أحدها : غير محسوب ، قاله مجاهد[١٤٧٣]،وقتادة[١٤٧٤]، وابن أبي نجيح[١٤٧٥].
وقال الضحاك:" وهو أجر بغير عمل"[١٤٧٦].
الثاني : غير منقوص ، قاله ابن عباس[١٤٧٧]، وقطرب[١٤٧٨]، وأنشد قول زهير[١٤٧٩] :
فضل الجياد على الخيل البطاء فلا ... يعطي بذلك ممنونا ولا ترقا
الثالث : غير مقطوع، قاله ابن عيسى[١٤٨٠]، مأخوذ من مننت الحبل إذا قطعته ، قال ذو الأصبع العدواني[١٤٨١]:
إنِّي لَعَمْرُكَ مَا بَابِي بِذِي غَلَقٍ ... عَلَى الصَّدِيقِ وَلَا خَيْرِي بِمَمْنُونِ
الرابع : غير ممنون عليهم، قاله السدي[١٤٨٢].
قال ابن كثير:" وقال السدي : غير ممنون عليهم. وقد رد عليه بعض الأئمة هذا التفسير ، فإن المنة لله على أهل الجنة ؛ قال الله تعالى:{بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ} [الحجرات : ١٧] ، وقال أهل الجنة : {فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ} [الطور : ٢٧] ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»[١٤٨٣]"[١٤٨٤].
وأخرج ابن ابي حاتم بسنده عن عكرمة، في قوله تعالى:" {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [التين : ٦]، قال: «يوفيه الله أجره وعمله فلا يؤاخذه إذا رد إلى أرذل العمر»، وفي لفظ، قال: «من رد منهم إلى أرذل العمر جرى له من الأجر مثل ما كان يعمل في صحته وشبابه فذلك الأجر غير ممنون»، قال: «ولا يمن به عليهم»"[١٤٨٥].
قال الزمخشري:" قيل: نزلت في المرضى والزمنى والهرمى: إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر، كأصح ما كانوا يعملون"[١٤٨٦].
فوائد الآيات:[٦-٨]:
١- تقرير النبوة والتوحيد.
٢- وجوب الاستقامة على شرع الله.

(١٤٧٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٩٤٠٦):ص٣٤٤٨/١٠.
(١٤٧٤) الدر المنثور: ٤٦٠/٨، وعزاه إلى عبدالرزاق.
(١٤٧٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٢/٢١.
(١٤٧٦)الكشف والبيان" ١٣/ ١١٩ ب، والتفسير البسيط للواحدي": ١٥٨/٢٤، و"النكت والعيون" ٦/ ٣٠٣، و"معالم التنزيل" ٤/ ٥٠٥، و"الجامع لأحكام القرآن" ٢٠/ ١١٦، و"لباب التأويل" ٤/ ٣٩١.
(١٤٧٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٢/٢١.
(١٤٧٨) انظر: النكت والعيون: ١٦٩/٥.
(١٤٧٩)ديوان زهير بن أبي سلمى: ٤٢، ويروى:«ولا ترقا».
أراد أن الممدوح فضل الناس فضل الجياد على البطاء من الخيل. الجياد: الواحد جواد، الذي يجود بما عنده من الجري. الممنون: المقطوع. الترق: الذي يبطئ بعد الجري والذي يعطي ثم يكف.
(١٤٨٠) انظر: النكت والعيون: ١٦٩/٥.
(١٤٨١) انظر: المفضليات: ١٦٠، والشعر والشعراء: ٦٩٧/٢، وأمالي القالي: ٢٥٦/١، والنكت والعيون: ١٦٩/٥، وتفسير القرطبي: ٣٤١/١٥، والبحر المحيط: ٢٨٧/٩.
(١٤٨٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٢/٢١.
(١٤٨٣)حديث جابر: أخرجه أحمد (٣٦٢/٣، رقم ١٤٩٤٤) ، ومسلم (٢١٧٠/٤، رقم ٢٨١٧) ، والدارمى (٣٩٥/٢، رقم ٢٧٣٣) .
حديث أبى هريرة: أخرجه أحمد (٤٩٥/٢، رقم ١٠٤٣٠) ، ومسلم (٢١٧٠/٤، رقم ٢٨١٦) ، وابن ماجه (١٤٠٥/٢، رقم ٤٢٠١) ، وابن حبان (٦٠/٢، رقم ٣٤٨) . أخرجه أيضًا: ابن ماجه (١٤٠٥/٢، رقم ٤٢٠١) .
حديث عائشة: أخرجه مسلم (٢١٧١/٤، رقم ٢٨١٨).
(١٤٨٤) تفسير ابن كثير: ١٦٤/٥.
(١٤٨٥) تفسير ابن أبي حاتم(١٩٤١٢):ص٣٤٤٩/١٠.
(١٤٨٦) الكشاف: ١٨٧/٤.

٣- وجوب الاستغفار من كل ذنب صغيراً كان أو كبيراً.
٤- وجوب الزكاة في الأموال، ووجوب تزكية النفوس بالإيمان وصالح الأعمال.

القرآن

{قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩)} [فصلت : ٩]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين موبخًا لهم ومتعجبًا من فعلهم: أإنكم لتكفرون بالله الذي خلق الأرض في يومين اثنين، وتجعلون له نظراء وشركاء تعبدونهم معه؟ ذلك الخالق هو رب العالمين كلهم.

قوله تعالى:{قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ} [فصلت : ٩]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين موبخًا لهم ومتعجبًا من فعلهم: أإنكم لتكفرون بالله الذي خلق الأرض في يومين اثنين"(١٤٨٧).

قال الطبري:" وذلك يوم الأحد ويوم الاثنين; وبذلك جاءت الأخبار عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وقالته العلماء،"(١٤٨٨).

عن السديّ: "{خَلَقَ الأرْضَ فِي يَوْمَيْنِ}، في الأحد والإثنين"(١٤٨٩).

قال ابن جريج:" بدأ خلق الأرض في يومين، وقدّر فيها أقواتها في يومين"(١٤٩٠).

عن كعب، قال: "بدأ الله خلق السموات والأرض يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وفرغ منها يوم الجمعة"(١٤٩١).

قال السمعاني:" فإن قال قائل: ما الحكمة في خلقها في يومين، وقد كان قادرا على خلقها في ساعة وأقل من ذلك؟

قلنا: خلق في يومين ليرشد خلقه إلى الإناة في الأفعال؛ وليكون أبعد من توهم اتفاق أو فعل طبع، ولأنه لا سؤال عليه في خلقه فكيفما شاء خلق"(١٤٩٢).

قوله تعالى:{وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا} [فصلت : ٩]، أي:" وتجعلون له نظراء وشركاء تعبدونهم معه؟"(١٤٩٣).

قال الطبري:" يقول: وتجعلون لمن خلق ذلك كذلك أندادا، وهم الأكفاء من الرجال تطيعونهم في معاصي الله، وقد بيَّنا معنى الندّ بشواهده فيما مضى قبل"(١٤٩٤).

قال السمعاني:" {أندادا}، أي: أشباها وأمثالا وشركاء"(١٤٩٥).

قال الطبري:" «الأنداد»: جمع «نِدّ»، و«النِّدّ»: العِدْلُ والمِثل، كما قال حسان بن ثابت(١٤٩٦):

أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِنِدٍّ؟ ... فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الفِدَاءُ

يعني :"لست له بمثْلٍ ولا عِدْلٍ. وكل شيء كان نظيرًا لشيء وله شبيهًا فهو له ند"(١٤٩٧).

عن قتادة:"{فلا تجعلوا لله أندادًا}، أي: عُدَلاء"(١٤٩٨).

(١٤٨٧) التفسير الميسر: ٤٧٧.
(١٤٨٨) تفسير الطبري: ٤٣٢/٢١.
(١٤٨٩) أخرجه الطبري: ٤٣٣/٢١.
(١٤٩٠) أخرجه الطبري(١٧٩٧٢):ص٢٤٥/١٥.
(١٤٩١) أخرجه الطبري(١٧٩٧٣-):ص٢٤٥/١٥.
(١٤٩٢) تفسير السمعاني: ٣٨/٥.
(١٤٩٣) التفسير الميسر: ٤٧٧.
(١٤٩٤) تفسير الطبري: ٤٣٤/٢١.
(١٤٩٥) تفسير السمعاني: ٣٨/٥.
(١٤٩٦)ديوانه: ٨، روايته"بكفء".
(١٤٩٧) تفسير الطبري: ٣٦٨/٢١.

وروي عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم--صلى الله عليه وسلم-، قال:"{فلا تجعلوا لله أندادًا}، قال: «أكفاءً من الرجال تطيعونهم في معصية الله»"[1499].

قال السمعاني:" {أندادا}، أي: أشباها وأمثالا وشركاء، قال أهل المعاني: قوله {وتجعلون له أندادا} أي: تطيعون غيره في معاصيه. وقال بعضهم: من ذلك أن يقول الرجل: لولا كلبة فلان لدخل اللصوص داري، ولولا إرشاد فلان لهلكت، وما أشبه ذلك"[1500].

قوله تعالى:{ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [فصلت : ٩]، أي:" ذلك الخالق هو رب العالمين كلهم"[1501].

قال السمعاني:" أي: الذي فعل ذلك الفعل هو رب العالمين"[1502].

قال الطبري:" يقول: الذي فعل هذا الفعل، وخلق الأرض في يومين، مالك جميع الجن والإنس، وسائر أجناس الخلق، وكل ما دونه مملوك له، فكيف يجوز أن يكون له ندّ؟! هل يكون المملوك العاجز الذي لا يقدر على شيء ندّا لمالكه القادر عليه؟"[1503].

القرآن

{وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (١٠)} [فصلت : ١٠]

التفسير:

وجعل سبحانه في الأرض جبالا ثوابت من فوقها، وبارك فيها فجعلها دائمة الخير لأهلها، وقدَّر فيها أرزاق أهلها من الغذاء، وما يصلحهم من المعاش في تمام أربعة أيام: يومان خلق فيهما الأرض، ويومان جعل فيها رواسي وقدر فيها أقواتها، سواء للسائلين أي: لمن أراد السؤال عن ذلك؛ ليعلمه.

قوله تعالى:{وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا} [فصلت : ١٠]، أي:" وجعل سبحانه في الأرض جبالا ثوابت من فوقها"[1504].

قال الطبري: يقول:" وجعل في الأرض التي خلق في يومين جبالا رواسي، وهي الثوابت من فوق الأرض على ظهرها"[1505].

قال السمعاني:" وسماها رواسي لثبوتها. وفي القصة: أن الله تعالى لما خلق الأرض جعلت تميد ولا تستقر، فخلق الله الجبال عليها فاستقرت، فهو معنى قوله: {وجعل فيها رواسي من فوقها} "[1506].

عن الحسن:" {وألقى في الأرض رواسي} [النحل: ١٥] ، قال: " الجبال"[1507].

عن قتادة، قوله:"{رواسي}، أي: جبال"[1508].

قال قتادة:" أثبتها بالجبال، ولولا ذلك ما أقرّت عليها خلقا"[1509].

قوله تعالى:{وَبَارَكَ فِيهَا} [فصلت : ١٠]، أي:" وبارك فيها فجعلها دائمة الخير لأهلها"[1510].

(١٤٩٨) أخرجه الطبري(٤٨١):ص٣٦٨/١.
(١٤٩٩) أخرجه الطبري(٤٨٢):ص٣٦٨/١.
(١٥٠٠) تفسير السمعاني: ٣٨/٥.
(١٥٠١) التفسير الميسر: ٤٧٧.
(١٥٠٢) تفسير السمعاني: ٣٨/٥.
(١٥٠٣) تفسير الطبري: ٤٣٤/٢١.
(١٥٠٤) التفسير الميسر: ٤٧٧.
(١٥٠٥) تفسير الطبري: ٤٣٤/٢١.
(١٥٠٦) تفسير السمعاني: ٣٨/٥.
(١٥٠٧) تفسير عبدالرزاق(١٤٧٩):ص٢٦٦/٢.
(١٥٠٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢١٠٧):ص٢٢١٩/٧.
(١٥٠٩) أخرجه الطبري: ١٣٣/٢٠.

قال الطبري: " يقول: وبارك في الأرض فجعلها دائمة الخير لأهلها"(١٥١١).
وعن السديّ: "{وَبَارَكَ فِيهَا}، قال: أنبت شجرها"(١٥١٢).
قال السمعاني:" أي: أكثر فيها البركة. والبركة: المنافع، ومن بركاتها الأشجار التي تنبت بغير غرس، والحبوب التي تنبت بغير بذر، وكل ما لم يعمله بنو آدم. وفي بعض الآثار: أن الله تعالى جمع في الخبز بركات السماء والأرض"(١٥١٣).
قوله تعالى:{وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا} [فصلت : ١٠]، أي:" وقدَّر فيها أرزاق أهلها من الغذاء، وما يصلحهم من المعاش"(١٥١٤).
وفي قوله تعالى:{وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا} [فصلت : ١٠]، وجوه من التفسير:
أحدها : قدر أرزاق أهلها ، قاله الحسن(١٥١٥)، وابن زيد(١٥١٦)، والسدي(١٥١٧).
قال ابن زيد:" قدر فيها أرزاق العباد، ذلك الأقوات"(١٥١٨).
الثاني : قدر فيها ما يصلحها. قاله قتادة(١٥١٩).
الثالث : خلق فيها جبالها وأنهارها وبحارها وشجرها، وساكنها من الدواب كلها. قاله قتادة أيضا(١٥٢٠).
الرابع : قدر فيها أقواتها من المطر ، قاله مجاهد(١٥٢١).
الخامس : قدر في كل بلدة منها ما لم يجعله في الأخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد إلى بلد ، قاله الضحاك(١٥٢٢)، ومجاهد-في رواية-(١٥٢٣)، وعكرمة(١٥٢٤).
قال عكرمة:" اليمانية باليمن، والسابرية بسابور، وأشباه هذا"(١٥٢٥).
وقال عكرمة:" البلد يكون فيه القوت أو الشيء لا يكون لغيره، ألا ترى أن السابري إنما يكون بسابور، وأن العصب إنما يكون باليمن ونحو ذلك"(١٥٢٦).
قال مجاهد والضحاك:" السابريّ بسابور، والطيالسة من الريّ"(١٥٢٧).
قال السمعاني:" في التفسير أن معناه: الحنطة لقوم، والشعير لقوم، والذرة لقوم، والتمر لقوم، والسمك لقوم، واللحم لقوم. ويقال: المصري لمصر، والسابري لسابر، والعربي للعرب، وكل طعام في موضعه"(١٥٢٨).
قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى أخبر أنه قدّر في الأرض أقوات أهلها، وذلك ما يقوتهم من الغذاء، ويصلحهم من المعاش، ولم يخصص جلّ ثناؤه بقوله: {وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا} أنه قدّر فيها قوتا دون قوت، بل عم الخبر عن تقديره فيها جميع

(١٥١٠) التفسير الميسر: ٤٧٧.
(١٥١١) تفسير الطبري: ٤٣٤/٢١.
(١٥١٢) أخرجه الطبري: ٤٣٤/٢١.
(١٥١٣) تفسير السمعاني: ٣٨/٥-٣٩.
(١٥١٤) التفسير الميسر: ٤٧٧.
(١٥١٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٥/٢١.
(١٥١٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٥/٢١.
(١٥١٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٥/٢١.
(١٥١٨) أخرجه الطبري: ٤٣٥/٢١.
(١٥١٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٥/٢١.
(١٥٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٥/٢١.
(١٥٢١) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٦/٢١.
(١٥٢٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٧/٢١.
(١٥٢٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٦/٢١.
(١٥٢٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٦/٢١.
(١٥٢٥) أخرجه الطبري: ٤٣٦/٢١.
(١٥٢٦) أخرجه الطبري: ٤٣٦/٢١.
(١٥٢٧) أخرجه الطبري: ٤٣٦/٢١، ٤٣٧.
(١٥٢٨) تفسير السمعاني: ٣٩/٥.

الأقوات، ومما يقوت أهلها ما لا يصلحهم غيره من الغذاء، وذلك لا يكون إلا بالمطر والتصرّف في البلاد لما خصّ به بعضا دون بعض، ومما أخرج من الجبال من الجواهر، ومن البحر من المآكل والحليّ، ولا قول في ذلك أصح مما قال جلّ ثناؤه: قدّر في الأرض أقوات أهلها، لما وصفنا من العلة"(١٥٢٩).

عن ابن مسعود أنه كان يقرأ«وَقَسَّمَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا»(١٥٣٠).

قوله تعالى:{فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ} [فصلت : ١٠]، أي:" في تمام أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان، للسائلين عن مدة خلق الأرض وما فيها"(١٥٣١).

قال الماوردي:" يعني: تتمة أربعة أيام، ومنه قول القائل : خرجت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام ، وإلى الكوفة في خمسة عشر يوماً، أي: في تتمة خمسة عشريوماً"(١٥٣٢).

قال السمعاني:" فإن قال قائل: قد قال هاهنا خلق الأرض في يومين فذكر أنه بدأ بخلق الأرض وقال في موضع آخر: {وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا} [النازعات : ٣٠، فكيف وجه الجمع بين الآيتين؟

والجواب: أن معنى قوله: {والأرض بعد ذلك دحاها} أي: مع ذلك، وهذا ضعيف في اللغة، والأصح أن معنى قوله: {وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا} [النازعات : ٣٠]، أي: بسطها، وكان الله تعالى خلق الأرض قبل السموات في يومين، وخلق الأرزاق والأقوات فيها، وأجرى الأنهار، وأظهر الأشجار، وخلق البحار في يومين آخرين، فذلك تمام أربعة أيام، ولم يكن بسط الأرض وجعلها بحيث يسكن فيها، فلما خلق السموات بسط الأرض وجعلها بحيث يسكنها الناس"(١٥٣٣).

قال السدي:" خلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين، في الثلاثاء والأربعاء"(١٥٣٤).

قال ابن عباس:" إن الله خلق يوما واحدا فسماه الأحد، ثم خلق ثانيا فسماه الإثنين، ثم خلق ثالثا فسماه الثلاثاء، ثم خلق رابعا فسماه الأربعاء، ثم خلق خامسا فسماه الخميس; قال: فخلق الأرض في يومين: الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، فذلك قول الناس: هو يوم ثقيل، وخلق مواضع الأنهار والأشجار يوم الأربعاء، وخلق الطير والوحوش والهوامّ والسباع يوم الخميس، وخلق الإنسان يوم الجمعة، ففرغ من خلق كلّ شيء يوم الجمعة"(١٥٣٥).

عن أبي هريرة قال : «أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال : "خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة ، فيما بين العصر إلى الليل"»(١٥٣٦).

وفي قوله تعالى:{سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ} [فصلت : ١٠]، وجهان:

أحدهما : معناه: سواء للسائلين عن مبلغ الأجل في خلق الله الأرض، قاله قتادة(١٥٣٧)، والسدي(١٥٣٨).

(١٥٢٩) تفسير الطبري: ٤٣٧/٢١.

(١٥٣٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٩/٢١.

(١٥٣١) صفوة التفاسير: ١٠٨/٣.

(١٥٣٢) النكت والعيون: ١٧١/٥.

(١٥٣٣) تفسير السمعاني: ٣٩/٥.

(١٥٣٤) أخرجه الطبري: ٤٣٧/٢١.

(١٥٣٥) أخرجه الطبري: ٤٣٣/٢١.

(١٥٣٦)صحيح مسلم برقم (٢٧٨٩) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٠١٠)
قال ابن كثير:١٦٨/٧:" وهو من غرائب الصحيح ، وقد عَلّله البخاري في التاريخ فقال : رواه بعضهم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن كعب الأحبار ، وهو الأصح".

(١٥٣٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٨/٢١.

(١٥٣٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٨/٢١.

قال قتادة:" من سأل عن ذلك وجده، كما قال الله"[١٥٣٩].
قال السدي:" يقول: من سأل فهكذا الأمر"[١٥٤٠].
قال السمعاني:" أي: عدلا للسائلين، ومعناه: من سألك عن هذا فأجبه بهذا، فإنه الحق والعدل"[١٥٤١].
الثاني : سواء للسائلين في أقواتهم وأرزقاهم، يعني: سواء لمن سأل ربه شيئا مما به الحاجة إليه من الرزق، فإن الله قد قدّر له من الأقوات في الأرض، على قدر مسألة كل سائل منهم لو سأله لما نفذ من علمه فيهم قبل أن يخلقهم. وهو معنى قول ابن زيد[١٥٤٢].
قال ابن زيد:" قدّر ذلك على قدر مسائلهم، يعلم ذلك أنه لا يكون من مسائلهم شيء إلا شيء قد علمه قبل أن يكون"[١٥٤٣].

القرآن
{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١)} [فصلت : ١١]
التفسير:
ثم استوى سبحانه وتعالى، أي: قصد إلى السماء وكانت دخانًا من قبلُ، فقال للسماء وللأرض: انقادا لأمري مختارتين أو مجبرتين. قالتا: أتينا مذعنين لك، ليس لنا إرادة تخالف إرادتك.
قوله تعالى:{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ} [فصلت : ١١]، أي:" ثم قصد -سبحانه وتعالى-إلى السماء، وكانت دخانًا من قبلُ"[١٥٤٤].
قال السمعاني:" أي: قصد إلى خلق السماء وهي دخان، وفي القصة ان الله تعالى خلق أول ما خلق ماء يضطرب، فأزبد الماء زبدا، وارتفع من الزبد دخان، فخلق الأرض من الزبد، وخلق السماء من الدخان"[١٥٤٥].
قال الحسن: "{وهِيَ دُخَانٌ} ملتصقة بالأرض"[١٥٤٦].
واختلف في قوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ} [فصلت : ١١]، على أقوال:
القول الأول: أن «الإستواء»، بمعنى: العلو والارتفاع: أي: علا إلى السماء، فسرها به أبو العالية[١٥٤٧]، والحسن[١٥٤٨]، والربيع[١٥٤٩]، وهو قول ابن عباس[١٥٥٠]، وأكثر مفسري السلف[١٥٥١].
قال الربيع بن انس:" يقول: ارتفع إلى السماء"[١٥٥٢].
قال ابن العثيمين: "وذلك تمسكا بظاهر لفظ: «استوى»، وتفويضا لعلم كيفية هذا الارتفاع إلى الله عز وجل"[١٥٥٣].

(١٥٣٩) أخرجه الطبري: ٤٣٨/٢١.
(١٥٤٠) أخرجه الطبري: ٤٣٨/٢١.
(١٥٤١) تفسير السمعاني: ٣٩/٥.
(١٥٤٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٨/٢١.
(١٥٤٣) أخرجه الطبري: ٤٣٨/٢١.
(١٥٤٤) التفسير الميسر: ١٠٨/٣.[بتصرف]
(١٥٤٥) تفسير السمعاني: ٣٩/٥.
(١٥٤٦)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ١٤٧ -.
(١٥٤٧) أنظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٠٨):ص٧٥/١.
(١٥٤٨) أنظر: تفسير ابن أبي حاتم:٧٥/١.
(١٥٤٩)أنظر: تفسير ابن أبي حاتم:٧٥/١.
(١٥٥٠) حكاه عنه البغوي في التفسير: ٧٨/١.
(١٥٥١) انظر: تفسير البغوي: ٧٨/١. وحكاه عن أكثر مفسري السلف.
(١٥٥٢) أخرجه الطبري(٥٨٨):ص٤٢٩/١.
(١٥٥٣)مجموع فتاوى ورسائل العثيمين " (٣/ ٣١٢).

واختاره الطبري، قائلا: يعني تعالى ذكره: ثم استوى إلى السماء، ثم ارتفع إلى السماء"(١٥٥٤).
وقال الطبري: أي:" علا عليهن وارتفع، فدبرهنّ بقدرته، وخلقهنّ سبع سموات"(١٥٥٥).
قال شيخ الاسلام: "وهو قول إجماع السلف"(١٥٥٦).
القول الثاني: أن «الإستواء» بمعنى: قصد إليها وأقبل عليهما؛ وهذا ما اختاره ابن كثير(١٥٥٧)، والفراء(١٥٥٨)، والسعدي(١٥٥٩)، والبغوي(١٥٦٠)، فكما تقول: كان فلان مقبلا على فلان، ثم استوَى عليّ يشاتمني - واستوَى إليّ يشاتمني، بمعنى: أقبل عليّ وإليّ يشاتمني، واستُشْهد على أنّ «الاستواء» بمعنى «الإقبال»، بقول الشاعر(١٥٦١):
أَقُولُ وَقَدْ قَطَعْنَ بِنَا شَرَوْرَى سَوَامِدَ، وَاسْتَوَيْنَ مِنَ الضَّجُوعِ
فزعم أنه عنى به أنهن خرجن من الضّجوع، وكان ذلك عنده بمعنى: أقبلن، وهذا من التأويل في هذا البيت خطأ، وإنما معنى قوله : "واستوين من الضجوع": استوين على الطريق من الضجوع خارجات، بمعنى استقمن عليه(١٥٦٢).
قال ابن عثيمين:" وهذا القول ليس صرفا للكلام عن ظاهره، وذلك لأن الفعل استوى اقترن بحرف يدل على الغاية والانتهاء، فانتقل إلى معنى يناسب الحرف المقترن به، ألا ترى إلى قوله تعالى: {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ} [الإنسان : ٦]، حيث كان معناها يروى بها عباد الله ، لأن الفعل يشرب اقترن بالباء فانتقل إلى معنى يناسبها وهو يروى ، فالفعل يضمن معنى يناسب معنى الحرف المتعلق به ليلتئم الكلام "(١٥٦٣).
القول الثالث: أنه لم يكن ذلك من الله جل ذكره بتحوّل، ولكنه بمعنى فعله، كما تقول: كان الخليفة في أهل العراق يواليهم ثم تحوّل إلى الشام، إنما يريد تحوّل فعله. قاله الاخفش(١٥٦٤).
القول الخامس: أن معنى قوله:{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ}: عمد إليها، وقال: بل كل تارك عملاً كان فيه إلى آخره فهو مستو لما عمد ومستو إليه.حكاه الطبري(١٥٦٥).
وأقرب الأقوال الى الصواب هو أن {اسْتَوَى} معناه: قصد إلى خلقها، إذ ترد كلمة:«استوى» في القرآن على ثلاثة معاني:
أحدها: لا تعدى بالحرف، فيكون معناها: «الكمال والتمام»، كما في قوله عن موسى: {وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [القصص : ١٤].
الثاني: أن تكون بمعنى: «علا» و«ارتفع»، وذلك إذا عديت بـ «على»، كما في قوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف : ٥٤]، وقوله: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه : ٥]، وقوله تعالى:

(١٥٥٤) تفسير الطبري: ٤٣٩/٢١.
(١٥٥٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٩/١، و تفسير ابن كثير: ٢١٣/١.
(١٥٥٦) مجموع الفتاوى: ٥٢١/٥.
(١٥٥٧) انظر: تفسير ابن عثيمين: ٧٦/١.
(١٥٥٨) انظر: معاني القرآن :٢٥/١.
(١٥٥٩) انظر: تفسير السعدي: ٧٤٥.
(١٥٦٠) انظر: تفسيره: ١٢٦/٤. ولفظه:" أي: عمد إلى خلق السماء".
(١٥٦١)البيت لتميم بن أبي بن مقبل (معجم ما استعجم : ٧٩٥ ، ٨٥٧) ، وروايته " ثواني " مكان " سوامد " . وشرورى : جبل بين بني أسد وبني عامر ، في طريق مكة إلى الكوفة . والضجوع - بفتح الضاد المعجمة - : موضع أيضًا بين بلاد هذيل وبني سليم . وقوله : " سوامد " جمع سامد . سمدت الإبل في سيرها : جدت وسارت سيرًا دائمًا ، ولم تعرف الإعياء . وسوامد : دوائب لا يلحقهن كلال . والنون في " قطعن " للإبل
(١٥٦٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٨/١.
(١٥٦٣)مجموع فتاوى ورسائل العثيمين: ٣/ ٣١٢.
(١٥٦٤) انظر: معاني القرآن: ٦٢/١.
(١٥٦٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٢٩/١.

{لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ} [الزخرف : ١٣].
الثالث: أن تكون بمعنى: «قصد»كما إذا عديت بـ«إلى»، كما في هذه الآية: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [البقرة : ٢٩]، أي: لما خلق تعالى الأرض، قصد إلى خلق السماوات {فسواهن سبع سماوات} فخلقها وأحكمها، وأتقنها(١٥٦٦).

وقال ابن كثير قوله تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ.} الآية ٥٤]:" وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديما وحديثا وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله لا يشبهه شيء من خلقه وليس كمثله شيء وهو السميع البصير بل الأمر كما قال الأئمة منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري قال من شبه الله بخلقه كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله ونفى عن الله تعالى النقائص فقد سلك سبيل الهدى"(١٥٦٧).

وقال شيخ الإسلام - بعد أن ذكر قول السلف- «أمروها كما جاءت»، قال: "فقولهم: «أمروها كما جاءت»: رد على المعطلة، وقولهم:«بلا كيف»: رد على الممثلة"(١٥٦٨).

قال سفيان بن عيينة: "كل شيء وصف الله به نفسه في القرآن فقراءته تفسيره لا كيف ولا مثل"(١٥٦٩).

قوله تعالى:{فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا} [فصلت : ١١]، أي:" فقال للسماء وللأرض: انقادا لأمري مختارتين أو مجبرتين"(١٥٧٠).

قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه: فقال الله للسماء والأرض: جيئا بما خلقت فيكما، أما أنت يا سماء فأطلعي ما خلقت فيك من الشمس والقمر والنجوم، وأما أنت يا أرض فأخرجي ما خلقت فيك من الأشجار والثمار والنبات، وتشقَّقِي عن الأنهار"(١٥٧١).

عن ابن عباس، قوله: "{اِئْتِيَا}: أعطيا"(١٥٧٢).

قال السمعاني:" قال بعضهم: معنى قوله: {ائتيا}، أي: كونا كما قدرتكما طوعا أو كرها، وعلى هذا يكون هذا القول قبل الخلق، والقول الثاني -هو قول الأكثرين-: أن هذا القول من الله تعالى بعد أن خلقهما"(١٥٧٣).

قوله تعالى:{قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} [فصلت : ١١]، أي:" قالتا: أتينا مذعنين لك، ليس لنا إرادة تخالف إرادتك"(١٥٧٤).

قال الطبري:أي:" جئنا بما أحدثت فينا من خلقك، مستجيبين لأمرك لا نعصي أمرك"(١٥٧٥).

(١٥٦٦) انظر: تفسير السعدي: ٤٨/١.
(١٥٦٧) تفسير ابن كثير: ٢٨٣/٣.
(١٥٦٨) مجموع الفتاوى: ٣٩/٥.
(١٥٦٩)رواه الدارقطني في الصفات ٤١، وأبو عثمان الصابوني في عقيدة أهل الحديث ص ٥٦، ورواه البيهقي في الأسماء ٣٩٧، وفي الاعتقاد ١١٨، واللالكائي في السنة ٤٣١/٣، والبغوي في السنة ١٧١/١.
(١٥٧٠) التفسير الميسر: ١٠٨/٣.
(١٥٧١) تفسير الطبري: ٤٣٩/٢١.
(١٥٧٢) أخرجه الطبري: ٤٤٠/٢١.
(١٥٧٣) تفسير السمعاني: ٣٩/٥-٤٠.
(١٥٧٤) التفسير الميسر: ١٠٨/٣.
(١٥٧٥) تفسير الطبري: ٤٣٩/٢١.

قال ابن كثير:" أي : بل نستجيب لك مطيعين بما فينا ، مما تريد خلقه من الملائكة والإنس والجن جميعا مطيعين لك"(١٥٧٦).

قال السمعاني: فإن قيل: كيف قال: {طائعين} وكان من حق اللغة أن يقول: طائعات قلنا: إنما قال: {طائعين} لأنه لما جعلها بمنزلة من يعقل في الخطاب معها وجوابها ذكر الكلام على نعت العقلاء"(١٥٧٧).

وفي قوله تعالى:{قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} [فصلت : ١١]، وجوه من التفسير:

أحدها : معناه: أعطينا الطاعة ، رواه طاووس عن ابن عباس(١٥٧٨).

عن ابن عباس، قوله: "{قَالَتَا أَتَيْنَا}، قالتا: أعطينا"(١٥٧٩).

الثاني : أتينا بما فينا. رواه مجاهد عن ابن عباس(١٥٨٠).

قال ابن عباس:" قال الله للسموات: أطلعي شمسي وقمري، وأطلعي نجومي، وقال للأرض: شققي أنهارك وأخرجي ثمارك، فقالتا: أعطينا طائعين"(١٥٨١).

الثالث: معناه: كما أراد الله أن نكون ، حكاه الماوردي عن ابن بحر(١٥٨٢).

وفي قولهما وجهان (١٥٨٣):

أحدهما : أنه ظهور الطاعة منهما قائم مقام قولهما .

الثاني : أنهما تكلمتا بذلك .

قال أبو النصر السكسكي : "فنطق من الأرض موضع الكعبة ونطق من السماء ما بحيالها فوضع الله فيها حرمه"(١٥٨٤).

قال الحسن البصري : "لو أبيا عليه أمره لعذبهما عذابا يجدان ألمه"(١٥٨٥).

قال السمعاني:" منهم من قال: هذا كله على طريق المجاز، وليس على طريق الحقيقة، وكأن الله تعالى لما أجرى أمرهما على مراده وتقديره جعل ذلك بمنزلة قول منه وإجابة منهما بالطواعية، والعرب قد تذكر القول في مثل هذا الموضع، قال الشاعر(١٥٨٦):

امْتَلأَ الحوضُ وقال قَطْنِي. . . مهلاً رويداً قد ملأت بطني

وقال بعضهم: إن القول والإجابة على طريق الحقيقة، وركب في السموات والأرض ما عقلا به خطابه وأجاباه بالطواعية. وهذا هو الأولى"(١٥٨٧).

قال الحسن البصري : "لو أبيا عليه أمره لعذبهما عذابا يجدان ألمه"(١٥٨٨).

عن ابن وهب:" قال لي يعقوب: وسألت زيد بن أسلم عن قول الله: {وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها}، قال: أطاعوه فيما أحبوا أو كرهوا كما قال للسماء والأرض: {ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين}"(١٥٨٩).

(١٥٧٦) تفسير ابن كثير: ١٦٧/٧.

(١٥٧٧) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٤٠/٥.

(١٥٧٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٠/٢١.

(١٥٧٩) أخرجه الطبري: ٤٤٠/٢١.

(١٥٨٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٣٩/٢١-٤٤٠.

(١٥٨١) أخرجه الطبري: ٤٣٩/٢١-٤٤٠.

(١٥٨٢) انظر: النكت والعيون: ١٧٢/٥.

(١٥٨٣) انظر: النكت والعيون: ١٧٢/٥-١٧٣.

(١٥٨٤) نقلا عن: النكت والعيون: ١٧٣/٥.

(١٥٨٥)رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٦٧/٧.

(١٥٨٦)لم أتعرف على قائله، والبيت في "تفسير الطبري"٥٤٦/٢، و"معاني القرآن" للزجاج:١٩٩/١، و"الأمالي الشجرية"١/ ٣١٣، و"المقاصد النحوية" ١/ ٣٦، و"الخصائص" ١/ ٢٣، ومعنى قطني: أي: حسبي. وروي: سلًا رويدًا.

(١٥٨٧) تفسير السمعاني: ٤٠/٥.

(١٥٨٨)رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٦٧/٧.

(١٥٨٩) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٤٧):ص١٢٤/٢.

وعن ابن السماك في موعظه: "سل الأرض: من غرس أشجارك؟ وأجرى أنهارك؟ وأخرج ثمارك؟ فإن لم تجبك اختيارا أجابتك اعتبارا"[١٥٩٠].

القرآن

{فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢)} [فصلت : ١٢]

التفسير:

فقضى الله خلق السماوات السبع وتسويتهن في يومين، فتم بذلك خلق السماوات والأرض في ستة أيام، لحكمة يعلمها الله، مع قدرته سبحانه على خلقهما في لحظة واحدة، وأوحى في كل سماء ما أراده وما أمر به فيها، وزيَّنا السماء الدنيا بالنجوم المضيئة، وحفظًا لها من الشياطين الذين يسترقون السمع، ذلك الخلق البديع تقدير العزيز في ملكه، العليم الذي أحاط علمه بكل شيء.

قوله تعالى:{فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ} [فصلت : ١٢]، أي:" فقضى الله خلق السماوات السبع وتسويتهن في يومين"[١٥٩١].

قال الطبري:" ففرغ من خلقهنّ سبع سموات في يومين، وذلك يوم الخميس ويوم الجمعة"[١٥٩٢].

قال ابن كثير:" أي : ففرغ من تسويتهن سبع سموات في يومين ، أي : آخرين ، وهما يوم الخميس ويوم الجمعة"[١٥٩٣].

قال الصابوني:" فتمَّ خلق السموات والأرض في ستة أيام، ولو شاء لخلقهنَّ بلمح البصر، ولكنْ أراد أن يعلّم عباده الحلم والأناة"[١٥٩٤].

قال السدي: "استوى إلى السماء وهي دخان من تنفس الماء حين تنفس، فجعلها سماء واحدة، ففتقها، فجعلها سبع سموات في يومين، في الخميس والجمعة. وإنما سمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض"[١٥٩٥].

قوله تعالى:{وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا} [فصلت : ١٢]، أي:" وأوحى في كل سماء ما أراده وما أمر به فيها"[١٥٩٦].

قال الطبري:" يقول: وألقى في كل سماء من السموات السبع ما أراد من الخلق"[١٥٩٧].

قال ابن كثير:" أي : ورتب مقررا في كل سماء ما تحتاج إليه من الملائكة ، وما فيها من الأشياء التي لا يعلمها إلا هو"[١٥٩٨].

وفي قوله تعالى:{وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا} [فصلت : ١٢]، وجوه من التفسير:

أحدها :معناه: ما أمر الله به وأراده. قاله مجاهد[١٥٩٩].

الثاني: خلق في كلّ سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد، وما لا يعلم. قاله السدي[١٦٠٠].

الثالث: خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وصلاحها. قاله قتادة[١٦٠١].

(١٥٩٠) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٤٠/٥.
(١٥٩١) التفسير الميسر: ٤٧٧.
(١٥٩٢) تفسير الطبري: ٤٤٠/٢١.
(١٥٩٣) تفسير ابن كثير: ١٦٧/٧.
(١٥٩٤) صفوة التفاسير: ١٠٩/٣.
(١٥٩٥) تفسير الطبري: ٤٤٠/٢١.
(١٥٩٦) التفسير الميسر: ٤٧٧.
(١٥٩٧) تفسير الطبري: ٤٤١/٢١.
(١٥٩٨) تفسير ابن كثير: ١٦٧/٧.
(١٥٩٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٤١/٢١.
(١٦٠٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٤١/٢١.

الرابع : معناه: أسكن في كل سماء ملائكتها ، قاله الكلبي(١٦٠٢).
الخامس : أوحى إلى أهل كل سماء من الملائكة ما أمرهم به من العبادة ، حكاه ابن عيسى(١٦٠٣).
قوله تعالى:{وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا} [فصلت : ١٢]، أي:" وزيَّنا السماء الدنيا بالنجوم المضيئة، وحفظًا لها من الشياطين الذين يسترقون السمع"(١٦٠٤).
قال الطبري: يقول:" وزيَّنا السماء الدنيا إليكم أيها الناس بالكواكب وهي المصابيح"(١٦٠٥).
قال ابن كثير:" {وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ} وهن الكواكب المنيرة المشرقة على أهل الأرض، {وَحِفْظًا}، أي:حرسا من الشياطين أن تستمع إلى الملأ الأعلى"(١٦٠٦).
قال السدي:" ثم زين السماء بالكواكب، فجعلها زينة {وَحِفْظًا} من الشياطين"(١٦٠٧).
قوله تعالى:{ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [فصلت : ١٢]، أي:" ذلك الخلق البديع تقدير العزيز في ملكه، العليم الذي أحاط علمه بكل شيء"(١٦٠٨).
قال الطبري:يقول:" هذا الذي وصفت لكم من خلقي السماء والأرض وما فيهما، وتزييني السماء الدنيا بزينة الكواكب، على ما بينت تقدير العزيز في نقمته من أعدائه، العليم بسرائر عباده وعلانيتهم، وتدبيرهم على ما فيه صلاحهم"(١٦٠٩).
قال ابن كثير:" أي : العزيز الذي قد عز كل شيء فغلبه وقهره ، العليم بجميع حركات المخلوقات وسكناتهم"(١٦١٠).
قال محمد بن إسحاق: "العزيز في نصرته ممن كفر إذا شاء"(١٦١١).
قال محمد بن إسحاق: " {عليم}، أي: عليم بما يخفون"(١٦١٢).
عن ابن عباس :"- قال هناد : قرأت سائر الحديث - أن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السماوات والأرض ، فقال : "خلق الله الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع ، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب ، فهذه أربعة:{قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ}، لمن سأل، قال : "وخلق يوم الخميس السماء ، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه ، فخلق في أول ساعة من هذه الثلاثة الآجال ، حين يموت من مات ، وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس ، وفي الثالثة آدم ، وأسكنه الجنة ، وأمر إبليس بالسجود له ، وأخرجه منها في آخر ساعة". ثم قالت اليهود : ثم ماذا يا محمد ؟ قال : "ثم استوى على العرش". قالوا : قد أصبت لو أتممت! قالوا : ثم استراح. فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا ، فنزل : {وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ

(١٦٠١) انظر: تفسير الطبري: ٤٤١/٢١.
(١٦٠٢) انظر: النكت والعيون: ١٧٣/٥.
(١٦٠٣) انظر: النكت والعيون: ١٧٣/٥.
(١٦٠٤) التفسير الميسر: ٤٧٧.
(١٦٠٥) تفسير الطبري: ٤٤١/٢١.
(١٦٠٦) تفسير ابن كثير: ١٦٧/٧.
(١٦٠٧) أخرجه الطبري: ٤٤١/٢١.
(١٦٠٨) التفسير الميسر: ٤٧٧.
(١٦٠٩) تفسير الطبري: ٤٤٢/٢١.
(١٦١٠) تفسير ابن كثير: ١٦٧/٧.
(١٦١١) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٤٩٨):ص٩٨٣/٣.
(١٦١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤١):ص١٧٦٤/٦.

وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ.فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ} [ق : ٣٨]"(١٦١٣).

قال ابن كثير-في الآيات:[٩-١٢]:" ففي هذا دلالة على أنه تعالى ابتدأ بخلق الأرض أولا ثم خلق السموات سبعا، وهذا شأن البناء أن يبدأ بعمارة أسافله ثم أعاليه بعد ذلك"(١٦١٤).

فوائد الآيات:[٩-١٢]:

١- الكفر بالله لا ذنب فوقه فما بعد الكفر ذنب، وهو عجيب وأعجب منه اتخاذ أصنام وأحجار وأوثاناً تعبد مع الله الحي القيوم مالك الملك ذي الجلال والإكرام.

٢- بيان الأيام التي خلق الله فيها العوالم العلوية والسفلية وهي ستة أيام أي على قدر ستة أيام من أيام الدنيا هذه مبدوءة بالأحد منتهية بالجمعة، وقدرة الله صالحة لخلق السموات والأرض وبكل ما فيهما بكلمة التكوين "كن" ولكن لحكم عالية أرادها الله تعالى منها تعليم عباده الأناة والتدرج في إيجاد الأشياء شيئاً فشيئاً.

٣- لا تعارض بين قوله تعالى في هذه الآية {ثم استوى إلى السماء} المشعر بأن خلق السموات كان بعد خلق الأرض، وبين قوله: {والأرض بعد ذلك دحاها} من سورة النازعات المفهم أن دَحْوَ الأرض كان بعد خلق السماء، إذ فسر تعالى دحو الأرض بإخراج مائها ومرعاها وهو ما ترعاه الحيوانات التي سيخلقها عليها، ثم قوله {خلق الأرض في يومين} على صورة يعلمها هو ولا نعلمها نحن، وتقدير الأقوات في قوله {وقدر فيها أقواتها} لا يستلزم أن يكون فعلا أظهر ما قدره إلى حيز الوجود، وحينئذ لا تعارض بين ما يدل من الآيات على خلق الأرض أولا ثم خلق السموات وهو الذي صرحت به الأحاديث إذ خلق الأرض في يومين وقدر الأقوات في يومين وبعد أن خلق السموات دحا الأرض فأخرج منها ما قدره فيها من أقوات وأرزاق الحيوانات حسب سنته في ذلك.

٤- من فوائد النجوم :

أ- أنها زينة السماء بها تضاء وتشرق وتذهب الوحشة منها.

ب- ترمى الشياطين بالشهب من النجوم ذات التأجج الناري.

ت- الاهتداء بها في معرفة البلاد والقبلة قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [الأنعام : ٩٧].

القرآن

{فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٣)} [فصلت : ١٣]

التفسير:

فإن أعرض هؤلاء المكذبون بعدما بُيِّن لهم من أوصاف القرآن الحميدة، ومن صفات الإله العظيم، فقل لهم: قد أنذرتكم عذابًا يستأصلكم مثل عذاب عاد وثمود حين كفروا بربهم وعصوا رسله.

قوله تعالى:{فَإِنْ أَعْرَضُوا} [فصلت : ١٣]، أي:" فإن أعرض هؤلاء المكذبون بعدما بُيِّن لهم من أوصاف القرآن الحميدة، ومن صفات الإله العظيم"(١٦١٥).

قال الطبري:" فإن أعرض هؤلاء المشركون عن هذه الحجة التي بيَّنتها لهم يا محمد، ونبهتهم عليها فلم يؤمنوا بها ولم يقروا أن فاعل ذلك هو الله الذي لا إله غيره"(١٦١٦).

(١٦١٣) أخرجه الطبري: ٢١/ ٤٣٢-٤٣٣، ورواه أبو الشيخ في العظمة برقم ٨٧٨ والحاكم في المستدرك (٥٤٣/٢) من طريق هناد به ، وقال الحاكم صحيح الإسناد وتعقبه الذهبي فقال : أبو سعيد البقال قال ابن معين : لا يكتب حديثه".

قال ابن كثير:١٦٨/٧:" هذا الحديث فيه غرابة".

(١٦١٤) تفسير ابن كثير: ١٢١/١.

(١٦١٥) التفسير الميسر: ٤٧٨.

(١٦١٦) تفسير الطبري: ٤٤٢/٢١.

قال ابن كثير:" يقول تعالى : قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بما جئتهم به من الحق : إن أعرضتم عما جئتكم به من عند الله"(١٦١٧).

قوله تعالى:{فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ} [فصلت : ١٣]، أي:" فقل لهم: قد أنذرتكم عذابًا يستأصلكم مثل عذاب عاد وثمود حين كفروا بربهم وعصوا رسله"(١٦١٨).

قال الطبري:" فقل لهم: أنذرتكم أيها الناس صاعقة تهلككم مثل صاعقة عاد وثمود"(١٦١٩).

قال ابن كثير:" فإني أنذركم حلول نقمة الله بكم ، كما حلت بالأمم الماضين من المكذبين بالمرسلين {صَاعِقَةِ مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ}، أي : ومن شاكلهما ممن فعل كفعلهما. {إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ} [الأحقاف : ٢١] ، كقوله تعالى : {وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ} [الأحقاف : ٢١] أي : في القرى المجاورة لبلادهم ، بعث الله إليهم الرسل يأمرون بعبادة الله وحده لا شريك له ، ومبشرين ومنذرين ورأوا ما أحل الله بأعدائه من النقم ، وما ألبس أولياءه من النعم ، ومع هذا ما آمنوا ولا صدقوا ، بل كذبوا وجحدوا "(١٦٢٠).

قال قتادة:" يقول: أنذرتكم وقيعة عاد وثمود، قال: عذاب مثل عذاب عاد وثمود"(١٦٢١).

قال مقاتل:" يقول: مثل عذاب عاد وثمود، وإنما خص عادا وثمود من بين الأمم لأن كفار مكة قد عاينوا هلاكهم باليمن والحجر"(١٦٢٢).

قال محمد بن يزيد: "«الصاعقة» -معناها في كلام العرب-: المبيدة المهلكة المخمدة، فربما استعملت للإخماد من غير إهلاك، ومنه سمي: الصعق بن حرب، لأنه ضرب ضربة فخمد ثم أفاق"(١٦٢٣).

القرآن

{إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (١٤)} [فصلت : ١٤]

التفسير:

حين جاءت الرسل عادًا وثمود، يتبع بعضهم بعضًا متوالين، يأمرونهم بعبادة الله وحده لا شريك له، قالوا لرسلهم: لو شاء ربنا أن نوحده ولا نعبد من دونه شيئًا غيره، لأنزل إلينا ملائكة من السماء رسلا بما تدعوننا إليه، ولم يرسلكم وأنتم بشر مثلنا، فإنا بما أرسلكم الله به إلينا من الإيمان بالله وحده جاحدون.

قوله تعالى:{إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ} [فصلت : ١٤]، أي:" حين جاءت الرسل عادًا وثمود، يتبع بعضهم بعضًا متوالين، يأمرونهم بعبادة الله وحده لا شريك له"(١٦٢٤).

قال الطبري:" عنى بقوله: {مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ}: الرسل التي أتت آباء الذين هلكوا بالصاعقة من هاتين الأمتين، وعنى بقوله: {وَمِنْ خَلْفِهِمْ}: من خلف الرسل الذين بعثوا إلى آبائهم رسلا

(١٦١٧) تفسير ابن كثير: ١٦٨/٧.
(١٦١٨) التفسير الميسر: ٤٧٨.
(١٦١٩) تفسير الطبري: ٤٤٢/٢١.
(١٦٢٠) تفسير ابن كثير: ١٦٨/٧-١٦٩.
(١٦٢١) أخرجه الطبري: ٤٤٢/٢١.
(١٦٢٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٧٣٧/٣.
(١٦٢٣) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٣٨/٤.
(١٦٢٤) التفسير الميسر: ٤٧٨.

إليهم، وذلك أن الله بعث إلى عاد هودا، فكذبوه من بعد رسل قد كانت تقدمته إلى آبائهم أيضا، فكذبوهم، فأهلكوا"(١٦٢٥).

عن ابن عباس، قوله: "{فَإِنْ أعْرَضُوا} ... إلى قوله: {وَمِنْ خَلْفِهِمْ}، قال: الرسل التي كانت قبل هود، والرسل الذين كانوا بعده، بعث الله قبله رسلا وبعث من بعده رسلا"(١٦٢٦).

عن الضحاك، في قوله :"{وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ألا تَعْبُدُوا إِلا اللَّهَ}، قال: لن يبعث الله رسولا إلا بأن يعبد الله"(١٦٢٧).

قوله تعالى:{قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً} [فصلت : ١٤]، أي:" قالوا لرسلهم: لو شاء ربنا أن نوحده ولا نعبد من دونه شيئًا غيره، لأنزل إلينا ملائكة من السماء رسلا بما تدعوننا إليه"(١٦٢٨).

قال الطبري:" فقالوا لرسلهم إذ دعوهم إلى الإقرار بتوحيد الله: لو شاء ربنا أن نوحده، ولا نعبد من دونه شيئا غيره، لأنزل إلينا ملائكة من السماء رسلا بما تدعوننا أنتم إليه، ولم يرسلكم وأنتم بشر مثلنا، ولكنه رضي عبادتنا ما نعبد، فلذلك لم يرسل إلينا بالنهي عن ذلك ملائكة"(١٦٢٩).

قال ابن كثير:" أي : لو أرسل الله رسلا لكانوا ملائكة من عنده"(١٦٣٠).

قوله تعالى:{فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ} [فصلت : ١٤]، أي:" فإنا بما أرسلكم الله به إلينا من الإيمان بالله وحده جاحدون"(١٦٣١).

قال الطبري:" يقول: قال لرسلهم: فإنا بالذي أرسلكم به ربكم إلينا جاحدون غير مصدّقين به"(١٦٣٢).

قال ابن كثير:" أي : لا نتبعكم وأنتم بشر مثلنا"(١٦٣٣).

القرآن

{فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (١٥)} [فصلت : ١٥]

التفسير:

فأما عاد قوم هود فقد استعلَوا في الأرض على العباد بغير حق، وقالوا في غرور: مَن أشد منا قوة؟ أو لم يروا أن الله تعالى الذي خلقهم هو أشدُّ منهم قوة وبطشًا؟ وكانوا بأدلتنا وحججنا يجحدون.

قوله تعالى:{فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [فصلت : ١٥]، أي:" فأما عاد قوم هود فقد استعلَوا في الأرض على العباد بغير حق"(١٦٣٤).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {فَأَمَّا عَادٌ} قوم هود، {فَاسْتَكْبَرُوا} على ربهم وتجبروا {فِي الأرْضِ} تكبرا وعتوّا بغير ما أذن الله لهم به"(١٦٣٥).

قال ابن كثير:" أي : بغوا وعتوا وعصوا"(١٦٣٦).

(١٦٢٥) تفسير الطبري: ٤٤٣/٢١.
(١٦٢٦) أخرجه الطبري: ٤٤٣/٢١.
(١٦٢٧) أخرجه الطبري: ١٢٥/٢٢.
(١٦٢٨) التفسير الميسر: ٤٧٨.
(١٦٢٩) تفسير الطبري: ٤٤٣/٢١.
(١٦٣٠) تفسير ابن كثير: ١٦٩/٧.
(١٦٣١) التفسير الميسر: ٤٧٨.
(١٦٣٢) تفسير الطبري: ٤٤٣/٢١.
(١٦٣٣) تفسير ابن كثير: ١٦٩/٧.
(١٦٣٤) التفسير الميسر: ٤٧٨.
(١٦٣٥) تفسير الطبري: ٤٤٤/٢١.
(١٦٣٦) تفسير ابن كثير: ١٦٩/٧.

قوله تعالى:{وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً} [فصلت : ١٥]، أي:" وقالوا في غرور: مَن أشد منا قوة؟"(١٦٣٧).

قال ابن كثير:" أي : منوا بشدة تركيبهم وقواهم ، واعتقدوا أنهم يمتنعون به من بأس الله!"(١٦٣٨).

قوله تعالى:{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً} [فصلت : ١٥]، أي:" أو لم يروا أن الله تعالى الذي خلقهم هو أشدُّ منهم قوة وبطشًا؟"(١٦٣٩).

قال الطبري:" {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ} وأعطاهم ما أعطاهم من عظم الخلق، وشدة البطش {هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً}، فيحذروا عقابه، ويتقوا سطوته لكفرهم به، وتكذيبهم رسله. يقول: وكانوا بأدلتنا وحججنا عليهم يجحدون"(١٦٤٠).

قال ابن كثير:" أي : أفما يتفكرون فيمن يبارزون بالعداوة ؟ فإنه العظيم الذي خلق الأشياء وركب فيها قواها الحاملة لها ، وإن بطشه شديد ، كما قال تعالى : {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} [الذاريات : ٤٧]"(١٦٤١).

قوله تعالى:{وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ} [فصلت : ١٥]، أي:" وكانوا بأدلتنا وحججنا يجحدون"(١٦٤٢).

قال ابن كثير:" فبارزوا الجبار بالعداوة ، وجحدوا بآياته وعصوا رسوله"(١٦٤٣).

القرآن

{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ (١٦)} [فصلت : ١٦]

التفسير:

فأرسلنا عليهم ريحًا شديدة البرودة عالية الصوت في أيام مشؤومات عليهم؛ لنذيقهم عذاب الذل والهوان في الحياة الدنيا، ولَعذاب الآخرة أشد ذلا وهوانًا، وهم لا يُنْصَرون بمنع العذاب عنهم.

قوله تعالى:{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ} [فصلت : ١٦]، أي:" فأرسلنا عليهم ريحًا شديدة البرودة عالية الصوت في أيام مشؤومات عليهم"(١٦٤٤).

وفي قوله تعالى:{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا} [فصلت : ١٦]، وجوه:

أحدها : الصرصر: الباردة. قاله قتادة(١٦٤٥)، والضحاك(١٦٤٦)، وأنشد قطرب قول الحطيئة :

المطعمون إذا هبت بصرصرة

والحاملون إذا استودوا على الناس . ... استودوا أي سئلوا الدية.

قال قتادة:" الصرصر: الباردة"(١٦٤٧).

قال الضحاك:" ريحا فيها برد شديد"(١٦٤٨).

الثاني : شديدة السَّموم عليهم، قاله مجاهد(١٦٤٩).

(١٦٣٧) التفسير الميسر: ٤٧٨.
(١٦٣٨) تفسير ابن كثير: ١٦٩/٧.
(١٦٣٩) التفسير الميسر: ٤٧٨.
(١٦٤٠) تفسير الطبري: ٤٤٤/٢١.
(١٦٤١) تفسير ابن كثير: ١٦٩/٧.
(١٦٤٢) التفسير الميسر: ٤٧٨.
(١٦٤٣) تفسير ابن كثير: ١٦٩/٧.
(١٦٤٤) التفسير الميسر: ٤٧٨.
(١٦٤٥) انظر تفسير الطبري: ٤٤٤/٢١.
(١٦٤٦) انظر تفسير الطبري: ٤٤٥/٢١.
(١٦٤٧) أخرجه الطبري: ٤٤٤/٢١.
(١٦٤٨) أخرجه الطبري: ٤٤٥/٢١.
(١٦٤٩) انظر تفسير الطبري: ٤٤٤/٢١.

الثالث : باردة ذات الصوت. قاله السدي[١٦٥٠].
الشديدة الصوت ، قاله السدي مأخوذ من: الصرير ، وقيل: إنها الدبور[١٦٥١].

قال الطبري:" الصواب قول مجاهد، وذلك أن قوله: «صَرْصَرًا» إنما هو صوت الريح إذا هبت بشدة، فسمع لها كقول القائل: صرر، ثم جعل ذلك من أجل التضعيف الذي في الراء، فقال ثم أبدلت إحدى الراءات صادا لكثرة الراءات، كما قيل في ردده: ردرده، وفي نههه: نهنهه، كما قال رؤبة[١٦٥٢]:

فالْيَوْمَ قَدْ نُهْنِهُنِي ... وَأَوَّلُ حِلْمٍ لَيْسَ بِالْمُسَفَّهِ

وكما قيل في كففه: كفكفه، كما قال النابغة[١٦٥٣]:

أُكَفكِفُ عَبْرَةً غَلَبَتْ عُدَاتِي ... إذَا نَهْنَهْتُهَا عادَت ذُباحا

وقد قيل: إن النهر الذي يسمى صرصرا، إنما سمي بذلك لصوت الماء الجاري فيه، وإنه"فعلل" من صرر نظير الريح الصرصر"[١٦٥٤].

قال ابن كثير:" قال بعضهم : وهي الشديدة الهبوب. وقيل : الباردة. وقيل : هي التي لها صوت، والحق أنها متصفة بجميع ذلك ، فإنها كانت ريحا شديدة قوية ؛ لتكون عقوبتهم من جنس ما اغتروا به من قواهم ، وكانت باردة شديدة البرد جدا ، كقوله تعالى: {بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ} [الحاقة : ٦] ، أي : باردة شديدة ، وكانت ذات صوت مزعج ، ومنه سمي النهر المشهور ببلاد المشرق "صرصرا لقوة صوت جريه"[١٦٥٥].

وفي قوله تعالى:{فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ} [فصلت : ١٦]، وجوه:
أحدها : مشئومات ، قاله مجاهد[١٦٥٦]، وقتادة[١٦٥٧]، والسدي[١٦٥٨]، ومنه قول الشاعر[١٦٥٩]:

يَوْمَيْنِ غَيْمَيْنِ ويوماً شَمْسا ... نَجْمَيْنِ سَعْدَيْنِ ونجماً نَحْسا

قال قتادة:" أيام والله كانت مشئومات على القوم"[١٦٦٠].
وقال قتادة:" النحسات: المشئومات النكدات"[١٦٦١].

قال الماوردي:"كن آخر شوال من يوم الأربعاء إلى يوم الأربعاء وذلك سبع ليال وثمانية أيام حسوماً"[١٦٦٢].

(١٦٥٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٥/٢١.
(١٦٥١) انظر: النكت والعيون: ١٧٤/٥.
(١٦٥٢)البيتان في ديوانه (طبع ليبسج ١٦٦) وهما أل (١٩، ٢٠) ونهنهني زجرني وكفنى. يقول هذا بعد أن كبر وضعف. والأول: الرجوع. والحلم العقل. والسفه: المنسوب إلى السفه. يقول: كنت أستجيب لدواعي الصبا ما دمت شابا، أما اليوم وقد علتني كبرة، ورجع إلى ما عزب من عقلي، فقد كفني عن الطيش حلمي وعقلى، فلا أفعل ما كنت أفعل في الشباب.
(١٦٥٣)نسبه إلى النابغة، وهو ليس في الديوان ولا في شروحه المختلفة.
ومعنى أكفكف العبرة: أردها. وقوله غلبت عداتي: أي أنهم كانوا حراصا على أن أبكي بما يسيئون إلى، فغلبتهم عبرتي التي حبستها، ونهنهتها: كففتها ورددتها. وذباحا: ذبحا. ذبحا. يريد أنه حبس عبرته، وكان حبسها كالذبح من شدة الألم لأن البكاء يخفف ما يضطرم في النفس من ألم وغيظ ونحوه. والبيت عند المؤلف شاهد على أن كفكف ونهنه وصرصر ونحوها من الفعل الرباعي المضعف: أصلها: كفف ونهه وصرر، فلما اجتمع فيه ثلاث أحرف أمثال، أبدلت إحدى الراءات من نوع فاء الكلمة. وهذا مذهب لبعض النحويين الكوفيين، والله أعلم.
(١٦٥٤) تفسير الطبري: ٤٤٥/٢١.
(١٦٥٥) تفسير ابن كثير: ١٦٩/٧.
(١٦٥٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٦/٢١.
(١٦٥٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٦/٢١.
(١٦٥٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٦/٢١.
(١٦٥٩) البيت غير منسوب في تفسير الطبري: ٤٤٧/٢١، ومعاني القرآن للزجاج: ٣٨٣/٤، وخزانة الأدب: ٩٢/٥.
(١٦٦٠) أخرجه الطبري: ٤٤٦/٢١.
(١٦٦١) أخرجه الطبري: ٤٤٦/٢١.
(١٦٦٢) النكت والعيون: ١٧٤/٥.

قال ابن عباس : "ما عذب قوم إلا في يوم الأربعاء"[١٦٦٣].
الثاني : أيام متتابعات أنزل الله فيهن العذاب، قاله ابن عباس[١٦٦٤]، وعطية[١٦٦٥].
قال ابن كثير:" أي : متتابعات ، {سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا} [الحاقة : ٧] ، كقوله {فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ} [القمر : ١٩] ، أي : ابتدئوا بهذا العذاب في يوم نحس عليهم ، واستمر بهم هذا النحس سبع ليال وثمانية أيام حتى أبادهم عن آخرهم ، واتصل بهم خزي الدنيا بعذاب الآخرة"[١٦٦٦].
الثالث :أيام ذات شر. قاله ابن زيد[١٦٦٧].
قال ابن زيد:" النحس: الشر; أرسل عليهم ريح شر ليس فيها من الخير شيء"[١٦٦٨].
الرابع: أيام شداد. قاله الضحاك[١٦٦٩].
الخامس: باردات ، حكاه النقاش[١٦٧٠].
السادس: ذات غبار ، حكاه ابن عيسى[١٦٧١]. ومنه قول الراجز[١٦٧٢] :
قد أغتدي قبل طلوع الشمس ... للصيد في يوم قليل النحس
قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال عنى بها: أيام مشائيم ذات نحوس، لأن ذلك هو المعروف من معنى النحس في كلام العرب"[١٦٧٣].
قرأ أبو عمرو ونافع: «أيام نحسات»، بإسكان الحاء[١٦٧٤].
قوله تعالى:{لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [فصلت : ١٦]، أي:" لنذيقهم عذاب الذل والهوان في الحياة الدنيا"[١٦٧٥].
قال الطبري: يقول:" ولعذابنا إياهم في الآخرة أخزى لهم وأشد إهانة وإذلالا. يقول: وهم يعني عادا لا ينصرهم من الله يوم القيامة إذا عذبهم ناصر، فينقذهم منه، أو ينتصر لهم"[١٦٧٦].
قوله تعالى:{وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ} [فصلت : ١٦]، أي:" ولعذاب الآخرة أشد ذلا وهوانًا، وهم لا يُنْصَرون بمنع العذاب عنهم"[١٦٧٧].
قال مقاتل:" يعني: أشد وأكثر إهانة من الريح التي أهلكتهم فى الدنيا، [وهم] لا يسمعون من العذاب"[١٦٧٨].
قال ابن كثير:" أيأشد خزيا لهم ، {وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ} أي : في الأخرى، كما لم ينصروا في الدنيا ، وما كان لهم من الله من واق يقيهم العذاب ويدرأ عنهم النكال"[١٦٧٩].

القرآن

(١٦٦٣) نقلا عن: النكت والعيون: ١٧٤/٥، وتفسير القرطبي: ٣٤٨/١٥، وحكاه أيضا تاج القراء في غرائب التفسير وعجائب التأويل: ١٠٤١/٢.
(١٦٦٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٦/٢١.
(١٦٦٥) انظر: النكت والعيون: ١٧٤/٥.
(١٦٦٦) تفسير ابن كثير: ١٦٩/٧.
(١٦٦٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٦/٢١.
(١٦٦٨) أخرجه الطبري: ٤٤٦/٢١.
(١٦٦٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٧/٢١.
(١٦٧٠) انظر: النكت والعيون: ١٧٤/٥.
(١٦٧١) انظر: النكت والعيون: ١٧٤/٥.
(١٦٧٢) انظر: النكت والعيون: ١٧٤/٥.
(١٦٧٣) تفسير الطبري: ٤٤٧/٢١.
(١٦٧٤) انظر: إعراب القرآن للنحاس: ٣٨/٤.
(١٦٧٥) التفسير الميسر: ٤٧٨.
(١٦٧٦) تفسير الطبري: ٤٤٨/٢١.
(١٦٧٧) التفسير الميسر: ٤٧٨.
(١٦٧٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٣٨/٣.
(١٦٧٩) تفسير ابن كثير: ١٦٩/٧.

{وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧)} [فصلت : ١٧]

التفسير:

وأما ثمود قوم صالح فقد بيَّنَّا لهم سبيل الحق وطريق الرشد، فاختاروا العمى على الهدى، فأهلكتهم صاعقة العذاب المهين؛ بسبب ما كانوا يقترفون من الآثام بكفرهم بالله وتكذيبهم رسله.

قوله تعالى:{وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ} [فصلت : ١٧]، أي:" وأما ثمود قوم صالح فقد بيَّنَّا لهم سبيل الحق وطريق الرشد"(١٦٨٠).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فبينا لهم سبيل الحق وطريق الرشد"(١٦٨١).

قال ابن كثير:" أي : بصرناهم ، وبينا لهم ، ووضحنا لهم الحق على لسان نبيهم صالح صلى الله عليه وسلم"(١٦٨٢).

عن ابن عباس، قوله: "{وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ}، أي: بيَّنا لهم"(١٦٨٣).

قال قتادة:" يقول: بينا لهم"(١٦٨٤).

قال قتادة:" بينا لهم سبيل الخير والشرّ"(١٦٨٥).

قال الثوري:" دعوناهم"(١٦٨٦).

قال ابن زيد:" أعلمناهم الهدى والضلالة، ونهيناهم أن يتبعوا الضلالة، وأمرناهم أن يتبعوا الهدى"(١٦٨٧).

قال الضحاك: "{وأما ثمود فهديناهم}، أخرجنا لهم الناقة تبيانا وتصديقا لصالح صلى الله عليه وسلم"(١٦٨٨).

قوله تعالى:{فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى} [فصلت : ١٧]، أي:" فاختاروا العمى على الهدى"(١٦٨٩).

قال الطبري:" يقول: فاختاروا العمى على البيان الذي بينت لهم، والهدى الذي عرفتهم، بأخذهم طريق الضلال على الهدى، يعني على البيان الذي بينه لهم، من توحيد الله"(١٦٩٠).

قال ابن كثير:" فخالفوه وكذبوه، وعقروا ناقة الله التي جعلها آية وعلامة على صدق نبيهم"(١٦٩١).

قال قتادة:"فاستحبوا العمى على الهدى"(١٦٩٢).

قال السدي:" اختاروا الضلالة والعمى على الهدى"(١٦٩٣).

عن ابن عباس، قوله: "{وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى}، قال: أرسل الله إليهم الرسل بالهدى فاستحبوا العمى على الهدى"(١٦٩٤).

(١٦٨٠) التفسير الميسر: ٤٧٨.
(١٦٨١) تفسير الطبري: ٤٤٨/٢١.
(١٦٨٢) تفسير ابن كثير: ١٦٩/٧.
(١٦٨٣) أخرجه الطبري: ٤٤٨/٢١.
(١٦٨٤) اخرجه الطبري: ٤٥٠/٢١.
(١٦٨٥) أخرجه الطبري: ٤٤٨/٢١.
(١٦٨٦) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٦٩/٧.
(١٦٨٧) أخرجه الطبري: ٤٤٨/٢١.
(١٦٨٨) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٣٩/٤.
(١٦٨٩) التفسير الميسر: ٤٧٨.
(١٦٩٠) تفسير الطبري: ٤٤٨/٢١.
(١٦٩١) تفسير ابن كثير: ١٦٩/٧.
(١٦٩٢) اخرجه الطبري: ٤٥٠/٢١.
(١٦٩٣) أخرجه الطبري: ٤٤٩/٢١.
(١٦٩٤) أخرجه الطبري: ٤٤٩/٢١.

قال ابن زيد:" استحبوا الضلالة على الهدى، وقرأ: و{كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ} ... إلى آخر الآية، قال: فزين لثمود عملها القبيح، وقرأ: {أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ} ... إلى آخر الآية"(١٦٩٥).

قوله تعالى:{فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [فصلت : ١٧]، أي:" فأهلكتهم صاعقة العذاب المهين؛ بسبب ما كانوا يقترفون من الآثام بكفرهم بالله وتكذيبهم رسله"(١٦٩٦).

قال الطبري:" يقول: فأهلكتهم من العذاب المذل المهين لهم مهلكة أذلتهم وأخزتهم; {بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} من الآثام بكفرهم بالله قبل ذلك، وخلافهم إياه، وتكذيبهم رسله"(١٦٩٧).

قال ابن كثير :" أي : بعث الله عليهم صيحة ورجفة وذلا وهوانا وعذابا ونكالا {بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} أي : من التكذيب والجحود"(١٦٩٨).

قال السمعاني:" فـ«صاعقة العذاب»: نار نزلت من السماء إلى الأرض فتصيب من يستحق العذاب، وقوله: {الهون} أي: ذي الهون، والهون والهوان بمعنى واحد، وهو عذاب يهينهم ويهلكهم"(١٦٩٩).

قال القرطبي:" أضيف الصاعقة إلى العذاب، لأن الصاعقة اسم للمبيد المهلك، فكأنه قال: مهلك العذاب، أي: العذاب المهلك، {بما كانوا يكسبون} من تكذيبهم صالحا وعقرهم الناقة"(١٧٠٠).

عن السديّ: "{عَذَابَ الْهُونِ}، قال: الهوان"(١٧٠١).

قال الزجاج:" فالهونُ والخزيُ: الذي يهينهم ويخزيهم"(١٧٠٢).

وفي «الصاعقة» -هنا- أربعة أقوال:

أحدها : النار ، قاله السدي(١٧٠٣).

الثاني : الصيحة من السماء ، قاله مروان بن الحكم(١٧٠٤).

الثالث : الموت، وكل شيء أمات ، قاله ابن جريج(١٧٠٥).

قال مقاتل: كل من يموت من عذاب أو سقم أو قتل فهو مصعوق"(١٧٠٦).

الرابع : أن كل عذاب صاعقة، وإنما سميت صاعقة لأن كل من سمعها يصعق لهولها. حكاه الماوردي(١٧٠٧).

القرآن

{وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (١٨)} [فصلت : ١٨]

التفسير:

ونجَّينا الذين آمنوا من العذاب الذي أخذ عادًا وثمود، وكان هؤلاء الناجون يخافون الله ويتقونه.

(١٦٩٥) اخرجه الطبري: ٤٥٠/٢١.
(١٦٩٦) التفسير الميسر: ٤٧٨.
(١٦٩٧) تفسير الطبري: ٤٥٠/٢١.
(١٦٩٨) تفسير ابن كثير: ١٦٩/٧.
(١٦٩٩) تفسير السمعاني: ٤٥/٥.
(١٧٠٠) تفسير القرطبي: ٣٤٩/١٥.
(١٧٠١) أخرجه الطبري: ٤٥٠/٢١.
(١٧٠٢) معاني القرآن: ٣٩٣/٤.
(١٧٠٣) انظر: النكت والعيون: ١٧٥/٥.
(١٧٠٤) انظر: النكت والعيون: ١٧٥/٥.
(١٧٠٥) انظر: النكت والعيون: ١٧٥/٥.
(١٧٠٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٧٣٧/٣.
(١٧٠٧) انظر: النكت والعيون: ١٧٥/٥.

قال مقاتل:"{وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا}، يعني: صدقوا بالتوحيد، من العذاب الذي نزل بكفارهم، {وَكَانُوا يَتَّقُونَ} الشرك"[١٧٠٨].

قال الطبري:" يقول: ونجينا الذين آمنوا من العذاب الذي أخذهم بكفرهم بالله، الذين وحدوا الله، وصدقوا رسله، وكانوا يخافون الله أن يحل بهم من العقوبة على كفرهم لو كفروا ما حل بالذين هلكوا منهم، فآمنوا اتقاء الله وخوف وعيده، وصدقوا رسله، وخلعوا الآلهة والأنداد"[١٧٠٩].

قال الماتريدي:" أي: أنجينا الذين اختاروا الهدى على العمى، وكانوا يتقون اختيار العمى على الهدى"[١٧١٠].

قال القرطبي:" {ونجينا الذين آمنوا}، يعني: صالحا ومن آمن به، أي: ميزناهم عن الكفار، فلم يحل بهم ما حل بالكفار، وهكذا يا محمد نفعل بمؤمني قومك وكفارهم"[١٧١١].

قال ابن كثير:" أي : من بين أظهرهم ، لم يمسهم سوء ، ولا نالهم من ذلك ضرر ، بل نجاهم الله مع نبيهم صالح عليه السلام بإيمانهم ، وتقواهم لله ، عز وجل"[١٧١٢].

وقال أبو السعود:" {وكانوا يتقون} من تلك الصاعقة"[١٧١٣].

قال القاسمي:" أي: يخشون ربهم ويخافون وعيده. وذلك بالإيمان به وحده وتصديق رسله"[١٧١٤].

عن سعيد بن جبير:"قوله: {آمنوا بالله}، يعني: بتوحيد الله"[١٧١٥].

عن الضحاك:"{الْمُتَّقِينَ}، قال: "الذين يتقون الشرك[١٧١٦].

عن السدي: "{المتقين}، قال: هم المؤمنون"[١٧١٧].

فوائد الآيات:[١٣-١٨]:

١- التحذير من الإعراض عن إجابة دعوة الحق، والاستمرار في التمرد والعصيان.

٢- تقرير التوحيد وهو أن لا إله إلا الله.

٣- دعوة الرسل واحدة وهي الأمر بالكفر بالطاغوت، والإيمان بالله وعبادته وحده بما شرع للناس من عبادات.

٤- التنديد بالاستكبار وأنه سبب الكفر والعصيان.

٥- لا مصيبة إلا بذنب، قال تعالى: {فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [فصلت : ١٧]، أي: من الذنوب.

٦- الإيمان والتقوى هما سبيل النجاة من العذاب في الدنيا والآخرة وهما ركنا ولاية الله تعالى لقوله {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ(٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} [يونس : ٦٢-٦٣].

القرآن

{وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠)} [فصلت : ١٩-٢٠]

التفسير:

(١٧٠٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٣٩/٣.

(١٧٠٩) تفسير الطبري: ٤٥٠/٢١.

(١٧١٠) تأويلات أهل السنة: ٧١/٩.

(١٧١١) تفسير القرطبي: ٣٤٩/١٥.

(١٧١٢) تفسير ابن كثير: ١٧٠/٧.

(١٧١٣) تفسير أبي السعود: ٩/٨.

(١٧١٤) محاسن التأويل: ٣٣٠/٨.

(١٧١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٦١٠٤):ص١٠٩٠/٤.

(١٧١٦) أخرجه الطبري(١١٧٢٤):ص٢١١/١٠.

(١٧١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٤٨):ص١٧٥١/٦.

ويوم يُحشر أعداء الله إلى نار جهنم، تَرُدُّ زبانية العذاب أولهم على آخرهم، حتى إذا ما جاؤوا النار، وأنكروا جرائمهم شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون في الدنيا من الذنوب والآثام.

سبب نزول الآيات:[١٩-٢٤]:

قال عبدالله بن مسعود:" كنت مستترا بستار الكعبة، فجاء ثلاثة نفر، قرشي وختناه ثقفيان، أو ثقفي وختناه قرشيان، كثير شحم بطونهم، قليل فقه قلوبهم، فتكلموا بكلام لم أسمعه، فقال أحدهم: أترون الله يسمع كلامنا هذا؟!، فقال الآخر: أرانا إذا رفعنا أصواتنا سمعه، وإذا لم نرفعها بم يسمع!!، فقال الآخر: إن سمع منه شيئا سمعه كله!!، قال: فذكرت ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم -؟، فأنزل الله عز وجل: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ} [فصلت: ٢٢]، إلى قوله {وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [فصلت: ٢٣]"[(١٧١٨)].

وفي رواية: "فنزلت هذه الآية: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ} [فصلت : ٢٢] ... حتى بلغ: {وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ} [فصلت : ٢٤]"[(١٧١٩)].

وفي رواية: "فأنزل الله تعالى:{وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ} [فصلت : ١٩]، إلى قوله: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ} [فصلت : ٢٢]»[(١٧٢٠)]-

وفي رواية: "فأنزل الله تعالى: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ} [فصلت : ٢٢]... إلى قوله: {فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [فصلت : ٢٣]-، والثقفي عبد ياليل وختناه القريشيان ربيعة وصفوان بن أمية"[(١٧٢١)].

وقال مقاتل:" نزلت في صفوان بن أمية الجمحي، وفي ربيعة، وعبد بالليل ابني عمرو الثقفيين...إلى خمس آيات، ويقال إن الثلاثة نفر: صفوان بن أمية، وفرقد بن ثمامة، وأبو فاطمة... وذلك أن هؤلاء النفر الثلاثة كانوا في ظل الكعبة يتكلمون، فقال أحدهم: هل يعلم الله ما نقول؟ فقال الثاني: إن خفضنا لم يعلم، وإن رفعنا علمه. فقال الثالث: إن كان الله يسمع إذا رفعنا فإنه يسمع إذا خفضنا. فسمع قولهم عبد الله بن مسعود، فأخبر بقولهم النبي- صلى الله عليه وسلم- فأنزل الله في قولهم: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ..}"[(١٧٢٢)].

قوله تعالى:{وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ} [فصلت : ١٩]، أي:" واذكر يوم يُجمع أعداء الله المجرمون في أرض المحشر لسوقهم إلى النار"[(١٧٢٣)].

قال الطبري:يقول:" ويوم يجمع هؤلاء المشركون أعداء الله إلى النار، إلى نار جهنم"[(١٧٢٤)].

قال ابن كثير:" أي : اذكر لهؤلاء المشركين يوم يحشرون إلى النار"[(١٧٢٥)].

(١٧١٨) أخرجه احمد(٣٦١٤):ص٥١٢/٣، وأخرجه الحميدي "٨٧"، ومن طريقه البخاري "٤٨١٧" في التفسير: باب {وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين} ، و"٧٥٢١" في التوحيد: باب قول الله تعالى: {وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون} ، والبيهقي في "الأسماء والصفات" ص ١٧٧ ، والترمذي(٣٢٤٩):ص٣٧٥/٥، وقال: «هذا حديث حسن».

الطبري: ٤٥٥/٢١-٤٥٦، وابن وهب في التفسير الجامع(١٦٥):ص٨٧/٢، والثعلبي في الكشف والبيان: ٢٩١/٨. [باختلاف في الالفاظ].

(١٧١٩) أخرجه الطبري: ٤٥٥/٢١-٤٥٦.

(١٧٢٠) من تفسير القرآن الجامع لابن هب(١٦٥):ص٨٧/٢.

(١٧٢١) من رواية الثعلبي في الكشف والبيان: ٢٩١/٨.

(١٧٢٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٣٩/٣، ٧٤٠.

(١٧٢٣) صفوة التفاسير: ١١١/٣.

(١٧٢٤) تفسير الطبري: ٤٥١/٢١.

(١٧٢٥) تفسير ابن كثير: ١٧٠/٧.

قال الزمخشري:" أى: يحشر الله عز وجل أعْداءُ اللَّهِ الكفار من الأوّلين والآخرين"[١٧٢٦].

قوله تعالى:{فَهُمْ يُوزَعُونَ} [فصلت : ١٩]، أي:" تَرُدُّ زبانية العذاب أولَهم على آخرهم"[١٧٢٧].

قال مقاتل: يعني: يساقون إلى النار تسوقهم خزنة جهنم"[١٧٢٨].

قال الطبري:يقول:" فهم يحبس أولهم على آخرهم"[١٧٢٩].

قال ابن كثير:" أي : تجمع الزبانية أولهم على آخرهم ، كما قال تعالى : {وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا} [مريم : ٨٦] ، أي : عطاشا"[١٧٣٠].

قال الزمخشري:" أى: يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم، وهي عبارة عن كثرة أهل النار، نسأل الله أن يجيرنا منها بسعة رحمته"[١٧٣١].

قال السديّ :"يحبس أوّلهم على آخرهم"[١٧٣٢].

قال قتادة:" عليهم وزعة تردّ أولاهم على أخراهم"[١٧٣٣].

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [فصلت : ٢٠]، أي:" حتى إذا ما جاؤوا النار، وأنكروا جرائمهم شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون في الدنيا من الذنوب والآثام"[١٧٣٤].

قال الطبري:" يقول: حتى إذا ما جاءوا النار شهد عليهم سمعهم بما كانوا يصغون به في الدنيا إليه، ويسمعون له، وأبصارهم بما كانوا ينظرون إليه في الدنيا {وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون}"[١٧٣٥].

قال ابن كثير:" {حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا}، أي: وقفوا عليها، {شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}،أي : بأعمالهم مما قدموه وأخروه ، لا يُكْتَم منه حرف"[١٧٣٦].

قال مقاتل: "{حَتَّى إِذا ما جاؤُها}، يعني النار وعاينوها، قيل لهم أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون في الدنيا؟ قالوا عند ذلك: {وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِين} [الأنعام : ٢٣] ، فختم الله على أفواههم وأوحى إلى الجوارح فنطقت بما كتمت الألسن من الشرك، فذلك قوله: {شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ وأيديهم وأرجلهم بِما كانُوا يَعْمَلُونَ} من الشرك"[١٧٣٧].

قال الزمخشري:" فإن قلت: ما في قوله حَتَّى إذا ما جاؤُها ما هي؟

قلت: مزيدة للتأكيد، ومعنى التأكيد فيها: أنّ وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم، ولا وجه لأن يخلو منها. ومثله قوله تعالى:{أَثُمَّ إِذا ما وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ}، أى: لا بدّ لوقت وقوعه من أن يكون وقت إيمانهم به شهادة الجلود بالملامسة للحرام، وما أشبه ذلك مما يفضى إليها من المحرّمات"[١٧٣٨].

وفي قوله تعالى:{وَجُلُودُهُمْ} [فصلت : ٢٠]، أقوال:

(١٧٢٦) الكشاف: ١٩٥/٤.
(١٧٢٧) التفسير الميسر: ٤٧٨.
(١٧٢٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٣٩/٣.
(١٧٢٩) تفسير الطبري: ٤٥١/٢١.
(١٧٣٠) تفسير ابن كثير: ١٧٠/٧.
(١٧٣١) الكشاف: ١٩٥/٤.
(١٧٣٢) أخرجه الطبري: ٤٥١/٢١.
(١٧٣٣) أخرجه الطبري: ٤٥١/٢١.
(١٧٣٤) التفسير الميسر: ٤٧٨.
(١٧٣٥) تفسير الطبري: ٤٥١/٢١.
(١٧٣٦) تفسير ابن كثير: ١٧٠/٧.
(١٧٣٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٣٩/٣.
(١٧٣٨) الكشاف: ١٩٥/٤.

أحدها : لجلودهم أنفسها وهو الظاهر(١٧٣٩).
الثاني: أن «جلودهم»: كناية عن الفروج ، قاله عبيد الله بن أبي جعفر(١٧٤٠)، والسدي(١٧٤١)، وزيد بن أسلم(١٧٤٢)، وبه قال ابن قتيبة(١٧٤٣).

قال السدي:" أراد بالجلود: الفرُوج"(١٧٤٤).

عبيد الله بن أبي جعفر، يقول: "{حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ}، قال: جلودهم: الفروج"(١٧٤٥).

وروي عن الحكم الثقفي، رجل من آل أبي عقيل رفع الحديث، "{وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا}، إنما عني فروجهم، ولكن كني عنها"(١٧٤٦).

قال الطبري:وهذا القول" وإن كان معنى يحتمله التأويل، فليس بالأغلب على معنى الجلود ولا بالأشهر، وغير جائز نقل معنى ذلك المعروف على الشيء الأقرب إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها"(١٧٤٧).

الثالث : أنه يراد بالجلود الأيدي والأرجل ، قاله ابن عباس(١٧٤٨).

قال الماوردي:" وقيل إن أول ما يتكلم منه فخذه الأيسر وكفه الأيمن"(١٧٤٩).

عن عقبة، سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:"إن أول عظم تكلم من الإنسان يوم يختم على الأفواه فخذه من الرجل الشمال"(١٧٥٠).

عن حكيم بن معاوية، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: -وأشار بيده إلى الشأم-، قال:"هاهنا إلى هاهنا تحشرون ركبانا ومشاة على وجوهكم يوم القيامة، على أفواهكم الفدام، توفون سبعين أمة أنتم آخرها وأكرمها على الله، وإن أول ما يعرب من أحدكم فخذه"(١٧٥١).

وفي رواية:" وتجيئون يوم القيامة على أفواهكم الفدام، وإن أول ما يتكلم من الآدمي فخذه وكفه"(١٧٥٢).

القرآن
{وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١)} [فصلت : ٢١]
التفسير:
وقال هؤلاء الذين يُحْشرون إلى النار من أعداء الله لجلودهم معاتبين: لِمَ شهدتم علينا؟ فأجابتهم جلودهم: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء، وهو الذي خلقكم أول مرة ولم تكونوا شيئًا، وإليه مصيركم بعد الموت للحساب والجزاء.

(١٧٣٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٥١/٢١، والنكت والعيون: ١٧٦/٥.
(١٧٤٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٥١/٢١.
(١٧٤١) انظر: تفسير الثعلبي ٨/ ٢٩٠، وتفسير البغوي ٧/ ١٧٠.
(١٧٤٢)أخرجه ابن أبي الدنيا في التوبة -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٣/ ٤٢٥ (٢٠٣) -.
(١٧٤٣) انظر: غريب القرآن: ٣٨٩.
(١٧٤٤) انظر: تفسير الثعلبي ٨/ ٢٩٠، وتفسير البغوي ٧/ ١٧٠.
(١٧٤٥) أخرجه الطبري: ٤٥١/٢١، وانظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١١٢):ص٥٧/٢.
(١٧٤٦) أخرجه الطبري: ٤٥١/٢١.
(١٧٤٧) تفسير الطبري: ٤٥١/٢١.
(١٧٤٨) انظر: النكت والعيون: ١٧٨/٥.
(١٧٤٩)نقلا عن: النكت والعيون: ١٧٨/٥.
(١٧٥٠) أخرجه الطبري: ٤٥٣/٢١.
(١٧٥١) أخرجه الطبري: ٤٥٣/٢١.
(١٧٥٢) أخرجه الطبري: ٤٥٣/٢١.

قوله تعالى:{وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا} [فصلت : ٢١]، أي:" وقال هؤلاء الذين يُحْشرون إلى النار من أعداء الله لجلودهم معاتبين: لِمَ شهدتم علينا؟"(١٧٥٣).
قال الطبري:" وقال هؤلاء الذين يحشرون إلى النار من أعداء الله سبحانه لجلودهم إذ شهدت عليهم بما كانوا في الدنيا يعملون: لم شهدتم علينا بما كنا نعمل في الدنيا؟"(١٧٥٤).
قال مقاتل:" قالت الألسن للجوارح: {لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا}، يعني: الجوارح قالوا أبعدكم الله إنما كنا نجاحش عنكم فلم شهدتم علينا بالشرك ولم تكونوا تتكلمون في الدنيا"(١٧٥٥).
قال ابن كثير:" أي : لاموا أعضاءهم وجلودهم حين شهدوا عليهم"(١٧٥٦).
قال الزمخشري:"وإنما قالوا لهم: {لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا}، لما تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على ألسنة جوارحهم"(١٧٥٧).
قوله تعالى:{قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ} [فصلت : ٢١]، أي:" فأجابتهم جلودهم: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء"(١٧٥٨).
قال الطبري:" فأجابتهم جلودهم: {أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ} فنطقنا"(١٧٥٩).
قال الزمخشري:" أراد بكل شيء: كل شيء من الحيوان، كما أراد به في قوله تعالى {وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}، كل شيء من المقدورات، والمعنى: أنّ نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على إنطاق كل حيوان"(١٧٦٠).
عن زيد بن أسلم، قال: "الأشهاد أربعة الملائكة: الذين يحصون أعمالنا، وقرأ: {وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد}، والنبيون شهداء على أممهم، وقرأ: {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد}، وأمة محمد- صلى الله عليه وسلم- شهداء على الأمم، وقرأ: {لتكونوا شهداء على الناس}، والأجساد والجلود، وقرأ: {وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء}"(١٧٦١).
عن أنس، قال: "ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم حتى بدت نواجذه، ثم قال:"ألا تسألوني مم ضحكت؟ " قالوا: مم ضحكت يا رسول الله؟ قال:"عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة! قال: يقول: يا رب أليس وعدتني أن لا تظلمني؟ قال: فإن لك ذلك، قال: فإني لا أقبل علي شاهدا إلا من نفسي، قال: أوليس كفى بي شهيدا، وبالملائكة الكرام الكاتبين؟ قال فيختم على فيه، وتتكلم أركانه بما كان يعمل، قال: فيقول لهن: بعدا لكن وسحقنا، عنكن كنت أجادل"(١٧٦٢).
قوله تعالى:{وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [فصلت : ٢١]، أي:" وهو الذي خلقكم أول مرة ولم تكونوا شيئًا"(١٧٦٣).
قال مقاتل: " يعني: هو أنطقكم أول مرة من قبلها في الدنيا، قبل أن ننطق نحن"(١٧٦٤).
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: والله خلقكم الخلق الأول ولم تكونوا شيئا"(١٧٦٥).

(١٧٥٣) التفسير الميسر: ٤٧٩.
(١٧٥٤) تفسير الطبري: ٤٥٢/٢١.
(١٧٥٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٣٩/٣.
(١٧٥٦) تفسير ابن كثير: ١٧٠/٧.
(١٧٥٧) الكشاف: ١٩٥/٤.
(١٧٥٨) التفسير الميسر: ٤٧٩.
(١٧٥٩) تفسير الطبري: ٤٥٢/٢١.
(١٧٦٠) الكشاف: ١٩٥/٤.
(١٧٦١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٤٣٩):ص١٠/٣٢٦٧.
(١٧٦٢) أخرجه الطبري: ٤٥٢/٢١.
(١٧٦٣) التفسير الميسر: ٤٧٩.
(١٧٦٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٤٠/٣.
(١٧٦٥) تفسيرا لطبري: ٤٥٣/٢١.

قال السعدي:" فكما خلقكم بذواتكم، وأجسامكم، خلق أيضا صفاتكم، ومن ذلك، الإنطاق"(١٧٦٦).

قال ابن كثير:" أي : فهو لا يخالف ولا يمانع"(١٧٦٧).

قوله تعالى:{وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [فصلت : ٢١]، أي:" وإليه مصيركم بعد الموت للحساب والجزاء"(١٧٦٨).

قال الطبري:" يقول: وإليه مصيركم من بعد مماتكم"(١٧٦٩).

قال الزمخشري في قوله:{وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}:" المعنى: أنّ نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على خلقكم وإنشائكم أوّل مرّة، وعلى إعادتكم ورجعكم إلى جزائه"(١٧٧٠).

عن جابر بن عبد الله قال :" لما رجعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرة البحر قال : "ألا تحدثون بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة ؟" فقال فتية منهم : بلى يا رسول الله ، بينا نحن جلوس إذ مرت علينا عجوز من عجائز رهابينهم ، تحمل على رأسها قلة من ماء ، فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها ، ثم دفعها فخرت على ركبتيها ، فانكسرت قلتها. فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت : سوف تعلم يا غُدَر ، إذا وضع الله الكرسي ، وجمع الأولين والآخرين ، وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون ، فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدا ؟ قال : يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "صَدَقَتْ و صدقت ، كيف يُقدس الله قوما لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم ؟"(١٧٧١).

القرآن

{وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)} [فصلت : ٢٢-٢٣]

التفسير:

وما كنتم تَسْتَخْفون عند ارتكابكم المعاصي؛ خوفًا من أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم يوم القيامة، ولكن ظننتم بارتكابكم المعاصي أن الله لا يعلم كثيرًا من أعمالكم التي تعصون الله بها. وذلكم ظنكم السيِّئ الذي ظننتموه بربكم أهلككم، فأوردكم النار، فأصبحتم اليوم من الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم.

سبب نزول الآية[٢٢]:

عن عبد الله بن مسعود ، قال: "إني لمستتر بأستار الكعبة إذ جاء ثلاثة نفر: ثقفي وختناه قرشيان كثير شحوم بطونهم ، قليل فقه قلوبهم ، فتحدثوا بينهم بحديث فقال أحدهم: أترى الله يسمع ما قلنا؟ فقال الآخر: أراه يسمع إذا رفعنا ، ولا يسمع إذا خفضنا ، فقال الآخر: لئن كان يسمع شيئا منه إنه ليسمعه كله ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم: " فأنزل الله: وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ} [فصلت: ٢٢] إِلَى {الْخَاسِرِينَ}"(١٧٧٢).

(١٧٦٦) تفسير السعدي: ٧٤٧.

(١٧٦٧) تفسير ابن كثير: ١٧٠/٧.

(١٧٦٨) التفسير الميسر: ٤٧٩.

(١٧٦٩) تفسيرا لطبري: ٤٥٣/٢١.

(١٧٧٠) الكشاف: ١٩٥/٤.

(١٧٧١) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٧٢/٧، وقال:" هذا حديث غريب من هذا الوجه".
ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأهوال برقم (٢٤٣)، ورواه ابن ماجه في السنن برقم (٤٠١٠) حدثنا سويد بن سعيد فذكره. قال البوصيري في زوائد ابن ماجه : "هذا إسناد حسن ، سويد مختلف فيه".

(١٧٧٢) تفسير عبدالرزاق(٢٧٠١):ص١٥٢/٣، وتفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٦٥):ص٨٧/٢ وتفسير سفيان الثوري(٨٥٧: ٤: ١):ص٢٦٦-٢٦٧، وتفسير الطبري: ٤٥٥/٢١.

قوله تعالى:{وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ} [فصلت : ٢٢]، أي:" وما كنتم تَسْتَخْفون عند ارتكابكم المعاصي؛ خوفًا من أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم يوم القيامة"(١٧٧٣).

قال ابن كثير:" أي : تقول لهم الأعضاء والجلود حين يلومونها على الشهادة عليهم : ما كنتم تتكتمون منا الذي كنتم تفعلونه بل كنتم تجاهرون الله بالكفر والمعاصي ، ولا تبالون منه في زعمكم ؛ لأنكم كنتم لا تعتقدون أنه يعلم جميع أفعالكم"(١٧٧٤).

قال السعدي:" أي: وما كنتم تختفون عن شهادة أعضائكم عليكم، ولا تحاذرون من ذلك"(١٧٧٥).

وفي قوله تعالى:{وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ} [فصلت : ٢٢]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني: وما كنتم تتقون ، قاله مجاهد(١٧٧٦).

الثاني : وما كنتم تظنون ، قاله قتادة(١٧٧٧).

وقال قتادة:" والله إن عليك يا ابن آدم لشهودا غير متهمة من بدنك، فراقبهم واتق الله في سر أمرك وعلانيتك، فإنه لا يخفي عليه خافية، الظلمة عنده ضوء، والسر عنده علانية، فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظن فليفعل، ولا قوة إلا بالله"(١٧٧٨).

الثالث : وما كنتم تستخفون منها، قاله السدي(١٧٧٩).

قال الكلبي : "لأنه لا يقدر على الاستتار من نفسه"(١٧٨٠).

قال الفراء:" يقول: لم تكونوا تخافون أن تشهد عليكم جوارحكم فتستتروا منها، ولم تكونوا لتقدروا على الاستتار، ويكون على التعبير: أي: لم تكونوا تستترون منها"(١٧٨١).

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: وما كنتم تستخفون، فتتركوا ركوب محارم الله في الدنيا حذرا أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم اليوم، وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصواب، لأن المعروف من معاني الاستتار الاستخفاء، فإن قال قائل: وكيف يستخفي الإنسان عن نفسه مما يأتي؟ قيل: قد بينا أن معنى ذلك إنما هو الأماني، وفي تركه إتيانه إخفاؤه عن نفسه"(١٧٨٢).

قال الزمخشري:" المعنى: أنكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش، وما كان استتاركم ذلك خيفة أن يشهد عليكم جوارحكم، لأنكم كنتم غير عاملين بشهادتها عليكم، بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلا"(١٧٨٣).

قوله تعالى:{وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ} [فصلت : ٢٢]، أي:" ولكن ظننتم بارتكابكم المعاصي أن الله لا يعلم كثيرًا من أعمالكم التي تعصون الله بها"(١٧٨٤).

قال الطبري:يقول:" ولكن حسبتم حين ركبتم في الدنيا من معاصي الله أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من أعمالكم الخبيثة، فلذلك لم تستتروا أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم وجلودكم، فتتركوا ركوب ما حرم الله عليكم"(١٧٨٥).

(١٧٧٣) التفسير الميسر: ٤٧٩.
(١٧٧٤) تفسير ابن كثير: ١٧٢/٧.
(١٧٧٥) تفسير السعدي: ٧٤٧.
(١٧٧٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٤/٢١.
(١٧٧٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٤/٢١.
(١٧٧٨) أخرجه اطبري: ٤٥٤/٢١.
(١٧٧٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٥٤/٢١.
(١٧٨٠) نقلا عن: النكت والعيون ١٧٦/٥.
(١٧٨١) معاني القرآن: ١٦/٣.
(١٧٨٢) تفسير الطبري: ٤٥٤/٢١-٤٥٥.
(١٧٨٣) الكشاف: ١٩٦/٤.
(١٧٨٤) التفسير الميسر: ٤٧٩.
(١٧٨٥) تفسير الطبري: ٤٥٥/٢١.

قال ابن كثير:" أي : هذا الظن الفاسد - وهو اعتقادكم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون - هو الذي أتلفكم وأرداكم عند ربكم"(١٧٨٦).

قال الزمخشري:أي:" ولكنكم إنما استترتم لظنكم {أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا كنتم تَعْمَلُونَ} وهو الخفيات من أعمالكم"(١٧٨٧).

قال السعدي:" {وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ} بإقدامكم على المعاصي {أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ} فلذلك صدر منكم ما صدر"(١٧٨٨).

قوله تعالى:{وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ} [فصلت : ٢٣]، أي:" وذلكم ظنكم السيِّئ الذي ظننتموه بربكم أهلككم، فأوردكم النار"(١٧٨٩).

قال النحاس:" أي: حين ظننتم أنه لا يسمعكم"(١٧٩٠).

قال السعدي:" {ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ} الظن السيئ، حيث ظننتم به، ما لا يليق بجلاله، {أَرْدَاكُمْ} أي: أهلككم"(١٧٩١).

قال الطبري:يقول:" وهذا الذي كان منكم في الدنيا من ظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من قبائح أعمالكم ومساويها، هو ظنكم الذي ظننتم بربكم في الدنيا أرداكم، يعني أهلككم. يقال منه: أردى فلانا كذا وكذا: إذا أهلكه، وردي هو: إذا هلك، فهو يردى ردى; ومنه قول الأعشى(١٧٩٢):

أَفِي الطَّوْفِ خِفْتِ عَلَيَّ الرَّدَى ... وكَمْ مِنْ ردًى أَهْلَهُ لَمْ يَرِمْ

يعني: وكم من هالك أهله لم يرم"(١٧٩٣).

عن السديّ، قوله: "{أَرْدَاكُمْ}، قال: أهلككم"(١٧٩٤).

قال الزمخشري:أي:" وذلك الظنّ هو الذي أهلككم. وفي هذا تنبيه على أن من حق المؤمن أن لا يذهب عنه، ولا يزل عن ذهنه أن عليه من الله علينا كالئة ورقيبا مهيمنا، حتى يكون في أوقات خلواته من ربه أهيب وأحسن احتشاما وأوفر تحفظا وتصونا منه مع الملأ، ولا يتبسط في سره مراقبة من التشبه بهؤلاء الظانين"(١٧٩٥).

قوله تعالى:{فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [فصلت : ٢٣]، أي:" فأصبحتم اليوم من الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم"(١٧٩٦).

قال ابن كثير:" أي : في مواقف القيامة خسرتم أنفسكم وأهليكم"(١٧٩٧).

قال السعدي:" {فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} لأنفسهم وأهليهم وأديانهم بسبب الأعمال التي أوجبها لكم ظنكم القبيح بربكم، فحقت عليكم كلمة العقاب والشقاء، ووجب عليكم الخلود الدائم، في العذاب، الذي لا يفتر عنهم ساعة"(١٧٩٨).

(١٧٨٦) تفسير ابن كثير: ١٧٢/٧.

(١٧٨٧) الكشاف: ١٩٦/٤.

(١٧٨٨) تفسير السعدي: ٧٤٧.

(١٧٨٩) التفسير الميسر: ٤٧٩.

(١٧٩٠) معاني القرآن: ٢٦٠/٦.

(١٧٩١) تفسير السعدي: ٧٤٧.

(١٧٩٢)البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ٤١) من قصيدة ميمية مطولة يمدح بها قيس بن معد يكرب. والبيت من أبيات في آخرها يخاطب الشاعر بها ابنته التي تخشى عليه الموت بسبب طول أسفاره وكثرتها، فيرد عليها قائلا: أخفت عليّ الموت بسبب السفر؟ فانظري كم إنسان يموت ولا يبرح ديار أهله!.

(١٧٩٣) تفسير الطبري: ٤٥٦/٢١.

(١٧٩٤) أخرجه الطبري: ٤٥٦/٢١.

(١٧٩٥) الكشاف: ١٩٦/٤.

(١٧٩٦) التفسير الميسر: ٤٧٩.

(١٧٩٧) تفسير ابن كثير: ١٧٢/٧.

(١٧٩٨) تفسير السعدي: ٧٤٧.

عن معمر, قال: "تلا الحسن هذه الآية {وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم} [فصلت: ٢٣]، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله: «عبدي عند ظنه بي , وأنا معه إذا دعاني» ثم أفتن - ينطق الحسن في هذا فقال: ألا وإن أعمال الناس على قدر ظنونهم بربهم , فأما المؤمن فأحسن بالله الظن فأحسن العمل , وأما الكافر والمنافق فأساء بالله الظن وأساء العمل , قال الله: {وما كنتم تستترون} [فصلت: ٢٢] حتى {فأصبحتم من الخاسرين} [فصلت: ٢٣]"(١٧٩٩).

وفي رواية عن معمر، قال: "تلا الحسن: {وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ}، فقال: إنما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم; فأما المؤمن فأحسن بالله الظن، فأحسن العمل; وأما الكافر والمنافق، فأساءا الظن فأساءا العمل، قال ربكم: {وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ} ... حتى بلغ: الخاسرين} [فصلت: ٢٣]. قال معمر: وحدثني وجل: أنه يؤمر برجل إلى النار، فيلتفت فيقول: يا ربّ ما كان هذا ظني بك، قال: وما كان ظنك بي؟ قال: كان ظني أن تغفر لي ولا تعذّبني، قال: فإني عند ظنك بي"(١٨٠٠).

قال قتادة:" الظن ظنان، فظن منج، وظن مرد قال: {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ} قال: {إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَه}، وهذا الظن المنجي ظنا يقينا، وقال ها هنا: {وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُم}، هذا ظن مرد"(١٨٠١).

قال سهل:" الظن السيئ من الجهل، وأجهل الناس من قطع على قلبه من غير علم، فقد قال الله تعالى: {وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْداكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ} [فصلت: ٢٣] وإن العبد ليحرم الرزق الهني وصلاته بالليل بسوء الظن. وقد كان رجل من العباد نام ليلة عن ورده، فجزع عليه، فقيل: أتجزع على ما تدركه؟ قال: لست أجزع عليه، وإنما أجزع على الذنب الذي به صرت محروماً عن ذلك الخير. فقيل لسهل: ما معنى قوله صلّى الله عليه وسلّم: «احترسوا من الناس بسوء الظن»(١٨٠٢)، فقال: معنى هذا بسوء الظن بنفسك لا بالناس، أي اتهم نفسك بأنك لا تنصفهم من نفسك في معاملاتهم"(١٨٠٣).

القرآن

{فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ (٢٤)} [فصلت : ٢٤]

التفسير:

فإن يصبروا على العذاب فالنار مأواهم، وإن يسألوا الرجوع إلى الدنيا؛ ليستأنفوا العمل الصالح لا يُجابوا إلى ذلك، ولا تُقبل لهم أعذار.

قوله تعالى:{فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ} [فصلت : ٢٤]، أي:" فإن يصبروا على العذاب فالنار مأواهم"(١٨٠٤).

قال الطبري: يقول:" فإن يصبر هؤلاء الذين يحشرون إلى النار على النار، فالنار مسكن لهم ومنزل(١٨٠٥).

قال الزمخشري:" لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء في النار"(١٨٠٦).

قال السعدي:" فلا جَلَدَ عليها، ولا صبر، وكل حالة قُدِّر إمكان الصبر عليها، فالنار لا يمكن الصبر عليها، وكيف الصبر على نار، قد اشتد حرها، وزادت على نار الدنيا، بسبعين

(١٧٩٩) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٧٠٠):ص١٥٢/٣.
(١٨٠٠) أخرجه الطبري: ٤٥٦/٢١-٤٥٧.
(١٨٠١) أخرجه الطبري: ٤٥٧/٢١.
(١٨٠٢)المعجم الأوسط ١/ ١٨٩ وفتح الباري ١٠/ ٥٣١.
(١٨٠٣) تفسير التستري: ١٤٩-١٥٠.
(١٨٠٤) التفسير الميسر: ٤٧٩.
(١٨٠٥) تفسير الطبري: ٤٥٨/٢١.
(١٨٠٦) الكشاف: ١٩٦/٤.

ضعفًا، وعظم غليان حميمها، وزاد نتن صديدها، وتضاعف برد زمهريرها وعظمت سلاسلها وأغلالها، وكبرت مقامعها، وغلظ خُزَّانها، وزال ما في قلوبهم من رحمتهم، وختام ذلك سخط الجبار، وقوله لهم حين يدعونه ويستغيثون: {اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ}"(١٨٠٧).

قوله تعالى:{وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ} [فصلت : ٢٤]، أي:" وإن يسألوا الرجوع إلى الدنيا؛ ليستأنفوا العمل الصالح لا يُجابوا إلى ذلك، ولا تُقبل لهم أعذار"(١٨٠٨).

قال الطبري:"يقول: وإن يسألوا العُتبى، وهي الرجعة لهم إلى الذي يحبون بتخفيف العذاب عنهم. يقول: فليسوا بالقوم الذين يرجع بهم إلى الجنة، فيخفف عنهم ما هم فيه من العذاب، وذلك كقوله جلّ ثناؤه مخبرا عنهم: {قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا} ... إلى قوله {وَلا تُكَلِّمُونِ}، وكقولهم لخزنة جهنم: {ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ} ... إلى قوله: {وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلا فِي ضَلالٍ}"(١٨٠٩).

قال الزمخشري:" وإن يسألوا العتبى وهي الرجوع لهم إلى ما يحبون جزعا مما هم فيه: لم يعتبوا: لم يعطوا العتبى ولم يجابوا إليها، ونحوه قوله عز وعلا:{أَجَزِعْنا أَمْ صَبَرْنا ما لَنا مِنْ مَحِيصٍ}"(١٨١٠).

قال السعدي:" {وَإِنْ}: يطلبوا أن يزال عنهم العتب، ويرجعوا إلى الدنيا، ليستأنفوا العمل، {فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ}، لأنه ذهب وقته، وعمروا، ما يعمر فيه من تذكر وجاءهم النذير وانقطعت حجتهم، مع أن استعتابهم، كذب منهم {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}"(١٨١١).

ويقرأ: «يستعتبوا» -بضم الياء وفتح التاء-؛ أي: يطلب منهم ما لا يعتبون عليه؛ «فما هم من المعتبين»، -بكسر التاء-؛ أي: ممن يزيل العتب(١٨١٢)، وقيل: المعنى: "إن سئلوا أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون، أى: لا سبيل لهم إلى ذلك(١٨١٣).

فوائد الآيات:[١٩-٢٤]:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بعرض مفصل بحال أهل النار فيها.

٢- التحذير من فعل الفواحش وكبائر الذنوب فإن جوارح المرء تشهد عليه.

٣- التحذير من سوء الظن بالله تعالى ومن ذلك أن يظن المرء أن الله لا يطلع عليه. أو لا يعلم ما يرتكبه، أو أنه لا يحاسبه أو لا يجزيه.

٤- وجوب حسن الظن بالله تعالى وهو أن يرجو أن يغفر الله له إذا تاب من زلة زلها، وأن يرجو رحمته وعفوه إذا كان في حال العجز عن الطاعات ولا سيما عند العجز عن العمل للمرض والضعف كالكبر ونحوه فيغلب جانب الرجاء على جانب الخوف.

القرآن

{وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (٢٥)} [فصلت : ٢٥]

التفسير:

وهيأنا لهؤلاء الظالمين الجاحدين قرناء فاسدين من شياطين الإنس والجن، فزينوا لهم قبائح أعمالهم في الدنيا، ودعَوهم إلى لذاتها وشهواتها المحرمة، وزَيَّنوا لهم ما خَلفهم من أمور الآخرة، فأنسوهم ذِكرها، ودعَوهم إلى التكذيب بالمعاد، وبذلك استحقوا دخول النار في جملة أمم سابقة من كفرة الجن والإنس، إنهم كانوا خاسرين أعمالهم في الدنيا وأنفسهم وأهليهم يوم القيامة.

(١٨٠٧) تفسير السعدي: ٧٤٧.
(١٨٠٨) التفسير الميسر: ٤٧٩.
(١٨٠٩) تفسير الطبري: ٤٥٨/٢١.
(١٨١٠) الكشاف: ١٩٦/٤.
(١٨١١) تفسير السعدي: ٧٤٧.
(١٨١٢) انظر: التبيان في إعراب القرآن: ١١٢٦/٢.
(١٨١٣) انظر: الكشاف: ١٩٦/٤.

قوله تعالى:{وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ} [فصلت : ٢٥]، أي:" وهيأنا لهؤلاء الظالمين الجاحدين قرناء فاسدين من شياطين الإنس والجن"[١٨١٤].

قال الطبري:يقول:" وبعثنا لهم نُظراء من الشياطين، فجعلناهم لهم قرناء قرنَّاهم بهم يزيِّنون لهم قبائح أعمالهم، فزينوا لهم ذلك"[١٨١٥].

قال ابن كثير:" يذكر تعالى أنه هو الذي أضل المشركين ، وأن ذلك بمشيئته وكونه وقدرته ، وهو الحكيم في أفعاله ، بما قَيَّض لهم من القرناء من شياطين الإنس والجن"[١٨١٦].

عن مجاهد، قوله: "{وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ}، قال: شياطين"[١٨١٧].

عن السديّ: "{وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ}، قال: الشيطان"[١٨١٨].

قال الزجاج:" {وَقَيَّضْنَا}: وسببنا من حيث لا يَحْتَسِبُون"[١٨١٩].

قال السعدي:" أي: وقضينا لهؤلاء الظالمين الجاحدين للحق {قُرَنَاءَ} من الشياطين..وهذا التسليط والتقييض من الله للمكذبين الشياطين، بسبب إعراضهم عن ذكر الله وآياته، وجحودهم الحق كما قال تعالى: {وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ}"[١٨٢٠].

قوله تعالى:{فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ} [فصلت : ٢٥]، أي:" فحسَّنوا لهم أعمالهم القبيحة، الحاضرة والمستقبلة"[١٨٢١].

قال الزجاج:" يقول: زينوا لهم أعمالهم التي يعملونها ويشاهدونها، وما يعزمون أن يعملوه"[١٨٢٢].

قال الطبري:" يقول: فزين لهؤلاء الكفار قرناؤُهم من الشياطين ما بين أيديهم من أمر الدنيا. فحسنوا ذلك لهم وحبَّبوه إليهم حتى آثروه على أمر الآخرة، وحسَّنوا لهم أيضا ما بعد مماتهم بأن دعوهم إلى التكذيب بالمعاد، وأن من هلك منهم، فلن يُبعث، وأن لا ثواب ولا عقاب حتى صدّقوهم على ذلك، وسهل عليهم فعل كلّ ما يشتهونه، وركوب كلّ ما يلتذونه من الفواحش باستحسانهم ذلك لأنفسهم"[١٨٢٣].

قال ابن كثير:" أي : حَسَّنوا لهم أعمالهم في الماضي، وبالنسبة إلى المستقبل فلم يروا أنفسهم إلا محسنين ، كما قال تعالى:{وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ} [الزخرف : ٣٦ ، ٣٧]"[١٨٢٤].

قال الفراء:{فزينوا لهم ما بين أيديهم}: " من أمر الآخرة، فقالوا: لا جنة، ولا نار، ولا بعث، ولا حساب، {وما خلفهم} من أمر الدنيا فزينوا لهم اللذات، وجمع الأموال، وترك النفقات في وجوه البر، فهذا ما خلفهم، وبذلك جاء التفسير، وقد يكون ما بين أيديهم ما هم فيه من أمر الدنيا، وما خلفهم من أمر الآخرة"[١٨٢٥].

قال السعدي:" فالدنيا: زخرفوها بأعينهم، ودعوهم إلى لذاتها وشهواتها المحرمة حتى افتتنوا، فأقدموا على معاصي الله، وسلكوا ما شاءوا من محاربة الله ورسله، والآخرة: بَعّدُوها

(١٨١٤) التفسير الميسر: ٤٧٩.
(١٨١٥) تفسير الطبري: ٤٥٨/٢١.
(١٨١٦) تفسير ابن كثير: ١٧٤/٧.
(١٨١٧) أخرجه الطبري: ٤٥٨/٢١.
(١٨١٨) أخرجه الطبري: ٤٥٨/٢١.
(١٨١٩) معاني القرآن: ٣٨٤/٤.
(١٨٢٠) تفسير السعدي: ٧٤٧.
(١٨٢١) صفوة التفاسير: ١١٢/٣.
(١٨٢٢) معاني القرآن: ٣٨٤/٤.
(١٨٢٣) تفسير الطبري: ٤٥٨/٢١-٤٥٩.
(١٨٢٤) تفسير ابن كثير: ١٧٤/٧.
(١٨٢٥) معاني القرآن: ١٧/٣.

عليهم وأنسوهم ذكرها، وربما أوقعوا عليهم الشُّبه، بعدم وقوعها، فترحَّل خوفها من قلوبهم، فقادوهم إلى الكفر، والبدع، والمعاصي"(١٨٢٦).

عن السديّ، "{فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ}، من أمر الدنيا. {وَمَا خَلْفَهُمْ}، من أمر الآخرة"(١٨٢٧).

قوله تعالى:{وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ} [فصلت : ٢٥]، أي:" ثبت وتحقق عليهم كلمة العذاب-وهو القضاء المحتَّم بشقائهم- في جملة أمم من الأشقياء المجرمين قد مضت من قبلهم، ممن فعلوا كفعلهم من الجنِّ والإِنس، لأنهم كانوا خاسرين أعمالهم في الدنيا وأنفسهم وأهليهم يوم القيامة"(١٨٢٨).

قال الطبري: يقول:" وحق على هؤلاء الذين قيضنا لهم قُرَناء من الشياطين، فزيَّنوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم العذاب في أمم قد مضت قبلهم من ضربائهم، حق عليهم من عذابنا مثل الذي حَقّ على هؤلاء بعضهم من الجن وبعضهم من الإنس، إن تلك الأمم الذين حق عليهم عذابنا من الجنّ والإنس، كانوا مغبونين ببيعهم رضا الله ورحمته بسخطه وعذابه"(١٨٢٩).

قال ابن كثير:" {وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ} أي : كلمة العذاب كما حق على أمم قد خلت من قبلهم ، ممن فعل كفعلهم ، من الجن والإنس ، {إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ}، أي : استوَوَا هم وإياهم في الخسار والدمار"(١٨٣٠).

عن السديّ: "{وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ}، قال: العذاب"(١٨٣١).

القرآن

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٦)} [فصلت : ٢٦]

التفسير:

وقال الكافرون بعضهم لبعض متواصين فيما بينهم: لا تسمعوا لهذا القرآن، ولا تطيعوه، ولا تنقادوا لأوامره، وارفعوا أصواتكم بالصياح والصفير والتخليط على محمد إذا قرأ القرآن؛ لعلكم تغلبونه، فيترك القراءة، وننتصر عليه.

عن السدي:" {وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذا القُرْآنِ والغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ}، نزلت في أبي جهل بن هشام؛ كان يقول لأصحابه: إذا سمعتم قراءة محمد فارفعوا أصواتكم بالأشعار؛ حتى تلتبسَ على محمد قراءته"(١٨٣٢).

قوله تعالى:{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ} [فصلت : ٢٦]، أي:" وقال الكافرون بعضهم لبعض متواصين فيما بينهم: لا تسمعوا لهذا القرآن، وتشاغلوا عنه"(١٨٣٣).

قال الأخفش:" أي: لا تطيعوه. كما تقول: سمعت لك. وهو - والله اعلم - على وجه «لا تسمعوا القرآن»"(١٨٣٤).

قال الطبري:" {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا} بالله ورسوله من مشركي قريش للذين يطيعونهم من أوليائهم من المشركين: لا تسمعوا لقارئ هذا القرآن إذا قرأه، ولا تصغوا له، ولا تتبعوا ما فيه فتعملوا به"(١٨٣٥).

(١٨٢٦) تفسير السعدي: ٧٤٧.

(١٨٢٧) أخرجه الطبري: ٤٥٩/٢١.

(١٨٢٨) صفوة التفاسير: ١١٢/٣.[بتصرف]

(١٨٢٩) تفسير الطبري: ٤٥٩/٢١.

(١٨٣٠) تفسير ابن كثير: ١٧٤/٧.

(١٨٣١) أخرجه الطبري: ٤٥٩/٢١.

(١٨٣٢)أخرجه يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ١٥١ -.

(١٨٣٣) التفسير الميسر: ٤٧٩، وصفوة التفاسير: ١١٢/٣

(١٨٣٤) معاني القرآن: ٥٠٦/٢.

(١٨٣٥) تفسير الطبري: ٤٦٠/٢١.

قال السعدي:" أي: أعرضوا عنه بأسماعكم، وإياكم أن تلتفتوا، أو تصغوا إليه ولا إلى من جاء به، فإن اتفق أنكم سمعتموه، أو سمعتم الدعوة إلى أحكامه"(١٨٣٦).

قال ابن كثير:" أي : تواصوا فيما بينهم ألا يطيعوا للقرآن ، ولا ينقادوا لأوامره"(١٨٣٧).

قال ابن عباس:" هذا قول المشركين، قالوا: لا تتبعوا هذا القرآن والهوا عنه"(١٨٣٨).

قال الفراء:" قاله كفار قريش، قال لهم أبو جهل: إذا تلا محمد صلى الله عليه القرآن فالغوا فيه الغطوا، لعله يبدل أو ينسى فتغلبوه"(١٨٣٩).

قال مقاتل:" {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا}، يعنى: الكفار {لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآن......}، إلى ثلاث آيات، هذا قول أبي جهل وأبي سفيان لكفار قريش قالوا لهم: إذا سمعتم القرآن من محمد- صلى الله عليه وسلم- وأصحابه فارفعوا أصواتكم بالأشعار والكلام في وجوههم، حتى تلبسوا عليهم قولهم فيسكتون"(١٨٤٠).

قوله تعالى:{وَالْغَوْا فِيهِ} [فصلت : ٢٦]، أي:" وارفعوا أصواتكم بالصياح والصفير والتخليط على محمد إذا قرأ القرآن"(١٨٤١).

قال الطبري:" يقول: الغطوا بالباطل من القول إذا سمعتم قارئه يقرؤه كَيْما لا تسمعوه، ولا تفهموا ما فيه"(١٨٤٢).

قال ابن قتيبة:أي:" الغَطُوا فيه"(١٨٤٣).

قال ابن كثير:" أي : إذا تلي لا تسمعوا له"(١٨٤٤).

قال الزجاج:" أي: عارضوه بكلام لا يفهم يكون ذلك الكلام لغوا، يقال: لغا يلغو لغوا، ويقال لغي يلغى لغوا إذا تكلم باللغو، وهو الكلام الذي لا يحصل ولا تفهم حقيقته"(١٨٤٥).

قال قتادة:" أي: اجحدوا به وأنكروه وعادوه، قال: هذا قول مشركي العرب"(١٨٤٦).

عن ابن عباس، قوله: {وَالْغَوْا فِيهِ}، قال: بالتصفير والتخليط في المنطق على رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ القرآن قريش تفعله"(١٨٤٧).

وقال الضحاك ، عن ابن عباس : "{وَالْغَوْا فِيهِ}: عيبوه"(١٨٤٨).

عن مجاهد، في قول الله: "{لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ}، قال: المكاء والتصفير، وتخليط من القول على رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم إذا قرأ، قريش تفعله"(١٨٤٩).

عن معمر، قال: "قال بعضهم في قوله: {وَالْغَوْا فِيهِ}، قال: تحدثوا وصيحوا كيما لا تسمعوه"(١٨٥٠).

وقال مقاتل:" بالأشعار والكلام"(١٨٥١).

(١٨٣٦) تفسير السعدي: ٧٤٨.
(١٨٣٧) تفسير ابن كثير: ١٧٤/٧.
(١٨٣٨) أخرجه الطبري: ٤٦٠/٢١.
(١٨٣٩) معاني القرآن: ١٧/٣.
(١٨٤٠) تفسير مقاتل نب سليمان: ٧٤١/٣.
(١٨٤١) التفسير الميسر: ٤٧٩.
(١٨٤٢) تفسير الطبري: ٤٦٠/٢١.
(١٨٤٣) غريب القرآن: ٣٨٩.
(١٨٤٤) تفسير ابن كثير: ١٧٤/٧.
(١٨٤٥) معاني القرآن: ٣٨٤/٤.
(١٨٤٦) أخرجه الطبري: ٤٦٠/٢١.
(١٨٤٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٤٥٩):ص٣٢٧٢/١٠-٣٢٧٣.
(١٨٤٨)نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٧٤/٧.
(١٨٤٩) أخرجه الطبري: ٤٦٠/٢١.
(١٨٥٠) أخرجه الطبري: ٤٦١/٢١.
(١٨٥١) تفسير مقاتل نب سليمان: ٧٤١/٣.

قال الكلبي:" إذا سمعتموه يتلى فالغوا وتحدثوا وضجوا , وصيحوا حتى لا تسمعوه"[١٨٥٢].

قال الزمخشري:" اللغو: الساقط من الكلام الذي لا طائل تحته. قال: من اللغا ورفث التكلم. والمعنى: لا تسمعوا له إذا قرئ، وتشاغلوا عند قراءته برفع الأصوات بالخرافات والهذيان والزمل[١٨٥٣] وما أشبه ذلك، حتى تخلطوا على القارئ وتشوّشوا عليه وتغلبوه على قراءته. كانت قريش يوصى بذلك بعضهم بعضا"[١٨٥٤].

قرئ: «والغوا فيه»، بفتح الغين وضمها[١٨٥٥].

قوله تعالى:{لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ} [فصلت : ٢٦]، أي:" لعلكم تغلبونه، فيترك القراءة، وننتصر عليه"[١٨٥٦].

قال مقاتل:" يعني: لكي تغلبونهم فيسكتون"[١٨٥٧].

قال الطبري:" يقول: لعلكم بفعلكم ذلك تصدون من أراد استماعه عن استماعه، فلا يسمعه، وإذا لم يسمعه ولم يفهمه لم يتبعه، فتغلبون بذلك من فعلكم محمدا"[١٨٥٨].

قال ابن كثير:" {لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ} هذا حال هؤلاء الجهلة من الكفار ، ومن سلك مسلكهم عند سماع القرآن. وقد أمر الله - سبحانه - عباده المؤمنين بخلاف ذلك فقال : {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأعراف : ٢٠٤]"[١٨٥٩].

قال السعدي:" وهذه شهادة من الأعداء، وأوضح الحق، ما شهدت به الأعداء، فإنهم لم يحكموا بغلبتهم لمن جاء بالحق إلا في حال الإعراض عنه والتواصي بذلك، ومفهوم كلامهم، أنهم إن لم يلغوا فيه، بل استمعوا إليه، وألقوا أذهانهم، أنهم لا يغلبون، فإن الحق، غالب غير مغلوب، يعرف هذا، أصحاب الحق وأعداؤه"[١٨٦٠].

قال ابن عباس:" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة إذا قرأ القرآن يرفع صوته، فكان المشركون يطردون الناس، عنه ويقولون: {لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ} [فصلت : ٢٦]، وكان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إذا أخفى قراءته لم يسمع من يجب أن يسمع القرآن فأنزل الله: {وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا} [الإسراء : ١١٠]"[١٨٦١].

عن محمد بن إسحاق، قال:" ... لمّا جاءهم رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بما عرفوا مِن الحق، وعرفوا صدقه فيما حدَّث، وموقع نبوّته فيما جاءهم به مِن علم الغيوب حين سألوه عمّا سألوه عنه، فحال الحسدُ منهم له بينهم وبين اتّباعه وتصديقه، فعَتَوْا على الله، وتركوا أمره عيانًا، ولجُّوا فيما هم عليه مِن الكفر، فقال قائلهم: {لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون} أي: اجعلوه لَعِبًا وباطلًا، واتخِذوه هُزوًا، أي: لعلكم تغلبون، تغلبوه بذلك، فإنكم إن وافقتموه وناصفتموه غلبكم. فلمّا قال ذلك بعضُهم لبعض جعلوا إذا جهر رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بالقرآن وهو يُصَلِّي يتفرقون عنه، ويَأْبَون أن يسمعوا له، وكان الرجل منهم إذا أراد أن يسمع من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعضَ ما يتلو مِن القرآن وهو يُصَلِّي استتر واستمع دونهم، فَرَقًا منهم، فإنْ رأى أنّهم عرفوا أنّه يستمع ذهبَ خشية أذاهم، ولم يستمع،

(١٨٥٢) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٧٠٣):ص١٥٣/٣.

(١٨٥٣)قوله «والزمل» الذي في الصحاح «الأزمل» الصوت: والأزمولة- بالضم-: المصوت من الوعول وغيرها.

(١٨٥٤) الكشاف: ١٩٧/٤-١٩٨.

(١٨٥٥) انظر: الكشاف: ١٩٧/٤.

(١٨٥٦) التفسير الميسر: ٤٧٩.

(١٨٥٧) تفسير مقاتل نب سليمان: ٧٤١/٣.

(١٨٥٨) أخرجه الطبري: ٤٦١/٢١.

(١٨٥٩) تفسير ابن كثير: ١٧٤/٧.

(١٨٦٠) تفسير السعدي: ٧٤٨.

(١٨٦١) اخرجه ابن أبي حاتم(١٨٤٥٨):ص٣٢٧٢/١٠.

وإنْ خفض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صوته، فظنّ الذين يستمعون أنهم لم يسمعوا من قراءته شيئًا وسمع هو دونهم، أشاح له ليستمع منه"(١٨٦٢).

القرآن

{فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧)} [فصلت : ٢٧]

التفسير:

فلنذيقن الذين قالوا هذا القول عذابًا شديدًا في الدنيا والآخرة، ولنجزينهم أسوأ ما كانوا يعملون من السيئات.

قوله تعالى:{فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا} [فصلت : ٢٧]، أي:" فلنذيقن الذين قالوا هذا القول عذابًا شديدًا في الدنيا والآخرة"(١٨٦٣).

قال الطبري:" بالله من مشركي قريش الذين قالوا هذا القول عذابا شديدا في الآخرة"(١٨٦٤).

قال ابن كثير:" ثم قال تعالى : منتصرا للقرآن ، ومنتقما ممن عاداه من أهل الكفران : {فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا} أي : في مقابلة ما اعتمدوه في القرآن وعند سماعه"(١٨٦٥).

قال الزمخشري:" يجوز أن يريد بالذين كفروا: هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة، وأن يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم"(١٨٦٦).

قوله تعالى:{وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ} [فصلت : ٢٧]، أي:" ولنجزينهم أسوأ ما كانوا يعملون من السيئات"(١٨٦٧).

قال الطبري:" يقول: ولنثيبنهم على فعلهم ذلك وغيره من أفعالهم بأقبح جزاء أعمالهم التي عملوها في الدنيا"(١٨٦٨).

قال ابن كثير:" أي : بشَرِّ أعمالهم وسيِّئ أفعالهم"(١٨٦٩).

قال السعدي:" وهو الكفر والمعاصي، فإنها أسوأ ما كانوا يعملون، لكونهم يعملون المعاصي وغيرها، فالجزاء بالعقوبة، إنما هو على عمل الشرك (٢) {وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}"(١٨٧٠).

القرآن

{ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٢٨)} [فصلت : ٢٨]

التفسير:

هذا الجزاء الذي يُجزى به هؤلاء الذين كفروا جزاء أعداء الله النار، لهم فيها دار الخلود الدائم؛ جزاء بما كانوا بحججنا وأدلتنا يجحدون في الدنيا.

قوله تعالى:{ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ} [فصلت : ٢٨]، أي:" هذا الجزاء الذي يُجزى به هؤلاء الذين كفروا جزاء أعداء الله النار"(١٨٧١).

(١٨٦٢)سيرة ابن إسحاق ص ١٨٥ - ١٨٦.
(١٨٦٣) التفسير الميسر: ٤٧٩.
(١٨٦٤) أخرجه الطبري: ٤٦١/٢١.
(١٨٦٥) تفسير ابن كثير: ١٧٤/٧.
(١٨٦٦) الكشاف: ١٩٨/٤.
(١٨٦٧) التفسير الميسر: ٤٧٩.
(١٨٦٨) أخرجه الطبري: ٤٦١/٢١.
(١٨٦٩) تفسير ابن كثير: ١٧٤/٧.
(١٨٧٠) تفسير السعدي: ٧٤٨.
(١٨٧١) التفسير الميسر: ٤٧٩.

قال الطبري: يقول: " هذا الجزاء الذي يجزى به هؤلاء الذين كفروا من مشركي قريش جزاء أعداء الله; ثم ابتدأ جلّ ثناؤه الخبر عن صفة ذلك الجزاء، وما هو فقال: هو النار"(١٨٧٢).

قوله تعالى:{لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ} [فصلت : ٢٨]، أي:" لهم فيها دار الخلود الدائم"(١٨٧٣).

قال الطبري:"يعني: لهؤلاء المشركين بالله في النار دار الخلد يعني دار المكث واللبث، إلى غير نهاية ولا أمد; والدار التي أخبر جلّ ثناؤه أنها لهم في النار هي النار"(١٨٧٤).

قال السعدي:" أي: الخلود الدائم، الذي لا يفتر عنهم العذاب ساعة، ولا هم ينصرون"(١٨٧٥).

قال الزجاج:" أي: لهم في النار دار الخلد، والنار هي الدار، كما تقول: لك في هذه الدار دار السرور، وأنت تعني الدار بعينها، كما قال الشاعر(١٨٧٦):

أخُو رَغائِبَ يُعْطِيها ويَسْألُها . . يَأبَى الظُّلامَةَ منه النَّوْفَلُ الزُّفَرُ"(١٨٧٧).

قال السعدي:" أي: الخلود الدائم، الذي لا يفتر عنهم العذاب ساعة، ولا هم ينصرون"(١٨٧٨).

قوله تعالى:{جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ} [فصلت : ٢٨]، أي:" جزاء بما كانوا بحججنا وأدلتنا يجحدون في الدنيا"(١٨٧٩).

قال الطبري:" يقول: فعلنا هذا الذي فعلنا بهؤلاء من مجازاتنا إياهم النار على فعلهم جزاء منا بجحودهم في الدنيا بآياتنا التي احتججنا بها عليهم"(١٨٨٠).

قال السعدي:" فإنها آيات واضحة، وأدلة قاطعة مفيدة لليقين، فأعظم الظلم وأكبر العناد، جحدها، والكفر بها"(١٨٨١).

قال الحسن، يعني بقوله: {يجحدون}، قال: جحدوا بعد المعرفة"(١٨٨٢).

وقال الحسن:" إن القوم قد عرفوه، ولكنهم جحدوا بعد المعرفة"(١٨٨٣).

(١٨٧٢) أخرجه الطبري: ٤٦١/٢١.

(١٨٧٣) التفسير الميسر: ٤٧٩.

(١٨٧٤) أخرجه الطبري: ٤٦١/٢١.

(١٨٧٥) تفسير السعدي: ٧٤٨.

(١٨٧٦)ورد البيت منسوبًا للأعشى في أكثر المصادر التالية: "الأصمعيات" ٩٠، "الكامل" للمبرد: ١/ ٥٧ ، "جمهرة أشعار العرب" ص٢٥٥، "الأضداد" لابن الأنباري:٢٥٢، "تهذيب اللغة" ٤/ ٣٦٣٧ (نفل)، شرح الأبيات المشكلة" ٥٢١، "أمالي المرتضى" ٢/ ٢١، "إعراب القرآن" المنسوب للزجاج: ٢/ ٦٦٥، ٦٦٦، "التنبيه والإيضاح" لابن بري: ٢/ ١٩٢، "زاد المسير" ١/ ٤٣٤، "اللسان" ٣/ ١٨٤٢ (زفر)، ٦/ ٣٧٠١ (قفر)، ٨/ ٤٥١٠ (نفل)، "خزانة الأدب" ١/ ١٨٥، ١٨٦، ١١٩٥ وردت روايته في "الأضداد": (يعطاها) بدلًا من: (يعطيها)، كما وردت روايته كذلك: (ويَسْلُبُها) -بالبناء للمعلوم-، من: (السلب) بدلًا من: (وُيسألُها).

والبيت من قصيدة قالها الشاعر في رثاء أخيه من أمه: المنتشر بن وهب الباهلي. والرغائب: هي العطايا الكثيرة. والمفرد: (رَغِيبة)، وهي: ما يُرغَب فيه من أشياء. والظُّلامَة: هي ما تطلبه عند الظالم، وهي: اسمٌ لما أُخِذَ من الإنسان ظلما. ويقال -كذلك-: (الظليمة)، و (المظلِمة) - بكسر اللام وضمها.

والنوفل: السيد من الرجال الكثير الإعطاء للنوافل، وهي: العطايا. وفي "اللسان" ٨/ ٤٥١٠ (نفل) ينقل عن ابن الأعرابي: (للنوافل: من ينفي عنه الظلم من قومه؛ أي: يدفعه)؛ من (انتفل من الشيء): انتفى وتبرأ منه، و (انتفل)، و (انتفى) بمعنى واحد، كأنه إبدال منه. انظر المرجع السابق.

والزُّفَر: السيد الذي يتحمل بالأموال في الحَمَالات من دَيْن، أو دِيَة، مطيقًا لها. وأصلها من: (ازْدَفَر)؛ أي: حَمَل. والزَّفْرُ: الحَمْل من قولك: (زَفَرَ الحِمل، يزفِرُهُ، زفْرا)، و (ازدفَرَهُ) -أيضًا-؛ أي: حمله.

ويقال -كذلك- (زُفَر) للأسد، والجمل الضخم، والرجل الشجاع، والجواد. انظر: (زفر) في "تهذيب اللغة" ٢/ ١٥٣٨، "اللسان" ٣/ ١٨٤١ .

(١٨٧٧) معاني القرآن: ٣٨٥/٤.

(١٨٧٨) تفسير السعدي: ٧٤٨.

(١٨٧٩) التفسير الميسر: ٤٧٩.

(١٨٨٠) أخرجه الطبري: ٤٦١/٢١.

(١٨٨١) تفسير السعدي: ٧٤٨.

(١٨٨٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٥٤٩):ص١٤٩٣/٥.

قال قتادة: "والجحد لا يكون إلا من بعد المعرفة"(١٨٨٤).

القرآن

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ (٢٩)} [فصلت : ٢٩]

التفسير:

وقال الذين كفروا بالله ورسوله، وهم في النار: ربنا أرنا اللذَين أضلانا من خلقك من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا؛ ليكونا في الدرك الأسفل من النار.

قوله تعالى:{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ} [فصلت : ٢٩]، أي:" وقال الذين كفروا بالله ورسوله، وهم في النار: ربنا أرنا اللذَين أضلانا من خلقك من الجن والإنس"(١٨٨٥).

قال الطبري:" وقال الذين كفروا بالله ورسوله يوم القيامة بعد ما أدخلوا جهنم: يا ربنا أرنا اللذين أضلانا من خلقك من جنهم وإنسهم. وقيل: إن الذي هو من الجنّ إبليس، والذي هو من الإنس ابن آدم الذي قتل أخاه"(١٨٨٦).

قال الزجاج:" معنى الآية -فيما جاء من التفسير- أنه يعني بهما ابن آدم قابيل الذي قتل أخاه، وإبليس، فقابيل مِنَ الإنس وإبليس مِنَ الجِنِّ، ومعنى: {نجعلْهُمَا تحت أَقْدَامِنَا، أي: يكونان - في الدَّرْك الأسفل"(١٨٨٧).

قال السعدي:" أي: الصنفين اللذين، قادانا إلى الضلال والعذاب، من شياطين الجن، وشياطين الإنس، الدعاة إلى جهنم"(١٨٨٨).

عن الحسن:" {أرنا}: أعطِنا"(١٨٨٩).

قال قتادة:"هو الشيطان، وابن آدم الذي قتل أخاه"(١٨٩٠).

قال مجاهد:" قابيل ابن آدم الذي قتل أخاه، وإبليس من الجن وقابيل من الإنس قولهم من الجن والإنس"(١٨٩١).

عن حبة بن جوين العرني، عن عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه- في قوله: "{أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلانَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ}، قال: هو ابنُ آدم الذي قتل أخاه، وإبليس"(١٨٩٢). وروي عن إبراهيم النخعي وعكرمة مثله(١٨٩٣).

وعن السدي، عن علي بن أبي طالب، في قوله: "{أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلانَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ}، الآية، فإنهما ابن آدم القاتل، وإبليس الأبالسة. فأما ابن آدم فيدعو به كل صاحب كبيرة دخل النار من أجل الدعوة وأما إبليس فيدعو به كل صاحب شرك، يدعوانهما في النار"(١٨٩٤).

(١٨٨٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٢٤٢):ً١٢٨٣/٤.

(١٨٨٤) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٥/١.

(١٨٨٥) التفسير الميسر: ٤٧٩.

(١٨٨٦) تفسير الطبري: ٤٦٢/٢١.

(١٨٨٧) معاني القرآن: ٣٨٥/٤.

(١٨٨٨) تفسير السعدي: ٧٤٨.

(١٨٨٩)أخرجه إسحاق البستي ص ٢٩٣.

(١٨٩٠) أخرجه الطبري: ٤٦٣/٢١.

(١٨٩١) جزء فيه تفسير القرآن برواية أبي جعفر الترمذي(٩٣):ص٦٠.

(١٨٩٢) أخرجه الطبري: ٤٦٢/٢١.

(١٨٩٣)أخرجه سفيان الثوري ص ٢٦٦، وعبد الرزاق ٢/ ١٨٦ من طريق حصين، و الطبري: ٤٦٢/٢١، من طريق حبة وحصين أيضًا بلفظ: "إبليس الأبالسة وابن آدم الذي قتل أخاه"، والحاكم ٢/ ٤٤٠، وابن عساكر ٤٩/ ٤٧. وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(١٨٩٤) أخرجه الطبري: ٤٦٢/٢١-٤٦٣.

وثبت في الحديث:«لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سن القتل»"[١٨٩٥].

قوله تعالى:{نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ} [فصلت : ٢٩]، أي:" نجعلهما تحت أقدامنا؛ ليكونا في الدرك الأسفل من النار"[١٨٩٦].

قال الطبري:" يقول: نجعل هذين اللذين أضلانا تحت أقدامنا، لأن أبواب جهنم بعضها أسفل من بعض، وكل ما سفل منها فهو أشد على أهله، وعذاب أهله أغلظ، ولذلك سأل هؤلاء الكفار ربهم أن يريهم اللذين أضلاهم ليجعلوهما أسفل منهم ليكونا في أشد العذاب في الدرك الأسفل من النار"[١٨٩٧].

قال السعدي:"{لِيَكُونَا مِنَ الأسْفَلِينَ}، أي: الأذلين المهانين كما أضلونا، وفتنونا، وصاروا سببًا لنزولنا. ففي هذا، بيان حنق بعضهم على بعض، وتبرِّي بعضهم من بعض"[١٨٩٨].

قال ابن كثير:" أي : أسفل منا في العذاب ليكونا أشد عذابا منا؛ ولهذا قالوا : {لِيَكُونَا مِنَ الأسْفَلِينَ} أي : في الدرك الأسفل من النار ، كما تقدم في "الأعراف" من سؤال الأتباع من الله أن يعذب قادتهم أضعاف عذابهم ، قال: {لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ} [الأعراف : ٣٨] أي : إنه تعالى قد أعطى كلا منهم ما يستحقه من العذاب والنكال ، بحسب عمله وإفساده ، كما قال تعالى: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ} [النحل : ٨٨]"[١٨٩٩].

عن ابن بن عباس: "{لِيَكُونا مِنَ الأسْفَلِينَ} ليكونا أشد عذابًا مِنّا"[١٩٠٠].

فوائد الآيات:[٢٥-٢٩]:

١- بيان سنة الله تعالى في العبد إذا أعرض عن الحق الذي هو الإسلام فخبث من جراء كسبه الشر والباطل وتوغله في الظلم والفساد يبعث الله تعالى عليه شيطاناً يكون قرينا له فيزين له كل قبيح، ويقبح له كل حسن.

٢- بيان ما كان المشركون يكيدون به الإسلام ويحاربونه به حتى باللغو عند قراءة القرآن حتى لا يسمع ولا يهتدى به.

٣- تقرير البعث والجزاء.

٤- بيان نقمة أهل النار على من كان سبباً في إضلالهم وإغوائهم، ومن سن لهم سنة شر يعملون بها كإبليس، وقابيل بن آدم عليه السلام إذ الأول سن كل شر والثاني سن سنة القتل ظلماً وعدواناً.

٥- عظم جريمة من صرف الناس عن القرآن العظيم، وصدهم عن تدبره وهدايته بأيِّ وسيلة كانت.

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠)} [فصلت : ٣٠]

(١٨٩٥)أخرجه أحمد (٣٨٣/١، رقم ٣٦٣٠) ، وابن أبى شيبة (٤٣٥/٥، رقم ٢٧٧٥٩) ، والبخارى (١٢١٣/٣، رقم ٣١٥٧) ، ومسلم (١٣٠٣/٣، رقم ١٦٧٧) ، والترمذى (٤٢/٥، رقم ٢٦٧٣) وقال: حسن صحيح. والنسائى (٨١/٧، رقم ٣٩٨٥) ، وابن ماجه (٨٧٣/٢، رقم ٢٦١٦) ، وابن أبى عاصم فى الديات (٥/١) . وأخرجه أيضًا: أبو يعلى (١١٠/٩، رقم ٥١٧٩) ، وابن حبان (٣٢١/١٣، رقم ٥٩٨٣) ، والبيهقى (١٥/٨، رقم ١٥٦٠٢).

(١٨٩٦) التفسير الميسر: ٤٧٩.

(١٨٩٧) تفسير الطبري: ٤٦٣/٢١.

(١٨٩٨) تفسير السعدي: ٧٤٨.

(١٨٩٩) تفسير ابن كثير: ١٧٥/٧.

(١٩٠٠)تفسير البغوي ٧/ ١٧٢.

التفسير:
إن الذين قالوا ربنا الله تعالى وحده لا شريك له، ثم استقاموا على شريعته، تتنزل عليهم الملائكة عند الموت قائلين لهم: لا تخافوا من الموت وما بعده، ولا تحزنوا على ما تخلفونه وراءكم من أمور الدنيا، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون بها.
سبب النزول:
روى عطاء عن ابن عباس قال: "نزلت هذه الآية في أبي بكر الصِّدِّيق، وذلك أن المشركين قالوا: ربُّنا الله، والملائكة بناتُه، وهؤلاء شفعاؤنا عند الله، فلم يستقيموا، وقالت اليهود: ربُّنا الله، وعزيرٌ ابنُه، ومحمد ليس بنبيّ، فلم يستقيموا، وقالت النصارى: ربُّنا الله، والمسيح ابنه، ومحمد ليس بنبيّ، فلم يستقيموا، وقال أبو بكر: ربنا الله وحده، ومحمدٌ عبدُه ورسولُه، فاستقام"(١٩٠١).
والصحيح عموم الآية، وذكر اليهود والنصارى في هذا الخبر منكر جدا. والله أعلم.
قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا} [فصلت : ٣٠]، أي:" إن الذين قالوا ربنا الله تعالى وحده لا شريك له، ثم استقاموا على شريعته"(١٩٠٢).
قال الزجاج:" أي: وحدوا اللَّه، واستقاموا: عملوا بِطَاعَتِهِ ولزموا سنة نبيِّه"(١٩٠٣).
قال الطبري: يقول:" {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ} وحده لا شريك له، وبرئوا من الآلهة والأنداد، {ثُمَّ اسْتَقَامُوا} على توحيد الله، ولم يخلطوا توحيد الله بشرك غيره به، وانتهوا إلى طاعته فيما أمر ونهى"(١٩٠٤).
وفي قوله تعالى:{ثُمَّ اسْتَقَامُوا} [فصلت : ٣٠]، وجوه من التفسير:
أحدها: استقاموا على التوحيد، قاله أبو بكر الصِّدِّيق(١٩٠٥)، ومجاهد(١٩٠٦)، وعكرمة(١٩٠٧).
قال مجاهد:" أي على: لا إله إلا الله"(١٩٠٨).
قال عكرمة:" استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله"(١٩٠٩).
وقال مجاهد:" أسلموا ثم لم يشركوا به حتى لحقوا به"(١٩١٠).
وقال السدي:" تموا على ذلك"(١٩١١).
عن سعيد بن نمران البجلي قال قرأت هده الآية على أبي بكر:{إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا}، قال: هم الذين لم يشركوا بالله شيئا"(١٩١٢).
وفي رواية:" استقاموا على ألا يشركوا"(١٩١٣).
عن الأسود بن هلال المحاربي، قال: "قال أبو بكر: ما تقولون في هذه الآية: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}، قال: ربنا الله ثم استقاموا من ذنب، قال: فقال أبو بكر: لقد حملتم على غير المحمل، قالوا: ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا إلى إله غيره"(١٩١٤).

(١٩٠١) انظر: زاد المسير: ٥١/٤، وذكره الواحدي بدون إسناد في «أسباب النزول» ٧٣٤، ولم أره مسندا، فهو لا شيء، لخلوه عن الإسناد.
(١٩٠٢) التفسير الميسر: ٤٨٠.
(١٩٠٣) معاني القرآن: ٣٨٥/٤.
(١٩٠٤) تفسير الطبري: ٤٦٣/٢١.
(١٩٠٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٤/٢١.
(١٩٠٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٤/٢١.
(١٩٠٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٥/٢١.
(١٩٠٨) أخرجه الطبري: ٤٦٤/٢١.
(١٩٠٩) أخرجه الطبري: ٤٦٥/٢١.
(١٩١٠) اخرجه الطبري: ٤٦٤/٢١-٤٦٥.
(١٩١١) أخرجه الطبري: ٤٦٥/٢١.
(١٩١٢) تفسير سفيان الثوري(٨٥٩: ٦: ٧):ص٢٦٦.
(١٩١٣) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٧٦):ص١٢٠/١.
(١٩١٤) أخرجه الطبري: ٤٦٤/٢١.

عن أنس بن مالك، أن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قرأ: "{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}، قال:«قد قالها الناس، ثم كفر أكثرهم، فمن مات عليها فهو ممن استقام»"(١٩١٥).

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلّم أنه قال: «هم أمتي ورب الكعبة استقاموا ولم يشركوا كما فعلت اليهود والنصارى»(١٩١٦).

الثاني : استقاموا على طاعته وأداء فرائضه ، قاله ابن عباس(١٩١٧)، وقتادة(١٩١٨)، وابن زيد(١٩١٩).

قال ابن عباس:" يقول: على أداء فرائضه"(١٩٢٠).

قال ابن زيد:" على عبادة الله وعلى طاعته"(١٩٢١).

عن الزهري، قال: "تلا عمر رضي الله عنه على المنبر: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}، قال: استقاموا لله بطاعته، ولم يروغوا روغان الثعلب"(١٩٢٢).

قال قتادة:" وكان الحسن إذا تلاها قال: اللهمَّ فأنت ربنا فارزقنا الاستقامة"(١٩٢٣).

الثالث : على الإخلاص والعمل إلى الموت، قاله أبو العالية(١٩٢٤)، والسدي(١٩٢٥).

الرابع : على المعرفة ولم يرتدوا عنها. قاله مقاتل(١٩٢٦).

الخامس : ثم استقاموا في أفعالهم كما استقاموا في أقوالهم . حكاه الماوردي(١٩٢٧).

السادس : ثم استقاموا سراً كما استقاموا جهراً. حكاه الماوردي(١٩٢٨).

السابع : أن الاستقامة أن يجمع بين فعل الطاعات واجتناب المعاصي لأن التكليف يشتمل على أمر بطاعة تبعث على الرغبة ونهي عن معصية يدعو إلى الرهبة. أفاده الماوردي(١٩٢٩).

عن عبد الله بن سفيان الثقفي ، عن أبيه :" أن رجلا قال : يا رسول الله مرني بأمر في الإسلام لا أسأل عنه أحدا بعدك. قال : "قل آمنت بالله ، ثم استقم" قلت : فما أتقي ؟ فأومأ إلى لسانه"(١٩٣٠).

قوله تعالى:{تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا} [فصلت : ٣٠]، أي:" تتنزل عليهم الملائكة عند الموت قائلين لهم: لا تخافوا من الموت وما بعده، ولا تحزنوا على ما تخلفونه وراءكم من أمور الدنيا"(١٩٣١).

قال الطبري:" يقول: تتهبط عليهم الملائكة عند نزول الموت بهم: ب، {ألا تَخَافُوا} ما تقدمون عليه من بعد مماتكم {وَلا تَحْزَنُوا} على ما تخلفونه وراءكم"(١٩٣٢).

وفي قوله تعالى:{تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ} [فصلت : ٣٠]، أقوال:

(١٩١٥) اخرجه الطبري: ٤٦٣/٢١-٤٦٤.
(١٩١٦) نقلا عن: تفسير التستري:١٣٧، وتفسير القرطبي: ١٣٧.
(١٩١٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٥/٢١.
(١٩١٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٥/٢١.
(١٩١٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٥/٢١-٤٦٦.
(١٩٢٠) أخرجه الطبري: ٤٦٥/٢١.
(١٩٢١) أخرجه الطبري: ٤٦٥/٢١-٤٦٦.
(١٩٢٢) أخرجه الطبري: ٤٦٥/٢١، وانظر: الزهد لابن مبارك ص ١١٠، وفيه: (أخرجه أحمد في الزهد).
(١٩٢٣) أخرجه الطبري: ٤٦٥/٢١.
(١٩٢٤) انظر: النكت والعيون: ١٧٩/٥، وزاد المسير: ٥١/٤.
(١٩٢٥) انظر: النكت والعيون: ١٧٩/٥، وزاد المسير: ٥١/٤.
(١٩٢٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٤٢/٣.
(١٩٢٧) انظر: النكت والعيون: ١٧٩/٥.
(١٩٢٨) انظر: النكت والعيون: ١٧٩/٥.
(١٩٢٩) انظر: النكت والعيون: ١٨٠/٥.
(١٩٣٠)رواه احمد في المسند (٣٨٤/٤) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٤٨٩).
(١٩٣١) التفسير الميسر: ٤٨٠.
(١٩٣٢) تفسير الطبري: ٤٦٦/٢١.

أحدها : تتنزل عليهم عند الموت ، قاله مجاهد(١٩٣٣)، والسدي(١٩٣٤)، ويحيى بن سلام(١٩٣٥).

وفي الحديث:« إذا حضر المؤمن أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون اخرجى راضية مرضيا عنك إلى روح الله وريحان ورب غير غضبان فتخرج كأطيب ريح المسك حتى إنه ليناوله بعضهم بعضا حتى يأتوا به باب السماء فيقولون ما أطيب هذه الريح الذى جاءتكم من الأرض فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحا به من أحدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه ماذا فعل فلان ماذا فعل فلان فيقولون دعوه فإنه كان فى غم الدنيا فإذا قال أما أتاكم قالوا ذهب إلى أمه الهاوية وإن الكافر إذا حضر أتته ملائكة العذاب بمسح فيقولون اخرجى ساخطة مسخوطا عليك إلى عذاب الله فتخرج كأنتن ريح جيفة حتى يأتوا بها باب الأرض فيقولون ما أنتن هذه الريح حتى يأتوا بها أرواح الكفار»"(١٩٣٦).

الثاني : في الآخرة عند خروجهم من قبورهم للبعث ، قاله ابن عباس(١٩٣٧)، وثابت البُنَانِي(١٩٣٨)، ومقاتل(١٩٣٩).

قال مقاتل:" وذلك أن المؤمن إذا خرج من قبره، فينفض رأسه، وملكه قائم على رأسه يسلم عليه، فيقول الملك للمؤمن أتعرفني؟ فيقول: لا. فيقول: أنا الذي كنت أكتب عملك الصالح فلا تخف ولا تحزن وأبشر بالجنة التي كنت توعد"(١٩٤٠).

عن جعفر بن سليمان : "سمعت ثابتا قرأ سورة "حم السجدة" حتى بلغ : {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنزلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ} فوقف فقال : بلغنا أن العبد المؤمن حين يبعثه الله من قبره ، يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا ، فيقولان له : لا تخف ولا تحزن ، {وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} قال : فيؤمن الله خوفه ، ويقر عينه فما عظيمة يخشى الناس يوم القيامة إلا هي للمؤمن قرة عين ، لما هداه الله ، ولما كان يعمل له في الدنيا"(١٩٤١).

الثالث: عند الموت وفي وقت البعث فلا تَهُولُهم أهَوالُ القيامة. قاله الزجاج(١٩٤٢).

الرابع: يبشرونه عند موته ، وفي قبره ، وحين يبعث. قاله ابن زيد(١٩٤٣).

قال ابن كثير:" وهذا القول يجمع الأقوال كلها ، وهو حسن جدا ، وهو الواقع"(١٩٤٤).

وفي قوله تعالى:{أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا} [فصلت : ٣٠]، وجهان من التفسير:

أحدهما : لا تخافوا أمامكم ولا تحزنوا على ما خلفكم ، قاله السدي(١٩٤٥).

الثاني لا تخافوا ما تقدمون عليه من أمر الآخرة، ولا تحزنوا على ما خلفتم من دنياكم من أهل وولد، فإنا نخلفكم في ذلك كله. وهذا قول مجاهد(١٩٤٦).

(١٩٣٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٦/٢١.

(١٩٣٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٦/٢١.

(١٩٣٥) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٤٧٥/١.

(١٩٣٦)أخرجه النسائى (٨/٤، رقم ١٨٣٣) ، والحاكم (٥٠٤/١، رقم ١٣٠٢) .

ومن غريب الحديث: "حضر المؤمن": احتضر، أى: حضرته الوفاة. "فيسألونه ماذا فعل فلان ماذا فعل فلان فيقولون": فيسألونه أى أهل الجنة يسألونه، فيقولون: أى الملائكة يقولون. "أما أتاكم": أى أما أتاكم فلان الذى تسألونى عنه، "قالوا ذهب": أى أهل الجنة قالوا ذهب إلى أمه الهاوية، وهى النار. "الهاوية": المستقرة النار. "بمسح":

المسح: الكساء من الشعر.

(١٩٣٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٧/٢١.

(١٩٣٨) انظر: النكت والعيون: ١٨٠/٥.

(١٩٣٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٤٢/٣.

(١٩٤٠)تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٤٢/٣.

(١٩٤١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٧٧/٧.

(١٩٤٢) انظر: معاني القرآن: ٣٨٥/٤.

(١٩٤٣) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٧٧/٧.

(١٩٤٤) تفسير ابن كثير :١٧٧/٧.

(١٩٤٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٦/٢١-٤٦٧.

(١٩٤٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٧/٢١.

قوله تعالى:{وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [فصلت : ٣٠]، أي:" وأبشروا بجنة الخلد التي وعدكم الله بها على لسان الرسل"(١٩٤٧).

قال الطبري:" يقول: وسروا بأن لكم في الآخرة الجنة التي كنتم توعدونها في الدنيا على إيمانكم بالله، واستقامتكم على طاعته"(١٩٤٨).

قال مقاتل:" وذلك أن الله وعدهم على السنة الرسل- فى الدنيا- الجنة"(١٩٤٩).

عن السديّ: "{وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ}، في الدنيا"(١٩٥٠).

قال الماوردي:" قيل إن بشرى المؤمن في ثلاثة مواطن : أحدها عند الموت ، ثم في القبر ، ثم بعد البعث"(١٩٥١).

القرآن

{نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢)} [فصلت : ٣١-٣٢]

التفسير:

وتقول لهم الملائكة: نحن أنصاركم في الحياة الدنيا، نسددكم ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة، ولكم في الجنة كل ما تشتهيه أنفسكم مما تختارونه، وتَقَرُّ به أعينكم، ومهما طلبتم من شيء وجدتموه بين أيديكم ضيافة وإنعامًا لكم مِن غفور لذنوبكم، رحيم بكم.

قوله تعالى:{نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [فصلت : ٣١]، أي:" وتقول لهم الملائكة: نحن أنصاركم في الحياة الدنيا، نسددكم ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة"(١٩٥٢).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ملائكته التي تتنزل على هؤلاء المؤمنين الذين استقاموا على طاعته عند موتهم: {نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ} أيها القوم {فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} كنا نتولاكم فيها; وفي الآخرة أيضا نحن أولياؤكم، كما كنا لكم في الدنيا أولياء"(١٩٥٣).

قال ابن كثير:" أي : تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار : نحن كنا أولياءكم ، أي : قرناءكم في الحياة الدنيا ، نسددكم ونوفقكم ، ونحفظكم بأمر الله ، وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور ، وعند النفخة في الصور ، ونؤمنكم يوم البعث والنشور ، ونجاوز بكم الصراط المستقيم ، ونوصلكم إلى جنات النعيم"(١٩٥٤).

وفي قوله تعالى:{نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [فصلت : ٣١]، وجوه من التفسير:

أحدها : نحن الحفظة لأعمالكم في الدنيا وأولياؤكم في الآخرة ، قاله السدي(١٩٥٥).

الثاني : نحفظكم في الحياة الدنيا ولا نفارقكم في الآخرة حتى تدخلوا الجنة. حكاه الماوردي(١٩٥٦).

الثالث : نحن أولياؤكم في الدنيا بالهداية وفي الآخرة بالكرامة. أفاده الماوردي(١٩٥٧).

(١٩٤٧) صفوة التفاسير: ١١٣/٣.
(١٩٤٨) تفسير الطبري: ٤٦٧/٢١.
(١٩٤٩)تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٤٢/٣.
(١٩٥٠) أخرجه الطبري: ٤٦٧/٢١.
(١٩٥١) النكت والعيون: ١٨٠/٥.
(١٩٥٢) التفسير الميسر: ٤٨٠.
(١٩٥٣) تفسير الطبري: ٤٦٧/٢١.
(١٩٥٤) تفسير ابن كثير: ١٧٧/٧.
(١٩٥٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٨/٢١.
(١٩٥٦) انظر: النكت والعيون: ١٨٠/٥.
(١٩٥٧) انظر: النكت والعيون: ١٨٠/٥.

قوله تعالى:{وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ} [فصلت : ٣١]، أي:" ولكم في الجنة ما تشتهيه نفوسكم، وتقرُّ به عيونُكم من أنواع اللذائذ والشهوات"(١٩٥٨).

قال الطبري:" يقول: ولكم في الآخرة عند الله ما تشتهي أنفسكم من اللّذات والشهوات"(١٩٥٩).

قال ابن كثير:" أي : في الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهيه النفوس ، وتقر به العيون "(١٩٦٠).

قوله تعالى:{وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ} [فصلت : ٣١]، أي:" ولكم فيها ما تطلبون وتتمنون"(١٩٦١).

قال مقاتل:" يعني: ما تتمنون (١٩٦٢).

قال الطبري:" يقول: ولكم في الآخرة ما تدّعون"(١٩٦٣).

قال ابن كثير:" أي : مهما طلبتم وجدتم ، وحضر بين أيديكم ، أي: كما اخترتم "(١٩٦٤).

قوله تعالى:{نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ} [فصلت : ٣٢]، أي:" ضيافة وكرامة من ربٍ واسع المغفرة، عظيم الرحمة لعباده المتقين"(١٩٦٥).

قال الطبري:" يقول: أعطاكم ذلك ربكم نزلا لكم من ربّ غفور لذنوبكم، رحيم بكم أن يعاقبكم بعد توبتكم"(١٩٦٦).

قال الزجاج:" معناه: وأبشروا بالجنة تنزلُونها نُزُلا"(١٩٦٧).

قال مقاتل:" هذا الذي أعطاكم الله كان {نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ}"(١٩٦٨).

قال ابن كثير:" أي : ضيافة وعطاء وإنعاما من غفور لذنوبكم ، رحيم بكم رءوف ، حيث غفر ، وستر ، ورحم ، ولطف"(١٩٦٩).

قال ابن إسحاق: {والله غفور رحيم}، " أي: يغفر الذنوب ، ويرحم العباد ، على ما فيهم"(١٩٧٠).

قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس:" أن الله تبارك وتعالى إنما سمى نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليغفر"(١٩٧١).

عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم -: «بَينا أهل الجنة في مجلس لهم إذ سطع لهم نورٌ على باب الجنة، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الربُّ تعالى قد أشرف، فقال: يا أهل الجنة، سَلوني. فقالوا: نسألك الرِّضا عنّا. قال: رضاي أحلّكم داري، وأنالكم كرامتي، هذ أوانُها، فاسألوني. قالوا: نسألك الزيادة. قال: فيُؤتون بنجائِبَ من ياقوت أحمر، أزِمَّتها زَبَرْجد أخضر وياقوت أحمر، فجاءوا عليها تضع حوافرها عند منتهى طرفها، فأمر الله بأشجار عليها الثمار، فتجيء حوارٍ مِن الحُور العِين وهُنَّ يقُلن: نحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الخالدات فلا نموت، أزواج قوم مؤمنين كرام. ويأمر الله بكُثبان مِن مسكٍ أبيض أذْفَر، فتثير

(١٩٥٨) صفوة التفاسير: ١١٣/٣.
(١٩٥٩) تفسير الطبري: ٤٦٨/٢١.
(١٩٦٠) تفسير ابن كثير: ١٧٧/٧.
(١٩٦١) صفوة التفاسير: ١١٣/٣.
(١٩٦٢)تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٤٢/٣.
(١٩٦٣) تفسير الطبري: ٤٦٨/٢١.
(١٩٦٤) تفسير ابن كثير: ١٧٧/٧.
(١٩٦٥) صفوة التفاسير: ١١٣/٣.
(١٩٦٦) تفسير الطبري: ٤٦٨/٢١.
(١٩٦٧) معاني القرآن: ٣٨٦/٤.
(١٩٦٨)تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٤٢/٣.
(١٩٦٩) تفسير ابن كثير: ١٧٧/٧.
(١٩٧٠) أخرجه الطبري(٧٨٢٢):ص٢٠٣/٧.
(١٩٧١) أخرجه ابن ابي حاتم(٥٣٧٩):ص٩٦٣/٣.

عليهم ريحًا يقال لها: المُثِيرة. حتى تنتهي بهم إلى جنة عدن، وهي قصبة الجنة، فتقول الملائكة: يا ربنا، قد جاء القوم. فيقول: مرحبًا بالصادقين، مرحبًا بالطائعين. فيكشف لهم الحجاب، فينظرون إلى الله، فيتمتعون بنور الرحمن حتى لا يُبصِر بعضُهم بعضًا، ثم يقول: ارجعوهم إلى القصور بالتُّحَف. فيرجعون وقد أبصر بعضُهم بعضًا». قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «فذلك قوله تعالى: {نُزُلًا مِن غَفُورٍ رَحِيمٍ}»(١٩٧٢).

فوائد الآيات:[٣٠-٣٢]:

١- فضل الإيمان والاستقامة عليه بأداء الفرائض واجتناب النواهي.

٢- بشرى أهل الإيمان والاستقامة عند الموت بالجنة وهؤلاء هم أولياء الله المؤمنون المتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وهي هذه وفي الآخرة عند خروجهم من قبورهم.

٣- في الجنة ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، ولأحدهم كل ما يطلبه ويدعيه وفوق ذلك النظر إلى وجه الله الكريم وتلقي التحية منه والتسليم.

القرآن

{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣)} [فصلت : ٣٣]

التفسير:

لا أحد أحسن قولا ممن دعا إلى توحيد الله وعبادته وحده وعمل صالحًا وقال: إنني من المسلمين المنقادين لأمر الله وشرعه.

قوله تعالى:{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ} [فصلت : ٣٣]، أي:" لا أحد أحسن قولا ممن دعا إلى توحيد الله وعبادته وحده"(١٩٧٣).

قال الطبري:يقول:" ومن أحسن أيها الناس قولا ممن قال: ربنا الله ثم استقام على الإيمان به، والانتهاء إلى أمره ونهيه، ودعا عباد الله إلى ما قال"(١٩٧٤).

قال ابن كثير:" أي : دعا عباد الله إليه"(١٩٧٥).

قال الشوكاني:" أي: إلى توحيد الله وطاعته"(١٩٧٦).

قال السعدي:" هذا استفهام بمعنى النفي المتقرر، أي: لا أحد أحسن قولا. أي: كلامًا وطريقة، وحالة، {مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ} بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله، بجميع أنواعها، والحث عليها، وتحسينها مهما أمكن، والزجر عما نهى الله عنه، وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه، خصوصًا من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام وتحسينه، ومجادلة أعدائه بالتي هي أحسن، والنهي عما يضاده من الكفر والشرك، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ومن الدعوة إلى الله، تحبيبه إلى عباده، بذكر تفاصيل نعمه، وسعة جوده، وكمال رحمته، وذكر أوصاف كماله، ونعوت جلاله.

ومن الدعوة إلى الله، الترغيب في اقتباس العلم والهدى من كتاب الله وسنة رسوله، والحث على ذلك، بكل طريق موصل إليه، ومن ذلك، الحث على مكارم الأخلاق، والإحسان إلى عموم الخلق، ومقابلة المسيء بالإحسان، والأمر بصلة الأرحام، وبر الوالدين.

(١٩٧٢)أخرجه البيهقي في البعث والنشور ص ٢٦٢ - ٢٦٣ (٤٤٨)، والقشيري في الرسالة القشيرية ٢/ ٣٤١.

قال السيوطي في اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ٢/ ٣٨٣ - ٣٨٤: «موضوع».

(١٩٧٣) التفسير الميسر: ٤٨٠.

(١٩٧٤) تفسير الطبري: ٤٦٨/٢١.

(١٩٧٥) تفسير ابن كثير: ١٧٩/٧.

(١٩٧٦) فتح القدير: ٥٩١/٤.

ومن ذلك، الوعظ لعموم الناس، في أوقات المواسم، والعوارض، والمصائب، بما يناسب ذلك الحال، إلى غير ذلك، مما لا تنحصر أفراده، مما تشمله الدعوة إلى الخير كله، والترهيب من جميع الشر"(١٩٧٧).

عن قتادة، قوله: "{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ}، ... الآية، قال: هذا عبد صدّق قولَه عملُه، ومولَجه مخرجُه، وسرَّه علانيته، وشاهده مغيبه، وإن المنافق عبد خالف قوله عمله، ومولجه مخرجه، وسرَّه علانيته، وشاهده مغيبه"(١٩٧٨).

وفي قوله تعالى:{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ} [فصلت : ٣٣]، أقوال:

أحدها : أنه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين دعا إلى الإسلام. قاله الحسن(١٩٧٩)، والسدي(١٩٨٠)، وابن زيد(١٩٨١)، وابن سيرين(١٩٨٢)، واختاره ابن العربي(١٩٨٣).

عن معمر: "قال تلا الحسن: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}، قال: هذا حبيب الله، هذا وليّ الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحبّ الخلق إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحا في إجابته، وقال: إنني من المسلمين، فهذا خليفة الله"(١٩٨٤).

الثاني : أنهم المؤذّنون الصلحاء. قاله ابن عمر(١٩٨٥)، وعكرمة(١٩٨٦)، وقيس بن أبي حازم(١٩٨٧)، ورواه الليث بن سعد ومعاوية بن صالح عن أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها-(١٩٨٨).

وفي الحديث: "المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة"(١٩٨٩)

وفي السنن مرفوعا : "الإمام ضامن ، والمؤذن مؤتمن ، فأرشد الله الأئمة ، وغفر للمؤذنين"(١٩٩٠).

عن سعد بن أبي وقاص أنه قال : "سهام المؤذنين عند الله يوم القيامة كسهام المجاهدين ، وهو بين الأذان والإقامة كالمتشحط في سبيل الله في دمه"(١٩٩١).

وقال ابن مسعود : "لو كنت مؤذنا ما باليت ألا أحج ولا أعتمر ولا أجاهد"(١٩٩٢).

وقال عمر بن الخطاب : "لو كنت مؤذنا لكمل أمري ، وما باليت ألا أنتصب لقيام الليل ولا لصيام النهار ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "اللهم اغفر للمؤذنين" ثلاثا ، قال : فقلت : يا رسول الله ، تركتنا ، ونحن نجتلد على الأذان بالسيوف. قال : "كلا يا عمر ، إنه

(١٩٧٧) تفسير السعدي: ٧٤٩.
(١٩٧٨) أخرجه الطبري: ٤٦٩/٢١.
(١٩٧٩) انظر: تفسير الطبري:٤٦٨،٢١-٤٦٩، وعبدالرزاق في التفسير(٢٧١٠):ص١٥٥/٣.
(١٩٨٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٩/٢١.
(١٩٨١) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٩/٢١.
(١٩٨٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٣٢٥/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.
(١٩٨٣) انظر: أحكام القرآن: ٨٤/٤، وقال:" وقد روي أنها نزلت في محمد - صلى الله عليه وسلم ... وقيل: نزلت في المؤذنين،..والأول أصح؛ لأن الآية مكية، والأذان مدني، وإنما يدخل فيها بالمعنى، لا أنه كان المقصود، ويدخل فيها أبو بكر الصديق حين قال في النبي وقد خنقه الملعون: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله، ويتضمن كل كلام حسن فيه ذكر التوحيد وبيان الإيمان".
(١٩٨٤) أخرجه الطبري:٤٦٨،٢١-٤٦٩، وعبدالرزاق في التفسير(٢٧١٠):ص١٥٥/٣.
(١٩٨٥) حكاه عنه ابن كثير في التفسير: ١٨٠/٧.
(١٩٨٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٣٢٥/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(١٩٨٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٩/٢١.
(١٩٨٨) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١١٨):ص٦٠/٢.
(١٩٨٩)صحيح مسلم برقم (٣٨٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه.
(١٩٩٠)رواه أحمد في مسنده (٢٣٢/٢) وأبو داود في السنن برقم (٥/٨) والترمذي في السنن برقم (٢٠٧).
(١٩٩١) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٧٩/٧.
(١٩٩٢) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٧٩/٧.

يأتي على الناس زمان يتركون الأذان على ضعفائهم ، وتلك لحوم حرمها الله على النار ، لحوم المؤذنين"[(١٩٩٣)].

عن قيس بن أبي حازم، في قول الله: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ}، قال: المؤذن، "{وَعَمِلَ صَالِحًا}، قال: الصلاة ما بين الأذان إلى الإقامة"[(١٩٩٤)].

عن الليث بن سعد:" أن عائشة زوج النبي، قالت: "ما أحسب هذه الآية إلا في المؤذنين: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}"[(١٩٩٥)].

قال ابن وهب: "وسمعت معاوية بن صالح يذكر ذلك عن عائشة زوج النبي عليه السلام"[(١٩٩٦)].

روى جابر بن عبد الله عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: «نزلت في المؤذنين»[(١٩٩٧)].

قال ابن عطية:" ومعنى القول بأنها في المؤذنين أنهم داخلون فيها، وأما نزولها فبمكة بلا خلاف ولم يكن بمكة آذان وإنما ترتب بالمدينة، وأن الآذان لمن الدعاء إلى الله تعالى ولكنه جزء منه. والدعاء إلى الله بقوة كجهاد الكفار وردع الطغاة وكف الظلمة وغيره أعظم غناء من تولي الاذان إذ لا مشقة فيه والأصوب أن يعتقد أن الآية نزلت عامة"[(١٩٩٨)].

قال ابن كثير:" الصحيح أن الآية عامة في المؤذنين وفي غيرهم ، فأما حال نزول هذه الآية فإنه لم يكن الأذان مشروعا بالكلية ؛ لأنها مكية ، والأذان إنما شرع بالمدينة بعد الهجرة ، حين أريه عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري في منامه ، فقصه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمره أن يلقيه على بلال فإنه أندى صوتا ، كما هو مقرر في موضعه ، فالصحيح إذًا أنها عامة"[(١٩٩٩)].

عن فضيل بن أبي رفيدة قال: "قال لي عاصم بن هبيرة -وكان من أصحاب ابن مسعود، وكنت مؤذنا-: إذا فرغت من الأذان، وقلت: لا إله إلا الله، فقل: وأنا من المسلمين، ثم قرأ هذه الآية: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صالِحاً وَقالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}"[(٢٠٠٠)].

الثالث: أنه المؤمن عمل صالحا ودعا إلى الله تعالى، قاله الحسن[(٢٠٠١)].

الرابع: أنه في المجاهدين، والمعنى: دعا إلى الله بالسيف. قاله زيد بن علي[(٢٠٠٢)].

والصحيح أن الآية عامة في كل داع يدعو إلى الله تعالى. والله أعلم.

قال ابن عطية:" هو لفظ يعم كل من دعا قديما وحديثا إلى الله تعالى وإلى طاعته من الأنبياء والمؤمنين، والمعنى: لا أحد أحسن قولا ممن هذه حاله"[(٢٠٠٣)].

قال ابن كثير:" وهذه عامة في كل من دعا إلى خير، وهو في نفسه مهتد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أولى الناس بذلك"[(٢٠٠٤)].

(١٩٩٣) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٨٠/٧، ورواه الإسماعيلي في مسنده كما في مسند عمر لابن كثير (١٤٤/١) من طريق إبراهيم بن طهمان عن مطر عن الحسن البصري عن عمر به والحسن لم يسمع من عمر.

(١٩٩٤) أخرجه الطبري: ٤٦٩/٢١.

(١٩٩٥) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١١٨):ص٦٠/٢، وانظر: الدر المنثور: ٣٢٥/٧، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن مردويه.

(١٩٩٦) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١١٨):ص٦٠/٢.

(١٩٩٧) انظر: زاد المسير: ٥٢/٤، ولم أقف عليه في شيء من كتب التفسير والأثر.

(١٩٩٨) المحرر الوجيز: ١٥/٥.

(١٩٩٩) تفسير ابن كثير: ١٨٠/٧.

(٢٠٠٠) رواه النحاس في إعراب القرآن: ٤٣/٤، وانظر: المحرر الوجيز: ١٦/٥.

(٢٠٠١) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٣٢٥/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر، وانظر: زاد المسير: ٥٢/٤.

(٢٠٠٢) حكاه عنه ابن عطية في المحرر الوجيز: ١٦/٥.

(٢٠٠٣) المحرر الوجيز: ١٥/٥.

قرأ الجمهور: «إنني» بنونين. وقرأ ابن أبي عبلة: «إني» بنون واحدة[2005].

قوله تعالى:{وَعَمِلَ صَالِحًا} [فصلت : ٣٣]، أي:" وعمل عملا صالحًا"[2006].

قال أبو السعود:أي:" فيما بينه وبين ربه"[2007].

قال السعدي:" أي: مع دعوته الخلق إلى الله، بادر هو بنفسه، إلى امتثال أمر الله، بالعمل الصالح، الذي يُرْضِي ربه"[2008].

قال ابن كثير:" أي : وهو في نفسه مهتد بما يقوله ، فنفعه لنفسه ولغيره لازم ومُتَعَدٍ ، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه ، وينهون عن المنكر ويأتونه ، بل يأتمر بالخير ويترك الشر ، ويدعو الخلق إلى الخالق تبارك وتعالى"[2009].

قال ابن العربي:" قالوا: هي الصلاة، وإنه لحسن وإن كان المراد به كل عمل صالح، ولكن الصلاة أجله، والمراد أن يتبع القول العمل"[2010].

قوله تعالى:{وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [فصلت : ٣٣]، أي:" وقال: إنني من المسلمين المنقادين لأمر الله وشرعه"[2011].

قال مقاتل:" يعني: المخلصين، يعني: النبي- صلى الله عليه وسلم-"[2012].

قال أبو السعود:" {وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}ابتهاجا بأنه منهم أو اتخاذا للإسلام دينا ونحلة من قولهم هذا قول فلان أي مذهبه لا أنه تكلم بذلك"[2013].

قال السعدي:" أي: المنقادين لأمره، السالكين في طريقه، وهذه المرتبة، تمامها للصديقين، الذين عملوا على تكميل أنفسهم وتكميل غيرهم، وحصلت لهم الوراثة التامة من الرسل، كما أن من أشر الناس، قولا من كان من دعاة الضالين السالكين لسبله.

وبين هاتين المرتبتين المتباينتين، اللتين ارتفعت إحداهما إلى أعلى عليين، ونزلت الأخرى، إلى أسفل سافلين، مراتب، لا يعلمها إلا الله، وكلها معمورة بالخلق {وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ}"[2014].

قال الزمخشري:" قوله: {وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}، ليس الغرض أنه تكلم بهذا الكلام، ولكن جعل دين الإسلام مذهبه ومعتقده، كما تقول: هذا قول أبى حنيفة، تريد مذهبه"[2015].

قال ابن العربي:" لما كان الدعاء بالقول، والسيف يكون للاعتقاد، ويكون للحجة، وكان العمل يكون للرياء والإخلاص، دل على أنه لا بد من التصريح بالاعتقاد لله في ذلك كله، وأن العمل لوجهه، {وقال إنني من المسلمين}، ولم يقل: له إن شاء الله، وفي ذلك رد على من يقول: أنا مسلم إن شاء الله"[2016].

قال الفخر الرازي في الآية:" الآية تدل على أن أحسن الأقوال قول من جمع بين خصال ثلاثة:

أولها: الدعوة إلى الله.

وثانيها: العمل الصالح.

(٢٠٠٤) تفسير ابن كثير: ١٧٩/٧.

(٢٠٠٥) انظر: المحرر الوجيز: ١٦/٥.

(٢٠٠٦) التفسير الوسيط: ٧٠٥/٨. مجمع البحوث.

(٢٠٠٧) تفسير ابي السعود: ١٤/٨.

(٢٠٠٨) تفسير السعدي: ٧٤٩.

(٢٠٠٩) تفسير ابن كثير: ١٧٩/٧.

(٢٠١٠) أحكام القرآن: ٨٥/٤.

(٢٠١١) التفسير الميسر: ٤٨٠.

(٢٠١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٤٣/٣.

(٢٠١٣) تفسير ابي السعود: ١٤/٨.

(٢٠١٤) تفسير السعدي: ٧٤٩.

(٢٠١٥) الكشاف: ١٩٩/٤.

(٢٠١٦) أحكام القرآن: ٨٥/٤.

وثالثها: أن يكون من المسلمين.

أما الدعوة إلى الله: فهي عبارة عن الدعوة إلى الله بإقامة الدلائل اليقينية والبراهين القطعية.

وأما قوله: {وعمل صالحا}، فاعلم أن العمل الصالح إما أن يكون عمل القلوب وهو المعرفة، أو عمل الجوارح وهو سائر الطاعات.

وأما قوله: {وقال إنني من المسلمين}، فهو أن ينضم إلى عمل القلب وعمل الجوارح الإقرار باللسان، فيكون هذا الرجل موصوفا بخصال أربعة:

أحدها: الإقرار باللسان.

والثاني: الأعمال الصالحة بالجوارح.

والثالث: الاعتقاد الحق بالقلب.

والرابع: الاشتغال بإقامة الحجة على دين الله.

ولا شك أن الموصوف بهذه الخصال الأربعة أشرف الناس وأفضلهم، وكمال الدرجة في هذه المراتب الأربعة ليس إلا لمحمد صلى الله عليه وسلم"(٢٠١٧).

عن عاصم بن هُبَيرة، قال: "إذا فرغت مِن أذانِك فقُل: لا إله إلا الله، والله أكبر، وأنا من المسلمين. ثم قرأ: {وَمَن أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعا إلى اللَّهِ وعَمِلَ صالِحًا وقالَ إنَّنِي مِنَ المُسْلِمِينَ}"(٢٠١٨).

القرآن

{وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)} [فصلت : ٣٤-٣٥]

التفسير:

ولا تستوي حسنة الذين آمنوا بالله، واستقاموا على شرعه، وأحسنوا إلى خلقه، وسيئة الذين كفروا به وخالفوا أمره، وأساؤوا إلى خلقه. ادفع -أيها الرسول- بعفوك وحلمك وإحسانك مَن أساء إليك، وقابل إساءته لك بالإحسان إليه، فبذلك يصير المسيء إليك الذي بينك وبينه عداوة كأنه قريب لك شفيق عليك. وما يُوفَّق لهذه الخصلة الحميدة إلا الذين صبروا على المكاره والأذى، وحملوا أنفسهم على ما يحبه الله، وما يُوفَّق لها إلا ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة.

سبب النزول:

قال مقاتل:" وذلك أن أبا جهل كان يؤذي النبي- صلى الله عليه وسلم- وكان النبي مبغضا له يكره رؤيته فأمر بالعفو والصفح"(٢٠١٩).

قوله تعالى:{وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ} [فصلت : ٣٥]، أي:" ولا تستوي حسنة الذين آمنوا بالله، واستقاموا على شرعه، وأحسنوا إلى خلقه، وسيئة الذين كفروا به وخالفوا أمره، وأساؤوا إلى خلقه"(٢٠٢٠).

قال الطبري:يقول:" ولا تستوي حسنة الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، فأحسنوا في قولهم، وإجابتهم وبهم إلى ما دعاهم إليه من طاعته، ودعوا عباد الله إلى مثل الذي أجابوا ربهم إليه، وسيئة الذين قالوا: {لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ}، فكذلك لا تستوي عند الله أحوالهم ومنازلهم، ولكنها تختلف كما وصف جلّ ثناؤه أنه خالف بينهما"(٢٠٢١).

(٢٠١٧) مفاتيح الغيب: ٥٦٤/٢٧.

(٢٠١٨)أخرجه سعيد بن منصور في سننه -التفسير ٧/ ٢٤١ (١٨٩٣)، والثعلبي ٨/ ٢٩٧.

(٢٠١٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٤٣/٣.

(٢٠٢٠) التفسير الميسر: ٤٨٠.

(٢٠٢١) تفسير الطبري: ٤٧٠/٢١.

قال الطبري:وإنما معناه" ولا يستوي الإيمان بالله والعمل بطاعته والشرك به والعمل بمعصيته"[٢٠٢٢].

قال ابن كثير:" أي : فرق عظيم بين هذه وهذه"[٢٠٢٣].

قال السمعاني:" أما «الحسنة والسيئة»، ففيهما أقوال: أحدها: أنهما التوحيد والشرك، والآخر: أنهما العفو والانتصار، والثالث: أنهما المداراة والغلظة. والرابع: أنهما الصبر والجزع. والخامس: أنهما الحلم عند الغضب والسفه"[٢٠٢٤].

قوله تعالى:{ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [فصلت : ٣٥]، أي:" ادفع -أيها الرسول- بعفوك وحلمك وإحسانك مَن أساء إليك، وقابل إساءته لك بالإحسان إليه"[٢٠٢٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: ادفع يا محمد بحلمك جهل من جهل عليك، ويعفوك عمن أساء إليك إساءة المسيء، وبصبرك عليهم مكروه ما تجد منهم، ويلقاك من قِبلهم"[٢٠٢٦].

قال السمعاني:" أي: ادفع السيئة بالخلة التي هي أحسن، والخلة هي أحسن الحلم عند الغضب، والعفو عند القدرة، والصبر عند البلاء، وما أشبه ذلك"[٢٠٢٧].

قال ابن كثير:"أي : من أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه ، كما قال عمر -رضي الله عنه- ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه"[٢٠٢٨].

قال ابن عباس:" أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوُّهم، كأنه وليّ حميم"[٢٠٢٩].

وقال عن عطاء: "{ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}، قال: بالسلام"[٢٠٣٠].

قال مجاهد:" السلام عليك إذا لقيته"[٢٠٣١].

قال السمعاني:" ومعناه: أنه يسلم على من يؤذيه، ولا يقابله بالأذى"[٢٠٣٢].

قال أبو هلال العسكري:" أمره بالصفح والتغافل"[٢٠٣٣].

قال هبة الله بن سلامة:" {وَلا تَستَوي الحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ}: هذا محكم، والمنسوخ قوله تعالى: {إدفَع بِالتّي هِيَ أحسَنُ}، نسختها آية السيف"[٢٠٣٤].

قوله تعالى:{فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [فصلت : ٣٥]، أي:" فبذلك يصير المسيء إليك الذي بينك وبينه عداوة كأنه قريب لك شفيق عليك"[٢٠٣٥].

قال الطبري:يقول:" افعل هذا الذي أمرتك به يا محمد من دفع سيئة المسيء إليك بإحسانك الذي أمرتك به إليه، فيصير المسيء إليك الذي بينك وبينه عداوة، كأنه من ملاطفته إياك. وبرّه لك، وليّ لك من بني أعمامك، قريب النسب بك، والحميم: هو القريب"[٢٠٣٦].

(٢٠٢٢) تفسير الطبري: ٤٧١/٢١.
(٢٠٢٣) تفسير ابن كثير: ١٨١/٧.
(٢٠٢٤) تفسير السمعاني: ٥٢/٥.
(٢٠٢٥) التفسير الميسر: ٤٨٠.
(٢٠٢٦) تفسير الطبري: ٤٧١/٢١.
(٢٠٢٧) تفسير السمعاني: ٥٢/٥.
(٢٠٢٨) تفسير ابن كثير: ١٨١/٧.
(٢٠٢٩) أخرجه الطبري: ٤٧١/٢١.
(٢٠٣٠) أخرجه الطبري: ٤٧١/٢١.
(٢٠٣١) أخرجه الطبري: ٤٧١/٢١.
(٢٠٣٢) تفسير السمعاني: ٥٢/٥.
(٢٠٣٣) الأشباه والنظائر: ١٧٣.
(٢٠٣٤) الناسخ والمنسوخ: ١٥٣.
(٢٠٣٥) التفسير الميسر: ٤٨٠.
(٢٠٣٦) تفسير الطبري: ٤٧١/٢١.

قال ابن كثير:" وهو الصديق ، أي : إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادته تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك ومحبتك ، والحنو عليك ، حتى يصير كأنه ولي لك حميم أي : قريب إليك من الشفقة عليك والإحسان إليك"[٢٠٣٧].

عن قتادة :"{كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}، أي: كأنه وليّ قريب"[٢٠٣٨].

قال الزجاج:" الحميم: القريب"[٢٠٣٩].

قوله تعالى:{وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا} [فصلت : ٣٥]، أي:" وما يُوفَّق لهذه الخصلة الحميدة إلا الذين صبروا على المكاره والأذى، وحملوا أنفسهم على ما يحبه الله"[٢٠٤٠].

قال الطبري: يقول:" وما يعطى دفع السيئة بالحسنة إلا الذين صبروا لله على المكاره، والأمور الشاقة"[٢٠٤١].

قال الزجاج:" أي: ما يلقى مجازاة هذا، أي: وما يلقى هذه الفعلة {إِلَّا الَّذِينَ} يكظمون الغيظ"[٢٠٤٢].

قال السمعاني:" أي: وما يؤتى هذه الخصلة، وهي دفع السيئة بالحسنة إلا الذين صبروا على أوامر الله"[٢٠٤٣].

قال ابن كثير:" أي : وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها إلا من صبر على ذلك ، فإنه يشق على النفوس"[٢٠٤٤].

قال الحسن:" واللهِ، لا يصيبها صاحبُها حتى يكظِم غيظًا، ويصفح عن بعض ما يكره"[٢٠٤٥].

قوله تعالى:{وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} [فصلت : ٣٥]، أي:" وما يُوفَّق لها إلا ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرة"[٢٠٤٦].

قال الفراء:" يريد ما يلقى دفع السيئة بالحسنة إلا من هو صابر، أو ذو حظ عظيم"[٢٠٤٧].

قال الطبري:"يقول: وما يلقى هذه إلا ذو نصيب وجدّ له سابق في المبرات عظيم"[٢٠٤٨].

قال السمعاني:" أي: ذو نصيب وافر من الدين"[٢٠٤٩].

قال ابن كثير:" أي : ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والآخرى"[٢٠٥٠].

قال ابن عباس:" يقول: الذين أعدّ الله لهم الجنة"[٢٠٥١].

عن السديّ، قوله: "{وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}: ذو جدّ"[٢٠٥٢].

قال قتادة:" والحظّ العظيم: الجنة"[٢٠٥٣].

(٢٠٣٧) تفسير ابن كثير: ١٨١/٧.
(٢٠٣٨) أخرجه الطبري: ٤٧٢/٢١.
(٢٠٣٩) معاني القرآن: ٣٨٦/٤.
(٢٠٤٠) التفسير الميسر: ٤٨٠.
(٢٠٤١) تفسير الطبري: ٤٧٢/٢١.
(٢٠٤٢) معاني القرآن: ٣٨٦/٤.
(٢٠٤٣) تفسير السمعاني: ٥٣/٥.
(٢٠٤٤) تفسير ابن كثير: ١٨١/٧.
(٢٠٤٥) الدر المنثور: ٣٢٧/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٢٠٤٦) التفسير الميسر: ٤٨٠.
(٢٠٤٧) معاني القرآن: ١٨/٣.
(٢٠٤٨) تفسير الطبري: ٤٧٢/٢١.
(٢٠٤٩) تفسير السمعاني: ٥٣/٥.
(٢٠٥٠) تفسير ابن كثير: ١٨١/٧.
(٢٠٥١) أخرجه الطبري: ٤٧٣/٢١.
(٢٠٥٢) أخرجه الطبري: ٤٧٢/٢١. قال السماني٥٣/٥:" والجد: هو البخت".

قال الزجاج:" الحظ –ههنا-: الجنَّة، أي: وما يلقاها إلا من وجبت له الجنة. ومعنى {ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}، أي: حَظٍّ عَظِيمٍ في الخير"[2054].

القرآن
{وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦)} [فصلت : ٣٦]
التفسير:
وإما يلقينَّ الشيطان في نفسك وسوسة من حديث النفس لحملك على مجازاة المسيء بالإساءة، فاستجر بالله واعتصم به، إن الله هو السميع لاستعاذتك به، العليم بأمور خلقه جميعها.

قوله تعالى:{وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ} [فصلت : ٣٦]، أي:" وإما يلقينَّ الشيطان في نفسك وسوسة من حديث النفس لحملك على مجازاة المسيء بالإساءة، فاستجر بالله واعتصم به"[2055].

قال مقاتل:" يعني: وإما يفتننك {من الشَّيْطان} فتنة فِي أمر أَبي جهل {فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ}"[2056].

قال الفراء:" يقول: يصدنك عن أمرنا إياك يدفع بالحسنة السيئة، {فاستعذ بالله} تعوذ به"[2057].

قال الزجاج:" يقول: إن نزغك مِنَ الشيطان ما يصرفك به عن الاحتمال، {فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ} من شرِّه وامض على حلمك"[2058].

قال الطبري: يقول:" وإما يلقين الشيطان يا محمد في نفسك وسوسة من حديث النفس إرادة حملك على مجازاة المسيء بالإساءة، ودعائك إلى مساءته، فاستجر بالله واعتصم من خطواته"[2059].

قال ابن كثير:" أي : إن شيطان الإنس ربما ينخدع بالإحسان إليه، فأما شيطان الجن فإنه لا حيلة فيه إذا وسوس إلا الاستعاذة بخالقه الذي سلطه عليك ، فإذا استعذت بالله ولجأت إليه ، كفه عنك ورد كيده. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا قام إلى الصلاة يقول : «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه»[2060]"[2061].

قال أبو عبيدة:معناه:" وإما يستخفنك منه خفة وغضب وعجلة، ومنه قولهم: نزغ الشّيطان بينهم أي أفسد وحمل بعضهم على بعض"[2062].

عن السديّ: "{وَإِمَّا يَنزغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَان نزغٌ}، قال: وسوسة وحديث النفس"[2063].

(٢٠٥٣) أخرجه الطبري: ٤٧٢/٢١.
(٢٠٥٤) معاني القرآن: ٣٨٦/٤.
(٢٠٥٥) التفسير الميسر: ٤٨٠.
(٢٠٥٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٢/٢.
(٢٠٥٧) معاني القرآن: ١٨/٣.
(٢٠٥٨) معاني القرآن: ٣٨٧/٤.
(٢٠٥٩) تفسير الطبري: ٤٧٣/٢١.
(٢٠٦٠) المسند(١٦٧٨٤):ص٣٣٩/٢٧، ومسند ابن الجعد (١٠٥):ص٣٢، مصنف ابن ابي شيبة(٢٣٩٦):ص٢٠٩/١، وابن ماجة(٨٠٧):ص٢٦٥/١، من حديث نافع بن جبير بن مطعم، عن أبيه، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل في صلاة، فقال: «الله أكبر كبيرا، الله أكبر كبيرا، الله أكبر كبيرا، الحمد لله بكرة وأصيلا - ثلاثا - سبحان الله بكرة وأصيلا - ثلاثا - اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه».
وأخرجه أحمد في المسند(١١٤٧٣):ص١٨/٥١-٥٢، وأبو داود في السنن(٧٧٥):٢٠٦/١، من حديث ابي سعيد الخدري-رضي الله عنه-.[في إسناده جعفر بن سليمان: هو الضبعي، تفرد بهذا الحديث، وهو مختلف فيه].
(٢٠٦١) تفسير ابن كثير: ١٨١/٧.
(٢٠٦٢) مجاز القرآن: ٢٣٦/١.
(٢٠٦٣) أخرجه الطبري: ٤٧٣/٢١.

عن ابن وهب:" قال ابن زيد {وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نزغٌ}، هذا الغضب"[2064].

قال الراغب:" الغضب: ثوران دم القلب إرادة الانتقام، ولذلك قال عليه السلام: «اتقوا الغضب فإنه جمرة توقد في قلب ابن آدم، ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه»[2065]"[2066].

قال ابن العربي:" كان موسى من أعظم الناس غضبا؛ لكنه كان سريع الفيئة، فتلك بتلك"[2067].

قال ابن القاسم:" سمعت مالكا يقول: كان موسى إذا غضب طلع الدخان من قلنسوته، ورفع شعر بدنه جبته؛ وذلك لأن الغضب جمرة تتوقد في القلب، ولأجله «أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - من غضب أن يضطجع، فإن لم يذهب غضبه فليغتسل؟»[2068] فيخمدها اضطجاعه، ويطفئها اغتساله"[2069].

عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف قال:" أخبرنى رجل من أصحاب النبى - صلى الله عليه وسلم - أن رجلا قال يا رسول الله حدثنى بكلمات أعيش بهن ولا تكثر على قال:«اجتنب الغضب»"[2070].

وفي الحيث:"إذا أراد الله بأهل بيت خيرا أدخل عليهم الرفق"[2071].

وفي الحديث:«أتحسبون الشدة فى حمل الحجارة، إنما الشدة فى أن يمتلئ أحدكم غيظا ثم يغلبه»[2072].

قوله تعالى:{إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [فصلت : 36]، أي:" إن الله هو السميع لاستعاذتك به، العليم بأمور خلقه جميعها"[2073].

(٢٠٦٤) أخرجه الطبري: ٤٧٣/٢١.

(٢٠٦٥)الحديث عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم، أما رأيتم إلى حمرة عينيه، وانتفاخ أوداجه، فمن أحس بشيء من ذلك فليلصق بالأرض» .

أخرجه الترمذي من حديث طويل، وقال: حسن صحيح (انظر: كتاب الفتن في عارضة الأحوذي ٩/ ٤٣) ، وتخريج أحاديث الإحياء ٤/ ١٨٠٢، ومسند أحمد ٣/ ١٩، وعبد الرزاق في المصنف ١١/ ٣٤٧.

(٢٠٦٦) المفردات في غريب القرآن: ٦٠٨.

(٢٠٦٧) احكام القرآن: ٣٢٤/٢.

(٢٠٦٨) الحدث:« إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع».

أخرجه أحمد (١٥٢/٥، رقم ٢١٣٨٦) ، وأبو داود (٢٤٩/٤، رقم ٤٧٨٢) وابن حبان (٥٠١/١٢، رقم ٥٦٨٨) . وأخرجه أيضا: أبو يعلى كما فى إتحاف الخيرة المهرة (٤٠٦/٧، رقم ١٧٥٨).

وفي الحديث:« إذا غضب الرجل فقال أعوذ بالله سكن غضبه».

أخرجه ابن عدى (٢٥٦/٥، ترجمة ١٤٠٣ عيسى بن سليمان بن دينار).

وفي الحديث:« إذا غضبت فاجلس».

أخرجه الخرائطى فى مساوئ الأخلاق (ص ١٣٨، رقم ٣٤٦).

وفي الحديث:«إذا غضبت فاقعد فإن لم يذهب غضبك فاضطجع فإنه سيذهب».

الديلمى عن أبى ذر.[كما في حامع الاحاديث(٢٣٨٩):ص٣٧٤/٣].

(٢٠٦٩)احكام القرآن لابن العربي: ٣٢٤/٢.

(٢٠٧٠)أخرجه ابن عساكر من طريق ابن أبى الدنيا (٤٦/٦٤) . وأخرجه أيضا: أحمد (٤٠٨/٥، رقم ٢٣٥١٥) ، وابن أبى شيبة (٢١٧/٥، رقم ٢٥٣٨٦).

(٢٠٧١)حديث عائشة: أخرجه أحمد (٧١/٦، رقم ٢٤٤٧١) ، والبخارى فى التاريخ الكبير (٤١٦/١) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٢٥٣/٥، رقم ٦٥٦٠) . وأخرجه أيضا: البغوى فى الجعديات (٤٩٥/١، رقم ٣٤٥٣) .

حديث جابر: أخرجه البزار كما فى كشف الأستار (٤٠٤/٢ رقم ١٩٦٥) قال الهيثمى (١٩/٨) رجاله رجال الصحيح.

(٢٠٧٢)أخرجه أيضا: ابن المبارك فى الزهد (٢٥٦/١، رقم ٧٤٠) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٣٠٦/٦، رقم ٨٢٧٦).

(٢٠٧٣) التفسير الميسر: ٤٨٠.

قال الطبري: يقول:" إن الله هو السميع لاستعاذتك منه واستجارتك به من نزغاته، ولغير ذلك من كلامك وكلام غيرك، العليم بما ألقى في نفسك من نزغاته، وحدثتك به نفسك ومما يذهب ذلك من قبلك، وغير ذلك من أمورك وأمور خلقه"(٢٠٧٤).

قال محمد ابن إسحاق:"أي: سميع ما يقولون، عليم بما يخفون"(٢٠٧٥).

عن قتادة، قوله:"{وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ} [الأعراف : ٢٠٠]، قال: علم الله أن هذا العدو مبتغ ومريد"(٢٠٧٦).

أخرج ابن ابي حاتم بسنده عن أبي سليمان الداراني، قال: "لولا أن الله تبارك وتعالى أمرنا بالتعوذ من الشيطان ما تعوذت منه أبدا لأنه لا يملك ضرا ولا نفعا، وكان أبو سليمان لا يذكر قبلها من الشيطان اتباعا لقول الله عز وجل"(٢٠٧٧).

قال قتادة:" ذُكِر لنا: أنّ نبيَّ الله - صلى الله عليه وسلم - بينما هو يصلي إذ جعل يَسْنُد حتى يستلم السارية، ثم يقول: «ألعنك بلعنة الله التامة». فقال له بعض أصحابه: يا نبيَّ الله، ما شيءٌ رأيناك تصنعه؟ قال: «أتاني الشيطانُ بشِهاب مِن نار لِيحرقني به، فلعنتُه بلعنة الله التامة، فانكبّ لِفِيه، وطَفِئتْ ناره»"(٢٠٧٨).

فوائد الآيات:[٣٣-٣٦]:

١- بيان فضل الدعوة إلى الله تعالى وشرف الدعاة العاملين.

٢- فضل الإسلام والاعتزاز به والتفاخر الصادق به.

٣- تقرير أن الحسنة لا تتساوى مع السيئة. كما أن الحسنات تتفاوت والسيئات تتفاوت.

٤- وجوب دفع السيئة من الأخ المسلم بالحسنة من القول والفعل.

٥- فضل العبد الذي يكمل في نفسه وخلقه فيصبح يدفع السيئة بالحسنة.

٦- وجوب الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم إذا وسوس أو ألقى بخاطر سوء إذ لا يقي منه ولا يحفظ إلا الله السميع العليم.

القرآن

{وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧)} [فصلت : ٣٧]

التفسير:

ومِن حجج الله على خلقه، ودلائله على وحدانيته وكمال قدرته اختلاف الليل والنهار، وتعاقبهما، واختلاف الشمس والقمر وتعاقبهما، كل ذلك تحت تسخيره وقهره. لا تسجدوا للشمس ولا للقمر- فإنهما مدَبَّران مخلوقان- واسجدوا لله الذي خلقهن، إن كنتم حقًّا منقادين لأمره سامعين مطيعين له، تعبدونه وحده لا شريك له.

قوله تعالى:{وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ} [فصلت : ٣٧]، أي:" ومِن حجج الله على خلقه، ودلائله على وحدانيته وكمال قدرته اختلاف الليل والنهار، وتعاقبهما، واختلاف الشمس والقمر وتعاقبهما، كل ذلك تحت تسخيره وقهره"(٢٠٧٩).

قال الطبري: يقول:" ومن حجج الله تعالى على خلقه ودلالته على وحدانيته، وعظيم سلطانه، اختلاف الليل والنهار، ومعاقبة كلّ واحد منهما صاحبه، والشمس والقمر، لا الشمس تدرك القمر {وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}"(٢٠٨٠).

(٢٠٧٤) تفسير الطبري: ٤٧٣/٢١.

(٢٠٧٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٩٢):ص١٦٤٠/٥.

(٢٠٧٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٢٣):ص١٦٣٩/٥.

(٢٠٧٧) تفسير ابن ابي حاتم(٨٦٩٢):ص١٦٤٠/٥.

(٢٠٧٨) الدر المنثور: ٣٢٨/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وَابْن الْمُنْذر.

(٢٠٧٩) التفسير الميسر: ٤٨٠.

(٢٠٨٠) تفسير الطبري: ٤٧٣/٢١-٤٧٤.

قال الزجاج:" {وَمِنْ آيَاتِهِ}، أي: مِنْ عَلاَمَاتِهِ التي تَدُلُّ على أنه واحد"[2081].

قال ابن كثير:" يقول تعالى منبها خلقه على قدرته العظيمة ، وأنه الذي لا نظير له وأنه على ما يشاء قادر ، {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ}، أي : أنه خلق الليل بظلامه ، والنهار بضيائه ، وهما متعاقبان لا يقران ، والشمس ونورها وإشراقها ، والقمر وضياءه وتقدير منازله في فلكه ، واختلاف سيره في سمائه ، ليُعرف باختلاف سيره وسير الشمس مقادير الليل والنهار ، والجمع والشهور والأعوام ، ويتبين بذلك حلول الحقوق ، وأوقات العبادات والمعاملات. ثم لما كان الشمس والقمر أحسن الأجرام المشاهدة في العالم العلوي والسفلي ، نبه تعالى على أنهما مخلوقان عبدان من عبيده ، تحت قهره وتسخير"[2082].

عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تسبوا الليل ولا النهار ، ولا الشمس ولا القمر ، ولا الرياح فإنها ترسل رحمة لقوم ، وعذابا لقوم"[2083].

عن ابن جريج: في قوله {ومن آياته}، قال: "كل شيء في القرآن آيات، بذلك تعرفون الله إنكم لن تروه فتعرفونه على رؤية ولكن تعرفون بآياته وخلقه"[2084].

قوله تعالى:{لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ} [فصلت : ٣٧]، أي:" لا تسجدوا للشمس ولا للقمر- فإنهما مدَبَّران مخلوقان- واسجدوا لله الذي خلقهن"[2085].

قال الطبري: يقول:" لا تسجدوا أيها الناس للشمس ولا للقمر، فإنهما وإن جريا في الفلك بمنافعكم، فإنما يجريان به لكم بإجراء الله إياهما لكم طائعين له في جريهما ومسيرهما، لا بأنهما يقدران بأنفسهما على سير وجري دون إجراء الله إياهما وتسييرهما، أو يستطيعان لكم نفعا أو ضرّا، وإنما الله مسخرهما لكم لمنافعكم ومصالحكم، فله فاسجدوا، وإياه فاعبدوا دونها، فإنه إن شاء طمس ضوءهما، فترككم حيارى في ظلمة لا تهتدون سبيلا ولا تبصرون شيئا"[2086].

قوله تعالى:{إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [فصلت : ٣٧]، أي:" إن كنتم حقًّا منقادين لأمره سامعين مطيعين له، تعبدونه وحده لا شريك له"[2087].

قال الطبري:" يقول: إن كنتم تعبدون الله، وتذلون له بالطاعة; وإن من طاعته أن تخلصوا له العبادة، ولا تشركوا في طاعتكم إياه وعبادتكموه شيئا سواه، فإن العبادة لا تصلح لغيره ولا تنبغي لشيء سواه"[2088].

قال ابن كثير:" أي : ولا تشركوا به فما تنفعكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره ، فإنه لا يغفر أن يشرك به"[2089].

قال الشافعي رحمه الله: فذكر الله - عز وجل الآيات[2090]، ولم يذكر معها سجودا إلا مع الشمس والقمر، وأمر بأن لا يسجد لهما، وأمر بأن يسجد له، فاحتمل أمره أن يسجد له عند ذكر الشمس والقمر، بأن يأمر بالصلاة عند حادث في الشمس والقمر، واحتمل أن يكون إنما نهي عن السجود لهما، كما نهي عن عبادة ما سواه، فدلت سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أن يصلى لله عند كسوف الشمس والقمر

القرآن

(٢٠٨١) معاني القرآن: ٣٨٧/٤.
(٢٠٨٢) تفسير ابن كثير: ١٨٢/٧.
(٢٠٨٣)مسند أبي يعلى (١٣٩/٤) ، قال الهيثمي في المجمع (٧١/٨) : "إسناده ضعيف".
(٢٠٨٤) الدر المنثور: ٤٩٠/٦، وعزاه إلى ابن المنذر.
(٢٠٨٥) التفسير الميسر: ٤٨٠.
(٢٠٨٦) تفسير الطبري: ٤٧٤/٢١.
(٢٠٨٧) التفسير الميسر: ٤٨٠.
(٢٠٨٨) تفسير الطبري: ٤٧٤/٢١.
(٢٠٨٩) تفسير ابن كثير: ١٨٢/٧.
(٢٠٩٠) أي: الآيتين:٣٧، و٣٨.

{فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ (٣٨)} [فصلت : ٣٨]

التفسير:

فإن استكبر هؤلاء المشركون عن السجود لله، فإن الملائكة الذين عند ربك لا يستكبرون عن ذلك، بل يسبحون له، وينزِّهونه عن كل نقص بالليل والنهار، وهم لا يَفْتُرون عن ذلك، ولا يملون.

قوله تعالى:{فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا} [فصلت : ٣٨]، أي:" فإن استكبر هؤلاء المشركون عن السجود لله"(٢٠٩١).

قال الطبري: يقول: " فإن استكبر يا محمد هؤلاء الذين أنت بين أظهرهم من مشركي قريش، وتعظموا عن أن يسجدوا لله الذي خلقهم وخلق الشمس والقمر"(٢٠٩٢).

قال ابن كثير:" {فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا} أي : عن إفراد العبادة له وأبوا إلا أن يشركوا معه غيره"(٢٠٩٣).

قال الزجاج:" هذه خطاب لمحمد - صلى الله عليه وسلم -، والمعنى: فإن استكبروا وَلَمْ يُوحِّدُوا اللَّهَ ويعْبُدوه ويؤمنوا برسوله"(٢٠٩٤).

قوله تعالى:{فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} [فصلت : ٣٨]، أي:" فإن الملائكة الذين عند ربك لا يستكبرون عن ذلك، بل يسبحون له، وينزِّهونه عن كل نقص بالليل والنهار"(٢٠٩٥).

قال الطبري: يقول: " فإن الملائكة الذين عند ربك لا يستكبرون عن ذلك، ولا يتعظمون عنه، بل يسبحون له، ويصلون ليلا ونهارًا"(٢٠٩٦).

قال الزجاج:" {الَّذِينَ}، -ههنا- يعنى به: الملائكة، أي: فالملائكة {يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} "(٢٠٩٧).

قال الواحدي:" يعني: الملائكة، {يسبحون له بالليل والنهار} يصلون له، وينزهونه عن السوء"(٢٠٩٨).

قال ابن كثير:" {فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ} يعني : الملائكة ، {يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لا يَسْأَمُونَ} ، كقوله {فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ} [الأنعام : ٨٩]"(٢٠٩٩).

قوله تعالى:{وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ} [فصلت : ٣٨]، أي:" وهم لا يَفْتُرون عن عبادته، ولا يملون"(٢١٠٠).

قال الزجاج:" لاَ يَمَلُّون"(٢١٠١).

قال الطبري: " يقول: وهم لا يفترون عن عبادتهم، ولا يملون الصلاة له"(٢١٠٢).

عن ابن عباس، قوله: "{فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ}، قال: يعني: محمدا، يقول: عبادي، ملائكة صافون يسبحون ولا يستكبرون"(٢١٠٣).

(٢٠٩١) التفسير الميسر: ٤٨٠.
(٢٠٩٢) تفسير الطبري: ٤٧٤/٢١.
(٢٠٩٣) تفسير ابن كثير: ١٨٢/٧.
(٢٠٩٤) معاني القرآن: ٣٨٧/٤.
(٢٠٩٥) التفسير الميسر: ٤٨٠.
(٢٠٩٦) تفسير الطبري: ٤٧٤/٢١.
(٢٠٩٧) معاني القرآن: ٣٨٧/٤.
(٢٠٩٨) التفسير الوسيط: ٣٧/٤.
(٢٠٩٩) تفسير ابن كثير: ١٨٢/٧.
(٢١٠٠) التفسير الميسر: ٤٨٠.[بتصرف]
(٢١٠١) معاني القرآن: ٣٨٧/٤.
(٢١٠٢) تفسير الطبري: ٤٧٤/٢١.

عن عبد الله بن الحارث، قال: "قلت: لكعب الأحبار: {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ}، أما يشغلهم رسالة أو عمل؟ قال: يا بن أخي إنهم جُعل لهم التسبيح، كما جُعل لكم النفس، ألست تأكل وتشرب وتقوم وتقعد وتجيء وتذهب وأنت تنفَّس؟ قلت: بلى قال: فكذلك جُعل لهم التسبيح"[(٢١٠٤)].

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم -من طريق ابن وهب- :"{لا يستحسرون}: لا يملُّون، وذلك الاستحْسار. قال: و {لا يَفْتُرُونَ} [الأنبياء: ٢٠]، و {لا يسأمون} [فصلت: ٣٨]، هذا كله معناه واحد، والكلام فيه مختلف، وهو من قولهم: بَعِير حَسِير: إذا أعيا وقام، ومنه قول علقمة بن عبدة:

بها جِيَفُ الحَسْرى فأما عظامها ... فبيضٌ، وأما جلدها فصَلِيبُ"[(٢١٠٥)].

عن إبراهيم النخعي: "أنّه كان يسجد في {يَسْأَمُونَ}"[(٢١٠٦)].

عن ابن سيرين:" أنه كان يسجد في الآية الآخرة"[(٢١٠٧)].

القرآن

{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)} [فصلت : ٣٩]

التفسير:

ومن علامات وحدانية الله وقدرته: أنك ترى الأرض يابسة لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها المطر دبَّت فيها الحياة، وتحركت بالنبات، وانتفخت وعلت، إن الذي أحيا هذه الأرض بعد همودها، قادر على إحياء الخلق بعد موتهم، إنه على كل شيء قدير، فكما لا تعجز قدرته عن إحياء الأرض بعد موتها، فكذلك لا تعجز عن إحياء الموتى.

قوله تعالى:{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً} [فصلت : ٣٩]، أي:" ومن علامات وحدانية الله وقدرته: أنك ترى الأرض يابسة لا نبات فيها"[(٢١٠٨)].

قال الطبري: يقول:" ومن حجج الله أيضا وأدلته على قدرته على نشر الموتى من بعد بلاها، وإعادتها لهيئتها كما كانت من بعد فنائها أنك يا محمد ترى الأرض دارسة غبراء، لا نبات بها ولا زرع"[(٢١٠٩)].

قال ابن كثير:" {وَمِنْ آيَاتِهِ} أي : على قدرته على إعادة الموتى {أَنَّكَ تَرَى الأرْضَ خَاشِعَةً} أي : هامدة لا نبات فيها ، بل هي ميتة"[(٢١١٠)].

عن قتادة، قوله: "{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً}، أي: غبراء متهشمة"[(٢١١١)].

قال السدي:" يابسة متهمشة"[(٢١١٢)].

قال الزجاج:" أي: مُتَهَشِمَةً متغيرة، وهو مثل هامدة"[(٢١١٣)].

قال الأزهري: "إذا يبست الأرض ولم تمطر قيل: قد خشعت"[(٢١١٤)].

(٢١٠٣) اخرجه الطبري: ٤٧٥/٢١.

(٢١٠٤) أخرجه الطبري: ٤٢٤/١٨.

(٢١٠٥) أخرجه الطبري: ٤٢٣/١٨.

(٢١٠٦)أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع -تفسير القرآن ٣/ ١٠٥ (٢٤٤)، وابن أبي شيبة (ت: عوامة) ٢/ ١٠.

(٢١٠٧)أخرجه سعيد بن منصور في سننه -التفسير ٧/ ٢٤٥ (١٩٠٠)، وابن أبي شيبة (ت: عوامة) ٢/ ١٠.

(٢١٠٨) التفسير الميسر: ٤٨٠.

(٢١٠٩) تفسير الطبري: ٤٧٥/٢١.

(٢١١٠) تفسير ابن كثير: ١٨٢/٧.

(٢١١١) أخرجه الطبري: ٤٧٥/٢١.

(٢١١٢) أخرجه الطبري: ٤٧٥/٢١.

(٢١١٣) معاني القرآن: ٣٨٧/٤.

(٢١١٤) نقلا عن التفسير الوسيط للوحدي: ٣٧/٤.

قوله تعالى:{فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ} [فصلت : ٣٩]، أي:" فإذا أنزلنا عليها المطر دبَّت فيها الحياة، وتحركت بالنبات، وانتفخت وعلت"(٢١١٥).

قال الطبري: يقول:" فإذا أنزلنا من السماء غيثا على هذه الأرض الخاشعة اهتزت بالنبات. يقول: تحرّكت به"(٢١١٦).

قال ابن كثير:" أي : أخرجت من جميل ألوان الزروع والثمار"(٢١١٧).

عن مجاهد، قوله: "{اهْتَزَّتْ}، قال: بالنبات، {وَرَبَتْ}، يقول: انتفخت"(٢١١٨).

عن مجاهد: "{وَرَبَتْ}: للنبات، قال: ارتفعت قبل أن تنبت"(٢١١٩).

عن السديّ: "{وَرَبَتْ}: انتفخت"(٢١٢٠).

عن قتادة: "{فَإِذَا أنزلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ}، يعرف الغيث في سحتها وربوها"(٢١٢١).

وقال في رواية:" حسنت وعرف العشب في ربوها"(٢١٢٢).

قال الفراء:{اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ}،" زاد ريعها، وربت، أي: أنها تنتفخ، ثم تصدع عن النبات"(٢١٢٣).

قال يحيى:" فيها تقديم: ربت للنبات انفتحت واهتزت بالنبات إذا أنبتت"(٢١٢٤).

ويقرأ:«وَرَبأتْ»، بالهمز(٢١٢٥).

قال الزجاج:" معنى ربت عظمت، ومعنى: «ربأت»: ارْتَفَعَتْ، لأن النبت إذا همَّ أن يظهر ارتفعت له الأرض"(٢١٢٦).

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى} [فصلت : ٣٩]، أي:" إن الذي أحيا هذه الأرض بعد همودها، قادر على إحياء الخلق بعد موتهم"(٢١٢٧).

قال الطبري: يقول:" إن الذي أحيا هذه الأرض الدارسة فأخرج منها النبات، وجعلها تهتزّ بالزرع من بعد يبسها ودثورها بالمطر الذي أنزل عليها لقادر أن يحيي أموات بني آدم من بعد مماتهم بالماء الذي ينزل من السماء لإحيائهم"(٢١٢٨).

قال السدي:" كما يحيي الأرض بالمطر، كذلك يحيي الموتى بالماء يوم القيامة بين النفختين"(٢١٢٩).

قال ابن ابي زمنين:" هذا مثل للبعث"(٢١٣٠).

قوله تعالى:{إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [فصلت : ٣٩]، أي:" إنه على كل شيء قدير، فكما لا تعجز قدرته عن إحياء الأرض بعد موتها، فكذلك لا تعجز عن إحياء الموتى"(٢١٣١).

(٢١١٥) التفسير الميسر: ٤٨٠.
(٢١١٦) تفسير الطبري: ٤٧٥/٢١.
(٢١١٧) تفسير ابن كثير: ١٨٢/٧.
(٢١١٨) أخرجه الطبري: ٤٧٥/٢١.
(٢١١٩) أخرجه الطبري: ٤٧٦/٢١.
(٢١٢٠) أخرجه الطبري: ٤٧٥/٢١.
(٢١٢١) أخرجه الطبري: ٤٧٦/٢١.
(٢١٢٢) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(١٩٠٧):ص٣٩٨/٢.
(٢١٢٣) معاني القرآن: ١٨/٣.
(٢١٢٤) تفسير يحيى بن سلام: ٣٥٥/١.
(٢١٢٥) انظر معاني القرآن للزجاج: ٣٨٨/٤.
(٢١٢٦) معاني القرآن: ٣٨٨/٤.
(٢١٢٧) التفسير الميسر: ٤٨٠.
(٢١٢٨) تفسير الطبري: :٤٧٦/٢١.
(٢١٢٩) اخرجه الطبري: ٤٧٦/٢١.
(٢١٣٠) تفسير ابن أبي زمنين: ١٥٥/٤.
(٢١٣١) التفسير الميسر: ٤٨٠.

قال الطبري: يقول:" إن ربك يا محمد على إحياء خلقه بعد مماتهم وعلى كل ما يشاء ذو قدرة لا يعجزه شيء أراده، ولا يتعذّر عليه فعل شيء شاءه"[٢١٣٢].

قال ابن إسحاق:" أي: لا يقدر على هذا غيرك بسلطانك وقدرتك"[٢١٣٣].

فوائد الآيات:[٣٧-٣٩]:

١- تقرير التوحيد بالأدلة القطعية الموجبة لله العبادة دون غيره من خلقه.

٢- بيان أن هناك من الناس من يعبدون الشمس ويسجدون لها من العرب والعجم وأن ذلك شرك باطل فالعبادة لا تكون للمخلوقات الخاضعة في حياتها للخالق وإنما تكون لخالقهما ومسخرها لمنافع خلقه.

٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر دليل من أظهر الأدلة وهو موت الأرض بالجدب ثم حياتها بالغيث، إذ لا فرق بين حياة النبات والأشجار في الأرض بالماء وبين حياة الإنسان بالماء كذلك في الأرض بعد تهيئة الفرصة لذلك بعد نفخة الفناء ومضي أربعين عاماً عليها ينزل من السماء ماء فيحيا الناس وينبتون من عجب الذنب كما ينبت النبات، بالبذرة الكامنة في التربة.

٤- تقرير قدرة الله على كل شيء أراده، وهذه الصفة خاصة به تعالى موجبة لعبادته وطاعته. بعد الإيمان به وتأليهه.

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠)} [فصلت : ٤٠]

التفسير:

إن الذين يميلون عن الحق، فيكفرون بالقرآن ويحرفونه، لا يَخْفَون علينا، بل نحن مُطَّلعون عليهم. أفهذا الملحد في آيات الله الذي يُلقى في النار خير، أم الذي يأتي يوم القيامة آمنًا من عذاب الله، مستحقًا لثوابه; لإيمانه به وتصديقه بآياته؟ اعملوا -أيها الملحدون- ما شئتم، فإن الله تعالى بأعمالكم بصير، لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيكم على ذلك.

سبب النزول:

قال مقاتل:" نزل في ابي جهل بن هشام وابيّ بن خلف: {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ..} الآية"[٢١٣٤].

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا} [فصلت : ٤٠]، أي:" إن الذين يميلون عن الحق، فيكفرون بالقرآن ويحرفونه، لا يَخْفَون علينا، بل نحن مُطَّلعون عليهم"[٢١٣٥].

قال الطبري: يقول:" إن الذين يميلون عن الحق في حججنا وأدلتنا، ويعدلون عنها تكذيبا بها وجحودا لها، نحن بهم عالمون لا يخفون علينا، ونحن لهم بالمرصاد إذا وردوا علينا، وذلك تهديد من الله جلّ ثناؤه لهم بقوله: سيعلمون عند ورودهم علينا ماذا يلقون من أليم عذابنا"[٢١٣٦].

قال ابن كثير:" قوله:{لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا}، أي : فيه تهديد شديد ، ووعيد أكيد ، أي : إنه تعالى عالم بمن يلحد في آياته وأسمائه وصفاته ، وسيجزيه على ذلك بالعقوبة والنكال"[٢١٣٧].

قال الزمخشري:" قوله :{لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنا}، وعيد لهم على التحريف"[٢١٣٨].

وفي قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ} [فصلت : ٤٠]، وجوه من التفسير:

(٢١٣٢) تفسير الطبري: ٤٧٦/٢١.

(٢١٣٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٧١):ص٢٠٢/١.

(٢١٣٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٤٢/٣.

(٢١٣٥) التفسير الميسر: ٤٨١.

(٢١٣٦) تفسير الطبري: ٤٧٦/٢١/ ٤٧٨.

(٢١٣٧) تفسير ابن كثير: ١٨٣/٧.

(٢١٣٨) الكشاف: ٢٠١/٤.

أحدها : يكذبون بآياتنا، قاله قتادة[٢١٣٩].
الثاني : يميلون عن آياتنا، قاله أبو مالك[٢١٤٠].
الثالث : يكفرون بنا، والإلحاد الكفر والشرك. قاله ابن زيد[٢١٤١].
وروي عن قتادة:"{يلحدون}، قال: يشركون"[٢١٤٢].
الرابع : يعاندون رسلنا، قاله السدي[٢١٤٣].
الخامس : هو المكاء والتصفيق عند تلاوة القرآن ، قاله مجاهد[٢١٤٤].
السادس: معناه: يميلون عن الإيمان بالقرآن- بالأشعار والباطل. يعني: أبا جهل. قاله مقاتل[٢١٤٥].
السابع: معناه: تبديلهم معاني كتاب الله، والإلحاد: أن يوضع الكلام على غير موضعه. وهذا قول ابن عباس[٢١٤٦].
قال مبشر بن عبيد القرشي: "قال الأعمش: {يلحدون}، بنصب الياء والحاء من اللحد قال: وسألته عن تفسيرها فقال: يدخلون فيها ما ليس منها"[٢١٤٧].
وقال عطاء:" الإلحاد المضاهاة"[٢١٤٨].
قال الزجاج:أي: " يجعلون الكلام على غير جِهَتِه، ومن هذا اللَّحْدُ، لأنه الحفرُ في جانب القَبْر"[٢١٤٩].
قال الزمخشري:" يقال: ألحد الحافر ولحد، إذا مال عن الاستقامة، فحفر في شق، فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة"[٢١٥٠].
قال الطبري:" وكل هذه الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك في قريبات المعاني، وذلك أن اللحد والإلحاد: هو الميل، وقد يكون ميلا عن آيات الله، وعدولا عنها بالتكذيب بها، ويكون بالاستهزاء مكاء وتصدية، ويكون مفارقة لها وعنادا، ويكون تحريفا لها وتغييرا لمعانيها.
ولا قول أولى بالصحة في ذلك مما قلنا، وأن يعم الخبر عنهم بأنهم ألحدوا في آيات الله، كما عمّ ذلك ربنا تبارك وتعالى"[٢١٥١].
قوله تعالى:{أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [فصلت : ٤٠]، أي:" أفهذا الملحد في آيات الله الذي يُلقى في النار خير، أم الذي يأتي يوم القيامة آمنًا من عذاب الله، مستحقًا لثوابه; لإيمانه به وتصديقه بآياته؟"[٢١٥٢].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين يلحدون في آياتنا اليوم في الدنيا يوم القيامة عذاب النار، ثم قال الله: أفهذا الذي يلقى في النار خير، أم الذي يأتي يوم القيامة آمنا من عذاب الله لإيمانه بالله جلّ جلاله؟ هذا الكافر، إنه إن آمن بآيات الله، واتبع امر الله ونهيه، أمنه يوم القيامة مما حذره منه من عقابه إن ورد عليه يومئذ به كافرا"[٢١٥٣].

(٢١٣٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٧/٢١.
(٢١٤٠) انظر: النكت والعيون: ١٨٤/٥.
(٢١٤١) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٧/٢١.
(٢١٤٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٥٨٦):ص١٦٢٣/٥.
(٢١٤٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٧/٢١.
(٢١٤٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٧/٢١.
(٢١٤٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٤٤/٣.
(٢١٤٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٨/٢١.
(٢١٤٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٥٨٧):ص١٦٢٣/٥.
(٢١٤٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٥٨٥):ص١٦٢٣/٥. والمضاهاة -في اللغة-: المشابهة.
(٢١٤٩) معاني القرآن: ٣٨٨/٤.
(٢١٥٠) الكشاف: ٢٠١/٤.
(٢١٥١) تفسير الطبري: ٢١٤٧٨.
(٢١٥٢) التفسير الميسر: ٤٨١.
(٢١٥٣) تفسير الطبري: ٤٧٨/٢١.

قال ابن كثير:" أي : أيستوي هذا وهذا ؟ لا يستويان"(٢١٥٤).

عن مجاهد، في قوله: {أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة} [الزمر: ٢٤] قال: «يجر على وجهه في النار» . وهو كقوله {أفمن يلقى في النار خير أمن يأتي آمنا يوم القيامة}"(٢١٥٥).

عَن بشير بن تَمِيم، قَالَ: "نزلت هَذِه الْآيَة فِي أبي جهل وعمار بن يَاسر {أفَمَن يلقى فِي النَّار} أَبُو جهل {أم من يَأْتِي آمنا يَوْم الْقِيَامَة} عمار"(٢١٥٦).

عَن عِكْرِمَة :"فِي قَوْله {أفَمَن يلقى فِي النَّار خير أم من يَأْتِي آمنا يَوْم الْقِيَامَة}، نزلت فِي عمار بن يَاسر وَفِي أبي جهل"(٢١٥٧).

قوله تعالى:{اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [فصلت : ٤٠]، أي:" اعملوا -أيها الملحدون- ما شئتم، فإن الله تعالى بأعمالكم بصير، لا يخفى عليه شيء منها، وسيجازيكم على ذلك"(٢١٥٨).

قال الطبري:" {اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ}، وعيد لهم من الله خرج مخرج الأمر، {إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}، يقول جلّ ثناؤه: إن الله أيها الناس بأعمالكم التي تعملونها ذو خبرة وعلم لا يخفي عليه منها، ولا من غيرها شيء "(٢١٥٩).

قال مقاتل:" قال لكفار مكة: {اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ هذا وعيد إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} من الشرك وغيره"(٢١٦٠).

عن مجاهد :"{اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ}، قال: هذا وعيد"(٢١٦١).

قال ابن كثير:" تهديد للكفرة"(٢١٦٢).

قال الزجاج:" لفظ هذا الكلام لفظ أمْرٍ، ومعناه: الوعيد والتهدد، وقد بيَّن لهم المجازاة على الخير والشر"(٢١٦٣).

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤٢)} [فصلت : ٤١-٤٢]

التفسير:

إن الذين جحدوا بهذا القرآن وكذَّبوا به حين جاءهم هالكون ومعذَّبون، وإن هذا القرآن لكتاب عزيز بإعزاز الله إياه وحفظه له من كل تغيير أو تبديل، لا يأتيه الباطل من أي ناحية من نواحيه ولا يبطله شيء، فهو محفوظ من أن يُنقص منه، أو يزاد فيه، تنزيل من حكيم بتدبير أمور عباده، محمود على ما له من صفات الكمال.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ} [فصلت : ٤١]، أي:" إن الذين جحدوا بهذا القرآن وكذَّبوا به حين جاءهم هالكون ومعذَّبون"(٢١٦٤).

قال الطبري:" إن الذين جحدوا هذا القرآن وكذّبوا به لما جاءهم"(٢١٦٥).

(٢١٥٤) تفسير ابن كثير: ١٨٣/٧.
(٢١٥٥) تفسير مجاهد: ٥٧٨.
(٢١٥٦) الدر المنثور: ٣٣٠/٧، وعزاه إلى عبد الرَّزَّاق وَعبد بن حميد وَابْن الْمُنْذر وَابْن عَسَاكِر.
(٢١٥٧) الدر المنثور: ٣٣٠/٧، وعزاه إلى ابْن عَسَاكِر.
(٢١٥٨) التفسير الميسر: ٤٨١.
(٢١٥٩) تفسير الطبري: ٤٧٨/٢١.
(٢١٦٠) تفسير مقاتل بن سليمان :٧٤٤/٣.
(٢١٦١) تفسير الطبري: ٤٧٨/٢١.
(٢١٦٢) تفسير ابن كثير: ١٨٣/٧.[بتصرف]
(٢١٦٣) معاني القرآن: ٣٨٨/٤.
(٢١٦٤) التفسير الميسر: ٤٨١.
(٢١٦٥) تفسير الطبري: ٤٧٩/٢١.

قال قتادة:" كفروا بالقرآن"(٢١٦٦).
قال الزمخشري:" الذكر: القرآن، لأنهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرّفوا تأويله"(٢١٦٧).
قال مقاتل:" هو أبو جهل وكفار مكة "(٢١٦٨).
قوله تعالى:{وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ} [فصلت : ٤١]، أي:" وإن هذا القرآن لكتاب عزيز بإعزاز الله إياه وحفظه له من كل تغيير أو تبديل"(٢١٦٩).
قال الطبري:" وإن هذا الذكر لكتاب عزيز بإعزاز الله إياه، وحفظه من كل من أراد له تبديلا أو تحريفا، أو تغييرا، من إنسي وجني وشيطان مارد"(٢١٧٠).
قال الزمخشري:" أي:" منيع محمى بحماية الله تعالى"(٢١٧١).
قال ابن كثير:" أي : منيع الجناب ، لا يرام أن يأتي أحد بمثله"(٢١٧٢).
قال مقاتل:" يقول وإنه لقرآن منيع من الباطل، فلا يستذل، لأنه كلام الله"(٢١٧٣).
قال قتادة:" أعزه الله لأنه كلامه، وحفظه من الباطل"(٢١٧٤).
قال السدي:" عزيز من الشيطان"(٢١٧٥).
قوله تعالى:{لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ} [فصلت : ٤٢]، أي:" لا يأتيه الباطل من أي ناحية من نواحيه ولا يبطله شيء، فهو محفوظ من أن يُنقص منه، أو يزاد فيه"(٢١٧٦).
قال الطبري:" وإن هذا الذكر لكتاب عزيز بإعزاز الله إياه، وحفظه من كل من أراد له تبديلا أو تحريفا، أو تغييرا، من إنسي وجني وشيطان مارد"(٢١٧٧).
قال ابن كثير:" أي : ليس للبطلان إليه سبيل ؛ لأنه منزل من رب العالمين "(٢١٧٨).
وفي قوله تعالى:{لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ} [فصلت : ٤٢]، وجوه من التفسير:
أحدها: لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله، ولا يجيء من بعده كتاب فيبطله. قاله سعيد بن جبير(٢١٧٩)، ومقاتل(٢١٨٠)، والكلبي(٢١٨١).
قال سعيد :"لا يأتيه النكير من بين يديه ولا من خلفه"(٢١٨٢).
قال مقاتل:" يقول: لا يأتي القرآن بالتكذيب بل يصدق هذا القرآن الكتب التي كانت قبله: التوراة والإنجيل والزبور، ولا يجيئه من بعده كتاب يبطله فيكذبه"(٢١٨٣).

(٢١٦٦) أخرجه الطبري: ٤٧٩/٢١.
(٢١٦٧) الكشاف: ٢٠١/٤.
(٢١٦٨) تفسير مقاتل بن سليمان :٧٤٤/٣.
(٢١٦٩) التفسير الميسر: ٤٨١.
(٢١٧٠) تفسير الطبري: ٤٧٩/٢١.
(٢١٧١) الكشاف: ٢٠١/٤.
(٢١٧٢) تفسير ابن كثير: ١٨٣/٧.
(٢١٧٣) تفسير مقاتل بن سليمان :٧٤٤/٣.
(٢١٧٤) أخرجه الطبري: ٤٧٩/٢١.
(٢١٧٥) أخرجه الطبري: ٤٧٩/٢١.
(٢١٧٦) التفسير الميسر: ٤٨١.
(٢١٧٧) تفسير الطبري: ٤٧٩/٢١.
(٢١٧٨) تفسير ابن كثير: ١٨٣/٧.
(٢١٧٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٩/٢١.
(٢١٨٠) تفسير مقاتل بن سليمان :٧٤٥/٣.
(٢١٨١) نقلا عن: فتح القدير للشوكاني: ٥٩٥/٤.
(٢١٨٢) أخرجه الطبري: ٤٧٩/٢١.
(٢١٨٣) تفسير مقاتل بن سليمان :٧٤٥/٣.

الثاني: معناه: أنه محفوظ من أن يَنقُصَ منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه، قال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر : ٩]. قاله الزجاج(٢١٨٤)، وهو معنى قول قتادة(٢١٨٥)، والسدي(٢١٨٦).

قال الشوكاني:"ومعنى الباطل على هذا: الزيادة والنقصان"(٢١٨٧).

قال قتادة:" الباطل: إبليس لا يستطيع أن ينقص منه حقا، ولا يزيد فيه باطلا"(٢١٨٨).

وقال السدي:" «الباطل»: هو الشيطان لا يستطيع أن يزيد فيه حرفا ولا ينقص"(٢١٨٩).

الثالث: لا يأتيه الباطل في إخباره عما تقدم ولا في إخباره عما تأخر ، قاله ابن جريج(٢١٩٠).

الرابع: لا يزاد فيه، ولا ينقص منه، لا من جبريل، ولا من محمد صلى الله عليه وسلم. حكاه الشوكاني(٢١٩١).

الخامس: معناه: لا يأتيه الباطل من أول التنزيل ولا من آخره. حكاه الماوردي(٢١٩٢).

السادس: ما بين يديه : لفظه، وما خلفه : تأويله ، فلا يأتيه الباطل في لفظ ولا تأويل. أفاده الماوردي(٢١٩٣).

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: معناه: لا يستطيع ذو باطل بكيده تغييره بكيده، وتبديل شيء من معانيه عما هو به، وذلك هو الإتيان من بين يديه، ولا إلحاق ما ليس منه فيه، وذلك إتيانه من خلفه"(٢١٩٤).

قال الزمخشري:" مثل كأن الباطل لا يتطرّق إليه ولا يجد إليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل إليه ويتعلق به.

فإن قلت: أما طعن فيه الطاعنون، وتأوّله المبطلون؟

قلت: بلى، ولكن الله قد تقدّم في حمايته عن تعلق الباطل به: بأن قيض قوما عارضوهم بإبطال تأويلهم وإفساد أقاويلهم، فلم يخلوا طعن طاعن إلا ممحوقا، ولا قول مبطل إلا مضمحلا. ونحوه قوله تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ}"(٢١٩٥).

قوله تعالى:{تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت : ٤٢]، أي:" تنزيل من حكيم بتدبير أمور عباده، محمود على ما له من صفات الكمال"(٢١٩٦).

قال الطبري:" هو تنزيل من عند ذي حكمة بتدبير عباده، وصرفهم فيما فيه مصالحهم، (حَمِيدٌ) يقول: محمود على نعمه عليهم بأياديه عندهم"(٢١٩٧).

قال ابن كثير:" أي : حكيم في أقواله وأفعاله ، حميد بمعنى محمود ، أي : في جميع ما يأمر به وينهى عنه الجميع محمودة عواقبه وغاياته"(٢١٩٨).

عن أبي العالية في قوله: "{حكيم}، قال: حكيم في أمره"(٢١٩٩).

(٢١٨٤) انظر: معاني القرآن: ٣٨٨/٤.
(٢١٨٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٠/٢١.
(٢١٨٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٠/٢١.
(٢١٨٧) فتح القدير: ٥٩٥/٤.
(٢١٨٨) اخرجه الطبري: ٤٨٠/٢١.
(٢١٨٩) أخرجه الطبري: ٤٨٠/٢١.
(٢١٩٠) نقلا عن: النكت والعيون: ١٨٦/٥.
(٢١٩١) انظر: فتح القدير: ٥٩٥/٤.
(٢١٩٢) انظر: النكت والعيون: ١٨٦/٥.
(٢١٩٣) انظر: النكت والعيون: ١٨٦/٥.
(٢١٩٤) تفسير الطبري: ٤٨٠/٢١.
(٢١٩٥) الكشاف: ٢٠٢/٤.
(٢١٩٦) التفسير الميسر: ٤٨١.
(٢١٩٧) تفسير الطبري: ٤٨٠/٢١.
(٢١٩٨) تفسير ابن كثير: ١٨٣/٧.
(٢١٩٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٤):ص٢١٠٤/٧.

فوائد الآيات:[٤٠-٤٢]:
١- حرمة الإلحاد في آيات الله بالميل بها عن القصد والخروج بها إلى الباطل.
٢- التهديد الشديد لكل من يحرف آيات الله أو يؤولها على غير مراد الله منها.
٣- تقرير مناعة القرآن وحفظ الله تعالى له، وأنه لا يدخله النقص ولا الزيادة إلى أن يرفعه الله إليه إذ منه بدأ وإليه يعود.
٤- تضمنت الآية ست صفات للقرآن العظيم هي كالتالي:
أ- أنه ذكرٌ يذكر الناس بما يغفلون عنه.
ب- أنه ذكرٌ للعرب أي شرف لهم كقوله {وإنه لذكر لك ولقومك}.
ت- أنه كتاب عزيز، والعزيز: النفيس والمنيع أيضا إذ عجز الإنس والجن أن يأتوا بمثل
ث- أنه لا يتطرق إليه الباطل ولايخالطه بحال.
ج- أنه مشتمل على الحكمة، وهو حكيم وذو حكمة وحاكم أيضا.
ح- وأنه تنزيل من حميد، والحميد: المحمود حمداً كثيرا.

القرآن
{مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (٤٣)} [فصلت : ٤٣]
التفسير:
ما يقول لك هؤلاء المشركون -أيها الرسول- إلا ما قد قاله مَن قبلهم مِنَ الأمم لرسلهم، فاصبر على ما ينالك في سبيل الدعوة إلى الله. إن ربك لذو مغفرة لذنوب التائبين، وذو عقاب لمن أصرَّ على كفره وتكذيبه.
سبب النزول:
قال الفراء:" جزع -صلى الله عليه- من تكذيبهم إياه، فأنزل الله جل وعز عليه: {مَا يُقَالُ لَكَ} من التكذيب، إلا كما كذب الرسل من قبلك"(٢٢٠٠).
قوله تعالى:{مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ} [فصلت : ٤٣]، أي:" ما يقول لك هؤلاء المشركون -أيها الرسول- إلا ما قد قاله مَن قبلهم مِنَ الأمم لرسلهم، فاصبر على ما ينالك في سبيل الدعوة إلى الله"(٢٢٠١).
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: ما يقول لك هؤلاء المشركون المكذّبون ما جئتهم به من عند ربك إلا ما قد قاله من قبلهم من الأمم الذين كانوا من قبلك، يقول له: فاصبر على ما نالك من أذى منهم، كما صبر أولو العزم من الرسل، {وَلا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ}"(٢٢٠٢).
قال ابن قتيبة:" تعزية له -صلى الله عليه وسلم- وتسلية، أي: قد قيل للرسل قبلك: ساحر وكذاب؛ كما قيل لك"(٢٢٠٣).
قال الزمخشري:أي:" ما يقول لك كفار قومك إلا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة"(٢٢٠٤).
قال الزمخشري:" ويجوز أن يكون: ما يقول لك الله إلا مثل ما قال للرسل من قبلك، والمقول: هو قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ}، فمن حقه أن يرجوه أهل طاعته ويخافه أهل معصيته، والغرض: تخويف العصاة"(٢٢٠٥).

(٢٢٠٠) معاني القرآن: ١٩/٣.
(٢٢٠١) التفسير الميسر: ٤٨١.
(٢٢٠٢) تفسير الطبري: ٤٨١/٢١.
(٢٢٠٣) غريب القرآن: ٣٨٩.
(٢٢٠٤) الكشاف: ٢٠٢/٤.
(٢٢٠٥) الكشاف: ٢٠٢/٤.

عن السدي، قوله:"{مَا يُقَالُ لَكَ إِلا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ}، قال: ما يقولون إلا ما قد قال المشركون للرسل من قبلك"[٢٢٠٦].

أخرج الثوري بسنده عن سهيل بن أبي صالح، قوله: "{مَا يُقَالُ لَكَ إِلا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ}: من الأذى"[٢٢٠٧].

قال قتادة:" يعزيه, يقول: قد قيل للأنبياء: ساحر, وشبه ذلك"[٢٢٠٨].

وقال قتادة:-في رواية-" يعزي نبيّه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم كما تسمعون، يقول: {كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ"[٢٢٠٩].

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ} [فصلت : ٤٣]، أي:" إن ربك لذو مغفرة لذنوب التائبين، وذو عقاب لمن أصرَّ على كفره وتكذيبه"[٢٢١٠].

قال الطبري:" يقول: إن ربك لذو مغفرة لذنوب التائبين إليه من ذنوبهم بالصفح عنهم، وهو ذو عقاب مؤلم لمن أصرّ على كفره وذنوبه، فمات على الإصرار على ذلك قبل التوبة منه"[٢٢١١].

قال الزمخشري:" {لَذُو مَغْفِرَةٍ} ورحمة لأنبيائه، {وَذُو عِقَابٍ}، لأعدائهم"[٢٢١٢].

قال ابن كثير:" {لَذُو مَغْفِرَةٍ} ،أي : لمن تاب إليه، {وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ}، أي : لمن استمر على كفره ، وطغيانه ، وعناده ، وشقاقه ومخالفته"[٢٢١٣].

قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس:" أن الله تبارك وتعالى إنما سمى نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليغفر"[٢٢١٤].

عن سعيد بن المسيب قال : لما نزلت هذه الآية : {إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ} قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لولا غَفْر الله وتجاوزه ما هَنَأ أحدا العيشُ، ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد"[٢٢١٥].

القرآن

{وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٤٤)} [فصلت : ٤٤]

التفسير:

ولو جعلنا هذا القرآن الذي أنزلناه عليك -أيها الرسول- أعجميًا، لقال المشركون: هلا بُيِّنتْ آياته، فنفقهه ونعلمه، أأعجمي هذا القرآن، ولسان الذي أنزل عليه عربي؟ هذا لا يكون. قل لهم -أيها الرسول-: هذا القرآن للذين آمنوا بالله ورسوله هدى من الضلالة، وشفاء لما في الصدور من الشكوك والأمراض، والذين لا يؤمنون بالقرآن في آذانهم صمم من سماعه وتدبره، وهو على قلوبهم عَمًى، فلا يهتدون به، أولئك المشركون كمن يُنادى، وهو في مكان بعيد لا يسمع داعيًا، ولا يجيب مناديًا.

سبب النزول:

(٢٢٠٦) أخرجه الطبري: ٤٨١/٢١.

(٢٢٠٧) تفسير سفيان الثوري(٨٦٢: ٩: ٧):ص٢٦٧، وتفسير عبدالرزاق(٢٧١١):ص١٥٥/٣. في نسخة تفسير سفيان: خطأ مطبعي:« أبي صالح»، والصحيح: أنه « سهيل بن أبي صالح».

(٢٢٠٨) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٧٢٠):ص١٥٧/٣.

(٢٢٠٩) أخرجه الطبري: ٤٨١/٢١.

(٢٢١٠) التفسير الميسر: ٤٨١.

(٢٢١١) تفسير الطبري: ٤٨١/٢١.

(٢٢١٢) الكشاف: ٢٠٢/٤.

(٢٢١٣) تفسير ابن كثير: ١٨٣/٧.

(٢٢١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٥٣٧٩):ص٩٦٣/٣.

(٢٢١٥) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٨٣/٧. إسناده مرسل ، وعلي بن زيد متفق على ضعفه.

عن سعيد بن جبير:" قالت قريش: لولا أنزل هذا القرآن أعجميا وعربيا، فأنزل الله {لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ}، فأنزل الله بعد هذه الآية كل لسان فيه، {حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ} قال: فارسية أعربت: سنك وكل"[٢٢١٦].

قوله تعالى:{وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ} [فصلت : ٤٤]، أي:" ولو جعلنا هذا القرآن الذي أنزلناه عليك -أيها الرسول- أعجميًا، لقال المشركون: هلا بُيِّنَتْ آياته، فنفقهه ونعلمه"[٢٢١٧].

قال الطبري:يقول: " ولو جعلنا هذا القرآن الذي أنزلناه يا محمد أعجميا لقال قومك من قريش: هلا بينت أدلته وما فيه من آية، فنفقهه ونعلم ما هو وما فيه"[٢٢١٨].

قال ابن قتيبة:" أي: هَلا{فُصِّلَتْ آيَاتُهُ}، أي: أنزلتْ عربيةً مفصلة بالآي! كأن التفصيل للسان العرب!"[٢٢١٩].

قال الزجاج:" أي: هلَّا بينت آياتِه"[٢٢٢٠].

قال قتادة:"يقول: لولا بينت آياته"[٢٢٢١].

عن السدي:"{لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ}، يقول: بُينت آياته"[٢٢٢٢].

قال الزمخشري:" كانوا لتعنتهم يقولون: هلا نزل القرآن بلغة العجم «فقيل: لو كان كما يقترحون لم يتركوا الاعتراض والتعنت وقالوا: {لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ}، أى: بينت ولخصت بلسان نفقهه"[٢٢٢٣].

قال ابن كثير:" لما ذكر تعالى القرآن وفصاحته وبلاغته ، وإحكامه في لفظه ومعناه ، ومع هذا لم يؤمن به المشركون ، نبه على أن كفرهم به كفر عناد وتعنت ، كما قال : {وَلَوْ نزلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ} [الشعراء : ١٩٨ ، ١٩٩]. وكذلك لو أنزل القرآن كله بلغة العجم ، لقالوا على وجه التعنت والعناد : {لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ} أي : لقالوا : هلا أنزل مفصلا بلغة العرب ، ولأنكروا ذلك"[٢٢٢٤].

وقيل: " معنى {لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ} بعضها عربيّ، وبعضها عجميّ. وهذا التأويل على تأويل من قرأ «أَعْجَمِيّ» بترك الاستفهام فيه، وحمله خبرا من الله تعالى عن قيل المشركين ذلك، يعني: هلا فصلت آياته، منها عجميّ تعرفه العجم، ومنها عربيّ تفقهه العرب"[٢٢٢٥].

قوله تعالى:{أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ} [فصلت : ٤٤]، أي:" أقران أعجميٌ ونبيٌ عربي؟"[٢٢٢٦].

قال الطبري:" يعني أنهم كانوا يقولون إنكارا له: أأعجميّ هذا القرآن ولسان الذي أنزل عليه عربي؟"[٢٢٢٧].

قال ابن كثير:" وقالوا : أعجمي وعربي ؟ أي : كيف ينزل كلام أعجمي على مخاطب عربي لا يفهمه"[٢٢٢٨].

(٢٢١٦) أخرجه الطبري: ٤٨٤/٢١.
(٢٢١٧) التفسير الميسر: ٤٨١.
(٢٢١٨) تفسير الطبري: ٤٨١/٢١.
(٢٢١٩) غريب القرآن: ٣٩٠.
(٢٢٢٠) معاني القرآن: ٣٨٩/٤.
(٢٢٢١) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٧٢١):ص١٥٨/٣.
(٢٢٢٢) أخرجه الطبري: ٤٨٢/٢١.
(٢٢٢٣) الكشاف: ٢٠٢/٤.
(٢٢٢٤) تفسير ابن كثير: ١٨٤/٧.
(٢٢٢٥) تفسير الطبري: ٤٨٢/٢١-٤٨٣.
(٢٢٢٦) صفوة التفاسير: ١١٦/٣.
(٢٢٢٧) تفسير الطبري: ٤٨١/٢١-٤٨٢.
(٢٢٢٨) تفسير ابن كثير: ١٨٤/٧.

قال الزمخشري:" الهمزة همزة الإنكار، يعنى: لأنكروا وقالوا: أقرآن أعجمى ورسول عربى، أو مرسل إليه عربى"(٢٢٢٩).

قال ابن قتيبة:" حكايةٌ عنهم. كأنهم يَعجبون فيقولون: أكتابٌ أعجميّ ونبيٌّ عربي؟ كيف يكون هذا"(٢٢٣٠).

عن مجاهد، قوله: "{لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ}، فجعل عربيا، أعجميّ الكلام وعربيّ الرجل"(٢٢٣١).

قال سعيد بن جبير:" لو كان هذا القران أعجميا لقالوا: القرآن أعجميّ، ومحمد عربيّ"(٢٢٣٢). وفي رواية:" قال: الرسول عربيّ، واللسان أعجميّ"(٢٢٣٣).

قال قتادة:" لقالوا: " هذا القرآن أعجمي وهذا النبي عربي , فيقول: لكان ذلك أشد لتكذيبهم"(٢٢٣٤).

عن السدي:"{أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ}، نحن قوم عرب ما لنا وللعجمة"(٢٢٣٥).

قال الزجاج:"تقول: هذا رَجُل أعجمي. إذا كان لا يُفْصِحُ إن كَانَ مِنَ العَجَم أو من العَرَبِ، وتقول: هذا رجل عَجَمِي. إذا كان من الأعاجم، فصيحاً كان أَمْ غَيرَ فصيح، ومثل ذَلِكَ: هذا رَجُلٌ أعرابي. إذا كان من أهل البادية، وكان جنسه من العَرَب أو من غير العَرَبِ، والأجودُ في القرآن: «أَعْجَمِي» بهمزة وألِفٍ على جهة النسبة إلى «الأعْجَم»"(٢٢٣٦).

قال الزمخشري:" الأعجمي: الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من أى جنس كان، والعجمي: منسوب إلى أمّة العجم"(٢٢٣٧).

وقرأ الحسن: «أعْجَمى»، بهمزة وَسَكُونِ العين(٢٢٣٨).

قال ابن كثير: المعنى -على هذه القراءة-: "هلا أنزل بعضها بالأعجمي ، وبعضها بالعربي.. وهو في التعنت والعناد أبلغ"(٢٢٣٩).

قوله تعالى:{قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ} [فصلت : ٤٤]، أي:" قل لهم -أيها الرسول-: هذا القرآن للذين آمنوا بالله ورسوله هدى من الضلالة، وشفاء لما في الصدور من الشكوك والأمراض"(٢٢٤٠).

قال الطبري:" قل يا محمد لهم: هو، القرآن {لِلَّذِينَ آمَنُوا} بالله ورسوله، وصدقوا بما جاءهم به من عند ربهم بيان للحق، وشفاء من الجهل"(٢٢٤١).

قال ابن كثير: " أي : قل يا محمد : هذا القرآن لمن آمن به هدى لقلبه وشفاء لما في الصدور من الشكوك والريب"(٢٢٤٢).

قال الزمخشري:" أى: القرآن، إرشاد إلى الحق وشفاء لِما فِي الصُّدُورِ من الظن والشك"(٢٢٤٣).

(٢٢٢٩) الكشاف: ٢٠٢/٤.

(٢٢٣٠) غريب القرآن: ٣٩٠.

(٢٢٣١) أخرجه الطبري: ٤٨٢/٢١.

(٢٢٣٢) أخرجه الطبري: ٤٨٢/٢١.

(٢٢٣٣) أخرجه الطبري: ٤٨٢/٢١.

(٢٢٣٤) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٧٢١):ص١٥٨/٣.

(٢٢٣٥) أخرجه الطبري: ٤٨٢/٢١.

(٢٢٣٦) معاني القرآن: ٣٨٩/٤.

(٢٢٣٧) الكشاف: ٢٠٢/٤.

(٢٢٣٨) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٣٨٩/٤.

(٢٢٣٩) تفسير ابن كثير: ١٨٤/٧.

(٢٢٤٠) التفسير الميسر: ٤٨١.

(٢٢٤١) تفسير الطبري: ٤٨٣/٢١.

(٢٢٤٢) تفسير ابن كثير: ١٨٤/٧.

(٢٢٤٣) الكشاف: ٢٠٣/٤.

عن السديّ: "{قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ}، قال: القرآن"[٢٢٤٤].

قال قتادة:" جعله الله نورا وبركة وشفاء للمؤمنين"[٢٢٤٥].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ} [فصلت : ٤٤]، أي:" والذين لا يؤمنون بالقرآن في آذانهم صمم من سماعه وتدبره"[٢٢٤٦].

قال الطبري: يقول:" والذين لا يؤمنون بالله ورسوله، وما جاءهم به من عند الله في آذانهم ثقل عن استماع هذا القرآن، وصمم لا يستمعونه ولكنهم يعرضون عنه"[٢٢٤٧].

قال ابن كثير: " أي : لا يفهمون ما فيه"[٢٢٤٨].

عن السديّ: "{وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ}، قال: صمم"[٢٢٤٩].

قال القشيري:" لا يزدادون على مر الأيام إلا ضلالا"[٢٢٥٠].

قوله تعالى:{وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى} [فصلت : ٤٤]، أي:" وهذا القرآن على قلوب هؤلاء المكذّبين به عمى فلا يهتدون به"[٢٢٥١].

قال الطبري:" يقول: وهذا القرآن على قلوب هؤلاء المكذّبين به عمى عنه، فلا يبصرون حججه عليهم، وما فيه من مواعظه"[٢٢٥٢].

قال ابن كثير: " أي : لا يهتدون إلى ما فيه من البيان كما قال تعالى : {وَنُنزلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلا خَسَارًا} [الإسراء : ٨٢]"[٢٢٥٣].

عن السديّ: "{وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى}، قال: عميت قلوبهم عنه"[٢٢٥٤].

قال ابن زيد:" العمى: الكفر"[٢٢٥٥].

قال قتادة:" عموا وصموا عن القرآن، فلا ينتفعون به، ولا يرغبون فيه"[٢٢٥٦].

عن سليمان بن قتّة عن ابن عباس، وابن الزبير، ومعاوية بن أبى سفيان، وعمرو بن العاص، انهم قرءوا: «وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمٍ»، -بكسر الميم- على وجه النعت للقرآن[٢٢٥٧].

قال النحاس :"وقرئ على إبراهيم بن موسى عن إسماعيل بن أبي إسحاق قال: حدثنا علي بن عبد الله قال: حدثنا سفيان بن عيينة قال: سمعت عمرو بن دينار يحدث عن ابن عباس أنه قرأ: «وهو عليهم عم»، هذه القراءة مخالفة للمصحف فإن قال قائل: الإسناد صحيح، قيل له: الإجماع أولى على أنّ الإسناد فيه شيء وذلك أنّ عمرو بن دينار لم يقل: سمعت ابن عباس فيخاف أن يكون مرسلا، وسليمان بن قتّة ليس بنظير عمرو بن دينار على أن يعقوب القارئ على محله من الضبط قد قال في هذا الحديث: ما أدري أقرءوا وهو عليهم عم أو وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى على أنه فعل ماض. ومع إجماع الجمع سوى من ذكرناه. والذي في المصحف أنّ المعنى بعمى أشبه لأنه قال جلّ وعزّ: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفاءٌ}، فالأشبه بهذا أعمى"[٢٢٥٨].

(٢٢٤٤) أخرجه الطبري: ٤٨٣/٢١.
(٢٢٤٥) أخرجه الطبري: ٤٨٣/٢١.
(٢٢٤٦) التفسير الميسر: ٤٨١.
(٢٢٤٧) تفسير الطبري: ٤٨٤/٢١.
(٢٢٤٨) تفسير ابن كثير: ١٨٤/٧.
(٢٢٤٩) أخرجه الطبري: ٤٨٤/٢١.
(٢٢٥٠) لطائف الإشارات: ٣٣٦/٣.
(٢٢٥١) انظر: التفسير الميسر: ٤٨١، وتفسير الطبري: ٤٨٤/٢١.
(٢٢٥٢) تفسير الطبري: ٤٨٤/٢١.
(٢٢٥٣) تفسير ابن كثير: ١٨٤/٧.
(٢٢٥٤) أخرجه الطبري: ٤٨٤/٢١.
(٢٢٥٥) أخرجه الطبري: ٤٨٤/٢١.
(٢٢٥٦) أخرجه الطبري: ٤٨٤/٢١.
(٢٢٥٧) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٠/٣، وإعراب القرآن للنحاس: ٤٥/٤، وتفسير الطبري: ٤٨٤/٢١، والبحر المحيط: ٢٠/٣.
(٢٢٥٨) إعراب القرآن: ٤٥/٤.

قوله تعالى:{أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} [فصلت : ٤٤]، أي:" أولئك المشركون كمن يُنادى، وهو في مكان بعيد لا يسمع داعيًا، ولا يجيب مناديًا"(٢٢٥٩).

قال البغوي:" أي: أنهم لا يسمعون ولا يفهمون كما أن من دعي من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم، وهذا مثل لقلة انتفاعهم بما يوعظون به كأنهم ينادون من حيث لا يسمعون"(٢٢٦٠).

قال الزمخشري:" يعنى: أنهم لا يقبلونه ولا يرعونه أسماعهم، فمثلهم في ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة لا يسمع من مثلها الصوت فلا يسمع النداء"(٢٢٦١).

قال الراغب:" النداء: رفع الصوت وظهوره، فاستعمال النداء فيهم تنبيها على بعدهم عن الحق"(٢٢٦٢).

وفي قوله تعالى:{أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} [فصلت : ٤٤]، وجوه من التفسير:

أحدها : من مكان بعيد من قلوبهم، قاله علي -كرم الله وجهه-(٢٢٦٣)، ومجاهد(٢٢٦٤).

قال الفراء:" تقول للرجل الذي لا يفهم قولك: أنت تنادى من بعيد، تقول للفهم: إنك لتأخذ الشيء من قريب"(٢٢٦٥).

قال ابن قتيبة:" لقلّة أفهامهم"(٢٢٦٦).

قال البطري:" تشبيه من الله جلّ ثناؤه، لعمى قلوبهم عن فهم ما أنزل في القرآن من حججه ومواعظه ببعيد(٢٢٦٧).

قال النحاس:" أي: لا يتفهّمون ما يقال لهم والعرب تقول لمن يتّفهم: هو يخاطب من قريب"(٢٢٦٨).

قال الواحدي:" أي: أنهم لا يسمعون ولا يفهمون، كما أن من دعي من مكان بعيد لم يسمع، ولم يفهم"(٢٢٦٩).

قال ابن زيد:" ضيعوا أن يقبلوا الأمر من قريب، يتوبون ويؤمنون، فيقبل منهم، فأبوا"(٢٢٧٠).

الثاني : كأنما ينادون من السماء فلا يسمعون، حكاه الفراء(٢٢٧١)، والنقاش(٢٢٧٢).

الثالث : ينادون يوم القيامة من مكان بعيد بأبشع أسمائهم، ليكون ذلك اشد عليهم في الفضيحة والتوبيخ. قاله الضحاك(٢٢٧٣).

الرابع : من مكان بعيد من الإجابة. افاده الماوردي(٢٢٧٤).

قال الثعلبي:" مثل لقلة استماعهم وانتفاعهم بما يوعظون به، كأنهم ينادون إلى الإيمان وبالقرآن من حيث لا يسمعون لبعد المسافة"(٢٢٧٥).

(٢٢٥٩) التفسير الميسر: ٤٨١.
(٢٢٦٠) تفسير اليغوي: ١٧٧/٧.
(٢٢٦١) الكشاف: ٢٠٣/٤.
(٢٢٦٢) المفردات: ٧٩٧.
(٢٢٦٣) انظر: النكت والعيون: ١٨٧/٥، وتفسير السمعاني: ٥٧/٥.
(٢٢٦٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٥/٢١.
(٢٢٦٥) معاني القرآن: ٢٠/٣.
(٢٢٦٦) غريب القرآن: ٣٩٠.
(٢٢٦٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٥/٢١.
(٢٢٦٨) أعراب القرآن: ٤٦/٤.
(٢٢٦٩) التفسير الوسيط: ٣٨/٤.
(٢٢٧٠) أخرجه الطبري: ٤٨٥/٢١.
(٢٢٧١) انظر: معاني القرآن: ٢٠/٣.
(٢٢٧٢) انظر: النكت والعيون: ١٨٧/٥.
(٢٢٧٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٨٥/٢١.
(٢٢٧٤) انظر: النكت والعيون: ١٨٧/٥.
(٢٢٧٥) الكشف والبيان: ٢٩٩/٨.

قال السدي : "كان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-جالسا عند رجل من المسلمين يقضي ، إذ قال : يا لبَّيكاه. فقال عمر : لِمَ تلبي ؟ هل رأيت أحدا ، أو دعاك أحد ؟ قال : دعاني داع من وراء البحر. فقال عمر : أولئك ينادون من مكان بعيد"[٢٢٧٦].

حكي النحاس أن قوله:" {يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} [فصلت : ٤٤]، جواب لقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ} [فصلت : ٤١][٢٢٧٧]، قال السمعاني: "الاولى ان الجواب محذوف، تقديره: سيجازون على ذلك "[٢٢٧٨].

القرآن

{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (٤٥)} [فصلت : ٤٥]

التفسير:

ولقد آتينا موسى التوراة كما آتيناك -أيها الرسول- القرآن فاختلف فيها قومه: فمنهم مَن آمن، ومنهم مَن كذَّب. ولولا كلمة سبقت من ربك بتأجيل العذاب عن قومك لفُصِل بينهم بإهلاك الكافرين في الحال، وإن المشركين لفي شك من القرآن شديد الريبة.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ} [فصلت : ٤٥]، أي:" ولقد آتينا موسى التوراة كما آتيناك -أيها الرسول- القرآن فاختلف فيها قومه: فمنهم مَن آمن، ومنهم مَن كذَّب"[٢٢٧٩].

قال الطبري: يقول:" {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ} يا محمد، يعني التوراة، كما آتيناك الفرقان، فاختلف في العمل بما فيه الذين أوتوه من اليهود"[٢٢٨٠].

قال البغوي:أي:" فصدق ومكذب كما اختلف قومك في كتابك"[٢٢٨١].

قال السمعاني:" الكتاب: هو التوراة، والاختلاف فيه أنه آمن به بعضهم وكفر بعضهم"[٢٢٨٢].

قوله تعالى:{وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ} [فصلت : ٤٥]، أي:" ولولا كلمة سبقت من ربك بتأجيل العذاب عن قومك لفُصِل بينهم بإهلاك الكافرين في الحال"[٢٢٨٣].

قال الطبري: " يقول: ولولا ما سبق من قضاء الله وحكمه فيهم أنه أخر عذابهم إلى يوم القيامة"[٢٢٨٤].

قال السمعاني: الكلمة:" تأخير القيامة إلى أجل معلوم عنده، {لقضي بينهم} أي: لعجل لهم العذاب"[٢٢٨٥].

قال البغوي:أي:" {ولولا كلمة سبقت من ربك} في تأخير العذاب عن المكذبين بالقرآن، لفرغ من عذابهم وعجل إهلاكهم"[٢٢٨٦].

قال الزجاج:" الكلمة : وَعْدُهُمُ الساعة، قال عزَّ وجلَّ: {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ} [القمر : ٤٦]، ويدل على أن الكلمة ههنا الساعة قوله: {إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ} [فصلت : ٤٧]"[٢٢٨٧].

(٢٢٧٦) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٨٤/٧.
(٢٢٧٧) انظر: معاني القرآن: ٢٧٥/٦.
(٢٢٧٨) انظر: تفسير السمعاني: ٥٧/٥.
(٢٢٧٩) التفسير الميسر: ٤٨١.
(٢٢٨٠) تفسير الطبري: ٤٨٦/٢١.
(٢٢٨١) تفسير البغوي: ١٧٧/٨.
(٢٢٨٢) تفسير السمعاني: ٥٧/٥.
(٢٢٨٣) التفسير الميسر: ٤٨١.
(٢٢٨٤) تفسير الطبري: ٤٨٦/٢١.
(٢٢٨٥) تفسير السمعاني: ٥٧/٥، ٥٨.
(٢٢٨٦) تفسير البغوي: ١٧٧/٨.
(٢٢٨٧) معاني القرآن: ٣٩٠/٤.

عن قتادة:" {ولَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَبِّكَ}، قال: سبق لهم مِن الله حينٌ وأجلٌ هم بالِغوه"(٢٢٨٨).
قال السدي:" أخروا إلى يوم القيامة"(٢٢٨٩).
قال الزمخشري:" الكلمة السابقة: هي العدة بالقيامة، وأنّ الخصومات تفصل في ذلك اليوم، ولولا ذلك لقضى بينهم في الدنيا. قال الله تعالى: {بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُم} [القمر : ٤٦]، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى"(٢٢٩٠).
وعن عطاء قال: "الكلمة التي سبقت من ربه هي أن آدم صلوات الله عليه لما عطس ألهمه الله تعالى حتى قال: الحمد لله، فقال الله تعالى: يرحمك ربك. فهي الكلمة التي سبقت من الله"(٢٢٩١).
قوله تعالى:{وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ} [فصلت : ٤٥]، أي:" وإن المشركين لفي شك من القرآن شديد الريبة"(٢٢٩٢).
قال الطبري:" يقول: وإن الفريق المبطل منهم لفي شكّ مما قالوا فيه، يريبهم قولهم فيه ما قالوا، لأنهم قالوا بغير ثبت، وإنما قالوه ظنًّا"(٢٢٩٣).
قال ابن كثير:" أي : وما كان تكذيبهم له عن بصيرة منهم لما قالوا، بل كانوا شاكين فيما قالوا، غير محققين لشيء كانوا فيه. هكذا وجهه ابن جرير ، وهو محتمل ، والله أعلم"(٢٢٩٤).
قال البغوي:" {وإنهم لفي شك منه} من صدقك، {مريب} موقع لهم الريبة"(٢٢٩٥).

القرآن
{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٤٦)} [فصلت : ٤٦]
التفسير:
من عمل صالحًا فأطاع الله ورسوله فلنفسه ثواب عمله، ومن أساء فعصى الله ورسوله فعلى نفسه وزر عمله. وما ربك بظلام للعبيد، بنقص حسنة أو زيادة سيِّئة.
قوله تعالى:{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ} [فصلت : ٤٦]، أي:" من عمل صالحًا فأطاع الله ورسوله فلنفسه ثواب عمله"(٢٢٩٦).
قال الطبري:" من عمل بطاعة الله في هذه الدنيا، فائتمر لأمره، وانتهى عما نهاه عنه فلنفسه عمل ذلك الصالح من العمل، لأنه يجازى عليه جزاءه، فيستوجب في المعاد من الله الجنة، والنجاة من النار"(٢٢٩٧).
قال السمعاني:" أي: نفع ذلك عائد إلى نفسه"(٢٢٩٨).
قوله تعالى:{وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا} [فصلت : ٤٦]، أي:" ومن أساء فعصى الله ورسوله فعلى نفسه وزر عمله"(٢٢٩٩).
قال الزجاج:" أي: على نفسه"(٢٣٠٠).

(٢٢٨٨) الدر المنثور: ٣٣٤/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٢٢٨٩) أخرجه الطبري: ٤٨٧/٢١.
(٢٢٩٠) الكشاف: ٢٠٣/٤.
(٢٢٩١) حكاه عنه السمعاني في التفسير: ٥٧/٥.
(٢٢٩٢) التفسير الميسر: ٤٨١.
(٢٢٩٣) تفسير الطبري: ٤٨٧/٢١.
(٢٢٩٤) تفسير ابن كثير: ١٨٥/٧.
(٢٢٩٥) تفسير البغوي: ١٧٧/٨.
(٢٢٩٦) التفسير الميسر: ٤٨١.
(٢٢٩٧) تفسير الطبري: ٤٨٧/٢١.
(٢٢٩٨) تفسير السمعاني: ٥٨/٥.
(٢٢٩٩) التفسير الميسر: ٤٨١.

قال ابن كثير:" أي : إنما يرجع وبال ذلك عليه "[2301].

قال الطبري:" يقول: ومن عمل بمعاصي الله فيها، فعلى نفسه جنى، لأنه أكسبها بذلك سخط الله، والعقاب الأليم"[2302].

قوله تعالى:{وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} [فصلت : ٤٦]، أي:" وما ربك بظلام للعبيد، بنقص حسنة أو زيادة سيِّئة"[2303].

قال الطبري: يقول: "وما ربك يا محمد بحامل عقوبة ذنب مذنب على غير مكتسبه، بل لا يعاقب أحدا إلا على جرمه الذي اكتسبه في الدنيا، أو على سبب استحقه به منه"[2304].

قال السمعاني:" لأن ما يفعله يكون عدلا، ولا يكون ظلما. وقيل: لا يعاقب أحدا من غير جرم"[2305].

قال ابن كثير:" أي : لا يعاقب أحدا إلا بذنب ، ولا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه ، وإرسال الرسول إليه "[2306].

عن ابن عباس:" {وأن الله ليس بظلام للعبيد}، قال: ما أنا بمعذب من لم يجرم عندي أن أعذبه"[2307].

عن السدى، قال: "الكافر يخرج له يوم القيامة كتاب فيقول: رب إنك قضيت أنك لست بظلام للعبيد، فاجعلني أحاسب نفسي. فيقال له: {اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء : ١٤]"[2308].

فوائد الآيات:[٤٣-٤٦]:

١- تسلية الرسول أي حمله على الصبر والسلوان ليواصل دعوته إلى نهايتها.
٢- بيان مدى ما كان عليه المشركون من التكذيب للرسول والمعاندة والمجاحدة.
٣- القرآن دواء وشفاء لأهل الإيمان، وأهل الكفر فهم على العكس من أهل الإيمان.
٤- بيان سنة الله في الأمم السابقة في اختلافها على أنبيائها وما جاءتها به من الهدى والنور.
٥- قوله تعالى {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ} أجري مجرى المثل عند العالمين.
٦- نفي الظلم عن الله مطلقاً، قال عليه الصلاة والسلام فيما يروي عن ربه عزوجل: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجلته بينكم محرما فلا تظالموا"[2309].

القرآن

{إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ (٤٧)} [فصلت : ٤٧]

التفسير:

إلى الله تعالى وحده لا شريك له يُرْجَع علم الساعة، فإنه لا يعلم أحد متى قيامها غيره، وما تخرج من ثمرات من أوعيتها، وما تحمل مِن أنثى ولا تضع حَمْلها إلا بعلم من الله، لا يخفى عليه شيء من ذلك. ويوم ينادي الله تعالى المشركين يوم القيامة توبيخًا لهم وإظهارًا لكذبهم: أين

(٢٣٠٠) معاني القرآن: ٣٩٠/٤.
(٢٣٠١) تفسير ابن كثير: ١٨٥/٧.
(٢٣٠٢) تفسير الطبري: ٤٨٧/٢١.
(٢٣٠٣) التفسير الميسر: ٤٨١.
(٢٣٠٤) تفسير الطبري: ٤٨٧/٢١.
(٢٣٠٥) تفسير السمعاني: ٥٨/٥.
(٢٣٠٦) تفسير ابن كثير: ١٨٥/٧.
(٢٣٠٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٥٩٥):ص٨٣٠/٣.
(٢٣٠٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢١١):ص٢٣٢١/٧.
(٢٣٠٩)رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم (٢٥٧٧)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

شركائي الذين كنتم تشركونهم في عبادتي؟ قالوا: أعلمناك الآن ما منا من أحد يشهد اليوم أن معك شريكًا.

سبب النزول:

قال الثعلبي:" وذلك أنّ المشركين، قالوا للنبي - صلى الله عليه وسلم -: لئن كنت نبيًّا، فأخبرنا عن الساعة متى قيامها؟ وإن كنت لا تعلم ذلك فإنّك لست بنبيّ. فأنزل الله تعالى هذِهِ الآية"(٢٣١٠).

قوله تعالى:{إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ} [فصلت : ٤٧]، أي:" إلى الله تعالى وحده لا شريك له يُرْجَع علم الساعة، فإنه لا يعلم أحد متى قيامها غيره"(٢٣١١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إلى الله يرد العالمون به علم الساعة، فإنه لا يعلم ما قيامها غيره"(٢٣١٢).

قال ابن كثير:" أي : لا يعلم ذلك أحد سواه ، كما قال صلى الله عليه وسلم ، وهو سيد البشر لجبريل وهو من سادات الملائكة - حين سأله عن الساعة ، فقال : «ما المسئول عنها بأعلم من السائل»(٢٣١٣)، وكما قال تعالى : {إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا} [النازعات : ٤٤] ، وقال {لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلا هُوَ} [الأعراف : ١٨٧]"(٢٣١٤).

قال مقاتل:" وذلك أن اليهود قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم- أخبرنا عن الساعة، فإن كنت رسولا كما زعمت علمتها وإلا علمنا أنك لست برسول، ولا نصدقك، قال النبي- صلى الله عليه وسلم-:لا يعلمها إلا الله»، أرد علمها إلى الله، فقال الله- عز وجل- للنبي- صلى الله عليه وسلم- فإن كنت رددت علمها، -يعني: علم الساعة إلى الله- فإن الملائكة والخلق كلهم ردوا علم الساعة، -يعني: القيامة- إلى الله- عز وجل-"(٢٣١٥).

قال الماتريدي:" أجمع من آمن باللَّه تعالى، وصدق رسله - عليهم السلام - من أهل السماء وأهل الأرض أن ليس عندهم علم بوقت الساعة؛ فإن ذلك خفي عليهم لا يعلمونه، وأن علم ذلك عند اللَّه تعالى، وهو ما قال - عَزَّ وَجَلَّ -: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا. . .} الآية؛ غير الباطنية والروافض؛ فإن علم ذلك عندهم على مذهبهم وفي زعمهم:

- أما الروافض: فإنهم يعدون الأئمة ويقولون: إن الساعة على إمام كذا، وفي زمان كذا
- وأما الباطنية يقولون: إن اسم الساعة والقيامة ونحو ذلك إنما هو اسم قائم الزمان وإنه فلان، فعلى قولهم يظهر وقت قيامها، فهو خلاف ما ذكر في الكتاب، وما أجمع عليه أهل السماء والأرض، واللَّه أعلم"(٢٣١٦).

قوله تعالى:{وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ} [فصلت : ٤٧]، أي:" وما تخرج من ثمرات من أوعيتها، وما تحمل مِن أنثى ولا تضع حَمْلها إلا بعلم من الله، لا يخفى عليه شيء من ذلك"(٢٣١٧).

(٢٣١٠) الكشف والبيان: ٣١١/٢٣. ط. دار التفسير. وذكره ابن الجوزي في "زاد المسير" ٧/ ٢٦٤ وفيه أن اليهود هم من سأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

(٢٣١١) التفسير الميسر: ٤٨٢.

(٢٣١٢) تفسير الطبري: ٤٨٧/٢١.

(٢٣١٣)رواه البخاري في "صحيحه" كتاب التفسير، "تفسير سورة لقمان": باب {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} ٤/ ١٧٩٣، حديث رقم (٤٤٩٩).

ومسلم في "صحيحه" كتاب الإيمان: باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله - سبحانه وتعالى- ١/ ٣٧ حديث رقم (١).

وهو جزء من حديث طويل مشهور، حيما جاء جبريل -عليه السلام- بصورة رجل إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان إلى آخر الحديث.

(٢٣١٤) تفسير ابن كثير: ١٨٥/٧.

(٢٣١٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٤٧/٣.

(٢٣١٦) تأويلات أهل السنة: ٩٣/٩.

(٢٣١٧) التفسير الميسر: ٤٨٢.

قال الطبري:" يقول: وما تظهر من ثمرة شجرة من أكمامها التي هي متغيبة فيها، فتخرج منها بارزة، وما تحمل من أنثى من حمل حين تحمله، ولا تضع ولدها إلا بعلم من الله، لا يخفى عليه شيء من ذلك"(٢٣١٨).

قال ابن كثير:" أي : الجميع بعلمه ، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. وقد قال تعالى : {وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا} [الأنعام : ٥٩] ، وقال جلت عظمته : {يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ} [الرعد : ٨] ، وقال {وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [فاطر : ١١]"(٢٣١٩).

وفي قوله تعالى:{وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا} [فصلت : ٤٧]، وجهان من التفسير:

أحدهما: حين تطلع. قاله مجاهد(٢٣٢٠)، والسدي(٢٣٢١).

قال السدي:" من طلعها"(٢٣٢٢).

قال الحسن: "{إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السّاعَةِ وما تَخْرُجُ مِن ثَمَراتٍ مِن أكْمامِها} هذا في النخل خاصَّة حين يطلع، لا يعلم أحدٌ كيف يُخرجه الله"(٢٣٢٣).

الثاني: أنها الطلعة تخرج من قشرها. قاله الزجاج(٢٣٢٤).

قال الزجاج:" نحو خروج الطلع من قشره"(٢٣٢٥).

قال النحاس:" القول الأول أعم، أي: وما تخرج من ثمرة من غلافها الذي كانت فيه وذلك أول ما تطلع وغلاف كل شيء كمه"(٢٣٢٦).

قوله تعالى:{وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي} [فصلت : ٤٧]، أي:" ويوم ينادي الله تعالى المشركين يوم القيامة توبيخًا لهم وإظهارًا لكذبهم: أين شركائي الذين كنتم تشركونهم في عبادتي؟"(٢٣٢٧).

قال الطبري:" ويوم ينادي الله هؤلاء المشركين به في الدنيا الأوثان والأصنام: أين شركائي الذين كنتم تشركونهم في عبادتكم إياي؟"(٢٣٢٨).

قال الزجاج:" المعنى: أين قولكم أن لي شركاء، واللَّه - جل وعلا - واحدٌ لا شريك له"(٢٣٢٩).

قال النحاس:"{وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي}، أي: على زعمكم "(٢٣٣٠).

قال ابن كثير:" أي : يوم القيامة ينادي الله المشركين على رءوس الخلائق : أين شركائي الذين عبدتموهم معي؟"(٢٣٣١).

قوله تعالى:{قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ} [فصلت : ٤٧]، أي:" قالوا: أعلمناك الآن ما منا من أحد يشهد اليوم أن معك شريكًا"(٢٣٣٢).

(٢٣١٨) تفسير الطبري: ٢١/٤٨٧-٤٨٨.
(٢٣١٩) تفسير ابن كثير: ٧/١٨٥.
(٢٣٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٤٨٨.
(٢٣٢١) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٤٨٨.
(٢٣٢٢) أخرجه الطبري: ٢١/٤٨٨.
(٢٣٢٣)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ١٥٨.
(٢٣٢٤) انظر: معاني القرآن: ٤/٣٩٠.
(٢٣٢٥) معاني القرآن: ٤/٣٩٠.
(٢٣٢٦) معاني القرآن: ٦/٢٨٢.
(٢٣٢٧) التفسير الميسر: ٤٨٢.
(٢٣٢٨) تفسير الطبري: ٢١/٤٨٨.
(٢٣٢٩) معاني القرآن: ٤/٣٩١.
(٢٣٣٠) معاني القرآن: ٤/٣٩١.
(٢٣٣١) تفسير ابن كثير: ٧/١٨٥.

قال الطبري:" قال هؤلاء المشركون لربهم يومئذ: أعلمناك، ما منا من شهيد يشهد أن لك شريكا"(٢٣٣٣).

قال الزجاج:" أَعْلَمْنَاكَ مَا مِنا من شهيدٍ لَهُم"(٢٣٣٤).

قال ابن كثير:" أي : أعلمناك، ليس أحد منا اليوم يشهد أن معك شريكا"(٢٣٣٥).

عن ابن عباس، قوله: "{آذَنَّاكَ}، يقول: أعلمناك"(٢٣٣٦).

وقال السدي:" قالوا: أطعناك ما منا من شهيد على أن لك شريكا"(٢٣٣٧).

قال النحاس:" هذا من قول الالهة، أي: أعلمناك، أي: ما منا من شهد أن لك شريكا"(٢٣٣٨).

قال ابن قتيبة:" الأصل: أن «الأذن»: هي السامعة، فقيل لكل من صدّق بكلّ خبر يسمعه: أذن، ومنه يقال: آذنتك بالأمر فأذنت، كما تقول: أعلمتك فعلمت، إنما هو أوقعته في أذنك. يقول الله عزّ وجلّ: {فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [البقرة: ٢٧٩] أي: اعلموا، ومن قرأها «فآذنوا»، أراد: فأعلموا. ومنه ما قالت الشعراء (٢٣٣٩):

آذنتنا ببينها أسماء

ومنه: الأذان، إنما هو إعلام الناس وقت الصلاة، وقوله: وَأَذانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ [التوبة: ٣] أي: إعلام"(٢٣٤٠).

القرآن

{وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (٤٨)} [فصلت : ٤٨]

التفسير:

وذهب عن هؤلاء المشركين شركاؤهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله، فلم ينفعوهم، وأيقنوا أن لا ملجأ لهم من عذاب الله، ولا محيد عنه.

قوله تعالى:{وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ} [فصلت : ٤٨]، أي:" وذهب عن هؤلاء المشركين شركاؤهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله، فلم ينفعوهم"(٢٣٤١).

قال الطبري: يقول:" وضلّ عن هؤلاء المشركين يوم القيامة آلهتهم التي كانوا يعبدونها في الدنيا، فأخذ بها طريق غير طريقهم، فلم تنفعهم، ولم تدفع عنهم شيئا من عذاب الله الذي حلّ بهم"(٢٣٤٢).

قال ابن كثير:" أي : ذهبوا فلم ينفعوهم"(٢٣٤٣).

(٢٣٣٢) التفسير الميسر: ٤٨٢.
(٢٣٣٣) تفسير الطبري: ٤٨٨/٢١.
(٢٣٣٤) معاني القرآن: ٣٩١/٤.
(٢٣٣٥) تفسير ابن كثير: ١٨٥/٧.
(٢٣٣٦) أخرجه الطبري: ٤٨٨/٢١-٤٨٩.
(٢٣٣٧) أخرجه الطبري: ٤٨٩/٢١.
(٢٣٣٨) معاني القرآن:٢٨٢/٦-٢٨٣.
(٢٣٣٩)عجزه: ربّ ثاو يملّ منه الثواء والبيت من الخفيف، وهو للحارث بن حلزة في ديوانه ص ١٩، والأغاني ١١/ ٣٦، وإنباه الرواة ٣/ ٩٤، وتخليص الشواهد ص ٤٧٢، وخزانة الأدب ٣/ ١٨١، ١٨٢، ٤١٥، وزهر الآداب ١/ ٥٦١، وشرح شواهد الشافية ص ٢٤٤، وشرح القصائد السبع ص ٤٣٢، ٤٣٣، وشرح القصائد العشر ص ٣٧٠، وشرح المعلقات السبع ص ٢١٦، وشرح المعلقات العشر ص ١١٩، والشعر والشعراء ١/ ٢٠٣، وطبقات فحول الشعراء ١/ ١٥١، والعقد الفريد ٥/ ٢٧٠، والعمدة ١/ ١١٤، ولسان العرب (أذن) ، (قفا) ، (قوا) ، ومعاهد التنصيص ١/ ٣١٠، والمقاصد النحوية ٢/ ٤٤٥، وبلا نسبة في الخصائص ١/ ٣٤١، وشرح شافية ابن الحاجب ٢/ ٣١٧.
(٢٣٤٠) تأويل مشكل القرآن: ١١٦.
(٢٣٤١) التفسير الميسر: ٤٨٢.
(٢٣٤٢) تفسير الطبري: ٤٨٩/٢١.
(٢٣٤٣) تفسير ابن كثير: ١٨٥/٧.

قوله تعالى:{وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ} [فصلت : ٤٨]، أي:" وأيقنوا أن لا ملجأ لهم من عذاب الله، ولا محيد عنه"(٢٣٤٤).

قال الطبري: " يقول: وأيقنوا حينئذ ما لهم من ملجأ: أي ليس لهم ملجأ يلجئون إليه من عذاب الله"(٢٣٤٥).

قال ابن كثير:" أي : وظن المشركون يوم القيامة ، وهذا بمعنى اليقين ،{مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ} أي : لا محيد لهم عن عذاب الله ، كقوله تعالى : {وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا} [الكهف : ٥٣]"(٢٣٤٦).

قال الزجاج:{ظَنُّوا}" أي: أيقنوا"(٢٣٤٧).

قال السدي:" استيقنوا أنه ليس لهم ملجأ"(٢٣٤٨).

فوائد الآيتين:[٤٧-٤٨]:

١- استئثار الله تعالى بعلم الغيب وخاصة علم متى تقوم الساعة.

٢- إحاطة علم الله تعالى بكل شيء فما تخرج من ثمرة من أوعيتها ولا تحمل من أنثى ولا تضع حملها إلا بعلم الله تعالى وإذنه.

٣- براءة المشركين يوم القيامة من شركهم، وغياب شركائهم عنهم.

القرآن

{لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ (٤٩)} [فصلت : ٤٩]

التفسير:

لا يملُّ الإنسان من دعاء ربه طالبًا الخير الدنيوي، وإن أصابه فقر وشدة فهو يؤوس من رحمة الله، قنوط بسوء الظن بربه.

سبب النزول:

قال ابن عطية:" نزلت في كفار قريش، قيل: في الوليد بن المغيرة، وقيل: في عتبة بن ربيعة، وجلّ الآية يعطي أنها نزلت في كفار وإن كان أولها يتضمن خلقا ربما شارك فيه بعض المؤمنين"(٢٣٤٩).

قوله تعالى:{لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ} [فصلت : ٤٩]، أي:" لا يملُّ الإنسان من دعاء ربه طالبًا الخير الدنيوي"(٢٣٥٠).

قال الطبري:يقول: " لا يمل الكافر بالله من دعائه بالخير، ومسألته إياه ربه. و«الخير» في هذا الموضع: المال وصحة الجسم، يقول: لا يملّ من طلب ذلك"(٢٣٥١).

قال الزجاج:" لا يَمَل الخير الذي يُصيبه"(٢٣٥٢).

قال ابن كثير:" يقول تعالى : لا يَمَلّ الإنسان من دعائه ربّه بالخير - وهو : المال ، وصحة الجسم ، وغير ذلك"(٢٣٥٣).

قال البيضاوي:أي:" لا يمل من دعاء الخير من طلب السعة في النعمة"(٢٣٥٤).

وقال سهل:" لا يمل من ذكر ربه وشكره وحمده والثناء عليه"(٢٣٥٥).

(٢٣٤٤) التفسير الميسر: ٤٨٢.

(٢٣٤٥) تفسير الطبري: ٤٨٩/٢١.

(٢٣٤٦) تفسير ابن كثير: ١٨٥/٧.

(٢٣٤٧) معاني القرآن: ٣٩١/٤.

(٢٣٤٨) أخرجه الطبري: ٤٨٩/٢١.

(٢٣٤٩) المحرر الوجيز: ٢٢/٥.

(٢٣٥٠) التفسير الميسر: ٤٨٢.

(٢٣٥١) تفسير الطبري: ٤٩٠/٢١٤.

(٢٣٥٢) معاني القرآن: ٣٩١/٤.

(٢٣٥٣) تفسير ابن كثير: ١٨٦/٧.

(٢٣٥٤) تفسير القرطبي: ٧٤/٥.

عن السديّ:"{لا يَسْأَمُ الإنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ}، يقول: الكافر"(٢٣٥٦).
عن ابن زيد، قوله :"{لا يَسْأَمُ الإنْسَانُ}، قال: لا يمل"(٢٣٥٧).
وفي قراءة عبدالله:«لا يَسْأَمُ الإنْسَانُ مِنْ دَعَاءٍ بالخَيْر»(٢٣٥٨).
قوله تعالى:{وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ} [فصلت : ٤٩]، أي:" وإن أصابه فقر وشدة فهو يؤوس من رحمة الله، قنوط بسوء الظن بربه"(٢٣٥٩).
قال الطبري:يقول: " يقول: وإن ناله ضرّ في نفسه من سُقم أو جهد في معيشته، أو احتباس من رزقه، فإنه ذو يأس من روح الله وفرجه، قنوط من رحمته، ومن أن يكشف ذلك الشرّ النازل به عنه"(٢٣٦٠).
قال الزجاج:" وإذا اختبر بشيء من الشر يئس وقنط"(٢٣٦١).
قال ابن كثير:" وإن مسه الشر - وهو البلاء أو الفقر - {فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ}، أي : يقع في ذهنه أنه لا يتهيأ له بعد هذا خير"(٢٣٦٢).
قال البيضاوي:أي:" قنوط من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله: إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون وقد بولغ في يأسه من جهة البنية والتكرير وما في القنوط من ظهور أثر اليأس"(٢٣٦٣).
عن السديّ:"{وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ}، قانط من الخير"(٢٣٦٤).
قال ابن عطية:" «الْخَيْرِ» في هذه الآية: المال والصحة، وبذلك تليق الآية بالكافر، وإن قدرناه خير الآخرة فهي للمؤمن، وأما اليأس والقنط على الإطلاق فمن صفة الكافر وحده"(٢٣٦٥).

القرآن
{وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٠)} [فصلت : ٥٠]
التفسير:
ولئن أذقنا الإنسان نعمة منا من بعد شدة وبلاء لم يشكر الله تعالى، بل يطغى ويقول: أتاني هذا؛ لأني مستحق له، وما أعتقد أن الساعة آتية، وذلك إنكار منه للبعث، وعلى تقدير إتيان الساعة وأني سأرجع إلى ربي، فإن لي عنده الجنة، فلنخبرن الذين كفروا يوم القيامة بما عملوا من سيئات، ولنذيقنهم من العذاب الشديد.
قوله تعالى:{وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي} [فصلت : ٥٠]، أي:" ولئن أذقنا الإنسان نعمة منا من بعد شدة وبلاء لم يشكر الله تعالى، بل يطغى ويقول: أتاني هذا؛ لأني مستحق له"(٢٣٦٦).

(٢٣٥٥) تفسير التستري: ١٣٧.
(٢٣٥٦) أخرجه الطبري: ٤٩٠.
(٢٣٥٧) أخرجه الطبري: ٤٩٠.
(٢٣٥٨) .انظر: تفسير الطبري: ٤٩٠/٢١
(٢٣٥٩) التفسير الميسر: ٤٨٢.
(٢٣٦٠) تفسير الطبري: ٤٩٠/٢١٤.
(٢٣٦١) معاني القرآن: ٣٩١/٤.
(٢٣٦٢) تفسير ابن كثير: ١٨٦/٧.
(٢٣٦٣) تفسير القرطبي: ٧٤/٥.
(٢٣٦٤) أخرجه الطبري: ٤٩٠.
(٢٣٦٥) المحرر الوجيز: ٢٢/٥.
(٢٣٦٦) التفسير الميسر: ٤٨٢.

قال الطبري: يقول:" ولئن نحن كشفنا عن هذا الكافر ما أصابه من سقم في نفسه وضرّ، وشدّة في معيشته وجهد، رحمة منا، فوهبنا له العافية في نفسه بعد السقم، ورزقناه مالا فوسعنا عليه في معيشته من بعد الجهد والضرّ، {لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي} عند الله، لأن الله راض عني برضاه عملي، وما أنا عليه مقيم"(٢٣٦٧).

قال ابن كثير:" أي : إذا أصابه خير ورزق بعد ما كان في شدة ليقولن : هذا لي ، إني كنت أستحقه عند ربي"(٢٣٦٨).

قال الزجاج:" أي: هذا واجب لي، بعملي استحققته، وهذا يعني به الكَافِرُونَ، ودليل ذلك قوله: {وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى}"(٢٣٦٩).

عن مجاهد:"{لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي}، أي: بعملي، وأنا محقوق بهذا"(٢٣٧٠).

قال ابن عطية:" أي: بعلمي وبما سعيت، ولا يرى أن النعم إنما هي بتفضل من الله تعالى"(٢٣٧١).

قوله تعالى:{وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً} [فصلت : ٥٠]، أي: ويقول:" وما أعتقد أن الساعة آتية"(٢٣٧٢).

قال مجاهد:" يقول: وما أحسب القيامة قائمة يوم تقوم"(٢٣٧٣).

قال الزجاج:" يقول: إني لست أُوقِنُ بالبعث وقيام الساعة"(٢٣٧٤).

قال ابن عطية:" قول بيّن فيه الجحد والكفر"(٢٣٧٥).

قال ابن كثير:" أي : يكفر بقيام الساعة ، أي : لأجل أنه خُوِّل نعمة يفخر ، ويبطر ، ويكفر ، كما قال تعالى:{كَلا إِنَّ الإنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى} [العلق : ٦ ، ٧]"(٢٣٧٦).

قوله تعالى:{وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى} [فصلت : ٥٠]، أي:" وعلى فرض أن القيامة حاصلة، فليحسننَّ إليَّ ربي كما أحسن إليَّ في هذه الدنيا"(٢٣٧٧).

قال الطبري:" يقول: وإن قامت أيضا القيامة، ورددت إلى الله حيا بعد مماتي، إن لي عنده غنى ومال"(٢٣٧٨).

قال ابن عطية:" يقول هذا الكافر، ولئن كان ثم رجوع كما تقولون، لتكونن لي حال ترضيني من غنى ومال وبنين"(٢٣٧٩).

قال ابن كثير:" أي : ولئن كان ثَمّ معاد فليُحسنَنّ إلي ربي ، كما أحسن إلي في هذه الدار ، يتمنى على الله ، عز وجل ، مع إساءته العمل وعدم اليقين"(٢٣٨٠).

قال الزجاج:يقول:" فإن كان الأمر على ذلك إن لي عنده للحسنى"(٢٣٨١).

قال البيضاوي:"أي: ولئن قامت على التوهم كان لي عند الله الحالة الحسنى من الكرامة، وذلك لاعتقاده أن ما أصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق لا ينفك عنه"(٢٣٨٢).

(٢٣٦٧) تفسير الطبري: ٤٩٠/٢١.
(٢٣٦٨) تفسير ابن كثير: ١٨٦/٧.
(٢٣٦٩) معاني القرآن: ٣٩١/٤.
(٢٣٧٠) أخرجه الطبري: ٤٩١/٢١.
(٢٣٧١) المحرر الوجيز: ٢٢/٥.
(٢٣٧٢) التفسير الميسر: ٤٨٢.
(٢٣٧٣) أخرجه الطبري: ٤٩١/٢١.
(٢٣٧٤) معاني القرآن: ٣٩١/٤.
(٢٣٧٥) المحرر الوجيز: ٢٢/٥.
(٢٣٧٦) تفسير ابن كثير: ١٨٦/٧.
(٢٣٧٧) صفوة التفاسير: ١١٨/٣.
(٢٣٧٨) تفسير الطبري: ٤٩١/٢١.
(٢٣٧٩) المحرر الوجيز: ٢٢/٥.
(٢٣٨٠) تفسير ابن كثير: ١٨٦/٧.
(٢٣٨١) معاني القرآن: ٣٩١/٤.

قال مجاهد:"يقول: وإن قامت أيضا القيامة، ورددت إلى الله حيا بعد مماتي. يقول: إن لي عنده غنى ومالا"[٢٣٨٣].

عن السديّ، قوله: "{إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى}، يقول: غنى"[٢٣٨٤].

قال الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: "للكافر أمنيتان، أما في دنياه فهذه: {إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى}. وأما في آخرته: ف {يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا} [النبأ : ٤٠]"[٢٣٨٥].

قال ابن عطية:" الأماني على الله تعالى وترك الجد في الطاعة مذموم لكل أحد، فقد قال عليه السلام: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله»[٢٣٨٦]"[٢٣٨٧].

قال الترمذي: "ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: «دان نفسه»، يقول: حاسب نفسه في الدنيا قبل أن يحاسب يوم القيامة"[٢٣٨٨].

قوله تعالى:{فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا} [فصلت : ٥٠]، أي:" فلنخبرن الذين كفروا يوم القيامة بما عملوا من سيئات"[٢٣٨٩].

قال الطبري:يقول: " فلنخبرن هؤلاء الكفار بالله، المتمنين عليه الأباطيل يوم يرجعون إليه بما عملوا في الدنيا من المعاصي، واجترحوا من السيئات، ثم لنجازينّ جميعهم على ذلك جزاءهم"[٢٣٩٠].

قال البيضاوي:أي: فلنخبرنهم بحقيقة أعمالهم، ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها"[٢٣٩١].

قوله تعالى:{وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ} [فصلت : ٥٠]، أي:" ولنذيقنهم من العذاب الشديد"[٢٣٩٢].

قال الطبري:" وذلك العذاب الغليظ تخليدهم في نار جهنم، لا يموتون فيها ولا يحيون"[٢٣٩٣].

قال ابن كثير:" يتهدد تعالى من كان هذا عمله واعتقاده بالعقاب والنكال"[٢٣٩٤].

قال مقاتل:" يعني: شديد لا يفتر عنهم، وهم فيه مبلسون"[٢٣٩٥].

قال البيضاوي:أي: " لا يمكنهم التقصي عنه"[٢٣٩٦].

قال ابن عطية:" غلظ العذاب: شدته وصعوبته"[٢٣٩٧].

عن أبي مالك، قوله: "{غليظا}، يعني: شديدا"[٢٣٩٨].

(٢٣٨٢) تفسير القرطبي: ٧٤/٥.
(٢٣٨٣) أخرجه الطبري: ٤٩١/٢١.
(٢٣٨٤) أخرجه الطبري: ٤٩١/٢١.
(٢٣٨٥) نقلا عن: المحرر الوجيز: ٢٢/٥.
(٢٣٨٦)رواه الترمذى (٢٤٥٩)، وابن ماجه (٤٢٦٠)، وأحمد (٤/ ١٢٤) (١٧١٦٤)،، وأبو نعيم فى ((الحلية)) (١/ ٢٦٧)، والطبراني (٧/ ٢٨١) (٧١٤١)، والحاكم (١/ ١٢٥)، والبيهقي (٣/ ٣٦٩) (٦٣٠٦). قال الترمذي: حسن، وقال الحاكم: صحيح على شرط البخارى. وحسنه البغوي في ((شرح السنة)) (٧/ ٣٣٣).
(٢٣٨٧) المحرر الوجيز: ٢٢/٥.
(٢٣٨٨)سنن الترمذي: ٥/ ٤٤٩.
(٢٣٨٩) التفسير الميسر: ٤٨٢.
(٢٣٩٠) تفسير الطبري: ٤٩١/٢١.
(٢٣٩١) تفسير القرطبي: ٧٤/٥.
(٢٣٩٢) التفسير الميسر: ٤٨٢.
(٢٣٩٣) تفسير الطبري: ٤٩١/٢١.
(٢٣٩٤) تفسير ابن كثير: ١٨٦/٧.
(٢٣٩٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٤٨/٣.
(٢٣٩٦) تفسير القرطبي: ٧٤/٥.
(٢٣٩٧) المحرر الوجيز: ٢٢/٥.
(٢٣٩٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٧٦):ص٢٠٤٧/٦.

القرآن

{وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ (٥١)} [فصلت : ٥١]

التفسير:

وإذا أنعمنا على الإنسان بصحة أو رزق أو غيرهما أعرض وترقَّع عن الانقياد إلى الحق، وإن أصابه ضر فهو ذو دعاء كثير بأن يكشف الله ضرَّه، فهو يعرف ربه في الشدة، ولا يعرفه في الرخاء.

قوله تعالى:{وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ} [فصلت : ٥١]، أي:" وإذا أنعمنا على الإنسان بصحة أو رزق أو غيرهما أعرض وترقَّع عن الانقياد إلى الحق"(٢٣٩٩).

قال الطبري: يقول" وإذا نحن أنعمنا على الكافر، فكشفنا ما به من ضرّ، ورزقناه غنى وسعة، ووهبنا له صحة جسم وعافية، أعرض عما دعوناه إليه من طاعته، وصدّ عنه، وبعد من إجابتنا إلى ما دعوناه إليه، ويعني: بـ«جانبه»: بناحيته"(٢٤٠٠).

قال ابن كثير:" أي : أعرض عن الطاعة ، واستكبر عن الانقياد لأوامر الله ، عز وجل ، كقوله تعالى : {فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ} [الذاريات : ٣٩]"(٢٤٠١).

قال سهل:{أَعْرَضَ وَنَأَى بِجانِبِهِ}،" يعني: عن الدعاء والشكر على ما أنعم به عليه، واشتغل بالنعمة، وافتخر بغير مفتخر به"(٢٤٠٢).

عن السديّ، قوله: "{أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ}، يقول: أعرض: صدّ بوجهه، و{نأى بجانبه}، يقول: تباعد"(٢٤٠٣).

قوله تعالى:{وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ} [فصلت : ٥١]، أي:" وإن أصابه ضر فهو ذو دعاء كثير بأن يكشف الله ضرَّه"(٢٤٠٤).

قال الصابوني:" أي: وإذا أصابه المكروه فهو ذو دعاء كثير، يديم التضرع ويكثر من الابتهال، وهكذا طبيعة الإنسان الجحود والنكران، يعرف ربه في البلاء وينساه في الرخاء"(٢٤٠٥).

قال ابن كثير:" {وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ}، أي : الشدة ، {فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ}، أي : يطيل المسألة في الشيء الواحد، فالكلام العريض : ما طال لفظه وقل معناه ، والوجيز : عكسه ، وهو : ما قل ودل. وقد قال تعالى : {وَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا (١) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ} [يونس : ١٢]"(٢٤٠٦).

قال الفراء:" يقول: ذو دعاء كثير، إن وصفته بالطول والعرض فصواب"(٢٤٠٧).

قال الطبري:" يعني بـ«العريض»: الكثير"(٢٤٠٨).

قال الزجاج:" «عريضٌ» -ههنا-: كبير، وكذلك لو كان ذو دعاء طويل كانَ معناه: كبيرٌ"(٢٤٠٩).

عن السديّ: "{فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ}، يقول: كثير، وذلك قول الناس: أطال فلان الدعاء: إذا أكثر، وكذلك أعرض دعاءه"(٢٤١٠).

(٢٣٩٩) التفسير الميسر: ٤٨٢.

(٢٤٠٠) تفسير الطبري: ٤٩١/٢١.

(٢٤٠١) تفسير ابن كثير: ١٨٦/٧.

(٢٤٠٢) تفسير التستري: ١٣٧.

(٢٤٠٣) أخرجه الطبري: ٤٩٢/٢١.

(٢٤٠٤) التفسير الميسر: ٤٨٢.

(٢٤٠٥) صفوة التفاسير: ١١٨/٣.

(٢٤٠٦) تفسير ابن كثير: ١٨٦/٧.

(٢٤٠٧) معاني القرآن: ٢٠/٣.

(٢٤٠٨) تفسير الطبري: ٤٩٢/٢١.

(٢٤٠٩) معاني القرآن: ٣٩١/٤.

قال الرازي:" استعير «العرض» لكثرة الدماء ودوامه، وهو من صفات الأجرام، ويستعار له الطول أيضا كما استعير «الغلظ» لشدة العذاب"(٢٤١١).
فوائد الآيات:[٤٧-٥١]:
١- بيان حال الإنسان قبل الإيمان فإنه يكون أحط المخلوقات قدراً وأضعفها شأناً.
٢- تقرير عقيد البعث والجزاء بذكر بعض الأحداث فيها.
٣- ذم اليأس والقنوط والكبر والاختيال، والكفر للنعم ونسيان المنعم وعدم شكره.

القرآن
{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٢)} [فصلت : ٥٢]
التفسير:
قل -أيها الرسول- لهؤلاء المكذبين: أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله ثم جحدتم وكذَّبتم به، لا أحد أضل منكم؛ لأنكم في خلاف بعيد عن الحق بكفركم بالقرآن وتكذيبكم به.
قوله تعالى:{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ} [فصلت : ٥٢]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المكذبين: أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله ثم جحدتم وكذَّبتم به"(٢٤١٢).
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيّه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم {قُلْ} يا محمد للمكذّبين بما جئتهم به من عند ربك من هذا القرآن {أَرَأَيْتُمْ} أيها القوم {إِنْ كَانَ} هذا الذي تكذبون به {مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ}، ألستم في فراق وبعد من الصواب"(٢٤١٣).
قال ابن كثير:" يقول تعالى : قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بالقرآن : {أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ} هذا القرآن {مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ}، أي : كيف تُرَون حالكم عند الذي أنزله على رسوله ؟"(٢٤١٤).
قال النحاس:" في الكلام حذف، أي: إن كان من عند الله ثم كفرتم به، أمصيبون أنتم في ذلك؟"(٢٤١٥).
قال مقاتل:" وذلك أنهم قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم- ما هذا القرآن إلا شيء ابتدعته من تلقاء نفسك أما وجد الله رسولا غيرك وأنت أحقرنا وأنت أضعفنا ركنا وأقلنا جندا، أو يرسل ملكا، إن هذا الذي جئت به لأمر عظيم"(٢٤١٦).
قوله تعالى:{مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} [فصلت : ٥٢]، أي:" لا أحد أضل منكم؛ لأنكم في خلاف بعيد عن الحق بكفركم بالقرآن وتكذيبكم به"(٢٤١٧).
قل الطبري:" يقول: قل لهم من أشد ذهابا عن قصد السبيل، وأسلك لغير طريق الصواب، ممن هو في فراق لأمر الله وخوف له، بعيد من الرشاد"(٢٤١٨).
قال مقاتل:" {فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ}، يعني: في ضلال طويل"(٢٤١٩).
قال ابن كثير:" أي : في كفر وعناد ومشاقة للحق ، ومَسْلك بعيد من الهدى"(٢٤٢٠).

(٢٤١٠) أخرجه الطبر]: ٤٩٢/٢١.
(٢٤١١) مفاتيح الغيب: ٥٧٣/٢٧.
(٢٤١٢) التفسير الميسر: ٤٨٢.
(٢٤١٣) تفسير الطبري: ٤٩٢/٢١.
(٢٤١٤) تفسير ابن كثير: ١٨٦/٧.
(٢٤١٥) إعراب القرآن: ٤٧/٤.
(٢٤١٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٤٨/٣.
(٢٤١٧) التفسير الميسر: ٤٨٢.
(٢٤١٨) تفسير الطبري: ٤٩٢/٢١.
(٢٤١٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٤٨/٣.
(٢٤٢٠) تفسير ابن كثير: ١٨٧/٧.

قال الماتريدي:" أي: في خلاف وبعد؛ فيكون جوابه كأنه قال: لا أحد أضل ممن عرف أنه من عند الله ثم خالفه وتباعد عنه"(٢٤٢١).
عن السدي: "{لفي شقاق بعيد}، يقول: في عداوة بعيدة"(٢٤٢٢).
عن قتادة: "{وإنما هُم في شقاق}، أي: في فراق"(٢٤٢٣).
عن الربيع:"{فإنما هُمْ في شقاق}، يعني: فراق"(٢٤٢٤).

القرآن
{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣)} [فصلت : ٥٣]
التفسير:
سَنُري هؤلاء المكذبين آياتنا من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان، وفي أقطار السموات والأرض، وما يحدثه الله فيهما من الحوادث العظيمة، وفي أنفسهم وما اشتملت عليه من بديع آيات الله وعجائب صنعه، حتى يتبين لهم من تلك الآيات بيان لا يقبل الشك أن القرآن الكريم هو الحق الموحَى به من رب العالمين. أو لم يكفهم دليلا على أن القرآن حق، ومَن جاء به صادق، شهادة الله تعالى؟ فإنه قد شهد له بالتصديق، وهو على كل شيء شهيد، ولا شيء أكبر شهادة من شهادته سبحانه وتعالى.
سبب النزول:
حكي أبو الليث السمرقندي عن الضحاك، :" أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ائتنا بعلامة، فانشق القمر نصفين. فقال: أبو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم: إن كان القمر قد انشق، فهي آية. ثم قال: يا معشر قريش، إن محمدا قد سحر القمر، فوجهوا رسلكم إلى الآفاق. هل عاينوا القمر؟ إن كان كذلك، فهي آية وإلا فذلك سحر، فوجهوا. فإذا أهل الآفاق، يتحدثون بانشقاقه. فقال أبو جهل عليه اللعنة: هذا سحر مستمر. يعني: ذاهبا في الدنيا. فنزل: سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ}"(٢٤٢٥).
قوله تعالى:{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ} [فصلت : ٥٣]، أي:" سَنُري هؤلاء المكذبين آياتنا من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان، وفي أقطار السموات والأرض، وما يحدثه الله فيهما من الحوادث العظيمة، وفي أنفسهم وما اشتملت عليه من بديع آيات الله وعجائب صنعه"(٢٤٢٦).
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: سنري هؤلاء المكذّبين، ما أنزلنا على محمد عبدنا من الذكر، آياتنا في الآفاق {وَفِي أَنْفُسِهِم}"(٢٤٢٧).
واختلف أهل العلم في تفسير قوله تعالى:{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ} [فصلت : ٥٣]، على أقوال:
أحدها : أن {فِي الْآفَاقِ}: هو ظهور مُحَمَّد -صلى الله عليه وسلم-على البلاد والقرى النائية وفتحها عليه، {وَفِي أَنْفُسِهِمْ}، أي: فتح مكة وظهوره عليهم، على ما وعد له ربه - جل وعلا - من النصر له وفتح البلاد والقرى. وهذا قول الحسن(٢٤٢٨)، ومجاهد(٢٤٢٩)، والسدي(٢٤٣٠)، والمنهال(٢٤٣١)، وبه قال الطبري(٢٤٣٢)، والنحاس(٢٤٣٣).

(٢٤٢١) تأويلات أهل السنة: ٩٨/٩.
(٢٤٢٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٣٨):ص٢٨٦/١-٢٨٧.
(٢٤٢٣) أخرجه الطبري(٢١١-):ص١١٥/٣.
(٢٤٢٤) أخرجه الطبري(٢١١١):ص١١٥/٣.
(٢٤٢٥) بحر العلوم: ٢٣٣/٣.
(٢٤٢٦) التفسير الميسر: ٤٨٢.
(٢٤٢٧) تفسير الطبري: ٤٩٣/٢١.
(٢٤٢٨) نقلا عن: تفسير ابن أبي زمنين: ١٥٩/٤-١٦٠، وزاد المسير: ٥٧/٤. بدون سند.

عن السديّ: "{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ}، يقول: ما نفتح لك يا محمد من الآفاق، {وَفِي أَنْفُسِهِمْ}، في أهل مكة، يقول: نفتح لك مكة"(٢٤٣٤).

قال مجاهد:" ما يفتح الله عليهم من القرى وفي أنفسهم , قال: فتح مكة"(٢٤٣٥).

وقال المنهال:" {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ}: ظهور محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم على الناس"(٢٤٣٦).

قال الحسن: {في الآفاق}، "يعني: ما أهلك به الأمم السالفة في البلدان, فقد رأوا آثار ذلك. {وفي أنفسهم} أخبر بأنهم تصيبهم البلايا, فكان ذلك كما قال فأظهره الله عليهم , وابتلاهم بما ابتلاهم به"(٢٤٣٧).

وقال يحيى: يعني: "من الجوع بمكة , والسيف يوم بدر"(٢٤٣٨).

واختاره النحاس قائلا: " وأولى هذه الأقوال بالصواب هذا، ونسق الكلام يدلّ عليه"(٢٤٣٩).

واختاره ابن عطية، قائلا:" وهذا تأويل حسن ينتظم الإعلام بغيب ظهر وجوده بعد كذلك ويجري معه لفظ الاستئناف الذي في الفعل"(٢٤٤٠).

كما اختاره الطبري، وقال: " وذلك أن الله عزّ وجلّ وعد نبيّه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أن يري هؤلاء المشركين الذين كانوا به مكذّبين آيات في الآفاق، وغير معقول أن يكون تهدّدهم بأن يريهم ما هم راءوه، بل الواجب أن يكون ذلك وعدا منه لهم أن يريهم ما لم يكونوا راؤه قبل من ظهور نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم على أطراف بلدهم وعلى بلدهم، فأما النجوم والشمس والقمر، فقد كانوا يرونها كثيرا قبل وبعد ولا وجه لتهددهم بأنه يريهم ذلك"(٢٤٤١).

وقال الزمخشري:" يعنى: ما يسر الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء من بعده ونصار دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفي باحة العرب(٢٤٤٢)، خصوصا: من الفتوح التي لم يتيسر أمثالها لأحد من خلفاء الأرض قبلهم، ومن الإظهار على الجبابرة والأكاسرة، وتغليب قليلهم على كثيرهم، وتسليط ضعافهم على أقويائهم، وإجرائه على أيديهم أمورا خارجة من المعهود خارقة للعادات، ونشر دعوة الإسلام في أقطار المعمورة، وبسط دولته في أقاصيها، والاستقراء يطلعك في التواريخ والكتب المدوّنة في مشاهد أهله وأيامهم: على عجائب لا ترى وقعة من وقائعهم إلا علما من أعلام الله وآية من آياته، يقوى معها اليقين، ويزداد بها الإيمان، ويتبين أن دين الإسلام هو دين الحق الذي لا يحيد عنه إلا مكابر حسه مغالط نفسه، وما الثبات والاستقامة إلا صفة الحق والصدق، كما أن الاضطراب والتزلزل صفة الفرية والزور، وأن للباطل ريحا تخفق ثم تسكن، ودولة تظهر ثم تضمحل"(٢٤٤٣).

(٢٤٢٩) انظر: تفسير عبدالرزاق(٢٧٢٣):ص١٥٨/٣.
(٢٤٣٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٣/٢١.
(٢٤٣١) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٣/٢١، والكشف والبيان: ٣٠٠/٨.
(٢٤٣٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٣/٢١.
(٢٤٣٣) انظر: إعراب القرآن: ٤٧/٤.
(٢٤٣٤) أخرجه الطبري: ٤٩٣/٢١.
(٢٤٣٥) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٧٢٣):ص١٥٨/٣.
(٢٤٣٦) أخرجه الطبري: ٤٩٣/٢١.
(٢٤٣٧) نقلا عن تفسير ابن أبي زمنين: ١٥٩/٤-١٦٠.
(٢٤٣٨) نقلا عن تفسير ابن أبي زمنين: ١٦٠/٤.
(٢٤٣٩) إعراب القرآن: ٤٧/٤.
(٢٤٤٠) المحرر الوجيز: ٢٣/٥.
(٢٤٤١) تفسير الطبري: ٤٩٣/٢١-٤٩٤.
(٢٤٤٢)أي: ساحتهم. أفاده الصحاح.
(٢٤٤٣) الكشاف: ٢٠٦/٤-٢٠٧.

الثاني : {فِي الآفَاقِ}، يعني: منازل الأمم الخالية. {وَفِي أَنْفُسِهِمْ}، بالبلاء والأمراض. قاله ابن عباس(٢٤٤٤).

الثالث : {فِي الآفَاقِ}، يعني: وقائع الله تعالى في الأمم الخالية، {وَفِي أَنْفُسِهِمْ}: يوم بدر. قاله قتادة(٢٤٤٥)، ومقاتل(٢٤٤٦).

قال مقاتل:" {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنا}، يعني: عذابنا فِي الآفاق يعني في البلاد ما بين اليمن والشام، عذاب قوم عاد، وثمود، وقوم لوط كانوا مرون عليهم، ثم قال: {وَنريهم} العذاب فِي {أَنْفُسِهِمْ}، فهو القتل ببدر"(٢٤٤٧).

الرابع: {فِي الآفَاقِ}، يعني: أقطار الأرض والسماء من الشمس والقمر والنجوم والنبات والأشجار والأنهار والبحار والأمطار، {وَفِي أَنْفُسِهِمْ}: حوادث الأرض من لطيف الصنعة وبديع الحكمة، وسبيل الغائط والبول، حتى إن الرجل ليأكل ويشرب من مكان واحد، ويخرج ما يأكل ويشرب من مكانين.وفيه عبرة للإنسان بجسمه وحواسه وغريب خلقته وتدريجه في البطن ونحو ذلك. وهذا معنى قول ابن زيد(٢٤٤٨)، وعطاء(٢٤٤٩).

قال ابن زيد:" آفاق السموات: نجومها وشمسها وقمرها اللاتي يجرين، وآيات فى أنفسهم أيضا"(٢٤٥٠).

الخامس: أن {فِي الآفَاقِ}: إمساك القطر عن الأرض كلها، {وَفِي أَنْفُسِهِمْ}: البلايا التي تكون في أجسادهم، قاله ابن جريج(٢٤٥١).

السادس : أن {فِي الآفَاقِ}: انشقاق القمر ، {وَفِي أَنْفُسِهِمْ}: كيف خلقناهم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ، وكيف إدخال الطعام والشراب من موضع واحدٍ وإخراجه من موضعين آخرين ، قاله الضحاك(٢٤٥٢).

السابع : {فِي الآفَاقِ}: آثار مَن مَضَى قبلهم مِمنْ كَذبَ الرسُلَ من الأمم وآثرَ خلق اللّه في كل البلاد، {وَفِي أَنْفُسِهِمْ}: من أنهم كانوا نُطفاً ثم عَلَقاً ثم مُضَغاً ثم عِظاماً كُسِيَتْ لحماً، ثم نقلوا إلى التمييز والعقل، وذلك كله دَليل على أن الذي فعله واحدٌ ليس كمثلِه شيء. قاله الزجاج(٢٤٥٣).

قال ابن كثير: المعنى: "سنظهر لهم دلالاتنا وحُجَجنا على كون القرآن حقا منزلا من عند الله ، عز وجل ، على رسوله صلى الله عليه وسلم بدلائل خارجية {فِي الآفَاقِ} ، من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان، {وَفِي أَنْفُسِهِمْ}: يحتمل أن يكون المراد من ذلك ما الإنسان مركب منه وفيه وعليه من المواد والأخلاط والهيئات العجيبة ، كما هو مبسوط في علم التشريح الدال على حكمة الصانع تبارك وتعالى. وكذلك ما هو مجبول عليه من الأخلاق المتباينة ، من حسن وقبيح وبين ذلك ، وما هو متصرف فيه تحت الأقدار التي لا يقدر بحوله ، وقوته ، وحِيَله ، وحذره أن يجوزها ، ولا يتعداها ، كما أنشده ابن أبي الدنيا في كتابه «التفكر والاعتبار»، عن شيخه أبي جعفر القرشي :

وَإِذَا نَظَرْتَ تُرِيدُ مُعْتَبَرا... فَانظرْ إِلَيْكَ فَفِيكَ مُعْتَبَرُ
أنتَ الذي يُمْسِي وَيُصْبحُ في... الدنيا وكُلّ أمُوره عبَرُ
أنتَ المصرّفُ كانَ في صِغَرٍ... ثُمّ استَقَلَّ بِشَخْصِكَ الكِبَرُ

(٢٤٤٤) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٨/٣٠٠. بدون سند.
(٢٤٤٥) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٨/٣٠٠، وابن الجوزي في زاد المسير: ٤/٥٧. بدون سند.
(٢٤٤٦) انظر: تفسير تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٧٤٨-٧٤٩.
(٢٤٤٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٧٤٨-٧٤٩.
(٢٤٤٨) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٤٩٣.
(٢٤٤٩) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٨/٣٠٠. بدون سند.
(٢٤٥٠) أخرجه الطبري: ٢١/٤٩٣.
(٢٤٥١) انظر: النكت والعيون: ٥/١٨٩، وزاد المسير: ٤/٥٧. بدون سند.
(٢٤٥٢) حكاه عنه أبو الليث السمرقندي في بحر العلوم: ٣/٢٣٣، والماوردي في النكت والعيون: ٥/١٨٩.
(٢٤٥٣) معاني القرآن: ٤/٣٩١-٣٩٣.

أنتَ الذي تَنْعَاه خلْقُته... يَنْعاه منه الشَّعْرُ والبَشَرُ
أنتَ الذي تُعْطى وَتُسْلَب لا... يُنْجيه من أنْ يُسْلَبَ الحَذَرُ
أنْتَ الذي لا شَيءَ منْه لهُ... وَأَحَقُّ منْه بِمَالِه القَدَرُ"[٢٤٥٤].

قوله تعالى:{حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} [فصلت : ٥٣]، أي:" حتى يتبين لهم من تلك الآيات بيان لا يقبل الشك أن القرآن الكريم هو الحق الموحَى به من رب العالمين"[٢٤٥٥].

قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه: أري هؤلاء المشركين وقائعنا بأطرافهم وبهم حتى يعلموا حقيقة ما أنزلنا إلى محمد، وأوحينا إليه من الوعد له بأنا مظهرو ما بعثناه به من الدين على الأديان كلها، ولو كره المشركون"[٢٤٥٦].

قال ابن أبي زمنين:{أَنَّهُ الْحَقُّ}، " يعني: القرآن"[٢٤٥٧].

قال ابن عطية:" الضمير في قوله تعالى: {أَنَّهُ الْحَقُّ}، عائد على: الشرع والقرآن، فبإظهار الله إياه وفتح البلاد عليه تبين لهم أنه الحق"[٢٤٥٨].

قوله تعالى:{أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [فصلت : ٥٣]، أي:" أولم يكفهم أو لم يكفهم دليلا على صدقك أن ربك لا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء؟ وأنه مطَّلع على كل شيء لا تخفى عليه خافية؟"[٢٤٥٩].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: أولم يكف بربك يا محمد أنه شاهد على كل شيء مما يفعله خلقه، لا يعزب عنه علم شيء منه، وهو مجازيهم على أعمالهم، المحسن بالإحسان، والمسيء جزاءه"[٢٤٦٠].

قال ابن أبي زمنين:" أي: شاهد على كفرهم وأعمالهم, أي: بلى كفى به شهيدا عليهم"[٢٤٦١].

قال ابن كثير:" أي : كفى بالله شهيدا على أفعال عباده وأقوالهم ، وهو يشهد أن محمدًا صادق فيما أخبر به عنه ، كما قال:{لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزلَ إِلَيْكَ أَنزلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ} [النساء : ١٦٦]"[٢٤٦٢].

قال السمعاني:" يعني: أولم يكفك يا محمد من ربك أنه على كل شيء شهيد، وقيل معناه: أو ليس في شهادة ربك كفاية"[٢٤٦٣].

قال أبو الليث السمرقندي:" أولم يكف بربك شاهدا أن القرآن من الله تعالى"[٢٤٦٤].

قال الزمخشري:" معناه: أن هذا الموعود من إظهار آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم سيرونه ويشاهدونه، فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد، أي: مطلع مهيمن يستوي عنده غيبه وشهادته، فيكفيهم ذلك دليلا على أنه حق وأنه من عنده، ولو لم يكن كذلك لما قوى هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة"[٢٤٦٥].

قال ابن الجوزي:" معنى «الكفاية» -هاهنا-: أنه قد بيَّن لهم ما فيه كفاية في الدّلالة على توحيده وتثبيت رسله"[٢٤٦٦].

(٢٤٥٤) تفسير ابن كثير: ١٨٧/٧.
(٢٤٥٥) التفسير الميسر: ٤٨٢.
(٢٤٥٦) تفسير الطبري: ٤٩٤/٢١.
(٢٤٥٧) تفسير ابن أبي زمنين١٦٠/٤.
(٢٤٥٨) المحرر الوجيز: ٢٣/٥.
(٢٤٥٩) صفوة التفاسير: ١١٩/٣.[بتصرف]
(٢٤٦٠) تفسير الطبري: ٤٩٤/٢١.
(٢٤٦١) تفسير ابن أبي زمنين١٦٠/٤.
(٢٤٦٢) تفسير ابن كثير: ١٨٧/٧.
(٢٤٦٣) تفسير السمعاني: ٦١/٥.
(٢٤٦٤) بحر العلوم: ٢٣٣/٣.
(٢٤٦٥) الكشاف: ٢٠٧/٤.
(٢٤٦٦) زاد المسير: ٥٧/٤.

القرآن
{أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ (٥٤)} [فصلت : ٥٤]
التفسير:
ألا إن هؤلاء الكافرين في شك عظيم من البعث بعد الممات. ألا إن الله -جلَّ وعلا- بكل شيء محيط علمًا وقدرة وعزةً، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.
قوله تعالى:{أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ} [فصلت : ٥٤]، أي:" ألا إن هؤلاء الكافرين في شك عظيم من البعث بعد الممات"[٢٤٦٧].
قال الطبري:يقول:" ألا إن هؤلاء المكذّبين بآيات الله في شكّ من لقاء ربهم، يعني أنهم في شك من البعث بعد الممات، ومعادهم إلى ربهم"[٢٤٦٨].
قال السمعاني:" أي: في شك من البعث والنشور"[٢٤٦٩].
قال ابن كثير:" أي : في شك من قيام الساعة ؛ ولهذا لا يتفكرون فيه ، ولا يعملون له ، ولا يحذرون منه ، بل هو عندهم هَدَرٌ لا يعبئون به وهو واقع لا ريب فيه وكائن لا محالة"[٢٤٧٠].
قال ابن أبي زمنين:" يقولون: لا نبعث ولا نلقى الله"[٢٤٧١].
قال ابن عطية:" قوله: «ألا»: استفتاح يقتضي إقبال السامع على ما يقال له، فاستفتح الإخبار على أنهم في شك وريب وضلال أداهم إلى الشك في البعث"[٢٤٧٢].
قال الصابوني:" «ألا»: استفتاحٌ لتنبيه السامع إلى ما يقال، أي: ألا فانتبهوا أيها القوم إن هؤلاء المشركين في شكٍ من الحساب والبعث والجزاء، ولهذا لا يتفكرون ولا يمنون"[٢٤٧٣].
عن السديّ: "{أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ}، يقول: في شك"[٢٤٧٤].
عبد الله بن محمد بن سعيد الأنصاري : أن عمر بن عبد العزيز صَعَد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، أيها الناس ، فإني لم أجمعكم لأمر أحدثه فيكم ، ولكن فكرت في هذا الأمر الذي أنتم إليه صائرون ، فعلمت أن المصدق بهذا الأمر أحمق[٢٤٧٥]، والمكذب به هالك ثم نزل"[٢٤٧٦].
وقرأ أبو عبد الرحمن والحسن: «في مرية»، بضم الميم، والمعنى واحد[٢٤٧٧].
قوله تعالى:{أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ} [فصلت : ٥٤]، أي:" ألا إن الله -جلَّ وعلا- بكل شيء محيط علمًا وقدرة وعزةً، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء"[٢٤٧٨].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ألا أن الله بكل شيء مما خلق محيط علما بجميعه، وقدرة عليه، لا يعزب عنه علم شيء منه أراده فيفوته، ولكن المقتدر عليه العالم بمكانه"[٢٤٧٩].

(٢٤٦٧) التفسير الميسر: ٤٨٢.
(٢٤٦٨) تفسير الطبري: ٤٩٤/٢١.
(٢٤٦٩) تفسير السمعاني: ٦١/٥.
(٢٤٧٠) تفسير ابن كثير: ١٨٧/٧.
(٢٤٧١) تفسير ابن أبي زمنين١٦٠/٤.
(٢٤٧٢) المحرر الوجيز: ٢٣/٥.
(٢٤٧٣) صفوة التفاسير: ١١٩/٣.
(٢٤٧٤) أخرجه الطبري: ٤٩٤/٢١.
(٢٤٧٥) قال ابن كثير:١٨٨/٧:" ومعنى قوله ، رضي الله عنه : "أن المصدق به أحمق" أي : لأنه لا يعمل له عمل مثله ، ولا يحذر منه ولا يخاف من هوله ، وهو مع ذلك مصدق به موقن بوقوعه ، وهو مع ذلك يتمادى في لعبه وغفلته وشهواته وذنوبه ، فهو أحمق بهذا الاعتبار ، والأحمق في اللغة : ضعيف العقل. وقوله : "والمكذب به هالك" هذا واضح ، والله أعلم".
(٢٤٧٦) رواه ابن أبي دنيا، كما في تفسير ابن كثير: ١٨٧/٧.
(٢٤٧٧) انظر: المحرر الوجيز: ٢٤/٥.
(٢٤٧٨) التفسير الميسر: ٤٨٢.

قال ابن كثير:" أي : المخلوقات كلها تحت قهره وفي قبضته ، وتحت طي علمه ، وهو المتصرف فيها كلها بحكمه ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن"[2480].

قال ابن أبي زمنين:" أحاط علمه بكل شيء"[2481].

قال السمعاني:" أي: محيط علمه بجميع ذلك"[2482].

قال الزجاج:" أي: عالم بكل شيء علماً يحيطُ بما ظَهَر وَخَفِيَ"[2483].

قال الزمخشري:أي:" عالم يجمل الأشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها، فلا تخفى عليه خافية منهم، وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم"[2484].

قال ابن عطية:" إحاطته تعالى هي بالقدرة والسلطان، لا إله إلا هو، العزيز الحكيم"[2485].

قال السدي:" أحاط علمه بكل شيء"[2486].

وقال الكلبي:" أحاطت قدرته بكل شيء"[2487].

فوائد الآيات:[٥٢-٥٤]:

١- التنديد بالكفر بالقرآن والتكذيب بما جاء فيه من الهدى والنور.

٢- لا أضل ممن يكذب بالقرآن لأنه يعيش في خلاف وشقاق لا أبعد منه.

٣- صدق وعد الله تعالى حيث أرى المشركين وغيرهم آياته في الدالة على وحدانيته وصحة دينه وصدق أخباره ما آمن عليه البشر الذين لا يعدون كثرة.

٤- ما من اكتشاف ظهر ويظهر إلا والقرآن أدخله في هذه الآية سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم.

٥- الإشارة إلى أن الإسلام سيعلم صحته وسيدين به البشر أجمعون في يوم ما من الأيام.

٦- تقرير البعث والجزاء ومظاهر قدرة الله تعالى المقررة له.

«آخر تفسير سورة (فصلت)، والحمد لله وحده»

(٢٤٧٩) تفسير الطبري: ٤٩٥/٢١.

(٢٤٨٠) تفسير ابن كثير: ١٨٨/٧.

(٢٤٨١) تفسير ابن أبي زمنين٤/١٦٠.

(٢٤٨٢) تفسير السمعاني: ٦١/٥.

(٢٤٨٣) معاني القرآن: ٣٩٢/٤.

(٢٤٨٤) الكشاف: ٢٠٧/٤.

(٢٤٨٥) المحرر الوجيز: ٢٤/٥.

(٢٤٨٦) انظر: النكت والعيون: ١٩٠/٥.

(٢٤٨٧) انظر: النكت والعيون: ١٩٠/٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الشورى»

سورة «الشورى»: هي السورة «الثانية والأربعون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الثانية والستون» بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد «سورة الكهف»، وقبل «سورة إبراهيم»(٢٤٨٨).

قال ابن عاشور:" السورة نزلت في حدود سنة ثمان بعد البعثة، ولعل نزولها استمر إلى سنة تسع بعد أن آمن نقباء الأنصار ليلة العقبة فقد قيل: إن قوله: {وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُم} [الشورى : ٣٨]، أريد به الأنصار قبل هجرة النبيء صلى الله عليه وسلم إلى المدينة"(٢٤٨٩).

عدد آياتها ثلاث وخمسون فى الكوفى، وخمسون فى الباقين. كلماتها ثمانمائة وست وستون. وحروفها ثلاثة آلاف وخمسمائة وثمان وثمانون. المختلف فيها من الآي ثلاث: {حم (١)} [الشورى : ١]، {عسق (٢)} [الشورى : ٢]، {كَالْأَعْلَامِ} [الشورى : ٣٢]، مجموع فواصل آياتها:«زرلصب قدم»(٢٤٩٠).

- **أسماء السورة:**
- **أسماؤها التوقيفية:**
- **الاسم الأول: «سورة الشورى»:**

تسمى «سورة الشورى» بالألف واللام، وربما قالوا: «سورة شورى» بدون ألف ولام، حكاية للفظ القرآن: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُم} [الشورى : ٣٨] .

قال المهايمي:" سميت بالشورى، لإشعار آياتها بذلة الدنيا وعزة الآخرة، وصفات طالبيها، مع اجتماع قلوبهم بكل حال. وهذا من أعظم مقاصد القرآن"(٢٤٩١).

- **الاسم الثاني والثالث: سورة«حم عسق»، و«عسق»:**

اشتهرت تسميتها عند السلف «حم عسق»، وكذلك ترجمها البخاري في كتاب التفسير من "جامعه"(٢٤٩٢)، والترمذي في "جامعه"(٢٤٩٣)، وكذلك سميت في عدة من كتب التفسير، وكثير من المصاحف.

وتسمى «سورة عسق» بدون لفظ «حم»، لقصد الاختصار(٢٤٩٤).

قال ابن عاشور:"ولم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء في تسميتها"(٢٤٩٥).

- **الاسم الرابع:« حم سق»:**

ذكر عن ابن عباس أنه كان يقول: «حم سق»، ولا يجعل فيها عينا، ويقول: السين كل فرقة تكون، والقاف كل جماعة تكون(٢٤٩٦).

قال الفراء: "ورأيتها في بعض مصاحف عبد الله: «حم سق» كما قال ابن عباس"(٢٤٩٧).

روى محبوب عن إسماعيل عن الأعمش عن ابن مسعود: «حم سق»(٢٤٩٨).

(٢٤٨٨) انظر: تفسير المراغي: ١٠٢/٢٤، والتحرير والتنوير: ٢٤/٢٥.

(٢٤٨٩) التحرير والتنوير: ٢٤/٢٥.

(٢٤٩٠) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤١٨.

(٢٤٩١) نقلا عن: محاسن التأويل للقاسمي: ٣٤٩/٨.

(٢٤٩٢) انظر: صحيح البخاري: ١٢٩/٦.

(٢٤٩٣) انظر: سنن الترمذي: ٢٣٠/٥.

(٢٤٩٤) انظر: التحرير والتنوير: ٢٣/٢٥.

(٢٤٩٥) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٢٤٩٦) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢١/٣، وتفسير الطبري: ٥٠٠/٢١، ومعاني القرآن للزجاج: ٣٩٣/٤. والخبر بدون سند.

(٢٤٩٧) معاني القرآن: ٢١/٣.

قال ابن جني:" هذا مما يؤكد أن الغرض في هذه الفواتح إنما هو لكونها فواصل بين السور، ولو كانت أسماء الله سبحانه لما جاز تحريف شيء منهان وذلك لأنها لو كانت أسماء له لكانت أعلاما، كزيد وعمرو، فالأعلام لا طريق إلى تحريف شيء منها، بل هي مؤداة بأعيانها"(٢٤٩٩).

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة أقوال:

أحدها: أنها نزلت بمكة. قاله ابن عباس(٢٥٠٠)، وابن الزبير(٢٥٠١)، الحسن(٢٥٠٢)، وعكرمة(٢٥٠٣)، ومجاهد(٢٥٠٤)، وقتادة(٢٥٠٥).

الثاني: أنها مكية إلا قوله: {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ} [الشورى : ٢٧]. نزلت في أهل الصفة، كما قال عمرو بن حريث(٢٥٠٦)، وخباب بن الأرت (٢٥٠٧)، وحكاه ابن الفرس عن مقاتل(٢٥٠٨)، فتكون الآية مدنية.

عن عمرو بن حريث: "إنما نزلت هذه الآية في أصحاب الصفة: {{وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ} [الشورى : ٢٧]، وذلك أنهم قالوا: لو أن لنا الدنيا، فتمنوا الدنيا"(٢٥٠٩).

الثالث: أنها مكية إلّا أربع آيات نزلن بالمدينة، أولاها: قوله: {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} [الشورى : ٢٣]، إلى آخر الأربع الآيات. وهذا قول ابن عباس-أيضا(٢٥١٠)، وقتادة(٢٥١١).

الرابع: أنها مكية إلا خمس آيات، من قوله: {ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا} [الشورى : ٢٣]، إلى قوله: {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [الشورى : ٢٤]، ومن قوله: تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ} [الشورى : ٣٩]، إلى قوله: {مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ} [الشورى : ٤١]. قاله مقاتل(٢٥١٢).

قال ابن قتيبة: السورة: "مكية كلها"(٢٥١٣).

قال الفيروزآبادي:" السورة مكية إجماعا"(٢٥١٤).

(٢٤٩٨)المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ٢٤٩/٢.
(٢٤٩٩)المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: ٢٤٩/٢.
(٢٥٠٠) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٣٥/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٢٥٠١) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٣٥/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٢٥٠٢) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥٨/٤. بدون سند.
(٢٥٠٣) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥٨/٤. بدون سند.
(٢٥٠٤) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥٨/٤. بدون سند.
(٢٥٠٥) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥٨/٤. بدون سند.
(٢٥٠٦) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٣٩٠.
(٢٥٠٧) انظر: أسباب النزول للواحدي: ٣٩٠.
(٢٥٠٨) نقلا عن: المحرر الوجيز: ٢٤/٢٥.
(٢٥٠٩) رواه الواحدي قي أسباب النزول: ٣٩٠، وأخرجه ابن المبارك في الزهد وقال ابن صاعد عقب روايته: عمرو هذا من أهل مصر ليست له صحبة وهو غير المخزومي [الإصابة ٢/ ٥٣١- ترجمة عمرو بن حريث] .
والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٠٤) وعزاه للطبراني ورجاله رجال الصحيح.
وله شاهد من حديث علي أخرجه الحاكم (٢/ ٤٤٥) وصححه ووافقه الذهبي قلت في إسناده عند الحاكم: الأعمش وقد عنعنه وهو مدلس.
(٢٥١٠) انظر: زاد المسير: ٥٨/٤، حكاه بدون سند، وانظر: والتحرير والتنوير: ٢٣/٢٥.
(٢٥١١) انظر: زاد المسير: ٥٨/٤، حكاه بدون سند، وانظر: والتحرير والتنوير: ٢٣/٢٥.
(٢٥١٢) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥٨/٤، وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٦٣/٣. قال المحقق:" فى نسخة «ل، ف»: وفيها من المدني...» وذكر الآيات.
(٢٥١٣) غريب القرآن: ٣٣٨.

قال ابن عاشور:" هي مكية كلها عند الجمهور"[٢٥١٥].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها- اشتمال كل منهما على ذكر القرآن، ودفع مطاعن الكفار فيه، وتسلية النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك[٢٥١٦].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

إن المتأمل في سور «الحواميم» السبع -وهذه السورة منهم- يظهر له أنها ذات هدف رئيس، وهو الحديث عن القرآن، وموقف الكافرين إبان نزوله منه، والحديث عن مُنَزِّل القرآن، وموقف الكافرين منه، والحديث عن الرسول مُبَلِّغ القرآن، وموقف مكذبيه منه، والحديث عن الجزاء المعجَّل في الدنيا، والمؤجَّل إلى يوم الدين، والإنذار بهما، وعرض مشاهد من يوم الدين، وترغيب المؤمنين بالثواب العظيم، والحديث عن الإنسان وصفات معظم أفراده، واقتران كل ذلك بذكر آيات الله الكونية، وبيان حكمة الله في شؤون عباده.

ويمكن تفصيل مقاصد السورة ومراميها وفق التالي:

١- الإشارة إلى تحدي الطاعنين في أن القرآن وحي من الله بأن يأتوا بكلام مثله، فهذا التحدي لا تخلو عنه السور المُفْتَتَحة بالحروف الهجائية المقطعة، وهذه السورة منهم؛ حيث تضمنت فاتحتها خمسة حروف مقطعة .

٢- بيان أن الوحي إلى رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ما هو إلا كالوحي إلى الرسل من قبله؛ لينذر أهل مكة ومن حولها بيوم الحساب .

٣- بيان أن الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض لا تُعَارَض قدرتُه، ولا يُشك في حكمته، وقد خضعت له العوالم العليا ومن فيها، وهو فاطر المخلوقات؛ فهو يجتبي من يشاء لرسالته، فلا بِدْع أن يشرع للأمة المحمدية من الدين مثل ما شرع لمن قبله من الرسل، وما أرسل الله الرسل إلا من البشر يوحي إليهم، فلم يسبق أن أرسل ملائكة لمخاطبة عموم الناس مباشرة .

٤- بيان وحدة الرسالات الربانية في أصولها الاعتقادية، والأخلاقية، وفي أصول وقواعد المعاملات. ومطالبة الناس بأن يقيموا الدين، ولا يتفرقوا فيه .

٥- أن المشركين بالله لا حجة لهم إلا تقليد أئمة الكفر، الذين شرعوا لهم الإشراك، وألقوا إليهم الشبهات. والتحذير من اقتراب الساعة ويوم الجزاء، وما سيلقى المشركون يوم الحساب من العذاب، وقرن ذلك بالترغيب فيما سيلقاه المؤمنون من الكرامة، وأنهم لو تدبروا لعلموا أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يأتي عن الله من تلقاء نفسه؛ لأن الله لا يقره على أن يقول عليه ما لم يقله .

٦- ذِكْر دلائل الوحدانية، وما هو من تلك الآيات نعمة على الناس، مثل دليل السير في البحر، وما أوتيه الناس من نِعَم الدنيا .

٧- تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الله هو متولي جزاء المكذبين، وما على الرسول صلى الله عليه وسلم من حسابهم من شيء، فما عليه إلا الاستمرار على دعوتهم إلى الحق القويم.

٨- التنبيه على أنه صلى الله عليه وسلم لا يبتغي من وراء دعوته ونصحه إياهم جزاء ولا شكوراً، وإنما يبتغي هدايتهم إلى الحق المبين، ودلالتهم إلى الصراط المستقيم .

٩- بيان حكمة الله سبحانه في عدم بسط الرزق لعباده، وأنه هو الذي يهيئ للناس أسباب أرزاقهم، على وفق حكمته، وأن سبحانه هو وحده الذي يتولى أمور عباده، ويتدبر شؤونهم .

(٢٥١٤)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤١٨/١.

(٢٥١٥) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٢٥١٦) انظر: تفسير المراغي:١٣/٢٥.

١٠- التزهيد بمتاعات الحياة الدنيا وزخرفها، والترغيب بما عند الله في الآخرة من النعيم المقيم. وتوجيه الناس إلى الاستجابة لربهم، وتحذيرهم من يوم الدين الذي لا مرد له، ولا ملجأ فيه يلجأ إليه من لم يجب داعي الله، ويلزم هديه، ويعمل بشرعه .

١١- تذكير المشركين والمعرضين بنعم الله عليهم، وتحذيرهم من التسبب في قطعها بسوء أعمالهم، وتحريضهم على السعي في أسباب الفوز في الآخرة، والمبادرة إلى ذلك قبل فوات الأوان .

١٢- التنويه بفوز المؤمنين المتوكلين، والتذكير بجلائل أعمالهم، وتجنبهم التعرض لغضب الله عليهم .

١٣- التنبيه على آيات كثيرة من آيات انفراده تعالى بالخلق، والتصرف المقتضي انفراده بالإلهية؛ إبطالاً للشرك .

١٤- ألمعت السورة إلى المعجزة الأمية؛ بأن الرسول صلى الله عليه وسلم جاءهم بهدي عظيم من الدين، وقد علموا أنه لم يكن ممن تصدى لذلك في سابق عمره، وذلك أكبر دليل على أن ما جاء به أمر قد أوحي إليه به، فعليهم أن يهتدوا بهديه، فمن اهتدى بهديه فقد وافق مراد الله .

١٥- ختم السورة بكلمة جامعة تتضمن تفويض الأمور كلها إلى الله سبحانه، وانتظار حكمه فيما يمضيه من أمور، وهي كلمة: {أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ} [الشورى : ٥٣](٢٥١٧).

الناسخ والمنسوخ:

السورة فيهَا من الْمَنْسُوخ تسع آيَات:

- الآية الأولى: قوله تعالى: {وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ} [الشورى : ٥]، نسختها الآية التي في المؤمن وهي: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا} [غافر : ٧].
- الآية الثانية: قوله تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِم} [الشورى : ٦]، هذا محكم، {وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ} [الشورى : ٦] نسختها آية السيف.
- الآية الثالثة: قوله تعالى: {فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ} [الشورى : ١٥] هذا محكم، وكذلك قوله تعالى: {وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَاب} [الشورى : ١٥]، وباقي الآية منسوخ إلى قوله تعالى: {اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا} [الشورى : ١٥]، نسخ بآية السيف,
- الآية الرابعة قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ} [الشورى : ٢٠]، نسخت الآية التي في بني إسرائيل وهي قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَة عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيد} [الإسراء : ١٨].
- الآية الخامسة: قوله تعالى: {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} [الشورى : ٢٣]، اختلف المفسرون في هذه الآية، فبعض يجعلها محكمة، وهو قول أبي صالح مولى ام هانيء، وآخرون يجعلونها منسوخة، وهو قول الجماعة، فمن جعلها محكمة روي أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما قدم المدينة أحسن الأنصار جواره وجوار أصحابه حتى واسوهم بالأموال والأنفس وقال بعض الأنصار لبعض قد واسيتم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقدم عليه الوفود وليس عنده شيء فلو جمعتم له مالا فاذا قدم عليه الوفود أنفقه عليهم فقالوا لا نفعل حتى نستأذنه فاستأذنوه في ذلك فنزلت: {قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا} [الشورى : ٢٣]، يعني: على إبلاغ الرسالة، أي: جعلا، المودة في القربي: أن تودوني في قرابتي: هذا قول من

(٢٥١٧) في ظلال القرآن: ٣١٠٥/٥.

زعم أنها محكمة، وقال آخرون بل هي منسوخه وناسخها عندهم : {قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُم} [سبأ : ٤٧].

- الآية السادسة قوله تعالى: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا} [الشورى : ٤٠]، نسخت بقوله عز وجل: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّه} [الشورى : ٤٠].
- الآية السابعة: قوله تعالى: {وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ} [الشورى : ٤١]، نسخت بقوله: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} [الشورى : ٤٠].
- الآية الثامنة: الآية التي تليها نسختا بقوله: {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [الشورى : ٤٣].
- الآية التاسعة: قوله تعالى: {وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ} [الشورى : ٤٦]، الى قوله: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ} [الشورى : ٤٨]، نسخت بآية السيف(٢٥١٨).

فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثا من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثا من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثا من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت الأرض حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبدا، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح الرويجل» مرتين"(٢٥١٩).
- عن أنس بن مالك رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله أعطاني السبع مكان التوراة وأعطاني الراآت إلى الطواسين مكان الإنجيل وأعطاني ما بين الطواسين إلى الحواميم مكان الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل ما قرأهن نبي قبلي»(٢٥٢٠).
- عن سمرة بن جندب -رضي الله عنه- مرفوعا:" الحواميم روضة من رياض الجنة"(٢٥٢١).
- عن الخليل بن مرة -رضي الله عنه-أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع تجيء كل حم منها تقف على باب من هذه الأبواب تقول: اللهم لا تدخل من هذا الباب من كان يؤمن بي ويقرأني"(٢٥٢٢).
- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "إن لكل شيء لبابا وإن لباب القرآن الحواميم"(٢٥٢٣).

(٢٥١٨) انظر: الناسخ والمنسوخ، هبة الله بن سلامة: ١٥٤-١٥٧.

(٢٥١٩)"مسند أحمد" (٦٥٧٥) ، وسنن أبي داود(١٣٩٩):ص٥٧/٢، والسنن الكبرى للنسائي (٧٩٧٣) و (١٠٤٨٤) ، وصحيح ابن حبان (٧٧٣):٥٠/٣.

إسناده حسن، من أجل عيسى بن هلال الصدفي، وصححه الحاكم والذهبي.

وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، را، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّح ويُسَبحُ وسَبح، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

(٢٥٢٠) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٨/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٢٥٢١) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٩/٧، وعزاه إلى الديلمي وابن مردويه.

(٢٥٢٢) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٩/٧، وعزاه إلى البيهقي في شعب الإيمان.

- عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: "الحواميم ديباج القرآن"[٢٥٢٤]. ورواه أنس بن مالك مرفوعا[٢٥٢٥].
- عن سعد بن إبراهيم، قال: «كل الحواميم يسمين العرائس»[٢٥٢٦].
- عن أبي الدرداء -رضي الله عنه:"أنه بنى مسجدا فقيل له: ما هذا؟ فقال: لآل حم"[٢٥٢٧].
- عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال:"إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلا فمر بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمثات فقال: عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب وأعجب. فقيل له: إن مثل الغيث الأول كمثل عظم القرآن وإن مثل هؤلاء الروضات الدمثات مثل: «آل حم»[٢٥٢٨] في القرآن"[٢٥٢٩].
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة «حم. عسق»، كان ممن تصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له»[٢٥٣٠].

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

(٢٥٢٣) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٨/٧، وعزاه إلى أبي عبيد في فضائله.

(٢٥٢٤) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٨/٧، وعزاه إلى أبي عبيد وابن الضريس وابن المنذر والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان.

(٢٥٢٥) انظر: الدر المنثور: ٢٦٩/٧.

(٢٥٢٦) مسند ابن ابي شيبة(٣٠٢٨٤):ص١٥٣/٦، وسنن الدارمي(٣٤٦٥):ص٢١٥٢/٤، وشعب الإيمان(٢٢٥٣):ص١٠٦/٤.

إسناده صحيح إلى سعد بن إبراهيم وهو موقوف عليه.

(٢٥٢٧) اورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٩/٧، وعزاه إلى أبي عبيد وابن سعد ومحمد بن نصر والحاكم.

(٢٥٢٨) قال ابن عاشور:" السور المفتتحة بكلمة حم سبع سور مرتبة في المصحف على ترتيبها في النزول ويدعى مجموعها «آل حم» جعلوا لها اسم (آل) لتآخيها في فواتحها. فكأنها أسرة واحدة وكلمة (آل) تضاف إلى ذي شرف (ويقال لغير المقصود تشريفه أهل فلان) قال الكميت:

قرأنا لكم في آل حاميم آية ... تأولها منا فقيه ومعرب

يريد قول الله تعالى في سورة «حم عسق» قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى [الشورى: ٢٣] على تأويل غير ابن عباس فلذلك عززه بقوله: تأولها منا فقيه ومعرب". [التحرير والتنوير:٧٦/٢٤].

والبيت هو ٢٩ من يائيته فى الهاشميات وهو فى الكتاب ٢/ ٢٨ والطبري ٢٤/ ٢٤ والشنتمرى ٢/ ٣٠ والقرطبي ١/ ٢٨٨.

(٢٥٢٩) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٨/٧-٢٦٩، وعزاه إلى محمد بن نصر وحميد بن زنجويه.

(٢٥٣٠) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٠١/٨. [وقد مرّ أنه حديث موضوع غير ثابت].

القرآن

{حم (١) عسق (٢)} [الشورى : ١ - ٢]

التفسير:

سبق الكلام على الحروف المقطَّعة في أول سورة البقرة..

وهذه أحد الحروف المقطعة تكتب هكذا: «حم عسق»، وتقرأ هكذا: «حا ميمْ عَيْنْ سِيْنْ قاف».

قال البغوي:" سئل الحسين بن الفضل: لم يقطع «حم عسق» ولم يقطع «كهيعص»؟

فقال: لأنها سورة أوائلها حم، فجرت مجرى نظائرها، فكان "حم" مبتدأ و"عسق" خبره، ولأنهما عدا آيتين، وأخواتها مثل: "كهيعص" و"المص" و"المر" عدت آية واحدة، وقيل: لأن أهل التأويل لم يختلفوا في "كهيعص" وأخواتها أنها حروف التهجي لا غير، واختلفوا في "حم" فأخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا وقال: معناها حم أي: قضى ما هو كائن"[٢٠٣١].

وفي قوله تعالى:{حم (١) عسق (٢)} [الشورى : ١ - ٢]، أقوال:

القول الأول : أنه اسم من أسماء القرآن، قاله قتادة[٢٠٣٢].

القول الثاني : أنه اسم من أسماء الله أقسم به، قاله ابن عباس[٢٠٣٣]، وابن مسعود[٢٠٣٤]، وسالم بن عبدالله[٢٠٣٥]، والشعبي[٢٠٣٦].

القول الثالث: أنه فواتح السور، قاله مجاهد[٢٠٣٧].

القول الرابع: أنه حروف من أسماء الله تعالى، ثم فيه أقوال:

- أحدها: أن «الحاء»: حلمه، و«الميم»: مجده، و«العين»: علمه، و«السين»: سناؤه، و«القاف»: قدرته. رواه عكرمة عن ابن عباس[٢٠٣٨].

  وحكي الثعلبي عن محمد بن كعب، قال:" أقسم الله بحلمه ومجده وعلوه وسناءه وقدرته، أن لا يعذب من عاد إليه بـ«لا إله إلا الله» مخلصا له من قلبه"[٢٠٣٩].
- الثاني: أن«العين» من العزيز، و«السين» من السلام، و«القاف»: من القادر. قاله السدي[٢٠٤٠].
- الثالث: أن «الحاء» من رحمن، و«الميم»: من مجيد، و«العين»: من عالم، و«السين»: من قُدُوس، و«القاف»: من قاهر، قاله جعفر بن محمد[٢٠٤١]، وسعيد بن جبير[٢٠٤٢].

(٢٠٣١) تفسير البغوي: ١٨٠/٧.

(٢٠٣٢) رواه عنه عبدالرزاق في التفسير(٢٧٢٦):ص:ص١٥٩/٣.

(٢٠٣٣) انظر: تفسير الطبري: ١٣٨/٢١.

(٢٠٣٤)عزاه إليه النسفي في تفسير النسفي (١ :٣٩)، وابن مسعود هو عبد الله بن مسعود بن غافل كان إسلامه قديما في أول الإسلام مات بالمدينة سنة ٣٢ هـ ودفن بالبقيع، أنظر ابن عبد البر، أبا عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٤ مج، تحقيق الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان (ط١ / ١٤١٥ هـ١٩٩٥ – م) (٣ / ١١٠ - ١١٦) .

(٢٠٣٥)عزاه إليه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم (١ :٣٦ (وسالم هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي أحد فقهاء المدينة السبعة ومن سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم توفي في المدينة سنة ١٠٦هـ أنظر: تاريخ الأعلام، الزركلي: ٧١/٣.

(٢٠٣٦) عزاه إليه الطبري في جامع البيان: ٦٧/١.

(٢٠٣٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠١٨٨):ص١٩٢١/٦، و(١٠٦٣٤):ص١٩٩٤/٦، و(١٧١٢٦):ص٣٠٣٠/٩.

(٢٠٣٨) انظر: الكشف والبيان: ٣٠٢/٨، وزاد المسير: ٥٨/٤، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب: ٣٤٠.

(٢٠٣٩) انظر: الكشف والبيان: ٣٠٣/٨. بدون سند.

(٢٠٤٠) انظر: الكشف والبيان: ٣٠٣/٨.

(٢٠٤١) انظر:الكشف والبيان: ٨/ ٣٠٣. بدون سند.

(٢٠٤٢) انظر:الكشف والبيان: ٨/ ٣٠٣، وزاد المسير: ٥٨/٤. بدون سند.

- الرابع: أن «الحاء والميم»: من الرحمن، و«العين»: من العليم، و«السين» من القدوس، و«القاف»: من القاهر ، قاله محمد بن كعب(٢٠٤٣).
- الخامس: أن «العين»: من العزيز، و«السين»:من السلام، و«القاف»: من القادر، قاله السدي(٢٠٤٤).

القول الخامس : أنها حروف مقطعة من حوادث آتية، ثم فيه أقوال:

- أحدها : أن :«حم» اسم من أسماء الله تعالى، و«العين»: عاين المولون عذاب يوم بدر، و«سين»: سيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون، و«قاف»: قارعة من السماء تغشى الناس. حكي ذلك عن أبي ذر وابن عباس-بنحوه- ورفعاه إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-(٢٠٤٥).
- الثاني: أن «العين»:فيها عذاب، و«السين»: فيها مسخ، و«القاف»: فيها قذف، رواه أبو الجوزاء عن ابن عباس(٢٠٤٦).
- الثالث: أن «الحاء»: من حرب، و«الميم»: من تحويل مُلك، و«العين»: من عدوّ مقهور، و«السين»: استئصال بسِنين كسِنِيّ يوسف، و«القاف»: من قُدرة الله في ملوك الأرض، قاله عطاء(٢٠٤٧).
- الرابع :أن «الحاء»: حرب تكون بين قريش والموالي، فتكون الغلبة لقريش على الموالي، و«الميم»: ملك بني أمية، و«العين»: علو ولد العباس، و«السين»: سناء المهدي، و«القاف»: قوة عيسى -عليه السلام- حين ينزل، فيقتل النصارى ويخرب البيع. حكاه الثعلبي عن بكر بن عبد الله المزني(٢٠٤٨).
- الخامس: أن «الحاء»: حرب في أهل مكة يجحف بهم حتى يأكلون الجيف وعظام الموتى، و«الميم»: ملك يتحول من قوم إلى قوم، و«العين»: عدو لقريش قصدهم، و«السين»: سيء يكون فيهم، و«القاف»: قدرة الله النافذة في خلقه. حكاه الثعلبي عطاء(٢٠٤٩).

وحكي الماوركي عن عطاء:" فـ«الحاء»: من حرب و«الميم»: من تحويل ملك، و«العين»: من عدو مقهور ، و«السين»: من استئصال سنين كسني يوسف، و«القاف» من قدرة الله في ملوك الأرض"(٢٠٥٠) .

وحكي الثعلبي عن عن شهر بن حوشب وعطاء :أن"«الحاء»: حرب يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز في قريش، ثم تقضى إلى العرب، ثم تقضى إلى العجم، ثم تمتد إلى خروج الدجال"(٢٠٥١).

- السادس: ما حُكي عن حذيفة بن اليمان أنها نزلت في رجلٍ يقال له: عبد الإله كان في مدينة على نهر بالمشرق خسف الله بها ، فذلك قوله «حم»، يعني: عزيمة من الله تعالى، «عين»، يعني: عدلاً منه «سين»، يعني: سكون ، «قاف»، يعني: واقعاً بهم(٢٠٥٢).

(٢٠٤٣) انظر: النكت والعيون: ١٩١/٥.

(٢٠٤٤) انظر: زاد المسير: ٥٨/٤. بدون سند.

(٢٠٤٥) رواه الحافظ ابو يعلى الموصلي كما في تفسير ابن كثير: ١٨٩/٧-١٩٠، رواه ابن عساكر في تاريخه كما في الدر المنثور (٣٣٦/٧). قال ابن كثير:١٨٩/٧:" إسناده ضعيف جدا ومنقطع".

(٢٠٤٦) انظر: زاد المسير: ٥٨/٤. بدون سند.

(٢٠٤٧) انظر: زاد المسير: ٥٨/٤. بدون سند.

(٢٠٤٨) انظر: الكشف والبيان: ٣٠٣/٨، وانظر: العمدة لابن بطريق: ٤٢٩ ح ٨٩٨، والطرائف لابن طاوس: ١٧٦ ح ٢٧٦ عن الثعلبي.

(٢٠٤٩) انظر: الكشف والبيان: ٣٠٣/٨.

(٢٠٥٠) انظر: النكت والعيون: ١٩٢/٥.

(٢٠٥١) انظر: الكشف والبيان: ٣٠٣/٨.

(٢٠٥٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٩٧/٢١-٤٩٨.

قال الطبري:" ذُكر عن ابن عباس أنه كان يقرأه«حم. سق»، بغير «عين»، ويقول: إن «السين»: عمر كل فرقة كائنة وإن «القاف»: كل جماعة كائنة; ويقول: إن عليا إنما كان يعلم العين بها. وذُكر أن ذلك في مصحف عبد الله على مثل الذي ذكر عن ابن عباس من قراءته من غير عين"(٢٠٥٣).

القول السادس: أنه اسم الجبل المحيط بالدنيا، قاله عبد الله بن بريدة(٢٠٥٤).

القول السابع: أنه في شأن محمد صلى الله عليه وسلم فـ«الحاء» حوضه المورود، وو«الميم»: ملكة الممدود، و«العين»: عزه الموجود، و«السين» سناؤه المشهود، و«القاف»: قيامه في المقام المحمود، وقربه في الكرامة إلى المعبود. حكاه الثعلبي(٢٠٥٥).

القول الثامن: أنها لبيان أعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته مع أنه مركب من هذه الحروف التي يتخاطبون بها ويؤلفون منها كلامهم. وممن قال بذلك: الباقلاني(٢٠٥٦) والزمخشري(٢٠٥٧) والرازي(٢٠٥٨) وابن كثير(٢٠٥٩) وسيد قطب(٢٠٦٠).

قال ابن عاشور:" ابتدئت بالحروف المقطعة على نحو ما ابتدئت به أمثالها مثل أول سورة البقرة لأن ابتداءها مشير إلى التحدي بعجزهم عن معارضة القرآن وأن عجزهم عن معارضته دليل على أنه كلام منزل من الله تعالى، وخصت بزيادة كلمة عسق على أوائل السور من آل حم ولعل ذلك لحال كانوا عليه من شدة الطعن في القرآن وقت نزول هذه السورة، فكان التحدي لهم بالمعارضة أشد فزيد في تحديهم من حروف التهجي"(٢٠٦١).

قلتُ: أما الكلام في الحروف المقطعة التي في أوائل السور: فالأصح السكوت عنها، وتفويض علم تأويلها إلى الله تعالى، واليقين بأن الله أنزلها لحكمة قد لا نعلمها. والله تعالى أعلم بالصواب.

القرآن

{كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣)} [الشورى :٣]

التفسير:

كما أنزل الله إليك -أيها النبي- هذا القرآن أنزل الكتب والصحف على الأنبياء من قبلك، وهو العزيز في انتقامه، الحكيم في أقواله وأفعاله.

عن أرطأة بن المنذر قال: "جاء رجل إلى ابن عباس، فقال له وعنده حُذيفة بن اليمان، أخبرني عن تفسير قول الله: «حم عسق»، قال: فأطرق ثم أعرض عنه، ثم كرّر مقالته فأعرض فلم يجبه بشيء وكره مقالته، ثم كرّرها الثالثة فلم يجبه شيئا، فقال له حُذيفة: أنا أنبئك بها، قد عرفت بم كرهها; نزلت في رجل من أهل بيته يقال له عبد الإله أو عبد الله، ينزل على نهر من أنهار المشرق، تبنى عليه مدينتان يشقّ النهر بينهما شقا، فإذا أذن الله في زوال مُلكهم، وانقطاع دولتهم ومدتهم، بعث الله على إحداهما نارا ليلا فتصبح سوداء مظلمة قد احترقت، كأنها لم تكن مكانها، وتصبح صاحبتها متعجبة، كيف أفلتت، فما هو إلا بياض يومها ذلك حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد منهم، ثم يخسف الله بها وبهم جميعا، فذلك قوله: «حم عسق»، يعني: عزيمة من الله وفتنة وقضاء «حم»، «عين»، يعني: عدلا منه، «سين»، يعني: سيكون، و«قاف»، يعني: واقع بهاتين المدينتين".

قال ابن كثير١٨٩/٧: هذا أثر" غريب عجيب منكر".

(٢٠٥٣) تفسير الطبري: ٥٠٠/٢١، وانظر: معاني القرآن للفراء: ٢١/٣.

(٢٠٥٤) انظر: النكت والعيون: ١٩١/٥.

(٢٠٥٥) انظر: الكشف والبيان: ٣٠٣/٨.

(٢٠٥٦)، إعجاز القرآن، أبوبكر محمد بن الطيب الباقلاني: ١ مج، تحقيق الشيخ عماد الدين احمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، (ط ٤ (لم تذكر سنة الطبع (ص ٦٨ - ٦٩)

(٢٠٥٧) انظر: الكشاف: ٩٥/١-٩٧.

(٢٠٥٨) انظر: التفسير الكبير: ٨/٢.

(٢٠٥٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٧/١-٣٨.

(٢٠٦٠) انظر: في ظلال القرآن، ٦ مج، دار الشروق (ط٩ / ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م) (١ :٣٨) .

(٢٠٦١) التحرير والتنوير: ٢٦/٢٥.

قوله تعالى:{كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ} [الشورى :٣]، أي:" كما أنزل الله إليك -أيها النبي- هذا القرآن أنزل الكتب والصحف على الأنبياء من قبلك"[٢٥٦٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: هكذا يوحي إليك يا محمد والى الذين من قبلك من أنبيائه"[٢٥٦٣].

قال السمعاني:" أي: كما أوحى الله تعالى إلى الأنبياء هذه الكلمات، كذلك يوحيها إليك. ويقال: المراد منه الوحي على الجملة"[٢٥٦٤].

قال ابن كثير:" أي : كما أنزل إليك هذا القرآن ، كذلك أنزل الكتب والصحف على الأنبياء قبلك"[٢٥٦٥].

قال الزجاج:" جاء في التفسير أن «حم عسق»، قد أوحِيَتُ إلى كل نَبي قبلَ محمد - صلى الله عليه - وعليهم أجمعين"[٢٥٦٦].

قال الزمخشري:" يعنى: أن ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد أوحى الله إليك مثله في غيرها من السور، وأوحاه من قبلك إلى رسله، على معنى: أن الله تعالى كرر هذه المعاني في القرآن في جميع الكتب السماوية، لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده من الأوّلين والآخرين، ولم يقل: أوحى إليك، ولكن على لفظ المضارع، ليدل على أن إيحاء مثله عادته"[٢٥٦٧].

قال ابن عطية:" قوله: {إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ}، يريد من الأنبياء الذين نزلت عليهم الكتب"[٢٥٦٨].

عن عائشة :"أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أحيانًا يأتيني مثل صَلْصَلَةِ الجَرَس ، وهو أشده عَلَيّ فيفصم عني قد وَعَيت ما قال. وأحيانا يأتيني الملك رجُلا فيكلمني ، فأعي ما يقول" قالت عائشة فلقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه ، وإن جبينه ليتفصّد عرقا"[٢٥٦٩].

وقرئت: «يُوحَى»، و«نُوحِي»، بالنون[٢٥٧٠].

قوله تعالى:{اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الشورى :٣]، أي:" وهو العزيز في انتقامه، الحكيم في أقواله وأفعاله"[٢٥٧١].

قال الطبري:أي:" {الْعَزِيزُ} في انتقامه من أعدائه، {الْحَكِيمُ}، في تدبيره خلقه"[٢٥٧٢].

قال ابن كثير:" {اللَّهُ الْعَزِيزُ} أي : في انتقامه ، {الْحَكِيمُ} في أقواله وأفعاله"[٢٥٧٣].

قال السمعاني:" معناه: عزيز في نصرته، حكيم في فعله"[٢٥٧٤].

قال محمد بن إسحاق: " العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"[٢٥٧٥]، الحكيم: في عذره وحجته إلى عباده"[٢٥٧٦].

(٢٥٦٢) التفسير الميسر: ٤٨٣.
(٢٥٦٣) تفسير الطبري: ٥٠٠/٢١.
(٢٥٦٤) تفسير السمعاني: ٦٢/٥-٦٣.
(٢٥٦٥) تفسير ابن كثير: ١٩٠/٧.
(٢٥٦٦) معاني القرآن: ٣٩٣/٤، وانظر: تفسير الطبري: ٥٠٠/٢١.
(٢٥٦٧) الكشاف: ٢٠٨/٤.
(٢٥٦٨) المحرر الوجيز: ٢٦/٥.
(٢٥٦٩)الموطأ (٢٠٢/١) وصحيح البخاري برقم (٢) وصحيح مسلم برقم (٢٣٣٣).
(٢٥٧٠) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٣٩٣/٤، والسبعة في القراءات: ٣٥١.
(٢٥٧١) التفسير الميسر: ٤٨٣.
(٢٥٧٢) تفسير الطبري: ٥٠٠/٢١.
(٢٥٧٣) تفسير ابن كثير: ١٩٠/٧.
(٢٥٧٤) تفسير السمعاني: ٦٣/٥.
(٢٥٧٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٤):ص١٦٦٤/٥.

قال أبو العالية:" {عزيز} في نقمته إذا انتقم"[٢٥٧٧]. وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك[٢٥٧٨].
عن أبي العالية:" {حكيم}، قال: حكيم في أمره"[٢٥٧٩].

القرآن
{لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٤)} [الشورى :٤]
التفسير:
لله وحده ما في السماوات وما في الأرض، وهو العليُّ بذاته وقدره وقهره، العظيم الذي له العظمة والكبرياء.
قوله تعالى:{لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [الشورى :٤]، أي:" لله وحده ما في السماوات وما في الأرض"[٢٥٨٠].
قال الطبري:" {لِلَّهِ} ملك {مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ} من الأشياء كلها "[٢٥٨١].
قال ابن كثير:" أي : الجميع عبيد له وملك له ، تحت قهره وتصريفه"[٢٥٨٢].
قال ابن عطية:أي:" الملك والخلق والاختراع"[٢٥٨٣].
عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"[٢٥٨٤].
قوله تعالى:{وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [الشورى :٤]، أي:" وهو العليُّ بذاته وقدره وقهره، العظيم الذي له العظمة والكبرياء"[٢٥٨٥].
قال الطبري:" يقول: وهو ذو علوّ وارتفاع على كل شيء، والأشياء كلها دونه، لأنهم في سلطانه، جارية عليهم قدرته، ماضية فيهم مشيئته، {العَظِيمُ} الذي له العظمة والكبرياء والجبرية"[٢٥٨٦].
قال ابن كثير:" {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} كقوله تعالى : {الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ} [الرعد : ٩] {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [سبأ : ٢٣] والآيات في هذا كثيرة"[٢٥٨٧].
عن ابن عباس:" {وهو العلي العظيم} يريد: لا أعلى منه، ولا أعظم، ولا أعزَّ، ولا أجلَّ، ولا أكْرَم"[٢٥٨٨].

القرآن
{تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥)} [الشورى :٥]
التفسير:

(٢٥٧٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٦):ص١٦٦٤/٥.
(٢٥٧٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٣):ص١٦٦٤/٥.
(٢٥٧٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.
(٢٥٧٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٢):ص١٧٦٤/٦.
(٢٥٨٠) التفسير الميسر: ٤٨٣.
(٢٥٨١) تفسير الطبري: ٥٠٠/٢١.
(٢٥٨٢) تفسير ابن كثير: ١٩٠/٧.
(٢٥٨٣) المحرر الوجيز: ٢٦/٥.
(٢٥٨٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].
(٢٥٨٥) التفسير الميسر: ٤٨٣.
(٢٥٨٦) تفسير الطبري: ٥٠٠/٢١.
(٢٥٨٧) تفسير ابن كثير: ١٩٠/٧.
(٢٥٨٨) الدر المنثور: ١٩/٢، وعزاه إلى الطبراني في "السُّنَّة".

تكاد السماوات يتشقّقنَ، كل واحدة فوق التي تليها؛ من عظمة الرحمن وجلاله تبارك وتعالى، والملائكة يسبحون بحمد ربهم، وينزهونه عما لا يليق به، ويسألون ربهم المغفرة لذنوب مَن في الأرض مِن أهل الإيمان به. ألا إن الله هو الغفور لذنوب مؤمني عباده، الرحيم بهم.

قوله تعالى:{تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ} [الشورى :٥]، أي:" تكاد السماوات يتشقّقنَ، كل واحدة فوق التي تليها؛ من عظمة الرحمن وجلاله تبارك وتعالى"[٢٥٨٩].

قال الطبري:يقول:" تكاد السموات يتشققن من فوق الأرضين، من عظمة الرحمن وجلاله"[٢٥٩٠].

قال الزجاج:" أي: تكاد السَّمَاوَاتُ ينفطرن من فوقهن لعظمة اللَّه"[٢٥٩١].

عن السديّ: "{تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ}، قال: يتشقّقن، [و] في قوله: {مُنْفَطِرٌ بِهِ}، قال: منشقّ به"[٢٥٩٢].

قال ابن عباس:" يعني: من ثقل الرحمن وعظمته تبارك وتعالى"[٢٥٩٣].

قال ابن عطية:أي:" يتصدعن ويتشققن من سرعة جريهن خضوعا وخشية من سلطان الله تعالى وتعظيما له وطاعة، وما وقع للمفسرين هنا من ذكر الثقل ونحوه مردود، لأن الله تعالى لا يوصف به"[٢٥٩٤].

وفي قوله تعالى:{تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ} [الشورى :٥]، وجوه من التفسير:
أحدها: معناه: يتشققن من عظمة الله وجلاله من فوقهن. قاله الضحاك[٢٥٩٥]، وقتادة[٢٥٩٦]، وبه قال النحاس[٢٥٩٧].

قال الضحاك:" يقول: يتصدعن من عظمة الله"[٢٥٩٨].

قال ابن عطية:"{مِنْ فَوْقِهِنَّ}، أي: من أعلاهن"[٢٥٩٩].

قال أبو حيان:" الظاهر عود الضمير في «فوقهن» على «السماوات»"[٢٦٠٠].

قال أبو حيان:" فإن قلت: لم قال :{من فوقهن}؟

قلت: لأن أعظم الآيات وأدلها على الجلال والعظمة فوق السموات، وهي العرش والكرسي وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش، وما لا يعلم كنهه إلا الله من آثار ملكوته العظمى، فلذلك قال: «يتفطرن من فوقهن»، أي: يبتدىء الانفطار من جهتهن الفوقانية"[٢٦٠١].

الثاني: معناه: تكاد كل واحدة منها تتفطر فوق التي تليها من قول الكفار: {اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً}. قاله الأخفش[٢٦٠٢].

(٢٥٨٩) التفسير الميسر: ٤٨٣.
(٢٥٩٠) تفسير الطبري: ٥٠٠/٢١-٥٠١.
(٢٥٩١) معاني القرآن: ٣٩٤/٤.
(٢٥٩٢) أخرجه الطبري: ٥٠١/٢١.
(٢٥٩٣) أخرجه الطبري: ٥٠١/٢١.
(٢٥٩٤) المحرر الوجيز: ٢٦/٥.
(٢٥٩٥) أخرجه الطبري: ٥٠١/٢١.
(٢٥٩٦) أخرجه الطبري: ٥٠١/٢١.
(٢٥٩٧) انظر: إعراب القرآن: ٤٩/٤-٥٠.
(٢٥٩٨) أخرجه الطبري: ٥٠١/٢١.
(٢٥٩٩) المحرر الوجيز: ٢٦/٥.
(٢٦٠٠) المحرر الوجيز: ٣٢٣/٩.
(٢٦٠١) البحر المحيط: ٣٢٣/٩.
(٢٦٠٢) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ٤٩/٤-٥٠، والبحر المحيط في التفسير: ٣٢٣/٩.

قال ابن عطية:" والمعنى: من فوق الفرق والجماعات الملحدة التي من أجل أقوالها تكاد السماوات يتفطرن"[٢٦٠٣].

الثالث: أن معنى:«من فوقهن»، أي: من فوق الأرضين. حكاه أبو حيان[٢٦٠٤].

قال الشوكاني:القول" الأول أولى. و«من» في «من فوقهن» لابتداء الغاية: أي: يبتدئ التفطر من جهة الفوق"[٢٦٠٥].

قال النحاس:" أصحّ ما قيل فيه أن المعنى: من أعلاهن..ولا نعلم أحدا من النحويين أجاز في بني أدم: «رأيتهنّ»، إلّا أن يكون للمؤنث خاصة. فهذا يدلّ على فساد هذا القول، وأيضا فلم يتقدّم للكفار ذكر يكنى عنهم"[٢٦٠٦].

قال محمد بن قيس: "جاء رجل إلى كعب فقال: يا كعب أين ربنا؟ فقال له الناس: دقّ الله تعالى، أفتسال عن هذا؟ فقال كعب: دعوه، فإن يك عالما ازداد، وإن يك جاهلا تعلم. سألت أين ربنا، وهو على العرش العظيم متكئ، واضع إحدى رجليه على الأخرى، ومسافة هذه الأرض التي أنت عليها خمسمائة سنة ومن الأرض إلى الأرض مسيرة خمس مئة سنة، وكثافتها خمس مئة سنة، حتى تمّ سبع أرضين، ثم من الأرض إلى السماء مسيرة خمس مئة سنة، وكثافتها خمس مئة سنة، والله على العرش متكئ، ثم تفطر السموات، ثم قال كعب: اقرءوا إن شئتم {تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ}،الآية "[٢٦٠٧].

وقرئت: «مِمَّنْ فَوْقَهُن»[٢٦٠٨].

قوله تعالى:{وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} [الشورى :٥]، أي:" والملائكة يسبحون بحمد ربهم، وينزهونه عما لا يليق به"[٢٦٠٩].

قال الطبري:يقول:" والملائكة يصلون بطاعة ربهم وشكرهم له من هيبة جلاله وعظمته"[٢٦١٠].

قال ابن عباس:" والملائكة يسبحون له من عظمته"[٢٦١١].

قال الزجاج:" معنى: {يُسَبِّحُونَ}: يعظمون اللّه وينزهونه عن السوء"[٢٦١٢].

قوله تعالى:{وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ} [الشورى :٥]، أي:" ويسألون ربهم المغفرة لذنوب مَن في الأرض مِن أهل الإيمان به"[٢٦١٣].

قال الطبري:" يقول: ويسألون ربهم المغفرة لذنوب من في الأرض من أهل الإيمان به"[٢٦١٤].

عن السديّ، قوله: "{وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأرْضِ}، قال: للمؤمنين"[٢٦١٥].

(٢٦٠٣) المحرر الوجيز: ٢٦/٥.

(٢٦٠٤) انظر: البحر المحيط: ٣٢٣/٩.

(٢٦٠٥) فتح القدير: ٦٠٣/٤.

(٢٦٠٦) إعراب القرآن: ٤٩/٤-٥٠.

(٢٦٠٧) أخرجه الطبري: ٥٠١/٢١، وانظر: تفسير الطبري ، تحق: د.عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط. هجر: ٤٦٧/٢٠، وأخرجه أبو الشيخ (٢٣٦) من طريق زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار بلفظ: أخبرك أن الله تعالى خلق سبع سماوات، ومن الأرض مثلهن، ثم جعل -تبارك وتعالى- ما بين كل سماءين كما بين السماء الدنيا والأرض، وجعل كثفها مثل ذلك، ثم رفع العرش فاستوى عليه، فما من السماوات سماء إلا لها أطيط كأطيط الرحل العلافي أول ما يرتحل؛ مِن ثِقَل الجبار -تبارك وتعالى- فوقهن. والعلافي: هو أعظم الرحال. والمقصود هنا الجديد منها. انظر: النهاية (علف).

(٢٦٠٨) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٣٩٤/٤.

(٢٦٠٩) التفسير الميسر: ٤٨٣.

(٢٦١٠) تفسير الطبري: ٥٠٢/٢١.

(٢٦١١) أخرجه الطبري: ٥٠٢/٢١.

(٢٦١٢) معاني القرآن: ٣٩٤/٤.

(٢٦١٣) التفسير الميسر: ٤٨٣.

(٢٦١٤) تفسير الطبري: ٥٠٢/٢١.

(٢٦١٥) أخرجه الطبري: ٥٠٢/٢١.

قال الزجاج:" ولا يجوز أن يكون يَسْتَغْفِرُونَ لكل من في الأرض، لأن الله تعالى قال فِي الكفار: {أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} [البقرة : ١٦١]، ففي هذا دليل على أن الملائكة إنما يستغفرون للمؤمنين، ويدل على ذلك قوله في سورة المُؤمِن: {وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً} [غافر : ٧]"(٢٦١٦).

قوله تعالى:{أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الشورى :٥]، أي:" ألا إن الله هو الغفور لذنوب مؤمني عباده، الرحيم بهم"(٢٦١٧).

قال الطبري:" يقول الله عزّ وجلّ: ألا إن الله هو الغفور لذنوب مؤمني عباده، الرحيم بهم أن يعاقبهم بعد توبتهم منها"(٢٦١٨).

قال ابن كثير:" قوله : {أَلا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} إعلام بذلك وتنويه به"(٢٦١٩).

قال ابن إسحاق: "أي: يغفر الذنوب ، ويرحم العباد ، على ما فيهم"(٢٦٢٠).

قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس:" أن الله تبارك وتعالى إنما سمى نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليغفر"(٢٦٢١).

القرآن

{وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (٦)} [الشورى :٦]

التفسير:

والذين اتخذوا غير الله آلهة مِن دونه يتولَّونها، ويعبدونها، الله تعالى يحفظ عليهم أفعالهم؛ ليجازيهم بها يوم القيامة، وما أنت -أيها الرسول- بالوكيل عليهم بحفظ أعمالهم، إنما أنت منذر، فعليك البلاغ وعلينا الحساب.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ} [الشورى :٦]، أي:" والذين اتخذوا غير الله آلهة مِن دونه يتولَّونها، ويعبدونها، الله تعالى يحفظ عليهم أفعالهم؛ ليجازيهم بها يوم القيامة"(٢٦٢٢).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا} يا محمد من مشركي قومك {مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ} آلهة يتولونها ويعبدونها {اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ} يحصي عليهم أفعالهم، ويحفظ أعمالهم، ليجازيهم بها يوم القيامة جزاءهم"(٢٦٢٣).

قال ابن كثير:" {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ} يعني : المشركين ، {اللَّهُ}: شهيد على أعمالهم ، يحصيها ويعدها عدًّا ، وسيجزيهم بها أوفر الجزاء"(٢٦٢٤).

قال الزمخشري:أي:" [والذين] جعلوا له شركاء وأندادا، [الله] رقيب على أحوالهم وأعمالهم لا يفوته منها شيء، وهو محاسبهم عليها ومعاقبهم، لا رقيب عليهم إلا هو وحده"(٢٦٢٥).

قال القشيري:" المشركون اتخذوا الشياطين أولياء من دونه، وذلك بموافقتهم لها فيما توسوس به إليهم، وليس يخفى على الله أمرهم، وسيعذبهم بما يستوجبونه"(٢٦٢٦).

(٢٦١٦) معاني القرآن: ٣٩٤/٤.
(٢٦١٧) التفسير الميسر: ٤٨٣.
(٢٦١٨) تفسير الطبري: ٥٠٢/٢١.
(٢٦١٩) تفسير ابن كثير: ١٩١/٧.
(٢٦٢٠) أخرجه الطبري(٧٨٢٢):ص٢٠٣/٧.
(٢٦٢١) أخرجه ابن ابي حاتم(٥٣٧٩):ص٩٦٣/٣.
(٢٦٢٢) التفسير الميسر: ٤٨٣.
(٢٦٢٣) تفسير الطبري: ٥٠٢/٢١.
(٢٦٢٤) تفسير ابن كثير: ١٩١/٧.
(٢٦٢٥) الكشاف: ٢١٠/٤.
(٢٦٢٦) لطائف الإشارات: ٣٤٣/٣.

قال ابن الجوزي:" يعني: كفار مكة {اتَّخَذوا} آلهة فعبدوها من دونه، {اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ} أي: حافِظٌ لأعمالهم ليجازِيَهم بها"[٢٦٢٧].

قال السعدي:" وفي وصفه تعالى بهذه الأوصاف[٢٦٢٨]، بعد أن ذكر أنه أوحى إلى الرسل كلهم عموما، وإلى محمد - صلى الله عليهم أجمعين- خصوصا، إشارة إلى أن هذا القرآن الكريم، فيه من الأدلة والبراهين، والآيات الدالة على كمال الباري تعالى، ووصفه بهذه الأسماء العظيمة الموجبة لامتلاء القلوب من معرفته ومحبته وتعظيمه وإجلاله وإكرامه، وصرف جميع أنواع العبودية الظاهرة والباطنة له تعالى، وأن من أكبر الظلم وأفحش القول، اتخاذ أنداد لله من دونه، ليس بيدهم نفع ولا ضرر، بل هم مخلوقون مفتقرون إلى الله في جميع أحوالهم، ولهذا عقبه بقوله: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ}، يتولونهم بالعبادة والطاعة، كما يعبدون الله ويطيعونه، فإنما اتخذوا الباطل، وليسوا بأولياء على الحقيقة، {اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ} يحفظ عليهم أعمالهم، فيجازيهم بخيرها وشرها"[٢٦٢٩].

قوله تعالى:{وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ} [الشورى :٦]، أي:" وما أنت -أيها الرسول- بالوكيل عليهم بحفظ أعمالهم، إنما أنت منذر، فعليك البلاغ وعلينا الحساب"[٢٦٣٠].

قال الطبري:" يقول: ولست أنت يا محمد بالوكيل عليهم بحفظ أعمالهم، إنما أنت منذر، فبلغهم ما أرسلت به إليهم، فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب"[٢٦٣١].

قال الزمخشري:أي:" {وَما أَنْتَ} يا محمد بموكل بهم ولا مفوض إليك أمرهم ولا قسرهم على الإيمان، إنما أنت منذر فحسب"[٢٦٣٢].

قال ابن كثير:" أي : إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل "[٢٦٣٣].

قال البغوي:" لم يوكلك الله بهم حتى تؤخذ بهم"[٢٦٣٤].

قال السدي:" أما «الوكيل»، فالحفيظ"[٢٦٣٥].

عن الحسن، {وكيلا}، " أي: حفيظا لأعمالهم"[٢٦٣٦].

قال السمعاني:" أي: بمسلط، وهذا قبل نزول آية السيف"[٢٦٣٧].

قال ابن الجوزي:" وهذه الآية عند جمهور المفسرين منسوخة بآية السيف، ولا يصح"[٢٦٣٨].

فوائد الآيات: [١-٦]:

١- وحدة الوحي بين سائر الأنبياء إذ هي تدور على التوحيد والنبوة والبعث والجزاء والترغيب في العمل الصالح، والترهيب من العمل الفاسد.

٢- بيان عظمة الله تعالى وجلاله وكماله حتى إن السموات تكاد يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمده تعالى ويستغفرون للمؤمنين.

٣- تسلية الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتخفيف عنه بأنه غير موكل بحفظ أعمال المشركين ومجازاتهم عليها إنما هو الله تعالى، وما على الرسول إلا البلاغ المبين.

(٢٦٢٧) زاد المسير: ٥٩/٤.
(٢٦٢٨) يعني: قوله تعالى: {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [الشورى : ٤].
(٢٦٢٩) تفسير السعدي: ٧٥٢.
(٢٦٣٠) التفسير الميسر: ٤٨٣.
(٢٦٣١) تفسير الطبري: ٥٠٢/٢١.
(٢٦٣٢) الكشاف: ٢١٠/٤.
(٢٦٣٣) تفسير ابن كثير: ١٩١/٧.
(٢٦٣٤) تفسير البغوي: ١٨٤/٧.
(٢٦٣٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٢٧):ص٢٠٠٩/٦. هكذا مرقم بالمطبوع!

(٢٦٣٦) تفسير ابن أبي زمنين: ٤٠٥/١.
(٢٦٣٧) تفسير السمعاني: ٦٤/٥.
(٢٦٣٨) زاد المسير: ٥٩/٤.

القرآن
{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (٧)} [الشورى :٧]

التفسير:

وكما أوحينا إلى الأنبياء قبلك أوحَيْنا إليك قرآنا عربيًّا؛ لتنذر أهل «مكة» ومَن حولها مِن سائر الناس، وتنذر عذاب يوم الجمع، وهو يوم القيامة، لا شك في مجيئه. الناس فيه فريقان: فريق في الجنة، وهم الذين آمنوا بالله واتبعوا ما جاءهم به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ومنهم فريق في النار المستعرة، وهم الذين كفروا بالله، وخالفوا ما جاءهم به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} [الشورى :٧]، أي:" وكما أوحينا إلى الأنبياء قبلك أوحَيْنا إليك قرآنا عربيًّا"[٢٦٣٩].

قال مجاهد:" نزل القرآن بلسان قريش، وهو كلامهم"[٢٦٤٠].

قال الطبري: يقول:" وهكذا {أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} يا محمد {قُرْآنًا عَرَبِيًّا} بلسان العرب، لأن الذين أرسلتك إليهم قوم عرب، فأوحينا إليك هذا القرآن بألسنتهم، ليفهموا ما فيه من حجج الله وذكره، لأنا لا نرسل رسولا إلا بلسان قومه، ليبين لهم"[٢٦٤١].

قال ابن كثير:" يقول تعالى : وكما أوحينا إلى الأنبياء قبلك ، {أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} أي : واضحا جليا بينا"[٢٦٤٢].

قال السعدي:" ذكر منته على رسوله وعلى الناس، حيث أنزل الله {قُرْآنًا عَرَبِيًّا} بين الألفاظ والمعاني"[٢٦٤٣].

قال الشافعي:" فأقام حجته بأن كتابه عربي، ثم أكد ذلك بأن نفى عنه كل لسان غير لسان العرب"[٢٦٤٤].

قوله تعالى:{لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا} [الشورى :٧]، أي:" لتنذر أهل «مكة» ومَن حولها مِن سائر الناس"[٢٦٤٥].

قال الطبري: يقول:" {لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى} وهي مكة، {وَمَنْ حَوْلَهَا}: ومن حول أم القرى من سائر الناس"[٢٦٤٦].

قال ابن كثير:" {لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى} وهي مكة ، {وَمَنْ حَوْلَهَا} أي : من سائر البلاد شرقا وغربا"[٢٦٤٧].

قال السعدي:" {لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى} وهي مكة المكرمة {وَمَنْ حَوْلَهَا} من قرى العرب، ثم يسري هذا الإنذار إلى سائر الخلق"[٢٦٤٨].

قال ابن عباس:" يعنى بـ{أم القرى}، مكة، {ومن حولها}، من القرى إلى المشرق والمغرب"[٢٦٤٩].

عن السديّ، قوله: "{لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى}، قال: مكة"[٢٦٥٠].

(٢٦٣٩) التفسير الميسر: ٤٨٣.
(٢٦٤٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٢١):ص٢٠٩٩/٧.
(٢٦٤١) تفسير الطبري: ٥٠٣/٢١.
(٢٦٤٢) تفسير ابن كثير: ١٩١/٧.
(٢٦٤٣) تفسير السعدي: ٧٥٢.
(٢٦٤٤) تفسير الإمام الشافعي: ١٢٤١/٣.
(٢٦٤٥) التفسير الميسر: ٤٨٣.
(٢٦٤٦) تفسير الطبري: ٥٠٣/٢١.
(٢٦٤٧) تفسير ابن كثير: ١٩١/٧.
(٢٦٤٨) تفسير السعدي: ٧٥٢.
(٢٦٤٩) أخرجه الطجبري(١٣٥٥٠):ص٥٣١/١١.

وفي سبب تسمية مكة بـ«أمّ القُرَى» خمسة أقوال:
أحدها : لأنها مجتمع القرى ، كما يجتمع الأولاد إلى الأم [٢٦٥١].
الثاني : لأن أول بيت وضع بها ، فكأن القرى نشأت عنها ، قاله السدي[٢٦٥٢].
الثالث:سميت «أم القرى»، لأن الأرض دحيت من تحتها، فهي أصل الأرض كلها كالأم أصل النسل. وهذا قول قتادة[٢٦٥٣]، ومقاتل[٢٦٥٤].
قال قتادة:" بلغني أن الأرض دُحِيَتْ من مكة"[٢٦٥٥].
الرابع: لأن الناس يؤمونها من كل جانب ، أي: يقصدونها . قاله الزجاج ايضا[٢٦٥٦].
الخامس: لأنها معظمة كتعظيم الأم، فكانت أعظم القرى شأنا. قاله الزجاج[٢٦٥٧]، قال الزمخشري[٢٦٥٨]:
فمن يلق في بعض القريات رحله ... فأم القرى ملقى رحالي ومنتابى
قال ابن كثير:" سميت مكة «أم القرى»؛ لأنها أشرف من سائر البلاد"[٢٦٥٩].
روي عن عبد الله بن عَدِي بن الحمراء الزهري: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول - وهو واقف بالحَزْوَرَة في سوق مكة - : "والله ، إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أني أُخْرِجْتُ منك ما خرجت"[٢٦٦٠].
قوله تعالى:{وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ} [الشورى :٧]، أي:" وتنذر عذاب يوم الجمع، وهو يوم القيامة، لا شك في مجيئه"[٢٦٦١].
قال الطبري: يقول:" وتنذر عقاب الله في يوم الجمع عباده لموقف الحساب والعرض"[٢٦٦٢].
قال ابن كثير:" هو يوم القيامة ، يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد.. لا شك في وقوعه ، وأنه كائن لا محالة "[٢٦٦٣].
عن السديّ: "{وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ}، قال: يوم القيامة"[٢٦٦٤].
قال السمعاني:" يوم الجمع} أي: يوم القيامة، وهو اليوم الذي يجتمع فيه أهل السموات وأهل الأرض، وقيل: يجتمع فيه الأولون والآخرون. ومعناه: لتنذر بيوم الجمع"[٢٦٦٥].
قوله تعالى:{فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ} [الشورى :٧]، أي:" منهم فريق في الجنة ومنهم فريق في النار المستعرة"[٢٦٦٦].

(٢٦٥٠) اخرجه الطبري: ٥٠٣/٢١.
(٢٦٥١) انظر: النكت والعيون:١٤٢/٢.
(٢٦٥٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٥٤):ص٥٣١/١١.
(٢٦٥٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٥٢):ص٥٣١/١١.
(٢٦٥٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٦٤/٣.
(٢٦٥٥) أخرجه الطبري(١٣٥٥٢):ص٥٣١/١١.
(٢٦٥٦) انظر: معاني القرآن:٣٥٩/٢.
(٢٦٥٧) انظر: معاني القرآن:٢٧١/٢.
(٢٦٥٨) الكشاف:٤٥/٢، يفتخر بمكة وسكانها. والقريات- بالتشديد-: للتصغير. ورحل الشخص مسكنه ولو من شعر، أى: فمن يلق رحله في بعض القرى الصغيرة. فلا فخر له على، فان مكة محط رحالي ومنتابى، أى محل انتيابى أى دخولى فيها توبة بعد أخرى، وإلقاء الرحل: كناية عن الاقامة، لأنها تلزمه عرفا. وملقى على زنة اسم المفعول اسم لمكان الإلقاء، كمتاب لمكان الانتياب.
(٢٦٥٩) تفسير ابن كثير: ١٩١/٧.
(٢٦٦٠) المسند: ٣٠٥/٤، وسنن الترمذي برقم (٣٩٢٥) والنسائي في السنن الكبرى برقم (٤٢٥٢) وسنن ابن ماجه برقم (٣١٠٨).
(٢٦٦١) التفسير الميسر: ٤٨٣.
(٢٦٦٢) تفسير الطبري: ٥٠٣/٢١.
(٢٦٦٣) تفسير ابن كثير: ١٩١/٧.
(٢٦٦٤) أخرجه الطبري: ٥٠٣/٢١.
(٢٦٦٥) تفسير السمعاني: ٦٤/٥.

قال الطبري: " يقول: منهم فريق في الجنة، وهم الذين آمنوا بالله واتبعوا ما جاءهم به رسوله، ومنهم فريق في الموقدة من نار الله المسعورة على أهلها، وهم الذين كفروا بالله، وخالفوا ما جاءهم به رسوله"(٢٦٦٧).

قال البيضاوي:" أي: بعد جمعهم في الموقف يجمعون أولا ثم يفرقون"(٢٦٦٨).

قال السمعاني:" في التفسير: أنهم يتفرقون في الجنة والسعير فلا يجتمعون أبدا"(٢٦٦٩).

قال سهل:" من غرس الشوك لا يجتني عنباً، فاصنعوا ما شئتم، فإن الطريق اثنان، فأي طريق منهما سلكتموه وردتم على أهله"(٢٦٧٠).

عن أشهب، قال: "سئل مالك عن قول الله: {ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم}، قال: خلقهم ليكونوا فريقين: فريقٌ في الجنة، وفريقٌ في السعير"(٢٦٧١).

عن شفي الأصبحي، عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:"خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان، فقال:"هل تدرون ما هذا؟ " فقلنا: لا إلا أن تخبرنا يا رسول الله، قال:"هذا كتاب من رب العالمين، فيه أسماء أهل الجنة، وأسماء آبائهم وقبائلهم"، ثم أجمل على آخرهم، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا، وهذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم"، ثم أجمل على آخرهم،"فلا يزاد ولا ينقص منهم أبدا"، قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: ففيم إذن نعمل إن كان هذا أمر قد فرغ منه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"بل سددوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل الجنة وإن عمل أي عمل، وصاحب النار يختم له بعمل النار وإن عمل أي عمل، فرغ ربكم من العباد" ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه فنبذهما:"فرغ ربكم من الخلق، فريق في الجنة، وفريق في السعير" قالوا: سبحان الله، فلم نعمل وننصب؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"العمل إلى خواتمه"(٢٦٧٢).

عن عبد الله بن عمرو، قال: "إن الله تعالى ذكره لما خلق آدم نفضه نفض المزود، فأخرج منه كل ذرية، فخرج أمثال النغف، فقبضهم قبضتين، ثم قال: شقي وسعيد، ثم ألقاهما، ثم قبضهما فقال: {فريق في الجنة وفريق في السعير}"(٢٦٧٣).

عن أبي نضرة :" أن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له : أبو عبد الله - دخل عليه أصحابه يعودونه وهو يبكي ، فقالوا له : ما يبكيك ؟ ألم يقل لك رسول الله صلى الله عليه وسلم : "خذ من شاربك ثم أقره حتى تلقاني" قال : بلى ، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إن الله قبض بيمينه قبضة ، وأخرى باليد الأخرى ، قال : هذه لهذه ، وهذه لهذه ولا أبالي" فلا أدري في أي القبضتين أنا"(٢٦٧٤).

عن ابن حجيرة:" أنه بلغه أن موسى قال: يا رب خلقك الذين خلقتهم، جعلت منهم فريقا في الجنة، وفريقا في السعير، لو ما أدخلتهم كلهم الجنة قال: يا موسى ارفع زرعك، فرفع، قال: قد رفعت، قال: ارفع، فرفع، فلم يترك شيئا، قال: يا رب قد رفعت، قال: ارفع، قال: قد رفعت إلا ما لا خير فيه، قال: كذلك أدخل خلقي كلهم الجنة إلا ما لا خير فيه"(٢٦٧٥).

(٢٦٦٦) التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ٧٣٠/٩.
(٢٦٦٧) تفسير الطبري: ٥٠٣/٢١-٥٠٤.
(٢٦٦٨) تفسير البيضاوي: ٧٧/٥.
(٢٦٦٩) تفسير السمعاني: ٦٥/٥.
(٢٦٧٠) تفسير التستري: ١٣٨.
(٢٦٧١) أخرجه الطبري(١٨٧٢٩):ص٥٣٦/١٥.
(٢٦٧٢) أخرجه الطبري: ٥٠٤/٢١.
(٢٦٧٣) أخرجه الطبري: ٥٠٤/٢١.
(٢٦٧٤)المسند :١٧٦٩/٤.
(٢٦٧٥) أخرجه الطبري: ٥٠٤/٢١-٥٠٥.

القرآن
{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٨)} [الشورى :٨]
التفسير:
ولو شاء الله أن يجمع خَلْقه على الهدى ويجعلهم على ملة واحدة مهتدية لفعل، ولكنه أراد أن يُدخل في رحمته مَن يشاء مِن خواص خلقه. والظالمون أنفسهم بالشرك ما لهم من وليٍّ يتولى أمورهم يوم القيامة، ولا نصير ينصرهم من عقاب الله تعالى.
قوله تعالى:{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} [الشورى :٨]، أي:" لو شاء الله لجعل الناس كله مهتدين، أهل دينٍ واحدٍ وملةٍ واحدة وهي الإسلام"(٢٦٧٦).
قال الطبري: يقول:" ولو أراد الله أن يجمع خلقه على هدى، ويجعلهم على ملة واحدة لفعل، و {لجعلهم}أهل ملة واحدة، وجماعة مجتمعة على دين واحد"(٢٦٧٧).
قال ابن كثير:" أي : إما على الهداية أو على الضلالة ، ولكنه تعالى فاوت بينهم ، فهدى من يشاء إلى الحق ، وأضل من يشاء عنه ، وله الحكمة والحجة البالغة"(٢٦٧٨).
عن ابن عباس:" {ولَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً واحِدَةً} على دين واحد"(٢٦٧٩).
قال الضحاك:" أهل دين واحد أهل ضلالة أو أهل هدى"(٢٦٨٠).
قوله تعالى:{وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ} [الشورى :٨]، أي:" ولكنه أراد أن يُدخل في رحمته مَن يشاء مِن خواص خلقه"(٢٦٨١).
قال أنس بن مالك: "في الإسلام"(٢٦٨٢).
قال الطبري: " يعني: أنه يدخله في رحمته بتوفيقه إياه للدخول في دينه، الذي ابتعث به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم"(٢٦٨٣).
قوله تعالى:{وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [الشورى :٨]، أي:" والظالمون أنفسهم بالشرك ما لهم من وليٍّ يتولى أمورهم يوم القيامة، ولا نصير ينصرهم من عقاب الله تعالى"(٢٦٨٤).
قال الشوكاني:" أي: المشركون ما لهم من ولي يدفع عنهم العذاب، ولا نصير ينصرهم في ذلك المقام"(٢٦٨٥).
قال السعدي:" وأما الظالمون الذين لا يصلحون لصالح، فإنهم محرومون من الرحمة، فـ {مَا لَهُمْ} من دون الله {مِنْ وَلِيٍّ} يتولاهم، فيحصل لهم المحبوب {وَلا نَصِيرٍ} يدفع عنهم المكروه"(٢٦٨٦).
قال البيضاوي:" أي: يدعهم بغير ولي ولا نصير في عذابه"(٢٦٨٧).
قال الطبري: " يقول: والكافرون بالله ما لهم من ولي يتولاهم يوم القيامة، ولا نصير ينصرهم من عقاب الله حين يعاقبهم، فينقذهم من عذابه، ويقتص لهم ممن عاقبهم، وإنما قيل هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسلية له عما كان يناله من الهم بتولية قومه عنه، وأمرا له

(٢٦٧٦) صفوة التفاسير: ١٢٤/٣.
(٢٦٧٧) تفسير الطبري: ٥٠٥/٢١.
(٢٦٧٨) تفسير ابن كثير: ١٩٣/٧.
(٢٦٧٩)تفسير البغوي ٧/ ١٨٥.
(٢٦٨٠) النكت والعيون: ١٩٤/٥.
(٢٦٨١) التفسير الميسر: ٤٨٣.
(٢٦٨٢) النكت والعيون: ١٩٤/٥.
(٢٦٨٣) تفسير الطبري: ٥٠٥/٢١.
(٢٦٨٤) التفسير الميسر: ٤٨٣.
(٢٦٨٥) فتح القدير: ٦٠٤/٤.
(٢٦٨٦) تفسير السعدي: ٧٥٢.
(٢٦٨٧) تفسير البيضاوي: ٧٧/٥.

بترك إدخال المكروه على نفسه من أجل إدبار من أدبر عنه منهم، فلم يستجب لما دعاه إليه من الحق، وإعلاما له أن أمور عباده بيده، وأنه الهادي إلى الحق من شاء، والمضل من أراد دونه، ودون كل أحد سواه"[٢٦٨٨].

القرآن

{أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٩)} [الشورى :٩]

التفسير:

بل اتخذ هؤلاء المشركون أولياء من دون الله يتولونهم، فالله وحده هو الوليُّ يتولاه عَبْدُه بالعبادة والطاعة، ويتولَّى عباده المؤمنين بإخراجهم من الظلمات إلى النور وإعانتهم في جميع أمورهم، وهو يحيي الموتى عند البعث، وهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء.

قوله تعالى:{أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ} [الشورى :٩]، أي:" بل اتخذ هؤلاء المشركون أولياء من دون الله يتولونهم"[٢٦٨٩].

قال الطبري:يقول:" أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله أولياء من دون الله يتولونهم"[٢٦٩٠].

قال مقاتل:يعني:" من الملائكة آلهة، وهم خزاعة وغيرهم يعبدونها"[٢٦٩١].

قال القرطبي:" أي: بل اتخذوا {من دونه} أصناما"[٢٦٩٢].

قال السعدي:" يتولونهم بعبادتهم إياهم، فقد غلطوا أقبح غلط"[٢٦٩٣].

قال الزمخشري:" معنى الهمزة في «أم»: الإنكار"[٢٦٩٤].

قال الشوكاني:" «أم»: هذه هي المنقطعة المقدرة بـ«بل» المفيدة للانتقال وبالهمزة المفيدة للإنكار، أي: بل أتخذ الكافرون من دون الله أولياء من الأصنام يعبدونها؟"[٢٦٩٥].

قوله تعالى:{فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ} [الشورى :٩]، أي:" فالله وحده هو الوليُّ يتولاه عَبْدُه بالعبادة والطاعة، ويتولَّى عباده المؤمنين بإخراجهم من الظلمات إلى النور وإعانتهم في جميع أمورهم"[٢٦٩٦].

قال الطبري: يقول: "فالله هو ولي أوليائه، وإياه فليتخذوا وليا لا الآلهة والأوثان، ولا ما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا"[٢٦٩٧].

قال الشوكاني:" أي: هو الحقيق بأن يتخذوه وليا، فإنه الخالق الرازق الضار النافع"[٢٦٩٨].

قال الزمخشري:أي:" هو الذي يجب أن يتولى وحده ويعتقد أنه المولى والسيد، فالفاء في قوله: {فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ}، جواب شرط مقدّر، كأنه قيل بعد إنكار كل ولى سواه: إن أرادوا وليا بحق، فالله هو الولي بالحق، لا ولىّ سواه"[٢٦٩٩].

قال السعدي:" فالله هو الولي الذي يتولاه عبده بعبادته وطاعته، والتقرب إليه بما أمكن من أنواع التقربات، ويتولى عباده عموما بتدبيره، ونفوذ القدر فيهم، ويتولى عباده المؤمنين

(٢٦٨٨) تفسير الطبري: ٥٠٥/٢١.
(٢٦٨٩) التفسير الميسر: ٤٨٣.
(٢٦٩٠) تفسير الطبري:: ٥٠٦/٢١.
(٢٦٩١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٦٤/٣.
(٢٦٩٢) تفسير القرطبي: ٧/١٦.
(٢٦٩٣) تفسير السعدي: ٧٥٢.
(٢٦٩٤) الكشاف: ٢١١/٤.
(٢٦٩٥) فتح القدير: ٦٠٤/٤.
(٢٦٩٦) التفسير الميسر: ٤٨٣.
(٢٦٩٧) تفسير الطبري:: ٥٠٦/٢١.
(٢٦٩٨) فتح القدير: ٦٠٤/٤.
(٢٦٩٩) الكشاف: ٢١١/٤.

خصوصا، بإخراجهم من الظلمات إلى النور، وتربيتهم بلطفه، وإعانتهم في جميع أمورهم"[٢٧٠٠].

قال ابن عباس:"{فالله هو الولي} وليّك -يا محمد-، وولي مَن اتبعك"[٢٧٠١].

عن السدي، قوله: "{من أولياء}، قال: أما الولي: فالذي يتولاه الله ويقر له بالربوبية"[٢٧٠٢].

قوله تعالى:{وَهُوَ يُحْيِ الْمَوْتَى} [الشورى :٩]، أي:" وهو يحيي الموتى عند البعث"[٢٧٠٣].

قال الطبري:"يقول: والله يحيي الموتى من بعد مماتهم، فيحشرهم يوم القيامة"[٢٧٠٤].

قال الزمخشري:" أى: ومن شأن هذا الولي أنه يحيى المَوْتى"[٢٧٠٥].

قال السعدي:" أي: هو المتصرف بالإحياء والإماتة"[٢٧٠٦].

قوله تعالى:{وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الشورى :٩]، أي:" وهو على كل شيء قدير، لا يعجزه شيء"[٢٧٠٧].

قال مقاتل:أي:" من البعث وغير"[٢٧٠٨].

قال الطبري:" يقول: والله القادر على إحياء خلقه من بعد مماتهم وعلى غير ذلك، إنه ذو قدرة على كل شيء"[٢٧٠٩].

قال الزمخشري:" فهو الحقيق بأن يتخذ وليا دون من لا يقدر على شيء"[٢٧١٠].

قال الشوكاني:" أي: يقدر على كل مقدور، فهو الحقيق بتخصيصه بالألوهية وإفراده بالعبادة"[٢٧١١].

قال ابن إسحاق:" أي: إن الله على كل شيء ما أراد بعباده من نقمة أو عفو فهو قدير"[٢٧١٢].

فوائد الآيات: [٧-٩]:

١- تقرير النبوة المحمدية بإثبات الوحي الإلهي.

٢- شرف مكة بتسميتها أم القرى أي أم المدن والحواضر.

٣- مشروعية التعليل للأفعال والأحكام.

٤- انقسام الناس يوم القيامة إلى سعيد وشقي لا غير.

٥- لم يشأ الله أن يجعل الناس أمة واحدة لحكم عالية علمها إليه سبحانه وتعالى.

٦- من طلب ولاية غير الله هلك؟ ومن والى الله دون من سواه كفاه الله ما أهمّه في دنياه وأخراه.

القرآن

{وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (١٠)} [الشورى :١٠]

(٢٧٠٠) تفسير السعدي: ٧٥٢.

(٢٧٠١)تفسير البغوي ٧/ ١٨٦.

(٢٧٠٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٠٣٠):ص٢٦٧٢/٨.

(٢٧٠٣) التفسير الميسر: ٤٨٣.

(٢٧٠٤) تفسير الطبري:: ٥٠٦/٢١.

(٢٧٠٥) الكشاف: ٢١١/٤.

(٢٧٠٦) تفسير السعدي: ٧٥٢.

(٢٧٠٧) التفسير الميسر: ٤٨٣.

(٢٧٠٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٦٤/٣.

(٢٧٠٩) تفسير الطبري:: ٥٠٦/٢١.

(٢٧١٠) الكشاف: ٢١١/٤.

(٢٧١١) فتح القدير: ٦٠٤/٤.

(٢٧١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٢١٤):ص٥٩/١.

التفسير:
وما اختلفتم فيه -أيها الناس- من شيء من أمور دينكم، فالحكم فيه مردُّه إلى الله في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. ذلكم الله ربي وربكم، عليه وحده توكلت في أموري، وإليه أرجع في جميع شؤوني.

قوله تعالى:{وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ} [الشورى :١٠]، أي:" وما اختلفتم فيه أيها المؤمنون من شيء من أمر الدنيا أو الدين، فالحكم فيه إلا الله جل وعلا، هو الحاكم فيه بكتابه أو بسنة نبيه عليه السلام"(٢٧١٣).

قال الطبري: يقول:" وما اختلفتم أيها الناس فيه من شيء فتنازعتم بينكم، فحكمه إلى الله. يقول: فإن الله هو الذي يقضي بينكم ويفصل فيه الحكم"(٢٧١٤).

قال مجاهد: "يقول:يحكم فيه"(٢٧١٥).

قال البيضاوي:"{وما اختلفتم} أنتم والكفار، {فيه من شيء} من أمر من أمور الدنيا أو الدين، {فحكمه إلى الله} مفوض إليه يميز المحق من المبطل بالنصر أو بالإثابة والمعاقبة. وقيل: {وما اختلفتم فيه} من تأويل متشابه فارجعوا فيه إلى المحكم من كتاب الله"(٢٧١٦).

قال الكلبي:"{وما اختلفتم فيه من شيء}، أي: "من أمر الدين، {فحكمه إلى الله} يقضي فيه"(٢٧١٧).

وقال مقاتل:" وذلك أن أهل مكة كفر بعضهم بالقرآن، وآمن بعضهم فقال الله- تعالى-: إن الذي اختلفتم فيه فإني أرد قضاءه إلي وأنا أحكم فيه"(٢٧١٨).

قال القرطبي:"قوله:{وما اختلفتم فيه من شيء}، حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين، أي وما خالفكم فيه الكفار من أهل الكتاب والمشركين من أمر الدين، فقولوا لهم حكمه إلى الله لا إليكم، وقد حكم أن الدين هو الإسلام لا غيره. وأمور الشرائع إنما تتلقى من بيان الله"(٢٧١٩).

قال الشوكاني:" هذا عام في كل ما اختلف فيه العباد من أمر الدين، فإن حكمه ومرجعه إلى الله يحكم فيه يوم القيامة بحكمه ويفصل خصومة المختصمين فيه، وعند ذلك يظهر المحق من المبطل، ويتميز فريق الجنة وفريق النار.. والاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"(٢٧٢٠).

قال السمعاني:" استدل من منع القياس في الحوادث بهذه الآية، قال: الحكم إلى الله لا إلى رأى الرجال، وكذلك كان الخوارج يقولون: لا حكم إلا لله، وأنكروا الحكمين، وهذا الاستدلال فاسد؛ لأن عندنا من قال بالقياس والاجتهاد فهو رجوع إلى الله في حكمه، فإن أصول المقايسات هي: الكتاب، والسنة"(٢٧٢١).

قوله تعالى:{ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي} [الشورى :١٠]، أي:" الموصوف بهذه الصفات هو ربي وحده"(٢٧٢٢).

قال الطبري:" يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء المشركين بالله هذا الذي هذه الصفات صفاته ربي، لا آلهتكم التي تدعون من دونه، التي لا تقدر على شيء"(٢٧٢٣).

(٢٧١٣) صفوة التفاسير: ١٢٤/٣.
(٢٧١٤) تفسير الطبري :٥٠٦/٢١.
(٢٧١٥) تفسير مجاهد: ٥٨٨، ورواه الطبري: ٥٠٦/٢١.
(٢٧١٦) تفسير البيضاوي: ٧٧/٥.
(٢٧١٧) نقلا عن: التفسير الوسيط للواحدي: ٤٥/٤، وفتح القدير: ٦٠٤/٤.
(٢٧١٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٦٥/٣.
(٢٧١٩) تفسير القرطبي: ٧/١٦.
(٢٧٢٠) فتح القدير: ٦٠٤/٤.
(٢٧٢١) تفسير السمعاني: ٦٥/٥.
(٢٧٢٢) صفوة التفاسير: ١٢٤/٣.
(٢٧٢٣) تفسير الطبري :٥٠٦/٢١.

قال القرطبي:" أي: الموصوف بهذه الصفات هو ربي وحده، وفيه إضمار: أي: قل لهم يا محمد ذلكم الله الذي يحيي الموتى ويحكم بين المختلفين هو ربي"(٢٧٢٤).

قال مقاتل:" ثم دلّ على نفسه بصنعه، فقال: {ذلكم الله} الذي يحيي الموتى ويميت الأحياء هو أحياكم وهو الله {ربي}"(٢٧٢٥).

قوله تعالى:{عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} [الشورى :١٠]، أي:" عليه وحده اعتمدت في جميع أموري"(٢٧٢٦).

قال الطبري:" {عليه توكلت} في أموري، وإليه فوضت أسبابي، وبه وثقت"(٢٧٢٧).

قال مقاتل:" يعني: به أثق"(٢٧٢٨).

قال السمعاني:" أي: به وثقت"(٢٧٢٩).

قال البيضاوي:أي:" في مجامع الأمور"(٢٧٣٠).

قال الشوكاني:أي:" اعتمدت عليه في جميع أموري، لا على غيره وفوضته في كل شؤوني"(٢٧٣١).

قال محمد بن إسحاق: "وعلى الله لا على الناس فليتوكل المؤمنون"(٢٧٣٢).

عن محمد بن إسحاق: قوله: "{وتوكل على الله}، أي: ارْضَ به مِن العباد"(٢٧٣٣).

قوله تعالى:{وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [الشورى :١٠]، أي:" وإليه وحده أرجع في جميع شؤوني"(٢٧٣٤).

قال البيضاوي:" إليه أرجع في المعضلات"(٢٧٣٥).

قال السمعاني:أي:"وإليه أرجع في أموري"(٢٧٣٦).

قال الشوكاني:" أي: أرجع في كل شيء يعرض لي لا إلى غيره"(٢٧٣٧).

قال الطبري:" يقول: وإليه أرجع في أموري وأتوب من ذنوبي"(٢٧٣٨).

عن مجاهد: {وإليه أنيب}، يعني: «إليه أرجع»"(٢٧٣٩).

عن عبيد بن يعلى، قال: "الإنابة: الدعاء"(٢٧٤٠).

القرآن

{فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١)} [الشورى :١١]

التفسير:

(٢٧٢٤) تفسير القرطبي: ٧/١٦.

(٢٧٢٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٦٥/٣.

(٢٧٢٦) صفوة التفاسير: ١٢٤/٣.

(٢٧٢٧) تفسير الطبري :٥٠٦/٢١.

(٢٧٢٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٦٥/٣.

(٢٧٢٩) تفسير السمعاني: ٦٦/٥.

(٢٧٣٠) تفسير البيضاوي: ٧٧/٥.

(٢٧٣١) فتح القدير: ٦٠٤/٤.

(٢٧٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٣٢):ص١٥٢٣/٥، و(١٠٣١٦):ص١٨١٢/٦.

(٢٧٣٣)أخرجه الطبري(٨١٣٢):ص٣٤٦/٧، وابن المنذر(١١٢١):ص٤٦٩/٢، وابن أبي حاتم(٤٤٢٤):ص ٣/ ٨٠٢.

(٢٧٣٤) نظر: التفسير الميسر: ٤٨٣، وصفوة التفاسير: ١٢٤/٣.

(٢٧٣٥) تفسير البيضاوي: ٧٧/٥.

(٢٧٣٦) تفسير السمعاني: ٦٦/٥.

(٢٧٣٧) فتح القدير: ٦٠٤/٤.

(٢٧٣٨) تفسير الطبري :٥٠٦/٢١.

(٢٧٣٩) تفسير مجاهد: ٣٩٠، وتفسير ابن أبي حاتم(١١١٤٨):ص٢٠٧٤/٦.

(٢٧٤٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١١١٤٩):ص٢٠٧٤/٦.

الله سبحانه وتعالى هو خالق السماوات والأرض ومبدعهما بقدرته ومشيئته وحكمته، جعل لكم من أنفسكم أزواجًا؛ لتسكنوا إليها، وجعل لكم من الأنعام أزواجًا ذكورًا وإناثًا، يكثركم بسببه بالتوالد، ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله؛ لأن أسماءه كلَّها حسنى، وصفاتِه صفات كمال وعظمة، وأفعالَه تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، وهو السميع البصير، لا يخفى عليه مِن أعمال خلقه وأقوالهم شيء، وسيجازيهم على ذلك.

قوله تعالى:{فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الشورى :١١]، أي:" الله سبحانه وتعالى هو خالق السماوات والأرض ومبدعهما بقدرته ومشيئته وحكمته"(٢٧٤١).

قال الطبري:" خالق السموات السبع والأرض"(٢٧٤٢).

عن السدي، قوله: "{فاطر السماوات والأرض}، قال: خالق"(٢٧٤٣).

قوله تعالى:{جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} [الشورى :١١]، أي:" أوجد لكم بقدرته من جنسكم نساءً من الآدميات"(٢٧٤٤).

قال قتادة:" خلق آدم ثم خلق زوجته منه"(٢٧٤٥).

قال الطبري:يقول:" زوجكم ربكم من أنفسكم أزواجا، لأنه خلق حواء من ضلع آدم، فهو من الرجال"(٢٧٤٦).

قال مقاتل:" يعني: الحلائل لتسكنوا إليهن"(٢٧٤٧).

قال ابن قتيبة يريد: الإناث"(٢٧٤٨).

قال السعدي: " لتسكنوا إليها، وتنتشر منكم الذرية، ويحصل لكم من النفع ما يحصل"(٢٧٤٩).

قوله تعالى:{وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا} [الشورى :١١]، أي:" وخلق لكم كذلك من الإبل والبقر والضأن والمعز أصنافاً، ذكوراً وإناثا"(٢٧٥٠).

قال الطبري:يقول:" وجعل لكم من الأنعام أزواجا من الضأن اثنين، ومن المعز اثنين، ومن الإبل اثنين، ومن البقر اثنين، ذكورا وإناثا، ومن كل جنس من ذلك"(٢٧٥١).

قال ابن قتيبة:" يريد: جعَلَ للأنعام منها أزواجًا، أي: إناثًا"(٢٧٥٢).

قال الفراء:" يقول: جعل لكل شيء من الأنعام زوجا ليكثروا ولتكثروا"(٢٧٥٣).

قال السعدي: " أي: ومن جميع أصنافها نوعين، ذكرا وأنثى، لتبقى وتنمو لمنافعكم الكثيرة، ولهذا عداها باللام الدالة على التعليل، أي: جعل ذلك لأجلكم، ولأجل النعمة عليكم"(٢٧٥٤).

قوله تعالى:{يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ} [الشورى :١١]، أي:" يكثركم بسببه بالتوالد"(٢٧٥٥).

(٢٧٤١) التفسير الميسر: ٤٨٤.
(٢٧٤٢) تفسير الطبري :٥٠٧/٢١.
(٢٧٤٣) أخرجه الطبري :٥٠٧/٢١.
(٢٧٤٤) صفوة التفاسير: ١٢٤/٣.
(٢٧٤٥) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٧٥/١.
(٢٧٤٦) تفسير الطبري :٥٠٧/٢١.
(٢٧٤٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٦٥/٣.
(٢٧٤٨) غريب القرآن: ٣٩١.
(٢٧٤٩) تفسير السعدي: ٧٥٤.
(٢٧٥٠) صفوة التفاسير: ١٢٤/٣.
(٢٧٥١) تفسير الطبري :٥٠٧/٢١.
(٢٧٥٢) غريب القرآن: ٣٩١.
(٢٧٥٣) معاني القرآن: ٢٢/٣.
(٢٧٥٤) تفسير السعدي: ٧٥٤.
(٢٧٥٥) صفوة التفاسير: ١٢٤/٣.

قال الطبري:" يقول: يخلقكم فيما جعل لكم من أزواجكم، ويعيشكم فيما جعل لكم من الأنعام"[٢٧٥٦].

قال السعدي: " أي: يبثكم ويكثركم ويكثر مواشيكم، بسبب أن جعل لكم من أنفسكم، وجعل لكم من الأنعام أزواجا"[٢٧٥٧].

وفي قوله تعالى:{يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ} [الشورى : ١١]، وجوه من التفسير:

أحدها : يخلقكم فيه، قاله السدي[٢٧٥٨]، وأبو عبيدة[٢٧٥٩]، ورواه شعبة عن منصور[٢٧٦٠].

وقال ابن قتيبة:" أي: يخلقكم في الرحم أو في الزوج"[٢٧٦١].

قال ابن كثير:" أي : يخلقكم فيه ، أي : في ذلك الخلق على هذه الصفة لا يزال يذرؤكم فيه ذكورا وإناثا ، خلقا من بعد خلق ، وجيلا بعد جيل ، ونسلا بعد نسل ، من الناس والأنعام"[٢٧٦٢].

قال البغوي:" {يذرؤكم} يخلقكم، {فيه} أي: في الرحم. وقيل: في البطن. وقيل: على هذا الوجه من الخلقة"[٢٧٦٣].

الثاني : يُكَثِّركم بِجَعْلِهِ منكم وَمنَ الأنْعَامِ أزواجاً. قاله الزجاج[٢٧٦٤].

الثالث : يعيشكم فيه، قاله ابن عباس[٢٧٦٥]، وقتادة[٢٧٦٦].

قال ابن عباس:" يجعل لكم فيه معيشة تعيشون بها"[٢٧٦٧].

الرابع : يرزقكم فيه ، قاله ابن زيد[٢٧٦٨].

الخامس : يبسطكم فيه ، قاله قطرب[٢٧٦٩].

السادس : نسلاً من بعد نسل من الناس والأنعام ، قاله مجاهد[٢٧٧٠].

قال ابن عطية:" أي: يخلقكم نسلا بعد نسل وقرنا بعد قرن، .. فلفظة «ذرأ»: تزيد على لفظة: «خلق» معنى آخر ليس في خلق، وهو توالي الطبقات على مر الزمان"[٢٧٧١].

السابع: ينبتكم من حال إلى حال أي ينبتكم في الجعل. قاله علي بن سليمان[٢٧٧٢].

قال النحاس:" وأولى هذه الأقوال بالصواب الذي رواه شعبة عن منصور، لأن أهل اللغة المتقدمين منهم أبو زيد وغيره رووا عن العرب: ذرأ الله عزّ وجلّ الخلق يذرؤهم، أي: خلقهم"[٢٧٧٣].

قوله تعالى:{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى :١١]، أي:" ليس له تعالى مثيلٌ ولا نظير، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فهوالواحد الأحد، الفردُ الصمد"[٢٧٧٤].

(٢٧٥٦) تفسير الطبري :٥٠٧/٢١.
(٢٧٥٧) تفسير السعدي: ٧٥٤.
(٢٧٥٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٧/٢١.
(٢٧٥٩) انظر: مجاز القرآن: ١٩٩/٢.
(٢٧٦٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٨/٢١.
(٢٧٦١) غريب القرآن: ٣٩١.
(٢٧٦٢) تفسير ابن كثير: ١٩٤/٧.
(٢٧٦٣) تفسير البغوي: ١٨٦/٧.
(٢٧٦٤) انظر: معاني القرآن: ٣٩٥/٤.
(٢٧٦٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٨/٢١.
(٢٧٦٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٨/٢١.
(٢٧٦٧) أخرجه الطبري: ٥٠٨/٢١.
(٢٧٦٨) انظر: النكت والعيون: ١٩٤/٥.
(٢٧٦٩) انظر: النكت والعيون: ١٩٤/٥.
(٢٧٧٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٧/٢١، ٥٠٨.
(٢٧٧١) المحرر الوجيز: ٢٨/٥.
(٢٧٧٢) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ٥١/٤.
(٢٧٧٣) إعراب القرآن: ٥١/٤.
(٢٧٧٤) صفوة التفاسير: ١٢٤/٣.

قال ابن كثير:" أي : ليس كخالق الأزواج كلها شيء؛ لأنه الفرد الصمد الذي لا نظير له"[٢٧٧٥].

قال مقاتل:" ثم عظم نفسه، فقال: {ليس كمثله شيء} في القدرة"[٢٧٧٦].

قال السعدي:" أي: ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، لأن أسماءه كلها حسنى، وصفاته صفة كمال وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثله شيء، لانفراده وتوحده بالكمال من كل وجه"[٢٧٧٧].

وروي عن الضحاك، في قوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}، قال:" ليس كمثل الرجل والمرأة شيء"[٢٧٧٨].

وفي قوله تعالى:{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى :١١]، ثلاثة وجوه:

أحدها: أن «المثل» -في لغة العرب- كناية عن «الذات»، ومنه قولهم: مثلى لا يقال له كذا، ومثلك لا يليق به كذا، فمعناه: «ليس كهو شيء». وأبو بكر الرازي[٢٧٧٩].

قال ابن قتيبة:" والعرب تُقيم «المِثل» مُقام النفس، فتقول: مثلي لا يقال له هذا؛ أي: أنا لا يقال لي"[٢٧٨٠].

قال الشوكاني:" المراد بذكر «المثل» -هنا-: المبالغة في النفي بطريق الكناية، فإنه إذا نفي عمن يماثله كان نفيه عنه أولى. كقولهم: مثلك لا يبخل، وغيرك لا يجود"[٢٧٨١].

الثاني: -وهو المشهور-: أن «الكاف» زائدة للتوكيد، وأن «مثل» خبر «ليس»، والمعنى: «ليس مثله شيء»، لأن حمله على الظاهر يوجب إثبات المثل. وهذا قول ابن جني[٢٧٨٢]، والسيرافي[٢٧٨٣]، والأخفش[٢٧٨٤]، والنحاس[٢٧٨٥]، وانشد سيبويه[٢٧٨٦]:

وَصَالِياتٍ كَكَمَا يُؤَثْفَيْن

فأدخل على «الكاف» كافا، توكيدا للتشبيه[٢٧٨٧].

قال الزركشي:" ولا خفاء أن القول بزيادة الحرف أسهل من القول بزيادة الاسم"[٢٧٨٨].

الثالث: أن يراد بالـ«مثل»: الصفة، وذلك أن المثل بمعنى المثل والمثل الصفة، كقوله تعالى: {مثل الجنة} [الرعد: ٣٥]، فيكون المعنى: ليس مثل صفته تعالى شيء من الصفات التي لغيره، وهو محمل سهل. حكاه السمين الحلبي[٢٧٨٩].

(٢٧٧٥) تفسير ابن كثير: ١٩٤/٧.

(٢٧٧٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٦٥/٣.

(٢٧٧٧) تفسير السعدي: ٧٥٤.

(٢٧٧٨) النكت والعيون: ١٩٤/٥.

(٢٧٧٩)أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل: ٤٦١. صاحب مختار الصحاح.

(٢٧٨٠) غريب القرآن: ٣٩١.

(٢٧٨١) انظر: فتح القدير: ٦٠٥.

(٢٧٨٢) نقلا عن: البرهان في علوم القرآن: ٢٧٥/٢.

(٢٧٨٣) نقلا عن: البرهان في علوم القرآن: ٢٧٥/٢.

(٢٧٨٤) انظر: معاني القرآن: ٣٣٠/١.

(٢٧٨٥) انظر: إعراب القرآن: ٥١/٤.

(٢٧٨٦)هذا بيت من عدة أبيات من مشطور الرجز، ينسبان على خطام المجاشعي، وهو في كتاب سيبويه (٣٢/١) ، والخصائص (٣٦٨/٢) ، وشرح المفصل (٤٢/٨) ، ورصف المباني، ص (٢٧٣)، وتفسير الطبري: ٥٠٩/٢١.

وصاليات: أثافي القدر؛ لأنها صليت النار، أي وليتها وباشرتها. ككما يؤثفين، أي: كمثل حالها إذا كانت أثافي مستعملة. انظر كتاب سيبويه (٣٢/١) حاشيته.

(٢٧٨٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٩/٢١-٥١٠، ومعاني القرآن للنحاس: ٢٩٧/٦-٢٩٨.

(٢٧٨٨)البرهان في علوم القرآن: ٢٧٥/٢.

(٢٧٨٩) انظر: الدر المصون: ٥٤٦/٩.

الرابع أن «مثل» زائدة للتوكيد- كما مر في الوجه الأول - والتقدير: «ليس كهو شيء». قاله ثعلب(٢٧٩٠)، وابن قتيبة(٢٧٩١)، ومنه قوله تعالى: {فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ} [البقرة : ١٣٧]،أي: بما آمنتم به، ومنه قول أوس بن حجر(٢٧٩٢):

وَقَتْلَى كَمِثْلِ جذُوع النَّخيلْ ... تَغَشَّاهُمُ مُسْبِلٌ مُنْهَمِرْ

أي: كجذوع.

والفرق بين الوجهين: الأول والرابع، أن «المثل» في الوجه الأول كناية عن «الذات»، وفي الوجه الرابع «زائد» مطرح كأنه لم يذكر.

قال الشوكاني:" والأول أولى، فإن الكناية باب مسلوك للعرب، ومهيع مألوف لهم، ومنه قول الشاعر(٢٧٩٣):

لَيْسَ كَمِثْلِ الفَتَى زُهَيْر... خَلْقٌ يُوَازِيهِ فِي الفَضَائِل

وقال آخر(٢٧٩٤):

عَلَى مِثْلِ لَيْلَى يَقْتُلُ المَرْءُ نَفْسَهُ ... وَإِنْ بَاتَ مِنْ لَيْلَى عَلَى النَّاس طَاوِيَا

وقال آخر(٢٧٩٥):

سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ إِذَا أَبْصَرْتَ فَضْلَهُمُ ... فَمَا كَمِثْلِهِم في النَّاس مِنْ أَحَدِ"(٢٧٩٦).

قال أبو الحسن علي بن فَضَّال -مرجحا لزيادة «الكاف»-: " ولا يجوز أن تكون «الكاف» غير زائدة، لأنه يصير شركاً، وذلك أنك كنت تثبت لله مثلاً، ثم تنفي الشبه عن ذلك المثل، ويصير التقدير: ليس مثل مثله شيء"(٢٧٩٧).

وقال أبو البقاء: «إنها لو لم تكن زائدة لأفضى ذلك إلى المحال، إذ يكون المعنى: أن له مثلا وليس لمثله مثل، وفي ذلك تناقض، لأنه إذا كان له مثل فلمثله مثل، وهو هو مع أن إثبات المثل لله سبحانه محال»(٢٧٩٨).

قال الشوكاني:" وهذا تقرير حسن، ولكنه يندفع ما أورده بما ذكرنا من كون الكلام خارجا مخرج الكناية، ومن فهم هذه الآية الكريمة حق فهمها، وتدبرها حق تدبرها مشى بها عند اختلاف المختلفين في الصفات على طريقة بيضاء واضحة، ويزداد بصيرة إذا تأمل معنى قوله: وهو السميع البصير فإن هذا الإثبات بعد ذلك النفي للماثل قد اشتمل على برد اليقين، وشفاء الصدور، وانثلاج القلوب، فاقدر يا طالب الحق قدر هذه الحجة النيرة، والبرهان القوي، فإنك تحطم بها كثيرا من البدع، وتهشم بها رؤوسا من الضلالة، وترغم بها آناف طوائف من المتكلفين، ولا سيما إذا ضممت إليه قول الله سبحانه: ولا يحيطون به علما، فإنك حينئذ قد أخذت بطرفي حبل ما يسمونه علم الكلام، وعلم أصول الدين(٢٧٩٩):

(٢٧٩٠) انظر: النكت والعيون: ١٩٥/٥، والبرهان في علوم القرآن: ٢٧٥/٢.

(٢٧٩١) انظر: غريب بالقرآن: ٣٩١.

(٢٧٩٢)ديوانه: ٣٠، وفي تفسير الطبري:٥٠٩/٢١، والكشف والبيان: ٣٠٦/٨، والمحرر الوجيز ٢٨/٥،، والبحر المحيط ٣٢٦/٩.

(٢٧٩٣) البيت بلا نسبة في الكشف والبيان: ٣٠٦/٨، والبيت منسوب لأوس بن حجر في معاني القرآن للزجاج/ ٣٩٥/٤، والبحر المحيط: ٣٢٦/٩، والدر المصون: ٥٤٥/٩، واللباب في علوم الكتاب: ١٧٤/١٧، وتفسير ابن أبي العز:٣٧/٢، ولم أقف على البيت في ديوانه المطبوع.

(٢٧٩٤) البيت لمجنون ليلى في ديوانه: ٢٩٦، وبلا نسبة في معاني القرآن للزجاج: ٣٩٥/٤، والدر المصون: ٥٤٥/٩.

(٢٧٩٥)لم أقف على قائل هذا البيت، وهو بلا نسبة في تفسير الطبري: ٥٠٩/٢١، ومعاني القرآن للزجاج: ٣٩٥/٤، والكشف والبيان: ٣٠٦/٨، والنكت والعيون: ١٩٥/٥، وتفسير السمعاني: ٦٦/٥، والمحرر الوجيز: ٢٨/٥، والبحر المحيط: ٣٢٦/٩، وغيرها.

(٢٧٩٦) فتح القدير: ٦٠٥/٤.

(٢٧٩٧)النكت في القرآن الكريم: ١١٥.

(٢٧٩٨) .

(٢٧٩٩)"البيت لامرئ القيس في ديوانه: ١٣٥، و"اللسان" ٤/ ٢٠٣٩ (سقط)، و"الدر المصون" ٥/ ٤٦١، وفي

ودَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ في حُجُراتِه ... ولكِنْ حدِيث ما حديثُ الرَّواحِلِ "(٢٨٠٠).

قال ابن القيم:" قوله تعالى: {ليس كمثله شيء} وهذا من أعظم الأدلة على كثرة صفات كماله ونعوت جلاله، وأنها لكثرتها وعظمتها وسعتها لم يكن له مثل فيها، وإلا فلو أريد بها نفي الصفات لكان العدم المحض أولى بهذا المدح منه. مع أن جميع العقلاء إنما يفهمون من قول القائل: فلان لا مثيل له، وليس له نظير ولا شبيه ولا مثل إنه قد تميز عن الناس بأوصاف ونعوت لا يشاركونه فيها وكلما كثرت أوصافه ونعوته فاق أمثاله وبعد عن مشابهة أضرابه"(٢٨٠١).

قوله تعالى:{وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى :١١]، أي:" وهو تعالى السميع لأقوال العباد، البصير بأفعالهم"(٢٨٠٢).

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه واصفا نفسه بما هو به، وهو يعني نفسه: السميع لما تنطق به خلقه من قول، البصير لأعمالهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء، ولا يعزب عنه علم شيء منه، وهو محيط بجميعه، محص صغيره وكبيره {لتجزى كل نفس بما كسبت} من خير أو شر"(٢٨٠٣).

قال مقاتل:" {وهو السميع} لقول كفار مكة، {البصير} بما خلق"(٢٨٠٤).

قال السعدي:أي: "{وَهُوَ السَّمِيعُ} لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات. {الْبَصِيرُ} يرى دبيب النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء، ويرى سريان القوت في أعضاء الحيوانات الصغيرة جدا، وسريان الماء في الأغصان الدقيقة.

قال السعدي: "وهذه الآية ونحوها، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، من إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات. وفيها رد على المشبهة في قوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} وعلى المعطلة في قوله: {وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}"(٢٨٠٥).

عن محمد بن إسحاق: {السَّمِيعُ}:" أي : سميع لما يقولون"(٢٨٠٦).

القرآن

{لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢)} [الشورى :١٢]

التفسير:

له سبحانه وتعالى ملك السماوات والأرض، وبيده مفاتيح الرحمة والأرزاق، يوسِّع رزقه على مَن يشاء مِن عباده ويضيِّقه على مَن يشاء، إنه تبارك وتعالى بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء من أمور خلقه.

قوله تعالى:{لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الشورى :١٢]، أي:" له سبحانه وتعالى ملك السماوات والأرض، وبيده مفاتيح الرحمة والأرزاق"(٢٨٠٧).

قال الطبري: يعني:" له مفاتيح خزائن السموات والأرض وبيده مغاليق الخير والشر ومفاتيحها، فما يفتح من رحمة فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعده"(٢٨٠٨).

"الديوان" «دع» بدل «ودع»، والنهب: الغارة والسلب، وحجراته: نواحيه، والرواحل: النوق.

(٢٨٠٠) فتح القدير: ٦٠٥/٤-٦٠٦.

(٢٨٠١)حادي الأرواح: ٤١٢.

(٢٨٠٢) صفوة التفاسير: ١٢٥/٣.

(٢٨٠٣) تفسير الطبري: ٥١٠/٢١.

(٢٨٠٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٦٥/٣.

(٢٨٠٥) تفسير السعدي: ٧٥٤.

(٢٨٠٦) أخرجه الطبري(٧٧١٩):ص١٦٥/٧، وابن أبي حاتم(١٠٢٠٥):ص١٨٦٧/٦.

(٢٨٠٧) التفسير الميسر: ٤٨٤.

(٢٨٠٨) تفسير الطبري: ٥١٠/٢١.

قال السعدي: "أي: له ملك السماوات والأرض، وبيده مفاتيح الرحمة والأرزاق، والنعم الظاهرة والباطنة. فكل الخلق مفتقرون إلى الله، في جلب مصالحهم، ودفع المضار عنهم، في كل الأحوال، ليس بيد أحد من الأمر شيء"(٢٨٠٩).

وفي قوله تعالى:{لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الشورى :١٢]، وجهان من التفسير:

أحدهما : خزائن السموات والأرض ، قاله السدي(٢٨١٠).

قال ابن عطية:" هذه عبارة غير جيدة"(٢٨١١).

الثاني : مفاتيح السموات والأرض ، قاله ابن عباس(٢٨١٢)، ومجاهد(٢٨١٣)، وقتادة(٢٨١٤)، والضحاك(٢٨١٥).

ثم فيهما قولان :

أحدهما : أنه «المفاتيح» بالفارسية، قاله مجاهد(٢٨١٦).

قال ابن الجوزي:" قرأت على شيخنا أبي منصور اللغوي: الإقليد: المفتاح، فارسي معرَّب، قال الراجز(٢٨١٧):

لَمْ يُؤْذِها الدِّيكُ بصوتِ تَغْرِيدْ ... ولَمْ تُعالِجْ غَلَقاً باقْليدْ"(٢٨١٨).

وقال مقاتل:" يعنى: مفاتيح بلغة النبط"(٢٨١٩).

وقال ابن زيد:" مفاتيح خزائن السماوات والأرض"(٢٨٢٠).

الثاني : أنه عربي جمع واحده: «إقليد»، قاله ابن عيسى(٢٨٢١)، وابن قتيبة(٢٨٢٢).

وقال أبو عبيدة:" واحدها: مقليد، وواحد الأقاليد: إقليد"(٢٨٢٣).

قال النحاس:" واحدها: مقليد، وأكثر ما يستعمل فيه: إقليد"(٢٨٢٤).

وفيما هو مفاتيح السموات والأرض خمسة أقوال:

أحدها : أن مفاتيح السماء: المطر، ومفاتيح الأرض: النبات. قاله مقاتل(٢٨٢٥).

قال الكلبي:" خزائن المطر، وخزائن النبات"(٢٨٢٦).

الثاني : أنها مفاتيح الخير والشر(٢٨٢٧).

الثالث : أن مقاليد السماء: الغيوب ، ومقاليد الأرض: الآفات(٢٨٢٨).

الرابع : أن مقاليد السماء: حدوث المشيئة، ومقاليد الأرض: ظهور القدرة(٢٨٢٩).

(٢٨٠٩) تفسير السعدي: ٧٥٤.
(٢٨١٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٢١/٢١، و٥١١/٢١.
(٢٨١١) المحرر الوجيز: ٥٣٩/٤.
(٢٨١٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٢١/٢١، وتفسير ابن أبي حاتم(١٨٤٠٦):ص٣٢٥٥/١٠.
(٢٨١٣) تفسير مجاهد: ٥٨٨، وانظر: النكت والعيون: ١٩٥/٥، وتفسير ابن كثير: ١١٢/٧ .
(٢٨١٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٢١/٢١، و٥١١/٢١.
(٢٨١٥) انظر: النكت والعيون: ١٩٥/٥.
(٢٨١٦) تفسير مجاهد: ٥٨٨، وانظر: النكت والعيون: ١٩٥/٥، وتفسير ابن كثير: ١١٢/٧ .
(٢٨١٧) الرجز بدون نسبة في تفسير السمعاني: ٤٧٩/٤، وزاد المسير: ٢٥/٤.
(٢٨١٨) زاد المسير: ٢٥/٤.
(٢٨١٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٦٥/٣.
(٢٨٢٠) أخرجه الطبري: ٣٢١/٢١.
(٢٨٢١) انظر: النكت والعيون: ١٩٥/٥.
(٢٨٢٢) انظر: غريب القرآن: ٣٨٤.
(٢٨٢٣) مجاز القرآن: ١٩١/٢.
(٢٨٢٤) إعراب القرآن: ١٥/٤.
(٢٨٢٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٦٥/٣.
(٢٨٢٦)تفسير البغوي ٧/ ١٣٠.
(٢٨٢٧) انظر: النكت والعيون: ١٩٥/٥.
(٢٨٢٨) انظر: النكت والعيون: ١٩٥/٥.
(٢٨٢٩) انظر: النكت والعيون: ١٩٥/٥.

الخامس : أنها قول: «لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده، وأستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، بيده الخير يحيي ويميت وهوعلى كل شيء قدير». رواه ابن عمر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قاله وعلمه لعثمان بن عفان وقد سأله عن مقاليد السماء والأرض(٢٨٣٠).

روي عن عثمان بن عفان -رضي الله عنه-: "أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن تفسير له مقاليد السماوات والأرض فقال: «ما سألني، عنها أحد قبلك يا عثمان» قال: «تفسيرها: لا إله إلا الله، والله أكبر وسبحان الله وبحمده، أستغفر الله ولا قوة إلا بالله، الأول والآخر والظاهر والباطن، بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير من قالها يا عثمان إذا أصبح عشر مرات أعطي خصلا ستا أما أولاهن: فيحرس من إبليس وجنوده، وأما الثانية فيعطى قنطارا من الأجر، وأما الثالثة: فترفع له درجة في الجنة، وأما الرابعة: فيتزوج من الحور العين، وأما الخامسة: فيحضره اثنا عشر ملكا، وأما السادسة: فيعطى من الأجر كمن قرأ القرآن والتوراة والإنجيل والزبور. وله مع هذا يا عثمان من الأجر كمن حج وتقبلت حجته، واعتمر فتقبلت عمرته، فإن مات من يومه طبع بطابع الشهداء"(٢٨٣١).

قال الزجاج:" أي: مفاتيح السماوات، المعنى: ما كان من شيء من السماوات والأرض فالله خالقه وفاتح بابه"(٢٨٣٢).

وقال الراغب:" أي: ما يحيط بها، ، وقيل: خزائنها، وقيل: مفاتحها، والإشارة بكلها إلى معنى واحد، وهو قدرته تعالى عليها وحفظه لها" (٢٨٣٣).

قال الزمخشري:" أى: هو مالك أمرها وحافظها، وهو من باب الكناية، لأنّ حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذي يملك مقاليدها، ومنه قولهم: فلان ألقيت إليه مقاليد الملك"(٢٨٣٤).

قال ابن عطية:" وهذه استعارة كما تقول: بيدك يا فلان مفتاح هذا الأمر، إذا كان قديرا على السعي فيه"(٢٨٣٥).

قوله تعالى:{يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ} [الشورى :١٢]، أي:" يوسِّع رزقه على مَن يشاء مِن عباده ويضيِّقه على مَن يشاء"(٢٨٣٦).

قال الطبري:" يقول: يوسع رزقه وفضله على من يشاء من خلقه، ويبسط له، ويكثر ماله ويغنيه. ويقدر: يقول: ويقتر على من يشاء منهم فيضيقه ويفقره"(٢٨٣٧).

قال الفراء:" أي: يوسع ويقدر، أي: يقدر ويقتر"(٢٨٣٨).

قال أبو عبيدة:" {يبسط}: يوسّع ويكثر، {وَيَقْدِرُ}: من قول الله: {قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ}"(٢٨٣٩).

قال السعدي: " أي: يوسعه ويعطيه من أصناف الرزق ما شاء، {وَيَقْدِرُ} أي: يضيق على من يشاء، حتى يكون بقدر حاجته، لا يزيد عنها، وكل هذا تابع لعلمه وحكمته"(٢٨٤٠).

(٢٨٣٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٤٠٥):ص١٠/٣٢٥٤. قال ابن كثير١١٢/٧:" غريب جدا، وفي صحته نظر.. ورواه أبو يعلى الموصلي من حديث يحيى بن حماد ، به مثله. وهو غريب ، وفيه نكارة شديدة ، والله أعلم".

(٢٨٣١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٤٠٥):ص١٠/٣٢٥٤. قال ابن كثير١١٢/٧:" غريب جدا، وفي صحته نظر.. ورواه أبو يعلى الموصلي من حديث يحيى بن حماد ، به مثله. وهو غريب ، وفيه نكارة شديدة ، والله أعلم".

(٢٨٣٢) معاني القرآن: ٣٦١/٤.

(٢٨٣٣) المفردات في غريب القرآن: ٦٨٢-٦٨٣.

(٢٨٣٤) الكشاف: ١٤٠/٤.

(٢٨٣٥) المحرر الوجيز: ٥٣٩/٤.

(٢٨٣٦) التفسير الميسر: ٤٨٤.

(٢٨٣٧) تفسير الطبري: ٥١١/٢١.

(٢٨٣٨) معاني القرآن: ٦٢/٢.

(٢٨٣٩) مجاز القرآن: ١٤٩/٢.

(٢٨٤٠) تفسير السعدي: ٧٥٤.

قال الحسن:" يبسط لهذا مكرا به ويقدر لهذا نظرا له"[2841].

عن الحسن:"{ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ}، قال: ينظر له، فإن كان الغنى خيرا له أغناه وان كان الفقر خير له أفقره"[2842].

قوله تعالى:{إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الشورى :١٢]، أي:" إنه تبارك وتعالى بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء من أمور خلقه"[2843].

قال الطبري:" يقول: إن الله تبارك وتعالى بكل ما يفعل من توسيعه على من يوسع، وتقتيره على من يقتر، ومن الذي يصلحه البسط عليه في الرزق، ويفسده من خلقه، والذي يصلحه التقتير عليه ويفسده، وغير ذلك من الأمور، ذو علم لا يخفى عليه موضع البسط والتقتير وغيره، من صلاح تدبير خلقه"[2844].

قال السعدي: "فيعلم أحوال عباده، فيعطي كلا ما يليق بحكمته وتقتضيه مشيئته"[2845].

عن محمد بن إسحاق، قوله: "{عليم}، أي: عليم بما تخفون"[2846].

فوائد الآيات: [١٠-١٢]:

١- وجوب ردّ ما اختلف فيه إلى الله تعالى ليحكم فيه وهو الرد إلى الكتاب والسنة، قال تعالى: {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} [النساء : ٥٩].

٢- وجوب التوكل عليه والإنابة إليه في كل الأمور.

٣- تنزيه الرب تعالى عن مشابهته لخلقه مع وجوب الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العليا.

قال الموفق رحمه الله: "وكل ما تُخُيِّل في الذهن، أو خطر بالبال، فإن الله تعالى بخلافه"[2847].

وهذا صحيح؛ لأنه سبحانه وتعالى لا يحاط به علماً، وعليه يقال في قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}، سواء كان هذا الشيء موجوداً أو متصوراً أو مفروضاً في الذهن، ومهما عارض أو تخيل المرء في ذهنه من الفروضات لكل صفة من صفاته، فإن الله ينزه عن هذه الكيفية؛ لأن العقل يمتنع أن يتصور أو يتخيل إلا كنهاً وكيفاً ناقصاً، وعليه سمات المحدثات"[2848].

٤- وجوب الإيمان بأن الله هو الرزاق بيده مفاتيح خزائن الأرزاق فمن شاء وسع عليه، ومن شاء ضيق، وأنه يوسع لحكمة ويضيق لأخرى.

القرآن

{شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٣)} [الشورى :١٣]

التفسير:

شرع الله لكم -أيها الناس- من الدِّين الذي أوحيناه إليك -أيها الرسول، وهو الإسلام- ما وصَّى به نوحًا أن يعمله ويبلغه، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى -هؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل على المشهور- أن أقيموا الدين بالتوحيد وطاعة الله وعبادته دون مَن سواه، ولا

(٢٨٤١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٦٢):ص٢٣٢٨/٧.

(٢٨٤٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٢٦١):ص٢٣٢٧/٧.

(٢٨٤٣) التفسير الميسر: ٤٨٤.

(٢٨٤٤) تفسير الطبري: ٥١١/٢١.

(٢٨٤٥) تفسير السعدي: ٧٥٤.

(٢٨٤٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٣):ص٢١٠٤/٧.

(٢٨٤٧)لمعة الاعتقاد: ١٢.

(٢٨٤٨) انظر: شرح لمعة الاعتقاد، يوسف بن محمد علي الغفيص، [دروس صوتية، مرقم آليا (الدرسالخامس/ص٩)].

تختلفوا في الدين الذي أمرتكم به، عَظُمَ على المشركين ما تدعوهم إليه من توحيد الله وإخلاص العبادة له، الله يصطفي للتوحيد مَن يشاء مِن خلقه، ويوفِّق للعمل بطاعته مَن يرجع إليه.

قوله تعالى:{شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى} [الشورى :١٣]، أي:" شرع الله لكم -أيها الناس- من الدِّين الذي أوحيناه إليك -أيها الرسول، وهو الإسلام- ما وصَّى به نوحًا أن يعمله ويبلغه، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى"[٢٨٤٩].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {شَرَعَ لَكُمْ} ربكم أيها الناس {مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا} أن يعمله، وشرع لكم من الدين الذي أوحينا إليك يا محمد، فأمرناك به، {وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى}"[٢٨٥٠].

قال ابن كثير:" فذكر أول الرسل بعد آدم وهو نوح ، عليه السلام وآخرهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر من بين ذلك من أولي العزم وهم : إبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ، عليهم السلام. وهذه الآية انتظمت ذكر الخمسة كما اشتملت آية "الأحزاب" عليهم في قوله : {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} الآية[الأحزاب : ٧]. والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو : عبادة الله وحده لا شريك له ، كما قال : {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء : ٢٥]. وفي الحديث : «نحن معشرالأنبياء أولاد علات ديننا واحد»[٢٨٥١]، أي : القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له ، وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم ، كقوله تعالى : {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} [المائدة : ٤٨]"[٢٨٥٢].

قال مقاتل:" يقول: بين لكم، ويقال: سن لكم آثار الإسلام، والـ«من» -ها هنا- صلة كـ«ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك»، فيه تقديم، «وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى»"[٢٨٥٣].

قال مجاهد:"يقول: أوصاك به يا محمد وأنبياءه كلهم بالإسلام دينا واحدا"[٢٨٥٤].

وقال مجاهد في رواية أخرى:" ما أوصاك به وأنبيائه، كلهم دين واحد"[٢٨٥٥].

عن السديّ، قوله: "{شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا}، قال: هو الدين كله"[٢٨٥٦].

عن قتادة:" {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا}، قال: الحلال والحرام"[٢٨٥٧].

قال قتادة:" بعث نوح حين بعث بالشريعة بتحليل الحلال، وتحريم الحرام"[٢٨٥٨].

قال سهل:" فأول من حرم البنات والأمهات والأخوات نوح عليه السلام، فشرع الله لنا محاسن شرائع الأنبياء، {وَالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَمُوسى وَعِيسى}من إقامة الطاعة لله وإقامة الإخلاص فيها، وإظهار الأخلاق والأحوال"[٢٨٥٩].

(٢٨٤٩) التفسير الميسر: ٤٨٤.

(٢٨٥٠) تفسير الطبري: ٥١٢/٢١.

(٢٨٥١)أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: {واذكر في الكتاب مريم} (٦/ ٤٧٨) رقم (٣٤٤٣)، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد"، ومسلم في الفضائل، باب فضائل عيسى (٤/ ١٨٣٧) رقم (٢٣٦٥)، (١٤٥) من حديث أبي هريرة بلفظ مقارب

أولاد علات: هم الذين اختلفت أمهاتهم، وأبوهم واحد، فأراد كما ذكر ابن كثير: أن دينهم وإسلامهم وإيمانهم واحد، وشرائعهم مختلفة.

(٢٨٥٢) تفسير ابن كثير: ١٩٤/٧-١٩٥.

(٢٨٥٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٦٥/٣.

(٢٨٥٤) تفسير مجاهد: ٥٨٨.

(٢٨٥٥) أخرجه الطبري: ٥١٢/٢١.

(٢٨٥٦) أخرجه الطبري: ٥١٢/٢١.

(٢٨٥٧) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٧٣١)ص١٥٩/٣.

(٢٨٥٨) أخرجه الطبري: ٥١٢/٢١-٥١٣.

عن ابن عباس، قوله: "{شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا} .... إلى آخر الآية، قال: حسبك ما قيل لك"(٢٨٦٠).

قال السعدي:" هذه أكبر منة أنعم الله بها على عباده، أن شرع لهم من الدين خير الأديان وأفضلها، وأزكاها وأطهرها، دين الإسلام، الذي شرعه الله للمصطفين المختارين من عباده، بل شرعه الله لخيار الخيار، وصفوة الصفوة، وهم أولو العزم من المرسلين المذكورون في هذه الآية، أعلى الخلق درجة، وأكملهم من كل وجه، فالدين الذي شرعه الله لهم، لا بد أن يكون مناسبا لأحوالهم، موافقا لكمالهم، بل إنما كملهم الله واصطفاهم، بسبب قيامهم به، فلولا الدين الإسلامي، ما ارتفع أحد من الخلق، فهو روح السعادة، وقطب رحى الكمال، وهو ما تضمنه هذا الكتاب الكريم، ودعا إليه من التوحيد والأعمال والأخلاق والآداب"(٢٨٦١).

قوله تعالى:{أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} [الشورى :١٣]، أي:"وصيناهم بأن أقيموا الدين بالتوحيد وطاعة الله وعبادته دون مَن سواه، ولا تختلفوا في الدين الذي أمرتكم به"(٢٨٦٢).

قال الطبري:" الذي أوصى به جميع هؤلاء الأنبياء وصية واحدة، وهي إقامة الدين الحق-أي: أن اعملوا به على ما شرع لكم وفرض-، ولا تختلفوا في الدين الذي أمرتم بالقيام به، كما اختلف الأحزاب من قبلكم"(٢٨٦٣).

قال ابن كثير:" أي : وصى الله سبحانه وتعالى جميع الأنبياء ، عليهم السلام، بالائتلاف والجماعة ، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف"(٢٨٦٤).

قال السعدي:" أي: أمركم أن تقيموا جميع شرائع الدين أصوله وفروعه، تقيمونه بأنفسكم، وتجتهدون في إقامته على غيركم، وتعاونون على البر والتقوى ولا تعاونون على الإثم والعدوان. {وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ}، أي: ليحصل منكم الاتفاق على أصول الدين وفروعه، واحرصوا على أن لا تفرقكم المسائل وتحزبكم أحزابا، وتكونون شيعا يعادي بعضكم بعضا مع اتفاقكم على أصل دينكم. ومن أنواع الاجتماع على الدين وعدم التفرق فيه، ما أمر به الشارع من الاجتماعات العامة، كاجتماع الحج والأعياد، والجمع والصلوات الخمس والجهاد، وغير ذلك من العبادات التي لا تتم ولا تكمل إلا بالاجتماع لها وعدم التفرق"(٢٨٦٥).

عن السديّ، قوله: "{أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ}، قال: اعملوا به"(٢٨٦٦).

عن قتادة، قوله: "{وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ}، تعلموا أن الفرقة هلكة، وأن الجماعة ثقة"(٢٨٦٧).

قال الزمخشري:" ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الأعلام من رسله فيه بقوله: {أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ}، والمراد: إقامة دين الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته، والإيمان برسله وكتبه، وبيوم الجزاء، وسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلما، ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الأمم على حسب أحوالها، فإنها مختلفة متفاوتة. قال الله تعالى: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} [المائدة : ٤٨]"(٢٨٦٨).

قوله تعالى:{كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ} [الشورى :١٣]، أي:" عَظُمَ على المشركين ما تدعوهم إليه من توحيد الله وإخلاص العبادة له"(٢٨٦٩).

(٢٨٥٩) تفسير التستري: ١٣٨.
(٢٨٦٠) أخرجه الطبري: ٥١٣/٢١.
(٢٨٦١) تفسير السعدي: ٧٥٤.
(٢٨٦٢) التفسير الميسر: ٤٨٤.[بتصرف]
(٢٨٦٣) تفسير الطبري: ٥١٢/٢١، ٥١٣.
(٢٨٦٤) تفسير ابن كثير: ١٩٥/٧.
(٢٨٦٥) تفسير السعدي: ٧٥٤.
(٢٨٦٦) أخرجه الطبري: ٥١٣/٢١.
(٢٨٦٧) أخرجه الطبري: ٥١٣/٢١.
(٢٨٦٨) الكشاف: ٢١٥/٤.
(٢٨٦٩) التفسير الميسر: ٤٨٤.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: كبر على المشركين بالله من قومك يا محمد ما تدعوهم إليه من إخلاص العبادة لله، وإفراده بالألوهية والبراءة مما سواه من الآلهة والأنداد"(٢٨٧٠).

قال مقاتل:" يقول: عظم على مشركي مكة ما تدعوهم إليه يا محمد لقولهم: {أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص : ٥]، يعني: التوحيد"(٢٨٧١).

قال ابن كثير:" أي : شق عليهم وأنكروا ما تدعوهم إليه يا محمد من التوحيد"(٢٨٧٢).

قال السعدي:" أي: شق عليهم غاية المشقة، حيث دعوتهم إلى الإخلاص لله وحده، كما قال عنهم: {وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} وقولهم: {أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}"(٢٨٧٣).

عن قتادة: "{كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ}، قال: أنكرها المشركون، وكبر عليهم شهادة أن لا إله إلا الله، فصادمها إبليس وجنوده، فأبى الله تبارك وتعالى إلا أن يمضيها وينصرها ويفلجها ويظهرها على من ناوأها"(٢٨٧٤).

قوله تعالى:{اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} [الشورى :١٣]، أي:" الله يصطفي للتوحيد مَن يشاء مِن خلقه، ويوفِّق للعمل بطاعته مَن يرجع إليه"(٢٨٧٥).

قال الطبري:" يقول: الله يصطفي إليه من يشاء من خلقه، ويختار لنفسه، وولايته من أحبّ"(٢٨٧٦).

قال ابن كثير:" أي : هو الذي يُقدّر الهداية لمن يستحقها ، ويكتب الضلالة على من آثرها على طريق الرشد"(٢٨٧٧).

قال مجاهد:" يقول: ويوفق للعمل بطاعته، واتباع ما بعث به نبيه عليه الصلاة والسلام من الحق من أقبل إلى طاعته، وراجع التوبة من معاصيه"(٢٨٧٨).

عن السديّ: "{وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ}: من يقبل إلى طاعة الله"(٢٨٧٩).

قال السعدي:"{اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ} أي: يختار من خليقته من يعلم أنه يصلح للاجتباء لرسالته وولايته ومنه أن اجتبى هذه الأمة وفضلها على سائر الأمم، واختار لها أفضل الأديان وخيرها، {وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} هذا السبب الذي من العبد، يتوصل به إلى هداية الله تعالى، وهو إنابته لربه، وانجذاب دواعي قلبه إليه، وكونه قاصدا وجهه، فحسن مقصد العبد مع اجتهاده في طلب الهداية، من أسباب التيسير لها، كما قال تعالى: {يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ}.

قال السعدي: "وفي هذه الآية، أن الله {يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ} مع قوله: {وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ} مع العلم بأحوال الصحابة رضي الله عنهم، وشدة إنابتهم، دليل على أن قولهم حجة، خصوصا الخلفاء الراشدين، رضي الله عنهم أجمعين"(٢٨٨٠).

القرآن

(٢٨٧٠) تفسير الطبري: ٥١٣/٢١.
(٢٨٧١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٦٥/٣.
(٢٨٧٢) تفسير ابن كثير :١٩٥/٧.
(٢٨٧٣) تفسير السعدي: ٧٥٤.
(٢٨٧٤) أخرجه الطبري: ٥١٣/٢١-٥١٤.
(٢٨٧٥) التفسير الميسر: ٤٨٤.
(٢٨٧٦) تفسير الطبري: ٥١٤/٢١.
(٢٨٧٧) تفسير ابن كثير: ١٩٥/٧.
(٢٨٧٨) أخرجه الطبري: ٥١٤/٢١.
(٢٨٧٩) أخرجه الطبري: ٥١٤/٢١.
(٢٨٨٠) تفسير السعدي: ٧٥٤.

{وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (١٤)} [الشورى : ١٤]

التفسير:

وما تفرَّق المشركون بالله في أديانهم فصاروا شيعًا وأحزابًا إلا مِن بعد ما جاءهم العلم وقامت الحجة عليهم، وما حملهم على ذلك إلا البغي والعناد، ولولا كلمة سبقت من ربك -أيها الرسول- بتأخير العذاب عنهم إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة، لقضي بينهم بتعجيل عذاب الكافرين منهم. وإن الذين أورثوا التوراة والإنجيل من بعد هؤلاء المختلفين في الحق لفي شك من الدين والإيمان موقع في الريبة والاختلاف المذموم.

قوله تعالى:{وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} [الشورى :١٤]، أي:" وما تفرَّق المشركون بالله في أديانهم فصاروا شيعًا وأحزابًا إلا مِن بعد ما جاءهم العلم وقامت الحجة عليهم، وما حملهم على ذلك إلا البغي والعناد"[٢٨٨١].

قال الطبري:" وما تفرّق المشركون بالله في أديانهم فصاروا أحزابا، إلا من بعد ما جاءهم العلم، بأن الذي أمرهم الله به، وبعث به نوحا، هو إقامة الدين الحقّ، وأن لا تتفرّقوا فيه، بغيا من بعضكم على بعض وحسدا وعداوة على طلب الدنيا"[٢٨٨٢].

قال ابن كثير:" أي : إنما كان مخالفتهم للحق بعد بلوغه إليهم ، وقيام الحجة عليهم ، وما حملهم على ذلك إلا البغيُ والعنادُ والمشاقة"[٢٨٨٣].

قال الزمخشري:" {وَما تَفَرَّقُوا}، يعنى: أهل الكتاب بعد أنبيائهم، {إِلَّا مِنْ بَعْدِ} أن علموا أنّ الفرقة ضلال وفساد"[٢٨٨٤].

عن قتادة: "{وَمَا تَفَرَّقُوا إلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ}، فقال: إياكم والفرقة فإنها هلكة"[٢٨٨٥].

قال السعدي:" لما أمر تعالى باجتماع المسلمين على دينهم، ونهاهم عن التفرق، أخبرهم أنكم لا تغتروا بما أنزل الله عليكم من الكتاب، فإن أهل الكتاب لم يتفرقوا حتى أنزل الله عليهم الكتاب الموجب للاجتماع، ففعلوا ضد ما يأمر به كتابهم، وذلك كله بغيا وعدوانا منهم، فإنهم تباغضوا وتحاسدوا، وحصلت بينهم المشاحنة والعداوة، فوقع الاختلاف، فاحذروا أيها المسلمون أن تكونوا مثلهم"[٢٨٨٦].

قوله تعالى:{وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ} [الشورى :١٤]، أي:" ولولا كلمة سبقت من ربك -أيها الرسول- بتأخير العذاب عنهم إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة، لقضي بينهم بتعجيل عذاب الكافرين منهم"[٢٨٨٧].

قال الطبري: يقول:" ولولا قول سبق يا محمد من ربك لا يعاجلهم بالعذاب، ولكنه أخر ذلك إلى يوم القيامة، لفرغ ربك من الحكم بين هؤلاء المختلفين في الحق الذي بعث به نبيه نوحا من بعد علمهم به، بإهلاكه أهل الباطل منهم، وإظهاره أهل الحقّ عليهم"[٢٨٨٨].

قال ابن كثير:" أي : لولا الكلمة السابقة من الله بإنظار العباد بإقامة حسابهم إلى يوم المعاد ، لعجل لهم العقوبة في الدنيا سريعًا"[٢٨٨٩].

عن السديّ :"{وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى}، قال: يوم القيامة"[٢٨٩٠].

(٢٨٨١) التفسير الميسر: ٤٨٤.
(٢٨٨٢) تفسير الطبري: ٥١٤/٢١، ٥١٥.
(٢٨٨٣) تفسير ابن كثير: ١٩٥/٧.
(٢٨٨٤) الكشاف: ٢١٦/٤.
(٢٨٨٥) أخرجه الطبري: ٥١٥/٢١.
(٢٨٨٦) تفسير السعدي: ٧٥٥.
(٢٨٨٧) التفسير الميسر: ٤٨٤.
(٢٨٨٨) تفسير الطبري :٥١٥/٢١.
(٢٨٨٩) تفسير ابن كثير: ١٩٥/٧.

قوله تعالى:{وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ} [الشورى :١٤]، أي:" وإن الذين أورثوا التوراة والإنجيل من بعد هؤلاء المختلفين في الحق لفي شك من الدين والإيمان موقعٍ في الريبة والاختلاف المذموم"(٢٨٩١).

قال الطبري: " يقول: وإن الذين أتاهم الله من بعد هؤلاء المختلفين في الحقّ كتابه التوراة والإنجيل لفي شكّ من الدين الذين وصّى الله به نوحا، وأوحاه إليك يا محمد، وأمركما بإقامته مريب"(٢٨٩٢).

قال ابن كثير:" قوله: {وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ} يعني : الجيل المتأخر بعد القرن الأول المكذّب للحق {لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ} أي : ليسوا على يقين من أمرهم ، وإنما هم مقلدون لآبائهم وأسلافهم ، بلا دليل ولا بُرهان، وهم في حيرة من أمرهم ، وشك مريب ، وشقاق بعيد"(٢٨٩٣).

قال الزمخشري:" {وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتابَ مِنْ بَعْدِهِمْ}، وهم أهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، {لَفِي شَكٍّ} من كتابهم لا يؤمنون به حق الإيمان"(٢٨٩٤).

عن السديّ، قوله: "{وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ}، قال: اليهود والنصارى"(٢٨٩٥).

قال السعدي:" حيث اختلف سلفهم بغيا وعنادا، فإن خلفهم اختلفوا شكا وارتيابا، والجميع مشتركون في الاختلاف المذموم"(٢٨٩٦).

فوائد الآيتين: [١٣-١٤]:

١- دين الله واحد وهو الإيمان والاستقامة على طاعة الله وطاعة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢- حرمة الاختلاف في دين الله المسبب تضييع الدين كلا أو بعضاً.

٣- مرد التفرق في الدين إلى الحسد والبغي بين الناس، فلو لم يحسد بعضهم بعضاً ولم يبغ بعضهم على بعض لما تفرقوا في دين الله ولأقاموه مجتمعين فيه.

القرآن

{فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٥)} [الشورى :١٥]

التفسير:

فإلى ذلك الدين القيِّم الذي شرعه الله للأنبياء ووصَّاهم به، فادع -أيها الرسول- عباد الله، واستقم كما أمرك الله، ولا تتبع أهواء الذين شكُّوا في الحق وانحرفوا عن الدين، وقل: صدَّقت بجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء، وأمرني ربي أن أعدل بينكم في الحكم، الله ربنا وربكم، لنا ثواب أعمالنا الصالحة، ولكم جزاء أعمالكم السيئة، لا خصومة ولا جدال بيننا وبينكم بعدما تبين الحق، الله يجمع بيننا وبينكم يوم القيامة، فيقضي بيننا بالحق فيما اختلفنا فيه، وإليه المرجع والمآب، فيجازي كلا بما يستحق.

(٢٨٩٠) أخرجه الطبري: ٢١،٥١٥.
(٢٨٩١) التفسير الميسر: ٤٨٤.
(٢٨٩٢) تفسير الطبري :٥١٥/٢١.
(٢٨٩٣) تفسير ابن كثير: ١٩٥/٧.
(٢٨٩٤) الكشاف: ٢١٦/٤.
(٢٨٩٥) أخرجه الطبري: ٥١٥/٢١.
(٢٨٩٦) تفسير السعدي: ٧٥٥.

قوله تعالى:{فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ} [الشورى :١٥]، أي:" فإلى ذلك الدين القيِّم الذي شرعه الله للأنبياء ووصَّاهم به، فادع -أيها الرسول- عباد الله، واستقم كما أمرك الله"(٢٨٩٧).

قال الطبري: يقول:" فإلى ذلك الدين الذي شَرَع لكم، ووصّى به نوحا، وأوحاه إليك يا محمد، فادع عباد الله، واستقم على العمل به، ولا تزغ عنه، واثبت عليه كما أمرك ربك بالاستقامة"(٢٨٩٨).

قال الزجاج:" معناه: فإلى ذلك فادع واستقم، أي: إلى إقامة الدين"(٢٨٩٩).

قال ابن كثير:" {فَلِذَلِكَ فَادْعُ} أي : فللذي أوحينا إليك من الدين الذي وصينا به جميع المرسلين قبلك أصحاب الشرائع الكبار المتبعة كأولي العزم وغيرهم ، فادعُ الناس إليه. وقوله : {وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ} أي : واستقم أنت ومن اتبعك على عبادة الله ، كما أمركم الله عز وجل"(٢٩٠٠).

قال الزمخشري:أي:" فلأجل التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا {فَادْعُ} إلى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القديمة، {وَاسْتَقِمْ} عليها وعلى الدعوة إليها كما أمرك الله"(٢٩٠١).

قال الشوكاني:" أي: فلأجل ما ذكر من التفرق والشك، أو فلأجل أنه شرع من الدين ما شرع فادع واستقم أي: فادع إلى الله وإلى توحيده واستقم على ما دعوت إليه"(٢٩٠٢).

عن قتادة: {وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ}، قال: " واستقم على أمر الله"(٢٩٠٣).

وقال الضحاك:" فاستقم على تبليغ الرسالة"(٢٩٠٤).

قوله تعالى:{وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ} [الشورى :١٥]، أي:" ولا تتبع أهواء الذين شكُّوا في الحق وانحرفوا عن الدين"(٢٩٠٥).

قال الطبري:يقول:" ولا تتبع يا محمد أهواء الذين شكُّوا في الحقّ الذي شرعه الله لكم من الذين أورثوا الكتاب من بعد القرون الماضية قبلهم، فتشك فيه، كالذي شكوا فيه"(٢٩٠٦).

قال الزمخشري:أي:" {وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ} المختلفة الباطلة"(٢٩٠٧).

قال ابن كثير:" يعني : المشركين فيما اختلقوه ، وكذبوه وافتروه من عبادة الأوثان"(٢٩٠٨).

قوله تعالى:{وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ} [الشورى :١٥]، أي:" ، وقل: صدَّقت بجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء"(٢٩٠٩).

قال الطبري:يقول:" وقل لهم يا محمد: صدّقت بما أنزل الله من كتاب كائنا ما كان ذلك الكتاب، توراة كان أو إنجيلا أو زبورا أو صحف إبراهيم، لا أكذب بشيء من ذلك تكذيبكم ببعضه معشر الأحزاب، وتصديقكم ببعض"(٢٩١٠).

(٢٨٩٧) التفسير الميسر: ٤٨٤.
(٢٨٩٨) تفسير الطبري: ٥١٦/٢١.
(٢٨٩٩) معاني القرآن: ٣٩٦/٤.
(٢٩٠٠) تفسير ابن كثير: ١٩٥/٧.
(٢٩٠١) الكشاف: ٢١٦/٤.
(٢٩٠٢) فتح القدير: ٦٠٨/٤.
(٢٩٠٣) النكت والعيون: ١٩٩/٥.
(٢٩٠٤) النكت والعيون: ١٩٩/٥.
(٢٩٠٥) التفسير الميسر: ٤٨٤.
(٢٩٠٦) تفسير الطبري: ٥١٦/٢١.
(٢٩٠٧) الكشاف: ٢١٦/٤.
(٢٩٠٨) تفسير ابن كثير: ١٩٥/٧.
(٢٩٠٩) التفسير الميسر: ٤٨٤.
(٢٩١٠) تفسير الطبري: ٥١٦/٢١.

قال الزجاج:" أي: آمنت بكتب الله كلها، لأن الذين تفرقوا آمنوا ببعض الكتب وكفروا ببعض"(٢٩١١).

قال ابن كثير:" أي : صدقت بجميع الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء لا نفرق بين أحد منهم"(٢٩١٢).

قال الزمخشري:" {بما أنزل الله من كتاب}: أيّ كتاب صحّ أنّ الله أنزله، يعنى: الإيمان بجميع الكتب المنزلة، لأنّ المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض، كقوله تعالى: {وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ}، إلى قوله: {أُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ حَقًّا}"(٢٩١٣).

قوله تعالى:{وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ} [الشورى :١٥]، أي:" وأمرني ربي أن أعدل بينكم في الحكم"(٢٩١٤).

قال الطبري:يقول:" وقل لهم يا محمد: وأمرني ربي أن أعدل بينكم معشر الأحزاب، فأسير فيكم جميعا بالحق الذي أمرني به وبعثني بالدعاء إليه"(٢٩١٥).

قال الزمخشري:" {لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ} في الحكم إذا تخاصمتم فتحاكمتم إليّ "(٢٩١٦).

قال ابن كثير:" أي : في الحكم كما أمرني الله"(٢٩١٧).

قال الواحدي:" معنى العدل بينهم في الأحكام: هو أنهم إذا ترافعوا إليه، لم يلزمهم شيئا، لا يلزمهم الله"(٢٩١٨).

عن أبي العالية:{وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ}، قال: " لأسوي بينكم في الدّين، فأؤمن بكلّ كتاب وكلّ رسول"(٢٩١٩).

قال قتادة:" أمر نبي الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أن يعدل، فعدل حتى مات صلوات الله وسلامه عليه. والعدل ميزان الله في الأرض، به يأخذ للمظلوم من الظالم، وللضعيف من الشديد، وبالعدل يصدّق الله الصادق، ويكذّب الكاذب، وبالعدل يردّ المعتدي ويوبخه، ذكر لنا أن نبي الله داود عليه السلام: كان يقول: ثلاث من كن فيه أعجبني جدا: القصد في الفاقة والغنى، والعدل في الرضا والغضب، والخشية في السر والعلانية; وثلاث من كن فيه أهلكه: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه. وأربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة: لسان ذاكر، وقلب شاكر، وبدن صابر، وزوجة مؤمنة"(٢٩٢٠).

عن ابن أبي نجيح قال: "قال سليمان بن داود عليهما السلام: أوتينا مما أوتي الناس ومما لم يؤتوا وعلمنا مما علم الناس وما لم يعلموا، فلم نجد شيئا هو أفضل من تقوى الله في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر"(٢٩٢١).

عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ثلاث منجيات، وثلاث مهلكات، فأما المنجيات: فتقوى الله في السر والعلانية، والقول بالحق في الرضا والسخط، والقصد في الغنى والفقر، وأما المهلكات: فهوى متبع، وشح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه، وهي أشدهن"(٢٩٢٢).

(٢٩١١) معاني القرآن: ٣٩٦/٤.
(٢٩١٢) تفسير ابن كثير: ١٩٥/٧-١٩٦.
(٢٩١٣) الكشاف: ٢١٦/٤.
(٢٩١٤) التفسير الميسر: ٤٨٤.
(٢٩١٥) تفسير الطبري: ٥١٦/٢١.
(٢٩١٦) الكشاف: ٢١٦/٤.
(٢٩١٧) تفسير ابن كثير: ١٩٦/٧.
(٢٩١٨) التفسير الوسيط: ٤٧/٤.
(٢٩١٩) الكشف والبيان: ٣٣٨/٢٣. ط. دار التفسير.
(٢٩٢٠) أخرجه الطبري: ٥١٧/٢١.
(٢٩٢١) الدر المنثور: ٥٣٤/١، وعزاه إلى الاصبهاني في الترغيب.
(٢٩٢٢) أخرجه البيهقي في الشعب(٦٨٦٥):ص٣٩٦/٩.

قوله تعالى:{اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ} [الشورى :١٥]، أي:" الله خالقنا جميعاً ومتولي أمورنا فيجب أن نفرده بالعبادة"(٢٩٢٣).

قال الطبري:" يقول: الله مالكنا ومالككم معشر الأحزاب ما أهل الكتابين التوراة والإنجيل"(٢٩٢٤).

قال ابن كثير:" أي : هو المعبود ، لا إله غيره ، فنحن نقر بذلك اختيارا ، وأنتم وإن لم تفعلوه اختيارا ، فله يسجد من في العالمين طوعا وإختيارا"(٢٩٢٥).

قوله تعالى:{لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ} [الشورى :١٥]، أي:" لنا ثواب أعمالنا الصالحة، ولكم جزاء أعمالكم السيئة"(٢٩٢٦).

قال الطبري:" يقول: لنا ثواب ما اكتسبناه من الأعمال، ولكم ثواب ما اكتسبتم منها"(٢٩٢٧).

قال ابن كثير:" أي : نحن برآء منكم ، كما قال تعالى : {وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ} [يونس : ٤١]"(٢٩٢٨).

قوله تعالى:{لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ} [الشورى :١٥]، أي:" لا خصومة ولا جدال بيننا وبينكم بعدما تبين الحق"(٢٩٢٩).

قال الطبري:" يقول: لا خصومة بيننا وبينكم"(٢٩٣٠).

قال الزمخشري:" أي: لا خصومة لأنّ الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة إلى المحاجة. ومعناه: لا إيراد حجة بيننا، لأنّ المتحاجين: يورد هذا حجته وهذا حجته"(٢٩٣١).

عن مجاهد، قوله: "{لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم}، قال: لا خصومة"(٢٩٣٢).

وقال ابن عباس:" لا خطوبة"(٢٩٣٣).

قال ابن زيد:" لا خصومة بيننا وبينكم، وقرأ: {وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} .... إلى آخر الآية"(٢٩٣٤).

وللمفسرين في هذه الآية قولان:

القول الأول: أنها اقتضت الاقتصار على الإنذار، وذلك قبل الأمر بالقتال ثم نزلت آية السيف فنسختها، حكاه ابن الجوزي عن الأكثرين(٢٩٣٥).

وروي الضحاك عن ابن عباس، قال: "وقوله عز وجل: {لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ}، " مخاطبة لليهود أي: لنا ديننا ولكم دينكم قال: ثم نسخت بقوله تعالى: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ} [التوبة: ٢٩] الآية "(٢٩٣٦). وهكذا قال مجاهد(٢٩٣٧).

وعن السدي: "{لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ}، قال: هذه قبل السيف، وقبل أن يؤمر بالجزية"(٢٩٣٨).

(٢٩٢٣) صفوة التفاسير: ١٢٦/٣.
(٢٩٢٤) تفسير الطبري: ٥١٧/٢١.
(٢٩٢٥) تفسير ابن كثير: ١٩٦/٧.
(٢٩٢٦) التفسير الميسر: ٤٨٤.
(٢٩٢٧) تفسير الطبري: ٥١٧/٢١.
(٢٩٢٨) تفسير ابن كثير: ١٩٦/٧.
(٢٩٢٩) التفسير الميسر: ٤٨٤.
(٢٩٣٠) تفسير الطبري: ٥١٧/٢١.
(٢٩٣١) الكشاف: ٢١٦/٤.
(٢٩٣٢) أخرجه الطبري: ٥١٨/٢١.
(٢٩٣٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٤٦٧):ص٣٢٧٤/١٠
(٢٩٣٤) أخرجه الطبري: ٥١٨/٢١.
(٢٩٣٥) انظر: نواسخ القرآن: ١٩٠.
(٢٩٣٦) رواه النحاس في الناسخ والمنسوخ:٦٥٢.
(٢٩٣٧) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس: ٦٥٢، ونواسخ القرآن لابن الجوزي: ١٩٠.

قال ابن كثير:" وهذا مُتَّجَهٌ لأن هذه الآية مكية، وآية السيف بعد الهجرة"(٢٩٣٩).
القول الثاني: أن معناها: أن الكلام بعد ظهور الحجج والبراهين قد سقط بيننا فلم يبق إلا السيف، فعلى هذا هي محكمة؛ قاله جماعة من المفسرين(٢٩٤٠)، قال ابن الجوزي: "وهو الصحيح"(٢٩٤١).

قوله تعالى:{اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} [الشورى :١٥]، أي:" الله يجمع بيننا وبينكم يوم القيامة، فيقضي بيننا بالحق فيما اختلفنا فيه، وإليه المرجع والمآب، فيجازي كلا بما يستحق"(٢٩٤٢).

قال الطبري:" يقول: الله يجمع بيننا يوم القيامة، فيقضي بيننا بالحقّ فيما اختلفنا فيه، وإليه المعاد والمرجع بعد مماتنا"(٢٩٤٣).

قال ابن كثير:" {اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا}، أي : يوم القيامة ، كقوله : {قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ} [سبأ : ٢٦]، وقوله : {وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} أي : المرجع والمآب يوم الحساب"(٢٩٤٤).

قال الزمخشري:" اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا} فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم، وهذه محاجزة ومتاركة بعد ظهور الحق وقيام الحجة والإلزام. فإن قلت: كيف حوجزوا وقد فعل بهم بعد ذلك ما فعل من القتل وتخريب البيوت وقطع النخيل والإجلاء؟

قلت: المراد: محاجزتهم في مواقف المقاولة لا المقاتلة"(٢٩٤٥).

القرآن

{وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (١٦)} [الشورى :١٦]

التفسير:

والذين يجادلون في دين الله الذي أرسلتُ به محمدًا صلى الله عليه وسلم، مِن بعد ما استجاب الناس له وأسلموا، حجتهم ومجادلتهم باطلة ذاهبة عند ربهم، وعليهم من الله غضب في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب شديد، وهو النار.

عكرمة مولى ابن عباس، قال: "لما نزلت: {إذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ والفَتْحُ} قال المشركون بمكة لِمَن بين أظهرهم مِن المؤمنين: قد دخل الناسُ في دين الله أفواجًا، فاخرُجُوا مِن بين أظهرنا، فعلام تُقيمون بين أظهرنا؟ فنزلت: {والَّذِينَ يُحاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ} الآية"(٢٩٤٦).

عن الحسن: "{والَّذِينَ يُحاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ} الآية، قال: قال أهل الكتاب لأصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم -: نحن أولى بالله منكم. فأنزل الله: {والَّذِينَ يُحاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ ما اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ داحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ} يعني: أهل الكتاب"(٢٩٤٧).

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ} [الشورى :١٦]، أي:" والذين يجادلون في دين الله الذي أرسلتُ به محمدًا صلى الله عليه وسلم، مِن بعد ما استجاب الناس له وأسلموا"(٢٩٤٨).

(٢٩٣٨) رواه ابن الجوزي في نواسخ القرآن: ١٩٠.
(٢٩٣٩) تفسير ابن كثير: ١٩٦/٧.
(٢٩٤٠) انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس: ٦٥٢، ونواسخ القرآن لابن الجوزي:١٩٠ .
(٢٩٤١) نواسخ القرآن: ١٩٠.
(٢٩٤٢) التفسير الميسر: ٤٨٤.
(٢٩٤٣) تفسير الطبري: ٥١٨/٢١.
(٢٩٤٤) تفسير ابن كثير: ١٩٦/٧.
(٢٩٤٥) الكشاف: ٢١٦/٤.
(٢٩٤٦) الدر المنثور: ٣٤٢/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.
(٢٩٤٧)الدر المنثور: ٣٤٢/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد.
(٢٩٤٨) التفسير الميسر: ٤٨٥.

قال الطبري:يقول:" والذين يخاصمون في دين الله الذي ابتعث به نبيه محمدا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم من بعد ما استجاب له الناس، فدخلوا فيه من الذين أورثوا الكتاب"[٢٩٤٩].

قال ابن كثير:" أي : يجادلون المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله ، ليصدوهم عما سلكوه من طريق الهدى"[٢٩٥٠].

قال البغوي:أي:" يخاصمون في دينه {مِنْ بَعْدِ} ما استجاب له الناس ودخلوا في الإسلام، ليردّوهم إلى دين الجاهلية، كقوله تعالى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمانِكُمْ كُفَّاراً}، كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن خير منكم وأولى بالحق. وقيل: من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر وأظهر دين الإسلام"[٢٩٥١].

عن مجاهد، أنه قال في هذه الآية :"{وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ} قال: بعد ما دخل الناس في الإسلام"[٢٩٥٢].

وعن مجاهد: "{وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ}، قال: طمع رجال بأن تعود الجاهلية"[٢٩٥٣].

قال قتادة:" هم اليهود والنصارى، قالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن خير منكم"[٢٩٥٤].

وفي رواية، قال قتادة:" هم اليهود والنصارى حاجوا أصحاب نبي الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فقالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن أولى بالله منكم"[٢٩٥٥].

عن ابن زيد، قوله:"{وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ}.... إلى آخر الآية، قال: نهاه عن الخصومة"[٢٩٥٦].

قوله تعالى:{حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ} [الشورى :١٦]، أي:" حجتهم ومجادلتهم باطلة ذاهبة عند ربهم"[٢٩٥٧].

قال السدي:" هم أهل الكتاب للمسلمين: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم"[٢٩٥٨].

قال الطبري:" يقول: خصومتهم التي يخاصمون فيه باطلة ذاهبة عند ربهم"[٢٩٥٩].

قال ابن كثير:" أي : باطلة عند الله"[٢٩٦٠].

قال الراغب:" أي: باطلة زائلة، يقال: أدحضت فلانا في حجته فدحض، وأصله من دحض الرجل، وعلى نحوه في وصف المناظرة[٢٩٦١] :

نظرا يزيل مواقع الأقدام ...

و«دحضت الشمس» مستعار من ذلك "[٢٩٦٢].

(٢٩٤٩) تفسير الطبري: ٥١٨/٢١.
(٢٩٥٠) تفسير ابن كثير: ١٩٦/٧.
(٢٩٥١) تفسيرالبغوي: ٢١٧/٤.
(٢٩٥٢) أخرجه الطبري: ٥١٩/٢١.
(٢٩٥٣) أخرجه الطبري: ٥١٩/٢١.
(٢٩٥٤) أخرجه الطبري: ٥١٩/٢١.
(٢٩٥٥) أخرجه الطبري: ٥١٩/٢١.
(٢٩٥٦) أخرجه الطبري: ٥١٩/٢١.
(٢٩٥٧) التفسير الميسر: ٤٨٥.
(٢٩٥٨)أخرجه ابن جرير -كما في فتح الباري ٨/ ٥٦٣ -.
(٢٩٥٩) تفسير الطبري: ٥١٨/٢١.
(٢٩٦٠) تفسير ابن كثير: ١٩٦/٧.
(٢٩٦١)هذا عجز بيت، وشطره الأول:
يتقارضون إذا التقوا في منزل
وهو في الصناعتين ص ١٩٤، واللسان (قلم) ، والموازنة للآمدي ص ٣٨.
(٢٩٦٢) المفردات: ٣٠٨.

قال الماتريدي:" يحتمل: أي: {حجتهم داحضة} يوم القيامة؛ أي: باطلة غير مقبولة.
ويحتمل: أي: {حجتهم داحضة}، في الدنيا بما أقام الله - تعالى - من حجج التوحيد؛ فأبطل حججهم"(٢٩٦٣).

قوله تعالى:{وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} [الشورى :١٦]، أي:" وعليهم من الله غضب في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب شديد، وهو النار"(٢٩٦٤).

قال الطبري:" يقول: وعليهم من الله غضب، ولهم في الآخرة عذاب شديد، وهو عذاب النار"(٢٩٦٥).

قال ابن كثير:" {وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ} أي : منه ، {وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} أي : يوم القيامة"(٢٩٦٦).

عن ابن عباس، قوله: "{وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ}، قال: هم أهل الكتاب كانوا يجادلون المسلمين، ويصدّونهم عن الهدى من بعد ما استجابوا لله. وقال: هم أهل الضلالة كان استجيب لهم على ضلالتهم، وهم يتربصون بأن تأتيهم الجاهلية"(٢٩٦٧).

فوائد الآيتين: [١٥-١٦]:
١- وجوب الدعوة إلى الإسلام بين أمم العالم إذ لا نجاة للبشرية إلا بالإسلام.
٢- حرمة اتباع أهواء أهل الأهواء والسير معهم وموافقتهم في باطلهم.
٣- وجوب الاستقامة على الإسلام عقائد وعبادات وأحكام قضائية وآداب وأخلاق.
٤- تعين ترك الحجاج والمخاصمة مع أهل الكتاب وكذا أهل الأهواء والبدع لأنا على الحق وهم على الباطل، فكيف نحاجهم إذ الواجب أن يسلموا وكفى.

القرآن
{اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٧)} [الشورى :١٧]
التفسير:
الله الذي أنزل القرآن وسائر الكتب المنزلة بالصدق، وأنزل الميزان وهو العدل؛ ليحكم بين الناس بالإنصاف. وأي شيء يدريك ويُعْلمك لعل الساعة التي تقوم فيها القيامة قريب؟

قوله تعالى:{اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ} [الشورى :١٧]، أي:" الله الذي أنزل القرآن وسائر الكتب المنزلة بالصدق، وأنزل الميزان وهو العدل؛ ليحكم بين الناس بالإنصاف"(٢٩٦٨).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {اللَّهُ الَّذِي أَنزلَ} هذا القرآن {بِالْحَقِّ} وأنزل الميزان وهو العدل، ليقضي بين الناس بالإنصاف، ويحكم فيهم بحكم الله الذي أمر به في كتابه"(٢٩٦٩).

قال الزمخشري:" {الْكِتابَ}، أى: جنس الكتاب، {وَالْمِيزانَ}: والعدل والتسوية. ومعنى إنزال العدل، أنه أنزله في كتبه المنزلة. وقيل: الذي يوزن به. بالحق: ملتبسا بالحق، مقترنا به، بعيدا من الباطل أو بالغرض الصحيح كما اقتضته الحكمة. أو بالواجب من التحليل والتحريم وغير ذلك"(٢٩٧٠).

(٢٩٦٣) تأويلات أهل السنة: ١١٦/٩.
(٢٩٦٤) التفسير الميسر: ٤٨٥.
(٢٩٦٥) تفسير الطبري: ٥١٨/٢١.
(٢٩٦٦) تفسير ابن كثير: ١٩٦/٧.
(٢٩٦٧) أخرجه الطبري: ٥١٨/٢١-٥١٩.
(٢٩٦٨) التفسير الميسر: ٤٨٤.
(٢٩٦٩) تفسير الطبري: ٥٢٠/٢١.
(٢٩٧٠) الكشاف: ٢١٧/٤.

قال ابن كثير:" {الْكِتَابَ}، يعني : الكتب المنزلة من عنده على أنبيائه {والميزان} ، وهو : العدل والإنصاف.. وهذه كقوله تعالى : {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} [الحديد : ٢٥] وقوله : {وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ. أَلا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ. وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ} [الرحمن : ٧ - ٩]"(٢٩٧١).

قال مقاتل:" يقول: لم ينزله باطلا لغير شيء، و«الميزان»، يعني: العدل"(٢٩٧٢).

قال مجاهد وقتادة:" «الميزان»: هو العدل"(٢٩٧٣).

قال السمعاني:" وسمي العدل ميزانا؛ لأن الميزان يكون مناصف الناس فيما بينهم، وقيل: هو الميزان نفسه، ومعنى الإنزال: أن الله تعالى أنزل الحديد من السماء، ومن الحديد لسان الميزان وصنجاته"(٢٩٧٤).

قوله تعالى:{وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ} [الشورى :١٧]، أي:" وأي شيء يدريك ويُعْلمك لعل الساعة التي تقوم فيها القيامة قريب؟"(٢٩٧٥).

قال عون بن عبد الله بن غنية:" {لعلّ} من الله واجب"(٢٩٧٦).

قال الطبري:يقول:" وأيّ شيء يدريك ويعلمك، لعل الساعة التي تقوم فيها القيامة قريب"(٢٩٧٧).

قال مقاتل:" وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- ذكر الساعة وعنده أبو فاطمة ابن البختري، وفرقد بن ثمامة، وصفوان بن أمية، فقالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم-: متى تكون الساعة؟ تكذيبها بها. فقال الله- تعالى-: {وما يدريك لعل الساعة}، يعني: القيامة {قريب}"(٢٩٧٨).

قال ابن كثير:" قوله : {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ} فيه ترغيب فيها ، وترهيب منها ، وتزهيد في الدنيا "(٢٩٧٩).

قال الزمخشري:" فإن قلت: كيف يوفق ذكر اقتراب الساعة مع إنزال الكتاب والميزان؟

قلت: لأنّ الساعة يوم الحساب ووضع الموازين للقسط، فكأنه قيل: أمركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع قبل أن يفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن أعمالكم، ويوفى لمن أوفى ويطفف لمن طفف"(٢٩٨٠).

القرآن

{يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (١٨)} [الشورى :١٨]

التفسير:

يستعجل بمجيء الساعة الذين لا يؤمنون بها؛ تهكمًا واستهزاءً، والذين آمنوا بها خائفون من قيامها، ويعلمون أنها الحق الذي لا شك فيه. ألا إن الذين يخاصمون في قيام الساعة لفي ضلال بعيد عن الحق.

قوله تعالى:{يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا} [الشورى :١٨]، أي:" يستعجل بمجيء الساعة الذين لا يؤمنون بها؛ تهكمًا واستهزاءً"(٢٩٨١).

(٢٩٧١) تفسير ابن كثير: ١٩٦/٧.
(٢٩٧٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٦٧/٣.
(٢٩٧٣) أخرجه الطبري: ٢١/ ٥٢٠، وانظر: تفسير مجاهد: ٥٨٩، وتفسير عبدالرزاق(٢٧٣٤):ص١٦٠/٣.
(٢٩٧٤) تفسير السمعاني: ٧٠/٥.
(٢٩٧٥) التفسير الميسر: ٤٨٤.
(٢٩٧٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٥١٦):ص١٠٨/١، وانظر: الدر المنثور: ٨٥/١، وزاد نسبته إلى أبي الشيخ.
(٢٩٧٧) تفسير الطبري: ٥٢٠/٢١.
(٢٩٧٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٦٧/٣-٧٦٨.
(٢٩٧٩) تفسير ابن كثير: ١٩٨/٧.
(٢٩٨٠) الكشاف: ٢١٧/٤.
(٢٩٨١) التفسير الميسر: ٤٨٥.

قال الطبري:" يقول: يستعجلك يا محمد بمجيئها الذين لا يوقنون بمجيئها، ظنا منهم أنها غير جائية [٢٩٨٢].

قال مقاتل:" يعني: لا يصدقون بها، هؤلاء الثلاثة نفر[٢٩٨٣]، أنها كائنة لأنهم لا يخافون ما فيها"[٢٩٨٤].

قال ابن كثير:" {يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا}، أي : يقولون : {مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [سبأ : ٢٩]، وإنما يقولون ذلك تكذيبا واستبعادا ، وكفرا وعنادا "[٢٩٨٥].

قال ابن مسعود:" لا تقوم الساعة حتى يتمناها المتمنون. فقيل له: يقول الله: {يَسْتَعْجِلُ بِها الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِها والَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنها}؟ قال: إنما يتمنّونها خشية على إيمانهم"[٢٩٨٦].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ} [الشورى :١٨]، أي:" يستعجل بمجيء الساعة الذين لا يؤمنون بها؛ تهكمًا واستهزاءً، والذين آمنوا بها خائفون من قيامها، ويعلمون أنها الحق الذي لا شك فيه"[٢٩٨٧].

قال الطبري:" يقول: وَجِلون من مجيئها، خائفون من قيامها، لأنهم لا يدرون ما الله فاعل بهم فيها، ويوقنون أن مجيئها الحقّ اليقين، لا يمترون في مجيئها"[٢٩٨٨].

قال ابن كثير:" {وَالَّذِينَ آمَنُوا} خائفون وجلون من وقوعها {وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا} كائنة لا محالة ، فهم مستعدون لها عاملون من أجلها "[٢٩٨٩].

قال مقاتل:" يعني: بلال وأصحابه صدقوا النبي- صلى الله عليه وسلم- بالساعة، لأنهم لا يدرون على ما يهجمون منها {ويعلمون أنها الحق}: الساعة أنها كائنة"[٢٩٩٠].

قال السمعاني:" أي: خائفون وجلون منها، وخوفهم من المحاسبة الموعودة والجزاء الواقع على الأعمال، {ويعلمون} أنها قائمة لا محالة"[٢٩٩١].

قال ابن قتيبة:" {مُشْفِقُونَ مِنْهَا}، أي: خائفون"[٢٩٩٢].

قال النحاس:" أي: خائفون لأنهم قد أيقنوا بكونها"[٢٩٩٣].

عن أبى سريحة قال: "سأل رجل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الساعة؟ قال: «ما أعددت لها؟» قال: حب الله ورسوله، قال: «فأنت مع من أحببت»"[٢٩٩٤].

وفي رواية عن أنس: أن رجلا من أهل البادية أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، متى الساعة قائمة؟ قال: «ويلك، وما أعددت لها» قال: ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله، قال: «إنك مع من أحببت» فقلنا: ونحن كذلك؟ قال: «نعم» ففرحنا يومئذ فرحا شديدا، فمر غلام للمغيرة وكان من أقراني، فقال: «إن أخر هذا، فلن يدركه الهرم حتى تقوم الساعة»[٢٩٩٥].

(٢٩٨٢) تفسير الطبري: ٥٢٠/٢١.
(٢٩٨٣) يقصد:« أبو فاطمة ابن البختري، وفرقد بن ثمامة، وصفوان بن أمية ».
(٢٩٨٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٦٨/٣.
(٢٩٨٥) تفسير ابن كثير: ١٩٨/٧.
(٢٩٨٦)الدر المنثور: ٣٤٣/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.
(٢٩٨٧) التفسير الميسر: ٤٨٥.
(٢٩٨٨) تفسير الطبري: ٥٢٠/٢١.
(٢٩٨٩) تفسير ابن كثير: ١٩٨/٧.
(٢٩٩٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٦٨/٣.
(٢٩٩١) تفسير السمعاني: ٧١/٥.
(٢٩٩٢) غريب القرآن: ٣٩٢.
(٢٩٩٣) معاني القرآن: ٣٠٥/٦.
(٢٩٩٤)أخرجه الطبرانى فى «المعجم الكبير ١٨٣/٣ رقم ٣٠٦١» ، قال الهيثمي: وفيه عبد الغفار بن القاسم الأنصاري وهو كذاب. مجمع الزوائد ٢٨١/١٠.
(٢٩٩٥)رواه البخاري في صحيحه برقم (٦١٦٧) ومسلم في صحيحه برقم (٢٦٣٩).

قال ابن كثير:" فقوله في الحديث : «المرء مع من أحب»، هذا متواتر لا محالة ، والغرض أنه لم يجبه عن وقت الساعة ، بل أمره بالاستعداد لها"[(٢٩٩٦)].

قوله تعالى:{أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ} [الشورى :١٨]، أي:" ألا إن الذين يخاصمون في قيام الساعة لفي ضلال بعيد عن الحق"[(٢٩٩٧)].

قال الطبري: يقول:"ألا إن الذين يخاصمون في قيام الساعة ويجادلون فيه لفي جَور عن طريق الهدى، وزيغ عن سبيل الحقّ والرشاد، بعيد من الصواب"[(٢٩٩٨)].

قال ابن كثير:أي: "الذين يحاجّون في وجودها ويدفعون وقوعها ، {لَفِي} في جهل بيّن ؛ لأن الذي خلق السموات والأرض قادر على إحياء الموتى بطريق الأولى والأحرى ، كما قال : {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم : ٢٧]"[(٢٩٩٩)].

قال النحاس:أي:" [الذين] يجادلون فيها ليشككوا المؤمنين {لفي ضلال بعيد}، لأنهم لو أفكروا عنه لعلموا أن الذي أنشأهم وخلقهم أول مرة قادر على أن يبعثهم"[(٣٠٠٠)].

عن عطاء: {لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ}، "يريد في خسران كبير"[(٣٠٠١)].

وقال الكلبي: يعني في خطأ بعيد عن الحق"

القرآن

{اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ (١٩)} [الشورى :١٩]

التفسير:

الله لطيف بعباده، يوسِّع الرزق على مَن يشاء، ويضيِّقه على مَن يشاء وَفْق حكمته سبحانه، وهو القوي الذي له القوة كلها، العزيز في انتقامه من أهل معاصيه.

قوله تعالى:{اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ} [الشورى :١٩]، أي:" الله تعالى بارٌّ رحيم بالخلق كثير الإحسان بهم، يفيض عليهم من الخيرات والبركات مع عصيانهم"[(٣٠٠٢)].

قال ابن عباس: "حفي بهم"[(٣٠٠٣)].

قال عكرمة: "بارّ بهم"[(٣٠٠٤)].

قال السدي: "رفيق بهم"[(٣٠٠٥)].

قال القرظي: "لطيف بهم في العرض والمحاسبة"[(٣٠٠٦)].

قال الطبري: يقول:" الله ذو لطف بعباده"[(٣٠٠٧)].

قال مقاتل:" {الله لطيف بعباده} البر منهم والفاجر، لا يهلكهم جوعا حين قال: {إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا} [الدخان : ١٥]"[(٣٠٠٨)].

قال السمعاني:" أي: بار حفي رحيم بهم، ويقال: معنى اللطيف هاهنا الرزاق أي: لا يهلكهم جوعا بل يرزقهم. وقد قال بعض أهل العلم: إن المعني بعباده في كل موضع ذكره هو المؤمنون خاصة، والهاء للإضافة، وباء التخصيص توجب هذا وتقتضيه"[(٣٠٠٩)].

(٢٩٩٦) تفسير ابن كثير: ١٩٧/٧.
(٢٩٩٧) التفسير الميسر: ٤٨٥.
(٢٩٩٨) تفسير الطبري: ٥٢٠/٢١.
(٢٩٩٩) تفسير ابن كثير: ١٩٧/٧.[بتصرف]
(٣٠٠٠) معاني القرآن: ٣٠٥/٦.
(٣٠٠١) التفسير البسيط للواحدي: ٣٩٨/١٢، ولم أقف عليه.
(٣٠٠٢) صفوة التفاسير: ١٢٨/٣.
(٣٠٠٣) تفسير الثعلبي: ٣٣٩/٢٣.
(٣٠٠٤) تفسير الثعلبي: ٣٣٩/٢٣.
(٣٠٠٥) تفسير الثعلبي: ٣٣٩/٢٣.
(٣٠٠٦) تفسير الثعلبي: ٣٤٠/٢٣. ط. دار التفسير.
(٣٠٠٧) تفسير الطبري: ٥٢١/٢١.
(٣٠٠٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٦٨/٣.

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرا عن لطفه بخلقه في رزقه إياهم عن آخرهم ، لا ينسى أحدا منهم ، سواء في رزقه البرّ والفاجر ، كقوله تعالى : {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [هود : ٦] ولها (٣) نظائر كثيرة"[٣٠١٠].

قال الزمخشري:أي:" برّ بليغ البرّ بهم، قد توصل برّه إلى جميعهم، وتوصل من كل واحد منهم إلى حيث لا يبلغه، وهم أحد من كلياته وجزئياته "[٣٠١١].

قوله تعالى:{يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ} [الشورى :١٩]، أي:" يوسِّع الرزق على مَن يشاء"[٣٠١٢].

قال الطبري: يقول:" يرزق من يشاء فيوسع عليه ويقتر على من يشاء منهم"[٣٠١٣].

قال ابن كثير:" أي : يوسع على من يشاء"[٣٠١٤].

قوله تعالى:{وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ} [الشورى :١٩]، أي:" وهو القوي الذي له القوة كلها، العزيز في انتقامه من أهل معاصيه"[٣٠١٥].

قال الطبري: " {وَهُوَ الْقَوِيُّ} الذي لا يغلبه ذو أيد لشدته، ولا يمتنع عليه إذا أراد عقابه بقدرته، {الْعَزِيزُ} في انتقامه إذا انتقم من أهل معاصيه"[٣٠١٦].

قال مقاتل:" {وهو القوي} في هلاكهم ببدر، {العزيز} في نقمته منهم"[٣٠١٧].

قال السمعاني:" أي: القوي في نصرة المؤمنين، وقيل: في القدرة على إيصال الرزق إليهم، وقوله: {العزيز} أي: الغالب الذي لا يغالب"[٣٠١٨].

قال ابن كثير:" أي : لا يعجزه شيء"[٣٠١٩].

عن قتادة: {الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ}، قال: " قويا في أمره، عزيزا في نقمته"[٣٠٢٠].

القرآن

{مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (٢٠)} [الشورى :٢٠]

التفسير:

من كان يريد بعمله ثواب الآخرة فأدى حقوق الله وأنفق في الدعوة إلى الدين، نزد له في عمله الحسن، فنضاعف له ثواب الحسنة إلى عشر أمثالها إلى ما شاء الله من الزيادة، ومن كان يريد بعمله الدنيا وحدها، نؤته منها ما قسمناه له، وليس له في الآخرة شيء من الثواب.

قوله تعالى:{مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ} [الشورى :٢٠]، أي:" من كان يريد بعمله ثواب الآخرة فأدى حقوق الله وأنفق في الدعوة إلى الدين، نزد له في عمله الحسن، فنضاعف له ثواب الحسنة إلى عشر أمثالها إلى ما شاء الله من الزيادة"[٣٠٢١].

قال ابن زيد:" من كان يريد الآخرة وعملها نزد له في عمله"[٣٠٢٢].

قال السدي:" من كان يريد عمل الآخرة نزد له في عمله"[٣٠٢٣].

(٣٠٠٩) تفسير السمعاني: ٧١/٥.
(٣٠١٠) تفسير ابن كثير: ١٩٧/٧.
(٣٠١١) الكشاف: ٢١٧/٤.
(٣٠١٢) صفوة التفاسير: ١٢٨/٣.
(٣٠١٣) تفسير الطبري: ٥٢١/٢١.
(٣٠١٤) تفسير ابن كثير: ١٩٧/٧.
(٣٠١٥) التفسير الميسر: ٤٨٥.
(٣٠١٦) تفسير الطبري: ٥٢١/٢١.
(٣٠١٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٦٨/٣.
(٣٠١٨) تفسير السمعاني:٧١/٥.
(٣٠١٩) تفسير ابن كثير: ١٩٧/٧.
(٣٠٢٠) أخرجه الطبري: ٢٤٣/٢٠.
(٣٠٢١) التفسير الميسر: ٤٨٥.
(٣٠٢٢) أخرجه الطبري: ٥٢٢/٢١.

قال الطبري: يقول:" من كان يريد بعمله الآخرة، نزد له في عمله الحسن، فنجعل له بالواحدة عشرا، إلى ما شاء ربنا من الزيادة"(٣٠٢٤).

قال مقاتل:" يقول: من كان من الأبرار يريد بعمله الحسن الثواب الآخرة {نزد له في حرثه}، يعني: بلالا وأصحابه حتى يضاعف له {في حرثه}، يقول: في عمله"(٣٠٢٥).

قال ابن قتيبة:" {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ}، أي: عمل الآخرة. يقال: فلان يحرُثُ للدنيا؛ أي: يعمل لها ويجمع المال، ومنه قول عبد الله بن عمرو(٣٠٢٦): «احرُثْ لدنياك كأنك تعيش أبدًا واعمَلْ لآخرتك كأنك تموت غدًا». ومن هذا سمّي الرجل: «حارثًا»، وإنما أراد: من كان يريد بحرثه الآخرَة، أي: بعمله، {نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ} أي: نضاعفْ له الحسناتِ"(٣٠٢٧).

قال ابن كثير:" {مَنْ كَانَ يُرِيدُ} عمل الآخرة، نقويه ونعينه على ما هو بصدده ، ونكثر نماءه، ونجزيه بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلى ما يشاء الله"(٣٠٢٨).

قال الزمخشري:" سمى ما يعمله العامل مما يبغى به الفائدة والزكاء: حرثا على المجاز"(٣٠٢٩).

قوله تعالى:{وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ} [الشورى :٢٠]، أي:" ومن كان يريد بعمله الدنيا وحدها، نؤته منها ما قسمناه له، وليس له في الآخرة شيء من الثواب"(٣٠٣٠).

قال الطبري: " يقول: ومن كان يريد بعمله الدنيا ولها يسعى لا للآخرة، نؤته منها ما قسمنا له منها، {وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ}، قال: للكافر عذاب أليم"(٣٠٣١).

قال مقاتل:" {ومن كان} من الفجار{يريد} بعمله ثواب الدنيا، {نؤته منها وما له في الآخرة} يعنى: الجنة لهولاء الثلاثة من حظ ، ثم نسختها:{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ} [الإسراء : ١٨]"(٣٠٣٢).

قال ابن عباس:" يقول: من كان إنما يعمل للدنيا نؤته منها"(٣٠٣٣).

قال قتادة:" يقول: من آثر دنياه على آخرته لم نجعل له نصيبا في الآخرة إلا النار، ولم نزده بذلك من الدنيا شيئا إلا رزقا قد فرغ منه وقسم له"(٣٠٣٤).

قال ابن زيد:" من أراد الدنيا وعملها آتيناه منها، ولم نجعل له في الآخرة من نصيب، الحرث: العمل، من عمل للآخرة أعطاه الله، ومن عمل للدنيا أعطاه الله"(٣٠٣٥).

وقال النحاس:" في معناه ثلاثة أقوال:

- منها أن المعنى: نؤته منها ما نريد، كما قال سبحانه :{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ} [الإسراء : ١٨]
- ومنها أن يكون المعنى: ندفع عنه من آفات الدنيا.

(٣٠٢٣) أخرجه الطبري: ٥٢٢/٢١.
(٣٠٢٤) تفسير الطبري: ٥٢١/٢١.
(٣٠٢٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٦٨/٣.
(٣٠٢٦)أو عمر، كما في القرطبي ١٨/١٦. وقد ورد مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم: في النهاية ٢١٢/١، واللسان ٤٣٩/٢-٤٤٠.
(٣٠٢٧) غريب القرآن: ٣٩٢.
(٣٠٢٨) تفسير ابن كثير: ١٩٨/٧.
(٣٠٢٩) الكشاف: ٢١٨/٤.
(٣٠٣٠) التفسير الميسر: ٤٨٥.
(٣٠٣١) تفسير الطبري: ٥٢١/٢١، ٥٢٢.
(٣٠٣٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٦٨/٣.
(٣٠٣٣) أخرجه الطبري: ٥٢١/٢١.
(٣٠٣٤) أخرجه الطبري: ٥٢١/٢١-٥٢٢.
(٣٠٣٥) أخرجه الطبري: ٥٢٢/٢١.

- والقول الثالث أن المعنى: من كان يفعل الخير ليثنى عليه تركناه وذلك ولم يكن له في الآخرة نصيب"(٣٠٣٦).

قال ابن كثير: معناه" : ومن كان إنما سعيه ليحصل له شيء من الدنيا، وليس له إلى الآخرة همَّة البتة بالكلية ، حَرَمه الله الآخرة والدنيا إن شاء أعطاه منها ، وإن لم يشأ لم يحصل له لا هذه ولا هذه ، وفاز هذا الساعي بهذه النية بالصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة. والدليل على هذا أن هذه الآية هاهنا مقيدة بالآية التي في «سبحان»، وهي قوله تعالى : {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا كُلا نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلا} [الإسراء : ١٨ - ٢١]"(٣٠٣٧).

عن أبي بن كعب، قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : "بشر هذه الأمة بالسَّنَاء والرفعة ، والنصر والتمكين في الأرض ، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا ، لم يكن له في الآخرة من نصيب"(٣٠٣٨).

قال السمعاني:" قوله: {وما له في الآخرة من نصيب} هذا فيمن لم يعمل إلا للدنيا، فأما من عمل للدنيا والآخرة فيجوز أن يؤتيه الله الدنيا والآخرة"(٣٠٣٩).

قال الزمخشري:" وفرق بين عملى العاملين: بأن من عمل للآخرة وفق في عمله وضوعفت حسناته، ومن كان عمله للدنيا أعطى شيئا منها لا ما بريده ويبتغيه. وهو رزقه الذي قسم له وفرغ منه وماله نصيب قط في الآخرة، ولم يذكر في معنى عامل الآخرة وله في الدنيا نصيب، على أن رزقه المقسوم له واصل إليه لا محالة، للاستهانة بذلك إلى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه في المآب"(٣٠٤٠).

القرآن

{أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١)} [الشورى : ٢١]

التفسير:

بل ألهؤلاء المشركين بالله شركاء في شركهم وضلالتهم، ابتدعوا لهم من الدين والشرك ما لم يأذن به الله؟ ولولا قضاء الله وقدره بإمهالهم، وأن لا يعجل لهم العذاب في الدنيا، لقضي بينهم بتعجيل العذاب لهم. وإن الكافرين بالله لهم يوم القيامة عذاب مؤلم موجع.

قوله تعالى:{أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ} [الشورى : ٢١]، أي:" بل ألهؤلاء المشركين بالله شركاء في شركهم وضلالتهم، ابتدعوا لهم من الدين والشرك ما لم يأذن به الله؟"(٣٠٤١).

قال ابن عباس:" شرعوا لهم دينًا غير دين الإسلام"(٣٠٤٢).

قال الطبري: يقول:" أم لهؤلاء المشركين بالله شركاء في شركهم وضلالتهم، ابتدعوا لهم من الدين ما لم يبح الله لهم ابتداعه"(٣٠٤٣).

قال السمعاني: أي: "بل لهم شركاء وضعوا {لهم من الدين ما لم} يأمر به الله"(٣٠٤٤).

(٣٠٣٦) معاني القرآن: ٣٠٦/٦.
(٣٠٣٧) تفسير ابن كثير: ١٩٨/٧.
(٣٠٣٨) رواه عنه الثوري، نقلا عن: تفسير ابن كثير: ١٩٨/٧.
(٣٠٣٩) تفسير السمعاني:٧١/٥.
(٣٠٤٠) الكشاف: ٢١٨/٤.
(٣٠٤١) التفسير الميسر: ٤٨٥.
(٣٠٤٢)تفسير البغوي ٧/ ١٩٠.
(٣٠٤٣) تفسير الطبري :٥٢٢/٢١.

قال ابن قتيبة:" {شَرَعُوا لَهُمْ}، أي: ابتدعوا لهم"[٣٠٤٥].
قال ابن كثير:" أي : هم لا يتبعون ما شرع الله لك من الدين القويم ، بل يتبعون ما شرع لهم شياطينهم من الجن والإنس ، من تحريم ما حرموا عليهم ، من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام ، وتحليل الميتة والدم والقمار ، إلى نحو ذلك من الضلالات والجهالة الباطلة ، التي كانوا قد اخترعوها في جاهليتهم ، من التحليل والتحريم ، والعبادات الباطلة ، والأقوال الفاسدة.
وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «رأيت عمرو بن لُحَيّ بن قَمَعَة يَجُر قُصْبَه في النار»[٣٠٤٦]، لأنه أول من سيب السوائب. وكان هذا الرجل أحد ملوك خزاعة ، وهو أول من فعل هذه الأشياء ، وهو الذي حَمَل قريشا على عبادة الأصنام ، لعنه الله وقبحه"[٣٠٤٧].
قال الزمخشري:" معنى الهمزة في «أمْ»: التقرير والتقريع. وشركاؤهم: شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وإنكار البعث والعمل للدنيا، لأنهم لا يعلمون غيرها وهو الدين الذي شرعت لهم الشياطين، وتعالى الله عن الإذن فيه والأمر به وقيل شركاؤهم: أوثانهم. وإنما أضيفت إليهم لأنهم متخذوها شركاء لله، فتارة تضاف إليهم لهذه الملابسة. وتارة إلى الله، ولما كانت سببا لضلالتهم وافتتانهم: جعلت شارعة لدين الكفر، كما قال إبراهيم صلوات الله عليه :{إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ}"[٣٠٤٨].
قوله تعالى:{وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ} [الشورى :٢١]، أي:" ولولا قضاء الله وقدره بإمهالهم، وأن لا يعجل لهم العذاب في الدنيا، لقضي بينهم بتعجيل العذاب لهم"[٣٠٤٩].
قال الطبري: يقول:" ولولا السابق من الله في أنه لا يعجل لهم العذاب في الدنيا، وأنه مضى من قيله إنهم مؤخرون بالعقوبة إلى قيام الساعة، لفرغ من الحكم بينكم وبينهم بتعجيله العذاب لهم في الدنيا، ولكن لهم في الآخرة العذاب الأليم"[٣٠٥٠].
قال ابن قتيبة:" {وَلَوْلا كَلِمَةُ الْفَصْلِ}، أي: القضاء السابق الفصل: بأن الجزاء يوم القيامة، {لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ} في الدنيا"[٣٠٥١].
قال الزمخشري:" أى: ولولا العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة {لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ}، أى: بين الكافرين والمؤمنين. أو بين المشركين وشركائهم"[٣٠٥٢].
قال ابن كثير:" أي : لعوجلوا بالعقوبة ، لولا ما تقدم من الإنظار إلى يوم المعاد"[٣٠٥٣].
قال مجاهد:" {ولَوْلا كَلِمَةُ الفَصْلِ}، قال: يوم القيامة، أُخِّروا إليه"[٣٠٥٤].
قوله تعالى:{وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الشورى :٢١]، أي:" وإن الكافرين بالله لهم يوم القيامة عذاب مؤلم موجع"[٣٠٥٥].
قال الطبري:" يقول: وإن الكافرين بالله لهم يوم القيامة عذاب مؤلم مُوجع"[٣٠٥٦].
قال ابن كثير:" أي :[عَذَابٌ] شديد موجع في جهنم وبئس المصير "[٣٠٥٧].

(٣٠٤٤) تفسير السمعاني: ٧٢/٥.
(٣٠٤٥) غريب القرآن: ٣٩٢.
(٣٠٤٦)صحيح البخاري برقم (٤٦٢٤).
(٣٠٤٧) تفسير ابن كثير: ١٩٨/٧.
(٣٠٤٨) الكشاف: ٢١٨/٤.
(٣٠٤٩) التفسير الميسر: ٤٨٥.
(٣٠٥٠) تفسير الطبري :٥٢٢/٢١.[بتصرف]
(٣٠٥١) غريب القرآن: ٣٩٢.
(٣٠٥٢) الكشاف: ٢١٨/٤.
(٣٠٥٣) تفسير ابن كثير: ٧/ ١٩٨.
(٣٠٥٤)تفسير مجاهد ص ٥٨٩، وأخرجه إسحاق البستي ص ٣٠١ من طريق ابن جُرِيْج. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(٣٠٥٥) التفسير الميسر: ٤٨٥.
(٣٠٥٦) تفسير الطبري :٥٢٢/٢١.

وقرأ مسلم بن جندب: «وأنّ الظالمين»، بالفتح عطفا له على {كلمة الفصل}، يعنى: ولولا كلمة الفصل وتقدير تعذيب الظالمين في الآخرة، لقضى بينهم في الدنيا[٣٠٥٨].

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"[٣٠٥٩]، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك[٣٠٦٠].

فوائد الآيات: [١٧-٢١]:

١- بيان بعض الحكمة في إنزال الكتاب أي القرآن والميزان وهو أن يحكم الناس بالقسط.
٢- بيان قرب الساعة وأن معرفة قربها كان بالوحي الإلهي مثل اقترب للناس حسابهم.
٣- المستعجلون بالساعة هم الكافرون الجاحدون لها.
٤- بيان لطف الله بعباده فله الحمد وله المنة والشكر.
٥- بيان وجوب إصلاح النيات فإن مدار العمل قبولاً ورفضاً بحسبها.
٦- حظر التشريع بجميع أنواعه عن غير الله ورسوله.

القرآن

{تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٢٢)} [الشورى : ٢٢]

التفسير:

ترى -أيها الرسول- الكافرين يوم القيامة خائفين من عقاب الله على ما كسبوا في الدنيا من أعمال خبيثة، والعذاب نازل بهم، وهم ذائقوه لا محالة، والذين آمنوا بالله وأطاعوه في بساتين الجنات وقصورها ونعيم الآخرة، لهم ما تشتهيه أنفسهم عند ربهم، ذلك الذي أعطاه الله لهم من الفضل والكرامة هو الفضل الذي لا يوصف، ولا تهتدي إليه العقول.

قوله تعالى:{تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا} [الشورى :٢٢]، أي:" ترى -أيها الرسول- الكافرين يوم القيامة خائفين من عقاب الله على ما كسبوا في الدنيا من أعمال خبيثة"[٣٠٦١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: ترى يا محمد الكافرين بالله يوم القيامة وَجِلين خائفين من عقاب الله على ما كسبوا في الدنيا من أعمالهم الخبيثة"[٣٠٦٢].

قال الزجاج:" أي: تراهم مشفقين من ثواب ما كسبوا، وثواب ما كسبوا النار"[٣٠٦٣].

قال مقاتل:"{مما كسبوا} من الشرك"[٣٠٦٤].

قوله تعالى:{وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ} [الشورى :٢٢]، أي:" والعذاب نازل بهم، وهم ذائقوه لا محالة"[٣٠٦٥].

قال الطبري:" يقول: والذين هم مشفقون منه من عذاب الله نازل بهم، وهم ذائقوه لا محالة"[٣٠٦٦].

(٣٠٥٧) تفسير ابن كثير: ٧/ ١٩٨.
(٣٠٥٨) انظر: الكشاف: ٢١٨/٤.
(٣٠٥٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(٣٠٦٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(٣٠٦١) التفسير الميسر: ٤٨٥.
(٣٠٦٢) تفسير الطبري: ٥٢٣/٢١.
(٣٠٦٣) معاني القرآن: ٣٩٧/٤.
(٣٠٦٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٦٩/٣.
(٣٠٦٥) التفسير الميسر: ٤٨٥.
(٣٠٦٦) تفسير الطبري: ٥٢٣/٢١.

قال الزجاج:" أي: وثواب كسبهم واقع بهم"[٣٠٦٧].
قال السمعاني:" معناه: أن العذاب الذي يخافونه نازل بهم، وهذا يوم القيامة"[٣٠٦٨].
قال مكي:" أي: وعقابه واقع بهم وليس السيئات يوم القيامة تحل بالكفار وتقع بهم انما يحل بهم عقابها"[٣٠٦٩].
قال القشيري:" إذا حصل الإجرام فإلى وقت ما لا يعذّبهم الله في الغالب، ولكنه لا محالة يعذبهم وربما يثبت ذلك لبعض أصحاب القلوب فيتأسفون، ويعلمون أنّ ذلك من الله لهم معجّلٌ قد أصابهم، أمّا الكفار..فغدا يشفقون مما يقع بهم عند ما يقرءونه في كتابهم، لأنّ العذاب- لا محالة- واقع بهم"[٣٠٧٠].
قوله تعالى:{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ} [الشورى :٢٢]، أي:" والذين آمنوا بالله وأطاعوه في بساتين الجنات وقصورها ونعيم الآخرة"[٣٠٧١].
قال الطبري: يقول: " والذين آمنوا بالله وأطاعوه فيما أمر ونهى في الدنيا في روضات البساتين في الآخرة"[٣٠٧٢].
قال ابن عباس:" في رياض الجنة ونعيمها"[٣٠٧٣].
عن مجاهد، قوله:"{فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ}، قال: المكان الموفق"[٣٠٧٤].
عن أبي مالك قوله: {فِي رَوْضَةٍ} [الروم : ١٥]، يعني:" بساتين الجنة"[٣٠٧٥].
قال النحاس:" حكى بعض أهل اللغة أن«الروضة» لا تكون إلّا في موضع مرتفع، كان أحسن لها وأشدّ، وإذا كانت خشنة ولم تكن رخوة كان ثمرها أحسن وألذّ، كما قال جلّ وعزّ: {كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ} [البقرة: ٢٦٥] أي: مرتفعة. قال الأعشى[٣٠٧٦]:
ما روضة من رياض الحزن معشبة ... خضراء جاد عليها مسبل هطل
فوصف أنها من رياض الحزن، والحزن: ما غلظ من الأرض"[٣٠٧٧].
قوله تعالى:{لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ} [الشورى :٢٢]، أي:" لهم ما تشتهيه أنفسهم عند ربهم"[٣٠٧٨].
قال الطبري:" يقول للذين آمنوا وعملوا الصالحات عند ربهم في الآخرة ما تشتهيه أنفسهم، وتلذّه أعينهم "[٣٠٧٩].
عن أبي ظبية السلفي، قال: "إن السرب من أهل الجنة لتظلهم السحابة فتقول: ما أمطركم؟ قال: فما يدعو داع من القوم بشيء إلا أمطرتهم، حتى أن القائل منهم ليقول: أمطرينا كواعب أترابا"[٣٠٨٠].

(٣٠٦٧) معاني القرآن: ٣٩٧/٤.
(٣٠٦٨) تفسير السمعاني: ٧٣/٥.
(٣٠٦٩) مشكل إعراب القرآن: ٦٦٩/٢.
(٣٠٧٠) لطائف الإشارات: ٣٥٠/٣.
(٣٠٧١) التفسير الميسر: ٤٨٥.
(٣٠٧٢) تفسير الطبري: ٥٢٣/٢١.
(٣٠٧٣) أخرجه الطبري: ٥٢٤/٢١.
(٣٠٧٤) الدر المنثور: ٣٤٥/٧، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.
(٣٠٧٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٤٧٦):ص٣٠٨٩/٩.
(٣٠٧٦)الشاهد للأعشى في ديوانه ١٠٧، ولسان العرب (تدع) ، و (هطل) ، و (حزن) ، وتهذيب اللغة ٢/ ٢٦٦، وتاج العروس (حزن).
(٣٠٧٧) إعراب القرآن: ٥٤/٤.
(٣٠٧٨) التفسير الميسر: ٤٨٥.
(٣٠٧٩) تفسير الطبري: ٥٢٤/٢١.
(٣٠٨٠) الدر المنثور: ٣٤٥/٧، وعزاه إلى ابن جرير. وأبو ظبية السلفي ثم الكلاعي الشامي الحمصي، لا يعرف اسمه وقيل: إن اسمه كنيته، من كبار التابعين، مقبول. انظر "تهذيب الكمال" للمزي ٣٣/ ٤٤٧، "تقريب

قوله تعالى:{ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} [الشورى :٢٢]، أي:" ذلك الذي أعطاه الله لهم من الفضل والكرامة هو الفضل الذي لا يوصف، ولا تهتدي إليه العقول"[٣٠٨١].

قال الطبري:يقول:" هذا الذي أعطاهم الله من هذا النعيم، وهذه الكرامة في الآخرة: هو الفضل من الله عليهم، الكبير الذي يفضل كلّ نعيم وكرامة في الدنيا من بعض أهلها على بعض"[٣٠٨٢].

القرآن

{ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٢٣)} [الشورى :٢٣]

التفسير:

ذلك الذي أخبرتكم به -أيها الناس- من النعيم والكرامة في الآخرة هو البشرى التي يبشر الله بها عباده الذين آمنوا به في الدنيا وأطاعوه. قل -أيها الرسول- للذين يشكون في الساعة من مشركي قومك: لا أسألكم على ما أدعوكم إليه من الحق الذي جئتكم به عوضًا من أموالكم، إلا أن تَوَدُّوني في قرابتي منكم، وتَصِلوا الرحم التي بيني وبينكم. ومن يكتسب حسنة نضاعفها له بعشر فصاعدًا. إن الله غفور لذنوب عباده، شكور لحسناتهم وطاعتهم إياه.

سبب النزول:

عن ابن عباس، قال: "قالت الأنصار: فعلنا وفعلنا، فكأنهم فخروا، قال ابن عباس، أو العباس، شكّ عبد السلام: لنا الفضل عليكم، فبلغ ذلك رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فأتاهم في مجالسهم، فقال:"يا مَعْشَرَ الأنْصَار ألَمْ تَكُونُوا أذِلَّةً فأعَزَّكُمُ الله بِي؟ " قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ألَمْ تَكُونُوا ضُلالا فَهَدَاكُمْ الله بِي؟ " قالوا: بلى يا رسول الله، قال:"أفلا تُجِيبُونِي؟ " قالوا: ما نقول يا رسول الله؟ قال:"ألا تقولون: ألَمْ يُخْرِجْكَ قَوْمُكَ فآوَيْناكَ، أوَلَمْ يُكَذِّبُوكَ فَصَدَّقْنَاكَ، أوَلَمْ يَخْذُلُوكَ فَنَصَرْنَاكَ؟ " قال: فما زال يقول حتى جثوا على الركب، وقالوا: أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله، قال: فنزلت :{قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى}"[٣٠٨٣].

قوله تعالى:{ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [الشورى :٢٣]، أي:" ذلك الذي أخبرتكم به -أيها الناس- من النعيم والكرامة في الآخرة هو البشرى التي يبشر الله بها عباده الذين آمنوا به في الدنيا وأطاعوه"[٣٠٨٤].

قال الطبري:يقول:" هذا الذي أخبرتكم أيها الناس أني أعددته للذين آمنوا وعملوا الصالحات في الآخرة من النعيم والكرامة، البشرى التي يبشر الله عباده الذين آمنوا به في الدنيا، وعملوا بطاعته فيها"[٣٠٨٥].

قال القشيري:" {ذلك الذي يبشّر الله عباده} قد مضى ذكره في القرآن متفرقا من أوصاف الجنة وأطايبها، وما وعد الله من المثوبة.. ونحو ذلك"[٣٠٨٦].

يقرأ: «يُبَشِّرُ، و«يَبْشرُ»، و«يُبْشِرُ»[٣٠٨٧].

قوله تعالى:{قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} [الشورى :٢٣]، أي:" قل -أيها الرسول- للذين يشكون في الساعة من مشركي قومك: لا أسألكم على ما أدعوكم إليه من

التهذيب" لابن حجر (٨١٩٢)

(٣٠٨١) التفسير الميسر: ٤٨٥.

(٣٠٨٢) تفسير الطبري: ٥٢٤/٢١.

(٣٠٨٣) أخرجه الطبري: ٥٢٨/٢١.

(٣٠٨٤) التفسير الميسر: ٤٨٦.

(٣٠٨٥) تفسير الطبري: ٥٢٤/٢١.

(٣٠٨٦) لطائف الإشارات: ٣٥٠/٣.

(٣٠٨٧) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٣٩٨/٤.

الحق الذي جئتكم به عوضًا من أموالكم، إلا أن تَوَدُّوني في قرابتي منكم، وتَصِلوا الرحم التي بيني وبينكم"[٣٠٨٨].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قل يا محمد للذين يمارونك في الساعة من مشركي قومك: لا أسألكم أيها القوم على دعايتكم إلى ما أدعوكم إليه من الحق الذي جئتكم به، والنصيحة التي أنصحكم ثوابا وجزاء، وعوضا من موالكم تعطوننيه {إلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى}"[٣٠٨٩].

وفي قوله تعالى:{إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} [الشورى :٢٣]، وجوه من التفسير:

أحدها: معناه: إلا أن تودّوني في قرابتي منكم، وتصلوا رحمي بيني وبينكم. قاله ابن عباس[٣٠٩٠]، ومجاهد[٣٠٩١]، والضحاك[٣٠٩٢]، وعكرمة[٣٠٩٣]، وقتادة-في رواية-[٣٠٩٤]، وأبو مالك[٣٠٩٥]، والسدي[٣٠٩٦]، وابن زيد[٣٠٩٧]، وعطاء بن دينار[٣٠٩٨].

قال السمعاني:" أظهرها وأشهرها أن معناه: لا أسألكم إلا أن تودوني لقرابتي منكم"[٣٠٩٩].

قال ابن عباس:" لم يكن بطن من بطون قريش إلا وبين رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبينهم قرابة، فقال:«قل لا أسألكم عليه أجرا أن تودّوني في القرابة التي بيني وبينكم»"[٣١٠٠].

وقال ابن عباس:" كان لرسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرابة في جميع قريش، فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه قال:«يا قوم إذا أبيتم أن تبايعوني فاحفظوا قرابتي فيكم لا يكن غيركم من العرب أولى بحفظي ونُصرتي منكم»"[٣١٠١].

قال أبو مالك:" كان رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واسط النسب من قريش، ليس حيّ من أحياء قريش إلا وقد ولدوه; قال: فقال الله عز وجل: {قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} :«إلا أن تودّوني لقرابتي منكم وتحفظوني»"[٣١٠٢].

وقال أبو مالك:"كان رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بني هاشم وأمه من بني زهرة وأم أبيه من بني مخزوم، فقال:«احفظوني في قرابتي»"[٣١٠٣].

قال قتادة:" وإن الله تبارك وتعالى أمر محمدا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن لا يسأل الناس على هذا القرآن أجرا إلا أن يصلوا ما بينه وبينهم من القرابة، وكلّ بطون قريش قد ولدته وبينه وبينهم قرابة"[٣١٠٤].

عن مجاهد، قوله: "{إلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى}، أن تتبعوني، وتصدقوني وتصلوا رحمي"[٣١٠٥].

(٣٠٨٨) التفسير الميسر: ٤٨٦.
(٣٠٨٩) تفسير الطبري: ٥٢٤/٢١.
(٣٠٩٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٥/٢١.
(٣٠٩١) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٦/٢١.
(٣٠٩٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٧/٢١.
(٣٠٩٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٦/٢١.
(٣٠٩٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٦/٢١.
(٣٠٩٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٦/٢١.
(٣٠٩٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٧/٢١.
(٣٠٩٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٧/٢١.
(٣٠٩٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٧/٢١.
(٣٠٩٩) تفسير السمعاني: ٧٣/٥.
(٣١٠٠) أخرجه الطبري: ٥٢٥/٢١.
(٣١٠١) أخرجه الطبري: ٥٢٥/٢١.
(٣١٠٢) اخرجه الطبري: ٥٢٦/٢١.
(٣١٠٣) اخرجه الطبري: ٥٢٦/٢١.
(٣١٠٤) اخرجه الطبري: ٥٢٦/٢١.
(٣١٠٥) اخرجه الطبري: ٥٢٦/٢١.

قال الضحاك:" يعني: قريشا. يقول: إنما أنا رجل منكم، فأعينوني على عدويّ، واحفظوا قرابتي، وإن الذي جئتكم به لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى، أن تودّوني لقرابتي، وتعينوني على عدويّ"[٣١٠٦].

قال ابن زيد:" يقول: إلا أن تودّوني لقرابتي كما توادّون في قرابتكم وتواصلون بها، ليس هذا الذي جئت به يقطع ذلك عني، فلست أبتغي على الذي جئت به أجرا آخذه على ذلك منكم"[٣١٠٧].

قال عكرمة:" تعرفون قرابتي، وتصدّقونني بما جئت به، وتمنعوني"[٣١٠٨].

قال عطاء بن دينار:" يقول: لا أسألكم على ما جئتكم به أجرا، إلا أن تودّوني في قرابتي منكم، وتمنعوني من الناس"[٣١٠٩].

الثاني: معناه: قل لمن تبعك من المؤمنين: لا أسألكم على ما جئتكم به أجرا إلا أن تودّوا قرابتي. قاله علي بن الحسين-رضي الله عنهما-[٣١١٠]، وسعيد بن جبير[٣١١١]، وعمرو بن شعيب[٣١١٢].

قال سعيد بن جبير:" هي قُربى رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"[٣١١٣].

عن أبي الديلم قال: "لما جيء بعليّ بن الحسين رضي الله عنهما أسيرا، فأقيم على درج دمشق، قام رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم، وقطع قربى الفتنة، فقال له عليّ بن الحسين رضي الله عنهما: أقرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: أقرأت آل حم؟ قال: قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم، قال: ما قرأت {قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى}؟ قال: وإنكم لأنتم هم؟ قال نعم"[٣١١٤].

الثالث: معناه: قل لا أسألكم أيها الناس على ما جئتكم به أجرا إلا أن تودّدوا إلى الله، وتتقربوا بالعمل الصالح والطاعة. قاله الحسن[٣١١٥]، وقتادة-في رواية أخرى-[٣١١٦]، ورواه ابن عباس مرفوعا الى النبي-صلى الله عليه وسلم-[٣١١٧].

قال الحسن:" قل لا أسألكم على ما جئتكم به، وعلى هذا الكتاب أجرا، إلا المودة في القربى، إلا أن توددوا إلى الله بما يقربكم إليه، وعمل بطاعته"[٣١١٨].

قال قتادة:" إلا أن تو ددوا إلى الله فيما يقربكم إليه"[٣١١٩].

الرابع: معناه: إلا أن تصلوا قرابتكم. قاله عبد الله بن القاسم[٣١٢٠].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، وأشبهها بظاهر التنزيل قول من قال: معناه: قل لا أسألكم عليه أجرا يا معشر قريش، إلا أن تودوني في قرابتي منكم، وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم.

وإنما قلت: هذا التأويل أولى بتأويل الآية لدخول"في" في قوله: {إلا المودة في القربى} ، ولو كان معنى ذلك على ما قاله من قال: إلا أن تودوا قرابتي، أو تقربوا إلى الله، لم يكن

(٣١٠٦) أخرجه الطبري: ٥٢٧/٢١.
(٣١٠٧) أخرجه الطبري: ٥٢٧/٢١.
(٣١٠٨) اخرجه الطبري: ٥٢٦/٢١.
(٣١٠٩) أخرجه الطبري: ٥٢٧/٢١.
(٣١١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٨/٢١.
(٣١١١) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٨/٢١.
(٣١١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٩/٢١.
(٣١١٣) أخرجه الطبري: ٥٢٨/٢١.
(٣١١٤) أخرجه الطبري: ٥٢٨/٢١.
(٣١١٥) انظر: تفسير:٥٢٩/٢١ .
(٣١١٦) انظر: تفسير:٥٢٩/٢١ .
(٣١١٧) انظر: تفسير:٥٢٩/٢١ .
(٣١١٨) أخرجه الطبري: ٥٢٩/٢١.
(٣١١٩) أخرجه الطبري: ٥٢٩/٢١.
(٣١٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٠/٢١.

لدخول"في" في الكلام في هذا الموضع وجه معروف، ولكان التنزيل: إلا مودة القربى إن عني به الأمر بمودة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو إلا المودة بالقربى، أو ذا القربى إن عني به التودد والتقرب. وفي دخول«في» في الكلام أوضح الدليل على أن معناه: إلا مودتي في قرابتي منكم، وأن الألف واللام فى المودة أدخلتا بدلا من الإضافة، كما قيل: {فإن الجنة هي المأوى} وقوله:«إلا» في هذا الموضع استثناء منقطع. ومعنى الكلام: قل لا أسألكم عليه أجرا، لكني أسألكم المودة في القربى، فالمودة منصوبة على المعنى الذي ذكرت"(٣١٢١).

وقال مقاتل:" {قل لا أسئلكم عليه أجرا}، يعني: على الإيمان جزاء {إلا المودة في القربى}، يقول: إلا أن تصلوا قرابتي وتتبعوني وتكفوا عني الأذى. ثم نسختها: {قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُم} [سبأ : ٤٧]"(٣١٢٢).

قال السمعاني:" وحكى عن الضحاك أن الآية منسوخة بقوله: {قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُم إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الله} [سبأ : ٤٧]، وهذا القول غير مرضي عند أهل المعاني؛ لأن قوله: {إلا المودة في القربى} ليس باستثناء صحيح حتى يكون مخالفا لقوله: {إن أجري إلا على الله} بل هو استثناء منقطع، ومعناه: قل لا أسالكم عليه أجرا أي: مالا، وتم الكلام. ومعنى قوله: {إلا المودة في القربى} لكن صلوا قرابتي بالاستجابة لي أو تكفوا أذاكم عني.. وحكى بعضهم: أن النبي سئل عن هذه، وعن معنى القربى فقال: «علي وفاطمة وولدهما»(٣١٢٣)، وهذا أغرب الأقاويل وأضعفها"(٣١٢٤).

قال الزجاج:" وَنَصْبُ {الْمَوَدَّةَ} أن يكون بمعنى استثناء ليس من الأول، لا على معنى: أسالكم عليه أجراً المودة في الْقُرْبَى، لأن الأنبياء صلوات اللَّه عليهم لا يسألون أجراً على تبليغ الرسالة، والمعنى - واللَّه أعلم – ولكنني أذكركم «الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»"(٣١٢٥).

قوله تعالى:{وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا} [الشورى :٢٣]، أي:" ومن يكتسب حسنة نضاعفها له بعشر فصاعدًا"(٣١٢٦).

قال الطبري:يقول:" ومن يعمل حسنة، وذلك أن يعمل عملا يطيع الله فيه من المؤمنين نضاعف عمله ذلك الحسن، فنجعل له مكان الواحد عشرا إلى ما شئنا من الجزاء والثواب"(٣١٢٧).

عن السدي، قوله:"{ومن يقترف حسن}، قال: يعمل حسنة"(٣١٢٨).

قال ابن زيد:" من يعمل خيرا نزد له. الاقتراف: العمل"(٣١٢٩).

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ} [الشورى :٢٣]، أي:" إن الله غفور لذنوب عباده، شكور لحسناتهم وطاعتهم إياه"(٣١٣٠).

قال الطبري:" يقول: إن الله غفور لذنوب عباده، شكور لحسناتهم وطاعتهم إياه"(٣١٣١).

قال الزجاج:" غفور للذنوب قبول للتوبة مثيب عليها"(٣١٣٢).

(٣١٢١) تفسير الطبري: ٥٣٠/٢١.
(٣١٢٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٦٩/٣.
(٣١٢٣)أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه بسند ضعيف من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: "لما نزلت هذه الآية {قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى} قالوا: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت مودتهم قال: علي وفاطمة وولداها". الدر المنثور: ٣٤٨/٧].
(٣١٢٤) تفسير السمعاني: ٧٣/٥-٧٤.
(٣١٢٥) معاني القرآن: ٣٩٨/٤.
(٣١٢٦) التفسير الميسر: ٤٨٦.
(٣١٢٧) تفسير الطبري: ٥٣٠/٢١.
(٣١٢٨) أخرجه الطبري: ٥٣١/٢١.
(٣١٢٩) أخرجه الطبري: ٥٣١/٢١.
(٣١٣٠) التفسير الميسر: ٤٨٦.
(٣١٣١) تفسير الطبري: ٥٣١/٢١.
(٣١٣٢) معاني القرآن: ٣٩٨/٤.

عن قتادة: "{إن الله غفور} للذنوب، {شكور}، للحسنات يضاعفها"[٣١٣٣].
قال ابن زيد:" غفر لهم الذنوب، وشكر لهم نعما هو أعطاهم إياها، وجعلها فيهم"[٣١٣٤].

القرآن
{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٤)} [الشورى : ٢٤]
التفسير:
بل أيقول هؤلاء المشركون: اختلق محمد الكذب على الله، فجاء بالذي يتلوه علينا اختلاقًا من عند نفسه؟ فإن يشأ الله يطبع على قلبك -أيها الرسول- لو فعلت ذلك. ويُذْهِبُ الله الباطل فيمحقه، ويحق الحق بكلماته التي لا تتبدل ولا تتغيَّر، وبوعده الصادق الذي لا يتخلف. إن الله عليم بما في قلوب العباد، لا يخفى عليه شيء منه.
قوله تعالى:{أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} [الشورى :٢٤]، أي:" بل أيقول هؤلاء المشركون: اختلق محمد الكذب على الله، فجاء بالذي يتلوه علينا اختلاقًا من عند نفسه؟"[٣١٣٥].
قال الطبري:يقول:" أم يقول هؤلاء المشركون بالله: {افترى} محمد {على الله كذبا} فجاء بهذا الذي يتلوه علينا اختلاقا من قبل نفسه"[٣١٣٦].
قال مقاتل:" {أم يقولون} كفار مكة إن محمدا افترى على الله كذبا حين زعم أن القرآن من عند الله [فشق] على النبي- صلى الله عليه وسلم- تكذيبهم إياه"[٣١٣٧].
قوله تعالى:{فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ} [الشورى :٢٤]، أي:" فإن يشأ الله يطبع على قلبك -أيها الرسول- لو فعلت ذلك"[٣١٣٨].
قال الطبري:يقول:" {فإن يشأ الله} يا محمد يطبع على قلبك، فتنس هذا القرآن الذي أنزل إليك"[٣١٣٩].
قال الصابوني:"أي: لو افتريت على الله الكذب كما يزعم هؤلاء المجرمون لختم على قبلك فأنساك هذا القرآن، وسلبه من صدرك، ولكنك لم تفتر على الله كذباً ولهذا أيَّدك وسدَّدك"[٣١٤٠].
عن قتادة، قوله:"{فإن يشأ الله يختم على قلبك}، قال: إن يشأ الله أنساك ما قد أتاك"[٣١٤١].
قال قتادة: "فينسيك القرآن"[٣١٤٢].
عن السدي، قوله:"{فإن يشأ الله يختم على قلبك}، قال: يطبع"[٣١٤٣].
قال مقاتل:" يقول: يربط على قلبك، فلا يدخل في قلبك المشقة من قولهم: بأن محمدا كذاب مفتر"[٣١٤٤].
قال الزجاج:" ويجوز [أن يكن المعنى]: يربط على قلبك بالصبر على أذاهم وعلى قولهم"[٣١٤٥].

(٣١٣٣) تفسير الطبري: ٥٣١/٢١.
(٣١٣٤) تفسير الطبري: ٥٣١/٢١.
(٣١٣٥) التفسير الميسر: ٤٨٦.
(٣١٣٦) تفسير الطبري: ٥٣١/٢١.
(٣١٣٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٦٩/٣.
(٣١٣٨) التفسير الميسر: ٤٨٦.
(٣١٣٩) تفسير الطبري: ٥٣١/٢١.
(٣١٤٠) صفوة التفاسير: ١٢٩/٣.
(٣١٤١) أخرجه الطبري: ٥٣٢/٢١.
(٣١٤٢) أخرجه الطبري: ٥٣٢/٢١.
(٣١٤٣) أخرجه الطبري: ٥٣٢/٢١.
(٣١٤٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٦٩/٣.

قال النحاس: "وهذا الذي قاله [الزجاج] لا يشبه ظاهر الآية.. واختلفوا في معنى :{يَخْتِمْ}، فقال بعضهم: أي يمنعك من التمييز. وقال بعضهم: معنى: «ختم الله على قلبه»: جعل عليه علامة من سواد أو غيره تعرف الملائكة بها أنه معاقب، كما قال جلّ وعزّ: {كَلَّا بَلْ رانَ عَلى قُلُوبِهِمْ} [المطففين: ١٤]، وفي التفسير: أنه إذا عمل العبد خطيئة رين على قلبه فغطي منه شيء فإن زاد زيد في الرّين حتّى يسود قلبه فلا ينتفع بموعظة"[٣١٤٦].

قوله تعالى:{وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ} [الشورى :٢٤]، أي:" ويُذْهِبُ الله الباطل فيمحقه، ويثبتُ اللهُ الحق ويوضّحه بكلامه المنزل، وقضائه المبرم"[٣١٤٧].

قال الطبري:"يقول: ويذهب الله بالباطل فيمحقه، {ويحق الحق بكلماته} التي أنزلها إليك يا محمد فيثبته"[٣١٤٨].

قال مقاتل:" {ويمح الله} إن شاء {الباطل} الذي يقولون بأنك كذاب مفتر، من قلبك، {ويحق الله الحق}: وهو الإسلام {بكلماته}، يعني: القرآن الذي أنزل عليه"[٣١٤٩].

قال النحاس:" فأما معنى :{وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ}، ففيه احتجاج عليهم لنبوة محمد صلّى الله عليه وسلّم لأن معناه أنّ الله جلّ وعزّ يزيل الباطل ولا يثبته، فلو كان ما جاء به محمد صلّى الله عليه وسلّم باطلا لمحاه الله جلّ وعزّ وأنزل كتابا على غيره، وهكذا جرت العادة في جميع المفترين أنّ الله سبحانه يمحو باطلهم بالحقّ والبراهين والحجج"[٣١٥٠].

قوله تعالى:{إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [الشورى :٢٤]، أي:" إن الله عليم بما في قلوب العباد، لا يخفى عليه شيء منه"[٣١٥١].

قال الطبري:" إن الله ذو علم بما في صدور خلقه، وما تنطوي عليه ضمائرهم، لا يخفى عليه من أمورهم شيء، يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: لو حدثت نفسك أن تفتري على الله كذبا، لطبعت على قلبك، وأذهبت الذي أتيتك من وحيي، لأني أمحو الباطل فأذهبه، وأحق الحق، وإنما هذا إخبار من الله الكافرين به، الزاعمين أن محمدا افترى هذا القرآن من قبل نفسه، فأخبرهم أنه إن فعل لفعل به ما أخبر به في هذه الآية"[٣١٥٢].

القرآن

{وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٢٥)} [الشورى :٢٥]

التفسير:

والله سبحانه وتعالى هو الذي يقبل التوبة عن عباده إذا رجعوا إلى توحيد الله وطاعته، ويعفو عن السيئات، ويعلم ما تصنعون من خير وشر، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وهو مجازيكم به.

قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ} [الشورى :٢٥]، أي:" والله سبحانه وتعالى هو الذي يقبل التوبة عن عباده إذا رجعوا إلى توحيد الله وطاعته"[٣١٥٣].

قال الطبري: يقول:" والله الذي يقبل مراجعة العبد إذا رجع إلى توحيد الله وطاعته من بعد كفره"[٣١٥٤].

(٣١٤٥) معاني القرآن: ٣٩٩/٤.
(٣١٤٦) إعراب القرآن: ٥٥/٤.
(٣١٤٧) التفسير الميسر: ٤٨٦، وصفوة التفاسير: ١٢٩/٣.
(٣١٤٨) تفسير الطبري: ٥٣٢/٢١.
(٣١٤٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٦٩/٣.
(٣١٥٠) إعراب القرآن: ٥٦/٤.
(٣١٥١) التفسير الميسر: ٤٨٦.
(٣١٥٢) تفسير الطبري: ٥٣٢/٢١.
(٣١٥٣) التفسير الميسر: ٤٨٦.
(٣١٥٤) تفسير الطبري: ٥٣٢/٢١.

قال ابن عباس:" يريد: أولياءه وأهل طاعته"[٣١٥٥].

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لله أشد فرحا بتوبة أحدكم، من أحدكم بضالته، إذا وجدها»[٣١٥٦].

عن ابن مسعود - رضي الله عنه -: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من أعطي الشكر لم يحرم الزيادة، لأن الله تعالى يقول: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}[٣١٥٧]، ومن أعطي التوبة لم يحرم القبول لأن الله يقول:{وَهُوَ الَّذِي يقبل التَّوْبَة عَن عباده}"[٣١٥٨].

عن أنس - رضي الله عنه - قال قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: من ألهم خمسة لم يحرم خمسة من ألهم الدعاء لم يحرم الإجابة لأن الله يقول: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ}[٣١٥٩]، ومن ألهم التوبة لم يحرم القبول لأن الله يقول: {وَهُوَ الَّذِي يقبل التَّوْبَة عَن عباده}، ومن ألهم الشكر لم يحرم الزيادة لأن الله تعالى يقول: {لئن شكرتم لأزيدنكم} ومن ألهم الاستغفار لم يحرم المغفرة لأن الله تعالى يقول: {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا}[٣١٦٠]، ومن ألهم النفقة لم يحرم الخلف لأن الله تعالى يقول: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُه}[٣١٦١]"[٣١٦٢].

وقال السري بن المغلس السقطي: "التوبة صدق العزيمة على ترك الذنوب، والإنابة بالقلب إلى علام الغيوب، والندامة على ما فرط من العيوب، والاستقصاء في المحاسبة مع النفس بالاستكانة والخضوع"[٣١٦٣].

وقال عمرو بن عثمان: "ملاك التوبة إصلاح القوت"[٣١٦٤].

عن يحيى بن معاذ، "وسئل: من التائب؟ فقال: من كسر شبابه على رأسه وكسر الدنيا على رأس الشيطان، ولزم الفطام حتى أتاه الحمام"[٣١٦٥].

وقال سهل بن عبد الله: "التوبة، الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة"[٣١٦٦].

وسئل ابن الحسن البوشيخي: "عن التوبة؟ فقال: إذا ذكرت الذنب فلا تجد حلاوته في قلبك"[٣١٦٧].

وقال الراعي: "التوبة ترك المعاصي نية وفعلا، والإقبال على الطاعة نية وفعلا"[٣١٦٨].

عن أبي عبد الله محمد بن عماد البغدادي: "سئل جنيد: من التائب؟ فقال: من تاب عما دون الله"[٣١٦٩].

وقال شاه الكرماني[٣١٧٠]: اترك الدنيا وقد تبت وخالف هواك وقد وصلت"[٣١٧١].

(٣١٥٥)تفسير البغوي ٧/ ١٩٣.

(٣١٥٦) صحيح مسلم(٢٦٧٥):ص٢١٠٢/٤، وسنن ابن ماجة(٤٢٤٧):ص١٤١٩/٢، وسنن الترمذي(٣٥٣٨):ص٤٣٨/٥.

(٣١٥٧)[إبراهيم : ٧].

(٣١٥٨) الدر المنثور: ٩/٥. وعزاه إلى ابن مرويه.

(٣١٥٩)[غافر : ٦٠].

(٣١٦٠)[نوح : ١٠].

(٣١٦١)[سبأ : ٣٩].

(٣١٦٢) الدر المنثور: ٩/٥. وعزاه إلى البخاري في تاريخه والضياء المقدسي في المختارة.

(٣١٦٣) نقلا عن: الكشف والبيان: ٣١٦/٨.

(٣١٦٤) نقلا عن: الكشف والبيان: ٣١٦/٨.

(٣١٦٥) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣١٦/٨.

(٣١٦٦) نقلا عن: الكشف والبيان: ٣١٦/٨.

(٣١٦٧) نقلا عن: الكشف والبيان: ٣١٦/٨.

(٣١٦٨) نقلا عن: الكشف والبيان: ٣١٦/٨.

(٣١٦٩) نقلا عن: الكشف والبيان: ٣١٦/٨.

(٣١٧٠)المتوفي سنة ٢٧٠ هـ، واسمه شاه بن شجاع الكرماني أبو الفوارس، راجع الوافي: ١٤/ ٢٣.

(٣١٧١) نقلا عن: الكشف والبيان: ٣١٦/٨.

قوله تعالى:{وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ} [الشورى :٢٥]، أي:" ويصفح عن الذنوب صغيرها وكبيرها لمن يشاء"[٣١٧٢].

قال الطبري: "يقول: ويعفو له أن يعاقبه على سيئاته من الأعمال، وهي معاصيه التي تاب منها"[٣١٧٣].

عن إبراهيم، «أنه سأل علقمة عن رجل فجر بامرأة ثم تزوجها، فقرأ هذه الآية: {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ}»"[٣١٧٤].

عن ابن سيرين قال: سئل ابن مسعود، عن الرجل يزني بالمرأة، ثم ينكحها قال: «هما زانيان ما اجتمعا» قال: فقيل لابن مسعود: أرأيت إن تابا؟ قال: {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ} [الشورى: ٢٥]. قال: فلم يزل ابن مسعود يرددها حتى ظننا أنه لا يرى به بأسا"[٣١٧٥].

عن بكير بن الأخنس، عن أبيه، قال: " قرأت من الليل حم عسق فمررت بهذه الآية: {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} [الشورى : ٢٥]، فغدوت إلى عبد الله أسأله عنها، فأتاه رجل فسأله عن الرجل يفجر بالمرأة، ثم يتزوجها؟ فقرأ عبد الله: {وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ} [الشورى: ٢٥]"[٣١٧٦].

قال الإمام احمد:" ومن لقي الله بذنب يجب له النار تائبا غير مصر عليه فإن الله يتوب عليه و{يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ}، من لقيه وقد أقيم عليه حد ذلك الذنب في الدنيا فهو كفارته كما جاء في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن لقيه مصرا غير تائب من الذنوب التي استوجب بها العقوبة فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له"[٣١٧٧].

قوله تعالى:{وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ} [الشورى :٢٥]، أي:" ويعلم ما تصنعون من خير وشر، لا يخفى عليه شيء من ذلك، وهو مجازيكم به"[٣١٧٨].

وقرئ:« وَيَعْلَمُ مَا يفْعَلُونَ»، بالياء، بمعنى: ويعلم ما يفعل عباده[٣١٧٩].

القرآن

{وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (٢٦)} [الشورى :٢٦]

التفسير:

ويستجيب الذين آمنوا بالله ورسوله لربهم لِمَا دعاهم إليه وينقادون له، ويزيدهم من فضله توفيقًا ومضاعفة في الأجر والثواب. والكافرون بالله ورسوله لهم يوم القيامة عذاب شديد موجع مؤلم.

قوله تعالى:{وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [الشورى :٢٦]، أي:" ويستجيب الذين آمنوا بالله ورسوله لربهم لِمَا دعاهم إليه وينقادون له"[٣١٨٠].

قال الطبري: يقول:" ويجيب الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله به، وانتهوا عما نهاهم عنه لبعضهم دعاء بعض"[٣١٨١].

قال ابن أبي زمنين:" أي: يستجيبون لربهم يؤمنون به"[٣١٨٢].

(٣١٧٢) صفوة التفاسير: ١٢٩/٣.
(٣١٧٣) تفسير الطبري: ٥٣٢/٢١-٥٣٣.
(٣١٧٤) الآثار لأبي يوسف(٦٠٣):ص١٣١.
(٣١٧٥) مصنف عبدالرزاق(١٢٧٩٨):ص٢٠٥/٧.
(٣١٧٦) مصنف ابن أبي شيبة(١٦٧٨١):ص٥٢٧/٣.
(٣١٧٧) أصول السنة: ٥١-٥٢.
(٣١٧٨) التفسير الميسر: ٤٨٦.
(٣١٧٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٢/٢١.
(٣١٨٠) التفسير الميسر: ٤٨٦.
(٣١٨١) تفسير الطبري: ٥٣٢/٢١.
(٣١٨٢) تفسير ابن أبي زمنين: ١٦٨/٤.

قال ابن قتيبة:" {وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا}، أي: يجيبهم؛ كما قال الشاعر(٣١٨٣):
وَدَاعٍ دَعَا: يَا مَنْ يُجِيبُ إلى النَّدَى ... فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ -عِنْدَ ذَاكَ- مُجِيبُ"(٣١٨٤).

عن سلمة بن سبرة، قال: "خطبنا معاذ، فقال: أنتم المؤمنون، وأنتم أهل الجنة، والله إني لأرجو أن من تصيبون من فارس والروم يدخلون الجنة، ذلك بأن أحدهم إذا عمل لأحدكم العمل قال: أحسنت رحمك الله، أحسنت غفر الله لك، ثم قرأ: {وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ}"(٣١٨٥).

عن إبراهيم النخعي:، قوله:"{وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، قال: يُشَفَّعُون في إخوانهم"(٣١٨٦).

وقال الضحاك:" يُشَفِّعُهُمْ فِي إِخْوَانِهِم"(٣١٨٧).

قوله تعالى:{وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ} [الشورى :٢٦]، أي:" ويزيدهم من فضله توفيقًا ومضاعفة في الأجر والثواب"(٣١٨٨).

قال الطبري: يقول:" ويزيد الذين آمنوا وعملوا الصالحات مع إجابته إياهم دعاءهم، وإعطائه إياهم مسألتهم من فضله على مسألتهم إياه، بأن يعطيهم ما لم يسألوه. وقيل: إن ذلك الفضل الذي ضمن جلّ ثناؤه أن يزيدهموه، هو أن يشفعهم في إخوان إخوانهم إذا هم شفعوا في إخوانهم، فشفعوا فيهم"(٣١٨٩).

قال ابن أبي زمنين:" يعني: تضعيف الحسنات"(٣١٩٠).

قال الجصاص: وهذه المضاعفة إنما هي بفضل الله غير مستحق عليها"(٣١٩١).

عن إبراهيم النخعي : "{وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ}، قال: يشفعون في إخوان إخوانهم"(٣١٩٢).

وقال الضحاك:" يُشَفِّعُهُمْ في إخوان إخوانهم"(٣١٩٣).

عن شقيق عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله تبارك وتعالى: {فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله} قال: "أجورهم يدخلهم الجنة". {ويزيدهم من فضله} قال: "الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف في الدنيا"(٣١٩٤).

(٣١٨٣)البيت لكعب بن سعد الغنوي من مرثيته المشهورة في أخيه أبي المغوار. وورد فيما تقدم ص ٧٤ وفي تأويل المشكل ١٧٧ غير منسوب أيضا. وانظر هامشهما. وقد ورد عجزه في البحر ٥١٨/٧.

(٣١٨٤) غريب القرآن: ٣٩٣.

(٣١٨٥) أخرجه الطبري: ٥٣٤/٢١.

(٣١٨٦) أخرجه الطبري: ٥٣٤/٢١.

(٣١٨٧) المجالسة وجواهر العلم، لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري (٤٩٥):ص٣٣٣/٢. [إسناده واه].

(٣١٨٨) التفسير الميسر: ٤٨٦.

(٣١٨٩) تفسير الطبري: ٥٣٤/٢١.

(٣١٩٠) تفسير ابن أبي زمنين: ١٦٨/٤.

(٣١٩١) أحكام القرآن: ٣٥/٣.

(٣١٩٢) أخرجه الطبري: ٥٣٤/٢١.

(٣١٩٣) المجالسة وجواهر العلم، لأبي بكر أحمد بن مروان الدينوري (٤٩٥):ص٣٣٣/٢. [إسناده واه].

(٣١٩٤) السنة لأبي عاصم(٨٤٦):ص٤٩٨/٢، إسناده ضعيف رجاله موثقون غير إسماعيل بن عبد الله الكندي أورده الذهبي فقال عن الأعمش وعنه بقية بخبر عجيب منكر.
قلت: وكأنه يشير إلى هذا.
والحديث رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤٨/١٠)، وقال الهيثمي في المجمع (١٣/٧) : "فيه إسماعيل بن عبد الله الكندي ضعفه الذهبي من عند نفسه، فقال: أتى بخبر منكر وبقية رجاله وثقوا"، وذكره ابن كثير في تفسيره:٤٨١/٢ وقال: "وهذا إسناد لا يثبت".
والحديث رواه ابن ابي حاتم(١٤٦٦٤):ص٢٦١٠/٨.
ورواه أبو نعيم في الحلية (١٠٨/٤) من طريق ابن حمير عن الثوري عن شقيق عن عبد الله بن مسعود بنحوه، وقال: "غريب من حديث الأعمش، عزيز عجيب من حديث الثوري، تفرد به إسماعيل بن عبيد الله الكندي عن الأعمش، وعن إسماعيل بقية بن الوليد، وحديث الثوري لم نكتبه إلا عن هذا الشيخ".

قوله تعالى:{وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} [الشورى :٢٦]، أي:" والكافرون بالله ورسوله لهم يوم القيامة عذاب شديد موجع مؤلم"[٣١٩٥].

قال الطبري: يقول:" والكافرون بالله لهم يوم القيامة عذاب شديد على كفرهم به"[٣١٩٦].

فوائد الآيات: [٢٢-٢٦]:

١- تقرير حق القرابة ووجوب المودة فيها. واحترام قرابة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتقديرها.

٢- تبرئة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الافتراء على الله عز وجل.

٣- مضاعفة الحسنات، وشكر الله للصالحات من أعمال عباده المؤمنين.

٤- وجوب التوبة وقبول الله تعالى لها، وقد كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتوب إلى الله في اليوم مائة مرة. وللتوبة ثلاثة شروط: الإقلاع الفوري عن المعصية، والاستغفار، والندم على ما فعل من المعصية بترك الواجب أو بفعل المحرم. وإن كان الذنب يتعلق بحق آدمي زاد شرط رابع وهو التحلل من الآدمي بأداء الحق أو بطلب العفو منه.

٥- وعد الله تعالى باستجابة دعاء المؤمنين العاملين للصالحات وهم أولياء الله تعالى الذين إن سألوا أعطاهم وإن استعاذوه أعاذهم وإن استنصروه نصرهم. اللهم اجعلنا منهم واحشرنا في زمرتهم.

القرآن

{وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٧)} [الشورى :٢٧]

التفسير:

ولو بسط الله الرزق لعباده فوسَّعه عليهم، لبغوا في الأرض أشَرًا وبطرًا، ولطغى بعضهم على بعض، ولكن الله ينزل أرزاقهم بقدر ما يشاء لكفايتهم. إنه بعباده خبير بما يصلحهم، بصير بتدبيرهم وتصريف أحوالهم.

سبب النزول:

قال أبو هانئ: "سمعت عمرو بن حريث وغيره يقولون: إنما أزلت هذه الآية في أصحاب الصُّفَّة: {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأرْضِ وَلَكِنْ يُنزلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ}، ذلك بأنهم قالوا: لو أن لنا، فتمنوا"[٣١٩٧].

عن حيوة بن شريح قال: حدثنا أبو هانئ الخولاني أنه سمع عمرو بن حريث وغيره يقولان: " إنما أنزلت هذه الآية في أصحاب الصفة: {وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ} [الشورى: ٢٧]، وذلك أنهم قالوا: لو أن لنا الدنيا، فتمنوا الدنيا"[٣١٩٨].

قال خبّاب بن الأرتّ: "فينا نزلت هذه الآية؛ وذلك أنّا نظرنا إلى أموال قريظة والنضير، فتمنّيناها؛ فأنزل الله -تبارك وتعالى- هذه الآية"[٣١٩٩].

قوله تعالى:{وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ} [الشورى :٢٧]، أي:" ولو بسط الله الرزق لعباده فوسَّعه عليهم، لبغوا في الأرض أشَرًا وبطرًا، ولطغى بعضهم على بعض"[٣٢٠٠].

(٣١٩٥) التفسير الميسر: ٤٨٦.

(٣١٩٦) تفسير الطبري: ٥٣٤/٢١.

(٣١٩٧) أخرجه الطبري: ٥٣٥/٢١-٥٣٦.

(٣١٩٨) الزهد والرقائق لابن المبارك(٥٥٤):ص١٩٤/١. وقال:"قال ابن صاعد: عمرو بن حريث هذا رجل من مصر، ليست له صحبة، وليس هو عمرو بن حريث المخزومي، الذي رأى النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عنه".

(٣١٩٩)أورده الثعلبي ٨/ ٣١٧، والواحدي في التفسير الوسيط ٤/ ٥٤.

(٣٢٠٠) التفسير الميسر: ٤٨٦.

قال الطبري: ذكر أن هذه الآية نزلت من أجل قوم من أهل الفاقة من المسلمين تمنوا سعة الدنيا والغنى، فمال جلّ ثناؤه: ولو بسط الله الرزق لعباده، فوسعه وكثره عندهم لبغوا، فتجاوزوا الحدّ الذي حدّه الله لهم إلى غير الذي حدّه لهم في بلاده بركوبهم في الأرض ما حظره عليهم"[٣٢٠١].

قال ابن كثير:" أي : لو أعطاهم فوق حاجتهم من الرزق ، لحملهم ذلك على البغي والطغيان من بعضهم على بعض ، أشرا وبطرا"[٣٢٠٢].

قال قتادة:" كان يقال: خير الرزق ما لا يُطغيك ولا يُلهيك"[٣٢٠٣].

وفي الحديث:«إن أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر لهم المال فيتشاجوا ويقتتلوا»[٣٢٠٤].

عن أبي سعيد، قال: "جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر، وجلسنا حوله، فقال: «إنما أخاف عليكم بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها» فقال رجل: أو يأتي الخير بالشر، فسكت، فقيل له: ما شأنك تكلم النبي صلى الله عليه وسلم ولا يكلمك، ورئينا أنه ينزل عليه، فأفاق فمسح عنه الرحضاء، فقال: «أين السائل؟» وكأنه حمده، فقال: «إنه لا يأتي الخير بالشر، وإن مما ينبت الربيع يقتل حبطا أو يلم إلا آكلة الخضر، فإنها أكلت حتى إذا امتلأت خاصرتاها، ثم استقبلت عين الشمس، فبالت، وثلطت، ورتعت، وإن هذا المال خضر حلو، ونعم مال المسلم هو لمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل» أو كالذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنه من يأخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع، ويكون عليه شهيدا يوم القيامة "[٣٢٠٥].

قوله تعالى:{وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ} [الشورى :٢٧]، أي:" ولكن الله ينزل أرزاقهم بقدر ما يشاء لكفايتهم"[٣٢٠٦].

قال الطبري:أي:" ولكنه ينزل رزقهم بقدر لكفايتهم الذي يشاء منه"[٣٢٠٧].

قال ابن كثير:" أي : ولكن يرزقهم من الرزق ما يختاره مما فيه صلاحهم"[٣٢٠٨].

قوله تعالى:{إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ} [الشورى :٢٧]، أي:" إنه بعباده خبير بما يصلحهم، بصير بتدبيرهم وتصريف أحوالهم"[٣٢٠٩].

عن قتادة، قوله: "{ خَبِيرٌ}، قال: " خبير بخلقه"[٣٢١٠].

قال الطبري: يقول:" إن الله بما يصلح عباده ويفسدهم من غنى وفقر وسعة وإقتار، وغير ذلك من مصالحهم ومضارهم، ذو خبرة، وعلم، بصير بتدبيرهم، وصرفهم فيما فيه صلاحهم"[٣٢١١].

قال ابن كثير:" فيغني من يستحق الغنى، ويفقر من يستحق الفقر. كما جاء في الحديث المروي : «إن من عبادي لمن لا يصلحه إلا الغنى ، ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه ، وإن من عبادي لمن لا يصلحه إلا الفقر ، ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه»[٣٢١٢]"[٣٢١٣].

(٣٢٠١) تفسير الطبري: ٥٣٥/٢١.
(٣٢٠٢) تفسير ابن كثير: ٢٠٦/٧.
(٣٢٠٣) اخرجه الطبري: ٥٣٦/٢١.
(٣٢٠٤) قطعة من حديث رواه ابن ابي عاصم في الآحاد والمثاني(٢٥٠٨):ص٤٥٣/٤.
(٣٢٠٥) مسند احمد(١١٠٣٥):ص٨٣/١٧-٨٤، ومسند أبي داود(٢٢٩٤):ص٦٣٤/٣[واللفظ له]، ومسند ابن أبي شيبة(٣٤٣٨١):ص٨٤/٧.
(٣٢٠٦) التفسير الميسر: ٤٨٦.
(٣٢٠٧) تفسير الطبري: ٥٣٥/٢١.
(٣٢٠٨) تفسير ابن كثير: ٢٠٦/٧.
(٣٢٠٩) التفسير الميسر: ٤٨٦.
(٣٢١٠) تفسير عبدالرزاق(٢٣٨٩):ص٥٦/٣.
(٣٢١١) تفسير الطبري: ٥٣٦/٢١.

القرآن
{وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (٢٨)} [الشورى :٢٨]

التفسير:

والله وحده هو الذي ينزل المطر من السماء، فيغيثهم به من بعد ما يئسوا من نزوله، وينشر رحمته في خلقه، فيعمهم بالغيث، وهو الوليُّ الذي يتولى عباده بإحسانه وفضله، الحميد في ولايته وتدبيره.

قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا} [الشورى :٢٨]، أي:" والله وحده هو الذي ينزل المطر من السماء، فيغيثهم به من بعد ما يئسوا من نزوله"[٣٢١٤].

قال الطبري: يقول:" والله الذي ينزل المطر من السماء فيغيثكم به أيها الناس من بعد ما يئس من نزوله ومجيئه"[٣٢١٥].

قال ابن كثير:" أي : من بعد إياس الناس من نزول المطر ، ينزله عليهم في وقت حاجتهم وفقرهم إليه ، كقوله : {وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنزلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ} [الروم : ٤٩]"[٣٢١٦].

عن مجاهد، قوله: "{مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا}، قال: يئسوا"[٣٢١٧].

قال قتادة:" ذكر لنا أن رجلا أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: يا أمير المؤمنين قحط المطر، وقنط الناس قال: مطرتم: {وَهُوَ الَّذِي يُنزلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ}"[٣٢١٨].

عن قتادة: "أنه قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: أجدبت الأرض، وقنط الناس، قال: مطروا إذن"[٣٢١٩].

قرأ نافع وابن عامر وعاصم :«وهو الذي ينزل الغيث»، بالتشديد، وقرأ الباقون بالتخفيف وهما لغتان[٣٢٢٠].

قوله تعالى:{وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ} [الشورى :٢٨]، أي:" وينشر رحمته في خلقه، فيعمهم بالغيث"[٣٢٢١].

قال يحيى بن سلام:" يعني: ويبسط رحمته، يعني: نعمه وهو المطر "[٣٢٢٢].

قال السمعاني:" أي: بإنزال الغيث"[٣٢٢٣].

قال ابن كثير:" أي : يعم بها الوجود على أهل ذلك القُطْر وتلك الناحية"[٣٢٢٤].

قال أبو هلال العسكري:"وقيل: {وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ} يعني: رزقه"[٣٢٢٥].

(٣٢١٢)أخرجه ابن أبى الدنيا فى الأولياء (ص ٩، رقم ١) ، والحكيم (٢/٢٣٢) ، وأبو نعيم فى الحلية (٨/٣١٨) ، وابن عساكر (٧/٩٥).

(٣٢١٣) تفسير ابن كثير: ٧/٢٠٦.

(٣٢١٤) التفسير الميسر: ٤٨٦.

(٣٢١٥) تفسير الطبري: ٢١/٥٣٧.

(٣٢١٦) تفسير ابن كثير: ٧/٢٠٦.

(٣٢١٧) أخرجه الطبري: ٢١/٥٣٧.

(٣٢١٨) أخرجه الطبري: ٢١/٥٣٧.

(٣٢١٩) أخرجه الطبري: ٢١/٥٣٧.

(٣٢٢٠) انظر: حجة القراءات: ٦٤١.

(٣٢٢١) التفسير الميسر: ٤٨٦.

(٣٢٢٢)التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه:٢٥٦ .

(٣٢٢٣) تفسير السمعاني: ٥/٧٧.

(٣٢٢٤) تفسير ابن كثير: ٧/٢٠٦.

قال السدي:" وأمّا {رحمته}، فهو المطر"[٣٢٢٦].
قال أبو عبدالله الحليمي:" فبان بهذه الآية أن حال نزول الغيث حال رحمته، والاسترحام في حال الرحمة إرجاء فيه حال لا يعرف حقبها"[٣٢٢٧].
قال قتادة:" ذُكر لنا أنّ رجلًا أتى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، فقال: يا أمير المؤمنين قحط المطر وقنط النّاس. قال: مطرتم، ثمّ قال: {وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ}"[٣٢٢٨].
عن ثابت، قال: "بلغنا: أنّه يُستجاب الدعاء عند المطر. ثم تلا هذه الآية: {وهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الغَيثَ مِن بَعْدِ ما قَنَطُوا}"[٣٢٢٩].
قوله تعالى:{وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ} [الشورى :٢٨]، أي:" وهو الوليُّ الذي يتولى عباده بإحسانه وفضله، الحميد في ولايته وتدبيره"[٣٢٣٠].
قال الطبري: " يقول: وهو الذي يليكم بإحسانه وفضله، الحميد بأياديه عندكم، ونعمه عليكم في خلقه"[٣٢٣١].
قال ابن كثير:" أي : هو المتصرف لخلقه بما ينفعهم في دنياهم وأخراهم ، وهو المحمود العاقبة في جميع ما يقدره ويفعله"[٣٢٣٢].
قال السمعاني:" أي: المالك لما يفعله، المستحق للحمد فيما ينزله من الغيث"[٣٢٣٣].
عن السدي، قوله: " أما {الولي}، فالذي يتولاه الله ويقر له بالربوبية"[٣٢٣٤].

القرآن
{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (٢٩)} [الشورى :٢٩]
التفسير:
ومن آياته الدالة على عظمته وقدرته وسلطانه، خَلْقُ السموات والأرض على غير مثال سابق، وما نشر فيهما من أصناف الدواب، وهو على جَمْع الخلق بعد موتهم لموقف القيامة إذا يشاء قدير، لا يتعذر عليه شيء.
قوله تعالى:{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ} [الشورى :٢٩]، أي:" ومن آياته الدالة على عظمته وقدرته وسلطانه، خَلْقُ السموات والأرض على غير مثال سابق، وما نشر فيهما من أصناف الدواب"[٣٢٣٥].
قال الطبري: يقول:" ومن حججه عليكم أيها الناس أنه القادر على إحيائكم بعد فنائكم، وبعثكم من قبوركم من بعد بلائكم: خلقه السموات والأرض وما فرّق في السموات والأرض من دابة"[٣٢٣٦].

(٣٢٢٥) الوجوه والنظائر: ٣٣٧.
(٣٢٢٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٠٩):ص١٥٠٢/٥.
(٣٢٢٧) المنهاج في شعب الإيمان:١/ ٥٣٨.
(٣٢٢٨) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٧٦/٢٣، د. دار التفسير، وأخرجه الطبري في "جامع البيان" ٢٥/ ٣١ عن بشر، عن يزيد، عن سعيد به.
وعزاه السيوطي في "الدر المنثور" ٧/ ٣٥٣ لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.
(٣٢٢٩) الدر المنثور: ٣٥٤/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.
(٣٢٣٠) التفسير الميسر: ٤٨٦.
(٣٢٣١) تفسير الطبري: ٥٣٧/٢١.
(٣٢٣٢) تفسير ابن كثير: ٢٠٧/٧.
(٣٢٣٣) تفسير السمعاني: ٧٧/٥.
(٣٢٣٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٠٣٠):ص٢٦٧٢/٨.
(٣٢٣٥) التفسير الميسر: ٤٨٦.
(٣٢٣٦) تفسير الطبري: ٥٣٨/٢١.

قال ابن كثير:" {وَمِنْ آيَاتِهِ} الدالة على عظمته وقدرته العظيمة وسلطانه القاهر {خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا} أي : ذرأ فيهما ، أي : في السموات والأرض ، {مِنْ دَابَّةٍ} وهذا يشمل الملائكة والجن والإنس وسائر الحيوانات ، على اختلاف أشكالهم وألوانهم ولغاتهم ، وطباعهم وأجناسهم ، وأنواعهم ، وقد فرقهم في أرجاء أقطار الأرض والسموات"(٣٢٣٧).

قال ابن قتيبة: {وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ} أي: نشر"(٣٢٣٨).

وفي قوله تعالى:{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ} [الشورى :٢٩]، قولان:

أحدهما: أن المراد به: وما بث في الأرض من دابة، فذكر السماء والأرض، والمراد أحدهما، وهو مثل قوله تعالى: {يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ} [الرحمن : ٢٢]، وإنما يخرج من الملح دون العذاب. قاله الفراء(٣٢٣٩).

قال النحاس:" والذي قاله [الفراء] لا يعرف في تفسير ولا لغة ولا معقول أي يخبر عن اثنين بخبر واحد، وهذا بطلان البيان والتجاوز إلى ما يحظره الدّين. والعرب تقول: لكل ما تحرّك من شيء دبّ فهو دابّ ثم تدخل الهاء للمبالغة فتقول: دابّة. وسمعت علي بن سليمان يقول: في «دابّة» لتأنيث الصيغة"(٣٢٤٠).

الثاني: أن قوله: {وما بث فيهما من دابة} وهو على حقيقته، والدابة كل ما يدب، والملائكة مما يدب، قاله مجاهد(٣٢٤١)، ومقاتل(٣٢٤٢).

عن مجاهد، قوله: "{وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ}، قال: الناس والملائكة"(٣٢٤٣).

قال مقاتل:" يعني: الملائكة في السموات والخلائق في الأرض"(٣٢٤٤).

قوله تعالى:{وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ} [الشورى :٢٩]، أي:" وهو على جَمْع الخلق بعد موتهم لموقف القيامة إذا يشاء قدير، لا يتعذر عليه شيء"(٣٢٤٥).

قال الطبري: " يقول: وهو على جمع ما بث فيهما من دابة إذا شاء جمعه، ذو قدرة لا يتعذر عليه، كما لم يتعذر عليه خلقه وتفريقه، يقول تعالى ذكره: فكذلك هو القادر على جمع خلقه بحشر يوم القيامة بعد تفرق أوصالهم في القبور"(٣٢٤٦).

قال ابن كثير:" أي : يوم القيامة يجمع الأولين والآخرين وسائر الخلائق في صعيد واحد ، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر ، فيحكم فيهم بحكمه العدل الحق"(٣٢٤٧).

القرآن

{وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (٣٠)} [الشورى : ٣٠]

التفسير:

وما أصابكم -أيها الناس- من مصيبة في دينكم ودنياكم فبما كسبتم من الذنوب والآثام، ويعفو لكم ربكم عن كثير من السيئات، فلا يؤاخذكم بها.

قوله تعالى:{وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} [الشورى :٣٠]، أي:" وما أصابكم -أيها الناس- من مصيبة في دينكم ودنياكم فبما كسبتم من الذنوب والآثام"(٣٢٤٨).

(٣٢٣٧) تفسير ابن كثير: ٢٠٧/٧.
(٣٢٣٨) غريب القرآن: ٣٩٣.
(٣٢٣٩) انظر: معاني القرآن: ٢٤/٣.
(٣٢٤٠) إعراب القرآن: ٥٦/٤.
(٣٢٤١) أخرجه الطبري: ٥٣٨/٢١.
(٣٢٤٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٧٠/٣.
(٣٢٤٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٨/٢١.
(٣٢٤٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٧٠/٣.
(٣٢٤٥) التفسير الميسر: ٤٨٦.
(٣٢٤٦) تفسير الطبري: ٥٣٨/٢١.
(٣٢٤٧) تفسير ابن كثير: ٢٠٧/٧.

قال الطبري: يقول:" وما يصيبكم أيها الناس من مصيبة في الدنيا في أنفسكم وأهليكم وأموالكم فإنما يصيبكم ذلك عقوبة من الله لكم بما اجترمتم من الآثام فيما بينكم وبين ربكم"[٣٢٤٩].

قال ابن كثير:" أي : مهما أصابكم أيها الناس من المصائب فإنما هو عن سيئات تقدمت لكم"[٣٢٥٠].

وفي قوله تعالى:{وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} [الشورى :٣٠]، قولان:
أحدهما : أنه الحدود على المعاصي. قاله الحسن[٣٢٥١].

عن الحسن:" {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ} ... الآية، قال: هذا في الحدود"[٣٢٥٢].

عن الحسن:"{وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} [الشورى: ٣٠] قَالَ: «الْحُدُودُ»"[٣٢٥٣].

الثاني : أنها البلوى في النفوس والأموال عقوبة على المعاصي والذنوب. وهذا معنى قول ابن عباس[٣٢٥٤]، وعكرمة[٣٢٥٥].

قال ابن عباس:" يعجل للمؤمنين عقوبتهم بذنوبهم ولا يؤاخذون بها في الآخرة"[٣٢٥٦].

وقال عكرمة: "ما من نكبة أصابت عبدًا فما فوقها إلاّ بذنب لم يكن الله ليغفر له إلاّ بها، أو درجة لم يكن الله ليبلّغه إلاّ بها"[٣٢٥٧].

قال قتادة:" ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول:"لا يصيب ابن آدم خدش عود، ولا عثرة قدم، ولا اختلاج عرق إلا بذنب، وما يعفو عنه أكثر"[٣٢٥٨].

قال الحسن:" «بلغنا أنه ليس من أحد تصيبه عثرة قدم أو خدش عود، أو كذا ، إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر»"[٣٢٥٩].

قال الحسن:" ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا هو بذنب وما يعفوا الله عنا أكثر ثم قرأ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير"[٣٢٦٠].

عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما من خدش عود ، ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق إلا بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر ، ثم قرأ: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} [الشورى: ٣٠]" [٣٢٦١].

وفي الحديث الصحيح : "والذي نفسي بيده ، ما يصيب المؤمن من نصب ولا وَصَب ولا هم ولا حُزَن ، إلا كفر الله عنه بها من خطاياه ، حتى الشوكة يشاكها"[٣٢٦٢].

(٣٢٤٨) التفسير الميسر: ٤٨٦.
(٣٢٤٩) تفسير الطبري: ٥٣٨/٢١.
(٣٢٥٠) تفسير ابن كثير: ٢٠٧/٧.
(٣٢٥١) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٩/٢١.
(٣٢٥٢) أخرجه الطبري: ٥٣٩/٢١.
(٣٢٥٣) تفسير عبدالرزاق(٢٧٤٠):ص١٦٢/٣.
(٣٢٥٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٩/٢١.
(٣٢٥٥) الكشف والبيان: ٣٨٣/٢٣. ط. دار التفسير.
(٣٢٥٦) أخرجه الطبري: ٥٣٩/٢١.
(٣٢٥٧) الكشف والبيان: ٣٨٣/٢٣. ط. دار التفسير.
(٣٢٥٨) أخرجه الطبري: ٥٣٩/٢١.
(٣٢٥٩) تفسير عبدالرزاق(٢٧٤١):ص١٦٢/٣.
(٣٢٦٠) تفسير سفيان الثوري(٨٦٥: ١: ٥):ص٢٦٨.
(٣٢٦١) رواه عبدالرزاق في "التفسير"(٢٧٤٢):ص١٦٢/٣، وابن ابي حاتم(١٨٤٨١):ص٣٢٧٨/١٠، وكما في تفسير ابن كثير: ٢٠٨/٧. وفي رواية ابن أبي حاتم: عن الحسن - هو البصري - قال في قوله : {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} قال : لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "والذي نفس محمد بيده ، ما من خَدْش عود ، ولا اختلاج عرق ، ولا عَثْرة قدم ، إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر".
(٣٢٦٢)صحيح البخاري برقم (٥٦٤١ ، ٥٦٤٢) وصحيح مسلم برقم (٢٥٧٣) "من حديث أبي سعيد الخدري

عن معاوية ابن أبي سفيان ، رضي الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "ما من شيء يصيب المؤمن في جسده يؤذيه إلا كَفَّرَ الله عنه به من سيئاته"(٣٢٦٣).

عن عائشة-رضي الله عنها- قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا كثرت ذنوب العبد ، ولم يكن له ما يكفرها ، ابتلاه الله بالحَزَن ليكفرها"(٣٢٦٤).

عن الضحاك، قال: "ما تعلَّم رجلٌ القرآن ثمّ نسيه إلاّ بذنب، ثمّ قرأ {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ}، قال: وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن"(٣٢٦٥).

عن أبي البلاد، قال : "قلت للعلاء بن بدر : {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} ، وقد ذهب بصري وأنا غلام ؟ قال : فبذنوب والديك"(٣٢٦٦).

عن أيوب، قال: "قرأت في كتاب أبي قلابة، قال: نزلت: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} وأبو بكر رضي الله عنه يأكل، فأمسك فقال: يا رسول الله إني لراء ما عملت من خير أو شر؟ فقال:"أرأيت ما رأيت مما تكره فهو من مثاقيل ذر الشر، وتدخر مثاقيل الخير حتى تعطاه يوم القيامة"، قال: قال أبو إدريس: فأرى مصداقها في كتاب الله، قال: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ}"(٣٢٦٧).

عن محمَّد بن سيرين، قال: "لما ركبه الدَّين اغتمّ لذلك، فقال: إنّي لأعرف هذا الغم، هذا بذنب أصبته منذ أربعين سنة"(٣٢٦٨).

عن أحمد بن الحواري، قال: قيل لأبي سليمان الداراني: ما بال العقلاء أزالوا اللّوم عمن أساء إليهم؟ قال: لأنّهم يعلمون أنّ الله تعالى إنّما ابتلاهم بذنوبهم، قال الله تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ}"(٣٢٦٩).

قوله تعالى:{وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} [الشورى :٣٠]، أي:" ويعفو لكم ربكم عن كثير من السيئات، فلا يؤاخذكم بها"(٣٢٧٠).

قال الطبري: يقول: " ويعفو لكم ربكم عن كثير من إجرامكم، فلا يعاقبكم بها"(٣٢٧١).

قال ابن كثير:" أي : من السيئات ، فلا يجازيكم عليها بل يعفو عنها ، {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ} [فاطر : ٤٥]"(٣٢٧٢).

عن علي ، رضي الله عنه قال : "ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله عز وجل ، وحدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ}. وسأفسرها لك يا علي : "ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا ، فبما كسبت أيديكم والله تعالى أحلم من أن يُثَنِّي عليه العقوبة في الآخرة ، وما عفا الله عنه في الدنيا فالله تعالى أكرم من أن يعود بعد عفوه"(٣٢٧٣).

وأبي هريرة رضي الله عنهما".

(٣٢٦٣)المسند (٩٨/٤) قال الهيثمي في المجمع (٣٠١/٣) : "رجال أحمد رجال الصحيح".

(٣٢٦٤)المسند (١٥٧/٦).

(٣٢٦٥) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٨٣/٢٣، ط. دار التفسير، ورواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٠٩/٧.

(٣٢٦٦) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٠٩/٧.

(٣٢٦٧) أخرجه الطبري: ٥٣٨/٢١-٥٣٩. وقال:" حدّث هذا الحديث الهيثم بن الربيع، فقال فيه أيوب عن أبي قلابة، عن أنس، أن أبا بكر رضي الله عنه كان جالسا عند النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فذكر الحديث، وهو غلط، والصواب عن أبي إدريس".

(٣٢٦٨) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٨١/٢٣. [رجاله ثقات]

(٣٢٦٩) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٣٨١/٢٣-٣٨٢.

(٣٢٧٠) التفسير الميسر: ٤٨٦.

(٣٢٧١) تفسير الطبري: ٥٣٨/٢١.

(٣٢٧٢) تفسير ابن كثير: ٢٠٧/٧.

(٣٢٧٣) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٠٨/٧، ورواه الإمام احمد بنحوه في المسند (٩٨/٤) قال الهيثمي في المجمع (٣٠١/٣) : "رجال أحمد رجال الصحيح"

ةوعن أبي جُحَيفَة قال : دخلت على علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، فقال : ألا أحدثكم بحديث ينبغي لكل مؤمن أن يَعيَه؟ قال : فسألناه فتلا هذه الآية : {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} قال : ما عاقب الله به في الدنيا فالله أحلم من أن يُثَنِّي عليه العقوبة يوم القيامة ، وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أكرم من أن يعود في عفوه يوم القيامة"(٣٢٧٤).

عمران بن حصين ، رضي الله عنه ، قال : "دخل عليه بعض أصحابه وقد كان ابتلي في جسده ، فقال له بعضهم إنا لَنَبْتَئِسُ لك لما نرى فيك. قال : فلا تبتئس بما ترى ، فإن ما ترى بذنب ، وما يعفو الله عنه أكثر ، ثم تلا هذه الآية : {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ}"(٣٢٧٥).

القرآن

{وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٣١)} [الشورى : ٣١]

التفسير:

وما أنتم -أيها الناس- بمعجزين قدرة الله عليكم، ولا فائتيه، وما لكم من دون الله مِن وليٍّ يتولى أموركم، فيوصل لكم المنافع، ولا نصير يدفع عنكم المضارَّ.

قوله تعالى:{وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ} [الشورى :٣١]، أي:" وما أنتم -أيها الناس- بمعجزين قدرة الله عليكم، ولا فائتيه"(٣٢٧٦).

قال السدي:" يعني: ما أنتم بسابقي الله بأعمالكم الخبيثة، فتفوتوه هربا"(٣٢٧٧).

قال الطبري:" يقول: وما أنتم أيها الناس بمفيتي ربكم بأنفسكم إذا أراد عقوبتكم على ذنوبكم التي أذنبتموها، ومعصيتكم إياه التي ركبتموها هربا في الأرض، فمعجزيه، حتى لا يقدر عليكم، ولكنكم حيث كنتم في سلطانه وقبضته، جارية فيكم مشيئته"(٣٢٧٨).

قال الزجاج:" أي: ليس يعجز اللَّهَ خلقٌ في السماء ولَا في الأرْض، وفي هذا قولان:

أحَدُهُما: معناهُ: ما أنتم بمعجزين في الأرض ولا أهل السماء مُعْجِزين في السَّمَاءِ.

ويجوز - والله أعلم -: وما أنتُمْ بمعجزين في الأرْض، ولا لو كنتم في السماء، أي: لا ملجأ من الله إلا إليه"(٣٢٧٩).

قال النحاس:" {وما أنتُمْ بمعجزين}، قال محمد بن يزيد: أي: بسابقين، يقال: أعجز، إذا عدا فسبق"(٣٢٨٠).

قال ابن أبي زمنين:" يقوله للمشركين: ما أنتم بسابقي الله حتى لا يبعثكم ثم يعذبكم"(٣٢٨١).

عن ابن الزبير:"{بمعجزين}، يعني: مثبطين "(٣٢٨٢).

قال ابن زيد:" لا يعجز أهل الأرضين في الأرضين، ولا أهل السماوات في السماوات إن عصوه وقرأ: {لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [سبأ : ٣]"(٣٢٨٣).

(٣٢٧٤) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٠٨/٧.

(٣٢٧٥) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢٠٨/٧-٢٠٩.

(٣٢٧٦) التفسير الميسر: ٤٨٦.

(٣٢٧٧) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٦٢٤/٢.

(٣٢٧٨) تفسير الطبري: ٥٣٩/٢١-٥٤٠.

(٣٢٧٩) معاني القرآن: ١٦٥/٤.

(٣٢٨٠) إعراب القرآن: ٥٧/٤.

(٣٢٨١) تفسير ابن أبي زمنين: ١٦٩/٤.

(٣٢٨٢)أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٢٣٠):ص ٩/ ٣٠٤٦.

قوله تعالى:{وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [الشورى :٣١]، أي:" وما لكم من دون الله مِن وليٍّ يتولى أموركم، فيوصل لكم المنافع، ولا نصير يدفع عنكم المضار"[٣٢٨٤].

قال السدي:" يعني: من قريب يمنعكم، يعني: الكفار"[٣٢٨٥].

قال ابن أبي زمنين:"{مِن ولي} يمنعكم من عذابه، {ولا نصير} ينتصر لكم"[٣٢٨٦].

قال الطبري: "{مِنْ وَلِيٍّ} يليكم بالدفاع عنكم إذا أراد عقوبتكم على معصيتكم إياه، ولا لكم من دونه {نَصِيرٍ} ينصركم إذا هو عاقبكم، فينتصر لكم منه، فاحذروا أيها الناس معاصيه، واتقوه أن تخالفوه فيما أمركم أو نهاكم، فإنه لا دافع لعقوبته عمن أحلها به"[٣٢٨٧].

فوائد الآيات: [٢٧-٣١]:

١- بيان الحكمة في تقدير الأرزاق وإعطائها بمقادير محددة.

٢- من مظاهر ربوبية الله تعالى الموجبة لألوهيته على عباده إنزال الغيث بعد اليأس والقنوط وخلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة.

٣- بيان حقيقة علمية ثابتة وهي أن المخالفة للقوانين يترتب عليه ضرر يصيب المخالف.

٤- بيان أنه ما من مصيبة تصيب المرء في نفسه أو ولده أو ماله إلا بذنب ارتكبه.

٥- بيان أن من الذنوب ما يعفو الله تعالى عنه ولا يؤاخذ به تكرماً وإحساناً.

قال إبراهيم بن عرفة: "الكثير الذي يعفو الله عز وجل عنه لا يحصى. وهذه من أرجى آية في القرآن"[٣٢٨٨].

وقال علي رضي الله عنه في هذه الآية: "إذا كان يكفر عني بالمصائب ويعفو عن كثير فماذا يبقى من ذنوبي بين كفارته وعفوه"[٣٢٨٩].

وقال أبو وائل: "ما من مسلم يشاك بشوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة، وحط عنه بها خطيئة"[٣٢٩٠].

القرآن

{وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٣٢) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣)} [الشورى :٣٢-٣٣]

التفسير:

ومن آياته الدالة على قدرته الباهرة وسلطانه القاهر السفن العظيمة كالجبال تجري في البحر. إن يشأ الله الذي أجرى هذه السفن في البحر يُسكن الريح، فتَبْقَ السفن سواكن على ظهر البحر لا تجري، إن في جَرْي هذه السفن ووقوفها في البحر بقدرة الله لَعظات وحججًا بيِّنة على قدرة الله لكل صبار على طاعة الله، وعن المعاصي، وعلى أقدار الله المؤلمة، شكور لنعمه وأفضاله.

قوله تعالى:{وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ} [الشورى : ٣٢]، أي:" ومن آياته الدالة على قدرته الباهرة وسلطانه القاهر السفن العظيمة كالجبال تجري في البحر"[٣٢٩١].

قال الطبري: يقول:" ومن حجج الله أيها الناس عليكم بأنه القادر على كل ما يشاء، وأنه لا يتعذر عليه فعل شيء أراده، السفن الجارية في البحر. و{الجواري}: جمع جارية، وهي السائرة في البحر، {كالأعلام} يعني كالجبال: واحدها :علم; ومنه قول الشاعر[٣٢٩٢]:

(٣٢٨٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٢٣١):ص٣٠٤٧/٩.

(٣٢٨٤) التفسير الميسر: ٤٨٦.

(٣٢٨٥) علقه يحيى بن سلام في "التفسير": ٦٢٤/٢.

(٣٢٨٦) تفسير ابن أبي زمنين: ١٦٩/٤.

(٣٢٨٧) تفسير الطبري: ٥٤٠/٢١.

(٣٢٨٨) نقلا عن: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦٥٩٧/١٠.

(٣٢٨٩) نقلا عن: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦٥٩٧/١٠.

(٣٢٩٠) نقلا عن: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٦٥٩٧/١٠.

(٣٢٩١) التفسير الميسر: ٤٨٧.

.... كأنّه عَلَمٌ فِي رَأسِهِ نارُ

يعني: جبل"[٣٢٩٣].

قال ابن كثير:" يقول تعالى : ومن آياته الدالة على قدرته وسلطانه ، تسخيره البحر لتجري فيه الفلك بأمره ، وهي الجواري في البحر كالأعلام... أي : هي في البحر كالجبال في البر "[٣٢٩٤].

قال ابن قتيبة:{الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ}،" يعني: السفن، {كَالأَعْلامِ} أي الجبال. واحدها: عَلَم"[٣٢٩٥].

قال السدي: الأعلام: الجبال"[٣٢٩٦].

قال أبو عبيدة:"{كَالْأَعْلَامِ}، أي: الجبال"[٣٢٩٧].

عن مجاهد، قوله: "{وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ}، يعني: «السفن» {كَالْأَعْلَامِ}، يعني: «كالجبال»"[٣٢٩٨].

قال مقاتل:" يعني: السفن تجري في البحر بالرياح {كالأعلام}، شبه السفن في البحر كالجبال في البر "[٣٢٩٩].

قرأ نافع: «الجواري»، بياء في الوصل وبغير ياء في الوقف[٣٣٠٠].

قوله تعالى:{إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ} [الشورى : ٣٣]، أي:" إن يشأ الله الذي أجرى هذه السفن في البحر يُسكن الريح، فتَبْقَ السفن سواكن على ظهر البحر لا تجري"[٣٣٠١].

قال الطبري: يقول:" إن يشأ الله الذي قد أجرى هذه السفن في البحر أن لا تجري فيه، أسكن الريح التي تجري بها فيه، فثبتن في موضع واحد، ووقفن على ظهر الماء لا تجري، فلا تتقدم ولا تتأخر"[٣٣٠٢].

قال أبو عبيدة:"{رَوَاكِدَ}: سواكن "[٣٣٠٣].

قال ابن قتيبة: "أي: سواكنَ على ظهر البحر"[٣٣٠٤].

عن ابن عباس، قوله: "{فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ}، يقول: وقوفا"[٣٣٠٥].

عن السدي:"{إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِه}: لا تجري"[٣٣٠٦].

قال قتادة:" سفن هذا البحر تجري بالريح فإذا أمسكت عنها الريح ركدت"[٣٣٠٧].

(٣٢٩٢)هذا عجز بيت للخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمي، من قصيدة ترثي بها أخاها صخرا، وصدره:«وإن صخرا لتأتم الهداة به».
وبيت الخنساء في "ديوانها" ص ٤٩، و "بلاغات النساء": ٣١، و"معنى اللبيب وشواهده" ص ٥٦٦.

(٣٢٩٣) تفسير الطبري: ٥٤٠/٢١-٥٤١.
(٣٢٩٤) تفسير ابن كثير: ٢٠٩/٧.
(٣٢٩٥) غريب القرآن: ٣٩٣.
(٣٢٩٦) أخرجه الطبري: ٥٤١/٢١.
(٣٢٩٧) مجاز القرآن: ٢٠٠/٢.
(٣٢٩٨) تفسير مجاهد: ٥٩٠، وتفسير الطبري: ٥٤٠/٢١، ٥٤١.
(٣٢٩٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٧١/٣.
(٣٣٠٠) انظر: السبعة في القراءات: ٥٨١.
(٣٣٠١) التفسير الميسر: ٤٨٧.
(٣٣٠٢) تفسير الطبري: ٥٤١/٢١.
(٣٣٠٣) مجاز القرآن: ٢٠٠/٢.
(٣٣٠٤) غريب القرآن: ٣٩٣.
(٣٣٠٥) أخرجه الطبري: ٥٤١/٢١-٥٤٢.
(٣٣٠٦) أخرجه الطبري: ٥٤١/٢١.
(٣٣٠٧) أخرجه الطبري: ٥٤١/٢١.

قال ابن كثير:" {إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ} أي : التي تسير بالسفن، لو شاء لسكنها حتى لا تتحرك السفن ، بل تظل راكدة لا تجيء ولا تذهب ، بل واقفة على ظهره ، أي : على وجه الماء"(٣٣٠٨).

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} [الشورى : ٣٣]، أي:" إن في جَرْيِ هذه السفن ووقوفها في البحر بقدرة الله لعظات وحججًا بيِّنة على قدرة الله لكل صبار على طاعة الله، وعن المعاصي، وعلى أقدار الله المؤلمة، شكور لنعمه وأفضاله"(٣٣٠٩).

قال الطبري:" يقول: إن في جري هذه الجواري في البحر بقُدرة الله لعظة وعبرة وحجة بينة على قُدرة الله على ما يشاء، لكل ذي صبر على طاعة الله، شكور لنعمه وأياديه عنده"(٣٣١٠).

قال ابن كثير:" {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ} أي : في الشدائد {شكور} أي : إن في تسخيره البحر وإجرائه الهوى بقدر ما يحتاجون إليه لسيرهم ، لدلالات على نعمه تعالى على خلقه {لِكُلِّ صَبَّارٍ} أي : في الشدائد ، {شكور} في الرخاء"(٣٣١١).

قال الواحدي:" أي: لكل مؤمن، لأن من صفة المؤمن الصبر في الشدة، والشكر في الرخاء"(٣٣١٢).

قال الزمخشري:" {لِكُلِّ صَبَّارٍ} على بلاء الله، {شَكُورٍ} لنعمائه، وهما صفتا المؤمن المخلص، فجعلهما كناية عنه، وهو الذي وكل همته بالنظر في آيات الله، فهو يستملى منها العبر"(٣٣١٣).

قال ابن عطية: فيه" تشريف الصبار الشكور بالتخصيص، والصبر والشكر فيهما الخير كله، ولا يكونان إلا في عالم"(٣٣١٤).

عن سعيد بن جبير، قوله: "{إن في ذلك لآيات}، قال: هو الرجل يبعث بخاتمه إلى أهله"(٣٣١٥).

عن سعيد بن جبير، في قوله: "{إن في ذلك لآية}، قال:" هو كالرجل يقول لأهله: علامة ما بيني وبينكم أن أرسل إليكم خاتمي، أو آية كذا وكذا"(٣٣١٦).

قال مطرف: "نعم العبد المؤمن إذا ابتلي صبر، وإذا أعطي شكر"(٣٣١٧).

عن عون بن عبد الله، قال: "رب منعم عليه غير شكور، ومبتلى غير صبور"(٣٣١٨).

القرآن

{أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ (٣٤)} [الشورى : ٣٤]

التفسير:

أو يهلكِ السفن بالغرق بسبب ذنوب أهلها، ويعفُ عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها.

قوله تعالى:{أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا} [الشورى :٣٤]، أي:" أو يهلكِ السفن بالغرق بسبب ذنوب أهلها"(٣٣١٩).

(٣٣٠٨) تفسير ابن كثير: ٢٠٩/٧.
(٣٣٠٩) التفسير الميسر: ٤٨٧.
(٣٣١٠) تفسير الطبري :٥٤٢/٢١.
(٣٣١١) تفسير ابن كثير: ٢٠٩/٧.
(٣٣١٢) التفسير الوسيط: ٥٦/٤.
(٣٣١٣) الكشاف: ٢٢٧/٤.
(٣٣١٤) المحرر الوجيز: ٣٨/٥.
(٣٣١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٤٧١):ص١٩٦٧/٦.
(٣٣١٦) أخرجه الطبري:١٢٣/١٧.
(٣٣١٧) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٧٩/٥.
(٣٣١٨) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٧٩/٥.
(٣٣١٩) التفسير الميسر: ٤٨٧.

قال الطبري:" أو يهلكهنّ بالغرق"[3320].
قال ابن قتيبة: :"يُهْلِكْهُنَّ. يقال: فلان قد أوبقَه ذنوبه. وأراد: أهل السفن"[3321].
قال أبو عبيدة:"{أَوْ يُوبِقْهُنَّ}: يهلكهن"[3322].
عن ابن عباس، قوله: "{أَوْ يُوبِقْهُنَّ}، يقول: يهلكهنّ"[3323].
عن مجاهد، قوله: "{أَوْ يُوبِقْهُنَّ}: أو يهلكهنّ"[3324].
قال السدي:" يغرقهن بما كسبوا"[3325].
عن قتادة: "{أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا}، أي: بذنوب أهلها"[3326].
قال ابن زيد:" يوبقهنّ بما كسبت أصحابهنّ"[3327].
قال مقاتل:" {وإن يشأ} يهلكهن، يعني: السفن، بما عملوا من الشرك"[3328].
قال السمعاني:" أي: يهلك السفن بمن فيها، وقيل: أهل السفن"[3329].
قال الزمخشري:" المعنى: أنه إن يشأ يبتلى المسافرين في البحر بإحدى بليتين: إما أن يسكن الريح فيركد الجواري على متن البحر ويمنعهن من الجري، وإما أن يرسل الريح عاصفة فيهلكهن إغراقا بسبب ما كسبوا من الذنوب"[3330].
قال ابن كثير:" أي : ولو شاء لأهلك السفن وغرقها بذنوب أهلها الذين هم راكبون عليها"[3331].
وقال بعض علماء التفسير : " أي : لو شاء لأرسل الريح قوية عاتية ، فأخذت السفن وأحالتها عن سيرها المستقيم ، فصرفتها ذات اليمين أو ذات الشمال ، آبقة لا تسير على طريق ، ولا إلى جهة مقصد"[3332].
قال ابن كثير:" وهذا القول هو يتضمن هلاكها ، وهو مناسب للأول، وهو أنه تعالى لو شاء لسكن الريح فوقفت ، أو لقواه فشردت وأبقت وهلكت. ولكن من لطفه ورحمته أنه يرسله بحسب الحاجة ، كما يرسل المطر بقدر الكفاية ، ولو أنزله كثيرا جدا لهدم البنيان ، أو قليلا لما أنبت الزرع والثمار ، حتى إنه يرسل إلى مثل بلاد مصر سيحا من أرض أخرى غيرها ؛ لأنهم لا يحتاجون إلى مطر ، ولو أنزل عليهم لهدم بنيانهم ، وأسقط جدرانهم"[3333].
قوله تعالى:{وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ} [الشورى :34]، أي:" ويعفُ عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها"[3334].
قال مقاتل:" يعني: يتجاوز {عن كثير}"[3335].
قال الواحدي:أي:"من ذنوبهم، فينجيهم من الهلكة، ولا يغرقهم"[3336].

(3320) تفسير الطبري :21/542.
(3321) غريب القرآن: 393.
(3322) مجاز القرآن: 2/200.
(3323) أخرجه الطبري: 21/542.
(3324) أخرجه الطبري: 21/542.
(3325) أخرجه الطبري: 21/542.
(3326) اخرجه الطبري: 21/543.
(3327) اخرجه الطبري: 21/543.
(3328) تفسير مقاتل بن سليمان: 3/771.
(3329) تفسير السمعاني: 5/79.
(3330) الكشاف: 4/227.
(3331) تفسير ابن كثير: 7/209.
(3332) نقلا عن: تفسير ابن كثير: 7/209.
(3333) تفسير ابن كثير: 7/210.
(3334) التفسير الميسر: 487.
(3335) تفسير مقاتل بن سليمان: 3/771.
(3336) التفسير الوسيط: 4/56.

قال الطبري:" يقول: ويصفح تعالى ذكره عن كثير من ذنوبكم فلا يعاقب عليها"(٣٣٣٧).
قال ابن كثير:" أي : من ذنوبهم. ولو أخذهم بجميع ذنوبهم لأهلك كل من ركب البحر"(٣٣٣٨).
قال الزمخشري:" فإن قلت: فما معنى إدخال العفو في حكم الإيباق حيث جزم جزمه؟ قلت: معناه: أو إن يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم"(٣٣٣٩).
قال سلمة بن وهرام صاحب طاووس:" أن الله تبارك وتعالى إنما سمى نفسه «العفو»، ليعفو، و«الغفور»، ليغفر"(٣٣٤٠).

القرآن

{وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (٣٥)} [الشورى :٣٥]

التفسير:

ويَعْلَم الذين يجادلون بالباطل في آياتنا الدالة على توحيدنا، ما لهم من محيد ولا ملجأ من عقاب الله، إذا عاقبهم على ذنوبهم وكفرهم به.
قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه: ويعلم الذين يخاصمون رسوله محمدا -صلى الله عليه وسلم- من المشركين في آياته وعبره وأدلته على توحيده، ما لهم من محيص من عقاب الله إذا عاقبهم على ذنوبهم، وكفرهم به، ولا لهم منه ملجأ"(٣٣٤١).
قال الواحدي:" يعني: أن الكفار الذين يكذبون بالقرآن، إذا صاروا إلى الله تعالى بعد البعث، علموا ألا مهرب لهم من عذاب الله"(٣٣٤٢).
قال ابن كثير:" أي : لا محيد لهم عن بأسنا ونقمتنا ، فإنهم مقهورون بقدرتنا"(٣٣٤٣).
عن السديّ، قوله: "{مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ}: ما لهم من ملجأ"(٣٣٤٤).
قال ابن ابي زمنين:" ملجأ يلجئون إليه من عذاب الله، يقال: حاص عن الشيء؛ أي: تنحى عنه "(٣٣٤٥).
قرأ نافع وابن عامر :«ويعلم الذين»، برفع «الميم»(٣٣٤٦).

فوائد الآيات: [٣٢-٣٥]:

١- مظاهر ربوبية الله وألوهيته على خلقه.
٢- فضل الصبر والشكر وفضيلة الصابرين الشاكرين.
٣- تقرير قاعدة ما من مصيبة إلا بذنب مع عفو الله عن كثير.
٤- عند معاينة العذاب يعرف الإنسان ربه ولا يعرف غيره.

القرآن

{فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦)} [الشورى :٣٦]

التفسير:

(٣٣٣٧) تفسير الطبري: ٥٤٣/٢١.
(٣٣٣٨) تفسير ابن كثير: ٢٠٩/٧.
(٣٣٣٩) الكشاف: ٢٢٧/٤.
(٣٣٤٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٥٣٧٩):ص٩٦٣/٣.
(٣٣٤١) تفسير الطبري: ٥٤٣/٢١، ٥٤٤.
(٣٣٤٢) التفسير الوسيط: ٥٦/٤.
(٣٣٤٣) تفسير ابن كثير: ٢١٠/٧.
(٣٣٤٤) أخرجه الطبري: ٥٤٤/٢١.
(٣٣٤٥) تفسير ابن أبي زمنين: ١٧٠/٤.
(٣٣٤٦) انظر: السبع في القراءات: ٥٨١.

فما أوتيتم -أيها الناس- من شيء من المال أو البنين وغير ذلك فهو متاع لكم في الحياة الدنيا، سُرعان ما يزول، وما عند الله تعالى من نعيم الجنة المقيم خير وأبقى للذين آمنوا بالله ورسله، وعلى ربهم يتوكلون.

قوله تعالى:{فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الشورى :٣٦]، أي:" فما أوتيتم -أيها الناس- من شيء من المال أو البنين وغير ذلك فهو متاع لكم في الحياة الدنيا، سُرعان ما يزول"(٣٣٤٧).

عن الأعمش: "{متاع الحياة الدنيا}، قال: مثل زاد الراعي"(٣٣٤٨).

قال الطبري:يقول:" فما أعطيتم أيها الناس من شيء من رياش الدنيا من المال والبنين، فهو متاع لكم تتمتعون به في الحياة الدنيا، وليس من دار الآخرة، ولا مما ينفعكم في معادكم"(٣٣٤٩).

قال ابن ابي زمنين:" {فما أوتيتم من شيء}، يعني: المشركين {فمتاع الحياة الدنيا} ينفد ويذهب"(٣٣٥٠).

قال ابن كثير:" أي : مهما حصلتم وجمعتم فلا تغتروا به ، فإنما هو متاع الحياة الدنيا ، وهي دار دنيئة فانية زائلة لا محالة"(٣٣٥١).

قوله تعالى:{وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الشورى :٣٦]، أي:" وما عند الله تعالى من نعيم الجنة المقيم خير وأبقى للذين آمنوا بالله ورسله، وعلى ربهم وحده يتوكلون"(٣٣٥٢).

قال الطبري:" وما عند الله للذين آمنوا به، وعليه يتوكلون في أمورهم، وإليه يقومون في أسبابهم، وبه يثقون، خير وأبقى مما أوتيتموه من متاع الحياة الدنيا"(٣٣٥٣).

قال ابن كثير:" أي : وثواب الله خير من الدنيا ، وهو باق سرمدي ، فلا تقدموا الفاني على الباقي ؛ ولهذا قال : {لِلَّذِينَ آمَنُوا} أي : للذين صبروا على ترك الملاذ في الدنيا ، {وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} أي : ليعينهم على الصبر في أداء الواجبات وترك المحرمات"(٣٣٥٤).

عن محمد بن إسحاق:"{وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى}، قال: خيرٌ ثوابا، وأبقى عندنا"(٣٣٥٥).

عن كعب، قال: "مكتوب في التوراة: ابن آدم ضع كنزك، عندي، فلا غرق ولا حرق أدفعه إليك أفقر ما تكون إليه يوم القيامة"(٣٣٥٦).

قال عبد الله: "من استطاع منكم أن يضع كنزه حيث لا يأكله السوس ولا يناله السرق فليفعل"(٣٣٥٧).

عن ابن عباس: "{وعلى ربهم يتوكلون}، يقول: لا يرجون غيره"(٣٣٥٨).

عن سعيد بن جبير، قال: "التوكل على الله جماع الإيمان"(٣٣٥٩).

عن سعيد بن جبير، قال: "التوكل على الله نصف الإيمان"(٣٣٦٠).

(٣٣٤٧) التفسير الميسر: ٤٨٧.

(٣٣٤٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٠٧):ص١٩٤٠/٦.

(٣٣٤٩) تفسير الطبري: ٥٤٤/٢١.

(٣٣٥٠) تفسير ابن ابي زمنين: ١٧٠/٤.

(٣٣٥١) تفسير ابن كثير: ٢١٠/٧.

(٣٣٥٢) التفسير الميسر: ٤٨٧.[بتصرف]

(٣٣٥٣) تفسير الطبري: ٥٤٤/٢١.

(٣٣٥٤) تفسير ابن كثير: ٢١٠/٧.

(٣٣٥٥) أخرجه الطبري: ٦٠٤/١٩.

(٣٣٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٢٦):ص٢٩٩٨/٩.

(٣٣٥٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٠٢٥):ص٢٩٩٨/٩.

(٣٣٥٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٨٣):ص١٦٥٦/٥.

(٣٣٥٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٨٤):ص١٦٥٦/٥.

(٣٣٦٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٨٦):ص١٦٥٦/٥.

القرآن
{وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧)} [الشورى :٣٧]
التفسير:
والذين يجتنبون كبائر ما نهى الله عنه، وما فَحُش وقَبُح من أنواع المعاصي، وإذا ما غضبوا على مَن أساء إليهم هم يغفرون الإساءة، ويصفحون عن عقوبة المسيء؛ طلبًا لثواب الله تعالى وعفوه، وهذا من محاسن الأخلاق.
سبب النزول:
قال مقاتل:"{وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ}، يعني: يتجاوزون عن ظلمهم فيكظمون الغيظ ويعفون، نزلت في عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن فرط بن رازح بن عدي بن لؤي حين شتم بمكة، فذلك قوله: {قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا} [الجاثية : ١٤]، يعني: يتجاوزوا عن الذين {لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ الله} [الجاثية : ١٤]..."[٣٣٦١].
قوله تعالى:{وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ} [الشورى :٣٧]، أي:" والذين يجتنبون كبائر ما نهى الله عنه، وما فَحُش وقَبُح من أنواع المعاصي"[٣٣٦٢].
عن السديّ: "{وَالْفَوَاحِشَ}، قال: الفواحش: الزنى"[٣٣٦٣].
قال الواحدي:" «الفواحش»، يعني: الزنا وأنواعه"[٣٣٦٤].
وقال مقاتل: "«الفواحش»: ما يقام فيه الحد في الدنيا"[٣٣٦٥].
وذكر أهل التفسير في معنى «الكبائر»، وجوها :
أحدها : أنها كل ما نهى الله عنه من أول سورة النساء إلى رأس الثلاثين منها، وهذا قول عبدالله بن مسعود[٣٣٦٦]، وإبراهيم[٣٣٦٧]، وابن عباس في رواية سعيد بن جبير عنه[٣٣٦٨].
والثاني : أن كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة. وهذا قول ابن عباس[٣٣٦٩]، وأبي العالية[٣٣٧٠]، وعبيدة في رواية ابن سيرين[٣٣٧١].
عن أيوب، عن ابن سيرين، عن عبيدة، قال: " ما عصي الله به فهو كبير، ولقد ذكر الطرفة: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ}"[٣٣٧٢].
عن عوف، قال: "قام أبو العالية الرّياحي على حَلْقةٍ أنا فيها فقال: إن ناسًا يقولون: "الكبائر سبع"، وقد خفت أن تكون الكبائر سبعين أو يزدن على ذلك"[٣٣٧٣].
قال طاووس: "ذكروا عند ابن عباس الكبائر فقالوا : هي سبع. قال : هي أكثر من سبع وَسبع! قال سليمان : فلا أدري كم قالها من مرّة"[٣٣٧٤]. في رواية أخرى:" قال : هي إلى

(٣٣٦١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٧٢/٣.
(٣٣٦٢) التفسير الميسر: ٤٨٧.
(٣٣٦٣) اخرجه الطبري: ٥٤٥/٢١.
(٣٣٦٤) التفسير الوسيط: ٥٧/٤.
(٣٣٦٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٧٢/٣.
(٣٣٦٦) انظر: تفسير الطبري(٩١٦٨)-(٩١٧٥)، (٩١٧٧)، و(٩١٧٨):ص٢٣٣/٨-٢٣٤.
(٣٣٦٧) انظر: تفسير الطبري(٩١٧٦):ص٢٣٤/٨.
(٣٣٦٨) انظر: تفسير ابن المنذر(١٦٦٥):ص٦٧٠/٢.
(٣٣٦٩) انظر: تفسير الطبري(٩٢٠١)-(٩٢٠٤):ص٢٤٤/٨-٢٤٥، و(٩٢٠٦)-(٩٢١٠):ص٢٤٥/٨-٢٤٦.
(٣٣٧٠) انظر: تفسير الطبري(٩٢٠٥):ص٢٤٥/٨.
(٣٣٧١) انظر: تفسير ايبن المنذر(١٦٦٨):ص٦٧١/٢.
(٣٣٧٢) انظر: تفسير ابن المنذر(١٦٦٨):ص٦٧١/٢.
(٣٣٧٣) انظر: تفسير الطبري(٩٢٠٥):ص٢٤٥/٨.
(٣٣٧٤) أخرجه الطبري(٩٢٠٤):ص٢٤٥/٨.

السبعين أقرب"[3375]، وفي رواية أخرى:" إلى سبع مائة أقرب، إنه لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار "[3376].
والثالث: أن الكبائر سبع : الإشراك بالله ، وقتل النفس التي حرم الله ، وقذف المحصنة ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والفرار من الزحف ، والتعرب بعد الهجرة ، وهذا قول عليّ[3377] ، وعمرو بن عبيد[3378]، وعبيدة[3379].
وقال عطاء: "الكبائر سبع : قتل النفس، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم ، ورمي المحصنة ، وشهادة الزور ، وعقوق الوالدين ، والفرار يوم الزحف"[3380].
عن ابن عون، عن محمد قال: "سألت عبيدة عن الكبائر فقال: الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرم الله بغير حقها، وفرارٌ يومَ الزحف، وأكل مال اليتيم بغير حقه، وأكل الربا، والبهتان. قال: ويقولون: أعرابية بعد هجرة. قال ابن عون: فقلت لمحمد: فالسحر؟ قال: إن البهتان يجمع شرًّا كثيرًا"[3381].
أخرج ابن أبي حاتم عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الكبائر سبع: "أولهما الإشراك بالله، ثم قتل النفس بغير حقها، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم إلى أن يكبر، والفرار من الزحف، ورمي المحصنات والانقلاب إلى الأعراب بعد الهجرة"[3382].
وضمن هذا السياق روي عن عبيد الله بن عمير أنه قال: "الكبائر سبع، يتلو بكل واحدة آية: {مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ}[3383]، الآية، و{وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا}[3384] الآية {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى}[3385] الآية، {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ}[3386] الآية، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا}[3387] الآية كلها"[3388]، وزاد في رواية أخرى:" التعرب بعد الهجرة، ثم قرأ{إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ}[3389]"[3390].
وروي عن صهيب مولى العُتْواريّ : "أنه سمع من أبي هريرة وأبي سعيد الخدري يقولان : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا فقال : والذي نفسي بيده ثلاث مرات ثم أكبَّ ، فأكبَّ كل رجل ، منا يبكي، لا يدري على ماذا حلف ، ثم رفع رأسه وفي وجهه البِشر ، فكان أحبَّ إلينا من حُمْر النَّعم ، فقال : ما من عبد يصلي الصلوات الخمس ، ويصوم رَمضان ، ويخرج الزكاة ، ويجتنب الكبائر السبعَ ، إلا فتحت له أبواب الجنة ، ثم قيل : ادخل بسلام"[3391].

(3375) أخرجه الطبري(9209):ص8/246.
(3376) أخرجه ابن المنذر(1670):ص3/671.
(3377) انظر: تفسير الطبري(9179):ص8/235.
(3378) انظر: تفسير الطبري(9180)، (9181):ص8/235-236.
(3379) انظر: تفسير الطبري(9182)-(9184):ص8/237.
(3380) أخرجه الطبري(9186):ص8/238.
(3381) أخرجه الطبري(9182):ص8/236.
(3382) تفسير ابن أبي حاتم(5202):ص3/931، و مسلم كتاب الإيمان رقم 189/ 92.
(3383) [سورة النساء:48، و116]، و[المائدة:72]، و[الحج:31].
(3384) [سورة النسا:93].
(3385)[سورة النسا:10].
(3386) [يورة النور:23]..
(3387) [سورة الأنفال:15]..
(3388) أخرجه ابن أبي حاتم(5203):ص3/932.
(3389) [سورة محمد:25].
(3390) أخرجه ابن أبي حاتم(5204):ص3/932.
(3391) أخرجه الطبري(9185):ص8/237-238. إسناده صحيح.

والرابع : أنها تسع : الإشراك بالله ، وقذف المحصنة ، وقتل النفس المؤمنة ، والفرار من الزحف ، والسحر ، وأكل مال اليتيم ، وعقوق الوالدين المسلمين ، وأكل الربا ، وإلحاد بالبيت الحرام ، وهذا قول ابن عمر(٣٣٩٢).

أخرج ابن أبي حاتم عبيد بن عمير الليثي، أنه حدثه أبوه وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إجتنب الكبائر التي نهى الله عنها، ثم أن رجلا من أصحابه سأله فقال يا رسول الله ما الكبائر؟ قال: هن تسع أعظمهن الشرك بالله، وقتل المؤمن بغير حق، وفرار يوم الزحف، والسحر وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وقذف المحصنة، وعقوق الوالدين المسلمين، واستحلال البيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتا"(٣٣٩٣).

والخامس : أنها أربع : الإشراك بالله ، والقنوط من رحمة الله ، واليأس من رَوْح الله ، والأمن من مكر الله ، وهذا قول ابن مسعود في رواية أبي الطفيل عنه(٣٣٩٤).

والسادس:أنها ثلاث: اليأسُ من رَوْح الله، والقنوط من رحمة الله ، والأمن من مكر الله. وهذا قول ابن مسعود في رواية مجاهد عنه(٣٣٩٥).

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس، "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان متكئا فدخل عليه رجل فقال: ما الكبائر؟ فقال: «الشرك بالله والإياس من روح الله والأمن من مكر الله، وهذا أكبر الكبائر»"(٣٣٩٦).

والسابع: أنها كل ما أوعد الله عليه النار، وهذا قول ابن عباس في إحدى الروايات(٣٣٩٧)، وسعيد بن جبير(٣٣٩٨)، والحسن(٣٣٩٩)، ومجاهد(٣٤٠٠) ، والضحاك(٣٤٠١)، وسهل التستري(٣٤٠٢).

وقال مقاتل: "كل ذنب يختم بنار"(٣٤٠٣).

والثامن: السبعة المذكورة في المقالة الثانية وزادوا عليها :الزنى(٣٤٠٤)، والعقوق(٣٤٠٥)، والسرقة(٣٤٠٦)، و"سب أبي بكر وعمر"(٣٤٠٧)، والجمع بين الصلاتين من غير عذر(٣٤٠٨)،

(٣٣٩٢) انظر: تفسير الطبري(٩١٨٧)، و(٩١٨٨):ص٨/٢٣٩-٢٤٠، وتفسير ابن أبي حاتم(٥٢٠٠):ص٣/٩٣١.

(٣٣٩٣) تفسير ابن أبي حاتم(٥٢٠٠):ص٣/٩٣١، والحاكم ٤/ ٢٥٩.

(٣٣٩٤) انظر: تفسير الطبري(٩١٩٠)-(٩١٢٠٠):ص٨/٢٤٢-٢٤٤.

(٣٣٩٥) انظر: تفسير الطبري(٩٢١١):ص٨/٢٤٦.

(٣٣٩٦) تفسير ابن أبي حاتم(٥٢٠١):ص٣/٩٣١، قال ابن كثير: وفي اسناده نظر- ٢/ ٢٤٣.

(٣٣٩٧) انظر: تفسير الطبري(٩٢١٢):ص٨/٢٤٦.

(٣٣٩٨) انظر: تفسير الطبري(٩٢١٤)، و(٩٢١٥):ص٨/٢٤٧.

(٣٣٩٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٢١٥):ص٣/٩٣٤.

(٣٤٠٠) انظر: تفسير الطبري(٩٢١٦)، و(٩٢١٧):ص٨/٢٤٧.

(٣٤٠١) انظر: تفسير الطبري(٩٢١٨):ص٨/٢٤٧.

(٣٤٠٢) تفسير التستري:٥٣.

(٣٤٠٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٧٧٢.

(٣٤٠٤) أخرج ابن أبي حاتم (٥١٩٤):ص٣/٩٢٩: عن عبد الله بن مسعود قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكبائر، فقال: أن تدعو لله ندا وهو خلقك، أو أن تقتل ولدك أن يطعم معك، أو أن تزاني حليلة جارك، ثم قرأ هذه الآية: {والذين لا يدعون مع الله إلها آخر}الآية". [سورة الفرقان آية ٦٨].

وأخرج ابن المنذر(١٦٧١):ص٢/٦٧١-٦٧٣): عن ابن عباس: أن من الكبائر:" الزنا، لأن الله يقول: {يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا}".

وانظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥١٩٧):ص٣/٩٣٠. وفيه خبر عن عمرو بن عاص، وسئل عن الخمر فقال: "والله إن عظيما عند الله شيخ مثلي يكذب في هذا المقام على النبي صلى الله عليه وسلم، فذهب فسأله، ثم رجع فقال: سألته عن الخمر فقال: هي أكبر الكبائر وأم الفواحش، من شرب الخمر ترك الصلاة ووقع على أمه وخالته وعمته".

(٣٤٠٥) أخرج ابن أبي حاتم(٥١٩٥):ص٣/٩٣٠: عن أنس قال: "سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكبائر فقال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، وشهادة الزور، أو قال: قول الزور»". وانظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥١٩٦):ص٣/٩٣٠.

والإضرار بالوصية[٣٤٠٩]، والنهبة[٣٤١٠]، البيعة وفراق الجماعة[٣٤١١]، ومنع ماء السيول والعيون والأودية وطروق الفحل[٣٤١٢]، وشرب الخمر[٣٤١٣]، ويمين الغموس[٣٤١٤]، و"الغلول ومنع الزكاة المفروضة، وكتمان الشهادة، وترك الصلاة معتمدا في شيء مما افترضه الله عليه، ونقض العهد وقطيعة الرحم"[٣٤١٥]

(٣٤٠٦) انظر: النكت والعيون: ٤٧٦/١.

(٣٤٠٧)هذا قول مغيرة، حسن بن قيس انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٢٠٦):ص٩٣٢/٣، هو حسين بن قيس ضعيف عند أهل الحديث، ضعفه أحمد وغيره، انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٢٤٢.

وقد روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من أكبر الكبائر استطالة المرء في عرض الرجل المسلم والسبتان والسبه".[أخرجه ابن ابي حاتم(٥٢٠٥):ص٩٣٢/٣].

قال ابن كثير:"وقد ذهب طائفة من العلماء إلى تكفير من سب الصحابة"[انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٢٤٨].

.

(٣٤٠٨) أخرجه ابن ابي حاتم (٥٢٠٧):ص٩٣٢/٣، و الترمذي كتاب الصلاة رقم ٥١٨٨/ ٣٥٦: عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من جمع بين الصلاتين من غير عذر فقد أتى بابا من أبو أب الكبائر".

وأخرجه ابن أبي حاتم(٥٢٠٨):ص٩٣٢/٣: عن معمر، فقال:" عن أبي قتادة يعني: العدوي قال: قرئ علينا كتاب معمر: من الكبائر جمع بين الصلاتين، يعني: من غير عذر".

قال ابن كثير: هذا اسناد صحيح- ٢/ ٢٤٣.

(٣٤٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم عن (٥٢٠٩):ص٩٣٣/٣: عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الضرار في الوصية من الكبائر"..

(٣٤١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٢١١):ص٩٣٣/٣، عن عن أبي قتادة قال: قرئ علينا كتاب عمر: من الكبائر الفرار من الزحف والنهبة"..

(٣٤١١) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٢١٢):ص٩٣٣/٣ : عن علي قال: "الكبائر: الشرك بالله، وقتل النفس، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، والتعرب بعد الهجرة، والسحر، وعقوق الوالدين، وأكل الربا، وفراق الجماعة، ونكث الصفقة"..

(٣٤١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٢١٣):ص٩٣٣/٣: عن ابن بريدة، عن أبيه قال: "أكبر الكبائر: الشرك بالله، وعقوق الوالدين، ومنع فضول الماء بعد الري، ومنع طروق الفحل إلا بجعل".

(٣٤١٣) أخرج ابن أبي حاتم(٥١٩٧):٩٣٠/٣: عن عمارة بن حزم أنه سمع عبد الله بن عمرو بن العاص وهو في الحجر بمكة، وسئل عن الخمر فقال: "والله إن عظيما عند الله شيخ مثلي يكذب في هذا المقام على النبي صلى الله عليه وسلم، فذهب فسأله، ثم رجع فقال: سألته عن الخمر فقال: هي أكبر الكبائر وأم الفواحش، من شرب الخمر ترك الصلاة ووقع على أمه وخالته وعمته".

قال ابن كثير: غريب من هذا الوجه ٢/ ٢٤٠.

(٣٤١٤) أخرج ابن أبي حاتم(٥١٩٩):ص٣/-٩٣١٩٣٠: عن عبد الله بن أنيس الجهني، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من أكبر الكبائر: الشرك بالله، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس، وما حلف حالف بالله يمين صبر، فأدخل فيها مثل جناح البعوضة إلا كانت نكتة في قلبه إلى يوم القيامة".

و أخرج ابن المنذر(١٦٧١):ص٦٧١/٢-٦٧٣): عن ابن عباس: أن من الكبائر:" اليمين الغموس الفاجرة لأن الله جل وعز يقول: {إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة}".

(٣٤١٥) أخرجه ابن المنذر(١٦٧١):ص١٧١/٢-٦٧٤. بطوله عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قوله جل وعز: " {.الذين يجتنبون كبائر الإثم} قال فأكبر الكبائر: الإشراك بالله، لأن الله عز وجل يقول: {إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة} والإياس من روح الله، لأن الله يقول: {ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون} ، والأمن لمكر الله، لأن الله عز وجل يقول: {فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون} ، ومنها: عقوق الوالدين، لأن الله سبحانه جعل العاق جبارا، عصيا، وشقيا، وقتل النفس التي حرمها الله، لأن الله يقول: {فجزاؤه جهنم} إلى آخر الآية، وقذف المحصنات، لأن الله يقول: {لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم} وأكل مال اليتيم، لأن الله عز وجل يقول: {إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا} والفرار من الزحف، لأن الله يقول: {ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير} ، وأكل الربا، لأن الله عز وجل، يقول: {ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق} ، والزنا، لأن الله يقول: {يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا} ، واليمين الغموس الفاجرة لأن الله جل وعز يقول: {إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة} والغلول لأن الله يقول: {ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة} ، ومنع الزكاة المفروضة لأن الله جل وعز،

والتاسع : أنها كل ما لا تصح معه الأعمال ، وهذا قول زيد بن أسلم(٣٤١٦).
والعاشر: ما سماه الله في القرآن كبيرا أو عظيما نحو قوله تعالى: {إنه كان حوبا كبيرا}[النساء -٢] ، {إن قتلهم كان خطئا كبيرا}[الإسراء -٣١]، {إن الشرك لظلم عظيم} [لقمان -١٣] ، {إن كيدكن عظيم} [يوسف -٢٨]، {سبحانك هذا بهتان عظيم}[النور -١٦]{إن ذلكم كان عند الله عظيما}[الأحزاب -٥٣]. وهذا قول الحسن بن الفضل(٣٤١٧).
والحادي عشر: أن "الكبائر ما كان فيه المظالم بينك وبين العباد، والصغائر ما كان بينك وبين الله تعالى، لأن الله كريم يعفو. وهذا قول سفيان الثوري(٣٤١٨)، واحتج بما روي عن أنس بن مالك من طريق الحسين بن داؤد البلخي، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ينادي مناد من بطنان العرش يوم القيامة: يا أمة محمد إن الله عز وجل قد عفا عنكم جميعا المؤمنين والمؤمنات، تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي" (٣٤١٩) .
الثاني عشر:أن الكبائر ذنوب أهل البدع، والسيئات ذنوب أهل السنة. قاله مالك بن مغول(٣٤٢٠).
والثالث عشر: أن الكبائر ذنوب العمد، والسيئات الخطأ والنسيان وما أكره عليه، وحديث النفس المرفوع عن هذه الأمة(٣٤٢١).
والرابع عشر:أن الكبائر ذنوب المستحلين مثل ذنب إبليس، والصغائر ذنوب المستغفرين مثل ذنب آدم عليه السلام(٣٤٢٢).
والخامس عشر: أن " الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب الكبائر، والسيئات مقدماتها وتوابعها مما يجتمع فيه الصالح والفاسق، مثل النظرة واللمسة والقبلة وأشباهها. وهذا قول السدي(٣٤٢٣)، واحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "العينان تزنيان، واليدان تزنيان، والرجلان تزنيان، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه"(٣٤٢٤).
والسادس عشر: أن الكبائر ما يستحقره العباد، والصغائر ما يستعظمونه فيخافون مواقعته، ذكره البغوي عن عبد الواحد(٣٤٢٥).
روي عن أنس قال: "إنكم لتعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر، إن كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات"(٣٤٢٦).

يقول: {فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم} وشهادة الزور، وكتمان الشهادة، لأن الله يقول: {ومن يكتمها فإنه آثم قلبه} وشرب الخمر، لأن الله عز وجل عدل بها الأوثان، وترك الصلاة معتمدا في شيء مما افترض الله عليه، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: من ترك الصلاة متعمدا، فقد برئ من ذمة الله ورسوله، ونقض العهد، وقطيعة الرحم، لأن الله جل ثناؤه يقول: {لهم اللعنة ولهم سوء الدار} ".
(٣٤١٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٢١٩):ص٩٣٤/٣، قال فيه:" الشرك، والكفر بآيات الله ورسله، والسحر، وقتل الأولاد، ومن دعا لله ولدا أو صاحبة، ومثل ذلك من الأعمال والقول الذي لا يصلح معه عمل، وأما كل ذنب يصلح معه دين، ويقبل معه عمل- فإن الله تعالى يعفو السيئات بالحسنات"..
(٣٤١٧) انظر: تفسير البغوي:٢٠٣/٢.
(٣٤١٨)انظر: تفسير البغوي:٢٠٣/٢.
(٣٤١٩)حديث موضوع في إسناده الحسين بن داود، أبو علي البلخي، قال الخطيب: ليس بثقة، حديثه موضوع. انظر: ميزان الاعتدال: ١ / ٥٣٤. وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٥ / ١٩٧. وانظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني: ٣ / ٤٣٩ رقم (١٢٧٩) ..
(٣٤٢٠) انظر: تفسير البغوي:٢٠٣/٢.
(٣٤٢١) انظر: تفسير البغوي:٢٠٣/٢.
(٣٤٢٢) انظر: تفسير البغوي:٢٠٣/٢.
(٣٤٢٣) انظر: تفسير البغوي:٢٠٣/٢.
(٣٤٢٤)أخرجه أحمد في المسند: ١ / ٤١٢، ٢ / ٣٤٣ عن أبي هريرة، والطبراني وأبو يعلى والبزار وابن حبان عن أبي هريرة. قال الهيثمي في المجمع ٦ / ٢٥٦، سنده جيد، وقال المنذري صحيح. وانظر: فيض القدير للمناوي: ٤ / ٣٩٩، والمصنف في شرح السنة: ١ / ١٣٨..
(٣٤٢٥) انظر: تفسير البغوي:٢٠٣/٢.
(٣٤٢٦)أخرجه البخاري في الرقاق، باب ما يتقي من محقرات الذنوب: ١١ / ٣٢٩، والمصنف في شرح السنة: ١٤ / ٣٩٨..

والسابع عشر: أن الكبائر الشرك وما يؤدي إليه، وما دون الشرك فهو السيئات، قال الله تعالى: "إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" [النساء -٤٨، ١١٦] [٣٤٢٧].

قال الطبري:" : وأولى ما قيل في تأويل الكبائر بالصحة ، ما صحَّ به الخبر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دون ما قاله غيره ، وإن كان كل قائل فيها قولا من الذين ذكرنا أقوالهم ، قد اجتهد وبالغ في نفسه ، ولقوله في الصحة مذهبٌ. فالكبائر إذن : الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس المحرّم قتلها ، وقول الزور وقد يدخل في قول الزور ، شهادة الزور وقذف المحصنة ، واليمين الغموسُ ، والسحر ويدخل في قتل النفس المحرَّم قتلها ، قتل الرجل ولده من أجل أن يطعم معه والفرارُ من الزحف ، والزنا بحليلة الجار، وإذْ كان ذلك كذلك ، صحَّ كل خبر رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في معنى الكبائر ، وكان بعضه مصدِّقًا بعضًا. وذلك أن الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : هي سبع يكون معنى قوله حينئذ : هي سبع على التفصيل ويكون معنى قوله في الخبر الذي روي عنه أنه قال : هي الإشراك بالله ، وقتل النفس ، وعقوق الوالدين ، وقول الزور على الإجمال ، إذ كان قوله : وقول الزور يحتمل معاني شتى ، وأن يجمعَ جميعَ ذلك قول الزور "[٣٤٢٨].

قال أبو السعود:" واختلف في الكبائر والأقرب أن الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه الحد او صرح بالوعيد وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنها سبع الإشراك بالله تعالى وقتل النفس التي حرمها الله تعالى وقذف المحصنات وأكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين"[٣٤٢٩].

قوله تعالى:{وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} [الشورى :٣٧]، أي:" وإذا ما غضبوا على مَن أساء إليهم هم يغفرون الإساءة، ويصفحون عن عقوبة المسيء"[٣٤٣٠].

قال الطبري:يقول:" وإذا ما غضبوا على من اجترم إليهم جرما، هم يغفرون لمن أجرم إليهم ذنبه، ويصفحون عنه عقوبة ذنبه"[٣٤٣١].

قال الواحدي:" أي: يكظمون الغيظ، ويعفون عمن ظلمهم، يطلبون بذلك ثواب الله تعالى، وعفوه"[٣٤٣٢].

قال ابن ابي زمنين:" يعني: يغفرون للمشركين , وهو منسوخ نسخه القتال , وصار ذلك العفو بين المؤمنين"[٣٤٣٣].

قال ابن كثير:" أي : سجيتهم وخلقهم وطبعهم تقتضي الصفح والعفو عن الناس ، ليس سجيتهم الانتقام من الناس، وقد ثبت في الصحيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتقم

(٣٤٢٧) انظر: تفسير البغوي:٢٠٤/٢.

(٣٤٢٨) تفسير الطبري:٢٥٢/٨-٢٥٤. وقد صنف أبو طالب المكي الكبائر بسبع عشرة: أربعة في القلب: وهي الشرك بالله، والإصرار على معصيته، والقنوط من رحمته، والأمن من مكره. وأربع في اللسان: وهي شهادة الزور، وقذف المحصن، واليمين الغموس، والسحر. وثلاث في البطن: وهي شرب الخمر والمسكر من كل شراب وأكل مال اليتيم ظلماً، وأكل الربا وهو يعلم. واثنتان في الفرج، وهما الزنا واللواط. واثنتان في اليد: وهما القتل والسرقة. وواحدة في الرجلين: وهو الفرار من الزحف. وواحدة في جميع الجسد: وهو عقوق الوالدين. وتعقبه الغزالي بأنه تصنيف غير شامل ويمكن الزيادة عليه. وقال: إن الكبائر على ثلاث مراتب: الأولى ما يمنع من معرفة الله تعالى ومعرفة رسله وهو الكفر، ويتلوه الأمن من مكر الله والقنوط من رحمته، ثم يتلوه البدع كلها المتعلقة بذات الله وصفاته وأفعاله. المرتبة الثانية: النفوس. المرتبة الثالثة: الأموال. ثم استعرض بقية الجرائم (راجع الإحياء: ١٥/ ٤ - ٢٠).

(٣٤٢٩) تفسير أبي السعود:١٧١/٢.

(٣٤٣٠) التفسير الميسر: ٤٨٧.

(٣٤٣١) تفسير الطبري: ٥٤٥/٢١.

(٣٤٣٢) التفسير الوسيط: ٥٧/٤.

(٣٤٣٣) تفسير ابن ابي زمنين: ١٧٠/٤.

لنفسه قط ، إلا أن تنتهك حرمات الله [٣٤٣٤]. وفي حديث آخر : «كان يقول لأحدنا عند المعتبة : ما له ؟ تربت جبينه»[٣٤٣٥]"[٣٤٣٦].

عن ابن عباس -من طريق العوفي- قوله: {والكاظمين الغيظ}، يقول: كاظمون على الغيظ، كقوله: {وإذا ما غضبوا هم يغفرون} [الشورى: ٣٧]، يغضبون في الأمر لو وقعوا فيه كان حرامًا، فيغفِرون، ويعفون؛ يلتمسون وجهَ الله بذلك"[٣٤٣٧].

القرآن

{وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٨)} [الشورى :٣٨]

التفسير:

والذين استجابوا لربهم حين دعاهم إلى توحيده وطاعته، وأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها في أوقاتها، وإذا أرادوا أمرًا تشاوروا فيه، ومما أعطيناهم من الأموال يتصدقون في سبيل الله، ويؤدون ما فرض الله عليهم من الحقوق لأهلها من زكاة ونفقة وغير ذلك من وجوه الإنفاق.

سبب النزول:

قال مقاتل:" نزلت في الأنصار"[٣٤٣٨].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ} [الشورى :٣٨]، أي:" والذين استجابوا لربهم حين دعاهم إلى توحيده وطاعته"[٣٤٣٩].

قال الطبري:يقول:" والذين أجابوا لربهم حين دعاهم إلى توحيده، والإقرار بوحدانيته والبراءة من عبادة كل ما يعبد دونه"[٣٤٤٠].

قال ابن ابي زمنين:" أي: آمنوا"[٣٤٤١].

قال الواحدي:أي:" أجابوه إلى ما دعاهم إليه، من توحيد الله تعالى، وعبادته"[٣٤٤٢].

قال ابن كثير:" أي : اتبعوا رسله وأطاعوا أمره ، واجتنبوا زجره "[٣٤٤٣].

عن ابن زيد:" {وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ}، الأنصار"[٣٤٤٤].

قوله تعالى:{وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ} [الشورى :٣٨]، أي:" وأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها في أوقاتها"[٣٤٤٥].

قال مقاتل:" يقول: وأتموا الصلوات الخمس، داوموا عليها"[٣٤٤٦].

قال الطبري:يقول:" {وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ} المفروضة بحدودها في أوقاتها"[٣٤٤٧].

قال ابن كثير:" وهي أعظم العبادات لله عز وجل"[٣٤٤٨].

(٣٤٣٤)رواه البخاري في صحيحه برقم (٦١٢٦) من حديث عائشة بلفظ : "وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه في شيء قط ، إلا أن تنتهك حرمة الله ، فينتقم بها الله".

(٣٤٣٥)رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٠٣١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣٤٣٦) تفسير ابن كثير: ٢١٠/٧.

(٣٤٣٧) أخرجه الطبري(٧٨٤٣):ص٢١٦/٧-٢١٧، وابن أبي حاتم(٤١٦٥):٧٦٣/٣.

(٣٤٣٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٧٢/٣.

(٣٤٣٩) التفسير الميسر: ٤٨٧.

(٣٤٤٠) تفسير الطبري: ٥٤٦/٢١.

(٣٤٤١) تفسير ابن ابي زمنين: ١٧٠/٤.

(٣٤٤٢) التفسير الوسيط: ٥٧/٤.

(٣٤٤٣) تفسير ابن كثير: ٢١١/٧.

(٣٤٤٤) أخرجه الطبري: ٥٤٧/٢١.

(٣٤٤٥) التفسير الميسر: ٤٨٧.

(٣٤٤٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٧٢/٣.

(٣٤٤٧) تفسير الطبري: ٥٤٦/٢١.

(٣٤٤٨) تفسير ابن كثير: ٢١١/٧.

قال ابن ابي زمنين:" كانت الصلاة يوم نزلت هذه الآية ركعتين غدوة , وركعتين عشية قبل أن تفرض الصلوات الخمس"[٣٤٤٩].

عن الزهري: {وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ}، قال: "إقامتها: أن يصلي الصلوات الخمس لوقتها"[٣٤٥٠].

قال الحسن:"فريضة واجبة لا تنفع الأعمال إلا بها وبالزكاة"[٣٤٥١]. وروي عن عطاء بن أبي رباح، وقتادة نحو ذلك[٣٤٥٢].

قوله تعالى:{وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} [الشورى :٣٨]، أي:" وإذا أرادوا أمرًا تشاوروا فيه"[٣٤٥٣].

قال الحسن:أي: "يتشاورون"[٣٤٥٤].

قال ابن كثير:" أي : لا يبرمون أمرا حتى يتشاوروا فيه ، ليتساعدوا بآرائهم في مثل الحروب وما جرى مجراها ، كما قال تعالى : {وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} [آل عمران : ١٥٩] ولهذا كان عليه الصلاة السلام ، يشاورهم في الحروب ونحوها ، ليطيب بذلك قلوبهم. وهكذا لما حضرت عمر بن الخطاب رضي الله عنه الوفاة حين طعن ، جعل الأمر بعده شورى في ستة نفر ، وهم : عثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وسعد ، وعبد الرحمن بن عوف ، رضي الله عنهم أجمعين ، فاجتمع رأي الصحابة كلهم على تقديم عثمان عليهم ، رضي الله عنهم"[٣٤٥٥].

قال الواحدي:" {شُورَى}: هي «فعلى»، من: المشاورة، وهي الأمر الذي يتشاور فيه، يقال: صار هذا الأمر شورى بين القوم، إذا تشاوروا فيه، والمعنى: أنهم يتشاورون فيما يبدو لهم، ولا يعجلون في الأمر"[٣٤٥٦].

قال مقاتل:" كانت قبل الإسلام وقبل قدوم النبي- صلى الله عليه وسلم- المدينة إذا كان بينهم أمر، أو أرادوا أمرا اجتمعوا فتشاوروا بينهم فأخذوا به، فأثنى الله عليهم خيرا"[٣٤٥٧].

عن ابن وهب، قال: قال ابن زيد، وقرأ :{وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ} قال: فبدأ بهم، {وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ}: الأنصار، {وَأَقَامُوا الصَّلاةَ} وليس فيهم رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} ليس فيهم رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم أيضا"[٣٤٥٨].

قال الحسن: "والله ما تشاور قوم قط، إلا هداهم الله لأفضل ما بحضرتهم"[٣٤٥٩].

وفي الحديث:« إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم وأموركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها وإذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأموركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها»[٣٤٦٠].

(٣٤٤٩) تفسير ابن ابي زمنين: ١٧٠/٤.
(٣٤٥٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢٢):س١٠٠٤/٣.
(٣٤٥١) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢١):س١٠٠٤/٣.
(٣٤٥٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٦٢٢):ص١٠٠٤/٣.
(٣٤٥٣) التفسير الميسر: ٤٨٧.
(٣٤٥٤) نقلا عن: تفسير ابن ابي زمنين: ١٧٠/٤. حكاه بدون سند.
(٣٤٥٥) تفسير ابن كثير: ٢١١/٧.
(٣٤٥٦) التفسير الوسيط: ٥٧/٤.
(٣٤٥٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٧٢/٣.
(٣٤٥٨) اخرجه الطبري: ٥٤٦/٢١-٥٤٧.
(٣٤٥٩) نقلا عن :التفسير الوسيط للواحدي: ٥٧/٤. حكاه بدون سند.
(٣٤٦٠)أخرجه الترمذى (٥٢٩/٤، رقم ٢٢٦٦) وقال: غريب.
ومن غريب الحديث: "سمحاءكم": أسخياءكم. "فظهر الأرض خير لكم من بطنها": أى الحياة خير لكم من الموت. "أموركم إلى نسائكم": أى مفوض إلى رأيهن، والحال أنهن ناقصات العقل والدين. "فبطن الأرض خير لكم من ظهرها": أى فالموت خير لكم من الحياة.

قوله تعالى:{وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [الشورى :٣٨]، أي:" ومما أعطيناهم من الأموال يتصدقون في سبيل الله، ويؤدون ما فرض الله عليهم من الحقوق لأهلها من زكاة ونفقة وغير ذلك من وجوه الإنفاق"(٣٤٦١).

قال مقاتل:" {مما رزقناهم} من الأموال {ينفقون}، في طاعة الله"(٣٤٦٢).

قال ابن كثير:" وذلك بالإحسان إلى خلق الله، الأقرب إليهم منهم فالأقرب"(٣٤٦٣).

قال قتادة:" فأنفقوا مما أعطاكم الله، فإنما هذه الأموال عوار وودائع عندك يا ابن آدم أوشكت أن تفارقها"(٣٤٦٤).

القرآن

{وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٣٩)} [الشورى :٣٩]

التفسير:

والذين إذا أصابهم الظلم هم ينتصرون ممن بغى عليهم مِن غير أن يعتدوا، وإن صبروا ففي عاقبة صبرهم خير كثير.

سبب النزول:

قال الفراء:" نزلت خاصة في أبي بكر الصديق -رحمه الله-، وذلك: أن رجلا من الأنصار وقع به عند رسول الله فسبه، فلم يردد عليه أبو بكر ولم ينه رسول الله صلى الله عليه الأنصاري فأقبل عليه أبو بكر فرد عليه، فقام النبي- صلى الله عليه- كالمغضب واتبعه أبو بكر فقال: يا رسول الله، ما صنعت بي أشد علي مما صنع بي: سبني فلم تنهه، ورددت عليه فقمت كالمغضب، فقال النبي- صلى الله عليه-: كان الملك يرد عليه إذا سكت، فلما رددت عليه رجع الملك، فوثبت معه فنزلت هذه الآية"(٣٤٦٥).

قال البغوي:" {والذين إذا أصابهم البغي} الظلم والعدوان، {هم ينتصرون} ينتقمون من ظالميهم من غير أن يعتدوا"(٣٤٦٦).

قال الزمخشري:" هو أن يقتصروا في الانتصار على ما جعله الله لهم ولا يعتدوا"(٣٤٦٧).

قال السعدي:" دل قوله: {وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ} وقوله: {وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ} أنه لا بد من إصابة البغي والظلم ووقوعه، وأما إرادة البغي على الغير، وإرادة ظلمه من غير أن يقع منه شيء، فهذا لا يجازى بمثله، وإنما يؤدب تأديبا يردعه عن قول أو فعل صدر منه"(٣٤٦٨).

واختلفوا في هذا «البَغْي»، على ثلاثة أقوال:

(٣٤٦١) التفسير الميسر: ٤٨٧.

(٣٤٦٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٧٢/٣.

(٣٤٦٣) تفسير ابن كثير: ٢١١/٧.

(٣٤٦٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٩):ص٣٨/١.

(٣٤٦٥) معاني القرآن: ٢٥/٣. والحديث رواه البيهقي في شعب الإيمان(٧٧١٦):ص٤١٢/١٠، عن أبي هريرة، قال: "استطال رجل على أبي بكر الصديق، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس، وأبو بكر ساكت، فلما أكثر انتصر أبو بكر، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاتبعه أبو بكر، فقال: يا رسول الله، استطال علي وأنت ساكت، فلما انتصرت قمت؟ فقال: " يا أبا بكر، إنك ما سكت كان الملك يرد عليه، فلما انتصرت ارتفع الملك، وحضر الشيطان، فلم أكن لأجالس الشيطان، يا أبا بكر، ثلاث اعلم أنهن حق: ما عفا امرؤ عن مظلمة إلا زاده الله بها عزا، وما فتح رجل على نفسه باب مسألة يبتغي بها كثرة إلا زاده الله بها فقرا، وما فتح رجل على نفسه باب صدقة يبتغي بها وجه الله إلا زاده الله كثرة ".

(٣٤٦٦) تفسير البغوي: ١٩٧/٧.

(٣٤٦٧) الكشاف: ٢٢٩/٤.

(٣٤٦٨) تفسير السعدي: ٧٦٠.

أحدها: أنه بَغْيُ الكفار على المسلمين. قاله عطاء[٣٤٦٩]، وابن زيد[٣٤٧٠].

قال عطاء: "هم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبَغَوْا عليهم، ثم مَكَّنهم الله منهم فانتصروا"[٣٤٧١].

قال ابن زيد: "ذكر المهاجرين صنفين، صنفا عفا، وصنفا انتصر، وقرأ :{وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ}، قال: فبدأ بهم {وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ} ... إلى قوله: {وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}، وهم الأنصار. ثم ذكر الصنف الثالث فقال: {وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ} من المشركين"[٣٤٧٢].

الثاني: أنه عامّ في جميع البُغاة، سواء كانوا مسلمين أو كافرين. وهذا قول السدي[٣٤٧٣].

الثالث: أنه بَغْيُ المسلمين على المسلمين خاصة. حكاه ابن الجوزي[٣٤٧٤].

قال الطبري:و"القول الثاني أولى في ذلك بالصواب، لأن الله لم يخصص من ذلك معنى دون معنى، بل حمد كلّ منتصر بحقّ ممن بغى عليه"[٣٤٧٥].

قال ابن كثير:" أي : فيهم قوة الانتصار ممن ظلمهم واعتدى عليهم ، ليسوا بعاجزين ولا أذلة ، بل يقدرون على الانتقام ممن بغى عليهم ، وإن كانوا مع هذا إذا قدروا وعفوا ، كما قال يوسف ، عليه السلام ، لإخوته : {لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف : ٩٢] ، مع قدرته على مؤاخذتهم ومقابلتهم على صنيعهم إليه ، وكما عفا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولئك النفر الثمانين الذين قصدوه عام الحديبية ، ونزلوا من جبل التنعيم ، فلما قدر عليهم مَنَّ عليهم مع قدرته على الانتقام ، وكذلك عفوه عن غَوْرَث بن الحارث ، الذي أراد الفتك به عليه السلام حين اخترط سيفه وهو نائم ، فاستيقظ ، عليه السلام ، وهو في يده صَلْتا ، فانتهره فوضعه من يده ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف من يده ، ودعا أصحابه ، ثم أعلمهم بما كان من أمره وأمر هذا الرجل ، وعفا عنه. وكذلك عفا عن لبيد بن الأعصم، الذي سحره ، عليه السلام ، ومع هذا لم يعرض له ، ولا عاتبه ، مع قدرته عليه. وكذلك عفوه ، عليه السلام ، عن المرأة اليهودية - وهي زينب أخت مرحب اليهودي الخيبري الذي قتله محمود بن مسلمة - التي سمت الذراع يوم خيبر ، فأخبره الذراع بذلك ، فدعاها فاعترفت فقال : "ما حملك على ذلك" قالت : أردت إن كنت نبيا لم يضرك ، وإن لم تكن نبيا استرحنا منك ، فأطلقها ، عليه الصلاة والسلام ، ولكن لما مات منه بشر بن البراء قتلها به ، والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جدا ، والحمد لله"[٣٤٧٦].

قال إبراهيم:" كانوا يكرهون للمؤمنين أن يستذلوا، وكانوا إذا قدروا عفوا"[٣٤٧٧].

وقال إبراهيم -في رواية-:" كانوا يكرهون أن بذلوا أنفسهم للفساق فيجترئوا عليهم"[٣٤٧٨].

قال الطبري:" فإن قال قائل: وما في الانتصار من المدح؟

قيل: إن في إقامة الظالم على سبيل الحقّ وعقوبته بما هو له أهل تقويما له، وفي ذلك أعظم المدح"[٣٤٧٩].

(٣٤٦٩) انظر: زاد المسير: ٦٧/٤. حكاه بدون سند.
(٣٤٧٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٧/٢١.
(٣٤٧١) نقلا عن: زاد المسير: ٦٧/٤. حكاه بدون سند.
(٣٤٧٢) أخرجه الطبري: ٥٤٧/٢١.
(٣٤٧٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٧/٢١.
(٣٤٧٤) انظر: زاد المسير: ٦٧/٤.
(٣٤٧٥) تفسير الطبري: ٥٤٧/٢١.
(٣٤٧٦) تفسير ابن كثير: ٢١١/٧.
(٣٤٧٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٤٨٦):ص٣٢٧٩/١٠.
(٣٤٧٨) رواه الفراء في معاني القرآن: ٢٥/٣.
(٣٤٧٩) تفسير الطبري: ٥٤٧/٢١.

قال الزجاج:" هم محمودون؛ لأن من انتصر فأخذ بحقه ولم يجاوز في ذلك ما أمر اللَّه به فلم يُسْرِفْ في القتل إن كان ولي دم ولا في قصاص فهو مطيع للَّهِ عزَّ وجلَّ، وكل مطيع محمود، وكذلك من اجتنب المعاصي فهو محمود، ودليل ذلك قوله: {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا}"(٣٤٨٠).

قال الشوكاني:" ذكر سبحانه هؤلاء المنتصرين في معرض المدح كما ذكر المغفرة عند الغضب في معرض المدح لأن التذلل لمن بغى ليس من صفات من جعل الله له العزة حيث قال: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ} [المنافقون : ٨]، فالانتصار عند البغي فضيلة، كما أن العفو عند الغضب فضيلة"(٣٤٨١).

قال ابن الجوزي:" واختلف في هذه الآية علماء الناسخ والمنسوخ، فذهب بعض القائلين بأنها في المشركين إلى أنها منسوخة بآية السيف، فكأنهم يشيرون إلى أنها أثبتت الانتصار بعد بَغْي المشركين، فلمّا جاز لنا أن نبدأهم بالقتال، دَلَّ على أنها منسوخة. وللقائلين بأنها في المسلمين قولان:

أحدهما: أنها منسوخة بقوله: {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ} [الشورى : ٤٣]، فكأنها نبَّهتْ على مدح المنتصِر، ثم أعلمنا أن الصبر والغفران أمدح، فبان وجه النسخ.

والثاني: أنها محكَمة، لأن الصبر والغفران فضيلة، والانتصار مباح، فعلى هذا تكون محكمة، وهو الأصح"(٣٤٨٢).

القرآن

{وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠)} [الشورى :٤٠]

التفسير:

وجزاء سيئة المسيء عقوبته بسيئة مثلها من غير زيادة، فمن عفا عن المسيء، وترك عقابه، وأصلح الودَّ بينه وبين المعفو عنه ابتغاء وجه الله، فأجْرُ عفوه ذلك على الله. إن الله لا يحب الظالمين الذين يبدؤون بالعدوان على الناس، ويسيئون إليهم.

قوله تعالى:{وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا} [الشورى :٤٠]، أي:" وجزاء سيئة المسيء عقوبته بسيئة مثلها من غير زيادة"(٣٤٨٣).

قال الطبري:" معناه: وجزاء سيئة المسيء عقوبته بما أوجبه الله عليه، فهي وإن كانت عقوبة من الله أوجبها عليه، فهي مساءة له. والسيئة: إنما هي الفعلة من السوء، وذلك نظير قول الله عز وجل {وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلا مِثْلَهَا}، وقد قيل: إن معنى ذلك: أن يجاب القائل الكلمة القزعة بمثلها"(٣٤٨٤).

قال ابن كثير:" قوله تعالى : {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا} كقوله تعالى : {فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} [البقرة : ١٩٤] وكقوله:{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} [النحل : ١٢٩] فشرع العدل وهو القصاص ، وندب إلى الفضل وهو العفو ، كقوله تعالى: {وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ} [المائدة : ٤٥]"(٣٤٨٥).

قال الزجاج:" فالأولى «سيئة» في اللفظ والمعنى، والثانية «سيئة» في اللفظ، عاملها ليس بمسيء، ولكنها سميت سيئة لأنها مجازاة لسوء فإنما يجازي السوء بمثله، والمجازاة به

(٣٤٨٠) معاني القرآن: ٤٠١/٤.
(٣٤٨١) فتح القدير: ٦٢٠/٤.
(٣٤٨٢) زاد المسير: ٦٧/٤-٦٨.
(٣٤٨٣) التفسير الميسر: ٤٨٧.
(٣٤٨٤) تفسير الطبري: ٥٤٧/٢١.
(٣٤٨٥) تفسير ابن كثير: ٢١١/٧-٢١٢.

غيْرُ سيّئة توجب ذَنْباً، وَإِنَّمَا قيل لها سيئة ليعلم أن الجَارِحَ والجاني يُقْتَص مِنْهُ بمقدار جنايته، وهذا مثل قوله تعالى: {فَمنِ اعتدى عليكم فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} تأويله كافئوه بمثله، وعلى هذا كلام العرب"[٣٤٨٦].

قال النحاس:" أولى ما قيل فيه: معاقبة المسيء بما يجب عليه وسميت الثانية «سيئة»، لأنها مساءة للمقتص منه والنحويون يقولون هذا على الازدواج وأكثر العلماء على أن هذا في العقوبات والقصاص وأخذ المال لا في الكلام"[٣٤٨٧].

عن مجاهد:" {وجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُها} هو جواب القبيح إذا قال: أخزاك الله. تقول: أخزاك الله. وإذا شتمك فاشتمه بمثلها، مِن غير أن تعتدي"[٣٤٨٨].

قال أبو بشر: "سمعت ابن أبي نجيح يقول في قوله: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا}، قال: يقول أخزاه الله، فيقول: أخزاه الله"[٣٤٨٩].

عَن ابْن جريج فِي قَوْله: "{وَجَزَاء سَيِّئَة سَيِّئَة مثلهَا} قَالَ: مَا يكون من النَّاس فِي الدُّنْيَا مِمَّا يُصِيب بَعضهم بَعْضًا وَالْقصاص"[٣٤٩٠].

قال السدي:" إذا شتمك بشتمة فاشمته مثلها من غير أن تعتدي"[٣٤٩١].

قال سفيان بن عُيَينة: "قلت لسفيان الثوري في قوله: {وجزاء سيئة سيئة مثلها}: ما هو؟ قال: هو أن يشتمك رجل فتشتمه، أو أن يفعل فتفعل به. فلم أجد عنده منه شيئًا، فسألت هشام بن حُجَيْر عن هذه الآية: {وجزاء سيئة سيئة مثلها}، قال: الجارح إذا جرح يُقتصّ منه، وليس هو أن يسبّك فتسبّه"[٣٤٩٢].

قال الشوكاني:" ولكن هذا الانتصار مشروط بالاقتصار على ما جعله الله له وعدم مجاوزته كما بينه سبحانه عقب هذا بقوله: وجزاء سيئة سيئة مثلها فبين سبحانه أن العدل في الانتصار هو الاقتصار على المساواة، وظاهر هذا العموم"[٣٤٩٣].

وفي حكم قوله تعالى:{وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا} [الشورى :٤٠]، قولان:

أحدهما: أنه عام ، والآية محكمة. حكاه النحاس عن قتادة[٣٤٩٤].

قال النحاس: "وكذا يدل ظاهر الكلام والله عز وجل أعلم"[٣٤٩٥].

الثاني: أنهما منسوخة بالجهاد. قاله ابن زيد[٣٤٩٦].

قال ابن زيد:" {الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ} من المشركين، {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ} ... الآية، ليس أمركم أن تعفوا عنهم لأنه أحبهم {وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ}، ثم نسخ هذا كله وأمره بالجهاد"[٣٤٩٧].

قال الطبري:" لم يثبت حجة في قوله: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا} أنه مراد به المشركون دون المسلمين، ولا بأن هذه الآية منسوخة، فنسلم لها بأن ذلك كذلك"[٣٤٩٨].

(٣٤٨٦) معاني القرآن: ٤٠١/٤.
(٣٤٨٧) الناسخ والمنسوخ: ٦٥٨.
(٣٤٨٨)تفسير البغوي ٧/ ١٩٨.
(٣٤٨٩) أخرجه الطبري: ٥٤٧/٢١.
(٣٤٩٠) الدر المنثور: ٣٥٨/٧، وعزاه إِلَى ابْن الْمُنْذر.
(٣٤٩١) أخرجه الطبري: ٥٤٧/٢١.
(٣٤٩٢)أخرجه إسحاق البستي ص ٣٠٨، والثعلبي ٨/ ٣٢٣ مختصرًا.
(٣٤٩٣) فتح القدير: ٦٢٠/٤.
(٣٤٩٤) الناسخ والمنسوخ: ٦٥٩.
(٣٤٩٥) الناسخ والمنسوخ: ٦٥٩.
(٣٤٩٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٨/٢١.
(٣٤٩٧) أخرجه الطبري: ٥٤٨/٢١.
(٣٤٩٨) تفسير الطبري: ٥٤٨/٢١.

قوله تعالى:{فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} [الشورى :٤٠]، أي:" فمن عفا عن المسيء، وترك عقابه، وأصلح الودَّ بينه وبين المعفو عنه ابتغاء وجه الله، فأَجْرُ عفوه ذلك على الله"(٣٤٩٩).

قال الطبري:يقول:" فمن عفا عمن أساء إليه إساءته إليه، فغفرها له، ولم يعاقبه بها، وهو على عقوبته عليها قادر ابتغاء وجه الله، فأجر عفوه ذلك على الله، والله مثيبه عليه ثوابه"(٣٥٠٠).

قال مقاتل:" يعني: فمن ترك الجارح ولم يقتص {وأصلح} العمل كان العفو من الأعمال الصالحة، {فأجره على الله}"(٣٥٠١).

قال ابن أبي زمنين:" يقول: فمن ترك مظلمته {فأجره} ثوابه {على الله}"(٣٥٠٢).

قال ابن كثير:" أي : لا يضيع ذلك عند الله كما صح في الحديث : «وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا»(٣٥٠٣) "(٣٥٠٤).

قال الشوكاني:" أي: من عفا عمن ظلمه وأصلح بالعفو بينه وبين ظالمه، أي: أن الله سبحانه يأجره على ذلك، وأبهم الأجر تعظيما لشأنه، وتنبيها على جلالته"(٣٥٠٥).

عَن مُحَمَّد بن الْمُنْكَدر، قَالَ: "إِذا كَانَ يَوْم الْقِيَامَة صرخَ صارخ الأَرْض أَلا من كَانَ لَهُ على الله حق فَلْيقمْ فَيقوم من عَفا وَأصْلح"(٣٥٠٦).

قال الحسن البصري:" يُنادي مُنادٍ يوم القيامة: مَن كان له أجرٌ على الله فلْيَقُم. قال: فيقوم مَن عفا في الدنيا"(٣٥٠٧).

قوله تعالى:{إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [الشورى :٤٠]، أي:" إن الله لا يحب الظالمين الذين يبدؤون بالعدوان على الناس، ويسيئون إليهم"(٣٥٠٨).

عن ابن عباس:" {إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} الذين يبدؤون بالظلم"(٣٥٠٩).

قال الطبري:" يقول: إن الله لا يحب أهل الظلم الذين يتعدّون على الناس، فيسيئون إليهم بغير ما أذن الله لهم فيه"(٣٥١٠).

قال مقاتل:" يعني: من بدأ بالظلم والجراءة"(٣٥١١).

قال ابن كثير:" {إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} أي : المعتدين ، وهو المبتدئ بالسيئة، وقال بعضهم : لما كانت الأقسام ثلاثة : ظالم لنفسه ، ومقتصد ، وسابق بالخيرات ، ذكر الأقسام الثلاثة في هذه الآية فذكر المقتصد وهو الذي يفيض بقدر حقه لقوله : {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا} ، ثم ذكر السابق بقوله : {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} ثم ذكر الظالم بقوله : {إِنَّهُ لا يُحِبُّ

(٣٤٩٩) التفسير الميسر: ٤٨٧.
(٣٥٠٠) تفسير الطبري: ٥٤٨/٢١.
(٣٥٠١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٧٣/٣.
(٣٥٠٢) تفسير ابن ابي زمنين: ١٧١/٤.
(٣٥٠٣) الحديث:« عن أبي هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل».
في المسند(٩٠٠٨):ص٥٥٢/١٤، وصحيح مسلم(٢٥٨٨):ص٢٠٠١/٤، وسنن الترمذي(٢٠٢٩):ص٤٤٤/٣
(٣٥٠٤) تفسير ابن كثير: ٢١٢/٧.
(٣٥٠٥) فتح القدير: ٦٢٠/٤.
(٣٥٠٦) الدر المنثور: ٣٥٩/٧، وعزاه إلى سعيد بن مَنْصُور وَابْن الْمُنْذر.
(٣٥٠٧)أخرجه إسحاق البستي ص ٣٠٩.
(٣٥٠٨) التفسير الميسر: ٤٨٧.
(٣٥٠٩)تفسير الثعلبي ٨/ ٣٢٣، وتفسير البغوي ٧/ ١٩٨.
(٣٥١٠) تفسير الطبري: ٥٤٨/٢١.
(٣٥١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٧٣/٣.

الظَّالِمِينَ} فأمر بالعدل ، وندب إلى الفضل ، ونهى من الظلم، ثم قال : {وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ} أي : ليس عليهم جناح في الانتصار ممن ظلمهم"(٣٥١٢).

عن سفيان بن عيينة: "{والله لا يحب الظالمين}، لا يقرب الظالمين"(٣٥١٣).

قال الزمخشري:" قوله :{إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}، دلالة على أن الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز السيئة والاعتداء خصوصا في حال الحرد(٣٥١٤) والتهاب الحمية فربما كان المجازى من الظالمين وهو لا يشعر"(٣٥١٥).

قال السعدي:" ذكر الله في هذه الآية، مراتب العقوبات، وأنها على ثلاث مراتب: عدل وفضل وظلم.

- فمرتبة العدل: جزاء السيئة بسيئة مثلها، لا زيادة ولا نقص، فالنفس بالنفس، وكل جارحة بالجارحة المماثلة لها، والمال يضمن بمثله.
- ومرتبة الفضل: العفو والإصلاح عن المسيء، ولهذا قال: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} يجزيه أجرا عظيما، وثوابا كثيرا، وشرط الله في العفو الإصلاح فيه، ليدل ذلك على أنه إذا كان الجاني لا يليق العفو عنه، وكانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته، فإنه في هذه الحال لا يكون مأمورا به، وفي جعل أجر العافي على الله ما يهيج على العفو، وأن يعامل العبد الخلق بما يحب أن يعامله الله به، فكما يحب أن يعفو الله عنه، فَلْيَعْفُ عنهم، وكما يحب أن يسامحه الله، فليسامحهم، فإن الجزاء من جنس العمل.
- وأما مرتبة الظلم فقد ذكرها بقوله: {إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} الذين يجنون على غيرهم ابتداء، أو يقابلون الجاني بأكثر من جنايته، فالزيادة ظلم"(٣٥١٦).

القرآن

{وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١)} [الشورى : ٤١]

التفسير:

ولمن انتصر ممن ظلمه من بعد ظلمه له فأولئك ما عليهم من مؤاخذة.

سبب النزول:

قال الفراء:" نزلت أيضا في أبي بكر"(٣٥١٧).

قوله تعالى:{وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ} [الشورى :٤١]، أي:" ولمن انتصر ممن ظلمه من بعد ظلمه له"(٣٥١٨).

قال الطبري: يقول:" ولمن انتصر ممن ظلمه من بعد ظلمه إياه"(٣٥١٩).

قال السعدي:" أي: انتصر ممن ظلمه بعد وقوع الظلم عليه"(٣٥٢٠).

(٣٥١٢) تفسير ابن كثير: ٢١٢/٧.

(٣٥١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٥٩٩):ص/٦٦٤.

(٣٥١٤)«الحرد» في الصحاح: «الحرد» بالتحريك: الغضب.

(٣٥١٥) الكشاف: ٢٢٩/٤.

(٣٥١٦) تفسير السعدي: ٧٦٠.

(٣٥١٧) معاني القرآن: ٢٥/٣. والحديث رواه البيهقي في شعب الإيمان(٧٧١٦):ص٤١٢/١٠، عن أبي هريرة، قال: "استطال رجل على أبي بكر الصديق، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس، وأبو بكر ساكت، فلما أكثر انتصر أبو بكر، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاتبعه أبو بكر، فقال: يا رسول الله، استطال علي وأنت ساكت، فلما انتصرت قمت؟ فقال: " يا أبا بكر، إنك ما سكت كان الملك يرد عليه، فلما انتصرت ارتفع الملك، وحضر الشيطان، فلم أكن لأجالس الشيطان، يا أبا بكر، ثلاث اعلم أنهن حق: ما عفا امرؤ عن مظلمة إلا زاده الله بها عزا، وما فتح رجل على نفسه باب مسألة يبتغي بها كثرة إلا زاده الله بها فقرا، وما فتح رجل على نفسه باب صدقة يبتغي بها وجه الله إلا زاده الله كثرة ".

(٣٥١٨) التفسير الميسر: ٤٨٧.

(٣٥١٩) تفسير الطبري: ٥٤٩/٢١.

(٣٥٢٠) تفسير السعدي: ٧٦٠.

قال مقاتل:" يقول: إذا انتصر المجروح، فاقتص من الجارح"[٣٥٢١].

عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من دعا على من ظلمه فقد انتصر"[٣٥٢٢].

قوله تعالى:{فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ} [الشورى :٤١]، أي:" فأولئك ما عليهم من مؤاخذة"[٣٥٢٣].

قال الطبري: "يقول: فأولئك المنتصرون منهم لا سبيل للمنتصر منهم عليهم بعقوبة لا أذى، لأنهم انتصروا منهم بحقّ، ومن أخذ حقه ممن وجب ذلك له عليه، ولم يتعد، لم يظلم، فيكون عليه سبيل"[٣٥٢٤].

قال ابن أبي زمنين:" {فأولئك ما عليهم من سبيل}، أي: من حجة"[٣٥٢٥].

قال السعدي:" أي: لا حرج عليهم في ذلك"[٣٥٢٦].

قال مقاتل:" {فأولئك ما عليهم}، يعني: على الجارح، {من سبيل}، يعني: العدوان حين انتصر من الجارح "[٣٥٢٧].

واختلف أهل التفسير في المعني بالآية الكريمة على قولين:

أحدهما: عني به كلّ منتصر ممن أساء إليه، مسلما كان المسيء أو كافرا. قاله قتادة[٣٥٢٨].

قال قتادة:" هذا في الخمش[٣٥٢٩]يكون بين الناس"[٣٥٣٠].

وقال قتادة:" هذا فيما يكون بين الناس من القصاص، فأما لو ظلمك رجل لم يحلّ لك أن تظلمه"[٣٥٣١]

روي عن ابن عون، قال: "كنت أسأل عن الانتصار {وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ}... الآية، فحدثني علي بن زيد بن جدعان، عن أمّ محمد امرأة أبيه، قال ابن عون: زعموا أنها كانت تدخل على أمّ المؤمنين قالت: قالت أم المؤمنين: دخل رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، وعندنا زينب بنت جحش، فجعل يصنع بيده شيئا، ولم يفطن لها، فقلت بيده حتى فطَّنته لها، فأمسك، وأقبلت زينب تقحم عائشة، فنهاها، فأبت أن تنتهي، فقال لعائشة:"سُبيها" فسبتها وغلبتها وانطلقت زينب فأتت عليا، فقالت: إن عائشة تقع بكم وتفعل بكم، فجاءت فاطمة، فقال لها:"إنها حبة أبيك وربّ الكعبة"، فانصرفت وقالت لعليّ: إني قلت له كذا وكذا، فقال كذا وكذا; قال: وجاء عليّ إلى النبيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فكلّمه في ذلك"[٣٥٣٢].

الثاني: عُنِيَ به الانتصار من أهل الشرك، وقال: هذا منسوخ. قاله ابن زيد[٣٥٣٣].

(٣٥٢١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٧٣/٣.

(٣٥٢٢)سنن الترمذي برقم (٣٥٥٢):ص٤٤٦/٥، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف(٢٩٥٧٦):ص٧٤/٦، وابن عدي في الكامل (٤١٢/٦) من طريق أبي الأحوص به ، وقال ابن عدي : "لا أعلم من يرويه عن أبي حمزة غير أبي الأحوص".

(٣٥٢٣) التفسير الميسر: ٤٨٧.

(٣٥٢٤) تفسير الطبري: ٥٤٩/٢١.

(٣٥٢٥) تفسير ابن ابي زمنين: ١٧١/٤.

(٣٥٢٦) تفسير السعدي: ٧٦٠.

(٣٥٢٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٧٣/٣.

(٣٥٢٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٤٩/٢١.

(٣٥٢٩)المقصود بالخمش: ما كان دون القتل والدية من قطع أو جدع أو جرح أو ضرب أو نهب ونحو ذلك. من أنواع الأذى التي لا قصاص فيها. [انظر: النهاية لابن الأثير].

(٣٥٣٠) أخرجه الطبري: ٥٤٩/٢١.

(٣٥٣١) أخرجه الطبري: ٥٥٠/٢١.

(٣٥٣٢) أخرجه الطبري: ٥٤٩/٢١.

(٣٥٣٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٠/٢١.

قال ابن زيد:" لمن انتصر بعد ظلمه من المؤمنين انتصر من المشركين وهذا قد نسخ، وليس هذا في أهل الإسلام، ولكن في أهل الإسلام الذي قال الله تبارك وتعالى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}"[٣٥٣٤].

عن زيد بن أسلم -من طريق هشام بن سعيد- قال: "{ولمن انتصر بعد ظلمه} إلى قوله: {في الأرض بغير الحق} المشركين الذين كانوا يظلمون الناس المسلمين {لهم عذاب أليم}"[٣٥٣٥].

قال الطبري:" والصواب من القول أن يقال: إنه معنيٌّ به كل منتصر من ظالمه، وأن الآية محكمة غير منسوخة للعلة التي بينت في الآية قبلها"[٣٥٣٦].

قال القرطبي:" المسلم إذا انتصر من الكافر فلا سبيل إلى لومه، بل يحمد على ذلك مع الكافر. ولا لوم إن انتصر الظالم من المسلم، فالانتصار من الكافر حتم، ومن المسلم مباح، والعفو مندوب"[٣٥٣٧].

فوائد الآيات: [٣٦-٤١]:

١- متاع الحياة الدنيا إذا قوبل بما أعد الله للمؤمنين المتقين لا يعد شيئاً يذكر أبدا.

٢- بيان أكمل الشخصيات الإسلامية وهي الشخصية التي تتصف بالصفات العشر التي تضمنتها الآيات الأربع ذات الرقم (٣٦- ٣٧- ٣٨- ٣٩)[٣٥٣٨].

٣- مشروعية القصاص وعقوبة الظالم.

٤- عدم مؤاخذة من ظلم فأخذ بحقه بلا زيادة عنه ما لم يكن حداً فإن الحدود يقيمها الإمام.

٥- فضيلة العفو على الإخوة المسلمين والإصلاح بينهم.

القرآن

{إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢)} [الشورى :٤٢]

التفسير:

إنما المؤاخذة على الذين يتعدَّون على الناس ظلمًا وعدوانًا، ويتجاوزون الحدَّ الذي أباحه لهم ربهم إلى ما لم يأذن لهم فيه، فيفسدون في الأرض بغير الحق، أولئك لهم يوم القيامة عذاب مؤلم موجع.

قوله تعالى:{إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ} [الشورى :٤٢]، أي:" إنما المؤاخذة على الذين يتعدَّون على الناس ظلمًا وعدوانًا"[٣٥٣٩].

قال الثعلبي:" يبدؤون بالظلم"[٣٥٤٠].

قال ابن كثير:" أي إنما الحرج والعنت على الذين يبدؤون الناس بالظلم، كما جاء في الحديث الصحيح «المستبان ما قالا فعلى البادئ ما لم يعتد المظلوم»[٣٥٤١] "[٣٥٤٢].

(٣٥٣٤) أخرجه الطبري: ٥٥٠/٢١.

(٣٥٣٥)أخرجه ابن إسحاق في سيرته ص ١٥٥.

(٣٥٣٦) تفسير الطبري: ٥٥٠/٢١.

(٣٥٣٧) تفسير القرطبي: ٤١/١٦.

(٣٥٣٨) قوله تعالى: {فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٦) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٣٩)} [الشورى : ٣٦ - ٣٩].

(٣٥٣٩) التفسير الميسر: ٤٨٧.

(٣٥٤٠) الكشف والبيان: ٣٩١/٢٣. د. دار التفسير.

(٣٥٤١)أخرجه مسلم في البر حديث ٦٩، وأبو داود في الأدب باب ٣٩، والترمذي في البر باب ٥١، وأحمد في المسند ٢/ ٢٣٥، ٤٨٨، ٥١٧، ٤/ ١٦٢، ٢٦٦، ٦/ ٢٦٦.

(٣٥٤٢) تفسير ابن كثير: ١٩٥/٧.

قال الطبري: يقول:"إنما الطريق لكم أيها الناس على الذين يتعدّون على الناس ظلما وعدوانا، بأن يعاقبوهم بظلمهم لا على من انتصر ممن ظلمه، فأخذ منه حقه"[٣٥٤٣].

عن ابن جريج:" {إِنَّمَا السَّبِيل على الَّذين يظْلمُونَ النَّاس} الْآيَة، قَالَ: من أهل الشّرك"[٣٥٤٤].

قوله تعالى:{وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْض بِغَيْرِ الحَقِّ} [الشورى :٤٢]، أي:" ويتجاوزون الحدَّ الذي أباحه لهم ربهم إلى ما لم يأذن لهم فيه، فيفسدون في الأرض بغير الحق"[٣٥٤٥].

قال الطبري:" يقول: ويتجاوزون في أرض الله الحدّ الذي أباح لهم ربهم إلى ما لم يأذن لهم فيه، فيفسدون فيها بغير الحق"[٣٥٤٦].

قوله تعالى:{أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الشورى :٤٢]، أي:" أولئك لهم يوم القيامة عذاب مؤلم موجع"[٣٥٤٧].

قال ابن كثير:" أي: شديد موجع"[٣٥٤٨].

قال الطبري:" يقول: فهؤلاء الذين يظلمون الناس، ويبغون في الأرض بغير الحق، لهم عذاب من الله يوم القيامة في جهنم مؤلم موجع"[٣٥٤٩].

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"[٣٥٥٠]، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك[٣٥٥١].

محمد بن واسع قال: قدمت مكة فإذا على الخندق منظرة فأخذت، فانطلق بي إلى مروان بن المهلب وهو أمير على البصرة، فقال: حاجتك يا أبا عبد الله. قلت: حاجتي إن استطعت أن تكون كما قال أخو بني عدي، قال: ومن أخو بني عدي؟ قال: العلاء بن زياد، استعمل صديقا له مرة على عمل فكتب إليه: «أما بعد فإن استطعت أن لا تبيت إلا وظهرك خفيف، وبطنك خميص وكفك نقية من دماء المسلمين وأموالهم، فإنك إذا فعلت ذلك لم يكن عليك سبيل: {إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عذاب أليم}، فقال: صدق والله ونصح، ثم قال: ما حاجتك يا أبا عبد الله؟ قلت: حاجتي أن تلحقني بأهلي. قال: نعم "[٣٥٥٢].

القرآن

{وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤٣)} [الشورى :٤٣]

التفسير:

ولمن صبر على الأذى، وقابل الإساءة بالعفو والصفح والسَّتر، إن ذلك من عزائم الأمور المشكورة والأفعال الحميدة التي أمر الله بها، ورتَّب لها ثوابًا جزيلا وثناءً حميدًا.

قوله تعالى:{وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ} [الشورى :٤٣]، أي:" ولمن صبر على الأذى، وقابل الإساءة بالعفو والصفح والسَّتر"[٣٥٥٣].

قال الطبري: يقول:" ولمن صبر على إساءة إليه، وغفر للمسيء إليه جرمه إليه، فلم ينتصر منه، وهو على الانتصار منه قادر ابتغاء وجه الله وجزيل ثوابه"[٣٥٥٤].

(٣٥٤٣) تفسير الطبري: ٥٥٠/٢١.
(٣٥٤٤) الدر المنثور: ٣٦١/٧، وعزاه إلى ابْن الْمُنْذر.
(٣٥٤٥) التفسير الميسر: ٤٨٧.
(٣٥٤٦) تفسير الطبري: ٥٥٠/٢١.
(٣٥٤٧) التفسير الميسر: ٤٨٧.
(٣٥٤٨) تفسير ابن كثير: ١٩٥/٧.
(٣٥٤٩) تفسير الطبري: ٥٥٠/٢١.
(٣٥٥٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(٣٥٥١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(٣٥٥٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٤٨٧):ص٣٢٧٩/١٠-٣٢٨٠.
(٣٥٥٣) التفسير الميسر: ٤٨٧.

قال ابن كثير:" ثم إنه تعالى لما ذم الظلم وأهله وشرع القصاص، قال نادبا إلى العفو والصفح : {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ}، أي : صبر على الأذى وستر السيئة"[٣٥٥٥].

قال البغوي:" {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ} فلم ينتصر"[٣٥٥٦].

قال الزمخشري:" {وَلَمَنْ صَبَرَ} على الظلم والأذى{وَغَفَرَ} ولم ينتصر وفوّض أمره إلى الله"[٣٥٥٧].

قوله تعالى:{إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [الشورى :٤٣]، أي:" إن ذلك من عزائم الأمور المشكورة والأفعال الحميدة التي أمر الله بها، ورتَّب لها ثوابًا جزيلا وثناءً حميدًا"[٣٥٥٨].

قال الطبري:" يقول: إن صبره ذلك وغفرانه ذنب المسيء إليه، لمن عزم الأمور التي ندب إليها عباده، وعزم عليهم العمل به"[٣٥٥٩].

قال البغوي:" {إن ذلك} الصبر والتجاوز، {لمن عزم الأمور} حقها وجزمها"[٣٥٦٠].

قال ابن كثير:"أي : لمن الأمور المشكورة والأفعال الحميدة التي عليها ثواب جزيل وثناء جميل"[٣٥٦١].

قال سعيد بن جبير : يعني: لمن حق الأمور التي أمر الله بها"[٣٥٦٢].

قال الزجاج:" أي: الصابر يؤتى بصبره ثواباً فكل من زادت رغبته في الثواب فهو أتمُّ عَزْم، وقد قال بعض أهل اللغة إن معنى قوله تعالى: {وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ} أن منه القصاصَ والعفوَ"[٣٥٦٣].

حكى عن الحسن البصري -من طريق المبارك بن فَضالة - قال: "سبَّ رجلٌ رجلًا مِن الصدر الأول، فقام الرجل وهو يمسح العرَق عن وجهه، وهو يتلو: {ولَمَن صَبَرَ وغَفَرَ إنَّ ذَلِكَ لَمِن عَزْمِ الأُمُورِ}. قال الحسن: عَقِلَها -واللهِ- وفهمها إذ ضيَّعها الجاهلون"[٣٥٦٤].

عن عبد الصمد بن يزيد - خادم الفضيل بن عياض - قال : "سمعت الفضيل بن عياض يقول: إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلا فقل : "يا أخي ، اعف عنه". فإن العفو أقرب للتقوى ، فإن قال : لا يحتمل قلبي العفو ، ولكن أنتصر كما أمرني الله عز وجل. فقل له إن كنت تحسن أن تنتصر وإلا فارجع إلى باب العفو ، فإنه باب واسع ، فإنه من عفا وأصلح فأجره على الله ، وصاحب العفو ينام على فراشه بالليل ، وصاحب الانتصار يقلب الأمور"[٣٥٦٥].

قال الزمخشري:" وقالوا: العفو مندوب إليه، ثم الأمر قد ينعكس في بعض الأحوال، فيرجع ترك العفو مندوبا إليه، وذلك إذا احتيج إلى كف زيادة البغي، وقطع مادة الأذى. وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل عليه: وهو أن زينب أسمعت عائشة بحضرته، وكان ينهاها فلا تنتهي، فقال لعائشة: «دونك فانتصرى»[٣٥٦٦]"[٣٥٦٧].

(٣٥٥٤) تفسير الطبري: ٥٥١/٢١.

(٣٥٥٥) تفسير ابن كثير: ٢١٣/٧.

(٣٥٥٦) تفسير البغوي: ١٩٨/٧.

(٣٥٥٧) الكشاف: ٢٣٠/٤.

(٣٥٥٨) التفسير الميسر: ٤٨٧.

(٣٥٥٩) تفسير الطبري: ٥٥١/٢١.

(٣٥٦٠) تفسير البغوي: ١٩٨/٧.

(٣٥٦١)تفسير ابن كثير: ٢١٣/٧.

(٣٥٦٢) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢١٣/٧.

(٣٥٦٣) معاني القرآن: ٤٠٢/٤.

(٣٥٦٤)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الصبر -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٧ (١٢٠) - ، وانظر: الكشاف: ٢٣٠/٤.

(٣٥٦٥) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٢١٣/٧-٢١٤.

(٣٥٦٦)أخرجه النسائي في السنن "الكبرى" ٥/ ٢٩٠ رقم: (٨٩١٤) و (٨٩١٥) و(٨٩١٦)، من رواية خالد بن مسلمة عن عروة عن عائشة قالت: ما علمت حتى دخلت على زينب بغير إذن وهي بمعنى [بياض بالأصل.] فذكر نحوه. ولم يذكر فيه النهى. ولفظه: ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندنا زينب بنت جحش-

القرآن
{وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ (٤٤)} [الشورى : ٤٤]
التفسير:
ومن يضلله الله عن الرشاد بسبب ظلمه فليس له من ناصر يهديه سبيل الرشاد. وترى -أيها الرسول- الكافرين بالله يوم القيامة -حين رأوا العذاب- يقولون لربهم: هل لنا من سبيل إلى الرجوع إلى الدنيا؛ لنعمل بطاعتك؟ فلا يجابون إلى ذلك.

قوله تعالى:{وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ} [الشورى :٤٤]، أي:" ومن يضلله الله عن الرشاد بسبب ظلمه فليس له من ناصر يهديه سبيل الرشاد"[٣٥٦٨].

قال الطبري:" يقول: ومن خذله الله عن الرشاد، فليس له من ولي يليه، فيهديه لسبيل الصواب، ويسدده من بعد إضلال الله إياه"[٣٥٦٩].

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرا عن نفسه الكريمة : إنه ما شاء كان ولا راد له ، وما لم يشأ لم يكن فلا موجد له وأنه من هداه فلا مُضِل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، كما قال : {وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا} [الكهف : ١٧]"[٣٥٧٠].

قوله تعالى:{وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ} [الشورى :٤٤]، أي:" وترى -أيها الرسول- الكافرين بالله يوم القيامة -حين رأوا العذاب- يقولون لربهم: هل لنا من سبيل إلى الرجوع إلى الدنيا؛ لنعمل بطاعتك؟"[٣٥٧١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: وترى الكافرين بالله يا محمد يوم القيامة لما عاينوا عذاب الله يقولون لربهم: {هَلْ} لنا يا رب {إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ} وذلك كقوله: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا} ... الآية، استعتب المساكين في غير حين الاستعتاب"[٣٥٧٢].

قال الشوكاني:" أي: المشركين المكذبين بالبعث، حين نظروا النار، وقيل: نظروا ما أعده الله لهم عند الموت يقولون: هل إلى الرجعة إلى الدنيا من طريق"[٣٥٧٣].

قال ابن كثير:" أي : يوم القيامة يتمنون الرجعة إلى الدنيا ، {يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ} ، كما قال تعالى: {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [الأنعام : ٢٧ ، ٢٨]"[٣٥٧٤].

عن السديّ، قوله: "{هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ}، يقول: إلى الدنيا"[٣٥٧٥].

قال السعدي: "أي: هل لنا طريق أو حيلة إلى رجوعنا إلى الدنيا، لنعمل غير الذي كنا نعمل، وهذا طلب للأمر المحال الذي لا يمكن"[٣٥٧٦].

إلى أن قال: فأقبلت زينب هجم لعائشة فنهاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبت أن تنتهي. قال: لعائشة سبيها فسبتها فغلبتها».
(٣٥٦٧) الكشاف: ٢٣٠/٤.
(٣٥٦٨) التفسير الميسر: ٤٨٧.
(٣٥٦٩) تفسير الطبري: ٥٥١/٢١.
(٣٥٧٠) تفسير ابن كثير: ٢١٤/٧.
(٣٥٧١) التفسير الميسر: ٤٨٧.
(٣٥٧٢) تفسير الطبري: ٥٥١/٢١.
(٣٥٧٣) فتح القدير: ٦٢٢/٤.
(٣٥٧٤) تفسير ابن كثير: ٢١٤/٧-٢١٥.
(٣٥٧٥) أخرجه الطبري: ٥٥١/٢١.
(٣٥٧٦) تفسير السعدي: ٧٦١.

القرآن

{وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ (٤٥)} [الشورى :٤٥]

التفسير:

وترى -أيها الرسول- هؤلاء الظالمين يُعْرَضون على النار خاضعين متذللين ينظرون إلى النار مِن طرْف ذليل ضعيف من الخوف والهوان. وقال الذين آمنوا بالله ورسوله في الجنة، لما عاينوا ما حلَّ بالكفار من خسران: إن الخاسرين حقًا هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة بدخول النار. ألا إن الظالمين -يوم القيامة- في عذاب دائم، لا ينقطع عنهم، ولا يزول.

قوله تعالى:{وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ} [الشورى :٤٥]، أي:" وترى -أيها الرسول- هؤلاء الظالمين يُعْرَضون على النار خاضعين متذللين"[(٣٥٧٧)].

قال الطبري:يقول:" وترى يا محمد الظالمين يعرضون على النار {خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ} يقول: خاضعين متذللين"[(٣٥٧٨)].

قال مقاتل:" يعني: على النار واقفين عليها، خاضعين من الذل الذي نزل بهم"[(٣٥٧٩)].

قال الشوكاني:" أي: ساكنين متواضعين عند أن يعرضوا على النار لما لحقهم من الذل والهوان"[(٣٥٨٠)].

قال السعدي:" أي: ترى أجسامهم خاشعة للذل الذي في قلوبهم"[(٣٥٨١)].

عن السديّ، قوله:"{خَاشِعِينَ}، قال: خاضعين من الذلّ"[(٣٥٨٢)].

قال ابن زيد:" الخشوع: الخوف والخشية لله عزّ وجلّ، وقرأ قول الله عزّ وجلّ: {لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ} ... إلى قوله: {خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ}، قال: قد أذلهم الخوف الذي نزل بهم وخشعوا له"[(٣٥٨٣)].

قوله تعالى:{يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ} [الشورى :٤٥]، أي:" ينظرون إلى النار مِن طرْف ذليل ضعيف من الخوف والهوان"[(٣٥٨٤)].

قال الطبري:" يقول: ينظر هؤلاء الظالمون إلى النار حين يعرضون عليها من طرف خفي"[(٣٥٨٥)].

قال الباقلاني:" يعني به: الذلة والخوف والإستكانة والاستسلام لعذاب الله"[(٣٥٨٦)].

وفي قوله تعالى:{يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ} [الشورى :٤٥]، وجوه من التفسير:

أحدها : ينظرون بأبصار قلوبهم دون عيونهم لأنهم يحشرون عمياً ، قاله أبو سليمان[(٣٥٨٧)].

الثاني : يسارقون النظر إلى النار حذراً، قاله قتادة[(٣٥٨٨)]، والسدي[(٣٥٨٩)]، ومحمد بن كعب[(٣٥٩٠)].

(٣٥٧٧) التفسير الميسر: ٤٨٨.

(٣٥٧٨) تفسير الطبري: ٥٥٢/٢١.

(٣٥٧٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٧٣/٣.

(٣٥٨٠) فتح القدير: ٦٢٢/٤.

(٣٥٨١) تفسير السعدي: ٧٦١.

(٣٥٨٢) أخرجه الطبري: ٥٥٣/٢١.

(٣٥٨٣) أخرجه الطبري: ٥٥٢/٢١-٥٥٣.

(٣٥٨٤) التفسير الميسر: ٤٨٨.

(٣٥٨٥) تفسير الطبري: ٥٥٣/٢١.

(٣٥٨٦) الإنتصار للقرآن: ٧٣٦/٢.

(٣٥٨٧) انظر: النكت والعيون: ٢١٠/٥. وحكاه الطبري في تفسيره:٥٥٤/٢١، والنحاس في: معاني القرآن: ٣٢٣/٦، دون نسبة.

(٣٥٨٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٣/٢١.

(٣٥٨٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٣/٢١.

(٣٥٩٠) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٦١/٤، والماوردي في النكت والعيون: ٢١٠/٥.

قال مقاتل:" يعني: يستخفون بالنظر إليها يسارقون النظر"[3591].
قال ابن كثير:" أي: ينظرون إليها مُسَارقة خوفا منها ، والذي يحذرون منه واقع بهم لا محالة ، وما هو أعظم مما في نفوسهم ، أجارنا الله من ذلك"[3592].
قال السعدي:" أي: ينظرون إلى النار مسارقة وشزرا، من هيبتها وخوفها"[3593].
الثالث : بطرفٍ ذليل ، قاله ابن عباس[3594]، ومجاهد[3595].
قال ابن قتيبة:" أي: قد غَضُّوا أبصارهم من الذلِّ"[3596].
قال الأخفش:" {من طرف خفي}، يقول: بطرف"[3597].
الرابع: معناه: لا يفتح عينه إنما ينظر ببعضها. قاله أبو عبيدة[3598].
قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك، القول الذي ذكرناه عن ابن عباس ومجاهد، وهو أن معناه: أنهم ينظرون إلى النار من طرف ذليل، وصفه الله جلّ ثناؤه بالخفاء للذلة التي قد ركبتهم، حتى كادت أعينهم أن تغور، فتذهب"[3599].
قوله تعالى:{وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [الشورى :٤٥]، أي:" وقال الذين آمنوا بالله ورسوله في الجنة، لما عاينوا ما حلَّ بالكفار من خسران: إن الخاسرين حقًا هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة بدخول النار"[3600].
قال الطبري: يقول:" وقال الذين آمنوا بالله ورسوله: إن المغبونين الذين غبنوا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة في الجنة"[3601].
قال ابن كثير:" أي : الخسار الأكبر {الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} أي : ذهب بهم إلى النار فعدموا لذتهم في دار الأبد ، وخسروا أنفسهم ، وفرق بينهم وبين أصحابهم وأحبابهم وأهاليهم وقراباتهم، فخسروهم"[3602].
قال الشوكاني:" أي: إن الكاملين في الخسران: هم هؤلاء الذين جمعوا بين خسران الأنفس والأهلين في يوم القيامة. أما خسرانهم لأنفسهم فلكونهم صاروا في النار معذبين بها، وأما خسرانهم لأهليهم فلأنهم إن كانوا معهم في النار فلا ينتفعون بهم، وإن كانوا في الجنة فقد حيل بينهم وبينهم، وقيل خسران الأهل: أنهم لو آمنوا لكان لهم في الجنة أهل من الحور العين"[3603].
قال السعدي:" فوتوا أنفسهم جزيل الثواب، وحصلوا على أليم العقاب وفرق بينهم وبين أهليهم، فلم يجتمعوا بهم، آخر ما عليهم"[3604].
قال السدي:" غبنوا أنفسهم وأهليهم في الجنة"[3605].

(٣٥٩١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٧٣/٣.
(٣٥٩٢) تفسير ابن كثير: ٢١٥/٧.
(٣٥٩٣) تفسير السعدي: ٧٦١.
(٣٥٩٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٣/٢١.
(٣٥٩٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٣/٢١.
(٣٥٩٦) غريب القرآن: ٣٩٤.
(٣٥٩٧) معاني القرآن: ٥٣٥/٢.
(٣٥٩٨) انظر: مجاز القرآن: ٢٠١/٢.
(٣٥٩٩) تفسير الطبري: ٥٥٤/٢١.
(٣٦٠٠) التفسير الميسر: ٤٨٨.
(٣٦٠١) تفسير الطبري: ٥٥٤/٢١.
(٣٦٠٢) تفسير ابن كثير: ٢١٥/٧.
(٣٦٠٣) فتح القدير: ٦٢٢/٤-٦٢٣.
(٣٦٠٤) تفسير السعدي: ٧٦١.
(٣٦٠٥) أخرجه الطبري: ٥٥٤/٢١.

قال مقاتل:" يعني: غبنوا أنفسهم فصاروا إلى النار وخسروا، وغبنوا أهليهم في الجنة فصاروا لغيرهم، ولو دخلوا الجنة أصابوا الأهل، فلما دخلوا النار حرموا فصار ما في الجنة والأهلين لغيرهم"(٣٦٠٦).

قال مجاهد وقتادة:" ليس أحد إلا وقد أعد الله له أهلا في الجنة , إن أطاعه"(٣٦٠٧).

وعن ابن عباس - رضي الله عنه - أنه قال: "ليس من أحد من كافر ومسلم إلا وله أهل ومنزل في الجنة، فإن أطاع الله - تعالى - أتى منزله وأهله، وإن عصاه خسر نفسه وأهله، ومنزله في الجنة وورثه المؤمنون عنه"(٣٦٠٨).

قال الماتريدي:" لكن لا يحتمل أن يكون الله - عز وجل - مع علمه أنه يموت كافرا أن يجعل له الأهل والمنزل في الجنة، اللهم إلا أن يفعل ذلك ليكون لهم حسرة على ذلك وغيظا"(٣٦٠٩).

قوله تعالى:{أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ} [الشورى :٤٥]، أي:" ألا إن الظالمين -يوم القيامة- في عذاب دائم، لا ينقطع عنهم، ولا يزول"(٣٦١٠).

قال السعدي:" {أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ} أنفسهم بالكفر والمعاصي {فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ} أي: في سوائه ووسطه، منغمرين لا يخرجون منه أبدا، ولا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون"(٣٦١١).

قال الطبري: يقول:" ألا إن الكافرين يوم القيامة في عذاب لهم من الله مقيم عليهم، ثابت لا يزول عنهم، ولا يَبيد، ولا يخفّ"(٣٦١٢).

قال ابن كثير:" أي : دائم سرمدي أبدي ، لا خروج لهم منها ولا محيد لهم عنها"(٣٦١٣).

قال الشوكاني:" هذا يجوز أن يكون من تمام كلام المؤمنين، ويجوز أن يكون من كلام الله سبحانه، أي: هم في عذاب دائم لا ينقطع"(٣٦١٤).

القرآن

{وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ (٤٦)} [الشورى :٤٦]

التفسير:

وما كان لهؤلاء الكافرين حين يعذبهم الله يوم القيامة من أعوان ونصراء ينصرونهم من عذاب الله. ومن يضلله الله بسبب كفره وظلمه، فما له من طريق يصل به إلى الحق في الدنيا، وإلى

(٣٦٠٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٧٤/٣.

(٣٦٠٧) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٦٢٢):ص١٢٩/٣.

(٣٦٠٨) نقلا عن: تأويلات أهل السنة: ١٣٧/٩.

(٣٦٠٩) تاويلات أهل السنة: ١٣٧/٩. وقال: " يخرج ما ذكر من خسران أنفسهم وأهليهم على وجوه:
أحدها: ما ذكر بقوله - تعالى -: {قوا أنفسكم وأهليكم نارا}، أمروا بأن يقوا أنفسهم وأهليهم النار، فهم حيث لم يقوا ما ذكر من الأنفس والأهل خسروا، والله أعلم.
والثاني: قوله: {خسروا أنفسهم وأهليهم}، أي: خسروا بسبب أنفسهم، وبسبب أهليهم؛ كقوله - تعالى -: {إنما أموالكم وأولادكم فتنة}؛ لما يعملون أمورا بسبب الأموال والأولاد والأزواج، هي فتنة لهم، وكقوله: {إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم}، فقد يخسر الرجل ويصير مؤاخذا بسبب هؤلاء.
والثالث: يحتمل أن يكون خسرانهم أنفسهم وأهليهم ما قالوا: {ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا}، وقوله: {ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى}، خسر ما كان رجاه وطمع أن له عند ربه في الآخرة للحسنى.
على هذه الوجوه الثلاثة يخرج تأويل الآية". [تأويلات أهل السنة: ١٣٦/٩-١٣٧]

(٣٦١٠) التفسير الميسر: ٤٨٨.

(٣٦١١) تفسير السعدي: ٧٦١.

(٣٦١٢) تفسير الطبري: ٥٥٤/٢١.

(٣٦١٣) تفسير ابن كثير: ٢١٥/٧.

(٣٦١٤) فتح القدير: ٦٢٣/٤.

الجنة في الآخرة؛ لأنه قد سدَّت عليه طرق النجاة، فالهداية والإضلال بيده سبحانه وتعالى دون سواه.

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [الشورى :٤٦]، أي:" وما كان لهؤلاء الكافرين حين يعذبهم الله يوم القيامة من أعوان ونصراء ينصرونهم من عذاب الله"(٣٦١٥).

قال الطبري: يقول:" ولم يكن لهؤلاء الكافرين حين يعذبهم الله يوم القيامة أولياء يمنعونهم من عذاب الله ولا ينتصرون لهم من ربهم على ما نالهم به من العذاب من دون الله"(٣٦١٦).

قال مقاتل:" يقول: وما كان لهم من أقرباء يمنعونهم من الله"(٣٦١٧).

قال ابن كثير:" أي : ينقذونهم مما هم فيه من العذاب والنكال"(٣٦١٨).

قال الشوكاني:" أي: لم يكن لهم أعوان يدفعون عنهم العذاب، وأنصار ينصرونهم في ذلك الموطن من دون الله، بل هو المتصرف سبحانه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن"(٣٦١٩).

قال السعدي:" كما كانوا في الدنيا يمنون بذلك أنفسهم، ففي القيامة يتبين لهم ولغيرهم أن أسبابهم التي أملوها تقطعت، وأنه حين جاءهم عذاب الله لم يدفع عنهم"(٣٦٢٠).

قوله تعالى:{وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ} [الشورى :٤٦]، أي:" ومن يضلله الله بسبب كفره وظلمه، فما له من طريق يصل به إلى الحق في الدنيا، وإلى الجنة في الآخرة"(٣٦٢١).

قال الطبري: " يقول: ومن يخذله عن طريق الحق فما له من طريق إلى الوصول إليه، لأن الهداية والإضلال بيده دون كلّ أحد سواه"(٣٦٢٢).

قال ابن كثير:" أي : ليس له خلاص"(٣٦٢٣).

قال الشوكاني:" أي: من طريق يسلكها إلى النجاة"(٣٦٢٤).

قال السعدي:" فهؤلاء ضلوا حيث زعموا في شركائهم النفع ودفع الضر، فتبين حينئذ ضلالهم"(٣٦٢٥).

فوائد الآيات: [٣٦-٤٦]:

١- لا سبيل إلى معاقبة من انتصر لنفسه بعد ظلمه.

٢- وجوب معاقبة الظالم والضرب على يديه.

٣- فضيلة الصبر والتجاوز عن المسلم إذا أساء بقول أو عمل.

٤- لا أعظم خسرانا ممن يخلد في النار ويحرم الجنة وما فيها من نعيم مقيم.

القرآن

{اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ (٤٧)} [الشورى :٤٧]

التفسير:

(٣٦١٥) التفسير الميسر: ٤٨٨.

(٣٦١٦) تفسير الطبري: ٥٥٥/٢١.

(٣٦١٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٧٤/٣.

(٣٦١٨) تفسير ابن كثير: ٢١٥/٧.

(٣٦١٩) فتح القدير: ٦٢٣/٤.

(٣٦٢٠) تفسير السعدي: ٧٦١.

(٣٦٢١) التفسير الميسر: ٤٨٨.

(٣٦٢٢) تفسير الطبري: ٥٥٥/٢١.

(٣٦٢٣) تفسير ابن كثير: ٢١٥/٧.

(٣٦٢٤) فتح القدير: ٦٢٣/٤.

(٣٦٢٥) تفسير السعدي: ٧٦١.

استجيبوا لربكم -أيها الكافرون- بالإيمان والطاعة من قبل أن يأتي يوم القيامة، الذي لا يمكن رده، ما لكم من ملجأ يومئذ ينجيكم من العذاب، ولا مكان يستركم، وتتنكرون فيه. وفي الآية دليل على ذم التسويف، وفيها الأمر بالمبادرة إلى كل عمل صالح يعرض للعبد، فإن للتأخير آفات وموانع.

قوله تعالى:{اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ} [الشورى :٤٧]، أي:" استجيبوا لربكم -أيها الكافرون- بالإيمان والطاعة من قبل أن يأتي يوم القيامة، الذي لا يمكن رده"(٣٦٢٦).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره للكافرين به: أجيبوا أيها الناس داعي الله وآمنوا به واتبعوه على ما جاءكم به من عند ربكم{مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ} لا شيء يرد مجيئه إذا جاء الله به، وذلك يوم القيامة"(٣٦٢٧).

قال ابن كثير:" لما ذكر تعالى ما يكون في يوم القيامة من الأهوال والأمور العظام الهائلة حَذَّر منه وأمر بالاستعداد له ، فقال : {اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ} أي : إذا أمر بكونه فإنه كلمح البصر يكون ، وليس له دافع ولا مانع"(٣٦٢٨).

قوله تعالى:{مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ} [الشورى :٤٧]، أي:" ما لكم من ملجأ يومئذ ينجيكم من العذاب"(٣٦٢٩).

قال الطبري: يقول:" ما لكم أيها الناس من معقل تحترزون فيه، وتلجئون إليه، فتعتصمون به من النازل بكم من عذاب الله على كفركم به، كان في الدنيا"(٣٦٣٠).

قال الزجاج:" أي: ليس لكم مَخلَصٌ من العَذابِ"(٣٦٣١).

قال ابن كثير:" أي : ليس لكم حصن تتحصنون فيه"(٣٦٣٢).

قال السعدي:" وليس للعبد في ذلك اليوم ملجأ يلجأ إليه، فيفوت ربه، ويهرب منه، بل قد أحاطت الملائكة بالخليقة من خلفهم، ونودوا {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ}"(٣٦٣٣).

عن مجاهد، قوله: "{مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ}، قال: من مَحْرَز"(٣٦٣٤).

عن السديّ: "{مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ}، تلجئون إليه"(٣٦٣٥).

قوله تعالى:{وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ} [الشورى :٤٧]، أي:" ولا تستطيعون إنكار ما اجترحتموه من السيئات"(٣٦٣٦).

قال الطبري: " يقول: ولا أنتم تقدرون لما يحلّ بكم من عقابه يومئذ على تغييره، ولا على انتصار منه إذا عاقبكم بما عاقبكم به"(٣٦٣٧).

قال الزجاج:" ولا تَقْدِرُون أن تنكروا ما تقفون عليه مِنْ ذُنُوبَكُمْ ولا ما يَنْزِلُ بِكُمْ مِنَ العَذَاب"(٣٦٣٨).

قال النحاس:أي:" ولا تنكرون ما وقفتم عليه من أعمالكم"(٣٦٣٩).

(٣٦٢٦) التفسير الميسر: ٤٨٨.
(٣٦٢٧) تفسير الطبري: ٥٥٥/٢١.
(٣٦٢٨) تفسير ابن كثير: ٢١٥/٧.
(٣٦٢٩) التفسير الميسر: ٤٨٨.
(٣٦٣٠) تفسير الطبري: ٥٥٥/٢١.
(٣٦٣١) معاني القرآن: ٤٠٢/٤.
(٣٦٣٢) تفسير ابن كثير: ٢١٥/٧.
(٣٦٣٣) تفسير السعدي: ٧٦١.
(٣٦٣٤) أخرجه الطبري: ٥٥٥/٢١.
(٣٦٣٥) أخرجه الطبري: ٥٥٥/٢١.
(٣٦٣٦) تفسير ابن المراغي: ٦١/٢٥.
(٣٦٣٧) تفسير الطبري: ٥٥٥/٢١.
(٣٦٣٨) معاني القرآن: ٤٠٢/٤.

قال ابن كثير:" ولا مكان يستركم وتتنكرون فيه ، فتغيبون عن بصره ، تبارك وتعالى ، بل هو محيط بكم بعلمه وبصره وقدرته ، فلا ملجأ منه إلا إليه ، {يَقُولُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ. كَلا لا وَزَرَ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ} [القيامة : ١٠ - ١٢]"(٣٦٤٠).

قال الشوكاني:" المعنى: ما لكم من إنكار يومئذ، بل تعترفون بذنوبكم"(٣٦٤١).

قال السعدي:" وليس للعبد في ذلك اليوم نكير لما اقترفه وأجرمه، بل لو أنكر لشهدت عليه جوارحه. وهذه الآية ونحوها، فيها ذم الأمل، والأمر بانتهاز الفرصة في كل عمل يعرض للعبد، فإن للتأخير آفات"(٣٦٤٢).

عن مجاهد، قوله: "{مِنْ نَكِيرٍ}، قال: ناصر ينصركم"(٣٦٤٣).

عن السديّ: "{وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ}، يقول: من عز تعتزون"(٣٦٤٤).

القرآن

{فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ (٤٨)} [الشورى :٤٨]

التفسير:

فإن أعرض هؤلاء المشركون -أيها الرسول- عن الإيمان بالله فما أرسلناك عليهم حافظًا لأعمالهم حتى تحاسبهم عليها، ما عليك إلا البلاغ. وإنَّا إذا أعطينا الإنسان منا رحمة مِن غنى وسَعَة في المال وغير ذلك، فَرِح وسُرَّ، وإن تصبهم مصيبة مِن فقر ومرض وغير ذلك بسبب ما قدمته أيديهم من معاصي الله، فإن الإنسان جحود يعدِّد المصائب، وينسى النعم.

قوله تعالى:{فَإِنْ أَعْرَضُوا} [الشورى :٤٨]، أي:" إن أعرض هؤلاء المشركون -أيها الرسول- عن الإيمان بالله"(٣٦٤٥).

قال الطبري: يقول:" فإن أعرض هؤلاء المشركون يا محمد عما أتيتهم به من الحق، ودعوتهم إليه من الرشد، فلم يستجيبوا لك، وأبوا قبوله منك"(٣٦٤٦).

قال ابن كثير:" يعني : المشركين"(٣٦٤٧).

قوله تعالى:{فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} [الشورى :٤٨]، أي:" فما أرسلناك عليهم حافظًا لأعمالهم حتى تحاسبهم عليها"(٣٦٤٨).

قال الطبري: يقول:" فدعهم، فإنا لن نرسلك إليهم رقيبا عليهم، تحفظ عليهم أعمالهم وتحصيها"(٣٦٤٩).

قال ابن كثير:" أي : لست عليهم بمصيطر. وقال تعالى : {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [البقرة : ٢٧٢] ، وقال تعالى : {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ} [الرعد : ٤٠]"(٣٦٥٠).

قال عطاء: "{وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا}: تمنعهم مني"(٣٦٥١).

(٣٦٣٩) إعراب القرآن: ٦٢/٤.
(٣٦٤٠) تفسير ابن كثير: ٢١٥/٧.
(٣٦٤١) فتح القدير: ٦٢٣/٤.
(٣٦٤٢) تفسير السعدي: ٧٦١.
(٣٦٤٣) أخرجه الطبري: ٥٥٥/٢١.
(٣٦٤٤) أخرجه الطبري: ٥٥٥/٢١.
(٣٦٤٥) التفسير الميسر: ٤٨٨.
(٣٦٤٦) تفسير الطبري: ٥٥٦/٢١.
(٣٦٤٧) تفسير ابن كثير: ٢١٥/٧.
(٣٦٤٨) التفسير الميسر: ٤٨٨.
(٣٦٤٩) تفسير الطبري: ٥٥٦/٢١.
(٣٦٥٠) تفسير ابن كثير: ٢١٥/٧.
(٣٦٥١) تفسير الثعلبي: ١٧٣/١٢، ط. دار التفسير. وتفسير البغوي: ١٧٦/٣، وذكره الواحدي في

قوله تعالى:{إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ} [الشورى :٤٨]، أي:" ما عليك إلا البلاغ"(٣٦٥٢).

قال الطبري:" يقول: ما عليك يا محمد إلا أن تبلغهم ما أرسلناك به إليهم من الرسالة، فإذا بلغتهم ذلك، فقد قضيت ما عليك"(٣٦٥٣).

قال ابن كثير:" أي : إنما كلفناك أن تبلغهم رسالة الله إليهم"(٣٦٥٤).

عن ابن وهب قال:" سألت ابن زيد عن قول الله:"{ما أرسلناك عليهم حفيظًا}، قال: هذا أول ما بعثه، قال: {إِنْ عَلَيْكَ إِلا الْبَلاغُ} [سورة الشورى: ٤٨] . قال: ثم جاء بعد هذا بأمره بجهادهم والغلظة عليهم حتى يسلموا"(٣٦٥٥).

قوله تعالى:{وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا} [الشورى :٤٨]، أي:" وإنَّا إذا أعطينا الإنسان منا رحمة مِن غنى وسَعَة في المال وغير ذلك، فَرِح وسُرَّ"(٣٦٥٦).

قال الطبري: يقول: " فإنا إذا أغنينا ابن آدم فأعطيناه من عندنا سعة، وذلك هو الرحمة التي ذكرها جلّ ثناؤه، سر بما أعطيناه من الغنى، ورزقناه من السعة وكثرة المال"(٣٦٥٧).

قال ابن كثير:" أي : إذا أصابه رخاء ونعمة فرح بذلك"(٣٦٥٨).

قال ابن عباس:" يعني: الغِنى، والصِّحَّة"(٣٦٥٩).

عن ابن جريج:" {وَلَئِن أذقنا الإِنسان منا رَحْمَة} الْآيَة، قَالَ: يَا ابْن آدم إِذا كَانَت بك نعْمَة من الله من السعَة والأمن والعافية..."(٣٦٦٠).

قوله تعالى:{وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ} [الشورى :٤٨]، أي:" وإن تصبهم مصيبة مِن فقر ومرض وغير ذلك بسبب ما قدمته أيديهم من معاصي الله، فإن الإنسان جحود يعدِّد المصائب، وينسى النعم"(٣٦٦١).

قال الطبري: "يقول: وإن أصابتهم فاقة وفقر وضيق عيش بما أسلفت من معصية الله عقوبة له على معصيته إياه، جحد نعمة الله، وأيس من الخير، فإن الإنسان جحود نعم ربه، يعدد المصائب ويجحد النعم"(٣٦٦٢).

قال ابن كثير:" {وَإِنْ تُصِبْهُمْ} يعني: الناس، جدب ونقمة وبلاء وشدة، يجحد ما تقدم من النعمة ولا يعرف إلا الساعة الراهنة ، فإن أصابته نعمة أشر وبطر ، وإن أصابته محنة يئس وقنط ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء: «يا معشر النساء ، تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار» فقالت امرأة : ولِمَ يا رسول الله ؟ قال : «لأنكن تُكثرن الشكاية ، وتكفرن العشير ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم تركت يوما قالت : ما رأيت منك خيرا قط»(٣٦٦٣). وهذا حال أكثر الناس إلا من هداه الله وألهمه رشده ، وكان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فالمؤمن كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن» "(٣٦٦٤).

"البسيط":٣٤٥/٨، عن عطاء عن ابن عباس.

(٣٦٥٢) التفسير الميسر: ٤٨٨.

(٣٦٥٣) تفسير الطبري: ٥٥٦/٢١.

(٣٦٥٤) تفسير ابن كثير: ٢١٥/٧.

(٣٦٥٥) أخرجه الطبري(٩٩٧٩):ص٥٦٢/٨.

(٣٦٥٦) التفسير الميسر: ٤٨٨.

(٣٦٥٧) تفسير الطبري: ٥٥٦/٢١.

(٣٦٥٨) تفسير ابن كثير: ٢١٦/٧.

(٣٦٥٩)تفسير البغوي ٧/ ٢٠٠.

(٣٦٦٠) الدر المنثور: ٤٠٥/٤، وعزاه إلى ابْن جرير وَأبي الشَّيْخ. وتمامه:".. فكفور لما بك مِنْهَا وَإِذا نزعت مِنْك يَبْتَغِي لَك فراغك فيؤوس من روح الله قنوط من رَحمته كَذَلِك أَمر الْمُنَافِق وَالْكَافِر".

(٣٦٦١) التفسير الميسر: ٤٨٨.

(٣٦٦٢) تفسير الطبري: ٥٥٦/٢١.

(٣٦٦٣)مسلم في صحيحه برقم (٢٩٩) من حديث صهيب رضي الله عنه.

(٣٦٦٤) تفسير ابن كثير: ٢١٦/٧.

القرآن

{لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠)} [الشورى :٤٩-٥٠]

التفسير:

لله سبحانه وتعالى ملك السموات والأرض وما فيهما، يخلق ما يشاء من الخلق، يهب لمن يشاء من عباده إناثًا لا ذكور معهن، ويهب لمن يشاء الذكور لا إناث معهم، ويعطي سبحانه وتعالى لمن يشاء من الناس الذكر والأنثى، ويجعل مَن يشاء عقيمًا لا يولد له، إنه عليم بما يَخْلُق، قدير على خَلْق ما يشاء، لا يعجزه شيء أراد خلقه.

قوله تعالى:{لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الشورى : ٤٩]، أي:" لله سبحانه وتعالى ملك السموات والأرض وما فيهما"[٣٦٦٥].

قال الطبري:يقول:" لله سلطان السموات السبع والأرضين، يفعل في سلطانه ما يشاء"[٣٦٦٦].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى أنه خالق السموات والأرض ومالكهما والمتصرف فيهما ، وأنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأنه يعطي من يشاء ، ويمنع من يشاء، ولا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع"[٣٦٦٧].

قوله تعالى:{يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ} [الشورى : ٤٩]، أي:" يخلق ما يشاء من الخلق"[٣٦٦٨].

قال الطبري:" ويخلق ما يحبّ خلقه"[٣٦٦٩].

قوله تعالى:{يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ} [الشورى : ٤٩]، أي:" يهب لمن يشاء من عباده إناثًا لا ذكور معهن، ويهب لمن يشاء الذكور لا إناث معهم"[٣٦٧٠].

قال الطبري:" يهب لمن يشاء من خلقه من الولد الإناث دون الذكور، بأن يجعل كل ما حملت زوجته من حمل منه أنثى،ويهب لمن يشاء منهم الذكور، بأن يجعل كل حمل حملته امرأته ذكرا لا أنثى فيهم"[٣٦٧١].

قال ابن كثير:" {يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا}، أي: : يرزقه البنات فقط، {وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ}، أي : يرزقه البنين فقط"[٣٦٧٢].

قال البغوي : "{يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا}،فلا يكون له ولد ذكر، ومنهم: لوط - عليه السلام- ، {وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ}فلا يكون له أنثى، كإبراهيم الخليل -عليه السلام - لم يولد له أنثى"[٣٦٧٣].

عن السدي: "{يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ} ليست معهم إناث"[٣٦٧٤].

عن الضحاك: قوله:"{يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ} ليس فيهم أنثى"[٣٦٧٥].

(٣٦٦٥) التفسير الميسر: ٤٨٨.
(٣٦٦٦) تفسير الطبري: ٥٥٦/٢١-٥٥٧.
(٣٦٦٧) تفسير ابن كثير: ٢١٦/٧.
(٣٦٦٨) التفسير الميسر: ٤٨٨.
(٣٦٦٩) تفسير الطبري :٥٥٧/٢١.
(٣٦٧٠) التفسير الميسر: ٤٨٨.
(٣٦٧١) تفسير الطبري :٥٥٧/٢١.
(٣٦٧٢) تفسير ابن كثير: ٢١٦/٧.
(٣٦٧٣) تفسير البغوي: ٢٠٠/٧.
(٣٦٧٤) أخرجه الطبري: ٥٥٧/٢١.
(٣٦٧٥) أخرجه الطبري: ٥٥٧/٢١.

عن واثلة بن الأسقع، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «إنّ من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذّكر، وذلك إنّ الله تعالى يقول: {يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إناثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ}، ألا ترى إنّه بدأ بالإناث قبل الذّكور»[٣٦٧٦].

قال ابن عطية:" وبدئ في هذه الآية بذكر الإناث تأنيسا بهن وتشريفا لهن ليتهمم بصونهن والإحسان إليهن، وقال النبي عليه السلام: «من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له حجابا من النار»[٣٦٧٧]"[٣٦٧٨].

قوله تعالى:{أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا} [الشورى : ٥٠]، أي:" ويعطي سبحانه وتعالى لمن يشاء من الناس الذكر والأنثى"[٣٦٧٩].

قال ابن كثير:" أي : ويعطي من يشاء من الناس الزوجين الذكر والأنثى ، أي : من هذا وهذا"[٣٦٨٠].

قال البغوي : «كمحمد ، عليه الصلاة والسلام»[٣٦٨١]

عن السدي: "{أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا}، قال: يهب لهم إناثا وذكرانا"[٣٦٨٢].

قال الضحاك:" تلد المرأة ذكرا مرّة وأنثى مرّة"[٣٦٨٣].

قال ابن زيد:" أو يجعل في الواحد ذكرا وأنثى توأما"[٣٦٨٤].

عن مجاهد: "{أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا}، قال: يخلط بينهم، يقول: التزويج: أن تلد المرأة غلاما، ثم تلد جارية، ثم تلد غلاما، ثم تلد جارية"[٣٦٨٥].

قوله تعالى:{وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا} [الشورى : ٥٠]، أي:" ويجعل مَن يشاء عقيمًا لا يولد له"[٣٦٨٦].

قال البغوي:" فلا يلد ولا يولد له، كيحيى وعيسى ، عليهما السلام"[٣٦٨٧].

قال ابن كثير:" أي : لا يولد له، فجعل الناس أربعة أقسام ، منهم من يعطيه البنات ، ومنهم من يعطيه البنين ، ومنهم من يعطيه من النوعين ذكورا وإناثا ، ومنهم من يمنعه هذا وهذا ، فيجعله عقيما لا نسل له ولا يولد له"[٣٦٨٨].

عن الضحاك والسدي: "{وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا}، لا يُولَد له"[٣٦٨٩].

عن ابن عباس، قوله: "{وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا}، يقول: لا يُلْقِح"[٣٦٩٠].

قال ابن زيد:" لا يلد واحدا ولا اثنين"[٣٦٩١].

(٣٦٧٦) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٢٤/٨، وانظر: كنز العمال: ١٦/ ٦١١/ ح ٤٦٠٤٦، وتفسير القرطبي: ١٦/ ٤٨ بتفاوت في المصدرين.

(٣٦٧٧) الحديث:« من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن، كن له سترًا من النار». أخرجه مسلم في صحيحه (كتاب البر والصلة والآداب -باب فضل الإحسان إلى البنات-٤/ ٢٠٢٧، رقم ١٤٧).[ص:١٣٢]، وأخرجه البخاري في صحيحه (كتاب الأدب -باب رحمة الولد وتقبيله- ٥/ ٢٢٣٤، رقم ٥٦٤٩).

(٣٦٧٨) المحرر الوجيز: ٤٣/٥.

(٣٦٧٩) التفسير الميسر: ٤٨٨.

(٣٦٨٠) تفسير ابن كثير: ٢١٦/٧.

(٣٦٨١) تفسير البغوي: ٢٠٠/٧.

(٣٦٨٢) أخرجه الطبري: ٥٥٧/٢١.

(٣٦٨٣) أخرجه الطبري: ٥٥٧/٢١.

(٣٦٨٤) أخرجه الطبري: ٥٥٧/٢١-٥٥٨.

(٣٦٨٥) أخرجه الطبري: ٥٥٧/٢١.

(٣٦٨٦) التفسير الميسر: ٤٨٨.

(٣٦٨٧) تفسير البغوي: ٢٠٠/٧.

(٣٦٨٨) تفسير ابن كثير: ٢١٦/٧.

(٣٦٨٩) أخرجه الطبري: ٥٥٧/٢١.

(٣٦٩٠) أخرجه الطبري: ٥٥٧/٢١.

(٣٦٩١) أخرجه الطبري: ٥٥٧/٢١.

عن قتادة، قوله: "{يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ}، قادر والله ربنا على ذلك أن يهب للرجل ذكورا ليست معهم أنثى، وأن يهب للرجل ذكرانا وإناثا، فيجمعهم له جميعا، {وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا}، لا يولد له"[٣٦٩٢].

عن إسحاق بن بشر، في قول الله تعالى: {يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إِناثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْراناً وَإِناثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيماً}، قال: "نزلت في الأنبياء -عليهم السلام- ثم عمت، {يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إِناثاً}، يعني: لوطا -عليه السلام- لم يولد له ذكر إنما ولد له ابنتان. {وَيَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ}، ويعنى: إبراهيم -عليه السلام- لم يولد له أنثى، {أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْراناً وَإِناثاً}، يعني: النبي صلى الله عليه وسلم ولد له بنون وبنات، {وَيَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيماً}، يعني: يحيى وعيسى -عليهم السلام-"[٣٦٩٣].

قوله تعالى:{إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ} [الشورى : ٥٠]، أي:" إنه عليم بما يَخْلُق، قدير على خَلْق ما يشاء، لا يعجزه شيء أراد خلقه"[٣٦٩٤].

قال الطبري: يقول:" إن الله ذو علم بما يخلق، وقدرة على خلق ما يشاء لا يعزب عنه علم شيء من خلقه، ولا يعجزه شيء أراد خلقه"[٣٦٩٥].

قال ابن عطية:" هذا كله مدبر بالعلم والقدرة، وهذه الآية تقضي بفساد وجود الخنثى المشكل"[٣٦٩٦].

قال ابن كثير:" {قَدِيرٌ} أي : على من يشاء ، من تفاوت الناس في ذلك. وهذا المقام شبيه بقوله تعالى عن عيسى : {وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاس} [مريم : ٢١] أي : دلالة لهم على قدرته ، تعالى وتقدس ، حيث خلق الخلق على أربعة أقسام ، فآدم ، عليه السلام ، مخلوق من تراب لا من ذكر ولا أنثى ، وحواء عليها السلام ، مخلوقة من ذكر بلا أنثى ، وسائر الخلق سوى عيسى عليه السلام من ذكر وأنثى ، وعيسى ، عليه السلام ، من أنثى بلا ذكر فتمت الدلالة بخلق عيسى ابن مريم ، عليهما السلام ؛ ولهذا قال : {وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاس} ، فهذا المقام في الآباء ، والمقام الأول في الأبناء ، وكل منهما أربعة أقسام ، فسبحان العليم القدير"[٣٦٩٧].

فوائد الآيات: [٤٧-٥٠]:

١- وجوب الاستجابة لله تعالى في كل ما دعا العبد إليه، وذلك قبل أن يطلب الاستجابة ولا يمكن منها.

٢- على الدعاة إلى الله تعالى إبلاغ مطلوب الله تعالى من عباده، ولا يضرهم بعد ذلك شيء.

٣- بيان طبع الإنسان وحاله قبل أن يهذب بالإيمان واليقين والطاعات.

٤- لله مطلق التصرف في الملكوت كله فلا يصح الاعتراض عليه في شيء فهو يهب ويمنع لحكم عالية لا تدركها عقول العباد.

٥- وجود عقم في الرجال وعقم في النساء، ولا بأس بالعلاج الجائز المشروع عند الشعور بالعقم أو العقر. أما ما ظهر الآن من بنوك المني، والإنجاب بطريق صبّ ماء فحل في فرج امرأة عاقر وما إلى ذلك فهذه من أعمال الملاحدة الذين لا يدينون لله بالطاعة له والتسلم لقضائه، وإن صاموا وصلوا وادعوا أنهم مؤمنون إذ لا حياء لهم ولا إيمان لمن لا حياء له، وحسبهم قبحا في سلوكهم هذا الكشف عن السوءات بدون إنقاذ حياة ولا طلب رضا الله رب الأرض والسموات.

القرآن

(٣٦٩٢) أخرجه الطبري: ٥٥٧/٢١.
(٣٦٩٣) أخرجه الواحدي في الكشف والبيان: ٣٢٥/٨.
(٣٦٩٤) التفسير الميسر: ٤٨٨.
(٣٦٩٥) تفسير الطبري :٥٥٨/٢١.
(٣٦٩٦) المحرر الوجيز: ٤٣/٥.
(٣٦٩٧) تفسير ابن كثير: ٢١٦/٧.

{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (٥١)} [الشورى :٥١]

التفسير:

وما ينبغي لبشر من بني آدم أن يكلمه الله إلا وحيًا يوحيه الله إليه، أو يكلمه من وراء حجاب، كما كلَّم سبحانه موسى عليه السلام، أو يرسل رسولا كما ينزل جبريل عليه السلام إلى المرسل إليه، فيوحي بإذن ربه -لا بمجرد هواه- ما يشاء الله إيحاءه، إنه تعالى عليٌّ بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، قد قهر كل شيء ودانت له المخلوقات، حكيم في تدبير أمور خلقه.

سبب النزول:

ذكر مقاتل، والثعلبي، والواحدي، والبغوي:" أن اليهود قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم- ألا تكلم الله، وتنظر إليه إن كنت صادقا، كما كلمه موسى ونظر إليه، فإنا لن نؤمن لك حتى يعمل الله ذلك بك، فقال الله لهم: «لم ينظر موسى إلى الله»، فأنزل الله تعالى:{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا}"[(٣٦٩٨)].

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا} [الشورى :٥١]، أي:" وما ينبغي لبشر من بني آدم أن يكلمه الله إلا وحيًا يوحيه الله إليه"[(٣٦٩٩)].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وما ينبغي لبشر من بني آدم أن يكلمه ربه إلا وحيا يوحي الله إليه كيف شاء، أو إلهاما وإما غيره"[(٣٧٠٠)].

قال مقاتل:" يقول ليس لنبي من الأنبياء أن يكلمه الله {إلا وحيا} فيسمع الصوت فيفقه"[(٣٧٠١)].

عن السدي، قوله: "{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا}، قال: يوحي إليه"[(٣٧٠٢)].

قال البغوي:" يوحي إليه في المنام أو بالإلهام"[(٣٧٠٣)].

قال ابن الجوزي:" والمراد بالوحي –هاهنا-: الوحي في المنام"[(٣٧٠٤)].

قال ابن كثير:" هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله ، عز وجل ، وهو أنه تعالى تارة يقذف في روع النبي صلى الله عليه وسلم شيئا لا يتمارى فيه أنه من الله عز وجل، كما جاء في صحيح ابن حبان ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إن رُوح القُدُس نفث في رُوعي : أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»[(٣٧٠٥)]"[(٣٧٠٦)].

قال ابن عطية:" نزلت بسبب خوض كان للكفار في معنى تكليم الله موسى ونحو ذلك، ذهبت قريش واليهود في ذلك إلى تجسيم ونحوه، فنزلت الآية مبينة صورة تكليم الله عباده كيف هو، فبين الله أنه لا يكون لأحد من الأنبياء ولا ينبغي له ولا يمكن فيه أن يكلمه الله إلا بأن يوحي إليه أحد وجوه الوحي من الإلهام"[(٣٧٠٧)].

(٣٦٩٨)تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٧٥/٣، والكشف والبيان: ٣٢٥/٨-٣٢٦، وأسباب النزول للواحدي: ١٣٩، وتفسير البغوي: ٢٠٠/٧. [بدون إسناد ومن غير عزو لأحد، فهو ساقط].
قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص (١٤٦) : لم أجده.

(٣٦٩٩) التفسير الميسر: ٤٨٨.

(٣٧٠٠) تفسير الطبري :٥٥٨/٢١.

(٣٧٠١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٧٥/٣.

(٣٧٠٢) أخرجه الطبري: ٥٥٨/٢١.

(٣٧٠٣) تفسير البغوي: ٢٠٠/٧.

(٣٧٠٤) زاد المسير: ٧٠/٤.

(٣٧٠٥)ورواه البغوي في شرح السنة (٣٠٤/١٤) من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن زبيد اليامي عمن أخبره عن ابن مسعود به.

(٣٧٠٦) تفسير ابن كثير: ٢١٧/٧.

(٣٧٠٧) المحرر الوجيز: ٤٣/٥.

عن مسروق قال: «بينا أنا عند عائشة أم المؤمنين فقالت: يا أبا عائشة! من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، وتلت: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣)} [الأنعام: ١٠٣]، {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} [الشورى:٥١]"[٣٧٠٨].

وفي قوله تعالى :{وَحْياً}[الشورى :٥١]، وجهان :

أحدهما : أنه نفث ينفث في قلبه فيكون إلهاماً، قاله مجاهد[٣٧٠٩].

الثاني : رؤيا يراها في منامه ، قاله زهير بن محمد[٣٧١٠].

وقال النقاش: أو وحي في منام"[٣٧١١].

قال إبراهيم النخعي: "كان من الأنبياء من يخط له في الأرض"[٣٧١٢].

قوله تعالى:{أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} [الشورى :٥١]، أي:" أو يكلمه من وراء حجاب"[٣٧١٣].

قال الطبري:" يقول: أو يكلمه بحيث يسمع كلامه ولا يراه، كما كلم موسى نبيه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"[٣٧١٤].

قال البغوي:" يسمعه كلامه ولا يراه، كما كلمه موسى -عليه الصلاة والسلام-"[٣٧١٥].

قال مقاتل:" كما كان بينه وبين موسى"[٣٧١٦].

قال ابن عطية:" أي: من خفاء عن المتكلم لا يحده ولا يتصور بذهنه عليه، وليس كالحجاب في الشاهد"[٣٧١٧].

قال ابن كثير:" كما كلم موسى، عليه السلام، فإنه سأل الرؤية بعد التكليم، فحجب عنها، وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجابر بن عبد الله : «ما كلم الله أحدا إلا من وراء حجاب، وإنه كلم أباك كفاحا» الحديث[٣٧١٨]، وكان أبوه قد قتل يوم أحد، ولكن هذا في عالم البرزخ، والآية إنما هي في الدار الدنيا"[٣٧١٩].

عن السدي، قوله:"{أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ}، قال: موسى كلمه الله من وراء حجاب"[٣٧٢٠].

قوله تعالى:{أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ} [الشورى :٥١]، أي:" أو يرسل رسولا كما ينزل جبريل عليه السلام إلى المرسل إليه، فيوحي بإذن ربه -لا بمجرد هواه- ما يشاء الله إيحاءه"[٣٧٢١].

(٣٧٠٨)صحيح، رجاله ثقات، غير أن هشيم بن بشير على جلالته كان مدلسا، لكن تابعه عليه الثقة الحافظ إسماعيل بن علية؛ أخرجه مسلم (١٧٧)، وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٥٤٨)،

ومن طريقه البيهقي في الأسماء والصفات (٩٣٢)، وتابعه أيضا الثقة الحافظ عبد ربه بن سعيد، كما عند ابن حبان (٦٠)، والثقة المتقن يزيد بن هارون، كما عند ابن منده في الإيمان (٧٦٣)، وإسحاق بن يوسف بن مرداس، كما عند الترمذي (٣٠٦٨).

(٣٧٠٩) انظر: النكت والعيون: ٢١٢/٥.

(٣٧١٠) انظر: النكت والعيون: ٢١٢/٥.

(٣٧١١) نقلا عن: المحرر الوجيز: ٤٣/٥.

(٣٧١٢) نقلا عن: المحرر الوجيز: ٤٣/٥.

(٣٧١٣) التفسير الميسر: ٤٨٨.

(٣٧١٤) تفسير الطبري :٥٥٨/٢١.

(٣٧١٥) تفسير البغوي: ٢٠٠/٧.

(٣٧١٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٧٥/٣.

(٣٧١٧) المحرر الوجيز: ٤٣/٥.

(٣٧١٨)رواه الترمذي في السنن برقم (٣٠١٠) وقال : "هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه".

(٣٧١٩) تفسير ابن كثير: ٢١٧/٧.

(٣٧٢٠) أخرجه الطبري: ٥٥٨/٢١.

(٣٧٢١) التفسير الميسر: ٤٨٨.

قال الطبري:" يقول: أو يرسل الله من ملائكته رسولا إما جبرائيل، وإما غيره، فيوحي ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن ربه ما يشاء ربه أن يوحيه إليه من أمر ونهي، وغير ذلك من الرسالة والوحي"(٣٧٢٢).

قال ابن عطية:" أي: من خفاء عن المتكلم لا يحده ولا يتصور بذهنه عليه، وليس كالحجاب في الشاهد"(٣٧٢٣).

قال البغوي:" أو بأن يرسل إليه ملكا يشافهه بوحي الله تعالى"(٣٧٢٤).

قال ابن كثير:" كما ينزل جبريل -عليه السلام- وغيره من الملائكة على الأنبياء ، عليهم السلام"(٣٧٢٥).

عن السدي، قوله:"{أَوْ يُرْسِلَ رَسُولا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ}، قال: جبرائيل يأتي بالوحي"(٣٧٢٦).

قال مقاتل:" ومن الأنبياء من يسمع الصوت فيفقه، ومن الأنبياء من يوحى إليه في المنام، وإن جبريل ليأتي النبي- صلى الله عليه وسلم- كما يأتي الرجل صاحبه في ثياب البياض مكفوفة بالدر والياقوت ورجلاه مغموستان في الخضرة"(٣٧٢٧).

وقرأ نافع :«فَيُوحِي» بإرسال الياء، بمعنى الرفع عطفا به على {يُرْسِلَ}، وبرفع «يُرْسِلُ»، على الابتداء(٣٧٢٨).

قوله تعالى:{إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ} [الشورى :٥١]، أي:" إنه تعالى عليٌّ بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، قد قهر كل شيء ودانت له المخلوقات، حكيم في تدبير أمور خلقه"(٣٧٢٩).

قال الطبري:يقول:" إنه -يعني نفسه جلّ ثناؤه-: ذو علو على كل شيء وارتفاع عليه، واقتدار. حكيم: يقول: ذو حكمة في تدبيره خلقه"(٣٧٣٠).

قال مقاتل:" {إِنَّهُ عَلِيٌّ}، يعني: رفيع فوق خلقه، {حَكِيمٌ} في أمره"(٣٧٣١).

قال الزمخشري:" {إِنَّهُ عَلِيٌّ} عن صفات المخلوقين، {حَكِيمٌ}، يجرى أفعاله على موجب الحكمة، فيكلم تارة بواسطة، وأخرى بغير واسطة: إما إلهاما، وإما خطابا"(٣٧٣٢).

قال ابن كثير:" فهو علي عليم خبير حكيم"(٣٧٣٣).

القرآن

{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (٥٣)} [الشورى :٥٢-٥٣]

التفسير:

وكما أوحينا إلى الأنبياء من قبلك -أيها النبي- أوحينا إليك قرآنًا من عندنا، ما كنت تدري قبله ما الكتب السابقة ولا الإيمان ولا الشرائع الإلهية؟ ولكن جعلنا القرآن ضياء للناس نهدي به مَن نشاء مِن عبادنا إلى الصراط المستقيم. وإنك -أيها الرسول- لَتَدُلُّ وَتُرْشِدُ بإذن الله إلى صراط

(٣٧٢٢) تفسير الطبري :٥٥٨/٢١.
(٣٧٢٣) المحرر الوجيز: ٤٣/٥.
(٣٧٢٤) تفسير البغوي: ٢٠١/٧.
(٣٧٢٥) تفسير ابن كثير: ٢١٧/٧.
(٣٧٢٦) أخرجه الطبري: ٥٥٨/٢١.
(٣٧٢٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٧٥/٣.
(٣٧٢٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٩/٢١.
(٣٧٢٩) التفسير الميسر: ٤٨٨.
(٣٧٣٠) تفسير الطبري: ٥٥٩/٢١.
(٣٧٣١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٧٥/٣.
(٣٧٣٢) الكشاف: ٢٣٤/٤.
(٣٧٣٣) تفسير ابن كثير: ٢١٧/٧.

مستقيم -وهو الإسلام- صراط الله الذي له ملك جميع ما في السموات وما في الأرض، لا شريك له في ذلك. ألا إلى الله -أيها الناس- ترجع جميع أموركم من الخير والشر، فيجازي كلا بعمله: إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا} [الشورى : ٥٣]، أي:" وكما أوحينا إلى الأنبياء من قبلك -أيها النبي- أوحينا إليك قرآنًا من عندنا"[٣٧٣٤].

قال الطبري: يقول:" وكما كنا نوحي في سائر رسلنا، كذلك أوحينا إليك يا محمد هذا القرآن، وحيا ورحمة من أمرنا"[٣٧٣٥].

قال البغوي:" أي: كما أوحينا إلى سائر رسلنا، {أوحينا إليك روحا من أمرنا}"[٣٧٣٦].

قال ابن كثير:" يعني : القرآن"[٣٧٣٧].

قال الزجاج:معناه:" ما نحيي به الخلق من أمرنا، أي: ما يُهْتَدَى به فيكون حيًّا"[٣٧٣٨].

قال السعدي:" هو هذا القرآن الكريم، سماه: روحا، لأن الروح يحيا به الجسد، والقرآن تحيا به القلوب والأرواح، وتحيا به مصالح الدنيا والدين، لما فيه من الخير الكثير والعلم الغزير. وهو محض منة الله على رسوله وعباده المؤمنين، من غير سبب منهم"[٣٧٣٩].

واختلف أهل التفسير في قوله تعالى:{رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا} [الشورى : ٥٣]،، على أقوال:

أحدها: رحمة من أمرنا. قاله الحسن[٣٧٤٠].

الثاني: وحيا من أمرنا. قاله السدي[٣٧٤١].

الثالث: قرآناً من أمرنا ، قاله الضحاك[٣٧٤٢]، ومالك بن دينار[٣٧٤٣].

الرابع: كتابا. قاله الكلبي[٣٧٤٤].

الخامس: يعني: جبريل. قاله الربيع[٣٧٤٥].

قوله تعالى:{مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ} [الشورى : ٥٣]، أي:" ما كنت تدري قبله ما الكتب السابقة ولا الإيمان ولا الشرائع الإلهية؟"[٣٧٤٦].

قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: ما كنت تدري يا محمد أي شيء الكتاب ولا الإيمان اللذين أعطيناكهما"[٣٧٤٧].

قال السعدي:" أي: ليس عندك علم بأخبار الكتب السابقة، ولا إيمان وعمل بالشرائع الإلهية، بل كنت أميا لا تخط ولا تقرأ، فجاءك هذا الكتاب"[٣٧٤٨].

عن السديّ: "{مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإيمَانُ}، يعني: محمدا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"[٣٧٤٩].

وفي قوله تعالى:{وَلَا الْإِيمَانُ} [الشورى : ٥٣]، وجوه من التفسير:

(٣٧٣٤) التفسير الميسر: ٤٨٩.
(٣٧٣٥) تفسير الطبري: ٥٥٩/٢١.
(٣٧٣٦) تفسير البغوي: ٢٠١/٧.
(٣٧٣٧) تفسير ابن كثير: ٢١٧/٧.
(٣٧٣٨) معاني القرآن: ٤٠٤/٤.
(٣٧٣٩) تفسير السعدي: ٧٦٣.
(٣٧٤٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٥٩/٢١-٥٦٠.
(٣٧٤١) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٠/٢١.
(٣٧٤٢) انظر: النكت والعيون: ٢١٢/٥.
(٣٧٤٣) انظر: تفسير البغوي: ٢٠١/٧.
(٣٧٤٤) انظر: تفسير البغوي: ٢٠١/٧.
(٣٧٤٥) انظر: تفسير البغوي: ٢٠١/٧.
(٣٧٤٦) التفسير الميسر: ٤٨٩.
(٣٧٤٧) تفسير الطبري: ٥٦٠/٢١.
(٣٧٤٨) تفسير السعدي: ٧٦٣.
(٣٧٤٩) أخرجه الطبري: ٥٦٠/٢١.

أحدها:-وهو المشهور- أن المراد به: شرائع الإيمان، وهذا قد حكى عن محمد بن إسحاق بن خزيمة(٣٧٥٠)، وغيره من أئمة السنة(٣٧٥١).

قال محمد بن إسحاق بن خزيمة: "«الإيمان»- في هذا الموضع-: الصلاة، ودليله: قوله عز وجل: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ} [البقرة : ١٤٣]"(٣٧٥٢).

قال البغوي: {ما كنت تدري} قبل الوحي، {ما الكتاب ولا الإيمان}، يعني: شرائع الإيمان ومعالمه ..وأهل الأصول على أن الأنبياء عليهم السلام كانوا مؤمنين قبل الوحي، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعبد الله قبل الوحي على دين إبراهيم، ولم يتبين له شرائع دينه"(٣٧٥٣).

قال ابن كثير:" أي : على التفصيل الذي شرع لك في القرآن"(٣٧٥٤).

قال القشيري:" أي: تفصيل هذه الشرائع"(٣٧٥٥).

الثاني: أنه الإيمان بالله، وهذا يعرفه بعد بلوغه وقبل نبوته. حكاه الماوردي(٣٧٥٦).

وحكي السمعاني:"عن بعضهم أن معناه: ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان أي: قبل البلوغ"(٣٧٥٧).

الثالث: أنه أهل الإيمان، وهذا حكي عن الحسين بن الفضل البجلي(٣٧٥٨).

الرابع: أنه بمعنى: الدعوة إلى الإيمان، قاله أبو العالية(٣٧٥٩).

عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: " هل عبدت وثنا قط؟ قال: لا. قالوا: هل شربت خمرا قط؟ قال: لا، وما زلت أعرف أن الذي هم عليه كفر، وما كنت أدري ما الكتاب ولا الإيمان، ولذلك أنزل الله في القرآن: {مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإيمَانُ}"(٣٧٦٠).

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله: "من زعم أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم كان على دين قومه، فهو قول سوءٍ، أليس كان لا يأكل ما ذُبح على النّصب؟"(٣٧٦١).

وحكي عن بعض اهل العلم أنه-صلى الله عليه وسلم- "كان على دين قومه أربعينَ سنةً"(٣٧٦٢).

والصواب أنه -صلى الله عليه وسلم- كان على دين إبراهيم عليه السلام، لأن قومه كانوا على الشرك كما نطق القرآن بذلك في آيات كثيرة فمن ذلك: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ} [البينة : ١]، والمراد بالمشركين –هنا-: قريش وما والاها، فتنبه، والله أعلم.

(٣٧٥٠)انظر: صحيح ابن خزيمة: ٢ / ١٦٠، وحكاه عنه البغوي في التفسير: ٢٠١/٧، وابن الجوزي في زاد المسير: ٧٠/٤.

(٣٧٥١) حكاه السمعاني في التفسير: ٨٨/٥، والبغوي في التفسير: ٢٠١/٧.

(٣٧٥٢)انظر: صحيح ابن خزيمة: ٢ / ١٦٠، ونقله البغوي في التفسير: ٢٠١/٧

(٣٧٥٣) تفسير البغوي: ٢٠١/٧.

(٣٧٥٤) تفسير ابن كثير: ٢١٧/٧.

(٣٧٥٥) لطائف الإشارات: ٣٦٠/٣.

(٣٧٥٦) انظر: النكت والعيون: ٢١٢/٥.

(٣٧٥٧) انظر: تفسير السمعاني: ٨٨/٥.

(٣٧٥٨) انظر: تفسير السمعاني: ٨٨/٥.

(٣٧٥٩) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٧٠/٤. بدون سند.

(٣٧٦٠) رواه الواحدي في التفسير الوسيط(٨٢٣):ص٦٢/٤.

(٣٧٦١) نقلا عن: زاد المسير: ٧٠/٤، وانظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية: ٢٠٦/٢.

(٣٧٦٢) حكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ٧١/٤، وقال :قال ابن قتيبة: قد جاء في الحديث أنه كان على دين قومه أربعينَ سنةً".
ليس بحديث، وإنما هو رأي لبعض أهل العلم.

قوله تعالى:{وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا} [الشورى : ٥٣]، أي:" ولكن جعلنا القرآن ضياء للناس"[٣٧٦٣].

قال الطبري:" يقول: ولكن جعلنا هذا القرآن ضياء للناس، يستضيئون بضوئه الذي بين الله فيه، وهو بيانه الذي بين فيه، مما لهم فيه في العمل به الرشاد، ومن النار النجاة"[٣٧٦٤].

قال ابن كثير:" {وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ} أي : القرآن {نُورًا..}"[٣٧٦٥].

قال الواحدي:" يعني: القرآن، ضياء، ودليلا على التوحيد والإيمان"[٣٧٦٦].

قال الراغب:" النور: الضوء المنتشر الذي يعين على الإبصار، وذلك ضربان دنيوي، وأخروي، فالدنيوي ضربان: ضرب معقول بعين البصيرة، وهو ما انتشر من الأمور الإلهية كنور العقل ونور القرآن. ومحسوس بعين البصر، وهو ما انتشر من الأجسام النيرة كالقمرين والنجوم والنيرات، فمن النور الإلهي قوله تعالى: {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ} [المائدة : ١٥]، وقال: {وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا} [الأنعام : ١٢٢]، وقال: {مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا} [الشورى : ٥٢].."[٣٧٦٧].

قوله تعالى:{نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا} [الشورى : ٥٣]، أي:" نهدي بهذا القرآن مَن نشاء مِن عبادنا إلى الصراط المستقيم"[٣٧٦٨].

قال الطبري:يقول:" نسدد إلى سبيل الصواب- وذلك الإيمان بالله- من نشاء هدايته إلى الطريق المستقيم من عبادنا"[٣٧٦٩].

قال الواحدي:أي" نرشده إلى الدين الحق"[٣٧٧٠].

قال ابن كثير:" {نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا} ، كقوله : {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} [فصلت : ٤٤]"[٣٧٧١].

عن السديّ: "{وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا}، يعني: بالقرآن"[٣٧٧٢].

قوله تعالى:{وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى : ٥٣]، أي:" وإنك -أيها الرسول- لَتَدُلُّ وَتُرْشِدُ بإذن الله إلى صراط مستقيم -وهو الإسلام-"[٣٧٧٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: وإنك يا محمد لتهدي إلى صراط مستقيم عبادنا، بالدعاء إلى الله، والبيان لهم"[٣٧٧٤].

قال سهل:" أي تدعو إلى ربك بنور هدايته"[٣٧٧٥].

قال ابن كثير:" {وَإِنَّكَ}، أي يا محمد {لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}، وهو الخلق القويم"[٣٧٧٦].

قال السدي:" يقول: تدعو إلى دين مستقيم"[٣٧٧٧].

(٣٧٦٣) التفسير الميسر: ٤٨٩.
(٣٧٦٤) تفسير الطبري: ٥٦٠/٢١.
(٣٧٦٥) تفسير ابن كثير: ٢١٧/٧.
(٣٧٦٦) التفسير الوسيط: ٦٢/٤.
(٣٧٦٧) المفردات: ٨٢٧.
(٣٧٦٨) التفسير الميسر: ٤٨٩.
(٣٧٦٩) تفسير الطبري: ٥٦٠/٢١.
(٣٧٧٠) التفسير الوسيط: ٦٢/٤.
(٣٧٧١) تفسير ابن كثير: ٢١٧/٧.
(٣٧٧٢) أخرجه الطبري: ٥٦٠/٢١.
(٣٧٧٣) التفسير الميسر: ٤٨٩.
(٣٧٧٤) تفسير الطبري: ٥٦١/٢١.
(٣٧٧٥) تفسير التستري: ١٣٩/١.
(٣٧٧٦) تفسير ابن كثير: ٢١٧/٧.

عن قتادة، قوله: "{وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}، قال تبارك وتعالى: {وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ}: داع يدعوهم إلى الله عز وجل"(٣٧٧٨).

قال السعدي:" أي: تبينه لهم وتوضحه، وتنيره وترغبهم فيه، وتنهاهم عن ضده، وترهبهم منه"(٣٧٧٩).

قال الواحدي:" فالهدى –ههنا-: دعوة وبيان، والمعنى: وإنك لتدعو بما أوحينا إليك، إلى طريق مستقيم، يعني: الإسلام"(٣٧٨٠).

قال الشافعي -رحمه الله-: "وشهد له جل ثناؤه باستمساكه بما أمره به، والهدى في نفسه، وهداية من اتبعه"(٣٧٨١).

ويقرأ: «وَإِنَّكَ لَتُهْدِي»، مخاطبة للنبي - صلى الله عليه وسلم - وأُمَّتِه، فيكون المعنى وإنك وأمتك لتُهدَوْنَ إلى صراط مستقيم(٣٧٨٢).

قوله تعالى:{صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [الشورى : ٥٣]، أي:" هذا الدين الذي لا اعوجاج فيه هو دينُ الله الذي له ملك جميع ما في السموات وما في الأرض"(٣٧٨٣).

قال الطبري:يقول:" طريق الله الذي دعا إليه عباده، الذي له ملك جميع ما في السموات وما في الأرض، لا شريك له في ذلك. و«الصراط» الثاني: ترجمة عن الصراط الأول"(٣٧٨٤).

قال ابن كثير:" أي : شرعه الذي أمر به الله، {الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ} أي : ربهما ومالكهما ، والمتصرف فيهما ، الحاكم الذي لا معقب لحكمه"(٣٧٨٥).

قال السعدي:" أي: الصراط الذي نصبه الله لعباده، وأخبرهم أنه موصل إليه وإلى دار كرامته"(٣٧٨٦).

قوله تعالى:{أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ} [الشورى : ٥٣]، أي:" ألا إلى الله -أيها الناس- ترجع جميع أموركم من الخير والشر، فيجازي كلا بعمله: إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر"(٣٧٨٧).

عن مجاهد:" {ولله عاقبة الأمور}، قال: وعند الله ثواب ما صنعوا"(٣٧٨٨). وروي عن زيد بن اسلم مثله(٣٧٨٩).

قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه: ألا إلى الله أيها الناس تصير أموركم في الآخرة، فيقضي بينكم بالعدل"(٣٧٩٠).

قال الواحدي:" يعني: أمور الخلائق في الآخرة"(٣٧٩١).

قال ابن كثير:" أي : ترجع الأمور ، فيفصلها ويحكم فيها"(٣٧٩٢).

(٣٧٧٧) أخرجه الطبري: ٥٦١/٢١.
(٣٧٧٨) أخرجه الطبري: ٥٦١/٢١.
(٣٧٧٩) تفسير السعدي: ٧٦٣.
(٣٧٨٠) التفسير الوسيط: ٦٢/٤.
(٣٧٨١) تفسير الإمام الشافعي: ١٢٤٥/٣.
(٣٧٨٢) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٤٠٤/٤.
(٣٧٨٣) التفسير الميسر: ٤٨٩، صفوة التفاسير: ١٣٦/٣.
(٣٧٨٤) تفسير الطبري: ٥٦١/٢١.
(٣٧٨٥) تفسير ابن كثير: ٢١٧/٧.
(٣٧٨٦) تفسير السعدي: ٧٦٣.
(٣٧٨٧) التفسير الميسر: ٤٨٩.
(٣٧٨٨) النكت والعيون: ٣٤٤/٤.
(٣٧٨٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٩٧٩):ص٢٤٩٨/٨.
(٣٧٩٠) تفسير الطبري: ٥٦١/٢١.
(٣٧٩١) التفسير الوسيط: ٦٢/٤.
(٣٧٩٢) تفسير ابن كثير: ٢١٧/٧.

قال السعدي:" أي: ترجع جميع أمور الخير والشر، فيجازي كُلا بحسب عمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر"(٣٧٩٣).

قال تاج القراء:" وعيد بالجحيم ووعد بالجنة والنعيم"(٣٧٩٤).

قال الطبري:" فإن قال قائل: أو ليست أمورهم في الدنيا إليه؟

قيل: هي وإن كان إليه تدبير جميع ذلك، فإن لهم حكاما وولاة ينظرون بينهم، وليس لهم يوم القيامة حاكم ولا سلطان غيره، فلذلك قيل: إليه تصير الأمور هنالك وإن كانت الأمور كلها إليه وبيده قضاؤها وتدبيرها في كلّ حال"(٣٧٩٥).

فوائد الآيات: [٥١-٥٣]:

١- بيان طرق الوحي وهي ثلاثة الأولى الإلقاء في الروع يقظة أو مناماً والثانية أن يكلم الله النبي بدون أن يرى ذاته عز وجل كما كلم موسى في الطور وكلم محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الملكوت الأعلى والثالث أن يرسل إليه الملك إما في صورته الملائكية أو في صورة رجل من بني آدم فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه من أمره.

٢- إثبات صفة الكلام لله تعالى على الوجه اللائق بجلاله وعظيم سلطانه دون تشبيه او تعطيل.

٣-القرآن الكريم: روح تحيا به القلوب الميتة كما تحيا الأجسام بالأرواح.

٤- القرآن الكريم: نور يستضاء به في الحياة فتعرف به طرق السعادة وسبل النجاة.

«آخر تفسير سورة (الشورى)، والحمد لله وحده»

(٣٧٩٣) تفسير السعدي: ٧٦٣.

(٣٧٩٤) غريب التفسير وعجائب التاويل: ١٠٥٧/٢.

(٣٧٩٥) تفسير الطبري: ٥٦١/٢١.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الزخرف»

سورة «الزخرف»: هي السورة «الثالثة والأربعون» بحسب الرّسم القرآني، نزلت بعد «سورة الشورى»[3796]، عدد آياتها ثمان وثمانون عند الشاميين، وتسع عند الباقين. وكلماتها ثمانمائة وثلاث وثلاثون. وحروفها ثلاثة آلاف وأربعمائة. الآيات المختلف فيها اثنتان: {حم (١)} [الزخرف : ١]، {مَهِينٌ} [الزخرف : ٥٢]. مجموع فواصل آياتها :«ملن»[3797].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة الزخرف»**

سميت في المصاحف العتيقة والحديثة «سورة الزخرف»، وبذلك ترجم لها الترمذي في كتاب التفسير من «جامعه» ، وسميت كذلك في كتب التفسير.

قال ابن عاشور:" وكذلك وجدتها في جزء عتيق من مصحف كوفي الخط مما كتب في أواخر القرن الخامس"[3798].

ووجه التسمية أن كلمة {وَزُخْرُفًا} [الزخرف : ٣٥]، وقعت فيها ولم تقع في غيرها من سور القرآن فعرفوها بهذه الكلمة.

قال المهايمي:" سميت به لدلالة آيته على أن الدنيا في غاية الخسة في نفسها، وغاية العداوة مع ربها بحيث لا تليق بالأصالة إلا لأعدائه. وهذا من أعظم مقاصد القرآن"[3799].

- **ثانيا:- اسمها الإجتهادي:«سورة حم الزخرف»**

سميت هذه السورة بإضافة كلمة «حم» إلى «الزخرف» على نحو ما بيناه في تسمية سورة «حم المؤمن»، وروى الطبرسي عن الباقر أنه سماها كذلك[3800].

وبذلك ترجم لها البخاري في كتاب التفسير من «صحيحه»[3801]، كما وردت هذه التسمية عند مقاتل[3802]، والواحدي[3803]، والزركشي[3804]، وغيرهم.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدها: أنها نزلت بمكة. قاله ابن عباس[3805].

الثاني: أنها مكية إلا قوله: {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} [الزخرف : ٤٥]. نزلت في بيت المقدس، قاله ابن زيد[3806]، ومقاتل[3807].

قال الزجاج:" جاء في التفسير أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ليلة أسري به جمع له الأنبياء في بيت المقدس فأَمَّهم وصلَّى بهم، وقيل له: سَلْهُمْ فلم يشكك عليه السلام ولم يَسَل"[3808].

(٣٧٩٦) انظر: تفسير المراغي: ٦٧/٢٥، والتفسير الوسيط للطنطاوي: ٥٥/١٣. وقال ابن عاشور:"نزلت بعد سورة فصلت". انظر: التحرير والتنوير: ١٥٧/٢٥

(٣٧٩٧) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٤٢١.

(٣٧٩٨) التحرير والتنوير: ١٥٧/٢٥.

(٣٧٩٩) نقلا عن: محاسن التأويل للقاسمي: ٣٧٨/٨.

(٣٨٠٠) نقلا عن: التحرير والتنوير: ١٥٧/٢٥. ولم أجده في تفسيره.

(٣٨٠١) انظر: صحيح البخاري: ١٣٠/٦.

(٣٨٠٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٩/٢، ١١٢، ١٦٨، ٢٨١، ٣٥٣/٣.

(٣٨٠٣) انظر: التفسير الوسيط: ٦٣/٤، و عنون لها بهذه التسمية.

(٣٨٠٤) انظر: البرهان في علوم القرآن: ١٩٣/١.

(٣٨٠٥) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٦٥/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣٨٠٦) انظر: تفسير الطبري: ٦١٢/٢١، والدر المنثور: ٣٨٢/٧.

(٣٨٠٧) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: ٢٣٥/٤، وابن الجوزي في زاد المسير: ٧٢/٤، القرطبي في التفسير: ٦١/١٦، ولم أجده في تفسير مقاتل.

(٣٨٠٨) معاني القرآن: ٤١٣/٤.

قال ابن زيد:" جمعوا له ليلة أُسري به ببيت المقدس، فأمهم، وصلى بهم، فقال الله له: سلهم، قال: فكان أشدّ إيمانا ويقينا بالله وبما جاء من الله أن يسألهم، وقرأ: {فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أنزلنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ}، قال: فلم يكن فى شكّ، ولم يسأل الأنبياء، ولا الذين يقرءون الكتاب. قال: ونادى جبرائيل صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فقلت في نفسي:"الآن يؤمنا أبونا إبراهيم"; قال:"فدفع جبرائيل في ظهري"، قال: تقدم يا محمد فصلّ، وقرأ {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} ... حتى بلغ: {لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا}"[٣٨٠٩].

وقال ابن جريج:" بلغنا أنه ليلة أسري به أري الأنبياء فأري آدم فسلم عليه: وأري مالكا خازن النار وأري الكذاب الدجال"[٣٨١٠].

وروي عن سعيد بن جبير، في قوله:{وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ}، قال: "لقي الرسل صلى الله عليهم ليلة اسري به»"[٣٨١١].

قال النحاس:"ومعناه: أنه سيسرى إذا بك وتلقى الرسل فاسألهم"[٣٨١٢].

قال ابن عاشور:" هي مكية..وأما ما روي ... أن آية: {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ} [الزخرف : ٤٥]، نزلت بالمسجد الأقصى، فإذا صح لم يكن منافيا لهذا، لأن المراد بالمكي ما أنزل قبل الهجرة"[٣٨١٣].

قال الألوسي:"وفي الإتقان: نزلت بالسماء، وقيل: بالمدينة"[٣٨١٤].

قال ابن قتيبة: السورة: "مكية كلها"[٣٨١٥].

قال ابن الجوزي:" هي مكية بإجماعهم"[٣٨١٦].

قال ابن عطية:" هذه السورة مكية بإجماع من أهل العلم"[٣٨١٧].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من آل حم من وجهين:

أحدهما: تشابه مطلع هذه السورة مع مطلع وخاتمة السورة المتقدمة في وصف القرآن الكريم، وبيان مصدره: وهو الوحي الإلهي.

الثاني: التشابه في إيراد الأدلة القاطعة على وجود الله عز وجل ووحدانيته، ووصف أحوال الآخرة ومخاوفها وأهوال النار التي يتعرض لها الكفار، ومقارنته بنعيم الجنة وإعداده للمؤمنين المتقين [٣٨١٨].

- **الناسخ والمنسوخ:**

ذكر أهل العلم أن سورة الزخرف جميعها محكم غير آيتين:

أولاهما: قوله تعالى: {فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ} [الزخرف : ٨٣]. ذكر دعوى النسخ مجموعة من أهل العلم[٣٨١٩].

(٣٨٠٩) أخرجه الطبري: ٦١٢/٢١.

(٣٨١٠) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٣٨١/٧، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٣٨١١) رواه النحاس في معاني القرآن: ٣٦٥/٦، وانظر: الدر المنثور: ٣٨١/٧، وعزاه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر.

(٣٨١٢) معاني القرآن: ٣٦٥/٦.

(٣٨١٣) المحرر الوجيز: ١٥٧/٢٥.

(٣٨١٤) روح المعاني: ٦٣/١٣.

(٣٨١٥) غريب القرآن: ٣٩٥.

(٣٨١٦) زاد المسير: ٧٢/٤.

(٣٨١٧) المحرر الوجيز: ٤٥/٥.

(٣٨١٨) انظر: التفسير المنير للزحيلي:١١٢/٢٥.

(٣٨١٩)تجد أن هذه الآية معدودة في المنسوخة بلا دليل وحجة، في كتاب ابن حزم، في معرفة الناسخ والمنسوخ ص:٣٦٥؛ والناسخ والمنسوخ لابن سلامة (٨١) والإيجاز في الناسخ والمنسوخ (٣١) لابن هلال ولكن الإمام الطبري والإمام ابن كثير لم يتعرضا لدعوى النسخ بل فسرا الآية بما يؤيد إحكامها كما أثبت

قال ابن الجوزي:" زعم بعضهم: أنها منسوخة بآية السيف، وقد عرف مذهبنا في نظائرها وأنها واردة للوعيد والتهديد، فلا نسخ إذن"(٣٨٢٠).
والثانية: قوله تعالى: {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} [الزخرف : ٨٩]. يروي الضحاك عن ابن عباس، قال: "نسخ هذا بآية السيف"(٣٨٢١).
قال قتادة:" نسختها براءة : {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [التوبة : ٥]"(٣٨٢٢).
وفي رواية قال قتادة:" اصفح عنهم، ثم أمره بقتالهم"(٣٨٢٣).

- **أغراض السورة ومقاصدها**

اشتملت السورة الكريمة على المقاصد الآتية:

١- أبانت السورة كون القرآن الكريم موصى به من عند الله - تعالى - وأنه نزل بلسان عربى مبين ليفهمه العرب وليتدبروا آياته عساهم يعقلون ما اشتمل عليه من الأحكام ومكارم الأخلاق فيحملهم بذلك ويدفعهم إلى الإيمان به، وإيثار العرب بتحمل مسئولية الرسالة المحمدية العالمية؛ لأن لهم أخلاقًا كريمة وصلابة في الدين، وشجاعة في الحق، وصدقًا في الوعد، وهمة في الوفاء.
٢- أن السورة جاءت بتهديد المشركين بإهلاكهم كما فعل بمن قبلهم، وذلك إذا استمروا على كفرهم وعنادهم {فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ}[الزخرف: ٨].
٣- وضحت هذه السورة الكريمة بعض الآيات الكونية التي تظهر قدرة الله وتفرده بالجلال وأنه - سبحانه - حقيق بالوحدانية، وذلك عن طريق لفت نظر المخاطبين إلى ما هو واضح وبيّن في ملكه من أرض مهدها وبسطها لهم إلى سماء أنزل منها ماء بمقدار معلوم فأحيا به الأرض بعد موتها وأنبت فيها الزرع والزيتون والنخيل ومن كل الثمرات، وأنه - سبحانه - سيخرج الناس ويبعثهم من قبورهم يوم القيامة، كما يحيى الأرض وينبت فيها النبات، وأنه - جل شأنه - خلق للناس جميع الأصناف التي تنفعهم في معاشهم، وسخر لهم السفن والأنعام ليركبوها ويستقروا على ظهورها {وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ}[الزخرف: ١٢].
٤- تناولت السورة ما كان عليه المجتمع الجاهلى من معتقدات قبيحة، كنسبه الولد إلى الله {وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا}[الزخرف: ١٥] كما نَعَتَ عليهم سفههم في دعواهم أن الله جعل لنفسه البنات وآثرهم واصطفاهم بالبنين، كما عابت عليهم أنهم جعلوا الملائكة إناثا وتوعدتهم {أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ}[الزخرف: ١٩].
٥- أثبتت السورة وأكدت أن إبراهيم - عليه السلام - الذي كان المشركون يدَّعون أنهم في شركهم على دينه وطريقته - أثبتت - أنه برئ مما يعبدون {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ}[الزخرف: ٢٦].
٦- أبانت السورة أن المشركين يقيمون أمر اختيار الرسول - صلى الله عليه وسلم - على مقاييس فاسدة ومعايير خاطئة باطلة {وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ

إحكامها المؤلف في مختصر عمدة الراسخ ورقة (١٢). انظر: تفسير الطبري: ٦٥٢/٢١-٦٥٣؛ وتفسير ابن كثير:٢٤١/٧-٢٤٢.
(٣٨٢٠) نواسخ القرآن: ٥٧٠/٢.
(٣٨٢١) نواسخ القرآن لابن الجوزي: ٥٧٠/٢.
(٣٨٢٢) رواه ابن الجوزي في نواسخ القرآن: ٥٧١/٢.
وذكر هذا القول الطبري عن قتادة بطريقين صحيحين إليه ونسبه النحاس إلى ابن عباس بسند ضعيف، وبإسناد آخر إلى قتادة، وأما مكي بن أبي طالب فقد عزا دعوى النسخ إليهما بدون إسناد، ولم يناقشوا قضية النسخ ولم يتعرضوا إليها.
انظر: تفسير الطبري: الطبري: ٦٥٧/٢١، الناسخ والمنسوخ للنحاس (٢١٨)؛ والإيضاح (٣٥٤)؛ وزاد المسير ٧/ ٣٣٥؛ وتفسير ابن كثير ٤/ ١٣٧؛ والنسخ في القرآن الكريم ٢/ ٥٣٨ – ٥٣٩.
(٣٨٢٣) أخرجه الطبري: ٦٥٧/٢١.

عَظِيمٍ}[الزخرف: ٣١] فرد الله عليهم مسفها رأيهم وموبخا لهم على سوء فهمهم {أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ}[الزخرف: ٣٢].

٧- وضح الله لهؤلاء المشركين أن الاستعلاء في الأرض لا ينجى من عذاب الله، فقد أهلك الله فرعون ومن معه لتسلطهم وكفرهم واغترارهم بما لديهم من الدنيا وزخرفها {فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ}[الزخرف: ٥٥].

٨- أنهى - سبحانه - هذه السورة الكريمة بعرض بعض مشاهد يوم القيامة، كالنعيم الذي يسعد به المؤمنون {يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[الزخرف: ٧١] كما أبانت ما يناله المجرمون من نكال وعذاب أليم {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ}[الزخرف: ٧٤-٧٥] وفي آخر آياتها يسلى الله - تعالى - رسوله - صلى الله عليه وسلم - ويأمره بالإعراض عن الكافرين، كما يهددهم ويتوعدهم {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ}[الزخرف: ٨٩] [(٣٨٢٤)].

فضائل السورة:

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن عبد الله بن عمرو، قال: "أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أقرئني يا رسول الله، فقال: «اقرأ ثلاثا من ذوات الر»، فقال: كبرت سني، واشتد قلبي، وغلظ لساني، قال: «فاقرأ ثلاثا من ذوات حاميم»، فقال مثل مقالته، فقال: «اقرأ ثلاثا من المسبحات»، فقال مثل مقالته، فقال الرجل: يا رسول الله، أقرئني سورة جامعة، فأقرأه النبي صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت الأرض حتى فرغ منها، فقال الرجل: والذي بعثك بالحق، لا أزيد عليها أبدا، ثم أدبر الرجل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفلح الرويجل» مرتين"[(٣٨٢٥)].
- عن أنس بن مالك رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله أعطاني السبع مكان التوراة وأعطاني الراآت إلى الطواسين مكان الإنجيل وأعطاني ما بين الطواسين إلى الحواميم مكان الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل ما قرأهن نبي قبلي»[(٣٨٢٦)].
- عن سمرة بن جندب -رضي الله عنه- مرفوعا:" الحواميم روضة من رياض الجنة"[(٣٨٢٧)].
- عن الخليل بن مرة -رضي الله عنه-أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع تجيء كل حم منها تقف على باب من هذه الأبواب تقول: اللهم لا تدخل من هذا الباب من كان يؤمن بي ويقرأني"[(٣٨٢٨)].

(٣٨٢٤) انظر: التفسير الوسيط مجمع البحوث: ٧٨١/٩-٧٨٢.

(٣٨٢٥)"مسند أحمد" (٦٥٧٥) ، وسنن أبي داود(١٣٩٩):ص٥٧/٢، والسنن الكبرى للنسائي (٧٩٧٣) و (١٠٤٨٤) ، وصحيح ابن حبان (٧٧٣):٥٠/٣.

إسناده حسن، من أجل عيسى بن هلال الصدفي، وصححه الحاكم والذهبي.

وقوله: من ذوات (الر)، أي: من السور التي تبدأ بهذه الأحرف الثلاثة التي تقرأ مقطعة: ألف، لام، را، والذي في القرآن منها خمس سور: يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر.

وقوله من ذوات {حم}، أي: من السور التي تبدأ بهذين الحرفين: حا، ميم، وهي في القرآن سبع سور: غافر، وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

وقوله: من المسبحات، أي: السور التي أولها سَبَّح ويُسَبحُ وسَبح، وهي الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والأعلى.

(٣٨٢٦) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٨/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٣٨٢٧) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٩/٧، وعزاه إلى الديلمي وابن مردويه.

(٣٨٢٨) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٩/٧، وعزاه إلى البيهقي في شعب الإيمان.

- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "إن لكل شيء لبابا وإن لباب القرآن الحواميم"[٣٨٢٩].
- عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: "الحواميم ديباج القرآن"[٣٨٣٠]. ورواه أنس بن مالك مرفوعا[٣٨٣١].
- عن سعد بن إبراهيم، قال: «كل الحواميم يسمين العرائس»[٣٨٣٢].
- عن أبي الدرداء -رضي الله عنه:"أنه بنى مسجدا فقيل له: ما هذا؟ فقال: لآل حم"[٣٨٣٣].
- عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال:"إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلا فمر بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمثات فقال: عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب وأعجب. فقيل له: إن مثل الغيث الأول كمثل عظم القرآن وإن مثل هؤلاء الروضات الدمثات مثل: «آل حم»[٣٨٣٤] في القرآن"[٣٨٣٥].
- عن أبي بن كعب. قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «من قرأ سورة الزّخرف كان ممن يقال له يوم القيامة: يا عِبادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ادخلوا الجنّة بِغَيْرِ حِسابٍ»[٣٨٣٦].

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

(٣٨٢٩) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٨/٧، وعزاه إلى أبي عبيد في فضائله.

(٣٨٣٠) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٨/٧، وعزاه إلى أبي عبيد وابن الضريس وابن المنذر والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان.

(٣٨٣١) انظر: الدر المنثور: ٢٦٩/٧.

(٣٨٣٢) مسند ابن ابي شيبة(٣٠٢٨٤):ص١٥٣/٦، وسنن الدارمي(٣٤٦٥):ص٢١٥٢/٤، وشعب الإيمان(٢٢٥٣):ص١٠٦/٤.

إسناده صحيح إلى سعد بن إبراهيم وهو موقوف عليه.

(٣٨٣٣) اورده السيوطي في الدر المنثور: ٢٦٩/٧، وعزاه إلى أبي عبيد وابن سعد ومحمد بن نصر والحاكم.

(٣٨٣٤) قال ابن عاشور:" السور المفتتحة بكلمة حم سبع سور مرتبة في المصحف على ترتيبها في النزول ويدعى مجموعها «آل حم» جعلوا لها اسم (آل) لتآخيها في فواتحها. فكأنها أسرة واحدة وكلمة (آل) تضاف إلى ذي شرف (ويقال لغير المقصود تشريفه أهل فلان) قال الكميت:

قرأنا لكم في آل حاميم آية ... تأولها منا فقيه ومعرب

يريد قول الله تعالى في سورة «حم عسق» قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى [الشورى: ٢٣] على تأويل غير ابن عباس فلذلك عزه بقوله: تأولها منا فقيه ومعرب". [التحرير والتنوير:٧٦/٢٤].

والبيت هو ٢٩ من يائيته فى الهاشميات وهو فى الكتاب ٢/ ٢٨ والطبري ٢٤/ ٢٤ والشنتمرى ٢/ ٣٠ والقرطبي ١/ ٢٨٨.

(٣٨٣٥) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٦٨/٧-٢٦٩، وعزاه إلى محمد بن نصر وحميد بن زنجويه.

(٣٨٣٦) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ٣٢٧/٨. [وقد مرّ أنه حديث موضوع غير ثابت].

القرآن

{حم (١)} [الزخرف : ١]

التفسير:

{حم} سبق الكلام على الحروف المقطَّعة في أول سورة البقرة.

وقد اختلف أهل التفسير فى معنى قوله: {حم} [الزخرف : ١]، على أقوال:

أحدها : أنه اسم من أسماء الله أقسم به ، قاله ابن عباس[٣٨٣٧].

الثاني : أنه حرف هجاء من أسماء الله تعالى ، قاله السدي[٣٨٣٨].

الثالث : أنه اسم من أسماء القرآن ، قاله قتادة[٣٨٣٩].

الرابع : أنها حروف مقطعة من اسم الله الذي هو «الرحمن الرحيم»، وهو «الحاء» و«الميم» منه، رواه عكرمة عن ابن عباس[٣٨٤٠].

قال ابن عباس:" «الر»، و«حم»، و«ن»: حروف الرحمن مقطعة"[٣٨٤١].

السادس : أنه فواتح الله تعالى بها القرآن ، قاله مجاهد[٣٨٤٢].

قال أبو عبيدة:" {حم}: مجازها مجاز أوائل السور"[٣٨٤٣].

قال الطبري:" والقول في ذلك عندي نظير القول في أخواتها، وقد بيَّنا ذلك، في قوله: {الم}، ففي ذلك كفاية عن إعادته في هذا الموضع، إذ كان القول في «حم»، وجميع ما جاء في القرآن على هذا الوجه، أعني حروف التهجي قولا واحدا"[٣٨٤٤].

قال الشوكاني:" وهذا كله تكلف لا موجب له، وتعسف لا ملجئ إليه، والحق أن هذه الفاتحة لهذه السورة، وأمثالها من المتشابه الذي استأثر الله بعلم معناه كما قدمنا تحقيقه في فاتحة سورة البقرة"[٣٨٤٥].

القرآن

{وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢)} [الزخرف :٢]

التفسير:

أقسم الله تعالى بالقرآن الواضح لفظًا ومعنى.

قال الطبري:" قسم من الله تعالى أقسم بهذا الكتاب الذي أنزله على نبيه محمد صلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فقال: {وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ} لمن تدبَّره وفكَّر في عبره وعظاته هداه ورشده وأدلته على حقيته، وأنه تنزيل من حكيم حميد، لا اختلاق من محمد صلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ولا افتراء من أحد"[٣٨٤٦].

قال التستري:" أي: بيّناه بلسان عربي مبين، يعني: بحروف المعجم التي بينها الله لكم"[٣٨٤٧].

قال ابن كثير:" {الْمُبِينِ}، أي:البين الواضح الجلي المعاني والألفاظ؛ لأنه نزل بلغة العرب التي هي أفصح اللغات للتخاطب بين الناس"[٣٨٤٨].

(٣٨٣٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٨/٢١.

(٣٨٣٨) انظر: تفسير الطبري: ١٣٨/٢١، و الطبري: ٣٤٨/٢١.

(٣٨٣٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٨/٢١.

(٣٨٤٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٤٥/٢١.

(٣٨٤١) أخرجه الطبري: ٣٤٥/٢١.

(٣٨٤٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠١٨٨):ص١٩٢١/٦، و(١٠٦٣٤):ص١٩٩٤/٦، و(١٧١٢٦):ص٣٠٣٠/٩.

(٣٨٤٣) مجاز القرآن: ١٩٣/٢.

(٣٨٤٤) تفسير الطبري: ٣٤٨/٢١-٣٤٩.

(٣٨٤٥) فتح القدير: ٥٥١/٤.

(٣٨٤٦) تفسير الطبري: ٥٦٢/٢١.

(٣٨٤٧) تفسير التستري: ١٨.

قال السمعاني:" هو القرآن، وسماه مبينا؛ لأنه أبان فيه الهدى من الضلالة، والخير من الشر، وأبان فيه جميع ما يؤتى وجميع ما يتقى. ومعنى الآية هو القسم، فكأنه أقسم بحم وبالقرآن، وجواب القسم قوله: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} [الزخرف : ٣]، وكذلك قوله: {وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ} [الزخرف : ٤]، جواب القسم أيضا"[٣٨٤٩].

عن السديّ: "{حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ}: هو هذا الكتاب المبين"[٣٨٥٠].

قال الزجاج:" {الْمُبِينِ}، الذي أبان طرقَ الهدى من طرق الضلالة، وأبان كل ما تحتاج إليه الأمَّة"[٣٨٥١].

قال الزمخشري:" {الْمُبِينِ}: البين للذين أنزل عليهم، لأنه بلغتهم وأساليبهم. وقيل: الواضح للمتدبرين"[٣٨٥٢].

قال مقاتل:" {الْمُبِينِ}، يعنى: البيّن ما فيه"[٣٨٥٣].

قال قتادة:" مبين والله بركته، وهداه ورشده"[٣٨٥٤].

قال السعدي:" هذا قسم بالقرآن على القرآن، فأقسم بالكتاب المبين وأطلق، ولم يذكر المتعلق، ليدل على أنه مبين لكل ما يحتاج إليه العباد من أمور الدنيا والدين والآخرة"[٣٨٥٥].

القرآن

{إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (٤)} [الزخرف :٣-٤]

التفسير:

إنَّا أنزلنا القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم بلسان العرب؛ لعلكم تفهمون، وتتدبرون معانيه وحججه. وإنه في اللوح المحفوظ لدينا لعليٌّ في قَدْره وشرفه، محكم لا اختلاف فيه ولا تناقض.

قوله تعالى:{إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الزخرف : ٤]، أي:" إنَّا أنزلنا القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم بلسان العرب؛ لعلكم تفهمون، وتتدبرون معانيه وحججه"[٣٨٥٦].

قال الطبري:" يقول: إنا أنزلناه قرآنا عربيا بلسان العرب، إذا كنتم أيها المنذرون به من رهط محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم عربا {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} معانيه وما فيه من مواعظ، ولم ينزله بلسان العجم، فيجعله أعجميا، فتقولوا نحن: نحن عرب، وهذا كلام أعجمي لا نفقه معانيه"[٣٨٥٧].

قال الواحدي:" أي: صيرنا قراءة هذا الكتاب عربيا، لأن من التنزيل ما هو عبري وسرياني، وكتاب محمد صلى الله عليه وسلم يقرأ بالعربية، وهذا يدل على أنه إذا قرئ بغير العربية لا يكون قرآنا"[٣٨٥٨].

قال ابن كثير:" أي : أنزلناه بلغة العرب فصيحا واضحا، {لَعَلَّكُمْ} تفهمونه وتتدبرونه ، كما قال : {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} [الشعراء : ١٩٥]"[٣٨٥٩].

قال الزجاج:" معناه: إنا بيَّنَّاه قرآنا عربياً"[٣٨٦٠].

(٣٨٤٨) تفسير ابن كثير: ٢١٨/٧.
(٣٨٤٩) تفسير السمعاني: ٩٠/٥.
(٣٨٥٠) أخرجه الطبري: ٥٦٢/٢١.
(٣٨٥١) معاني القرآن: ٤٠٥/٤.
(٣٨٥٢) الكشاف: ٢٣٦/٤.
(٣٨٥٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٨٩/٣.
(٣٨٥٤) أخرجه الطبري: ٥٦٢/٢١.
(٣٨٥٥) تفسير السعدي: ٧٦٢.
(٣٨٥٦) التفسير الميسر: ٤٨٩.
(٣٨٥٧) تفسير الطبري: ٥٦٢/٢١.
(٣٨٥٨) التفسير الوسيط: ٦٣/٤.
(٣٨٥٩) تفسير ابن كثير: ٢١٨/٧.

قال مقاتل:" ليفقهوا ما فيه ولو كان غير عربي ما عقلوه"(٣٨٦١).
عن مجاهد: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا}، قال: " نزل القرآن بلسان قريش، وهو كلامهم"(٣٨٦٢).
عن سعيد بن جبير، قوله: "{لعلكم}، يعني: لكي"(٣٨٦٣).
عن سفيان في قوله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} [الزخرف: ٣] قال: وصفناه"(٣٨٦٤).
قال السعدي:" {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا} هذا المقسم عليه، أنه جعل بأفصح اللغات وأوضحها وأبينها، وهذا من بيانه. وذكر الحكمة في ذلك فقال: {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} ألفاظه ومعانيه لتيسرها وقربها من الأذهان"(٣٨٦٥).
قال الإمام الشافعي: وأولى الناس بالفضل في اللسان، من لسانه لسان النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا يجوز - والله أعلم - أن يكون أهل لسانه اتباعا لأهل لسان غير لسانه في حرف واحد، بل كل لسان تبع للسانه وكل أهل دين قبله فعليهم اتباع دينه، وقد بين الله في غير آية من كتابه - منها - وقال: {حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣)} [الزخرف : ١ - ٣]"(٣٨٦٦).
قال الثعلبي:" {إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا}، أي: أنزلناه وسميناه وبيّناه ووصفناه، كقوله تعالى: {ما جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سائِبَةٍ}[المائدة: ١٠٣]، وقوله: {وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً}[الزخرف: ١٩]، وقوله: {جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ}[الحجر: ٩١]، وقوله تعالى: {أَجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحاجِّ}[التوبة: ١٩] . كلّها بمعنى الوصف والتسمية ويستحيل أن يكون بمعنى: الخلق"(٣٨٦٧).
قال البغوي:" قوله: {جعلناه}، أي: صيرنا قراءة هذا الكتاب عربيا. وقيل: بيناه. وقيل: سميناه. وقيل: وصفناه، يقال: جعل فلان زيدا أعلم الناس، أي وصفه"(٣٨٦٨).
قال السمعاني:" {إنا جعلناه} قال السدى: «أنزلناه»(٣٨٦٩)، وقال مجاهد: «قلناه»(٣٨٧٠). وعن بعضهم: «بيناه»، قاله سفيان الثوري(٣٨٧١).
واستدل بهذا من زعم أن القرآن مخلوق، وذكر أن الجعل بمعنى الخلق بدليل قوله تعالى: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا} [طه : ٥٣]، أي: خلق لكم، وعندنا هذا التعلق باطل، والقرآن كلام الله غير ومخلوق، وعليه إجماع أهل السنة، وزعموا أن من قال: إنه مخلوق فهو كافر؛ لأن فيه نفي كلام الله تعالى، وقد بينا وجه الآية عند السلف ومن يعتمد في تفسيره.
وقد ورد الجعل في القرآن لا بمعنى الخلق، قال الله تعالى: {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا} [الزخرف : ١٩]، ومعناه: أنهم وصفوهم بالأنوثة وليس المعنى أنهم خلقوهم"(٣٨٧٢).

(٣٨٦٠) معاني القرآن: ٤/٤٠٥.
(٣٨٦١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٧٨٩.
(٣٨٦٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٢١):ص٧/٢٠٩٩.
(٣٨٦٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٢١):ص٧/٢٠٩٩.
(٣٨٦٤)طبقات الحنابلة" ١/ ٤٧٦.
(٣٨٦٥) تفسير السعدي: ٧٦٢.
(٣٨٦٦) تفسير الإمام الشافعي: ٣/١٢٤٦.
(٣٨٦٧) الكشف و البيان: ٨/٣٢٧-٣٢٨.
(٣٨٦٨) تفسير البغوي: ٧/٢٠٢.
(٣٨٦٩) وحكاه عنه القرطبي في التفسير: ١٦/٦١، وحكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ٤/٧٢، عن سعيد بن جبير.
(٣٨٧٠) وحكاه عنه القرطبي في التفسير: ١٦/٦١.
(٣٨٧١) وحكاه عنه القرطبي في التفسير: ١٦/٦١.
(٣٨٧٢) تفسير السمعاني: ٥/٩٠.

قال ابن أبي حاتم في كتاب «الرد على الجهمية» حدثنا أبي قال: قال أحمد بن حنبل: دل على أن القرآن غير مخلوق حديث عبادة، "أول ما خلق الله القلم فقال اكتب" الحديث"[٣٨٧٣]، قال: إنما نطق القلم بكلامه لقوله: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} . قال: فكلام الله سابق على أول خلقه فهو غير مخلوق"[٣٨٧٤].

قال أبو بكر المروذي: قال لي أبو عبد الله: أول من سألني عن الوقف علي الأشقر، فقلت له: القرآن غير مخلوق[٣٨٧٥].

قال أبو داود السجستاني: "سمعت أحمد بن عبدة، يقول: ما أبالي شككت في القرآن غير مخلوق أو شككت في الله عز وجل"[٣٨٧٦].

قوله تعالى:{وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ} [الزخرف : ٤]، أي:" وإنه في اللوح المحفوظ لدينا لعليٌّ في قَدْره وشرفه، محكم لا اختلاف فيه ولا تناقض"[٣٨٧٧].

قال الطبري:يقول:" وإن هذا الكتاب أصل الكتاب الذي منه نسخ هذا الكتاب عندنا لعليّ: يقول: لذو علوّ ورفعة، حكيم: قد أحكمت آياته، ثم فصلت فهو ذو حكمة"[٣٨٧٨].

قال السعدي:" {وَإِنَّهُ}، أي: هذا الكتاب {لَدَيْنَا} في الملأ الأعلى في أعلى الرتب وأفضلها {لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ} أي: لعلي في قدره وشرفه ومحله، حكيم فيما يشتمل عليه من الأوامر والنواهي والأخبار، فليس فيه حكم مخالف للحكمة والعدل والميزان"[٣٨٧٩].

قال مقاتل:" يقول لأهل مكة: إن كذبتم بهذا القرآن فإن نسخته في أصل {الكتاب}، يعني: اللوح المحفوظ {لدينا لعلي}، يقول: عندنا مرفوع، {حكيم}، يعني: محكم من الباطل"[٣٨٨٠].

عن عكرمة:"{وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا}، قال: أمّ الكتاب القرآن"[٣٨٨١].

عن السديّ:"{وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ}، يقول: في الكتاب الذي عند الله في الأصل"[٣٨٨٢].

قال قتادة:" أمّ الكتاب: أصل الكتاب وجملته"[٣٨٨٣].

قال ابن عباس: "أول ما خلق الله القلم، فأمره أن يكتب ما يريد أن يخلق، قال: والكتاب عنده، قال: {وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ}، يعني: القرآن في أمّ الكتاب الذي عند الله منه نسخ"[٣٨٨٤].

عن عطية بن سعد، قوله:"{وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ}، يعني: القرآن في أمّ الكتاب الذي عند الله منه نسخ"[٣٨٨٥].

(٣٨٧٣)أخرجه: أحمد (٥/ ٣١٧) من طريق ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه فذكره. قال الشيخ الألباني رحمه الله في "ظلال الجنة" (١/ ٤٨): "وإسناده لا بأس به في الشواهد رجاله ثقات غير ابن لهيعة وهو سيئ الحفظ لكنه يتقوى بما قبله وما بعده" -يعني من كتاب السنة لابن أبي عاصم. وأخرجه: أبو داود (٥/ ٧٦/ ٤٧٠٠) من طريق إبراهيم بن أبي عبلة عن أبي حفصة قال: قال عبادة بن الصامت لابنه، فذكره. الترمذي (٤/ ٣٩٨/ ٢١٥٥) وقال: "وهذا حديث غريب من هذا الوجه". وفيه قصة طويلة.

وأخرجه أيضا في (٥/ ٣٩٤ - ٣٩٥/ ٣٣١٩) وقال: "هذا حديث حسن غريب".

(٣٨٧٤)الفتح :١٣/ ٤٤٣.

(٣٨٧٥) الإبانة: الإبانة (١/ ١٢/٢٩٨/ ٧٦).

(٣٨٧٦) الإبانة: الإبانة (١/ ١٢/٢٩٨/ ٧٦).

(٣٨٧٧) التفسير الميسر: ٤٨٩.

(٣٨٧٨) تفسير الطبري: ٥٦٦/٢١.

(٣٨٧٩) تفسير السعدي: ٧٦٢.

(٣٨٨٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٨٩/٣.

(٣٨٨١) أخرجه الطبري: ٥٦٦/٢١.

(٣٨٨٢) أخرجه الطبري: ٥٦٦/٢١.

(٣٨٨٣) أخرجه الطبري: ٥٦٦/٢١.

(٣٨٨٤) أخرجه الطبري: ٥٦٦/٢١.

(٣٨٨٥) أخرجه الطبري: ٥٦٦/٢١.

قال الزجاج:" {أم الكتاب}: أصل الكتاب، وأصل كل شيء: أمُّه، والقرآن مثبت عند اللَّهِ في اللوح المحفوظ، والدليل على ذلك قوله: (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ} [البروج: ٢١-٢٢]"[٣٨٨٦].

عن قتادة: "{لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ}، يخبر عن منزلته وفضله وشرفه"[٣٨٨٧].

قال ابن كثير:" وهذا كله تنبيه على شرفه وفضله، كما قال : {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ. فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ. لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ. تَنزيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الواقعة : ٧٧ - ٨٠] وقال : {كَلا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ. فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ. فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ. مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ. بِأَيْدِي سَفَرَةٍ. كِرَامٍ بَرَرَةٍ} [عبس : ١١ - ١٦] ؛ ولهذا استنبط العلماء ، رحمهم الله ، من هاتين الآيتين : أن المُحدِثَ لا يمس المصحف ، كما ورد به الحديث إن صح ؛ لأن الملائكة يعظمون المصاحف المشتملة على القرآن في الملأ الأعلى ، فأهل الأرض بذلك أولى وأحرى ، لأنه نزل عليهم ، وخطابه متوجه إليهم ، فهم أحق أن يقابلوه بالإكرام والتعظيم ، والانقياد له بالقبول والتسليم ، لقوله : {وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ}"[٣٨٨٨].

فوائد الآيات:[١-٤]:

١- جواز القسم مع تأكد صحة المقسم بدون القسم، يعني: جواز أن يقسم الإنسان على الشيء مع أن قوله مقبول على كل حال، وجه الدلالة: أن الله عز وجل أقسم وقوله مقبول على كل حال وصدق بلا يمين، حينئذ يتولد من هذا: كيف يقسم الله عز وجل على الشيء وهو الصادق بدون قسم؟ فنقول: لفائدتين:

الأولى: بيان أهمية هذا الشيء، وأنه جدير بأن يقسم عليه.

والثانية: أن القسم من فصاحة الكلام في اللغة العربية، فإذا كان من فصاحة الكلام فالقرآن نزل باللغة العربية، فيكون هذا مطابقة بأسلوب اللغة العربية.

ويرد على هذا القسم بالقرآن: كيف أقسم الله بالقرآن مع أنه لا يجوز القسم بغير الله؟

والجواب على هذا: أن القرآن صفة من صفات الله، لأنه كلام الله، والقسم يجوز بالله وبالصفة من صفاته، فزال الإشكال.

٢- بيان عظمة القرآن، لأن الله لا يقسم إلا بشيء عظيم، بل إن القسم نفسه -كما قال من فسره- تأكيد الشيء بذكر معظم بصفة مخصوصة بأحد حروف القسم.

٣- أن القرآن الكريم مبين لكل ما يحتاج إلى البيان؛ لقوله تعالى: {المبين}. ولكن هذا البيان ليس حاصلا لكل أحد، فمن الناس من يفهم من القرآن أشياء كثيرة، ومن الناس من هو دون ذلك، ومن الناس من لا يفهم شيئا؛ فالأقسام ثلاثة؛ فمن الناس من يفتح الله عليه فيفهم من الآية الواحدة عشرات المسائل، ومن الناس من هو دون ذلك، ومن الناس من لا يفهم شيئا.

ولهذا لما سئل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: هل عهد إليكم النبي - صلى الله عليه وسلم - بشيء؟ قال: "لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما عهد إلينا بشيء، إلا فهما يؤتيه الله تعالى من شاء في القرآن، وإلا ما في هذه الصحيفة" [٣٨٨٩]، وإنما سئل علي عن ذلك لأنه أشيع في زمنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - عهد إليه بالخلافة وقال: أنت الخليفة من بعدي. فبين - رضي الله عنه - أن ذلك لم يكن، والشاهد من هذا الأثر قوله: "إلا فهما يؤتيه الله من شاء من عباده".

(٣٨٨٦) معاني القرآن: ٤/٤٠٥.

(٣٨٨٧) أخرجه الطبري: ٥٦٧/٢١.

(٣٨٨٨) تفسير ابن كثير: ٢١٨/٧.

(٣٨٨٩)أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب كتابة العلم، رقم (١١١)، ومسلم: كتاب الحج، باب فضل المدينة، رقم (١٣٧٠).

ولذلك ترى بعض العلماء إذا تكلم عن الآية مستنبطا فوائدها يأتي بالعجب العجاب، ومن أبلغ ما قرأت ما يحصل لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله؛ فإن الله يفتح عليهما من فهم القرآن ما لا يكون لغيرهما، ومن الناس من فهمه دون ذلك، لكن درجات، ومن الناس من لا يفهم شيئا.

والدليل الأخير قوله تعالى: {ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني} [البقرة: ٧٨]، يعني: إلا قراءة، جمع أمنية، ومنه قول الشاعر في أمير المؤمنين عثمان - رضي الله عنه -[٣٨٩٠]:

تمنى كتاب الله أول ليله ... وآخره لاقى حمام الموارد

٤- أن هذا القرآن الذي أعجز العرب من الحروف التي يركبون منها كلامهم ومع ذلك أعجزهم.

٥- أن القرآن الكريم مكتوب، وهو مكتوب في اللوح المحفوظ، ومكتوب في الصحف التي بأيدي الملائكة، ومكتوب في الصحف التي بين أيدينا.

٦- أن القرآن الكريم حادث؛ يعني: أنه بإرادة الله سبحانه وتعالى؛ لقوله تعالى: {إنا جعلناه قرآنا عربيا} والله قادر على أن يجعله بلغة أخرى لكن صيره باللغة العربية، ومعلوم أن العرب حادثون، فيكون ما نزل باللغة حادثا، وهذا هو الحق؛ أن كلام الله سبحانه وتعالى حادث، بمعنى: أنه يتكلم متى شاء، ومتى شاء لا يتكلم، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان"[٣٨٩١].

فإن قال قائل: وهل يجوز وصف القرآن بالحدوث؟

فالجواب: نعم، محدث وحادث؛ قال الله تعالى: {وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين} [الشعراء: ٥]، لكن لا تظن أن معنى محدث أي: أنه مخلوق، لا، محدث يعني: أن الله تكلم به حين نزوله[٣٨٩٢].

٧- عناية الله تبارك وتعالى بهذا القرآن، وهذا يدل على شرفه؛ حيث جعله عنده في أم الكتاب.

٨- أن القرآن عال بل علي، وهذا يدل على أن من تمسك بهذا القرآن فله العلو كقوله سبحانه وتعالى: {فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم} [محمد: ٣٥] فنقول: القرآن علي، ومن تمسك به فله العلو، وشاهد هذا الواقع؛ لما كانت الأمة الإسلامية متمسكة بالإسلام كان في العلو والظهور، وملكت به مشارق الأرض ومغاربها، ولما تقاعست وتخاذلت وتنازعت وتباغضت صار الأمر بالعكس، صار لها الذل.

قال ابن عثيمين:" فالآن أمة العرب يدعون اليهود إلى السلم، ويكررون ذلك، ويمدون أيديهم إلى دول النصارى لتساعدهم على السلم؛ لأننا لم نتمسك بالقرآن، فكنا أذلة نتوسل لأعدائنا أن يقع السلم بيننا وبين أعدائنا"[٣٨٩٣].

٩- أن من جادل بالقرآن فهو غالب؛ لأن الذي له العلو هو القرآن.

القرآن

{أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ (٥)} [الزخرف :٥]

التفسير:

(٣٨٩٠)غير منسوب، وانظره في: العين (٨/ ٣٩٠)، وسيرة ابن هشام (١/ ٥٣٨)، وتفسير ابن كثير (١/ ٢٠٥).

(٣٨٩١)أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/ ٢٢١) رقم (٥٨٩)، والدارقطني (٤/ ١٨٣)، البيهقي في السنن (١٠/ ١٢)، من حديث أبي ثعلبة الخشني - رضي الله عنه -.

(٣٨٩٢) انظر: تفسير ابن عثيمين، الزخرف: ٣٧.

(٣٨٩٣) تفسير العثيمين. الزخرف: ٤٦.

أفنُعْرِض عنكم، ونترك إنزال القرآن إليكم لأجل إعراضكم وعدم انقيادكم، وإسرافكم في عدم الإيمان به؟

قال الأخفش:" {أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ} يقول: لأن كنتم"[٣٨٩٤].

عن قتادة :"{أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ}، أي: مشركين"[٣٨٩٥].

واختلف أهل العلم في تفسير الآية على وجوه:

أحدها : أفنُمْسِكُ عن عذابكم ونترُكُكم على كفركم؟! وهذا معنى قول مجاهد[٣٨٩٦]، والسدي[٣٨٩٧]، وأبي صالح[٣٨٩٨].

قال مجاهد:" تكذّبون بالقرآن ثم لا تعاقبون عليه"[٣٨٩٩].

الثاني: أفنُمْسِكُ عن إنزال القرآن من أجل أنكم لا تؤمِنون به؟! وهو معنى قول قتادة[٣٩٠٠]، وابن زيد[٣٩٠١].

وقال مقاتل:" يقول: لأهل مكة أفنذهب عنكم هذا القرآن سدى لا تسألون عن تكذيب به"[٣٩٠٢].

قال قتادة:" والله لو كان هذا القرآن رفع حين ردّه أوائل هذه الأمة لهلكوا، فدعاهم إليه عشرين سنة، أو ما شاء الله من ذلك"[٣٩٠٣].

وقال قتادة:" لو أن هذه الأمة لم يؤمنوا لضرب عنهم الذكر صفحا، قال: الذكر ما أنزل عليهم مما أمرهم الله به ونهاهم صفحا، لا يذكر لكم منه شيئا"[٣٩٠٤].

قال ابن كثير:" قول قتادة لطيف المعنى جدا ، وحاصله أنه يقول في معناه : أنه تعالى من لطفه ورحمته بخلقه لا يترك دعاءهم إلى الخير والذكر الحكيم - وهو القرآن - وإن كانوا مسرفين معرضين عنه ، بل أمر به ليهتدي من قدّر هدايته ، وتقوم الحجة على من كتب شقاوته"[٣٩٠٥].

الثالث: أفحسبتم أن نصفح ولما تفعلون ما أمرتم به؟ قاله ابن عباس[٣٩٠٦].

وقال الكلبي:"أفنترككم سدى لا نأمركم ولا ننهاكم"[٣٩٠٧].

وقال الكسائي: "أفنطوي عنكم الذكر طيّا، فلا تدعون ولا توعظون"[٣٩٠٨].

وحكي النقاش:"أفنهملكم فلا نعرفكم بما يجب عليكم"[٣٩٠٩].

وقال الماوردي : "أن نوعد ولا نؤاخذ، ونقول فلا نفعل"[٣٩١٠].

(٣٨٩٤) معاني القرآن: ٥١٣/٢.
(٣٨٩٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٤٩٦):ص٣٢٨١/١٠.
(٣٨٩٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٧/٢١.
(٣٨٩٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٧/٢١.
(٣٨٩٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٧/٢١.
(٣٨٩٩) أخرجه الطبري: ٥٦٧/٢١.
(٣٩٠٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٨/٢١.
(٣٩٠١) انظر: الكشف والبيان: ٣٢٨/٨، والنكت والعيون: ٢١٦/٥، وزاد المسير: ٧٣/٤. بدون سند.
(٣٩٠٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٨٩/٣.
(٣٩٠٣) أخرجه الطبري: ٥٦٨/٢١.
(٣٩٠٤) أخرجه الطبري: ٥٦٨/٢١.
(٣٩٠٥) تفسير ابن كثير: ٢١٩/٧.
(٣٩٠٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٨/٢١.
(٣٩٠٧) نقلا عن: الكشف والبيان: ٣٢٨/٨.
(٣٩٠٨) نقلا عن: الكشف والبيان: ٣٢٨/٨.
(٣٩٠٩) انظر: النكت والعيون: ٢١٦/٥.
(٣٩١٠) انظر: النكت والعيون: ٢١٦/٥.

قال الثعلبي:" وهذا من فصيحات القرآن، والعرب تقول لمن أمسك عن الشيء وأعرض عنه: ضرب عنه صفحا، والأصل في ذلك إنّك إذا أعرضت عنه ولّيته صفحة عنقك، قال كثير(٣٩١١):

صفوحًا فما تلقاك إلا بخيلةً ... فمَنْ ملَّ منها ذلك الوصلَ ملَّت

أي: معرضة بوجهها، وضربت عن كذا وأضربت، إذا تركته وأمسكت عنه"(٣٩١٢).

قال الطبري:" الصواب تأويل من تأوّله: أفنضرب عنكم العذاب فنترككم ونعرض عنكم، لأن كنتم قوما مسرفين لا تؤمنون بربكم، لأن الله تبارك وتعالى أتبع ذلك خبره عن الأمم السالفة قبل الأمم التي توعدها بهذه الآية في تكذيبها رسلها، وما أحل بها من نقمته، ففي ذلك دليل على أن قوله: {أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا} وعيد منه للمخاطبين به من أهل الشرك، إذ سلكوا في التكذيب بما جاءهم عن الله رسولهم مسلك الماضين قبلهم"(٣٩١٣).

وقرئ:«إِنْ كُنْتُمْ» بكسر الألف من«إن»، بمعنى: أفنضرب عنكم الذكر صفحا إذ كنتم قوما مسرفين(٣٩١٤).

فوائد الآية الكريمة:

١- أن الله لم يترك عباده هملا، بل بين لهم الحق، ودعاهم إليه، وخوفهم من مخالفته فلم يبق لأحد عذر.

٢- أن الإنسان معذور بالجهل إذا لم تبلغه الرسالة، وهذا له أدلة:

- منها: قول الله تعالى: {إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبورا (١٦٣) ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما (١٦٤) رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل} [النساء: ١٦٣ - ١٦٥].
- ومنها: قوله تعالى: {وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا} [الإسراء: ١٥].
- ومنها: قوله تعالى: {وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون} [القصص: ٥٩]، والأدلة على هذا كثيرة.

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "والذي نفسي بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بما جئت به إلا كان من أصحاب النار"(٣٩١٥).

٣- أن أحكام الله عز وجل معللة بعلل مناسبة للحكم، وهذا من مقتضى حكمته؛ ألا تجد حكما إلا وله حكمة، ولكن هل يلزم من كونه له حكمة أن تكون معلومة لنا؟

الجواب: لا؛ لأن أفهامنا وعقولنا أدنى من أن تحيط علما بالله، بحكمة الله عز وجل، ولكننا نعلم أنه لا يحكم بشيء قدرا أو شرعا إلا وله حكمة، إذا حكم الله في الكتاب أو السنة بحكم فلا تبغ به بديلا؛ لقوله سبحانه وتعالى: {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم} [الأحزاب: ٣٦]،

(٣٩١١)البيت لكثير عزة، في "ديوانه" ص ٩٨، "لسان العرب" ٤/ ٢٤٥٧، (مادة: صفح)، "المعجم المفصل" ١/ ٥٥٣.

(٣٩١٢) الكشف والبيان: ٣٢٨/٨.

(٣٩١٣) تفسير الطبري: ٥٦٨/٢١.

(٣٩١٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٦٨/٢١.

(٣٩١٥)أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -، رقم (١٥٣)، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -.

ولما سئلت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عن الحائض تقضي الصوم دون الصلاة؟ قالت: "كان يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة"(٣٩١٦).

القرآن

{وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ (٦) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٧) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (٨)} [الزخرف :]

التفسير:

كثيرًا من الأنبياء أرسلنا في القرون الأولى التي مضت قبل قومك أيها النبي. وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون كاستهزاء قومك بك، فأهلكنا مَن كذَّبوا رسلنا، وكانوا أشد قوة وبأسًا من قومك يا محمد، ومضت عقوبة الأولين بأن أهلِكوا؛ بسبب كفرهم وطغيانهم واستهزائهم بأنبيائهم.

قوله تعالى:{وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ} [الزخرف :٦]، أي:" كثيرًا من الأنبياء أرسلنا في القرون الأولى التي مضت قبل قومك أيها النبي"(٣٩١٧).

قال الطبري:يقول:" {وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ} يا محمد في القرون الأولين الذين مضوا قبل قرنك الذي بعثت فيه كما أرسلناك في قومك من قريش"(٣٩١٨).

قال السمعاني:" «كم» للتكثير"(٣٩١٩).

قال ابن أبي زمنين:" أي: كثيرا"(٣٩٢٠).

قال القرطبي:" «كم» -هنا-: خبرية والمراد بها التكثير، والمعنى ما أكثر ما أرسلنا من الأنبياء. كما قال: {كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ} [الدخان : ٢٥]، أي: ما أكثر ما تركوا"(٣٩٢١).

قوله تعالى:{وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [الزخرف :٧]، أي:" وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون كاستهزاء قومك بك"(٣٩٢٢).

قال الطبري:" يقول وما كان يأتي قرنا من أولئك القرون وأمة من أولئك الأمم الأولين لنا من نبيّ يدعوهم إلى الهدى وطريق الحق، إلا كان الذين يأتيهم ذلك من تلك الأمم نبيهم الذي أرسله إليهم يستهزئون سخرية منهم بهم كاستهزاء قومك بك يا محمد. يقول: فلا يعظمن عليك ما يفعل بك قومك، ولا يشقنّ عليك، فإنهم إنما سلكوا في استهزائهم بك مسلك أسلافهم، ومنهاج أئمتهم الماضين من أهل الكفر بالله"(٣٩٢٣).

قال مقاتل:" يعنى: بالعذاب {يستهزؤن}، بأنه غير نازل بهم"(٣٩٢٤).

قال مجاهد:" يعني: " بما جاءتهم به رسلهم من الحق، يقول: استهزءوا به"(٣٩٢٥).

قال القشيري:" ما أتاهم من رسول فقابلوه بالتصديق، بل كذّب به الأكثرون وجحدوا، وعلى غيّهم أصرّوا"(٣٩٢٦).

(٣٩١٦)أخرجه البخاري: كتاب الحيض، باب لا تقضي الحائض الصلاة، رقم (٣٢١)، ومسلم: كتاب الحيض، باب وجوب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة، رقم (٣٣٥).

(٣٩١٧) التفسير الميسر: ٤٨٩.

(٣٩١٨) تفسير الطبري: ٥٧٠/٢١.

(٣٩١٩) تفسير السمعاني: ٩١/٥.

(٣٩٢٠) تفسير ابن أبي زمنين: ١٧٦/٤.

(٣٩٢١) تفسير القرطبي: ٦٣/١٦.

(٣٩٢٢) التفسير الميسر: ٤٨٩.

(٣٩٢٣) تفسير الطبري: ٥٧٠/٢١.

(٣٩٢٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٨٩/٣.

(٣٩٢٥) تفسير مجاهد: ٥٨٤.

(٣٩٢٦) لطائف الإشارات: ٣٦٢/٣.

قال الفخر الرازي:" المعنى: أن عادة الأمم مع الأنبياء الذين يدعونهم إلى الدين الحق هو التكذيب والاستهزاء، فلا ينبغي أن تتأذى من قومك بسبب إقدامهم على التكذيب والاستهزاء لأن المصيبة إذا عمت خفت"(٣٩٢٧).

قوله تعالى:{فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا} [الزخرف :٨]، أي:" فأهلكنا مَن كذَّبوا رسلنا، وكانوا أشد قوة وبأسًا من قومك يا محمد"(٣٩٢٨).

قال ابن أبي زمنين:" يعني: أشد من مشركي العرب قوة"(٣٩٢٩).

قال الطبري:يقول:" فأهلكنا أشدّ من هؤلاء المستهزئين بأنبيائهم بطشا إذا بطشوا فلم يعجزونا بقواهم وشدة بطشهم، ولم يقدروا على الامتناع من بأسنا إذ أتاهم، فالذين هم أضعف منهم قوة أحرى أن لا يقدروا على الامتناع من نقمنا إذا حلَّت بهم"(٣٩٣٠).

قال القشيري:" أي: لم يعجزنا أحد منهم، ولم نغادر منهم أحدا، وانتقمنا من الذين أساءوا"(٣٩٣١).

قوله تعالى:{وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ} [الزخرف :٨]، أي:" ومضت عقوبة الأولين بأن أهلِكوا؛ بسبب كفرهم وطغيانهم واستهزائهم بأنبيائهم"(٣٩٣٢).

قال الطبري:"يقول جلّ ثناؤه: ومضى لهؤلاء المشركين المستهزئين بك ولمن قبلهم من ضربائهم مثلنا لهم في أمثالهم من مكذّبي رسلنا الذين أهلكناهم، يقول: فليتوقع هؤلاء الذين يستهزئون بك يا محمد من عقوبتنا مثل الذي أحللناه بأولئك الذين أقاموا على تكذيبك"(٣٩٣٣).

قال مقاتل:" يعني: شبه {الأولين} في العقوبة، حين كذبوا رسلهم، يقول: هكذا أمتك يا محمد في سنة من مضى من الأمم الخالية في الهلاك"(٣٩٣٤).

قال الواحدي: أي:" سبق فيما أنزلنا إليك تشبيه حال الكفار الماضية بحال هؤلاء في التكذيب، ولما أهلكوا أولئك بتكذيبهم، فعاقبة هؤلاء أيضا إلى هلاك"(٣٩٣٥).

قال البيضاوي:أي:" وسلف في القرآن قصتهم العجيبة، وفيه وعد للرسول ووعيد لهم بمثل ما جرى على الأولين"(٣٩٣٦).

عن قتادة: "{وَمَضَى مَثَلُ الأوَّلِينَ}، قال: عقوبة الأولين"(٣٩٣٧).

عن مجاهد، قوله: "{مَثَلُ الأوَّلِينَ}، قال: سُنتهم"(٣٩٣٨).

قال أبو الليث السمرقندي:" يعني: سنة الأولين بالهلاك"(٣٩٣٩).

قال ابن أبي زمنين:" يعني: وقائعه في الأمم السالفة بتكذيبهم رسلهم"(٣٩٤٠).

قال النحاس:" يجوز أن تكون «مثل» -هاهنا- بمعنى: صفة، أي: صفتهم بأنهم أهلكوا لمّا كذّبوا، ويجوز أن يكون مثل على بابه"(٣٩٤١).

فوائد الآيات: [٦-٨]:

(٣٩٢٧) مفاتيح الغيب: ٦١٩/٢٧.
(٣٩٢٨) التفسير الميسر: ٤٨٩.
(٣٩٢٩) تفسير ابن أبي زمنين: ١٧٦/٤.
(٣٩٣٠) تفسير الطبري: ٥٧١/٢١.
(٣٩٣١) لطائف الإشارات: ٣٦٢/٣.
(٣٩٣٢) التفسير الميسر: ٤٨٩.
(٣٩٣٣) تفسير الطبري: ٥٧١/٢١.
(٣٩٣٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٨٩/٣.
(٣٩٣٥) التفسير الوسيط: ٦٤/٤.
(٣٩٣٦) تفسير البيضاوي: ٨٧/٥.
(٣٩٣٧) أخرجه الطبري: ٥٧١/٢١.
(٣٩٣٨) أخرجه الطبري: ٥٧١/٢١.
(٣٩٣٩) بحر العلوم: ٢٥٢/٣.
(٣٩٤٠) تفسير ابن أبي زمنين: ١٧٦/٤.
(٣٩٤١) إعراب القرآن: ٦٦/٤.

١- أن الله تعالى أرسل عددا كثيرا من الأنبياء في السابقين، وقد جاء في بعض الأحاديث أنهم مئة وأربعة وعشرون ألفا، فالله أعلم؛ لأن هذا يحتاج إلى دليل صحيح صريح، وقد قال الله سبحانه وتعالى: {ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك} [غافر: ٧٨]، ومعلوم أن من لم يقصص علينا فلن نستطيع أن نعرف عدده.

٢- أن الله تعالى أقام الحجة على جميع الخلق، ويؤيد هذا قوله: {وإن من أمة إلا خلا فيها نذير} [فاطر: ٢٤].

٣- تسلية النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - في قوله: {وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون} فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا علم أن الرسل من قبله يستهزأ بهم فإنه يتسلى ولا شك.

واعرف أنت هذا من نفسك؛ فإذا أصبت بمصيبة وأصيب غيرك بمثلها أو أشد، ألست تتسلى بهذا وتهون عليك المصيبة؟ بلى، وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى: {ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون} [الزخرف: ٣٩]، يعني: أن اشتراكهم في العذاب لا يخفف العذاب عنهم، ولا يحصل لكم به تسل، لأن كل واحد من أهل النار -أعاذنا الله وإياكم منها- لا يرى أن أحدا منهم أخف عذابا؛ ولذلك يشتد حزنهم -والعياذ بالله- إذا رأى أنه هو أشد الناس عذابا وهو أهو نهم.

٤- أن الاستهزاء بالرسل تكذيب لهم وزيادة، لقوله عز وجل: {إلا كانوا به يستهزئون} واعلم أن الاستهزاء بالرسل كفر، والاستهزاء بالكتب كفر، والاستهزاء بالله كفر، قال الله تبارك وتعالى: {ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون (٦٥) لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم} [التوبة: ٦٥ - ٦٦].

٥- بيان شدة صبر الرسل عليهم الصلاة والسلام حيث إنهم يستهزأ بهم، وهم صابرون حتى يأتي أمر الله، وإلا فمن الذي يطيق أن يدعو الناس وهم يستهرئون به، لولا أن يثبت الله عز وجل الإنسان بالقول الثابت، كما قال تعالى لنبيه - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -: {ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا (٧٤) إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات} [الإسراء: ٧٤].

٦- تحذير قريش من رد دعوة النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -؛ لأن الله تعالى توعدهم بذكر إهلاك من سبق، وكل إنسان له قلب إذا ذكر له حال الأمم السابقة، وأنهم أهلكوا فلا بد له أن يتعظ ولابد أن يخاف ويخشى.

٧- جواز التحويل على شيء سابق؛ لقوله سبحانه وتعالى: {ومضى مثل الأولين}، أي: حالهم وصفاتهم، والتحويل فيه فائدة، وهي: أن يتذكر الإنسان ما مضى وأن يعود إليه، وقد عاب قوم على الحافظ ابن حجر رحمه الله بكثرة حوالاته في «فتح الباري»، والحقيقة أن لا عيب، ولا يرد على هذا أنه قد يحيل أحيانا ولا نجد ما أحال به، فأحيانا يقول: يأتي في باب كذا ولا نجده؛ لأنه قد يكون معذورا بالنسيان، أو ألحقه بنسخة لم تصل إلينا، أو ما أشبه ذلك.

القرآن

{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٩)} [الزخرف :٩]

التفسير:

ولئن سألت -أيها الرسول- هؤلاء المشركين من قومك مَن خلق السموات والأرض؟ ليقولنَّ: خلقهنَّ العزيز في سلطانه، العليم بهن وما فيهن من الأشياء، لا يخفى عليه شيء.

قوله تعالى:{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} [الزخرف :٩]، أي:" ولئن سألت -أيها الرسول- هؤلاء المشركين من قومك مَن خلق السموات والأرض؟"(٣٩٤٢).

قال الطبري: يقول:" ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين من قومك: من خلق السموات السبع والأرضين، فأحدثهن وأنشأهن؟"(٣٩٤٣).

عن عكرمة، قال: "هو قول الله: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) [سورة لقمان: ٢٥/ سورة الزمر:٣٨] . فإذا سئلوا عن الله وعن صفته، وصفوه بغير صفته، وجعلوا له ولدًا، وأشركوا به"(٣٩٤٤).

عن مجاهد:"{وله أسلم من في السموات والأرض}، قال: هو كقوله: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) [سورة الزمر: ٣٨]"(٣٩٤٥).

قال ابن إسحاق:" ابتدع السماوات والأرض ولم يكونا إلا بقدرته، لم يستعن على ذلك بأحد من خلقه ولم يشركه في شيء من أمره بسلطانه القاهر وقوله النافذ الذي يقول به لما أراد أن يكون له كن فيكون ففرغ من خلق السماوات والأرض في ستة أيام"(٣٩٤٦).

قوله تعالى:{لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} [الزخرف :٩]، أي:" ليقولُنَّ: خلقهنَّ العزيز في سلطانه، العليم بهن وما فيهن من الأشياء، لا يخفى عليه شيء"(٣٩٤٧).

قال الطبري: يقول:" ليقولنّ: خلقهنّ العزيز في سلطانه وانتقامه من أعدائه، العليم بهن وما فيهنّ من الأشياء، لا يخفى عليه شيء"(٣٩٤٨).

قال ابن كثير:" أي : ليعترفن بأن الخالق لذلك هو الله تعالى وحده لا شريك له ، وهم مع هذا يعبدون معه غيره من الأصنام والأنداد"(٣٩٤٩).

قال السمعاني:" وهذا على طريق التعجيب من حالهم، أي: كيف يعبدون الأصنام ويزعمون أن لله شريكا، وقد أقروا أن الله تعالى خالق السموات والأرض؟"(٣٩٥٠).

قال الواحدي:أي:" أقروا بعزتي وعلمي، وهذا إخبار عن غاية جهلهم، إذ أقروا بأن الله خلق السموات والأرض، ثم عبدوا معه غيره، وأنكروا قدرته على البعث، وقد تم الإخبار عنهم"(٣٩٥١).

قال البغوي:" أقروا بأن الله خالقها، وأقروا بعزه وعلمه ثم عبدوا غيره وأنكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم. إلى هاهنا تم الإخبار عنهم"(٣٩٥٢).

قال محمد بن إسحاق: " العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"(٣٩٥٣)، الحكيم: في عذره وحجته إلى عباده"(٣٩٥٤).

قال أبو العالية:" {عزيز} في نقمته إذا انتقم"(٣٩٥٥). وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك(٣٩٥٦).

(٣٩٤٢) التفسير الميسر: ٤٨٩.
(٣٩٤٣) تفسير الطبري: ٥٧١/٢١.
(٣٩٤٤) أخرجه الطبري(١٩٩٥٩):ص٢٨٧/١٦.
(٣٩٤٥) أخرجه الطبري(٧٣٤٢):ص٥٦٥/٦.
(٣٩٤٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٢٩٥):ص٢٧١٣/٨-٢٧١٤.
(٣٩٤٧) التفسير الميسر: ٤٨٩.
(٣٩٤٨) تفسير الطبري: ٥٧١/٢١-٥٧٢.
(٣٩٤٩) تفسير ابن كثير: ٢١٩/٧.
(٣٩٥٠) تفسير السمعاني: ٩٢/٥.
(٣٩٥١) التفسير الوسيط: ٦٥/٤.
(٣٩٥٢) تفسير البغوي: ٢٠٧/٧.
(٣٩٥٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٤):ص١٦٦٤/٥.
(٣٩٥٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٦):ص١٦٦٤/٥.
(٣٩٥٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٣):ص١٦٦٤/٥.
(٣٩٥٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.

عن أبي العالية:" {حكيم}، قال: حكيم في أمره"[٣٩٥٧].

فوائد الآية الكريمة:

١- فيها دليل على أن المشركين يقرون بتوحيد الربوبية لقولهم في الجواب: {خلقهن العزيز العليم} والأمر كذلك، وإقرارهم بتوحيد الربوبية يلزمهم أن يقروا بتوحيد الألوهية، فيمال: إذا أقررتم أنه لا خالق إلا الله فأقروا أنه لا معبود حقا إلا الله.

٢- أن للسموات عددا؛ لقوله: {السماوات} وقد جاء في القرآن الكريم وفي السنة النبوية أن عدد السموات سبع، قال الله تبارك وتعالى: {الله الذي خلق سبع سماوات} [الطلاق: ١٢].

أما الأرض فلم يأت في القرآن تصريح بأنها سبع، لكن ظاهر القرآن كذلك، مثل قوله عز وجل: {الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن} [الطلاق: ١٢]، فإن الموازنة هنا لا يمكن أن تكون بالحجم ولا بالقوة؛ لأن السموات أوسع وأعظم من الأرض وأقوى، فلم يبق إلا العدد، وقد جاءت السنة صريحة في ذلك، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: "من اقتطع شبرا من الأرض ظلما طوقه يوم القيامة من سبع أرضين"[٣٩٥٨]، والسموات طباق، واحدة فوق الأخرى، وإذا كان واحدة فوق الأخرى لزم أن تكون السماء الثانية أوسع من الأولى؛ لأنها دائرة، والثالثة: أوسع من الثانية، وهلم جرا.

ولهذا قال عز وجل: {والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون (٤٧)} [الذاريات: ٤٧] كلما ارتفعت في السموات اتسعت السموات، وهي طباق بلا شك كما في القرآن الكريم وكما جاء ذلك صريحا في حديث النعمان - رضي الله عنه -، أما الأرض فهي طباق أيضا بدليل أن من اقتطع شبرا من الأرض التي نحن عليها طوقه من سبع أرضين، ولولا أن الأرض الثانية تحت، والثالثة تحتها، وهكذا لم يطوق الإنسان من سبع أرضين؛ لأنه ما غصب إلا ظاهر الأرض، فتكون الأرضون طباقا.

أما كيف هذه الطباق، فإلى الآن لم نصل إلى علم بها، وعلماء الجيولوجيا الذين يحفرون أعماق الأرض لا يطلعون على هذا، فهو مجهول لنا، لكن الحديث: "طوقه يوم القيامة من سبع أرضين" يدل على أنها طباق.

٣- إثبات هذين الاسمين لله سبحانه وتعالى، وهما {العزيز العليم} واعلم أخي أن كل اسم من أسماء الله فهو متضمن لصفة، فالعزيز متضمن لصفة العزة، والعليم متضمن لصفة العلم، وليس كل صفة يشتق منها اسم؛ ولهذا نقول: إن باب الصفات أوسع من باب الأسماء؛ لأنه يوجد صفات ليس لله منها أسماء، لكن لا يوجد اسم إلا ومنه صفة، والله أعلم.

القرآن

{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠)} [الزخرف : ١٠]

التفسير:

الذي جعل لكم الأرض فراشًا وبساطًا، وسهَّل لكم فيها طرقًا لمعاشكم ومتاجركم ; لكي تهتدوا بتلك السبل إلى مصالحكم الدينية والدنيوية.

قوله تعالى:{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا} [الزخرف : ١٠]، أي:" الذي جعل لكم الأرض فراشًا وبساطًا"[٣٩٥٩].

(٣٩٥٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٢):ص١٧٦٤/٦.

(٣٩٥٨)أخرجه البخاري: كتاب المظالم، باب إثم من ظلم شيئا من الأرض، رقم (٢٤٥٣)، ومسلم: كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض، رقم (١٦١٢/ ١٤٢) من حديث عائشة - رضي الله عنها -.

(٣٩٥٩) التفسير الميسر: ٤٨٩.

قال الطبري:" يقول: الذي مهد لكم الأرض، فجعلها لكم وطاء توطئونها بأقدامكم، وتمشون عليها بأرجلكم"[٣٩٦٠].

قال ابن كثير:" أي : فراشًا قرارًا ثابتة ، يسيرون عليها ويقومون وينامون وينصرفون ، مع أنها مخلوقة على تيار الماء ، لكنه أرساها بالجبال لئلا تميد هكذا ولا هكذا"[٣٩٦١].

عن السديّ :"{الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ مَهْدًا}، قال: بساطا"[٣٩٦٢].

عن الحسن ، في قوله تعالى: {الْأَرْضَ مِهَادًا} [النبأ: ٦] قال: «فراشا»[٣٩٦٣].

قوله تعالى:{وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا} [الزخرف : ١٠]، أي:" وسهَّل لكم فيها طرقًا لمعاشكم ومتاجركم"[٣٩٦٤].

قال الطبري:" يقول: وسهل لكم فيها طرقا تتطرّقونها من بلدة إلى بلدة، لمعايشكم ومتاجركم"[٣٩٦٥].

قال ابن كثير:" أي : طرقا بين الجبال والأودية"[٣٩٦٦].

قال ابن عطية:" «السبل»: الطرق"[٣٩٦٧].

عن قتادة: "{وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلا}، أي: طرقا"[٣٩٦٨].

عن السديّ: "{وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلا}، قال: الطرق"[٣٩٦٩].

قال ابن عباس:" سَهَّل لكم فيها طرقًا تسلكونها"[٣٩٧٠].

قوله تعالى:{لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [الزخرف : ١٠]، أي:" لكي تهتدوا بتلك السبل إلى مصالحكم الدينية والدنيوية"[٣٩٧١].

قال الطبري:" يقول: لكي تهتدوا بتلك السبل إلى حيث أردتم من البلدان والقرى والأمصار، لولا ذلك لم تطيقوا براح أفنيتكم ودوركم، ولكنها نعمة أنعم بها عليكم"[٣٩٧٢].

قال الواحدي:" لكي تهتدوا في أسفاركم إلى مقاصدكم"[٣٩٧٣].

قال ابن كثير:" أي : في سيركم من بلد إلى بلد، وقطر إلى قطر ، وإقليم إلى إقليم"[٣٩٧٤].

قال السمعاني:أي:" تهتدون بسلوكها في أسفاركم. وقيل: في معايشكم وتصرفاتكم"[٣٩٧٥].

قال ابن عطية:" {تَهْتَدُونَ}، معناه: في المقاصد من بلد إلى بلد ومن قطر إلى قطر، ويحتمل أن يريد: تَهْتَدُونَ بالنظر والاعتبار"[٣٩٧٦].

(٣٩٦٠) تفسير الطبري: ٥٧٢/٢١.
(٣٩٦١) أخرجه الطبري: ٥٧٢/٢١.
(٣٩٦٢) أخرجه الطبري: ٥٧٢/٢١.
(٣٩٦٣) تفسير عبدالرزاق(٣٤٧١):ص٣٨٦/٣.
(٣٩٦٤) التفسير الميسر: ٤٨٩.
(٣٩٦٥) تفسير الطبري: ٥٧٢/٢١.
(٣٩٦٦) تفسير ابن كثير: ٢١٩/٧.
(٣٩٦٧) المحرر الوجيز: ٤٧/٥.
(٣٩٦٨) أخرجه الطبري: ٥٧٢/٢١.
(٣٩٦٩) أخرجه الطبري: ٥٧٢/٢١.
(٣٩٧٠)تفسير البغوي ٥/ ٢٧٨.
(٣٩٧١) التفسير الميسر: ٤٨٩.
(٣٩٧٢) تفسير الطبري: ٥٧٢/٢١.
(٣٩٧٣) التفسير الوسيط: ٦٥/٤.
(٣٩٧٤) تفسير ابن كثير: ٢١٩/٧-٢٢٠.
(٣٩٧٥) تفسير السمعاني: ٩٢/٥.
(٣٩٧٦) المحرر الوجيز: ٤٧/٥.

القرآن

{وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ (١١)} [الزخرف : ١١]

التفسير:

والذي نزل من السماء مطرًا بقدر، ليس طوفانًا مغرقًا ولا قاصرًا عن الحاجة؛ حتى يكون معاشًا لكم ولأنعامكم، فأحيينا بالماء بلدة مُقْفِرَة من النبات، كما أخرجنا بهذا الماء الذي نزلناه من السماء من هذه البلدة الميتة النبات والزرع، تُخْرَجون -أيها الناس- من قبوركم بعد فنائكم.

قوله تعالى:{وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ} [الزخرف :١١]، أي:" والذي نزل من السماء مطرًا بقدر، ليس طوفانًا مغرقًا ولا قاصرًا عن الحاجة؛ حتى يكون معاشًا لكم ولأنعامكم"(٣٩٧٧).

قال الطبري:" يعني: ما نزل جلّ ثناؤه من الأمطار من السماء بمقدار حاجتكم إليه، فلم يجعله كالطوفان، فيكون عذابا كالذي أنزل على قوم نوح، ولا جعله قليلا لا ينبت به النبات والزرع من قلته، ولكن جعله غيثا، حيا للأرض الميتة محييا"(٣٩٧٨).

قال السمعاني:" {بِقَدَرٍ}، أي: بمقدار معلوم، فلا ينقص عن حاجات الناس فلا ينتفعون به، ولا يزيد فيكون سيلا مهلكا، وهذا على أكثر الأحوال، وقد يكو بخلافه"(٣٩٧٩).

قال الزمخشري:" {بِقَدَرٍ}، بمقدار يسلم معه البلاد والعباد، ولم يكن طوفانا"(٣٩٨٠).

قال ابن كثير:" {بِقَدَرٍ}، أي : بحسب الكفاية لزروعكم وثماركم وشربكم ، لأنفسكم ولأنعامكم"(٣٩٨١).."حتى إن الأراضي التي تحتاج ماء كثيرًا لزرعها ولا تحتمل دِمْنتها إنزال المطر عليها ، يسوق إليها الماء من بلاد أخرى ، كما في أرض مصر ، ويقال لها : "الأرض الجرُز" ، يسوق الله إليها ماء النيل معه طين أحمر يجترفه من بلاد الحبشة في زمان أمطارها ، فيأتي الماء يحمل طينًا أحمر ، فيسقي أرض مصر ، ويقر الطين على أرضهم ليزدرعوا فيه ، لأن أرضهم سباخ يغلب عليها الرمال ، فسبحان اللطيف الخبير الرحيم الغفور "(٣٩٨٢).

قال أبو هريرة:" ما نزل قطر إلا بميزان"(٣٩٨٣).

قال عكرمة:" ما أنزل الله من السماء قطرة إلا أنبت بها في الأرض عشبة أو في البحر لؤلؤة"(٣٩٨٤).

قال خالد بن معدان: "إن المطر ماء يخرج من تحت العرش فينزل من سماء إلى سماء حتى يجتمع في السماء الدنيا فيقع في شيء يقال له الإبزم فيجتمع فيه ثم يجئ السحاب السوداء فتدخله فتشربه مثل شرب الإسفنجة فيسوقها الله حيث يشاء"(٣٩٨٥).

قوله تعالى:{فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا} [الزخرف :١١]، أي:" فأحيينا بالماء بلدة مُقْفِرَة من النبات"(٣٩٨٦).

قال الطبري:يقول: " فأحيينا به بلده من بلادكم ميتا، يعني مجدبة لا نبات بها ولا زرع، قد درست من الجدوب، وتعفنت من القحوط"(٣٩٨٧).

قال السمعاني:" معناه: أحيينا به أرضا ميتة"(٣٩٨٨).

(٣٩٧٧) التفسير الميسر: ٤٨٩.
(٣٩٧٨) تفسير الطبري: ٥٧٢/٢١.
(٣٩٧٩) تفسير السمعاني: ٩٢/٥.
(٣٩٨٠) الكشاف: ٢٣٨/٤.
(٣٩٨١) تفسير ابن كثير: ٢٢٠/٧.
(٣٩٨٢) تفسير ابن كثير:٤٧٠/٥.
(٣٩٨٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٦٨):ص٢٧٤/١.
(٣٩٨٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٢٧):ص٦١/١.
(٣٩٨٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٢٥):ص٦١/١.
(٣٩٨٦) التفسير الميسر: ٤٨٩.
(٣٩٨٧) تفسير الطبري: ٥٧٢/٢١.
(٣٩٨٨) تفسير السمعاني: ٩٢/٥.

قال ابن كثير:" أي : أرضا ميتة ، فلما جاءها الماء اهتزت وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج"[٣٩٨٩].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} [الزخرف :١١]، أي:" كما أخرجنا بهذا الماء الذي نزلناه من السماء من هذه البلدة الميتة النبات والزرع، تُخْرَجون -أيها الناس- من قبوركم بعد فنائكم"[٣٩٩٠].

قال الطبري: يقول:" كما أخرجنا بهذا الماء الذي نزلناه من السماء من هذه البلدة الميتة بعد جدوبها وقحوطها النبات والزرع، كذلك أيها الناس تخرجون من بعد فنائكم ومصيركم في الأرض رفاتًا بالماء الذي أنزله إليها لإحيائكم من بعد مماتكم منها أحياء كهيئتكم التي بها قبل مماتكم"[٣٩٩١].

قال السمعاني :"يعني: تبعثون يوم القيامة"[٣٩٩٢].

قال ابن كثير:" ثم نبه بإحياء الأرض على إحياء الأجساد يوم المعاد بعد موتها ، فقال : {كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ}"[٣٩٩٣].

قال قتادة:" كما أحيا الله هذه الأرض الميتة بهذا الماء كذلك تبعثون يوم القيامة"[٣٩٩٤].

عن سليمان بن موسى قال: قال أبو رزين العقيلي: "أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: كيف يحيي الله الموتى؟ قال: ما أتيت على أرض من أرضك وهي مجدبة؟ قلت: بلى. ثم أتيت عليها وهي مخصبة؟ قلت: بلى. ثم أتيت عليها وهي مجدبة؟ قلت: بلى: ثم أتيت عليها وهي مخصبة؟ قلت: بلى، قال: كذلك النشور"[٣٩٩٥].

فوائد الآيتين:[١٠-١١]:

١- بيان نعمة الله عز وجل؛ حيث جعل لنا الأرض مهادا، ولو كانت صلبة ما استقررنا عليها، ولا حرثناها، ولا انتفعنا بها كثيرا، ولو كانت رخوة كذلك لم ننتفع بها، ولغاصت أقدامنا فيها، ولكن من نعمة الله أن جعلها كالمهاد.
٢- نعمة الله علينا بما جعل لنا من الطرق على تباعد أقطارها، ونستدل على الطرق بالشعاب والجبال، وكذلك بالنجوم.
٣- إثبات حكمة الله سبحانه وتعالى فيما يخلق في قوله: {لعلكم تهتدون} وحكمة الله عز وجل فيما يخلق وفيما يشرع ثابتة، لكن من الحكم ما نعلم، ومن الحكم ما لا نعلم؛ لقصور أفهامنا، ومن الحكم ما يعلمه كثير من الناس، وتخفى على كثيرين آخرين.
٤- الإشارة إلى أنه إذا كان المقصود الحسي يحتاج إلى طرق، فكذلك المقصود المعنوي، وهو الوصول إلى دار كرامة الله عز جل، فإنه يحتاج إلى طرق لا بد أن نسلك هذه الطرق حتى نصل إلى المقصود، فإن لم نسلكها فلن نصل إلى المقصود.
٥- قدرة الله عز جل في إنزال المطر.
٦- رحمة الله عز جل بإنزال المطر من فوق؛ لأنه لو كان من أسفل لغرقت الأرض السفلى دون أن يصل الماء إلى قمم الجبال، ولكن الله تعالى جعله ينزل من فوق حتى يروي العالي والناس، وإذا ارتوى العالي نزل إلى الناس.
٧- أن هذا الماء النازل من السماء ينزل بقدر؛ على المعنيين اللذين ذكرناهما.
٨- أن الله تعالى يحيي الأرض بعد موتها بهذا الماء.

(٣٩٨٩) تفسير ابن كثير: ٢٢٠/٧.
(٣٩٩٠) التفسير الميسر: ٤٨٩.
(٣٩٩١) تفسير الطبري: ٥٧٢/٢١.
(٣٩٩٢) تفسير السمعاني: ٩٢/٥.
(٣٩٩٣) تفسير ابن كثير: ٢٢٠/٧.
(٣٩٩٤) أخرجه الطبري: ٥٧٣/٢١.
(٣٩٩٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧١):ص٢٧٤/١.

٩- إطلاق لفظ (الموت) على ما لا روح فيه -أي: ما لا روح فيه تحس-؛ لقوله عز جل: {بلدة ميتا} وإن من المعلوم أن الأرض ليست كحياة الحيوان -حياة إحساس- بل هي حياة نمو.
١٠- قياس المعقول على المحسوس، وإن شئت فقل: قياس الغائب على الحاضر، لقوله: {كذلك تخرجون}، فقد قاس الغائب -وهو إحياء الموتى- على الحاضر الذي تشاهدونه، وهذا من طرق التعليل والتفهيم.
١١- إثبات القياس، وأنه دليل، وهو دليل عقلي ثابت بالدليل السمعي؛ وذلك أن العقل ينتقل من المقيس عليه إلى المقيس، فهو دليل عقلي باعتبار كيفية الاستدلال به، ودليل سمعي لثبوته شرعا.

القرآن
{وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢)} [الزخرف :١٢]
التفسير:
والذي خلق الأصناف كلها من حيوان ونبات، وجعل لكم من السفن ما تركبون في البحر، ومن البهائم كالإبل والخيل والبغال والحمير ما تركبون في البر.
قوله تعالى:{وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا} [الزخرف :١٢]، أي:" والذي خلق الأصناف كلها من حيوان ونبات"(٣٩٩٦).
قال الطبري: يقول:" والذي خلق كلّ شيء فزوّجه، أي : خلق الذكور من الإناث أزواجا، الإناث من الذكور أزواجا"(٣٩٩٧).
قال مقاتل:" يعني: الأصناف كلها"(٣٩٩٨).
قال الزجاج:" معناه: خلق الأصناف كلها، تقول: عندي من كلِّ زوج، أي: من كلِّ صنف"(٣٩٩٩).
قال القشيري:" أي: الأصناف من الخلق"(٤٠٠٠).
قال الواحدي:" أي: الأصناف والضروب والألوان والذكر والأنثى"(٤٠٠١).
قال ابن كثير:" أي : مما تنبت الأرض من سائر الأصناف ، من نبات وزروع وثمار وأزاهير ، وغير ذلك، أي: من الحيوانات على اختلاف أجناسها وأصنافها"(٤٠٠٢).
قال السعدي:" أي: الأصناف جميعها، مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون، من ليل ونهار، وحر وبرد، وذكر وأنثى، وغير ذلك"(٤٠٠٣).
وقال الحسن:" يعني: الشتاء والصيف، والليل والنهار، والسماء والأرض، وكل اثنين، فالواحد منهما زوج"(٤٠٠٤).
قال السمعاني:" أي: الأصناف كلها، ويقال: لكل شيئين قرينين زوجان، وكل واحد منهما زوج صاحبه، وذلك السماء والأرض، والليل والنهار، والشمس والقمر، والجنة والنار،

(٣٩٩٦) التفسير الميسر: ٤٩٠.
(٣٩٩٧) تفسير الطبري: ٥٧٤/٢١.
(٣٩٩٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٠/٣.
(٣٩٩٩) معاني القرآن: ٤٠٦/٤.
(٤٠٠٠) لطائف الإشارات: ٣٦٣/٣.
(٤٠٠١) التفسير البسيط: ١٦/٢٠.
(٤٠٠٢) تفسيرابن كثير: ٢٢٠/٧.
(٤٠٠٣) تفسير السعدي: ٧٦٣.
(٤٠٠٤) حكاه عنه ابن ابي زمنين في التفسير: ١٧٧/٤.

وما أشبه ذلك. وكذلك ما يعود إلى أحوال الإنسان من المرض والصحة، والفقر والغنى، والخير والشر، والنوم واليقظة، وما أشبه ذلك"(٤٠٠٥).

قوله تعالى:{وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ} [الزخرف :١٢]، أي:" وجعل لكم من السفن ما تركبون في البحر، ومن البهائم كالإبل والخيل والبغال والحمير ما تركبون في البر "(٤٠٠٦).

قال الطبري:" يقول: جعل لكم من السفن ما تركبونه في البحار إلى حيث قصدتم واعتمدتم في سيركم فيها لمعايشكم ومطالبكم، ومن الأنعام ما تركبونه في البر إلى حيث أردتم من البلدان، كالإبل والخيل والبغال والحمير"(٤٠٠٧).

قال الزجاج:" أي: خلق لكم وسخرها لكم"(٤٠٠٨).

قال ابن كثير:" {وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ}، أي : السفن {وَالأنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ} أي : ذللها لكم وسخرها ويسرها لأكلكم لحومها ، وشربكم ألبانها وركوبكم ظهورها"(٤٠٠٩).

قال السعدي:" {وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ} أي: السفن البحرية، الشراعية والنارية، {مَا تَرْكَبُونَ}"(٤٠١٠).

عن مجاهد: "الفلك: السفينة"(٤٠١١).

القرآن

{لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (١٤)} [الزخرف :١٣-١٤]

التفسير:

لكي تستووا على ظهور ما تركبون، ثم تذكروا نعمة ربكم إذا ركبتم عليه، وتقولوا: الحمد لله الذي سخر لنا هذا، وما كنا له مطيقين، ولتقولوا أيضًا: وإنا إلى ربنا بعد مماتنا لصائرون إليه راجعون.

قوله تعالى:{لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ} [الزخرف :١٣]، أي:"لكي تستقروا على ظهور ما تركبون"(٤٠١٢).

قال ابن كثير:" أي : لتستووا متمكنين مرتفقين على ظهور هذا الجنس"(٤٠١٣).

قوله تعالى:{ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ} [الزخرف :١٣]، أي:" ثم تذكروا نعمة ربكم إذا ركبتم عليه"(٤٠١٤).

قال الطبري: يقول:" ثم تذكروا نعمة ربكم التي أنعمها عليكم بتسخيره ذلك لكم مراكب في البر والبحر {إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ} فتعظموه وتمجدوه"(٤٠١٥).

قال ابن كثير:" {ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ} أي : فيما سخر لكم"(٤٠١٦).

(٤٠٠٥) تفسير السمعاني: ٥/٩٢-٩٣.
(٤٠٠٦) التفسير الميسر: ٤٩٠.
(٤٠٠٧) تفسير الطبري: ٢١/٥٧٤.
(٤٠٠٨) معاني القرآن: ٤/٤٠٦.
(٤٠٠٩) تفسيرابن كثير: ٧/٢٢٠.
(٤٠١٠) تفسير السعدي: ٧٦٣.
(٤٠١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨١٢٧):ص١٥/٣٠٨.
(٤٠١٢) التفسير الميسر: ٤٩٠.[بتصرف]
(٤٠١٣) تفسيرابن كثير: ٧/٢٢٠.
(٤٠١٤) التفسير الميسر: ٤٩٠.
(٤٠١٥) تفسير الطبري: ٢١/٥٧٥.
(٤٠١٦) تفسيرابن كثير: ٧/٢٢٠.

قال السعدي:" وهذا شامل لظهور الفلك ولظهور الأنعام، أي: لتستقروا عليها، {ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ} بالاعتراف بالنعمة لمن سخرها، والثناء عليه تعالى بذلك"[٤٠١٧].

قال مقاتل:" يعني: يقولون الحمد لله"[٤٠١٨].

قال الزمخشري:" معنى ذكر نعمة الله عليهم: أن يذكروها في قلوبهم معترفين بها مستعظمين لها"[٤٠١٩].

قوله تعالى:{وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا} [الزخرف :١٣]، أي:" وتقولوا بألسنتكم عند ركوبكم: سبحان الله الذي ذلّل ويسَّر لنا ركوب هذا المركوب"[٤٠٢٠].

قال الطبري:أي:" وتقولوا تنزيها لله الذي سخر لنا هذا الذي ركبناه من هذه الفلك والأنعام، مما يصفه به المشركون، وتشرك معه في العبادة من الأوثان والأصنام {وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ}"[٤٠٢١].

قال ابن كثير:" أي : مقاومين. ولولا تسخير الله لنا هذا ما قدرنا عليه"[٤٠٢٢].

قوله تعالى:{وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ} [الزخرف :١٣]، أي:" وما كنا له مطيقين لركوبه لولا تسخيره تعالى لنا"[٤٠٢٣].

قال الطبري:أي:" وما كنا له مطيقين ولا ضابطين"[٤٠٢٤].

قال السمعاني:" أي: ما كنا نطيق تذليله وتسخيره لولا أن الله تعالى ذلله وسخره لنا"[٤٠٢٥].

عن مجاهد، قوله:"{مُقْرِنِينَ}، قال: الإبل والخيل والبغال والحمير"[٤٠٢٦].

وفي قوله تعالى:{وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ} [الزخرف :١٣]،وجوه من التفسير:

أحدها :معناه: ضابطين ، قاله ابو عبيدة[٤٠٢٧]، والأخفش[٤٠٢٨].

قال أبو عبيدة:" يقال: فلان مقرن لفلان، أي: ضابط له مطيق، قال الكميت[٤٠٢٩]:

ركبتم صعبتى أشرا وحينا ... ولستم للصّعاب بمقرنينا"[٤٠٣٠].

الثاني : أي: لم يجعلنا من قرن الدواب ومن أشكالها. حكاه الماتريدي[٤٠٣١].

قال الماتريدي:" أي: لم يجعلنا من قرن الدواب ومن قرنها بحيث نستعمل لما تستعمل الدواب، ونركب على الظهور"[٤٠٣٢].

الثالث : مطيقين، قاله ابن عباس[٤٠٣٣]، وقتادة[٤٠٣٤]، والسدي[٤٠٣٥]، وابن زيد[٤٠٣٦]، ومقاتل[٤٠٣٧]،والكلبي[٤٠٣٨]، والفراء[٤٠٣٩]، قال عمرو بن معد يكرب[٤٠٤٠]:

(٤٠١٧) تفسير السعدي: ٧٦٣.
(٤٠١٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٠/٣.
(٤٠١٩) الكشاف: ٢٣٠/٤.
(٤٠٢٠) صفوة التفاسير: ١٤١/٣.
(٤٠٢١) تفسير الطبري: ٥٧٥/٢١.
(٤٠٢٢) تفسيرابن كثير: ٢٢٠/٧.
(٤٠٢٣) التفسير الميسر: ٤٩٠، وصفوة التفاسير: ١٤١/٣.
(٤٠٢٤) تفسير الطبري: ٥٧٦/٢١.
(٤٠٢٥) تفسير السمعاني: ٩٣/٥.
(٤٠٢٦) أخرجه الطبري: ٥٧٦/٢١.
(٤٠٢٧) انظر: مجاز القرآن: ٢٠٢/٢.
(٤٠٢٨) انظر: النكت والعيون: ٢١٨/٥.
(٤٠٢٩) واستشهد به النحاس في "معاني القرآن" ٦/ ٣٤١، والقرطبي التفسير: ١٦/ ٦٦.
(٤٠٣٠) مجاز القرآن: ٢٠٢/٢.
(٤٠٣١) انظر: تاويلات أهل السنة: ١٥٣/٩.
(٤٠٣٢) تاويلات أهل السنة: ١٥٣/٩.
(٤٠٣٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٦/٢١.
(٤٠٣٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٦/٢١.

لَقَدْ عَلِمَ القَبَائِلُ مَا عُقَيْلٌ ... لَنَا فِي النَّائِبَاتِ بِمُقْرِنِينَا

قال الماتريدي:" وأصل هذا التأويل أن الدواب والأنعام في أنفسها أشد وأكثر قوة وأعظمها من البشر، لكن الله - تعالى - بفضله ومنه علم الإنسان الحيل، حتى قدر على استعمال الدواب والأنعام مع قوتها وشدتها حيث شاءوا وسخرها لهم"(٤٠٤١).

قال الفراء:" تقول للرجل: قد أقرنت لهذا، أي: أطقته، وصرت له قرنا"(٤٠٤٢).

قال ابن قتيبة:" يقال: أنا مُقْرِن لك؛ أي مطيق لك"(٤٠٤٣).

قال الواحدي:" معنى المقرن: المطيق، يقال: أقرنت هذا البعير، أي: أطقته"(٤٠٤٤).

قال معمر: "سألت أبا عمرو بن العلاء عن قوله تعالى: {وما كنا له مقرنين}، فلم يجبني، فقلت: اني سمعت قتادة يقول: مطيقين، فسكت، فقلت له: ما تقول ياأبا عمرو؟ فقال: حسبك قتادة، فلولا كلامه في القدر - وقد قال (-صلى الله عليه وسلم-) : اذا ذكر القدر فأمسكوا - لما عدلت به أحدا من أهل دهره"(٤٠٤٥).

عن قتادة: "{وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ}، أي: مُطِيقين، لا والله لا في الأيدي ولا في القوّة"(٤٠٤٦).

وفي رواية:" «في العتاد في القوة»(٤٠٤٧).

قال ابن زيد:" لسنا له مطيقين، قال: لا نطيقها إلا بك، لولا أنت ما قوينا عليها ولا أطقناها"(٤٠٤٨).

وفي أصله قولان(٤٠٤٩):

أحدهما : أن أصله مأخوذ من: «الإقران»، يقال: أقرن فلان إذا أطاق.

قال الزجاج:" من قولك: أنا لفلان مقرن، أي: مطيق، أي قد صرت قرناً له"(٤٠٥٠).

الثاني : أن أصله مأخوذ من :«المقارنة»، وهو أن يقرن بعضها ببعض في السير.

قال ابن قتيبة:" يقال: هو من قولهم: أنا قِرْن لفلان؛ إذا كنت مثله في الشدة، وإن فتحت - فقلت: أنا قَرْن لفلان. - أردتَ: أنا مثله في السنّ"(٤٠٥١).

وقال النحاس:" يقال: هو قرنه في القتال وهو على قرنه، أي: مثله في السن"(٤٠٥٢).

قال الزمخشري:" وحقيقة «أقرنه» : وجده قرينته وما يقرن به، لأنّ الصعب لا يكون قرينة للضعيف. ألا ترى إلى قولهم في الضعيف: لا يقرن به الصعبة"(٤٠٥٣).

(٤٠٣٥) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٧/٢١.

(٤٠٣٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٧/٢١.

(٤٠٣٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٠/٣.

(٤٠٣٨) انظر: النكت والعيون: ٢١٨/٥.

(٤٠٣٩) انظر: معاني القرآن: ٢٨/٣.

(٤٠٤٠) الشاهد له في النكت والعيون: ٢١٨/٥، وتفسير السمعاني: ٩٣/٥، وتفسير القرطبي: ٦٦/١٦، والبحر المحيط في التفسير: ٣٦٢/٩، واللباب في علوم الكتاب: ٥٧٧/٩.

(٤٠٤١) تاويلات أهل السنة: ١٥٣/٩.

(٤٠٤٢) معاني القرآن: ٢٨/٣.

(٤٠٤٣) غريب القرآن: ٣٩٥.

(٤٠٤٤) التفسير الوسيط: ٦٥/٤.

(٤٠٤٥)وفيات الاعيان ٤ / ٨٥، نكت الهميان ٢٣١.

(٤٠٤٦) أخرجه الطبري: ٥٧٦/٢١.

(٤٠٤٧) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٧٥٣):١٦٥/٣.

(٤٠٤٨) أخرجه الطبري: ٥٧٧/٢١.

(٤٠٤٩) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة: ٣٩٥، ومعاني القرآن للزجاج: ٤٠٦/٤، والنكت والعيون: ٢١٨/٥.

(٤٠٥٠) معاني القرآن: ٤٠٦/٤.

(٤٠٥١) غريب القرآن: ٣٩٥.

(٤٠٥٢) معاني القرآن: ٣٤١/٦.

(٤٠٥٣) الكشاف: ٢٤٠/٤.

قوله تعالى:{وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ} [الزخرف :١٤]، أي:" ولتقولوا أيضًا: وإنا إلى ربنا بعد مماتنا لصائرون إليه راجعون"(٤٠٥٤).

قال الطبري:أي:" وليقولوا أيضا: وإنا إلى ربنا من بعد مماتنا لصائرون إليه راجعون"(٤٠٥٥).

قال البغوي:أي:" لمنصرفون في المعاد"(٤٠٥٦).

قال الزجاج:" أي: نحن مقرُّون بالبعث"(٤٠٥٧).

قال ابن كثير:" أي : لصائرون إليه بعد مماتنا ، وإليه سيرنا الأكبر. وهذا من باب التنبيه بسير الدنيا على سير الآخرة ، كما نبه بالزاد الدنيوي على الزاد الأخروي في قوله : {وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى} [البقرة : ١٩٧] وباللباس الدنيوي على الأخروي في قوله تعالى : {وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ [ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ]} [الأعراف : ٢٦]"(٤٠٥٨).

عن سعيد بن جبير، قوله: "{إنا إلى ربنا منقلبون}، يعني: إنا إلى ربنا راجعون"(٤٠٥٩).

قال الزمخشري:" فإن قلت: كيف اتصل بذلك قوله: {وَإِنَّا إِلى رَبِّنا لَمُنْقَلِبُونَ}؟

قلت: كم من راكب دابة عثرت به أو شمست أو تقحمت(٤٠٦٠) أو طاح من ظهرها فهلك، وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا، فلما كان الركوب مباشرة أمر مخطر، واتصالا بسبب من أسباب التلف: كان من حق الراكب وقد اتصل بسبب من أسباب التلف أن لا ينسى عند اتصاله به يومه، وأنه هالك لا محالة فمنقلب إلى الله غير منفلت من قضائه، ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعد اللقاء الله بإصلاحه من نفسه، والحذر من أن يكون ركوبه ذلك من أسباب موته في علم الله وهو غافل عنه، ويستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنائه: تعالوا نتنزه على الخيل أو في بعض الزوارق، فيركبون حاملين مع أنفسهم أوانى الخمر والمعازف، فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم(٤٠٦١) وهم على ظهور الدواب، أو في بطون السفن وهي تجرى بهم، لا يذكرون إلا الشيطان، ولا يمتثلون إلا أوامره. وقد بلغني أنّ بعض السلاطين ركب وهو يشرب من بلد إلى بلد بينهما مسيرة شهر، فلم يصح إلا بعد ما اطمأنت به الدار، فلم يشعر بمسيره ولا أحس به، فكم بين فعل أولئك الراكبين وبين ما أمره الله به في هذه الآية. وقيل: يذكرون عند الركوب ركوب الجنازة"(٤٠٦٢).

عن قتادة، قوله: "{لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ}: يعلمكم كيف تقولون إذا ركبتم في الفلك تقولون: {بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}، وإذا ركبتم الإبل قلتم: {سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ}، ويعلمكم ما تقولون إذا نزلتم من الفلك والأنعام جميعا تقولون: اللهمّ أنزلنا منزلا مباركًا وأنت خير المنزلين"(٤٠٦٣).

عن مجاهد: "من ركب ولم يقل: {سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين}، قال له الشيطان: تغنه فإن لم يحسن قال له تمنه"(٤٠٦٤).

(٤٠٥٤) التفسير الميسر: ٤٩٠.

(٤٠٥٥) تفسير الطبري: ٥٧٧/٢١.

(٤٠٥٦) تفسير البغوي: ٢٠٧/٧.

(٤٠٥٧) معاني القرآن: ٤٠٦/٤.

(٤٠٥٨) تفسير ابن كثير: ٢٢٠/٧.

(٤٠٥٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨١٧):ص١٥٣٧/٥.

(٤٠٦٠)في الصحاح: شمس الفرس شموسا وشماسا: منع ظهره. وفيه «القحمة» بالضم: المهلكة. وقحم الطريق: مصاعبه اه، فتقحم الدابة براكبها: خوضها به في قحمته.

(٤٠٦١)في الصحاح «الطلى» الأعناق. قال الأصمعي: واحدتها طلية. وقال أبو عمرو والفراء: واحدتها طلاة.

(٤٠٦٢) الكشاف: ٢٤٠/٤.

(٤٠٦٣) اخرجه الطبري: ٥٧٦/٢١.

(٤٠٦٤) حكاه النحاس في معاني القرآن: ٣٤٠/٦.

عن ابن طاوس، عن أبيه:" أنه كان إذا ركب قال: اللهمّ هذا من منك وفضلك، ثم يقول: {سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ}"(٤٠٦٥).

وفي رواية: "أنه كان «إذا ركب قال: بسم الله، اللهم إن هذا من منك وفضلك علينا، الحمد لله ربنا» ، ثم يقول: {سبحان الذي سخر لنا هذا} [الزخرف: ١٣] الآية"(٤٠٦٦).

وحكي ابن ابي زمنين عن طاووس: "حق على كل مسلم إذا ركب دابة أو سفينة أن يقول: «اللهم لك الحمد هذا من فضلك ونعمك علينا، فلك الحمد ربنا، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون»، أي: راجعون إلى الله من آخر عمرنا على مركب آخر، وهو الجنازة، أمروا بهذا وعظا"(٤٠٦٧).

عن علي بن ربيعة، أنه شهد عليا حين ركب، فلما «وضع رجله في الركاب، قال:» بسم الله «، فلما استوى قال:» الحمد لله «ثم قال: {سبحان الذي سخر لنا هذا} [الزخرف: ١٣] الآية، حتى {لمنقلبون} [الزخرف: ١٤] ثم حمد الله ثلاثا، وكبر ثلاثا، ثم قال:«لا إله إلا أنت، ظلمت نفسي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»، ثم ضحك، فقلنا: ما يضحكك يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل مثل ما فعلت، وقال مثل ما قلت، ثم ضحك، فقلنا: ما يضحكك يا نبي الله؟ قال:«العبد - أو قال: عجبت للعبد - إذا قال: لا إله إلا أنت، ظلمت نفسي، فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، يعلم أنه لا يغفر الذنوب إلا هو»"(٤٠٦٨).

عن عبد الله بن عمر: "أن النبي -صلي الله عليه وسلم - كان إذا ركب راحلتَه كبَّر ثلاثاً، ثم قال: «{سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ}»، ثم يقول: «اللهم إني أسألك في سفري هذا البرَّ والتقوى، ومنَ العمل ما تَرْضى، اللهم هون علينا السفر، واطْوِلَنَا البعيد، اللهم أنتَ الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم اصْحبنا في سفرنا، واخْلُفْنَا في أهلنا»، وكان إذا رجع إلى أهله قال: «آيبون تائبون إن شاء الله، عابدون حامدون»"(٤٠٦٩).

وروي عن أبي الزبير، أن عليا الأزدي، أخبره أن ابن عمر علمهم:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استوى على بعيره خارجا إلى سفر، كبر ثلاثا، ثم قال: «سبحان الذي سخر لنا هذا، وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا، واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل»، وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: «آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون»(٤٠٧٠).

عن أبي مجلز، قال: "ركبت دابة، فقلت: {سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ}، فسمعني رجل من أهل البيت- قال أبو كُرَيب والهباريّ: قال المحاربيّ: فسمعت سفيان يقول: هو الحسن بن علي رضوان الله تعالى عليهما-، فقال: أهكذا أمرت؟ قال: قلت: كيف أقول؟ قال: تقول الحمد لله الذي هدانا الإسلام، الحمد لله الذي من علينا بمحمد عليه الصلاة

(٤٠٦٥) اخرجه الطبري: ٥٧٦/٢١.
(٤٠٦٦) جامع معمر بن راشد(١٩٤٧٩):ص٣٩٦/١٠.
(٤٠٦٧) تفسير ابن أبي زمنين: ١٠٦١/٢.
(٤٠٦٨) جامع معمر بن راشد(١٩٤٨٠):ص٣٩٦/١٠.
(٤٠٦٩) أخرجه أحمد(٦٣١١):ص٥٠٢/٥-٥٠٣، والترمذي (٣٤٤٧) في الدعوات: باب ما يقول إذا ركب الناقة، والدارمي ٢٨٥/٢، والحاكم ٢٥٤/٢، ورواه أبو داود(٢٥٩٩):ص٣٣/٣، وزاد في آخره: "وكان النبي - صلي الله عليه وسلم - وجيوشه إذا علوا الثنايا كبروا، وإذا هبطوا سبَّحوا، فوضعت الصلاة على ذلك".
(٤٠٧٠) أخرجه مسلم(١٣٤٢):ص٩٧٨/٢، والترمذي (٣٧٥٠)، والنسائي في "الكبرى" (١١٤٠٢).

والسلام، الحمد لله الذي جعلنا في خير أمة أُخرجت للناس، فإذا أنت قد ذكرت نعما عظاما، ثم يقول بعد ذلك: {سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ}"[٤٠٧١].
وحكى سليمان بن يسار:" أن قوماً كانوا في سفر، فكانوا إذا ركبوا قالوا : {سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ}، وكان فيهم رجل على ناقة له رازم وهي لا تتحرك هزالاً فقال أما أنا فإني لهذه مقرن، قال فقصمت به فدقت عنقه"[٤٠٧٢].
قال سهل في الآية:" إن الله خص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبعض الصديقين بمعرفة نعم الله تعالى عليهم قبل زوالها وحلم الله عنهم، ومن لم يعرف نعم الله عليه إلا في مطعمه ومشربه ومركبه فقد صغرت عنده نعم الله"[٤٠٧٣].
فوائد الآيات:[١٢-١٤]:
١- نعمة الله سبحانه وتعالى على عباده؛ حيث جعل لهم من الفلك والأنعام ما يركبونه، والفلك يشمل الفلك الجوي والبحري. ويمكن أن نقول: والبري أيضا، كالسيارات، فهذه أفلاك؛ فإذن الأفلاك جوية وبحرية وبرية.
٢- تذليل الله عز وجل الأنعام لنا؛ حيث سخرها لنركبها ونحملها، وهي ذليلة بين أيدينا، لقوله: {وجعل لكم من الفلك والأنعام}.
٣- أنه ينبغي للإنسان إذا ركب الأنعام -وكذلك الفلك- أن يجعل مركبه مريحا؛ لقوله: {لتستووا على ظهوره} إذ إنه لو لم يكن مريحا لم تتم النعمة، فينبغي أن يجعله مريحا بقدر الإمكان، وعلى حسب الحال.
٤- أنه ينبغي للإنسان أن يتذكر نعمة الله عليه لما سخر له من الفلك والأنعام؛ لقوله: {ثم تذكروا نعمة ربكم}.
٥- استحباب هذا الذكر عند الركوب وهو: {سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين (١٣) وإنا إلى ربنا لمنقلبون}.
٦- أن نذكر نعمة الله علينا بتسخير هذه الأنعام؛ لقوله عز وجل: {الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين} أي: مطيقين، لولا أن الله تعالى سخر البعير لنا ما أطقناها، فالبعير أقوى منا، وأكبر منا جسما، لو أن الله سبحانه وتعالى جعلها صعبة فلا يمكن لأحد أن يستقر عليها، أو أن يحمل عليها، أو أن يدخلها إلى أي مكان شاء، أو أن يخرجها متى شاء، ولكن الله سخر هذا لنا.
٧- اعتراف العبد بقصوره وضعفه؛ لقوله: {وما كنا له مقرنين} أي: مطيقين.
٨- أن الإنسان إذا ركب هذه المركوبات يتذكر الركوب الذي هو غاية الدنيا؛ لقوله: {وإنا إلى ربنا لمنقلبون} وتفسير المفسر رحمه الله لها بالانصراف أي: (لمنصرفون إلى الله) فيه قصور، والصواب: ما ذكرنا أنك إذا ركبت تتذكر ركوبك على النعش حين تنقلب إلى الله عز وجل، فيكون في هذا تذكر للحال المستقبلة لبني آدم، وهي حال الانقلاب إلى الله عز وجل، وهذا الذكر عام، كلما ركبت السيارة أو البعير أو الطائرة تذكر هذا: {سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين (١٣) وإنا إلى ربنا لمنقلبون}.

القرآن
{وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ (١٥)} [الزخرف :١٥]
التفسير:
وجعل هؤلاء المشركون لله مِن خلقه نصيبًا، وذلك قولهم للملائكة: بنات الله. إن الإنسان لجحود لنعم ربه التي أنعم بها عليه، مظهر لجحوده وكفره يعدِّد المصائب، وينسى النعم.

(٤٠٧١) أخرجه الطبري: ٥٧٥/٢١.
(٤٠٧٢) النكت والعيون: ٢١٨/٥.
(٤٠٧٣) تفسير التستري: ١٤٠.

قوله تعالى:{وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا} [الزخرف :١٥]، أي:" وجعل هؤلاء المشركون لله مِن خلقه نصيبًا، وذلك قولهم للملائكة: بنات الله"(٤٠٧٤).

قال الطبري:يقول:" وجعل هؤلاء المشركون لله من خلقه نصيبا، وذلك قولهم للملائكة: هم بنات الله"(٤٠٧٥).

قال الزجاج:" يعنى به: الذين جعلوا الملائكة بنات اللَّه (٤٠٧٦).

عن السديّ: "{وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا}، قال: البنات"(٤٠٧٧).

قال ابن كثير:" جعلوا له من قسمي البنات والبنين أخسَّهما وأردأهما وهو البنات ، كما قال تعالى : {أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأنْثَى. تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى} [النجم : ٢١ ، ٢٢]"(٤٠٧٨).

قال ابن الجوزي:" «الجَعْل» -هاهنا- معناه: الحُكم بالشيء، وهم الذين زعموا أن الملائكة بناتُ الله والمعنى: جَعلوا له نصيباً من الولد"(٤٠٧٩).

قال يحيى:" «الجعل»: الوصف، يعني: وصفوا له من عباده شركاء"(٤٠٨٠).

قال يحيى:" «العبيد»، يعني: المماليك، يعني: من مماليكه جزءًا"(٤٠٨١).

قال الزمخشري: " الهمزة للإنكار، تجهيلا لهم وتعجيبا من شأنهم، حيث لم يرضوا بأن جعلوا لله من عباده جزءا، حتى جعلوا ذلك الجزء شر الجزأين: وهو الإناث دون الذكور، على أنهم أنفر خلق الله عن الإناث وأمقتهم لهنّ، ولقد بلغ بهم المقت إلى أن وأدوهنّ، كأنه قيل: هبوا أنّ إضافة اتخاذ الولد إليه جائزة فرضا وتمثيلا، أما تستحيون من الشطط في القسمة؟ ومن ادعائكم أنه آثركم على نفسه بخير الجزأين وأعلاهما وترك له شرهما وأدناهما؟"(٤٠٨٢).

وفي قوله تعالى:{وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا} [الزخرف :١٥]، وجوه من التفسير:

أحدها : أن معنى «الجزء» -هاهنا-: العدل والشبيه، وذلك أنهم عبدوا الملائكة والجن، فجعلوهم لله عدلًا وشبيهًا، وهذا معنى قول قتادة(٤٠٨٣)، ومقاتل(٤٠٨٤).

قال مقاتل:" يعني: عدلا، هو الولد، فقالوا: إن الملائكة بنات الله"(٤٠٨٥).

قال الشوكاني:" يعني: ما عبد من دون الله"(٤٠٨٦).

الثاني : أن معنى:«جُزْءًا»: نصيباً، قاله أبو عبيدة(٤٠٨٧)، وابن قتيبة(٤٠٨٨)، وقطرب(٤٠٨٩).

قال الازهري:" «الجزء» في كلام العرب: النصيب، وجمعه: أجزاء، ويقال: جزأت الحال بينهم، وجزأته إذا قسمته، يخفف وينقل، وكأن المعنى في قول الله جل وعز: {لمنقلبون وجعلوا له من عباده} {الزخرف: ١٥}، أي: جعلوا نصيب الله من الولد الإناث، دون الذكور، واستأثروا بالذكور"(٤٠٩٠).

(٤٠٧٤) التفسير الميسر: ٤٩٠.

(٤٠٧٥) تفسير الطبري: ٥٧٧/٢١.

(٤٠٧٦) معاني القرآن: ٤٠٦/٤-٤٠٧.

(٤٠٧٧) أخرجه الطبري: ٥٧٧/٢١.

(٤٠٧٨) تفسير ابن كثير: ٢٢٢/٧.

(٤٠٧٩) زاد المسير: ٧٣/٤-٧٤.

(٤٠٨٠)التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢٢٠.

(٤٠٨١)التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٣٢٩.

(٤٠٨٢) الكشاف: ٢٤١/٤-٢٤٢.

(٤٠٨٣) أخرجه الطبري:٥٧٨/٢١، وعبدالرزاق في التفسير(٢٧٥٦):ص١٦٦/٣، والبخاري في «خلق أفعال العباد»: ٥٣.

(٤٠٨٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٠/٣.

(٤٠٨٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩٠/٣.

(٤٠٨٦) فتح القدير: ٦٢٨/٤.

(٤٠٨٧) انظر: مجاز القرآن: ٢٠٢/٢.

(٤٠٨٨) غريب القرآن: ٣٩٦.

(٤٠٨٩) انظر: النكت والعيون: ٢١٩/٥.

(٤٠٩٠) تهذيب اللغة: ١٠١/١١.

قال عطاء الخراساني:" جعلوا له نصيبا وشريكا من عباده"(٤٠٩١).
قال ابن قتيبة:" أي: نصيبًا. ويقال: شِبهًا ومِثْلا؛ إذ عبدوا الملائكة والجن"(٤٠٩٢).
الثالث : أن المراد بـ«الجزء» -هنا-: الملائكة، فإنهم جعلوهم أولادا لله سبحانه. قاله مجاهد(٤٠٩٣).
الرابع : أن معنى «جُزْءًا» -هاهنا-: بنات. يقال: له جزء من عيال؛ أي: بنات. وهذا قول الزجاج(٤٠٩٤)، والمبرد(٤٠٩٥)، قال الشاعر (٤٠٩٦):
إنْ أَجْزَأَتْ حُرَّةٌ يَوْماً فلا عَجَبٌ. . . قد تُجْزِئُ الحُرَّةُ المِذْكارُ أحْيانا
قال الزجاج، "أي: إن أنثت، ولدت أنثى..ثم قال: ولا أدري البيْتَ، قديم أم مَصْنُوع "(٤٠٩٧).
قال المفضَّل بن سَلَمَة: «حكى لي بعض أهل اللغة: أجزأ الرجلُ؛ إذا كان يولد له بناتٌ. وأجزأت المرأةُ: إذا ولدت البناتِ»(٤٠٩٨). وأنشد(٤٠٩٩):
زُوِّجْتُها من بَناتِ الأوسِ مُجْزِئَةً ... للعَوْسَجِ اللَّدْنِ في أبياتِها زَجَل
وقال الازهري:" ولا أدري ما «الجزء» بمعنى: الإناث، ولم أجده في شعر قديم ولا رواه عن العرب الثقاب. ولا يعبأ بالبيت الذي ذكره لأنه مصنوع"(٤١٠٠).
وكذلك جعل «صاحب الكشاف» تفسير «الجزء» بالبنات من بدع التفسير، قال الزمخشري: ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالإناث وادعاء أن «الجزء»- في لغة العرب- اسم للإناث، ما هو إلا كذب على العرب ووضح محدث متحول"(٤١٠١).
قال الشوكاني:" ويجاب عنه بأنه قد رواه الزجاج والمبرد، وهما إماما اللغة العربية وحافظاها ومن إليهما المنتهى في معرفتها، ويؤيد تفسير الجزء بالبنات ما سيأتي من قوله: {أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ} [الزخرف : ١٦]، وقوله: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ} [الزخرف : ١٧]، وقوله: {وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا} [الزخرف : ١٩]"(٤١٠٢).
قوله تعالى:{إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ} [الزخرف :١٥]، أي:" إن الإنسان لجحود لنعم ربه التي أنعم بها عليه، مظهر لجحوده وكفره يعدِّد المصائب، وينسى النعم"(٤١٠٣).
قال الزمخشري: أي:" لجحود للنعمة ظاهر جحوده، لأنّ نسبة الولد إليه كفر، والكفر أصل الكفران كله"(٤١٠٤).
فوائد الآية الكريمة:

(٤٠٩١)الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي (٢٢٦):ص٩١.
(٤٠٩٢) غريب القرآن: ٣٩٦.
(٤٠٩٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٧/٢١، وتفسير مجاهد: ٥٩٢.
(٤٠٩٤) انظر: معاني القرآن: ٤٠٦/٤-٤٠٧.
(٤٠٩٥) حكاه عنه مكي بن ابي طالب في "الهداية إلى بلوغ النهاية": ٦٦٣٩/١٠.
(٤٠٩٦)البيت استشهد به ابن قتيبة في "تفسير غريب القرآن" ص ٣٩٦، والماوردي في "النكت والعيون" ٥/ ٢١٩، وأبو حيان في "البحر" ٨/ ٨، "اللسان" (جزأ) ١/ ٤٧.
(٤٠٩٧) معاني القرآن: ٤٠٧/٤.
(٤٠٩٨) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة: ٣٩٦.
(٤٠٩٩)كما أنشده أبو حنيفة الدينوري. على ما في اللسان ٣٩/١. وذكر فيه ما يؤيد كلام هذا البعض. وصدر البيت: في تفسير القرطبي:٦٩/١٦، والبحر:٣٦٣/٩.
(٤١٠٠) تهذيب اللغة: ١٠١/١١.
(٤١٠١) الكشاف: ٢٤١/٣.
(٤١٠٢) فتح القدير: ٦٢٩/٤.
(٤١٠٣) التفسير الميسر: ٤٩٠.
(٤١٠٤) الكشاف: ٢٤١/٤.

١- أن الولد جزء من والده، لقوله: {وجعلوا له من عباده جزءا}؛ ولذلك كان الولد في التعصيب في باب الميراث مقدما على الوالد، بمعنى: أنه لو مات ميت عن أبيه وابنه، فلأبيه السدس فرضا، والباقي للابن تعصيبا، فسهم الابن الآن خمسة من ستة، وسهم الأب واحد من ستة؛ لأن الابن جزء من أبيه فقدم.

٢- أنه يجوز للأب أن يتملك من مال ولده؛ لأن ولده جزؤه، وإذا كان جزءا منه، صار كسائر جسده، ولهذا جاء في الحديث: "أنت ومالك لأبيك" [٤١٠٥] فللأب أن يتملك من مال ولده ما شاء، بشرط أن لا يكون الولد محتاجا إليه، أو تتعلق به نفسه، فمثلا إذا كان عند الابن أمة قد تسراها وتعلقت بها نفسه؛ فإنه لا يجوز للأب أن يتملكها، مع أنه لا يمكن أن يطأها؛ لأنها حليلة ابنه، لكن حتى ولا التملك؛ لأن حاجته متعلقة بها.

وكذلك لو تعلقت بماله ضرورة، كابن عنده مال أعده للمهر حين يتزوج، فليس للأب أن يأخذ منه شيئا، كذلك لو كان عنده سيارة أعدها لحاجته وضرورته، فليس للأب أن يتملكها، إنما يتملك الفضل فقط، دليل هذا قوله - صلى الله عليه وسلم -: "لا ضرر ولا ضرار" [٤١٠٦].

٣- بيان عتو المشركين واليهود والنصارى، حيث جعلوا الذي {لم يلد ولم يولد (٣) ولم يكن له كفوا أحد} [الإخلاص: ٣ - ٤] جعلوه والدا.

٤- أن الإنسان بطبيعته كفور مبين، هذا إذا جعلنا «الإنسان» للجنس، أما إذا جعلنا «الإنسان» يعود على الذي جعل من عباده جزءا، فإنه يكون خاصا، لكن المعنى الأول هو ظاهر قوله سبحانه وتعالى: {إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا (٧٢)} [الأحزاب: ٧٢] فأصل الإنسان الظلم والجهل إلا أن يمن الله عليه بالعلم والإيمان.

(٤١٠٥)أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٢٥٤)، وأبو داود: كتاب البيوع، باب في الرجل جمل من مال ولده، رقم (٣٥٣٠)، وابن ماجه: كتاب التجارات، باب ما للرجل من مال ولده، رقم (٢٢٩٢)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما -.

(٤١٠٦)أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣٢٧)، وابن ماجه: كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، رقم (٢٣٤٠)، من حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه -. وأخرجه الإمام أحمد (١/ ٣١٣)، وابن ماجه رقم (٢٣٤١)، من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما -.

القرآن

{أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ (١٦)} [الزخرف :١٦]

التفسير:

بل أتزعمون -أيها الجاهلون- أن ربكم اتخذ مما يخلق بنات وأنتم لا ترضون ذلك لأنفسكم، وخصَّكم بالبنين فجعلهم لكم؟ وفي هذا توبيخ لهم.

قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه موبخا هؤلاء المشركين الذين وصفوه بأن الملائكة بناته: اتخذ ربكم أيها الجاهلون مما يخلق بنات، وأنتم لا ترضون لأنفسكم، وأخلصكم بالبنين، فجعلهم لكم"[٤١٠٧].

قال الثعلبي:" {وأصفاكم}: أخلصكم وخصصكم {بالبنين}"[٤١٠٨].

قال ابن ابي زمنين:" أي: لم يفعل"[٤١٠٩].

قال ابن كثير:" وهذا إنكار عليهم غاية الإنكار"[٤١١٠].

قال الواحدي:" هذا استفهام توبيخ وإنكار، يقول: أتخذ ربكم لنفسه البنات؟ وأصفاكم أخلصكم، بالبنين كقوله: {أفأصفاكم ربكم بالبنين} [الإسراء: ٤٠] الآية"[٤١١١].

قال القشيري:" قال لهم على جهة التوبيخ، وعابهم بما قالوا إذ- على حدّ قولهم- كيف يؤثرهم بالبنين ويجعل لنفسه البنات؟! ففى قولهم ضلال إذ حكموا للقديم بالولد. وفيه جهل إذ حكموا له بالبنات ولهم بالبنين- وهم يستنكفون من البنات"[٤١١٢].

قال السمعاني: معناه: أم اتخذ الله مما يخلق بنات واختار لكم البنين، وهذا، [على] طريق الإنكار لقولهم. وفي التفسير: أن هذا القول كان يقوله بنو كنانة وبنو عامر وحي ثالث. وعن بعضهم: أن جميع قريش كانت تقوله، فقيل لهم: من أين تقولون هذا؟ فقالت: سمعنا آباءنا يقولون كذلك، ونحن نشهد أنم لم يكذبوا"[٤١١٣].

فوائد الآية الكريمة:

١- الإنكار على هؤلاء الذين جعلوا لله ولدا؛ لقوله: {أم اتخذ مما يخلق بنات} كيف يكون المخلوق ولدا للخالق؟ ! ولهذا قال: {مما يخلق بنات}، وهذا لا يمكن؛ لأن المخلوق منفصل بائن عن الخالق فلا يصح أن يكون ولدا له.

٢- الإشارة إلى جور أولئك القائلين بأن الملائكة بنات الله؛ لقوله: {وأصفاكم بالبنين} يعني: أيعقل أن يكون هكذا! .

القرآن

{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (١٧)} [الزخرف :١٧]

التفسير:

وإذا بُشِّر أحدهم بالأنثى -التي نسبها للرحمن حين زعم أن الملائكة بنات الله- صار وجهه مُسْوَدًّا من سوء البشارة بالأنثى، وهو حزين مملوء من الهم والكرب. فكيف يرضون لله ما لا يرضونه لأنفسهم؟ تعالى الله وتقدَّس عما يقول الكافرون علوًا كبيرًا.

قوله تعالى:{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا} [الزخرف :١٧]، أي:" وإذا بُشِّر أحدهم بالأنثى -التي نسبها للرحمن حين زعم أن الملائكة بنات الله"[٤١١٤].

(٤١٠٧) تفسير الطبري: ٥٧٨/٢١.

(٤١٠٨) الكشف والبيان: ٣٣٠/٨.

(٤١٠٩) تفسير ابن ابي زمنين: ١٨٠/٤.

(٤١١٠) تفسير ابن كثير: ٢٢٢/٧.

(٤١١١) التفسير الوسيط: ٦٦/٤.

(٤١١٢) لطائف الإشارات: ٣٦٤/٣.

(٤١١٣) تفسير السمعاني: ٩٥/٥.

(٤١١٤) التفسير الميسر: ٤٩٠.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وإذا بشر أحد هؤلاء المشركين الجاعلين لله من عباده حزءا بما مثل لله، فشبهه شبها، وذلك ما وصفه به من أن له بنات"[٤١١٥].

عن قتادة، قوله: "{بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلا} بما جعل لله"[٤١١٦].

عن مجاهد، قوله: "{بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلا}، قال: ولدا"[٤١١٧].

قال مقتل:" المثل: زعموا أن الملائكة بنات الله- تعالى-"[٤١١٨].

قال الفراء:" يريد الإناث"[٤١١٩].

قال الزمخشري:{بما ضَرَبَ لِلرَّحْمنِ مَثَلًا}، أي:" بالجنس الذي جعله له مثلا، أى: شبها لأنه إذا جعل الملائكة جزءا لله وبعضا منه، فقد جعله من جنسه ومماثلا له، لأن الولد لا يكون إلا من جنس الوالد، يعنى: أنهم نسبوا إليه هذا الجنس"[٤١٢٠].

قوله تعالى:{ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ} [الزخرف :١٧]، أي:" صار وجهه مُسْوَدًّا من سوء البشارة بالأنثى، وهو حزين مملوء من الهم والكرب"[٤١٢١].

قال الطبري: يقول:" ظلّ وجه هذا الذي بشَّر بما ضرب للرحمن مثلا من البنات مسودّا من سوء ما بشر به، وهو حزين"[٤١٢٢].

قال الزمخشري:" ومن حالهم أن أحدهم إذا قيل له: قد ولدت لك بنت اغتم واربدّ وجهه[٤١٢٣] غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب"[٤١٢٤].

قال ابن كثير:أي:" يأنف من ذلك غاية الأنفة ، وتعلوه كآبة من سوء ما بشر به، ويتوارى من القوم من خجله من ذلك ، يقول تعالى : فكيف تأنفون أنتم من ذلك، وتنسبونه إلى الله عز وجل ؟"[٤١٢٥].

وعن بعض العرب: "أن امرأته وضعت أنثى، فهجر البيت الذي فيه المرأة، فقالت[٤١٢٦]:

مَا لأَبِي حَمْزَةَ لاَ يَأْتِينَا ... يَظَلُّ فِي الْبَيْتِ الَّذِي يَلِينَا
غَضْبَانَ أن لا نَلِدَ البَنِينَا ... لَيْسَ لَنَا مِنْ القَضَاءِ مَا شِينَا
وَإِنَّمَا نَأخُذُ مَا أُعْطِينَا"[٤١٢٧].

عن قتادة: "{وَهُوَ كَظِيمٌ}، أي: حزين"[٤١٢٨].

قال مقتل:" يعني: مكروب"[٤١٢٩].

(٤١١٥) تفسير الطبري: ٥٧٨/٢١.

(٤١١٦) أخرجه الطبري: ٥٧٨/٢١-٥٧٩.

(٤١١٧) أخرجه الطبري: ٥٧٨/٢١.

(٤١١٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩١/٣.

(٤١١٩) معاني القرآن: ٢٩/٣.

(٤١٢٠) الكشاف: ٢٤٢/٤.

(٤١٢١) التفسير الميسر: ٤٩٠.

(٤١٢٢) تفسير الطبري: ٥٧٩/٢١.

(٤١٢٣)«وأريد وجهه غيظا» تغير إلى الغبرة من الغضب. أفاده الصحاح.

(٤١٢٤) الكشاف: ٢٤٢/٤.

(٤١٢٥) تفسير ابن كثير: ٢٢٢/٧-٢٢٣.

(٤١٢٦) انظر: الكشاف: ٢٤٣/٤، ومفاتيح الغيب: ٦٢٤/٢٧، وتفسير القرطبي: ٧٠/١٦، وغيرهم.
والشعر لامرأة ولدت أنثى، فهجر زوجها بيتها والاستفهام إنكارى. ويظل: استئناف، أى يصير دائما في البيت الذي يقرب منا، ولا يأوى إلى بيتنا. وغضبان: أى هو غضبان، فهو على تقدير الاستفهام. ويحتمل أنه إخبار، أى: هو غضبان من عدم ولادتنا البنين، ثم ترضته واستعطفته بقولها: ليس لنا من أمرنا ما نشاء، فخفف همزة شئنا القافية، ولا نأخذ إلا ما أعطانا الله إياه، لأن الأمر كله لله، تلك حكمته فينا معاشر الخلق.

(٤١٢٧) الكشاف: ٢٤٢/٤.

(٤١٢٨) أخرجه الطبري: ٥٧٩/٢١.

(٤١٢٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩١/٣.

قال قتادة: "يقول: جعلوا له البنات وهم إذا بشِّر أحدهم بهنّ ظلّ وجهه مسودّا وهو كظيم"[4130].

قال الفراء:" يقول: خصصتم الرحمن بالبنات، وأنتم هكذا إذا ولد لأحدكم بنت أصابه ما وصف"[4131].

قال قتادة: "يقول: جعلوا له البنات وهم إذا بشِّر أحدهم بهنّ ظلّ وجهه مسودّا وهو كظيم"[4132].

قال قتادة:" هذا صنيع مشركي العرب، أخبرهم الله بخبث صنيعهم. فأما المؤمن، فهو حقيق إن يرضى بما قسم الله له، وقضاء الله خير من قضاء المرء لنفسه، ولعمري ما ندري أنه لخير لرب جارية خير لأهلها من غلام، وإنما أخبركم الله بصنيعهم لتجتنبوه وتنتهوا عنه، فكان أحدهم يغذو كلبه ويئد ابنته"[4133].

قال السدي:" كانت العرب يقتلون ما ولد لهم من جارية فيدسونها في التراب وهي حية، حتى تموت"[4134].

فوائد الآية الكريمة:

١- ذكر حال هؤلاء عندما يبشرون بالبنات: أن الواحد منهم يتغير ظاهره وباطنه، ظاهره في اسوداد وجهه، وباطنه بامتلائه ظنا.

٢- التنديد التام بهؤلاء؛ حيث إنهم إذا بشروا بالأنثى صارت لهم هذ الحال، وهم يدعونها للخالق عز وجل.

٣- إثبات اسم «الرحمن» لله سبحانه وتعالى، والرحمن» يعني: ذو الرحمة الواسعة، وهذا الاسم الكريم تنكره قريش، قال تعالى: {وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن}، ولما أراد النبي أن يكتب كتاب الصلح في الحديبية وقال للكاتب: «اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم»[4135]، أبى رسول قريش وقال: إننا لا نعرف الرحمن، ولكن اكتب: باسمك اللهم. وليس هذا من باب التنزل، ولكن من باب التأليف وإمضاء المعاهدة.

ورحمة الله عز وجل تشمل الكافرين، فلولا رحمة الله عز وجل ما بقي الكافر لحظة واحدة، فالكافر مرحوم، والمؤمن مرحوم، لكن الفرق أن المؤمن مرحوم في الدنيا والآخرة، والكافر مرحوم في الدنيا، قد أغدق الله عليه النعم، وعجل له الطيبات، لكنه في الآخرة يعامل بالعدل، ويجازى بما يستحق.

فالرحمة العامة تشمل المؤمن والكافر، والخاصة تختص بالمؤمنين.

٤- تغير البشرة بما يسر أو يسوء، فإذا بشر الإنسان بما يسر فإن وجهه يبرق من السرور، وتحس بأنه مسرور به، والعكس بالعكس.

ويتفرع على هذه الفائدة: أن الجسم تبع للقلب، فإذا استنار القلب وفرح فكذلك الجسم، والعكس بالعكس.

٥- ومن فوائد الآية: أن المشركين لا يرضون بتقدير الله فإنهم يتغيرون ظاهرا وباطنا، ظاهرا باسوداد الوجوه، وباطنا بالامتلاء ظنا.

القرآن

(٤١٣٠) أخرجه الطبري: ٥٨٠/٢١.

(٤١٣١) معاني القرآن: ٢٩/٣.

(٤١٣٢) أخرجه الطبري: ٥٨٠/٢١.

(٤١٣٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٤٣):ص٢٢٨٧/٧.

(٤١٣٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٥٤٤):ص٢٢٨٧/٧.

(٤١٣٥)أخرجه البخاري: كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، رقم (٢٧٣١)، من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم - رضي الله عنهما -.

{أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨)} [الزخرف :١٨]

التفسير:

أتجترئون وتنسبون إلى الله تعالى مَن يُرَبَّى في الزينة، وهو في الجدال غير مبين لحجته; بسبب نشأته في الزينة والنعمة؟

قوله تعالى:{أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ} [الزخرف :١٨]، أي:" أيجعلون للهِ من يُربَّى في الزينة وينشأ ويكبر عليها وهنَّ الإناث؟"(٤١٣٦).

قال الطبري: يقول:" أو من ينبت في الحلية ويزين بها"(٤١٣٧).

قال السجستاني:"{ينشأ فِي الْحِلية}: يربى فِي الْحلِيّ، يَعْنِي :الثِّيَاب"(٤١٣٨).

قال ابن كثير:" أي : المرأة ناقصة يكمل نقصها بلبس الحلي منذ تكون طفلة"(٤١٣٩).

قال السمعاني:" الحلية: الزينة، والمعنى: أنها مشغولة بزينتها ليس لها رأي في الأمور، ولا تصرف في الأشياء"(٤١٤٠).

قال الشنقيطي:" يعني: أيجعلون لله البنات، يجعلون له الولد، ثم يجعلون له أضعف الولدين جبلة وأنقصهما خلقة وهو الأنثى؛ ولذلك منذ تولد الأنثى وهي تجعل لها الزينات، وربما ثقبت آذانها وجعلت فيها الأقراط والشنوف، ثم تجعل في جيدها القلائد - من أنواع الحلي - وفي معاصمها، وفي خلاخلها، وتكسى الحلي والحلل منذ تولد إلى أن تموت، كل ذلك التزيين هو جبر لذلك النقص الخلقي الذي خلقها الله عليه وجبلها عليه.. أما الذكر فجمال ذكورته وكمال فحولته هو جمال وكمال طبيعي، ولذا لا تجد الدنيا على مرور الأزمنة والقرون تخرق آذان الذكور وتجملهم بالأقراط والشنوف، ولا تجعل لهم قلائد الحلي والخلاخيل والأساور، وإنما تجعل ذلك للأنثى، والإفرنج الذين يحاولون أنهما سواء يحمرون فم الأنثى ولا يحمرون فم الذكر، وكل ذلك يشير إلى الفرق الجبلي الطبيعي بينهما الذي جبلهما الله عليه.

فلما كان الله -جل وعلا- جعل الأنوثة في أصل طبيعتها وخلقتها ضعفا خلقيا ونقصا جبليا، وجعل الذكورة في أصل خلقتها كمالا طبيعيا وقوة جبلية، اقتضت حكمة العليم الخبير أن يجعل ذلك القوي بطبعه، الكامل بجبلته قيما على ذلك الضعيف بقوته، الناقص بجبلته؛ ليستجلب له ما يعجز عنه من الخير، ويدفع عنه ما يعجز عنه من الشر، ولذلك كان الرجل يترقب النقص في حياته دائما؛ فإنه يبذل دائما النفقات في صدقات الزوجات، والإنفاق عليهن، وفي مؤن الجهاد، وفي نوائب الدهر، فهو غارم باذل دائما، والمرأة تترقب طول حياتها الزيادة، وأن يملأ كيسها، تترقب رجلا يدفع لها مالا كثيرا في صداقها، ويقوم بجميع مؤنها ولوازمها في الدنيا، فهي تترقب الزيادة دائما، والرجل يترقب النقص دائما.

فلما كان الحكيم الخبير أراد أن يقسم عليهما الميراث آثر مترقب النقص دائما على مترقب الزيادة دائما جبرا لبعض نقصه المترقب؛ ولذا تجد الرجل وأخته، تجد أخته تدفع لها الأموال الكثيرة في صداقها، ويقوم غيره بنفقاتها وكل ما يلزم لها، والرجل أخوها الآخر هو الذي يبذل ما عنده في نفقات زوجاته ومهورهن، ونوائب الدهر، ومعونات الجهاد، وغير ذلك"(٤١٤١).

وفي قوله تعالى:{أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ} [الزخرف :١٨]، وجهان من التفسير:

أحدهما : يعني: الجواري والنساء، قاله ابن عباس(٤١٤٢)، ومجاهد(٤١٤٣)، وقتادة(٤١٤٤)، والسدي(٤١٤٥)، ومقاتل(٤١٤٦)، وأبو عبيدة(٤١٤٧)، وغيرهم.

(٤١٣٦) صفوة التفاسير: ١٤٢/٣.

(٤١٣٧) تفسير الطبري: ٥٧٩/٢١.

(٤١٣٨) غريب القرآن: ٥٣٧.

(٤١٣٩) تفسير ابن كثير: ٢٢٣/٧.

(٤١٤٠) تفسير السمعاني: ٩٥/٥.

(٤١٤١) العذب المنير من مجالس الشنقيطي في التفسير: ٣٢٢/٣-٣٢٣.

(٤١٤٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٧٩/٢١.

قال ابن قتيبة:" أي: رُبِّيَ في الحُليّ، يعني: البناتِ"(٤١٤٨).
قال الزجاج:" المعنى: أجَعَلُوا من يُنَشَّأُ في الحلية – يعني: البنات – للَّه"(٤١٤٩).
قال ابن عباس:" يعني" النساء، جعل زيهن غير زي الرجال"(٤١٥٠).
قال مقاتل:" يعني: ينبت في الزينة، يعني: الحلي مع النساء"(٤١٥١).
قال قتادة: "الجواري، يسفههنّ بذلك، غير مبين بضعفهنّ"(٤١٥٢).
قال مجاهد:" الجواري، جعلتموهنّ للرحمن ولدا، كيف تحكمون"(٤١٥٣).
عن مجاهد، قال: "رخص للنساء في الحرير والذهب، وقرأ :{أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ}، قال: يعني المرأة"(٤١٥٤).
الثاني : يعني: الأصنام، قاله زيد بن أسلم(٤١٥٥)، ورواه الطبري عن ابن زيد(٤١٥٦).
قال زيد: "إن الذي قال الله الذي {ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين}، إنها الأصنام"(٤١٥٧).
قال ابن زيد:" هذه تماثيلهم التي يضربونها من فضة وذهب يعبدونها هم الذين أنشئوها، ضربوها من تلك الحلية، ثم عبدوها، {وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ}، قال: لا يتكلم، وقرأ، {فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ}"(٤١٥٨).
قال الزجاج:" وقد قيل إنَّه يعني به الأصنام، والأجود: أن يكون يعني به المؤنث"(٤١٥٩).
قال الطبري:" وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِي بذلك الجواري والنساء، لأن ذلك عقيب خبر الله عن إضافة المشركين إليه ما يكرهونه لأنفسهم من البنات، وقلة معرفتهم بحقه، وتحليتهم إياه من الصفات والبخل، وهو خالقهم ومالكهم ورازقهم، والمنعم عليهم النعم التي عددها في أول هذه السورة ما لا يرضونه لأنفسهم، فاتباع ذلك من الكلام ما كان نظيرا له أشبه وأولى من اتباعه ما لم يجر له ذكر"(٤١٦٠).
وفى قراءة عبد الله: «أومن لا ينشؤا إلا فى الحلية»(٤١٦١).
قوله تعالى:{وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ} [الزخرف :١٨]، أي:" وهو في الجدال غير مبين لحجته; بسبب نشأته في الزينة والنعمة؟"(٤١٦٢).

(٤١٤٣)انظر: تفسير الطبري: ٥٧٩/٢١.
(٤١٤٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٩/٢١.
(٤١٤٥)انظر: تفسير الطبري: ٥٨٠/٢١.
(٤١٤٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩١/٣.
(٤١٤٧) انظر: مجاز القرآن: ٢٠٣/٢.
(٤١٤٨) غريب القرآن: ٣٩٧.
(٤١٤٩) معاني القرآن: ٤٠٧/٤.
(٤١٥٠) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٣٤٣/٦.
(٤١٥١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩١/٣.
(٤١٥٢) أخرجه الطبري: ٥٨٩/٢١.
(٤١٥٣) أخرجه الطبري: ٥٧٩/٢١-٥٨٠.
(٤١٥٤) أخرجه الطبري: ٥٧٩/٢١.
(٤١٥٥) انظر: التفسير الجامع لابن وهب(٢٨٣):ص٢:١٤٠.
(٤١٥٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٨٠/٢١.
(٤١٥٧) انظر: التفسير الجامع لابن وهب(٢٨٣):ص٢:١٤٠.
(٤١٥٨) أخرجه الطبري: ٥٨٠/٢١.
(٤١٥٩) معاني القرآن: ٤٠٧/٤.
(٤١٦٠) تفسير الطبري: ٥٨٠/٢١-٥٨١.
(٤١٦١) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٩/٣.
(٤١٦٢) التفسير الميسر: ٤٩٠.

قال الطبري: " يقول: وهو في مخاصمة من خاصمه عند الخصام غير مبين، ومن خصمه ببرهان وحجة، لعجزه وضعفه، جعلتموه جزء الله من خلقه وزعمتم أنه نصيبه منهم، وفي الكلام متروك استغنى بدلالة ما ذكر منه وهو ما ذكرت"(٤١٦٣).

قال الفراء:" يقول: لا يبلغ من الحجة ما يبلغ الرجل"(٤١٦٤).

قال مقاتل:" يقول: هذا الولد الأنثى ضعيف قليل الحيلة، وهو عند الخصومة والمحاربة غير بين ضعيف عنها"(٤١٦٥).

قال ابن قتيبة:" {غَيْرُ مُبِينٍ} للحجة"(٤١٦٦).

قال الزجاج:" يعنى: البنات، أي: الأنثى لا تكاد تستوفي الحجة ولا تبين، وقد قيل في التفسير: إن المرأة لا تكاد تحتج بحجة إلا عليها (٤١٦٧).

عن السدي:" {أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ}، قال: النساء"(٤١٦٨).

عن قتادة، قال: "وأما قوله:{وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ}، يقول: قلما تتكلم امرأة فتريد أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها"(٤١٦٩).

قال ابن كثيرأي: "وإذا خاصمت فلا عبارة لها ، بل هي عاجزة عَيِيَّة ، أوَ مَنْ يكون هكذا ينسب إلى جناب الله عز وجل؟! فالأنثى ناقصة الظاهر والباطن، في الصورة والمعنى، فيكمل نقص ظاهرها وصورتها بلبس الحلي وما في معناه، ليجبر ما فيها من نقص، كما قال بعض شعراء العرب(٤١٧٠):

وَمَا الحَلْي إلا زينَةٌ من نقيصةٍ... يتمّمُ من حُسْن إذا الحُسْن قَصَّرا
وأمَّا إذا كان الجمالُ موفَّرا... كحُسْنك ، لم يَحْتَجْ إلى أن يزوَّرا

وأما نقص معناها، فإنها ضعيفة عاجزة عن الانتصار عند الانتصار، لا عبارة لها ولا همة، كما قال بعض العرب وقد بشر ببنت : «ما هي بنعم الولد : نصرها بالبكاء ، وبرها سرقة»"(٤١٧١).

قال الزمخشري:-في الآية-يقول: " أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة صفته، وهو: [أنه] يتربى في الزينة والنعمة، وهو إذا احتاج إلى مجاثاة الخصوم (٤١٧٢) ومجاراة الرجال: كان غير مبين، ليس عنده بيان، ولا يأتى ببرهان يحتج به من يخاصمه(٤١٧٣)، وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهنّ عن فطرة الرجال، يقال: قلما تكلمت امرأة فأرادت أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها. وفيه. أنه جعل النشء في الزينة والنعومة من المعايب والمذام، وأنه من صفة ربات الحجال، فعلى الرجل أن يجتنب ذلك ويأنف منه، ويربأ بنفسه عنه، ويعيش

(٤١٦٣) تفسير الطبري: ٥٧٩/٢١.

(٤١٦٤) معاني القرآن: ٢٩/٣.

(٤١٦٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٧٩١/٣.

(٤١٦٦) غريب القرآن: ٣٩٧.

(٤١٦٧) معاني القرآن: ٤٠٧/٤.

(٤١٦٨) أخرجه الطبري: ٥٨٠/٢١.

(٤١٦٩) أخرجه الطبري: ٥٨٠/٢١.

(٤١٧٠)البيتان لابن الرومي، وهما في ديوانه (٣/ ١٠٠٧، ١٠٠٨)، (تحقيق حسين نصار) مع شيء من الاختلاف، والذي في الديوان:
ومَا الحَلْيُ إلا حيلة لنَقِيْصةٍ ... تُتَمِّمُ من حُسْنٍ إذا الُحسْنُ قصَّرَا ... وليس لحلي في الجميلةِ منظرا ... جمال ولكن في القبيحة منظرا ... تضيء نجومُ الليل في الليلِ وحده ... وليس لها ضوءٌ إذا الصبحُ نوَّرا ... فأمَّا إذا ما الحُسنُ كان مُكَمَّلا ... كحُسْنكِ لم يحتجْ إلى أن يُزَوَّرَا.

(٤١٧١) تفسير ابن كثير: ٢٢٣/٧.

(٤١٧٢)قوله «إلى مجاثاة الخصوم» مفاعلة من «جثا يجثو» إذا برك على ركبتيه. أفاده الصحاح.

(٤١٧٣)قوله «يحتج به من يخاصمه» لعله: على من يخاصمه. أو لعله: يحج به من يخاصمه، أى: يغلبه في الحجاج.

كما قال عمر رضى لله عنه: «اخشوشنوا واخشوشبوا وتمعددوا»[٤١٧٤]. وإن أراد أن يزين نفسه زينها من باطن بلباس التقوى"[٤١٧٥].

قال السمعاني:" الآية وردت للإنكار عليهم يعني: أنكم جعلتم نصيبي من عبادي مثل هؤلاء، وجعلتم نصيبكم البنين"[٤١٧٦].

من فوائد الآية الكريمة:

١- شناعة قول المشركين، الذين جعلوا لله تعالى ولدا، وهو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ولم يكن له كفوا أحد، وإن ذلك باطل من عدة أوجه-كما دلّت عليه الآيات السابقة-[٤١٧٧]:

أ- منها: أن الخلق كلهم عباده، والعبودية تنافي الولادة.

ب- ومنها: أن الولد جزء من والده، والله تعالى بائن من خلقه، مباين لهم في صفاته ونعوت جلاله، والولد جزء من الوالد، فمحال أن يكون لله تعالى ولد.

ت- ومنها: أنهم يزعمون أن الملائكة بنات الله، ومن المعلوم أن البنات أدون الصنفين، فكيف يكون لله البنات، ويصطفيهم بالبنين، ويفضلهم بها؟! فإذا يكونون أفضل من الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

ث- ومنها: أن الصنف الذي نسبوه لله، وهو البنات، أدون الصنفين، وأكرههما لهم، حتى إنهم من كراهتهم لذلك {إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا} من كراهته وشدة بغضه، فكيف يجعلون لله ما يكرهون؟

ج- ومنها: أن الأنثى ناقصة في وصفها، وفي منطقها وبيانها، ولهذا قال تعالى: {أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ} أي: يجمل فيها، لنقص جماله، فيجمل بأمر خارج عنه؟ {وَهُوَ فِي الْخِصَامِ} أي: عند الخصام الموجب لإظهار ما عند الشخص من الكلام، {غَيْرُ مُبِينٍ} أي: غير مبين لحجته، ولا مفصح عما احتوى عليه ضميره، فكيف ينسبونهن لله تعالى؟

ح- ومنها: أنهم جَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الله إِنَاثًا، فتجرأوا على الملائكة، العباد المقربين، ورقوهم عن مرتبة العبادة والذل، إلى مرتبة المشاركة لله، في شيء من خواصه، ثم نزلوا بهم عن مرتبة الذكورية إلى مرتبة الأنوثية، فسبحان من أظهر تناقض من كذب عليه وعاند رسله.

خ- ومنها: أن الله رد عليهم بأنهم لم يشهدوا خلق الله لملائكته، فكيف يتكلمون بأمر من المعلوم عند كل أحد، أنه ليس لهم به علم؟! ولكن لا بد أن يسألوا عن هذه الشهادة، وستكتب عليهم، ويعاقبون عليها.

٢- ومن فوائد الآية الكريمة: قصور المرأة، وأنه لا يمكن أن تساوي الرجل في عقلها ودلها؛ لقوله: {أومن ينشأ في الحلية ...} إلى آخره.

٣- أن المرأة ليس لها هم إلا التجمل والعناية بمظهرها.

(٤١٧٤)أخرجه أبو عبيد في الغريب: حدثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم بن أبى العدس الأسدى عن عمر رضى الله عنه أنه قال. ذكر هذا وزاد: واجعلوا الرأس رأسين- الحديث» موقوفا. ورواه ابن حبان من طريق أبى عثمان، قال: أتانا كتاب عمر فذكر قصة فيها هذا.

اخشوشن الرجل: لبس الخشن وتعوده، وأكل الخشن، وعاش عيشا خشنا وبالغ في التخشن. وتمعدد الرجل: تشبه بعيش معد بن عدنان في التشظف وترك التزيي بزي العجم. يعني: اصبروا على عيش معد في الحضر والسفر، وتشبهوا بلباسه، ودعوا زي الأعاجم.

وفي تفسير الطبري٣/٥٣٥: "اخشَوْشِنوا وَتمعْددوا، وانزوا على الخيل نزوًا، واقطعوا الرُّكُب وامشوا حُفاة".

النزو: الوثب، يأمرهم أن يثبوا على الخيل وثبا بلا استعانة بركاب. والركب جمع ركاب: وهو ما يكون في سرج الفرس يضع الراكب فيه رجله، فإذا كان مثله في رحل البعير سمي"الغرز".

(٤١٧٥) الكشاف: ٤/٢٤٣.

(٤١٧٦) تفسير السمعاني: ٥/٩٥.

(٤١٧٧) انظر: تفسير السعدي: ٧٦٣.

٤- أن المرأة ليست ذات خصام، بل هي ضعيفة لا تستطيع أن تخاصم ولا تبين ما في قلبها من الحجة، ولهذا لما تولت بنت كسرى على الفرس، وبلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «لن يفلح قولم ولوا أمرهم امرأة»[٤١٧٨].

واختلف الناس في معنى هذا الحديث، هل هو خاص، أم أن هذا عام لكل من ولى أمره امرأة.

قال ابن عثيمين:" فإن نظرنا إلى العموم: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»، قلنا: هذا عام في كل قوم ولوا أمرهم امرأة، وإن نظرنا إلى القضية المعينة قلنا: إنه خاص. وإذا نظرنا إلى الواقع فهل المرأة التي تتولى أمور الرجال هل تفلح؟

الجواب: إن أفلحت فذلك بمعونة الرجال، أو فلاح نسبي؛ يعني: امرأة مثلا تكون رئيسة وزارة، لن يفلح قومها إلا بمساندة الرجال لها، هذه واحدة، أو يقال: هو فلاح نسبي، فلو تولى غيرها من الرجال؛ لكان ذلك أفلح لهم.

وكذلك أيضا لن يفلحوا إذا ولوا أمرهم في غير الرئاسة كالوزارة مثلا، لن يفلحوا، ومن عرف النساء وكثرة خصومهن ومشاكلهن إذا تولوا حتى إدارة مدرسة؛ عرف أن المرأة لا تصلح إطلاقا للولاية، اللهم إلا على بني جنسها، فهذا ربما؛ لأن الضعيف للضعيف"[٤١٧٩].

٥- الثناء على الرجال؛ لأنهم إذا كانت النساء لا تكمل بذاتها، ولا بالفعال، ولا بالمقال، فهذا يعني أن الرجال كمل، وانظر إلى قول الله تعالى: {ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين (١٢)} [التحريم: ١٢] يتبين لك أن القنوت والعبادة في الرجال أكثر؛ ولهذا جاء في الحديث: "كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع: آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"[٤١٨٠].

كل هذا نريد أن يبقى في أذهاننا أن المرأة قاصرة، وأن من يحاولون أن يجعلوها كالرجال؛ فإنهم مخالفون للفطرة والطبيعة، كما أنهم مخالفون للشريعة.

خطب النبي - صلى الله عليه وسلم - النساء في يوم عيد، يوم الفرح والسرور، وبين حالهن فقال: "ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن"[٤١٨١] مع أنه يوم فرح ويوم سرور، كان من المتوقع أن يدخل عليهم النبي - صلى الله عليه وسلم - السرور، لكن لا بد أن يبين حالهن الآن، أولئك القوم من الكفار وغيرهم الذين ساووا النساء بالرجال في أكثر الأشياء أحوالهم غير مستقيمة، وغير تامة، مع أنهم لن يستطيعوا أن يلحقوا النساء بالرجال من كل وجه، هذا مستحيل.

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

انتهى الجزء الواحد والثلاثون من التفسير، ويليه الجزء الثاني والثلاثون بإذن الله، وبدايته تفسير الآية (١٩) من سورة «الزخرف».

(٤١٧٨)أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب كتاب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى كسرى وقيصر، رقم (٤٤٢٥)، من حديث أبي بكرة - رضي الله عنه -.

(٤١٧٩) تفسير العثيمين. الزخرف: ٨٨.

(٤١٨٠)أخرجه البخاري: كتاب أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -، باب فضل عائشة - رضي الله عنها -، رقم (٣٧٦٩)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضائل خديجة أم المؤمنين - رضي الله عنها -، رقم (٢٤٣١)، من حديث أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه -.

(٤١٨١)أخرجه البخاري: كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، رقم (٣٠٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان نقص الإيمان، رقم (٨٠)، من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه.